حاشية

العارف بالله تعالى المغفور له

أحمد بن محمّد الصّاوي المالكي الخلوتي

١١٧٥ - ١٢٤١ هـ

على

تفسير الجلالين

للإمامين العظيمين الجلالين المحلّى والجلال السيوطي

رحمهما الله تعالى آمين

القرآن الكريم مضبوط بالشكل الكامل

الجزء الثالث

الطبعة الأخيرة راجع تصحيحها

فضيلة الشيخ علي محمّد الضباع

شيخ القراء والمقارئ بالديار المصريّة

دار الجيل

بيروت

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الأول الآخر الباطن الظاهر ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الطاهر الفاخر ، وعلى آله وأصحابه ذوى العلا والمفاخر.

وبعد : فلما انتهى الكلام على تكملة الجلال السيوطى فلنشرع الآن فى الكلام على تأليف شيخه الجلال محمد ابن أحمد المحلى نفعنا الله بهما و بعلومهما فى الدنيا والآخرة ونسأل الله تعالى الاعانة على البدء والختام والموت على كمال الإيمان والاسلام . قال نفعنا الله به :

بسم الله الرحمن الرحيم

(سورة الكهف)

مكية إلا : واصبر نفسك الآية ، مائة وعشر آيات أو وخمس عشرة آية

(بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ . الْحَمْدُ) هو الوصف بالجميل ثابت (لِلّٰهِ) تعالى ، وهل المراد الإعلام بذلك للايمان به ، أو الثناء به ، أوهما ؟ احتمالات أفيدها الثالث (الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ) محمد (الْكِتَابَ) القرآن (وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ) أى فيه (عِوَجًا) اختلافا وتناقضاً والجملة حال من الكتاب ، (قيما)

[سورة الكهف مكية] سميت بذلك لذكر قصة أصحاب الكهف فيها من باب تسمية الشيء باسم بعضه ، وسورة مبتدأ ومكية خبر أول ومائة الخ خبر ثان (قوله ثابت) قدره إشارة إلى أن الجار والمجرور فى لله متعلق بمحذوف خبر المبتدإ والمراد بالثبوت الدوام والاستمرار أزلا وأبدا فحصل الفرق بين حمد القديم والحادث فوصف القديم بالكمالات أزلى مستمر وكمال الحادث عارض (قوله الاعلام بذلك) أى الاخبار بأن وصفه الكمالى أزلى فتكون الجملة خبرية لفظا ومعنى ، والمقصود منها كونها عقيدة للعباد وشرطا فى إيمانهم والمخبر بالحمد حامد (قوله أوالثناء به) أى إنشاء الثناء بمضمون تلك الجملة لا انشاء للمضمون فانه ثابت أزلا يستحيل إنشاؤه فتكون على هذا خبرية لفظا إنشائية معنى كأنه قال أجدّد وأنشئ حمدا لنفسى بنفسى لعجز خلقى عن كنه حمدى ، ولذا حكى عن أبى العباس المرسى أنه سأل ابن النحاس النحوى عن أل فى الحمد لله هل هى جنسية أوعهدية فقال يقولون إنها جنسية فقال لا بل هى عهدية لأن الله لما علم عجز خلقه عن كنه حمده حمد نفسه بنفسه وأبقاه لهم يحمدونه به (قوله أوهما) أى الاعلام والثناء ويكون هذا من باب استعمال الجملة فى الخبر والانشاء على سبيل الجمع بين الحقيقة والمجاز فاستعمالها فى الخبر حقيقة واستعمالها فى الانشاء مجاز وحينئذ فيكون المقصود من هذه الجملة أمرين الاعلام للايمان والتصديق وإنشاء الثناء (قوله أفيدها الثالث) أى أكثرها فائدة لدلالته على أمرين مقصود كل منهما بالذات . إن قلت إن إنشاء الثناء يستلزم الاعلام والاعلام يستلزم إنشاء الثناء . قلنا نعم لكن فرق بين الحاصل المقصود والحاصل غير المقصود فتحصل أنه إذا جعلت الجملة خبرية فقط كان الثناء حاصلا غير مقصود وإن جعلت إنشائية فقط كان الايمان بها حاصلا غير مقصود وإن استعملت فيهما كان كل مقصودا لذاته (قوله الذى أنزل) تعليق الحكم بالمشتق يؤذن بالعلية كأنه قال الحمد لله لأجل إنزاله الخ وإنما جعل الانزال سببا فى الحمد لأنه أعظم نعمة وجدت دنيا وأخرى إذ به تنال سعادة الدارين إذ فيه صلاح المعاد والمعاش ، قال تعالى : وأنزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء (قوله على عبده) الاضافة لتشريف المضاف ، ولذا قال القاضى عياض :

ومما زادنى شرفا وتيها وكدت بأخمصى أطأ الثريا
دخولى تحت قولك ياعبادى وأن صيرت أحمد لى نبيا

(قوله ولم يجعل له) الجملة إما معطوفة على قوله أنزل فتكون من جملة المحمود عليه أوحال كما قال المفسر (قوله اختلافا) أى فى اللفظ والمعنى ، والعوج بالكسر الفساد فى المعانى وبالفتح فى الأجسام (قوله تناقضا) نعت لاختلافا على حذف مضاف أى ذاتناقض .

(قوله قيما) إن أريد به الإستقامة فى المعنى كان حالا مؤكدة كما قال المفسر وإن أريد به الاستقامة مطلقا كان حالا مؤسسة (قوله مستقيما) أى معتدلا قائما بمصالح العباد دنيا وأخرى فهو مصلح لصاحبه دنياه وآخرته من حيث إنه يؤنسه فى قبره ويتلقى عنه السؤال ويكون نورا على الصراط ويوضع فى الميزان ويرقى به درجات الجنة وهذا للعامل به وقائم على غير العامل به بمعنى أنه يكون حجة عليه ، أوالمعنى قيما حسن الألفاظ والمعانى لكونه فى أعلى طبقات الفصاحة والبلاغة . فان قلت مافائدة التأكيد ؟ قلنا دفع توهم أن نفى العوج عن غالبه لأن الحكم للغالب (قوله لينذر) متعلق بأنزل وهو ينصب مفعولين قدر المفسر الأول بقوله الكافرين والثانى هو قوله بأسا وقوله وينذر معطوف على قوله لينذر الأول وحذف مفعوله الثانى لدلالة ماهنا عليه وذكر مفعوله الأول فنى الكلام احتباك حيث حذف من كل نظير ماأثبته فى الآخر (قوله الكتاب) هو فاعل ينذر ، وفى بعض النسخ بالكتاب وحينئذ فيكون فاعل الإنذار إما ضمير عائد على الله أو على محمد (قوله الذين يعملون الصالحات) نعت للمؤمنين وقوله : أن لهم أى بأن لهم وإنما ذكر المفعولين معا لعدم النظير لهم بخلاف أهل الانذار فأنواعهم مختلفة (قوله ماكثين) أى مقيمين فيه (قوله هو الجنة) أى الأجر الحسن (قوله من جملة الكافرين) أشار بذلك إلى أن قوله وينذر معطوف على ينذر الأول عطف خاص على عام والنكتة التشنيع والتقبيح عليهم حيث نسبوا لله الولد وهو مستحيل عليه قال تعالى : تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا (قوله الذين قالوا اتخذ الله ولدا) أى مولودا ذكرا أوأنثى فيشمل النصارى واليهود ومشركى العرب (قوله مالهم به من علم) أى لاستحالته عليه عقلا (قوله بهذا القول) هذا أحد أوجه فى مرجع الضمير : والثانى أنه راجع للولد أى أنهم نسبوا له الولد مع عدم علمهم به لاستحالته وعدم وجوده . والثالث أنه راجع لله أى ليس لهم علم بالله إذ لو علموه لما نسبوا له الولد (قوله من قبلهم) بفتح الميم بدل من آبائهم أى فالمراد بآبائهم من تقدمهم عموما ، وليس المراد بهم خصوص من لهم عليهم ولادة (قوله كبرت كلمة) كبر فعل ماض لانشاء الذم والتاء علامة التأنيث والفاعل مستتر تقديره هى وكلمة تمييز له والمخصوص بالذم محذوف قدره المفسر بقوله مقالتهم ، وهذه الجملة مستأنفة لانشاء ذمهم ونظيرها قوله تعالى : كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالاتفعلون (قوله تخرج من أفواههم) أى من غير تأمل وتدبر فيها بل جرت على ألسنتهم من غير سند (قوله فى ذلك) أى فى هذا المقام وهو نسبة الولد لله (قوله إلا كذبا) صفة لموصوف محذوف قدره المفسر بقوله مقولا (قوله فلعلك باخع الخ) لعل تأتى للترجى وللاشفاق وكل ليس مقصودا هنا بل المراد هنا النهى ، والمعنى لاتبخع نفسك أى لاتهلكها من أجل أسفك وغمك على عدم إيمانهم (قوله بعدهم) تفسير لآثارهم أى فالآثار جمع أثر والمراد منه البعدية (قوله إن لم يؤمنوا) شرط حذف جوابه لدلالة ماقبله عليه والتقدير فلا تهلك ، والمقصود منه تسلية النبى صلى الله عليه وسلم ، والمعنى لاتحزن على عدم إيمانهم حزنا يؤدى لاهلاك نفسك ، وأما أصل الحزن والغم فهو شرط فى الايمان لاينهى عنه لأن الرضا وشرح الصدر بالكفر كفر . (قوله لحرصك) علة للعلة (قوله ونصبه على المفعول) أى والعامل فيه باخع (قوله إنا جعلنا) كالتعليل لما قبله فهو من جملة تسليته صلى الله عليه وسلم وجعل إن كانت بمعنى صير فزينة مفعول ثان وان كانت بمعنى خلق فزينة حال أومفعول لأجله وعلى كل فقوله : ماعلى الأرض مفعول .

(قَيِّماً) مستقيما حال ثانية مؤكدة (لِيُنْذِرَ) يخوف بالكتاب الكافرين (بَأْساً) عذابا (شَدِيداً مِنْ لَدُنْهُ) من قبل الله (وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً . مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا) هو الجنة (وَيُنْذِرَ) من جملة الكافرين (الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا . مَالَهُمْ بِهِ) بهذا القول (مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ) من قبلهم القائلين له (كَبُرَتْ) عظمت (كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ) كلمة تمييز مفسر للضمير المبهم والمخصوص بالذم محذوف أى مقالتهم المذكورة (إِنْ) ما (يَقُولُونَ) فى ذلك (إِلَّا) مقولا (كَذِباً . فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ) مهلك (نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ) بعدهم أى بعد توليهم عنك (إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ) القرآن (أَسَفاً) غيظا وحزنا منك لحرصك على إيمانهم ونصبه على المفعول له (إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ) من الحيوان والنبات والشجر والأنهار ،

(قوله وغير ذلك) أى من باقى النعم التى خلقها الله للعباد كالذهب والفضة والمعادن (قوله زينة لها) أى يتزين بها ويتنعم، قال تعالى: زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة الآية (قوله لنختبر الناس) أى نعاملهم معاملة المختبر (قوله ناظرين إلى ذلك) حال من الناس أى لنختبر الناس فى حال نظرهم إلى الزينة (قوله أيهم) مبتدأ وأحسن خبر وعملا تمييز والجملة فى محل نصب سدت مسد مفعولى نبلو (قوله أى أزهد له) تفسير لقوله: أحسن عملا، والمعنى نميز بين حسن العمل وسيئه بتلك الزينة فمن زهدها كان من أهل الحسن ومن رغب فيها كان بضد ذلك فتدبر (قوله لجاعلون) أى مصيرون وصعيدا مفعول ثان (قوله فتاتا) بضم الفاء مصدر كالحطام والرفات أى ترابا (قوله جرزا) نعت لصعيدا، والمعنى إنا لنعيد ما على وجه الأرض من الزينة ترابا مستويا بالأرض كصعيد أملس لانبات به. إن قلت إن قوله ما عليها صريح فى أن الأرض تستمر فيكون منافيا لقوله فى الآية الأخرى: يوم تبدل الأرض غير الأرض. أجيب بأنه خص ما على الأرض من الزينة لأنه الذى به الغرور والفتنة (قوله أم حسبت) أم منقطعة وفيها ثلاثة مذاهب: مذهب الجمهور تفسر ببل والهمزة، وعند طائفة تفسر بالهمزة وحدها وعليه درج المفسر، وعند طائفة أخرى تفسر ببل وحدها (قوله أى أظننت) الاستفهام إنكارى أى لاتظن أن قصة أهل الكهف عجيبة دون باقى الآيات فان غيرها من الآيات الدالة على قدرة الله كالليل والنهار والسموات والارض أعجب منها (قوله الكهف) مفرد وجمعه كهوف وأكهف (قوله الغار فى الجبل) أى وإن لم يكن متسعا وهو قول، وقيل إن الكهف الغار المتسع فان لم يتسع سمى غارا فقط (قوله والرقيم) هو بمعنى مرقوم (قوله اللوح) أى وكان من رصاص، وقيل من حجارة وهو مدفون عند باب الغار تحت البناء الذى عليه،

(٤)

وغير ذلك (زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ) لنختبر الناس ناظرين إلى ذلك (أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) فيه أى أزهد له (وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا) فتاتا (جُرُزًا) يابسا لاينبت (أَمْ حَسِبْتَ) أى ظننت (أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ) الغار فى الجبل (وَالرَّقِيمِ) اللوح المكتوب فيه أسماؤهم وأنسابهم، وقد سئل صلى الله عليه وسلم عن قصتهم (كَانُوا) فى قصتهم (مِنْ) جملة (آيَاتِنَا عَجَبًا) خبر كان وماقبله حال أى كانوا عجبا دون باقى الآيات أو أعجبها، ليس الأمر كذلك. اذكر (إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ)،

وقيل إن الرقيم اسم الوادى الذى فيه أصحاب الكهف، وقيل اسم القرية، وقيل اسم للجبل، وقيل اسم كتاب مرقوم عندهم فيه الشرع الذى تمسكوا به من دين عيسى، وقيل دراهمهم التى كانت معهم، وقيل كلبهم (قوله فيه أسماؤهم) أى ففيه فلان ابن فلان من مدينة كذا خرج فى وقت كذا من سنة كذا (قوله فى قصتهم) أى وكانت بعد عيسى عليه السلام (قوله ليس الأمر كذلك) أى ليست أعجبها ولا هى عجب دون غيرها بل هى من جملة الآيات العجيبة (قوله إذ أوى الفتية إلى الكهف) أى نزلوه وسكنوه. وحاصل قصتهم كما قال محمد ابن إسحق: لما طغى أهل الانجيل وكثرت فيهم الخطايا حتى عبدوا الأصنام وذبحوا لها وبقى فيهم من هو على دين عيسى مستمسكين بعبادة الله وتوحيده وكان بالروم ملك يقال له دقيانوس عبد الأصنام وذبح للطواغيت وكان يحمل الناس على ذلك ويقتل من خالفه فمر بمدينة أصحاب الكهف وهى مدينة من الروم يقال لها أفسوس واسمها عند العرب طرسوس فاستخفى منه أهل الايمان فصار يرسل أعوانه فيفتشون عليهم ويحضرونهم له فيأمرهم بعبادة الأصنام ويقتل من يخالفه، فلما عظمت هذه الفتنة ورأى الفتية ذلك حزنوا حزنا شديدا وكانوا من أشراف الروم وهم ثمانية وكانوا على دين عيسى، فأخبر الملك بهم وبعبادتهم فبعث إليهم فأحضروا بين يديه يبكون فقال ما منعكم أن تذبحوا لآلهتنا وتجعلوا أنفسكم كأهل المدينة فاختاروا إما أن تكونوا على ديننا وإما أن نقتلكم فقال له أكبرهم إن لنا إلها عظمته ملء السموات والأرض لن ندعو من دونه إلها أبدا اصنع مابدا لك وقال أصحابه مثل ذلك فأمر الملك بنزع لباسهم والحلية التى كانت عليهم وكانوا مسورين ومطوقين وكانوا غلمانا مردا حسانا جدا وقال سأتفرغ لكم وأعاقبكم ومايمنعنى من فعل ذلك بكم إلا أنى أراكم شبابا فلا أحب أن أهلككم وإنى قد جعلت لكم أجلا تدبرون فيه أمركم وترجعون إلى عقولكم، ثم إنه سافر لغرض من أغراضه فخافوا أنه إذا رجع من سفره يعاقبهم أو يقتلهم فاشتوروا فيما بينهم، واتفقوا على أن يأخذ كل واحد منهم نفقة من بيت أبيه يتصدق ببعضها ويتزود بالباقى، ففعلوا ذلك وانطلقوا إلى جبل قريب من مدينتهم يقال له ينجلوس فيه كهف ومروا فى طريقهم بكلب فتبعهم فطردوه فعاد ففعلوا ذلك مرارا

فقال لهم الكلب أنا أحب أحباب الله عزّ وجلّ فناموا وأنا أحرسكم فتبعهم فدخلوا الكهف وتمدوا فيه ليس لهم عمل إلا الصلاة والصيام والتسبيح والتحميد وجعلوا نفقتهم تحت يد واحد منهم اسمه تمليخا كان يأتى المدينة يشترى لهم الطعام سرا و يتجسس لهم الخبر فلبثوا بذلك الغار ماشاء الله ثم رجع الملك دقيانوس من سفره إلى المدينة وكان تمليخا يومئذ بالمدينة يشترى لهم طعاما فجاء وأخبرهم برجوع الملك وأنه يفتش عليهم ففزعوا وشرعوا يذكرون الله عزّ وجلّ و يتضرعون إليه فى دفع شره عنهم وذلك عند غروب الشمس ، فقال لهم تمليخا يا إخوتاه كلوا وتوكلوا على ربكم فأكلوا وجلسوا يتحدثون و يتواصون فبينماهم كذلك إذ ألقى الله عليهم النوم فى الكهف وألقاه أيضا على كلبهم وهو باسط ذراعيه على باب الكهف ففتش عليهم الملك فدل عليهم فتحير فيما يصنع بهم فألقى الله فى قلبه أن يسدّ عليهم باب الغار وأراد الله عزّ وجلّ أن يكرمهم بذلك ويجعلهم آية للناس وأن يبين لهم أن الساعة آتية وأنه قادر على بعث العباد من بعد الموت فأمر الملك بسده وقال دعوهم فى كهفهم يموتوا جوعا وعطشا و يكون كهفهم الذى اختاروه قبرا لهم وهو يظن أنهم أيقاظ يعلمون مايصنع بهم ، وقد توفى الله أرواحهم وفاة نوم ثم إن رجلين مؤمنين فى بيت الملك دقيانوس يكتمان إيمانهما شرعا يكتبان قصة هؤلاء الفتية فكتبا وقت فقدهم وعددهم وأنسابهم ودينهم وممن فروا فى لوحين من رصاص وجعلاهما فى تابوت من نحاس وجعلا التابوت فى البنيان وقالا لعل الله أن يظهر على هؤلاء الفتية قوما مؤمنين قبل يوم القيامة فيعرفوا من هذه الكتابة خبرهم ، ثم مات الملك دقيانوس هو وقومه ومن بعده سنون وقرون وتغايرت الملوك ثم ملك تلك المدينة رجل صالح يقال له بيدروس واختلف الناس عليه فمنهم المؤمن بالساعة ومنهم الكافر بها فشق ذلك عليه حيث كان يسمعهم يقولون لاحياة إلا حياة الدنيا و إنما تبعث الأرواح دون الأجساد فجعل يتضرع و يقول ربّ أنت تعلم اختلاف هؤلاء فابعث لهم آية تبين لهم أمر الساعة والبعث فأراد الله أن يظهره على الفتية أصحاب الكهف و يبين للناس شأنهم و يجعلهم آية وحجة عليهم ليعلموا أن الساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور فألقى الله فى قلب رجل من أهل تلك الناحية أن يهدم ذلك البناء الذى على باب الكهف و يبنى بحجارته حظيرة لغنمه

(٥)

جمع فتىّ وهو الشاب الكامل خائفين على إيمانهم من قومهم الكفار (فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ) من قبلك (رَحْمَةً وَهَيِّئْ) أصلح (لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا) هداية (فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ) أى أنمناهم (فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا) :

فهدمه و بنى به حظيرة لغنمه ، فلما انفتح باب الكهف بعث الله هؤلاء الفتية فجلسوا فرحين مسفرة وجوههم طيبة نفوسهم وقد حفظ الله عليهم أبدانهم وجمالهم وهيئتهم فلم يتغير منها شئ فكانت هيئتهم وقت أن استيقظوا كهيئتهم وقت أن رقدوا ثم أرسلوا تمليخا إلى المدينة ليشترى لهم الطعام فذهب فرأى المدينة قد تغير حالها وأهلها وملكها وقد أخذه أهل المدينة وذهبوا به إلى ذلك الملك المؤمن فأخبره تمليخا بقصته وقصة أصحابه ، فقال بعض الحاضرين ياقوم لعل هذه آية من آيات الله جعلها الله لكم على يد هذا الفتى فانطلقوا بنا حتى يرينا أصحابه فانطلق أريوس وأسطيوس من عظماء المملكة ومعهما جميع أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم نحو أصحاب الكهف لينظروا إليهم فأول من دخل عليهم هذان العظيمان الكبيران فوجدا فى أثر البناء تابوتا من نحاس ففتحاه فوجدوا فيه لوحين من رصاص مكتوبا فيهما قصتهم ، فلما قرءوهما عجبوا وحمدوا الله الذى أراهم آية تدلهم على البعث ثم أرسلوا قاصدا إلى ملكهم الصالح بيدروس أن عجل بالحضور إلينا لعلك ترى هذه الآية العجيبة فان فتية بعثهم الله وأحياهم وقد كان توفاهم ثلثمائة سنة وأكثر فلما جاءه الخبر ذهب همه وقال أحمدك ربّ السموات والأرض تفضلت على ورحمتنى ولم تطفئ النور الذى جعلته لآبائى فركب وتوجه نحو الكهف فدخل عليهم وفرح بهم واعتنقهم ووقف بين أيديهم وهم جلوس على الأرض يسبحون الله ويحمدونه فقالوا له نستودعك الله والسلام عليك ورحمة الله حفظك الله وحفظ ملكك ونعيذك بالله من شر الانس والجن فبينما الملك قائم إذ رجعوا إلى مضجعهم فناموا وتوفى الله أنفسهم فقام الملك إليهم وجعل ثيابهم عليهم وأمر أن يجعل كل رجل منهم فى تابوت من ذهب ، فلما مشى ونام أتوه فى منامه فقالوا له إنا لم نخلق من ذهب ولا فضة ولكنا خلقنا من التراب و إلى التراب نصير فاتركنا كما كنا فى الكهف على التراب حتى يبعثنا الله منه فأمر الملك عند ذلك بتابوت من سجّ فجعلوا فيه وأمر أن يبنى على باب الكهف مسجد فيه و يسد به باب الغار فلا يراهم أحد وجعل لهم عيدا عظيما وأمر أن يؤتى كل سنة اهـ ملخصا من الخازن (قوله جمع فتى) أى كصبى وصبية (قوله أصلح) أى أو يسر (قوله هداية) أى تثبيتا على الايمان وتوفيقا للأعمال الصالحة (قوله فضربنا على آذانهم) مفعوله محذوف تقديره حجابا مانعا لهم من السماع وهذا هو

المعنى الحقيقي وليس مرادا بل المراد أنمناهم ففي الكلام تجوّز حيث شبه إلقاء النوم بضرب الحجاب واستعير اسم المشبه به للمشبه واشتق من الضرب ضربنا بمعنى أنمنا استعارة تصريحية تبعية (قوله معدودة) أشار بذلك إلى أن عددا مصدر بمعنى معدودة نعت لسنين وسيأتي عدّها في الآية (قوله علم مشاهدة) جواب عما يقال كيف قال تعالى لنعلم مع أنه تعالى عالم بكل شيء أزلا فأجاب بقوله علم مشاهدة، والمعنى ليظهر ويشاهد ويحصل لهم ما تعلق به علمنا أزلا من ضبط مدتهم (قوله الفريقين المختلفين) قيل المراد بالفريقين أصحاب الكهف لافتراقهم فرقتين فرقة تقول يوم وفرقة تقول بعض يوم وقيل هم أهل المدينة افترقوا فرقتين في قدر مدتهم بالتخمين والظن (قوله فعل) أي ماض وليس اسم تفضيل لأنه لا يبنى من غير الثلاثي (قوله للبثهم) أشار بذلك إلى أن ما مصدرية مراعى فيها اعتبار المدة، وقوله متعلق بما بعده أي حال منه وأمدا مفعول أحصى (قوله نحن نقص عليك نبأهم) أي نفصل لك يا محمد خبرهم (قوله بالحق) الباء للملابسة والجار والمجرور حال من نبأ (قوله إنهم فتية) أي شباب كانوا من عظماء أهل تلك المدينة وأحدهم كان وزيرا للملك (قوله آمنوا بربهم) أي صدقوا به وانقادوا لأحكامه (قوله قويناها على قول الحق) أي حيث خالفوا الملك ولم يحصل لهم منه رعب ولا خوف (قوله إذ قاموا) ظرف لربطنا أي ربطنا على قلوبهم وقت قيامهم (قوله بين يدي ملكهم) أي واسمه دقيانوس (قوله فقالوا) أي خطابا للملك ثلاث جمل وآخرها قوله شططا (قوله لن ندعو) أي نعبد (قوله أي قولا ذا شطط) أشار بذلك إلى أن شططا منصوب على المصدرية صفة لمحذوف على حذف مضاف أي إفراط في الكفر أي مجاوزة الحد فيه (قوله هؤلاء قومنا) هذه جمل ثلاث قالوها فيما بينهم بعد خروجهم من عند الملك وآخرها قوله كذبا (قوله عطف بيان) أي أو بدل (قوله اتخذوا) خبر المبتدا (قوله هلا) أشار بذلك إلى أن لولا للتحضيض والمقصود (رهم من ذكر هذا الكلام فيما بينهم تذاكر التوحيد وتقوية أنفسهم عليه (قوله على عبادتهم) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله أي لا أحد) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي (قوله قال بعض الفتية لبعض) قدره إشارة إلى أن إذ ظرف منصوب بمحذوف أي قال بعضهم لبعض وقت اعتزالهم (قوله وما يعبدون إلا الله) ما موصولة أو مصدرية، والمعنى وإذ اعتزلتموهم والذي يعبدونه غير الله أو معبوداتهم غير الله (قوله ينشر لكم) أي يبسط ويوسع (قوله وبالعكس) أي فهما قراءتان سبعيتان، وأما الجارحة فبكسر الميم فقط (قوله من غداء وعشاء) أي وغير ذلك (قوله وترى الشمس) الخطاب للنبي أو لكل أحد، والمعنى لو كنت هناك عندهم واطلعت على كهفهم لرأيت الشمس إذا طلعت الخ (قوله بالتشديد) أي فأصله تتزاور قلبت التاء زايا وأدغمت في الزاي (قوله والتخفيف) أي بحذف إحدى التاءين وهما قراءتان سبعيتان (قوله ناحيته) أشار بذلك إلى أن ذات اليمين وذات الشمال ظرف مكان بمعنى جهة اليمين وجهة الشمال والمراد يمين الداخل للكهف وشماله وذلك أن كهفهم مستقبل بنات نعش فتميل عنهم الشمس طالعة وغاربة لئلا تؤذيهم بحرها ولا ينافي هذا ما تقدم في القصة أنه سد

معدودة (ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ) أيقظناهم (لِنَعْلَمَ) علم مشاهدة (أَيُّ الْحِزْبَيْنِ) الفريقين المختلفين في مدة لبثهم (أَحْصَى) فعل بمعنى أضبط (لِمَا لَبِثُوا) للبثهم متعلق بما بعده (أَمَدًا) غاية (نَحْنُ نَقُصُّ) نقرأ (عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ) بالصدق (إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى . وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ) قوّيناها على قول الحق (إِذْ قَامُوا) بين يدي ملكهم وقد أمرهم بالسجود للأصنام (فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَا مِنْ دُونِهِ) أي غيره (إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا) أي قولا ذا شطط: أي إفراط في الكفر إن دعونا إلها غير الله فرضا (هَؤُلَاءِ) مبتدأ (قَوْمُنَا) عطف بيان (اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا) هلا (يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ) على عبادتهم (بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ) بحجة ظاهرة (فَمَنْ أَظْلَمُ) أي لا أحد أظلم (مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا) بنسبة الشريك إليه تعالى. قال بعض الفتية لبعض (وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا) بكسر الميم وفتح الفاء وبالعكس: ما ترتفقون به من غداء وعشاء (وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَّاوَرُ) بالتشديد والتخفيف: تميل (عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ) ناحيته (وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ) تتركهم وتتجاوز عنهم فلا تصيبهم ألبتة،

(وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ) متسع من الكهف ينالهم برد الريح ونسيمها (ذَٰلِكَ) المذكور (مِنْ آيَاتِ اللَّهِ) دلائل قدرته (مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا . وَتَحْسَبُهُمْ) لو رأيتهم (أَيْقَاظًا) أى منتبهين لأن أعينهم منفتحة، جمع يقظ بكسر القاف (وَهُمْ رُقُودٌ) نيام جمع راقد (وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ) لئلا تأكل الأرض لحومهم (وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ) يديه (بِالْوَصِيدِ) بفناء الكهف وكانوا إذا انقلبوا انقلب هو مثلهم فى النوم واليقظة (لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِّئْتَ) بالتشديد والتخفيف (مِنْهُمْ رُعْبًا) بسكون العين وضمها منعهم الله بالرعب من دخول أحد عليهم (وَكَذَٰلِكَ) كما فعلنا بهم ما ذكرنا (بَعَثْنَاهُمْ) أيقظناهم (لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ) عن حالهم ومدة لبثهم (قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ) لأنهم دخلوا الكهف عند طلوع الشمس وبعثوا عند غروبها فظنوا أنه غروب يوم الدخول، ثم (قَالُوا) متوقفين فى ذلك (رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ) بسكون الراء وكسرها بفضتكم (هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ) يقال إنها المسماة :

باب الكهف وبنى عليه مسجد لأن الكهف له محل منفتح من أعلاه جهة بنات نعش (قوله وهم فى فجوة منه) أى وسطه والجملة حالية (قوله المذكور) أى من نومهم وحمايتهم من إصابة الشمس لهم (قوله من يهد الله فهو المهتد) جملة معترضة فى أثناء القصة لتسليته صلى الله عليه وسلم (قوله فلن تجد له وليا) أى معينا (قوله مرشدا) أى هاديا (قوله وتحسبهم) خطاب للنبى أو لكل أحد (قوله بكسر القاف) أى كفخذ وأفخاذ ويضم أيضا كعضد وأعضاد (قوله ونقلبهم الخ) قيل يقلبون فى كل سنة مرة فى يوم عاشوراء وقيل يقلبون مرتين وقيل كل تسع سنين والمقلب لهم قيل الله وقيل ملك يأمره الله تعالى (قوله وكلبهم) وكان أصفر اللون وقيل أحمر وقيل كلون السماء واسمه قطمير وقيل ريان، وهو من جملة الحيوانات التى تدخل الجنة وبهذا تعلم أن حب الصالحين والتعلق بهم يورث الخير العظيم والفوز بجنات النعيم (قوله ذراعيه) منصوب بباسط وهو ليس بمعنى الماضى المنقطع بل المستمر وقولهم اسم الفاعل لا يعمل إن كان بمعنى الماضى لا بمعنى المستقبل (قوله بفناء الكهف) أى رحبته، وقيل المراد بالوصيد العتبة وقيل الباب وقيل التراب (قوله لو اطلعت عليهم) الخطاب للنبى أو لكل أحد (قوله فرارا) منصوب على المصدر من معنى الفعل قبله أو على الحال أى فارا (قوله رعبا) أى فزعا . وروى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: غزونا مع معاوية نحو الروم فمررنا بالكهف الذى فيه أصحاب الكهف فقال معاوية لو كشف لنا عن هؤلاء نظرنا إليهم فقال ابن عباس قد منع من ذلك من هو خير منك لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فبعث معاوية أناسا فقال اذهبوا فانظروا فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم ريحا فأخرجتهم (قوله بسكون العين وضمها) ظاهره أن القراءات أربع وليس كذلك بل ثلاث فقط سبعيات لأن اللام إن خففت جاز فى العين السكون والضم وإن شددت تعين فى العين السكون فقط (قوله كما فعلنا بهم ما ذكرنا) أى من إلقاء النوم عليهم تلك المدة الطويلة فيكون إيقاظهم آية أخرى يعتبر بها هم وغيرهم (قوله ليتساءلوا) اللام للسببية أو للعاقبة والصيرورة (قوله قال قائل منهم) أى واحد منهم وهو كبيرهم ورئيسهم مكسلمينا (قوله كم لبثتم) كم منصوبة على الظرفية ومميزها محذوف تقديره كم يوما (قوله أو بعض يوم) أو للشك منهم لترددهم فى غروب الشمس وعدمه (قوله لأنهم دخلوا الكهف الخ) ظاهره أنهم ناموا فى يوم دخولهم وتقدم أنهم مكثوا مدة فى الكهف قبل نومهم يتعبدون ويأكلون ويشربون فكان المناسب أن يقول لأنهم ناموا طلوع الشمس الخ (قوله قالوا) أى بعضهم لبعض (قوله متوقفين فى ذلك) أى فى قدر مدة لبثهم (قوله ربكم أعلم بما لبثتم) هذا تفويض منهم لأمر الله احتياطا وحسن أدب (قوله فابعثوا) أى أرسلوا (قوله أحدكم) أى وهو تمليخا (قوله بورقكم) قيل الورق الفضة المضروبة وقيل الفضة مطلقا وتحذف فاء الكلمة فيقال رقة (قوله بسكون الراء وكسرها) سبعيتان (قوله هذه) أى الدراهم التى كانت معهم من بيوت آبائهم فإنهم أنفقوا بعضها قبل نومهم وبقى بعضها معهم فوضعوه عند رءوسهم حين ناموا وكان عليها اسم ملكهم دقيانوس وكان الواحد منها قدر خف ولد الناقة الصغير .

(قوله الآن) أى فى الاسلام وأما فى الجاهلية فكانت تسمى أفسوس وقيل افسوس من أعمال طرسوس (قوله أحل) أى أحل ذبيحة لأنهم كان منهم من يذبح للطواغيت وكان فيهم قوم يخفون إيمانهم فطلبوا أن يكون طعامهم من ذبيحة المؤمنين (قوله وليتلطف) أى يترفق فى ذهابه ورجوعه لئلا يعرف (قوله ولايشعرن بكم أحدا) أى لايفعلن مايؤدى إلى شعور أحد بكم (قوله إنهم) أى أهل المدينة (قوله إن يظهروا عليكم) أى يغلبوكم ويطلعوا عليكم (قوله أو يعيدوكم فى ملتهم) أى يصيروكم إليها (قوله ولن تفلحوا إذا أبدا) أى لن تظفروا بمطلوبكم لو وقع منكم ذلك ولو كرها . إن قلت كيف أثبتوا عدم الفلاح بالعود فى ملتهم مع الاكراه المستفاد من قوله إنهم إن يظهروا عليكم الخ مع أن المكره غير مؤاخذ بما أكره عليه . أجيب بأن هذا مخصوص بشريعتنا ، وأما من قبلنا فكانوا يؤاخذون بالاكراه بدليل قوله صلى الله عليه وسلم « رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه» (قوله وكذلك) أى كما أنمناهم و بعثناهم (قوله قومهم والمؤمنين) قدر ذلك

الآن طرسوس بفتح الراء (فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا) أى أى أطعمة المدينة أحل (فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ) يقتلوكم بالرجم (أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا) أى إن عدتم فى ملتهم (أَبَدًا. وَكَذَلِكَ) كما بعثناهم (أَعْثَرْنَا) أطلعنا (عَلَيْهِمْ) قومهم والمؤمنين (لِيَعْلَمُوا) أى قومهم (أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ) بالبعث (حَقٌّ) بطريق أن القادر على إنامتهم المدة الطويلة وإبقائهم على حالهم بلا غذاء قادر على إحياء الموتى (وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ) شك (فِيهَا إِذْ) معمول لأعثرنا (يَتَنَازَعُونَ) أى المؤمنون والكفار (بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ) أمر الفتية فى البناء حولهم (فَقَالُوا) أى الكفار (ابْنُوا عَلَيْهِمْ) أى حولهم (بُنْيَانًا) يسترهم (رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ، قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ) أمر الفتية وهم المؤمنون (لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ) حولهم (مَسْجِدًا) يصلى فيه وفعل ذلك على باب الكهف (سَيَقُولُونَ) أى المتنازعون فى عدد الفتية فى زمن النبى أى يقول بعضهم : هم (ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ) أى بعضهم (خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ) والقولان لنصارى نجران (رَجْمًا بِالْغَيْبِ) أى ظنا فى الغيبة عنهم وهو راجع إلى القولين معاً ونصبه على المفعول له أى لظنهم ذلك (وَيَقُولُونَ) أى المؤمنون (سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ) الجملة من المبتدإ وخبره صفة سبعة بزيادة الواو ، وقيل تأكيداً ودلالة على لصوق الصفة بالموصوف ووصف الأولين بالرجم دون الثالث دليل على أنه مرضى وصحيح (قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ) قال ابن عباس : أنا من القليل وذكرهم سبعة (فَلَا تُمَارِ) تجادل (فِيهِمْ

اشارة إلى أن مفعول أعثرنا محذوف (قوله أى قومهم) أى ذرية قومهم لأن قومهم قد انقرضوا (قوله بلاغذاء) أى قوت (قوله وأن الساعة) أى القيامة (قوله معمول لأعثرنا) المناسب جعله ظرفا لمحذوف تقديره اذكر أو لقوله : قال الذين غلبوا (قوله أى المؤمنون والكفار) أى فقال المؤمنون نبنى عليهم مسجدا يصلى فيه الناس لأنهم على ديننا وقال الكفار نبنى عليهم بيعة لأنهم من أهل ملتنا (قوله ربهم أعلم بهم) يحتمل أن يكون من كلام الله أو من كلام المتنازعين (قوله وهم المؤمنون) أى الذين كانوا فى زمن الملك بيدروس الرجل الصالح (قوله وفعل ذلك على باب الكهف) أى إلا و بقى ظهر الكهف منفتحا كما تقدم (قوله أى المتنازعون) أى وهم النصارى والمؤمنون (قوله ثلاثة) خبر مبتدإ محذوف قدره المفسر بقوله هم (قوله رابعهم كلبهم) مبتدأ وخبر والجملة صفة لثلاثة وكذا يقال فى قوله و يقولون خمسة و يقولون سبعة (قوله نجران) موضع بين الشام واليمن والحجاز (قوله رجما بالغيب) أى ظنا من غير دليل ولابرهان (قوله أى المؤمنون) أى قالوا ذلك بإخبار الرسول لهم عن جبريل عليه السلام (قوله بزيادة الواو) أى من غير ملاحظة معنى التوكيد (قوله وقيل تأكيد) أى زائدة لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف وحكمة زيادتها الاشارة إلى تصحيح هذا القول دون ماقبله (قوله ودلالة على لصوق الصفة الخ) العطف للتفسير على ماقبله فهما قولان فقط (قوله قل ربى أعلم بعدتهم) أى من غيره (قوله مايعلمهم إلا قليل) أى وهو النبى ومن صح منه (قوله وذكرهم سبعة) أى وهم مكسلمينا وتمليخا ومرطونس ونينوس وساربولس وذو نوانس

وفليسطيونس وهو الراعى واسم كلبهم قطمير وقيل حمران وقيل ريان قال بعضهم: علموا أولادكم أسماء أهل الكهف فانها لو كتبت على باب دار لم تحرق وعلى متاع لم يسرق وعلى مركب لم تغرق ، وقال ابن عباس رضى الله عنهما : خواص أسماء أهل الكهف تنفع لتسعة أشياء للطلب والهرب ولاطفاء الحريق تكتب على خرقة وترمى فى وسط النار تطفأ باذن الله ، ولبكاء الأطفال والحمى المثلثة وللصداع تشد على العضد الأيمن ولأم الصبيان وللركوب فى البر والبحر ولحفظ المال ولنماء العقل ونجاة الآثمين اه (قوله إلا مراء ظاهرا) أى غير متعمق فيه بل تقص عليهم مافى القرآن من غير تجهيل لهم وتفتيش على عقائدهم (قوله بما أنزل إليك) أى وهو القرآن (قوله ولاتستفت فيهم منهم أحدا) أى لاتسأل أحدا عن قصتهم فان فيما أوحى إليك الكفاية (قوله اليهود) المناسب عدم التقييد بذلك بل يقيد بالنصارى لما روى أنه عليه الصلاة والسلام سأل نصارى نجران عنهم فنهى عن ذلك (قوله وسأله أهل مكة) أى بتعليم اليهود لهم حيث قالوا لهم سلوه عن الروح وأصحاب الكهف وعن ذى القرنين فسألوه عنها فقال أبقونى غدا أخبركم ولم يقل إن شاء الله فأبطأ عليه الوحى بضعة عشر يوما أو أربعين حق شق عليه وتمارت قريش فى ذلك (قوله فنزل) أى بعد انقضاء تلك المدة تعليما لأمته الأدب وتفويض الأمور إلى الله تعالى فان الانسان لايدرى مايفعل به فاذا كان هذا الخطاب لرسول الله وهو سيد الخلق فما بالك بغيره (قوله أى لأجل شىء) أى تهتم به وتريد القدوم عليه (قوله إنى فاعل ذلك) المراد بالفعل مايشمل القول (قوله أى فيما يستقبل من الزمان) أشار بذلك إلى أن المراد بالغد مايستقبل كان فى يومك أو بعده بقليل أوكثير لاخصوص اليوم الذى بعد يومك (قوله إلا أن يشاء الله) استثناء من عموم الأحوال كأنه قال لاتقولن لشىء فى حال من الأحوال إلا فى حال تلبسك بالتعليق على مشيئة الله (قوله ويكون ذكرها بعد النسيان الخ)

إِلاَّ مِرَاءً ظَاهِرًا) بما أنزل عليك (وَلاَ تَسْتَفْتِ فِيهِمْ) تطلب الفتيا (مِنْهُمْ) من أهل الكتاب اليهود (أَحَدًا) وسأله أهل مكة عن خبر أهل الكهف فقال أخبركم به غدا ولم يقل إن شاء الله فنزل (وَلاَ تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ) أى لأجل شىء (إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا) أى فيما يستقبل من الزمان (إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللهُ) أى إلا ملتبسا بمشيئة الله تعالى بأن تقول إن شاء الله (وَاذْكُرْ رَبَّكَ) أى مشيئته معلقا بها (إِذَا نَسِيتَ) التعليق بها ويكون ذكرها بعد النسيان كذكرها مع القول قال الحسن وغيره مادام فى المجلس (وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا) من خبر أهل الكهف فى الدلالة على نبوتى (رَشَدًا) هداية وقد فعل الله تعالى ذلك (وَلَبِثُوا فِى كَهْفِهِمْ ثَلاَثَ مِائَةٍ) بالتنوين (سِنِينَ) عطف بيان لثلثمائة ، وهذه السنون الثلثمائة عند أهل الكتاب شمسية ، وتزيد القمرية عليها عند العرب ،

أى لما روى أنه صلى الله عليه وسلم لما نزلت الآية قال إن شاء الله (قوله قال الحسن وغيره مادام فى المجلس) أى ولو انفصل عن الكلام السابق . وقال ابن عباس يجوز انفصاله إلى شهر وقيل إلى سنة وقيل أبدا وقيل إلى أربعة أشهر وقيل إلى سنتين ، وقيل مالم يأخذ فى كلام آخر وقيل يجوز بشرط أن ينوى فى الكلام وقيل يجوز انفصاله فى كلام الله تعالى لأنه أعلم بمراده لا فى كلام غيره وعامة المذاهب الأربعة على خلاف ذلك كله فان شرط حل الأيمان بالمشيئة أن تتصل وأن يقصد بها حل اليمين ولا يضر الفصل بتنفس أو سعال أو عطاس ولا يجوز تقليد ماعدا المذاهب الأربعة ولو وافق قول الصحابة والحديث الصحيح والآية ، فالخارج عن المذاهب الأربعة ضال مضل وربما أداه ذلك للكفر لأن الأخذ بظواهر الكتاب والسنة من أصول الكفر (قوله وقل) أى لأهل مكة (قوله أن يهدين) أى يدلنى (قوله فى الدلالة) متعلق بأقرب (قوله رشدا) إما مفعول مطلق ليهدينى لموافقته له فى المعنى وإليه يشير المفسر بقوله هداية ويصح أن يكون تمييزا لأقرب أى لأقرب هداية من هذا (قوله وقد فعل الله تعالى ذلك) أى هداه لما هو أعجب وأطلعه على ماهو أغرب حيث شاهد ماشاهد فى ليلة الاسراء وأعطاه علوم الأولين والآخرين وفاق عليهم بعلوم لم يطلع عليها أحد سواه وأشار المفسر بذلك إلى أن الترجى فى كلام الله بمنزلة التحقق (قوله ولبثوا فى كهفهم) هذا رد على أهل الكتاب حيث اختلفوا فى مدة لبثهم (قوله عطف بيان) أى لأن تمييز المائة فى الكثير مفرد مجرور وفى قراءة بالاضافة وعليها فتكون من القليل . قال ابن مالك :

ومائة والألف للفرد أضف   ومائة بالجمع نزرا قد ردف

(قوله تسع سنين) أى لأن كل ثلاث وثلاثين سنة وثلث سنة شمسية تزيد سنة قمرية (قوله أى تسع سنين) أشار بذلك إلى أن حذف المميز من الثانى لدلالة الأول عليه (قوله قل الله أعلم بما لبثوا) إن قلت مافائدة الاخبار بذلك بعد أن بين الله ذلك أجيب بأوجه أحدها أن المعنى قل الله أعلم بأن الثلثمائة سنة والتسع قمرية لا شمسية خلافا لزعم بعض الكفار أنها شمسية ثانيها أن المعنى الله أعلم بحقيقة لبثهم وكيفيته . ثالثها أن المعنى الله أعلم بمدة لبثهم قبل البعث و بعده . واعلم أنه اختلف فى أصحاب الكهف هل ماتوا ودفنوا أوهم نيام وأجسامهم محفوظة ، والصحيح أنهم نيام و يستيقظون عند نزول عيسى و يحجون معه و يموتون قبل يوم القيامة حين تأتى الريح اللينة كما قال صلى الله عليه وسلم «ليحجن عيسى ابن مريم ومعه أصحاب الكهف فإنهم لم يحجوا بعد» ذكره ابن عيينة ، وفى رواية «مكتوب فى التوراة والانجيل أن عيسى ابن مريم عبد الله ورسوله وأنه يمر بالروحاء حاجا ومعتمرا و يجمع الله له ذلك فيجعل الله حواريه أصحاب الكهف والرقيم فيمرون حجاجا فانهم لم يحجوا ولم يموتوا» اه (قوله أى علمه) أى علم السموات والأرض وماغاب فيهما (قوله على جهة المجاز) أى لأن التعجب استعظام أمر خفى سببه، وعظم وصف الله ظاهر بالبرهان لايخفى فاحاطته بالموجودات سمعا و بصرا وعلما أمر ثابت بالبرهان وصار كالضرورى ، و إنما المقصود ذكر العظمة لاحقيقة التعجب

(قوله من ولى) إمامبتدأ مؤخر أو فاعل بالظرف (قوله فى حكمه) أى قضائه

تسع سنين وقد ذكرت فى قوله (وَازْدَادُوا تِسْعًا) أى تسع سنين فالثلثمائة الشمسية ثلثمائة وتسع قمرية (قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا) ممن اختلفوا فيه وهو ما تقدم ذكره (لَهُ غَيْبُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ) أى علمه (أَبْصِرْ بِهِ) أى بالله هى صيغة تعجب (وَأَسْمِعْ) به كذلك بمعنى ما أبصره وما أسمعه وهما على جهة المجاز والمراد أنه تعالى لايغيب عن بصره وسمعه شىء (مَا لَهُمْ) لأهل السموات والأرض (مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ) ناصر (وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا) لأنه غنى عن الشريك (وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا) ملجأ (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ) احبسها (مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ) بعبادتهم (وَجْهَهُ) تعالى لا شيئا من أعراض الدنيا وهم الفقراء (وَلَا تَعْدُ) تنصرف (عَيْنَاكَ عَنْهُمْ) عبر بهما عن صاحبهما (تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا) أى القرآن ،

(قوله واتل ماأوحى إليك) أى ولا تعتبر بهم (قوله لامبدل لكلماته) أى لايقدر أحد أن يغير شيئا من القرآن فلا تخش من قراءتك عليهم تبديله بل هو محفوظ من ذلك لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه إلى يوم القيامة (قوله ملجأ) أى تلتجئ إليه وتستغيث به عند النوازل والشدائد غير الله تعالى (قوله واصبر نفسك) فى هذه الآية أمر للنبي صلى الله عليه وسلم وهو بمراعاة فقراء المسلمين والجلوس معهم وهى أبلغ من آية الأنعام لأن تلك إنما نهى فيها عن طردهم وهذه أمر بحبس نفسه على الجلوس معهم كأن الله يقول له احبس نفسك على مايكرهه غيرك من رثاثة ثياب الفقراء وروائحهم الكريهة ، ولا تلتفت لجمال الأغنياء وحسن ثيابهم فان حسن الظاهر مع فساد الباطن غير نافع . قال الشاعر :

جمال الوجه مع قبح النفوس   كقنديل على قبر المجوس

(قوله مع الذين يدعون ربهم) أى يعبدونه (قوله بالغداة والعشى) المراد بالغداة أوائل النهار وأواخر الليل و بالعشى أوائل الليل وأواخر النهار وحينئذ فقد استغرقوا أوقاتهم فى العبادة (قوله يريدون وجهه) أى يقصدون بعبادتهم ذات ربهم ورضاه عليهم (قوله لاشيئا من أعراض الدنيا) أى ولا شيئا من نعيم الجنة وهذا مقام الكمل والصحابة به أحرى (قوله تنصرف عيناك عنهم) هو كناية عن الاعراض عنهم أى لاتعرض عنهم بل أقبل عليهم وهو جواب عما يقال كان مقتضى الظاهر ولا تعد عينيك بالنصب لأنه فعل متعد مع أن التلاوة بالرفع لاغير فأجاب المفسر بأنها و إن كانت بالرفع إلا أنها ترجع لمعنى النصب لأن الفعل مسند للعينين وهو فى الحقيقة مسند لصاحبهما ولذلك عبر بتنصرف لتصحيح رفع العينين دون تصرف (قوله تريد زينة الحياة الدنيا) الجملة حال من الكاف فى عيناك والشرط موجود وهو كون المضاف جزءا من المضاف إليه والمعنى لاتنصرف عيناك عنهم حال كونك طالبا زينة الدنيا بمجالسة

الأغنياء ومحبة أهل الدنيا والخطاب للنبي والمراد هو وغيره ، و إنما نوطب النبي و إن كان معصوما من ذلك تسلية للفقراء و تطمينا لقلوبهم (قوله وهو عيينة بن حصن) أى الفزارى آتى النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يسلم وعنده جماعة من الفقراء منهم سلمان وعليه شملة صوف قد عرق فيها و بيده خوص يشقه و ينسجه ، فقال عيينة للنبي أما يؤذيك ريح هؤلاء ونحن سادات مضر وأشرافها إن أسلمنا تسلم الناس وما يمنعنا من اتباعك إلا هؤلاء فنحهم عنك حتى نتبعك أو اجعل لنا مجلسا ولهم مجلسا وقد أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه وكان فى حنين من المؤلفة قلوبهم فأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم منها مائة بعير وكذلك أعطى الأقرع بن حابس وأعطى للعباس بن مرداس أربعين بعيرا ثم وقيل نزلت فى أصحاب الصفة وكانوا سبعمائة رجل فقراء فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم لايخرجون إلى تجارة ولا زرع ولا ضرع يصلون صلاة و ينتظرون أخرى ، فلما نزلت قال النبي صلى الله عليه وسلم « الحمد لله الذى جعل فى أمتى من أمرت أن أصبر نفسى معهم » (قوله فرطا) مصدر فرط سماعى أى متجاوزا فيه الحدّ (قوله وقل له) أى لعيينة بن حصن (قوله الحق) خبر مبتدإ محذوف قدره المفسر بقوله هذا القرآن (قوله تهديد لهم) أى تخويف وردع لا تخيير و إباحة لذكره الوعد الحسن على الايمان والوعيد بالنار على الكفر فالعاقل لايرضى بفوات النعيم واختيار العذاب (قوله إنا أعتدنا) راجع لقوله ـ ومن

وهو عيينة بن حصن وأصحابه (وَٱتَّبَعَ هَوٰيهُ) فى الشرك (وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا) إسرافا (وَقُلْ) له ولأصحابه هذا القرآن (ٱلْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ) تهديد لهم (إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ) أى الكافرين (نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا) ما أحاط بها (وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ) كعكر الزيت (يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ) من حره إذا قرب إليها (بِئْسَ ٱلشَّرَابُ) هو (وَسَاءَتْ) أى النار (مُرْتَفَقًا) تمييز منقول عن الفاعل أى قبح مرتفقها وهو مقابل لقوله الآتى فى الجنة وحسنت مرتفقا و إلا فأىّ ارتفاق فى النار (إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا) الجملة خبر إن الذين وفيها إقامة الظاهر مقام المضمر والمعنى أجرهم أى نثيبهم بما تضمنه (أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ) إقامة (تَجْرِى مِنْ تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ) قيل من زائدة ، وقيل للتبعيض وهى جمع أسورة كأحمرة جمع سوار (مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا) ،

شاء فليكفر ـ وقوله ـ إن الذين آمنوا ـ راجع لقوله ـ فمن شاء فليؤمن ـ فهو لف ونشر مشوّش (قوله أحاط بهم سرادقها) صفة لنار أو السرادق كناية عن السور وهو نار أيضا لما ورد : أن أرضها من رصاص وحيطانها من نحاس وسقفها من كبريت ووقودها الناس والحجارة فاذا أوقدت فيها النار صار الكلّ نارا أجارنا الله منها بمنه وكرمه (قوله يغاثوا) فيه مشاكلة لقوله ـ و إن يستغيثوا ـ وتهكم بهم إذ لا إغاثة فيه لأنه لاينقذ من المهالك (قوله كعكر الزيت) بفتحتين هو اسم لما يبقى فى إناء الزيت بعد أخذ الصافى منه وهو تشبيه فى الصورة و إلا فهو نار كما وصفه بقوله ـ يشوى الوجوه ـ (قوله أى قبح مرتفقها) أى لحول الاسناد إلى النار ونصب مرتفقا على التمييز لأن ذكر الشىء مبهما ثم مفسرا أوقع فى النفس (قوله وهو مقابل) أى ذكر على سبيل المقابلة والمشاكلة لما سيأتى فى الجنة (قوله و إلا) أى إلا نقل إنه مشاكلة بل على سبيل الحقيقة (قوله وفيها إقامة الظاهر مقام المضمر) أى وهو الرابط لأنه بمعنى الموصول الذى هو اسم إن على حدّ

* سعاد الذى أضناك حبّ سعادا * (قوله أى نثيبهم) تفسير لقوله لانضيع (قوله بما تضمنه) أى بثواب تضمنه أولئك إلى قوله ـ وحسنت مرتفقا ـ وقد اشتملت هذه الآية على خمسة أنواع من الثواب الأوّل ـ جنات عدن ـ الثانى ـ تجرى من تحتهم الأنهار ـ الثالث ـ يحلون فيها ـ الرابع ـ و يلبسون ثيابا ـ الخامس ـ متكئين ـ الخ (قوله تجرى من تحتهم) أى تحت مساكنهم (قوله قيل من زائدة) أى بدليل آية هل أتى وحلوا أساور (قوله وهى جمع أسورة) أى فأساور جمع الجمع (قوله من ذهب) جاء فى آية أخرى من فضة وفى أخرى من ذهب ولؤلؤ فيلبس كل واحد الأساور الثلاثة لما ورد « أنه يسور المؤمن فى الجنة بثلاث أسورة من ذهب وسوار من فضة وسوار من لؤلؤ » وفى الصحيح « تبلغ حلية المؤمن حيث يبلغ الوضوء » .

مِنْ سُنْدُسٍ) مارق من الديباج (وَإِسْتَبْرَقٍ) ماغلظ منه ، وفى آية الرحمٰن : بطائنها من إستبرق (مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ) جمع أريكة وهى السرير فى الحجلة وهى بيت يزين بالثياب والستور للعروس (نِعْمَ الثَّوَابُ) الجزاء الجنة (وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا . وَاضْرِبْ) اجعل (لَهُمْ) للكفار مع المؤمنين (مَثَلًا رَجُلَيْنِ) بدل وهو وما بعده تفسير للمثل (جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا) الكافر (جَنَّتَيْنِ) بستانين (مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا) يقتات به (كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ) كلتا مفرد يدل على التثنية مبتدأ (آتَتْ) خبره (أُكُلَهَا) ثمرها (وَلَمْ تَظْلِمْ) تنقص (مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا) أى شققنا (خِلَالَهُمَا نَهَرًا) يجرى بينهما (وَكَانَ لَهُ) مع الجنتين (ثَمَرٌ) بفتح الثاء والميم وبضمهما وبضم الأول وسكون الثانى وهو جمع ثمرة ،

كشجرة

(قوله من سندس وإستبرق) جمع سندسة وإستبرقة ، وقيل ليسا بجمعين (قوله من الديباج) أى الحرير (قوله بطائنها) أى الفرش (قوله متكئين فيها) حال عاملها محذوف : أى يجلسون متكئين (قوله جمع أريكة) أى كسفينة ولايقال له أريكة إلا إذا كان فى داخل الحجلة وبدونها سرير وتقدم أن السرير عليه سبعون فراشا كل فراش عليه زوجة من الحور العين (قوله فى الحجلة) بفتحتين فى محل نصب على الحال (قوله للعروس) يستعمل فى الرجل والمرأة لكن الجمع مختلف فيقال رجال عرس ونساء عرائس (قوله الجنة) قدره إشارة إلى أن المخصوص بالمدح محذوف (قوله مرتفقا) أى منتفعا ومسكنا (قوله واضرب لهم مثلا) قيل نزلت فى أخوين من أهل مكة من بنى مخزوم وهما أبوسلمة عبد الله بن عبد الأسود وكان مؤمنا وأخوه الأسود ابن عبد الأسود وكان كافرا فشبههما الله برجلين من بنى إسرائيل أخوين أحدهما مؤمن واسمه يهوذا وقيل تمليخا والآخر كافر واسمه قيطوس وهما اللذان وصفهما الله فى سورة الصافات بقوله ــ قال قائل منهم إنى كان لى قرين ــ الآيات وكانت قصتهما على ماذكره عطاء الخراسانى قال : كان رجلان شريكان لهما ثمانية آلاف دينار ، وقيل كانا أخوين ورثا من أبيهما ثمانية آلاف دينار فاقتسماها فاشترى أحدهما أرضا بألف دينار ، فقال صاحبه اللهم إن فلانا قد اشترى أرضا بألف دينار وأنا أشترى منك أرضا فى الجنة بألف دينار فتصدق بها ثم إن صاحبه بنى دارا بألف دينار ، فقال هذا اللهم إن فلانا بنى دارا بألف دينار وإنى اشتريت منك دارا فى الجنة بألف دينار فتصدق بها ، ثم تزوج امرأة وأنفق عليها ألف دينار فقال هذا : اللهم إنى أخطب إليك امرأة من نساء الجنة بألف دينار فتصدق بها ، ثم إن صاحبه اشترى خدما ومتاعا بألف دينار فقال هذا : اللهم إنى أشترى منك خدما ومتاعا فى الجنة بألف دينار فتصدق بها ثم أصابته حاجة شديدة فقال لو أتيت صاحبى لعله ينالنى منه معروف فجلس على طريق حتى مر به فى خدمه وحشمه فقام إليه فنظره صاحبه فعرفه فقال فلان قال نعم . قال ما شأنك ؟ قال أصابتنى حاجة بعد فأتيتك لتعيننى بخير . قال فما فعل بمالك وقد اقتسمنا مالا وأخذت شطره فقص عليه قصته ، فقال وإنك لمن المصدقين بهذا اذهب فلا أعطيك شيئا فطرده فقضى عليهما فتوفيا فنزل فيهما ــ فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ــ الخ ، وليس هذا مخصوصا بأبى سلمة وأخيه بل هو مثل لكل من أقبل على الله وترك زينة الدنيا ومن اغتر بالدنيا وزينتها وترك الاقبال على الله (قوله بدل) أى ويصح أن يكون مفعولا ثانيا لأن ضرب مع المثل يجوز أن يتعدى لاثنين (قوله وحففناهما بنخل) أى جعلنا النخل حولهما ومحيطا بكل منهما (قوله وجعلنا بينهما زرعا) أى ليكون جامعا للأقوات والفواكه (قوله مفرد) أى باعتبار لفظه وقوله يدل على التثنية : أى باعتبار معناه فاعتبر اللفظ تارة فأفرد والمعنى أخرى فثنى (قوله مبتدأ) أى وهو مرفوع بضمة مقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين منع من ظهورها التعذر وكلتا مضاف والجنتين مضاف إليه وهذا إعرابه إن أضيف لظاهر فإن أضيف لضمير كان ملحقا بالمثنى فيعرب بالحروف (قوله آتت أكلها الخ) هذا كناية عن نموها وزيادتها فليست كالأشجار يتم ثمرها فى بعض السنين وينقص فى بعض (قوله وفجرنا) أى شققنا (قوله يجرى بينهما) أى ليسقى أرضه ومواشيه بسهولة (قوله وكان له) أى لأحدهما (قوله ثمر) المراد به أمواله التى هى من غير الجنتين كالنقد والمواشى وسمى ثمرا لأنه يثمر : أى يزيد (قوله بفتح الثاء والميم الخ) القراآت الثلاث سبعية (قوله وهو جمع ثمرة) أى بفتحتين وهذا على كل واحد من الأوجه الثلاثة فالمفرد لا يختلف وإنما الاختلاف فى الجمع فقوله كشجرة الخ لف ونشر مرتب .

(قوله فقال لصاحبه) حاصل مقالات الكافر لصاحبه المؤمن ثلاث وكلها شنيعة . الأولى أنا أكثر منك الخ . والثانية ودخل جنته الخ . الثالثة وما أظن الساعة قائمة الخ (قوله يفاخره) أي يراجعه بالكلام الذى فيه الافتخار (قوله أنا أكثر منك مالا الخ) أنا مبتدأ وأكثر خبره ومنك متعلق بمحذوف حال من مالا ومالا تمييز محول عن المبتدإ والأصل مالى أكثر منك فحذف المبتدأ وأقيم المضاف إليه مقامه فانفصل وجعل المبتدأ فى الأصل تمييزا ويقال فى قوله وأعز نفرا ماقيل هنا (قوله ويريه آثارها) أى بهجتها وحسنها ، وفى نسخة أثمارها وهى ظاهرة (قوله وهوظالم لنفسه) الجملة حالية من فاعل دخل ولنفسه مفعوله واللام زائدة (قوله قائمة) أى كائنة وحاصلة (قوله على زعمك) دفع بهذا مايقال إنه ينكر البعث فكيف يقول ذلك ؟ فأجاب بأنه مجاراة له فى زعمه (قوله مرجعا) أشار بذلك إلى أن منقلبا تمييز وهو اسم مكان من الانقلاب بمعنى الرجوع والمراد عاقبة المآل قوله قال له صاحبه) أى وهو المؤمن وقد رد المقالات الثلاث على طريق اللف والنشر المشوش (قوله

كشجرة وشجر وخشبة وخشب وبدنة وبدن (فَقَالَ لِصَاحِبِهِ) المؤمن (وَهُوَ يُحَاوِرُهُ) يفاخره (أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا) عشيرة (وَدَخَلَ جَنَّتَهُ) بصاحبه يطوف به فيها ويريه أثمارها ، ولم يقل جنتيه إرادة للروضة وقيل اكتفاء بالواحد (وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ) بالكفر (قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ) تنعدم (هٰذِهِ أَبَدًا . وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّى) فى الآخرة على زعمك (لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا) مرجعا (قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ) يجاوبه (أَكَفَرْتَ بِالَّذِى خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ) لأن آدم خلق منه (ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ) منى (ثُمَّ سَوَّاكَ) عدلك وصيرك (رَجُلاً . لٰكِنَّا) أصله لكن أنا نقلت حركة الهمزة إلى النون أو حذفت الهمزة ثم أدغمت النون فى مثلها (هُوَ) ضمير الشأن تفسره الجملة بعده ، والمعنى أنا أقول (اللّٰهُ رَبِّى وَلاَ أُشْرِكُ بِرَبِّى أَحَدًا . وَلَوْلاَ) هلا (إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ) عند إعجابك بها هذا (مَا شَاءَ اللّٰهُ لاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللّٰهِ) وفى الحديث « من أعطى خيراً من أهل أو مال فيقول عند ذلك ما شاء الله لا قوة إلا بالله لم يرفيه مكروها » (إِنْ تَرَنِ أَنَا) ضمير فصل بين المفعولين (أَقَلَّ مِنْكَ مَالاً وَوَلَدًا . فَعَسٰى رَبِّى أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ) جواب الشرط (وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا) جمع حسبانة أى صواعق (مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا) أرضا ملساء لايثبت عليها قدم (أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا) بمعنى غائرا عطف على يرسل دون تصبح لأن غور الماء لا يتسبب عن الصواعق (فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا) حيلة تدركه بها ،

أكفرت) الاستفهام للتوبيخ والتقريع ، والمعنى لاينبغى ولا يليق منك الكفر بالذى خلقك الخ وهذا رد للمقالة الأخيرة (قوله رجلا) مفعول ثان لسوّاك لأنه بمعنى صيرك كما قال المفسر (قوله لكنا) استدراك على قوله أكفرت كأنه قال أنت كافر بالله لكن أنا مؤمن . واختلف القرّاء فى وصل لكنا فبعضهم يثبت ألفا بعد النون وبعضهم يحذفها وفى الوقف تثبت قولا واحدا لثبوتها فى الرسم (قوله أو حذفت الهمزة) أى من غير نقل فقوله ثم أدغمت النون أى بعد تسكينها بالنسبة للنقل وعلى الثانى فهى ساكنة فتدغم حالا (قوله ضمير الشأن) أى فهو مبتدأ والجملة بعده خبر ولا تحتاج لرابط لأنها عينه فى المعنى وهو معها خبر عن أنا والرابط الياء من ربى (قوله ولا أشرك بربى أحدا) مراده لا أكفر به لأن إنكار البعث كفر (قوله ولولا إذ دخلت جنتك) هذا رد للمقالة الثانية ولولا تحضيضية داخلة على قلت وإذ ظرف لقلت مقدم عليه وجملة ما شاء الله خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله هذا (قوله لم ير فيه مكروها) أى لم يصب فيه بمصيبة (قوله إن ترن) هذا رد للمقالة الأولى (قوله ضمير فصل) أى وأقل مفعول ثان وقرئ بالرفع فيكون خبرا عن أنا ومالا وولدا تمييزان وقوله فعسى الخ جواب الشرط (قوله أن يؤتين) يحتمل أن يكون فى الدنيا أو الآخرة (قوله جمع حسبانة) أى فهو اسم جنس جمعى يفرق بينه وبين واحده بالتاء (قوله بمعنى غائرا) أى ذاهبا فى الأرض (قوله لأن غور الماء الخ) أى أو يقال إنه يفسر الحسبان بالقضاء الالهى وهو عام يتسبب عنه إما إصباح الجنة صعيدا زلقا أو ماؤها غورا وعلى هذا فيكون معطوفا على يصبح .

(قوله وأحيط بثمره) أى أمواله بدليل قول المفسر مع جنته (قوله بأوجه الضبط) أى الثلاثة (قوله وهى خاوية) الجملة حالية (قوله على عروشها) جمع عرش وهو بيت من جريد أو خشب يجعل فوقه الثمار (قوله دعائمها) جمع دعامة وهى الخشب ونحوه الذى ينصب ليمد الكرم عليه (قوله ويقول ياليتنى) أى تحسرا وندما على تلف ماله لاتوبة بدليل قوله ولم تكن له فئة الخ (قوله بالتاء والياء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله ينصرونه) أى يدفعون عنه الهلاك (قوله وماكان منتصرا) أى قادرا على ذلك (قوله هنالك) يصح أن يكون خبرا مقدما والولاية مبتدأ مؤخر أو تكون هذه الجملة مستقلة أو معمولا لمنتصرا وقوله الولاية لله مبتدأ وخبر (قوله الملك) أى القهر والسلطنة (قوله بالرفع) راجع لفتح الواو وكسرها وكذا قوله وبالجر فالقراءات أربع سبعيات (قوله خير ثوابا) أى إثابة (قوله لوكان يثيب) أى فاسم التفضيل على بابه على فرض أن غير الله يثيب (قوله وخير عقبا) أى أن عاقبة المؤمن خير من عاقبة طاعة غيره (قوله بضم القاف وسكونها) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله صير) أى شبه (قوله مثل الحياة الدنيا) أى صفتها وحالها وهيئتها (قوله كماء) أى كصفة وحال وهيئة ماء الخ وهذه الآية نظير قوله تعالى - كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما - (قوله تكاثف) أى غلظ والتف بعضه على بعض (قوله أو امتزج الماء بالنبات) أشار بذلك إلى أنه تفسير ثان لاختلط ومن المعلوم أن الامتزاج من الجانبين فصح نسبته إلى النبات وإن كان فى عرف اللغة والاستعمال أن الباء تدخل على الكثير غير الطارئ وقد دخلت هنا على الكثير الطارئ مبالغة فى كثرة الماء حتى كأنه الأصل (قوله فروى)

(وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ) بأوجه الضبط السابقة مع جنته بالهلاك فهلك (فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ) ندما وتحسرا (عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا) فى عمارة جنته (وَهِيَ خَاوِيَةٌ) ساقطة (عَلَىٰ عُرُوشِهَا) دعائمها للكرم بأن سقطت ثم سقط الكرم (وَيَقُولُ يَا) للتنبيه (لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا . وَلَمْ تَكُنْ) بالتاء والياء (لَهُ فِئَةٌ) جماعة (يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ) عند هلاكها (وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا) عند هلاكها بنفسه (هُنَالِكَ) أى يوم القيامة (الْوَلَايَةُ) بفتح الواو النصرة وبكسرها الملك (لِلَّهِ الْحَقِّ) بالرفع صفة الولاية وبالجر صفة الجلالة (هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا) من ثواب غيره لو كان يثيب (وَخَيْرٌ عُقْبًا) بضم القاف وسكونها عاقبة للمؤمنين ونصبهما على التمييز (وَاضْرِبْ) صير (لَهُمْ) لقومك (مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) مفعول أول (كَمَاءٍ) مفعول ثان (أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ) تكاثف بسبب نزول الماء (نَبَاتُ الْأَرْضِ) أو امتزج الماء بالنبات فروى وحسن (فَأَصْبَحَ) صار النبات (هَشِيمًا) يابسا متفرقة أجزاؤه (تَذْرُوهُ) تنثره وتفرقه (الرِّيَاحُ) فتذهب به ، المعنى شبه الدنيا بنبات حسن فيبس فتكسر ففرقته الرياح وفى قراءة الريح (وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا) قادرا (الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) يتجمل بهما فيها (وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ) هى سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، زاد بعضهم : ولا حول ولا قوة إلا بالله ،

بفتح الراء وكسر الواو أى ارتوى (قوله هشيما) أى مهشوما مكسورا (قوله وتفرقه) عطف تفسير (قوله المعنى) أى معنى المثل (قوله شبه) فعل أمر وفاعله مستتر عائد على النبى صلى الله عليه وسلم والدنيا مفعوله (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله وكان الله) أى ولم يزل (قوله قادرا) للناسب أن يقول كامل القدرة كما يؤخذ من الصيغة (قوله المال) أى وهو الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث (قوله زينة) هو مصدر بمعنى اسم المفعول بدليل قوله يتجمل بهما فيها ، ولذا صح الاخبار به عن الاثنين (قوله هى سبحان الله الخ) أى وتسمى غراس الجنة أى أن بكل واحدة من هذه الكلمات تغرس له شجرة فى الجنة فيها ماتشتهى الأنفس وتلذ الأعين . وقيل إن المراد بالباقيات الصالحات الصلوات الخمس وقيل أركان الاسلام وقيل كل مايثاب عليه العبد فى الدار الآخرة وهو الأتم وإنما خص المفسر سبحان الله الخ بالباقيات الصالحات لمزيد فضلها وثوابها ، ولذا أوصى رسول الله عمه العباس بصلاة التسابيح ولو فى العمر مرة ، وأوصى الخليل رسول الله بأن يأمر أمته أن يكثروا من غراس الجنة كما فى حديث الاسراء

(خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً) أى مايأمله الإنسان ويرجوه عند الله تعالى (وَ) اذكر (يَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ) يذهب بها عن وجه الأرض فتصير هباء منبثا وفى قراءة بالنون وكسر الياء ونصب الجبال (وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً) ظاهرة ليس عليها شىء من جبل ولا غيره (وَحَشَرْنَاهُمْ) المؤمنين والكافرين (فَلَمْ نُغَادِرْ) نترك (مِنْهُمْ أَحَدًا . وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا) حال أى مصطفين كل أمة صف ويقال لهم (لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ) أى فرادى حفاة عراة غرلاً ، ويقال لمنكرى البعث (بَلْ زَعَمْتُمْ أَنْ) مخففة من الثقيلة أى أنه (لَنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا) للبعث (وَوُضِعَ الْكِتَابُ) كتاب كل امرئ فى يمينه من المؤمنين وفى شماله من الكافرين (فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ) الكافرين (مُشْفِقِينَ) خائفين (مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ) عند معاينتهم مافيه من السيئات (يَا) للتنبيه (وَيْلَتَنَا) هلكتنا وهو مصدر لافعل له من لفظه (مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً) من ذنوبنا (إِلَّا أَحْصَاهَا) عدها وأثبتها تعجبوا منه فى ذلك (وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا) مثبتا فى كتابهم (وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا) لايعاقبه بغير جرم ولا ينقص من ثواب مؤمن (وَإِذْ) منصوب باذكر (قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ) سجود انحناء لاوضع جبهة تحية له ،

(قوله خير عند ربك) التفضيل ليس على بابه لأن زينة الدنيا ليس فيها خير ولا يرد علينا أن السعى على العيال من الخير لأنه من حيز الباقيات الصالحات لامن حيز الزينة ، أو يقال إنه على بابه بالنسبة لزعم الجاهل (قوله ويرجوه) عطف تفسير (قوله ويوم نسير الجبال) هذا كالدليل لكون الدنيا فانية ذاهبة (قوله هباء) أى غبارا وقوله منبثا أى مفرقا كما فى سورة الواقعة (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله وترى الأرض) أى تبصرها (قوله ولا غيره) أى من بناء وشجر وبحار وغير ذلك (قوله وحشرناهم) أتى به ماضيا إشارة إلى أن الحشر مقدم على تسيير الجبال والبروز ليعاينوا تلك الأهوال العظام كأنه قيل وحشرناهم قبل ذلك وعلى هذا فتبديل الأرض يحصل وهم ناظرون لذلك ووقت التبديل يكون الخلق على الصراط وقيل على أجنحة الملائكة كما تقدم (قوله فلم نغادر) عطف على قوله حشرناهم والمغادرة من جانب ولذا فسرها بقوله نترك (قوله حال) أى من الواو فى عرضوا وصفا مفرد وقع موقع الجمع ، فالمعنى جميعا ونظيره قوله تعالى ـ ثم ائتوا صفا ـ أى جميعا أوالمراد صفوفا لما ورد «أهل الجنة مائة وعشرون أنتم منها ثمانون» ، وورد أن النبى صلى الله عليه وسلم قال «إن الله تبارك وتعالى ينادى بصوت رفيع غير فظيع ياعبادى أنا الله لا إله إلا أنا أرحم الراحمين وأحكم الحاكمين وأسرع الحاسبين ياعبادى لاخوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون أحضروا حجتكم ويسروا جوابكم فانكم مسئولون محاسبون ياملائكتى أقيموا عبادى صفوفا على أطراف أنامل أقدامهم للحساب» (قوله ويقال لهم) أى توبيخا وتقريعا (قوله أى فرادى) أى منفردين عن المال والبنين (قوله غرلا) جمع أغرل أى غير مختونين (قوله بل زعمتم) أى قلتم قولا كذبا (قوله أى أنه) أى الحال والشأن (قوله موعدا) أى مكانا تبعثون فيه (قوله ووضع الكتاب) هو بالبناء للمفعول فى قراءة العامة وقرئ شذوذا بالبناء للفاعل وهو الله أو الملك (قوله فى يمينه) أى فحين يقرؤه يبيض وجهه ويقول هاؤم اقرءوا كتابيه إلى آخر ما فى سورة الحاقة (قوله وفى شماله من الكافرين) أى فحين يقرؤه يسود وجهه ويقول ياليتنى لم أوت كتابيه الخ (قوله هلكتنا) أى هلاكنا والمقصود التحسر والتندم ، وقيل الياء حرف نداء وويلتنا منادى تنزيلا لها منزلة العاقل فكأنه يقول ياهلاكى احضرى فهذا أوانك (قوله وهو مصدر) أى الويل وقوله لافعل له من لفظه أى بل من معناه وهو هلك (قوله مال هذا الكتاب) ما استفهامية مبتدأ ولهذا الكتاب خبره : أى أى شىء ثبت لهذا الكتاب (قوله لايغادر) الجملة حالية من الكتاب (قوله تعجبوا) أشار بذلك إلى أن الاستفهام للتعجب (قوله منه) أى الكتاب (قوله فى ذلك) أى الاحصاء المذكور (قوله ولا يظلم ربك أحدا) أى لايعامله معاملة الظالم بحيث يعذبه من غير ذنب أو ينقص من أجره (قوله منصوب باذكر) أى فاذ ظرف لذلك المقدر . والمعنى اذكر يامحمد لقومك وقت قولنا للملائكة الخ والمراد اذكر لهم تلك القصة وقد كررت فى القرآن مرارا لأن معصية إبليس أول معصية ظهرت فى الخلق (قوله سجود انحناء) جواب عما يقال إن السجود لغير الله كفر ، وتقدم الجواب بأن السجود لله وآدم كالقبلة أو أن محل كون السجود لغير الله كفرا إن لم يكن هو الآمر به وإلا فالكفر فى المخالفة

(قوله فسجدوا) أى جميعا (قوله قيل هم نوع من الملائكة) أى وعلى هذا القول فهم ليسوا معصومين كالملائكة بل يتوالدون ويعصون (قوله وإبليس أبو الجن) هذا توجيه لكونه منقطعا وهو الحق وعليه فالجن نوع آخر غير الملائكة فالجن من نار والملائكة من نور (قوله فله ذرية) تفريع على كونه أبا إذ الأب يستلزم ابنا (قوله ففسق عن أمر ربه) أى تكبرا وحسدا (قوله أفتتخذونه) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والاستفهام توبيخى، والمعنى أبعد ماحصل منه ماحصل يليق منكم اتخاذه الخ (قوله وذريته) عطف على الضمير فى تتخذونه. قال مجاهد: من ذرية إبليس لاقس وولهان وهما صاحبا الطهارة والصلاة اللذان يوسوسان فيهما ومن ذريته مرة وبه يكنى وزلنبور وهوصاحب الأسواق يزين اللغو والحلف الكاذب ومدح السلع وبتر وهوصاحب المصائب يزين خدش الوجوه ولطم الخدود وشق الجيوب والأعور وهوصاحب الزنا ينفخ فى إحليل الرجل وعجيزة المرأة ومطروس وهو صاحب الأخبار الكاذبة يلقيها فى أفواه الناس لايجدون لها أصلا وداسم وهو الذى إذا دخل الرجل بيته ولم يسم ولم يذكر الله دخل معه اهـ قال القرطبي: واختلف هل لإبليس أولاد

(فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ) قيل هم نوع من الملائكة فالاستثناء متصل، وقيل هو منقطع وإبليس هو أبو الجن فله ذرية ذكرت معه بعد والملائكة لاذرية لهم (فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ) أى خرج عن طاعته بترك السجود (أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ) الخطاب لآدم وذريته والهاء فى الموضعين لإبليس (أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي) تطيعونهم (وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ) أى أعداء حال (بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا) إبليس وذريته فى طاعتهم بدل إطاعة الله (مَا أَشْهَدْتُهُمْ) أى إبليس وذريته (خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ) أى لم أحضر بعضهم خلق بعض (وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ) الشياطين (عَضُدًا) أعوانا فى الخلق فكيف تطيعونهم (وَيَوْمَ) منصوب باذكر (يَقُولُ) بالياء والنون (نَادُوا شُرَكَائِيَ) الأوثان (الَّذِينَ زَعَمْتُمْ) ليشفعوا لكم بزعمكم (فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ) لم يجيبوهم (وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ) بين الأوثان وعابديها (مَوْبِقًا) واديا من أودية جهنم يهلكون فيه جميعا وهو من وبق بالفتح هلك (وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا) أى أيقنوا (أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا) أى واقعون فيها (وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا) معدلا (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا) بينا (فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ) صفة لمحذوف أى مثلا من جنس كل مثل ليتعظوا (وَكَانَ الْإِنْسَانُ) أى الكافر (أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا):

خصومة

من صلبه فقال الشعبي سألنى رجل فقال هل لإبليس زوجة؟ فقلت إن ذلك عرس لم أشهده ثم ذكرت قوله تعالى: أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى، فعلمت أنه لاتكون ذرية إلا من زوجة فقلت نعم. وقال مجاهد إن إبليس أدخل فرجه فى فرج نفسه فباض خمس بيضات، فهذه أصل ذريته، وقيل إن الله خلق له فى فخذه اليمنى ذكرا وفى فخذه اليسرى فرجا فهو ينكح هذه بهذا فيخرج له كل يوم عشر بيضات يخرج من كل بيضة سبعون شيطانا وشيطانة فهو يفرخ ويطير وأعظمهم عند أبيهم منزلة أعظمهم فى بنى آدم فتنة وقال قوم ليس له أولاد ولا ذرية وإنما المراد بذريته أعوانه من الشياطين (قوله تطيعونهم) أى بدل طاعتى (قوله حال) أى من مفعول تتخذون (قوله للظالمين) متعلق ببدلا الواقع تمييزا للفاعل المستتر وقوله إبليس وذريته بيان للمخصوص بالذم المحذوف والأصل بئس البدل إبليس وذريته (قوله أى إبليس وذريته) تفسير للضمير فى أشهدتهم فالمعنى لم أحضرهم حين خلقت السموات والأرض ولاحين خلقت أنفسهم فكيف تتخذونهم أولياء تطيعونهم (قوله وماكنت متخذ المضلين) فيه وضع الظاهر موضع المضمر (قوله عضدا) هوفى الأصل العضو الذى هومن المرفق إلى الكتف ثم أطلق على المعين والناصر والمراد هنا مقدما لهم فى مناصب خير بل هم مطرودون عنها فكيف يطاعون (قوله بالياء والنون) أى وهما قراءتان سبعيتان (قوله الذين زعمتم) أى زعمتموهم شركاء فالمفعولان محذوفان (قوله ليشفعوا لكم) متعلق بنادوا (قوله وجعلنا بينهم) أى مشتركا (قوله واديا من أودية جهنم) قال أنس بن مالك هو واد فى جهنم من قيح ودم (قوله من وبق بالفتح) أى كوعد (قوله ورأى المجرمون النار) أى عاينوها من مسيرة أربعين عاما (قوله مصرفا) أى مكانا يحلون فيه غيرها (قوله من كل مثل) أى معنى غريب بديع يشبه

المثل في غرابته (قوله خصومة في الباطل) هذا هو معنى الجدل هنا وفيه إشارة إلى أن المؤمن ليس كثير الجدل في الباطل بل هو شديد الخصومة في الحق (قوله ويستغفروا) عطف على أن يؤمنوا (قوله إلا أن تأتيهم سنة الأولين) الكلام على حذف مضاف أي إلا انتظارهم وطلبهم إتيان مثل سنة الاولين بقولهم اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك الآية (قوله وهي الاهلاك) أي الذي يستأصلهم (قوله المقدر) أي في الأزل وقوله عليهم أي الأولين (قوله أو يأتيهم) أي الناس (قوله مقابلة وعيانا) تفسير لقبلا بكسر ففتح (قوله أي أنواعا) تفسير لقبلا بضمتين فكل من القراءتين له معنى يخصه (قوله القرآن) المناسب أن يقول أي جميع ما جاءت به الرسل (قوله آياتي) المناسب تفسيرها بمعجزات الرسل لا خصوص القرآن لأنه في كل كافر من هذه الأمة وغيرها (قوله وما أنذروا) ما موصولة والعائد محذوف أي الذي أنذروا به أو مصدرية أي إنذارهم (قوله هزوا) يقرأ بالهمزة والواو سبعيتان (قوله فأعرض عنها) أي لم يتدبرها وقت تذكيره بها (قوله إنا جعلنا) بمنزلة التعليل

خصومة في الباطل ، وهو تمييز منقول من اسم كان . المعنى وكان جدل الانسان أكثر شيء فيه (وَمَا مَنَعَ النَّاسَ) أي كفار مكة (أَنْ يُؤْمِنُوا) مفعول ثان (إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى) القرآن (وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ) فاعل : أي سنتنا فيهم وهي الإهلاك المقدر عليهم (أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قِبَلًا) مقابلة وعيانا وهو القتل يوم بدر ، وفي قراءة بضمتين جمع قبيل أي أنواعا (وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ) للمؤمنين (وَمُنْذِرِينَ) مخوفين للكافرين (وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ) بقولهم أبعث الله بشرا رسولا ونحوه (لِيُدْحِضُوا بِهِ) ليبطلوا بجدالهم (الْحَقَّ) القرآن (وَاتَّخَذُوا آيَاتِي) أي القرآن (وَمَا أُنْذِرُوا) به من النار (هُزُوًا) سخرية (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ) ما عمل من الكفر والمعاصي (إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً) أغطية (أَنْ يَفْقَهُوهُ) أي من أن يفقهوا القرآن أي فلا يفهمونه (وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا) ثقلا فلا يسمعونه (وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا) أي بالجعل المذكور (أَبَدًا . وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ) في الدنيا (بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ) فيها (بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ) وهو يوم القيامة (لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا) ملجأ (وَتِلْكَ الْقُرَى) أي أهلها كعاد وثمود وغيرهما (أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا) كفروا (وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ) لإهلاكهم وفي قراءة بفتح الميم أي لهلاكهم (مَوْعِدًا . وَ) اذكر (إِذْ قَالَ مُوسَى) هو ابن عمران (لِفَتَاهُ) ،

لقوله فأعرض (قوله ولا يسمعونه) أي سماع فهم وانتفاع (قوله لعجل لهم العذاب) أي المستأصل لهم (قوله وهو يوم القيامة) أشار بذلك إلى أن المراد بالموعد الزمان المعد لهم ويصح أن يراد به المكان (قوله لن يجدوا من دونه) أي العذاب (قوله موئلا) الموئل المرجع من وأل يئل أي رجع ويقال للملجأ أيضا ، يقال وأل فلان إلى فلان إذا لجأ إليه ، والمعنى لن يجدوا غير العذاب ملجأ يلتجئون إليه كناية عن عدم خلوصهم منه (قوله أي أهلها) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله أهلكناهم) أي في الدنيا كما قال تعالى : فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا الخ (قوله وجعلنا لمهلكهم) أي لهلاكهم المذكور وقتا معينا تنزل بهم فيه فكذلك قومك لهم وقت ينزل بهم فيه وهو معنى قوله موعدا (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضا وتحتها قراءتان فتح اللام وكسرها فمجموع القراآت السبعية ثلاثة ضم الميم مع فتح اللام وفتح الميم مع فتح اللام أو كسرها (قوله واذكر) قدره إشارة إلى أن إذ ظرف لمحذوف ، والمعنى اذكر يا محمد لقومك وقت قول موسى لفتاه الخ ، والمراد اذكر لهم قصته وما وقع له مع الخضر عليهما السلام (قوله هو ابن عمران) أي رسول بني إسرائيل من سبط لاوى بن يعقوب وهذا هو الصحيح الذي أجمعت عليه الآثار الصحيحة ولا يقدح فيه كونه يتعلم من الخضر لأن الكامل يقبل الكمال سواء قلنا إن الخضر نبي أو ولي فاستفادته منه لا تقدح في كونه أفضل منه لأن تلك مزية وهي لا تقتضي الأفضلية ، يدل على ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مع كونه أعلم الناس أمره الله بالاستزادة من العلم بقوله - وقل رب زدني علما - خلافا لمن زعم أنه موسى بن ميشا بن يوسف بن يعقوب وادعى أنه نبي قبل موسى بن عمران

عنتحا بأن الله بعد أن أنزل على موسى بن عمران التوراة وكلمه بلا واسطة وأعطاه المعجزات العظيمة الباهرة يبعد أن يستفيد من مطلق نبيّ أو وليّ ، وهذا القول خلاف الصحيح (قوله يوشع بن نون) هو ابن إفرائيم بن يوسف أرسله الله بعد موسى لقتال الجبارين وردت له الشمس وتقدمت قصته فى سورة المائدة (قوله كان يتبعه) هذا بيان وجه إضافته إلى موسى وكان ابن أخته ، وقيل كان عبدا له وهو بعيد لأن شرط النبي الحرّية (قوله لا أبرح) هى من أخوات كان اسمها مستتر وجوبا وخبرها محذوف قدّره المفسر بقوله أسير أى لاأبرح سائرا (قوله ملتقى بحر الروم الخ) أى وملتقاهما عند البحر المحيط (قوله مما يلى المشرق) أى وذلك بأفريقية (قوله دهرا طويلا) وقيل الحقب ثمانون سنة ، وقيل سنة واحدة بلغة قريش ، وقيل سبعون ويجمع على أحقاب كعنق وأعناق (قوله إن بعد) أى إن لم أدركه ، والمعنى لابد من سيرى إلى أن أبلغ مجمع البحرين أوأسير زمنا طويلا حتى أيأس من الوصول (قوله بين البحرين) أشار بذلك إلى أن بين ظرف وهوالموضع الذى وعد موسى أن يجتمع فيه بالخضر (قوله نسيا حوتهما) قيل كان مشويا ، وقيل كان مملحا وقد أكلا منه زمنا طويلا قبل أن يدركا الصخرة (قوله نسى يوشع حمله) هـذا يقتضى أنه كان موجودا على البرّ حين نسيه يوشع ، ولكن

الموجود فى القصة أن موسى ويوشع لما وصلا الصخرة التى عندها عين الحياة ناما ثم استيقظ يوشع فتوضأ من تلك العين فانتضح الماء عليه فعاش ووثب فى الماء فهذا يقتضى أنه نسى إخبار موسى بما رأى فالمناسب للمفسر أن يقول نسى يوشع أن يخبر موسى بما شاهده من الأمر العجيب . إن قلت إن شأن الأمر العجيب عدم نسيانه ؟ . أجيب بأنه أدهش من عظيم مارأى من قدرة الله وعظمته للحكمة التى ترتبت على ذلك لما

يوشع بن نون كان يتبعه ويخدمه ويأخذ منه العلم (لَآ أَبْرَحُ) لا أزال أسير (حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ) ملتقى بحر الروم وبحر فارس مما يلى المشرق أى المكان الجامع لذلك (أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا) دهرا طويلا فى بلوغه إن بعد (فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا) بين البحرين (نَسِيَا حُوتَهُمَا) نسى يوشع حمله عند الرحيل ونسى موسى تذكيره (فَاتَّخَذَ) الحوت (سَبِيلَهُۥ فِى الْبَحْرِ) أى جعله بجعل الله (سَرَبًا) أى مثل السرب ، وهو الشق الطويل لا نفاذ له . وذلك أن الله تعالى أمسك عن الحوت جرى الماء فانجاب عنه فبقى كالكوة لم يلتئم وجمد ما تحته منه (فَلَمَّا جَاوَزَا) ذلك المكان بالسير إلى وقت الغداء من ثانى يوم (قَالَ) موسى (لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا) هو ما يؤكل أول النهار (لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا) تعبا وحصوله بعد المجاوزة (قَالَ أَرَءَيْتَ) أى تنبه (إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى الصَّخْرَةِ) بذلك المكان (فَإِنِّى نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا الشَّيْطَٰنُ) يبدل من الهاء (أَنْ أَذْكُرَهُۥ) بدل اشتمال أى أنسانى ذكره (وَاتَّخَذَ) الحوت (سَبِيلَهُۥ فِى الْبَحْرِ عَجَبًا) مفعول ثان أى يتعجب منه موسى وفتاه ،

(قوله فاتخذ سبيله) هذا الاتخاذ قبل النسيان فيكون فى الآية تقديم وتأخير ، والأصل فأدركته الحياة فخرج من المكتل وسقط فى البحر فاتخذ سبيله (قوله سربا) مفعول ثان لاتخذ (قوله وذلك) أى سبب ذلك (قوله فانجاب) أى انقطع الماء وانكشف (قوله فبقى) أى صار (قوله كالكوة) هى بالفتح نقب البيت والجمع كوى بكسر الكاف ممدودا ومقصورا (قوله لم يلتئم) أى يلتصق حتى رجع إليه موسى فرأى مسلكه (قوله وجمد ماتحته) أى لجعل الحوت لايمسّ شيئا فى البحر إلا يبس (قوله ذلك المكان) أى مجمع البحرين (قوله من سفرنا هـذا) أى الذى وقع بعـد مجاوزتهما الموعد (قوله نصبا) مفعول بلقينا (قوله وحصوله بعـد المجاوزة) إنما كان حصول النصب بعـد المجاوزة لحصول السفر مع الانتظار والتشوق ، وأما سفرهما قبـل الوصول لمجمع البحرين فكان مقصودا دفعـة فلا مشقة فيه (قوله أى تنبـه) أى تذكر واستمع لما ألقيه إليك من شأن الحوت (قوله فانى نسيت الحوت) أى نسيت إخبارك بما شاهدته منه كما تقدم (قوله وماأنسانيه إلا الشيطان) . إن قلت إن الشيطان لاتسلط له على الأنبياء ؟ . أجيب بأنه أضاف النسيان إليه هضما لنفسه (قوله أى يتعجب منه موسى وفتاه) أى حيث أكلا من الحوت شقه الأيسر ثم حيي بعد ذلك .

(قوله لما تقدم فى بيانه) أى وهو قوله وذلك أن الله أمسك عن الحوت جري الماء الخ (قوله من نطلبه) وهو الخضر (قوله فوجدا عبدا) قيل دخلا السرب مكان الحوت فوجداه جالسا على جزيرة فى البحر، وقيل وجداه عند الصخرة مغطى بثوب أبيض طرفه تحت رأسه والآخر تحت رجليه فسلم عليه موسى فرفع رأسه واستوى جالسا وقال وعليك السلام يا نبىّ بنى إسرائيل، فقال له موسى ومن أخبرك أنى نبىّ بنى إسرائيل، فقال الذى أدراك بى ودلك علىّ ثم قال لقد كان لك فى بنى إسرائيل شغل قال موسى إن ربى أرسلنى إليك لأتبعك وأتعلم منك (قوله من عبادنا) الإضافة لتشريف المضاف: أى من عبيدى الخصوصيين (قوله هو الخضر) بفتح الخاء مع كسر الضاد أوسكونها وبكسر الخاء مع سكون الضاد ففيه ثلاث لغات وهذا لقبه واسمه بليا بفتح الباء وسكون اللام بعدها ياء تحتية آخره ألف مقصورة ومعناه بالعربية أحمد بن ملكان وكنيته أبو العباس. قال بعض العارفين: من عرف اسمه واسم أبيه وكنيته ولقبه مات على الاسلام ولقب بالخضر لأنه جلس على الأرض فاخضرت تحته، وقيل لأنه كان إذا صلى اخضر ماحوله وهو من نسل نوح وكان أبوه من الملوك (قوله نبوّة فى قول) أى وقد صححه جماعة والجمهور على أنه حىّ إلى يوم القيامة لشربه من ماء الحياة يجتمع به خواص الأولياء ويأخذون عنه. قال العارف السيد البكرى صاحب ورد السحر فى توسلاته:

لما تقدم فى بيانه (قَالَ) موسى (ذَلِكَ) أى فقدنا الحوت (مَا) أى الذى (كُنَّا نَبْغِ) نطلبه فإنه علامة لنا على وجود من نطلبه (فَارْتَدَّا) رجعا (عَلَى آثَارِهِمَا) يقصانها (قَصَصاً) فأتيا الصخرة (فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا) هو الخضر (آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا) نبوّة فى قول، وولاية فى آخر وعليه أكثر العلماء (وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا) من قبلنا (عِلْمًا) مفعول ثان أى معلوما من المغيبات، روى البخارى حديث «إن موسى قام خطيباً فى بنى إسرائيل فسئل أىّ الناس أعلم؟ فقال أنا فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه فأوحى الله إليه إنّ لى عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك قال موسى يارب فكيف لى به؟ قال تأخذ معك حوتاً فتجعله فى مكتل فحيثما فقدت الحوت فهو ثمّ فأخذ حوتا فجعله فى مكتل ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون حتى أتيا الصخرة ووضعا رءوسهما فناما واضطرب الحوت فى المكتل فخرج منه فسقط فى البحر فاتخذ سبيله فى البحر سرباً وأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ نسى صاحبه أن يخبره بالحوت فانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى إذا كانا من الغداة قال موسى لفتاه آتنا غداءنا إلى قوله واتخذ سبيله فى البحر عجبا قال وكان للحوت سربا ولموسى ولفتاه عجبا» الخ (قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ،

بنقيبهم فى كل عصر الخضر أبى العباس من أحياءه وصاله
حى وحقك لم يقل بوفاته إلا الذى لم يلق نور جماله
فعليه منى كلما هب الصبا أزكى سلام طاب فى إرساله

وقد اجتمع برسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذ عنه فهو صحابى (قوله من لدنا) أى مما يختص بنا ولا يعلم بواسطة معلم من أهل الظاهر (قوله خطيبا) أى واعظا يذكر الناس حتى فاضت العيون ورقت القلوب وكانت تلك الخطبة بعد هلاك القبط ورجوع موسى إلى مصر (قوله إذ لم يرد العلم إليه) أى فكان عليه أن يقول مثلا الله أعلم، وهذا من باب عتاب الأحباب تأديبا لموسى وإلا فالواقع أن موسى أعلم من الخضر (قوله هو أعلم منك) أى فى خصوص علم الكشف والوقائع المخصوصة وهو بالنسبة للعلم الذى أوحاه الله إلى موسى قليل فلذلك رغب موسى فى حيازته لعلمه (قوله فكيف لى به) أى فلما سمع موسى هذا تشوّقت نفسه الزكية وهمته العلية لتحصيل علم ما لم يعلم (قوله قال تأخذ معك حوتا) لعل الحكمة فى تخصيصه ما ظهر بعد من حياته ودخوله فى البحر (قوله فتجعله فى مكتل) هو الزنبيل بكسر الزاى من خوص النخل ويقال له القفة تسع خمسة عشر صاعا (قوله فهو ثم) أى هناك (قوله جرية الماء) بكسر الجيم (قوله مثل الطاق) هو البناء المقوس كالقنطرة (قوله أن يخبره بالحوت) أى بما حصل من أمره.
(قوله قال موسى) أى بعد أن صليا الظهر من اليوم الثانى (قوله قال) أى النبى صلى الله عليه وسلم فى شأن تفسير الآية (قوله قال له موسى) أى بعد أن تلاقيا وحصل الوصول (قوله هل أتبعك) استفهام تعطف رعاية للأدب فى حق المعلم وبذلك الأدب يحصل النفع والسوود.

(قوله على أن تعلمنى) أى ليس لى قصد فى اتباعك إلا تعليمك إياى لا شيئا من الأغراض غير التعليم (قوله رشدا) مفعول ثان لتعلمنى: أى لتعلمنى صوابا من الذى علمكه الله (قوله وفى قراءة) أى وعليها فيكون من باب قتل وقياس مصدره بفتح الراء فيكون بضمها اسم مصدر وعلى الأولى فيكون من باب طرب (قوله وسأله ذلك) جواب عما يقال إن موسى من أولى العزم ونبى ورسول جزما وأسمعه الله كلامه وأعطاه التوراة وهو أفضل من الخضر فكيف يسعى إليه ويتعلم منه، فأجاب بأن الزيادة فى العلم مطلوبة على أن علم الخضر لا يحتاج إليه موسى فى شرعه وإنما هى مزية خص بها الخضر وأمر الله موسى أن يأخذها عن الخضر ويكتمها لتكمل له جميع المزايا ولا يقتضى أن الخضر أعلم منه لأن موسى كامل فى علمه لا تحتاج شريعته إلى شىء من علم الخضر وإنما علمه مزية خصه الله بها لا يقتدى به فيها (قوله قال إنك لن تستطيع معى صبرا) أى لما ترى من مخالفة شرعك ظاهرا لأن المتعلم قسمان: متعلم ليس عنده شىء من العلوم ولم يمارس الاستدلال وهذا تعليمه سهل ويقبل كل ما ألقى إليه، ومتعلم مارس الاستدلال وحصل العلوم غير أنه يريد أن يزداد علما على علمه وهذا تعليمه شاق شديد لأنه إذا رأى شيئا أو سمع كلاما عرضه على ما عنده فإن وافقه وإلا ناقش فيه (قوله وكيف تصبر) الاستفهام تعجبى (قوله إنى على علم) أى وهو علم الكشف (قوله وأنت على علم) أى وهو علم ظاهر الشريعة (قوله مصدر) أى مفعول مطلق مؤكد لعامله فى المعنى لأن لم تحط بمعنى لم تخبر والخبر بالضم معناه العلم والأوضح أنه تمييز نسبة: أى لم تحط به من جهة العلم (قوله أى وغير عاص) أشار بذلك إلى أن قوله ولا أعصى معطوف على صابرا ولا بمعنى غير (قوله لأنه لم يكن على ثقة من نفسه) أى فكأنه قال ستجدنى صابرا إن وافق شرعى أو أوحى الله إلىّ فى شأنه فأنا لا أدرى ما يفعله الله

عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا) أى صوابا أرشد به وفى قراءة بضم الراء وسكون الشين وسأله ذلك لأن الزيادة فى العلم مطلوبة (قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا. وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا) فى الحديث السابق عقب هذه الآية: ياموسى إنى على علم من الله علمنيه لا تعلمه وأنت على علم من الله علمكه الله لا أعلمه، وقوله خبرا مصدر بمعنى لم تحط أى لم تخبر حقيقته (قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي) أى وغير عاص (لَكَ أَمْرًا) تأمرنى به، وقيد بالمشيئة لأنه لم يكن على ثقة من نفسه فيما التزم وهذه عادة الأنبياء والأولياء أن لا يثقوا إلى أنفسهم طرفة عين (قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي) وفى قراءة بفتح اللام وتشديد النون (عَنْ شَيْءٍ) تنكره منى فى علمك واصبر (حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا) أى أذكره لك بعلته، فقبل موسى شرطه رعاية لأدب المتعلم مع العالم (فَانْطَلَقَا) يمشيان على ساحل البحر (حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ) التى مرت بهما (خَرَقَهَا) الخضر بأن اقتلع لوحا أو لوحين منها من جهة البحر بفأس لما بلغت اللجج (قَالَ) له موسى (أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا) وفى قراءة بفتح التحتانية والراء ورفع أهلها (لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا) أى عظيما منكرا

روى ولم يقل الخضر إن شاء الله لأن الله أطلعه على أن موسى لا يصبر على أمر يخالف شرعه فحينئذ جزم بأنه لا يستطيع معه صبرا (قوله أن لا يثقوا إلى أنفسهم) ضمنه معنى يميلوا أو يركنوا فعداه بإلى (قوله فلا تسألنى) أى لا تبادرنى بالسؤال عن حكمته بل اصبر حتى يظهر لك ما فيه من الباطن (قوله بفتح اللام) أى مع الهمز وهما قراءتان سبعيتان وبدون الهمز مع تشديد النون لغير السبعة (قوله فى علمك) أى بحسب ظاهر علمك (قوله واصبر) قدره إشارة إلى أنه المغيا بحتى (قوله بعلته) أى حكمته وسببه (قوله فانطلقا) أى ومعهما يوشع وإنما لم يذكر فى الآية لأنه تابع والمقصود ذكر موسى والخضر، وقيل لم يكن معهما بل رده موسى حين التقى مع الخضر (قوله يمشيان على ساحل البحر) أى يطلبان سفينة فوجدا سفينة فركباها فقال أهلها هؤلاء لصوص لأنهم رأوهم نزلوا بغير زاد ولا متاع، فقال صاحب السفينة ما هم بلصوص ولكنى أرى وجوه الأنبياء، وعن أبىّ بن كعب عن النبى صلى الله عليه وسلم مرت بهم سفينة فكلموا أهلها أن يحملوهم فعرفوا الخضر بعلامة فحملوهم بغير نول: أى عوض (قوله بفأس) بالهمزة وجمعه فؤوس: أى القدوم (قوله لما بلغت اللجج) اللج بالضم جمع لجة وهو الماء الغزير (قوله وفى قراءة) أى وهما سبعيتان.

(قوله روى أن الماء لم يدخلها) وقيل إن موسى لما رأى ذلك أخذ ثوبه فجعله فى الخرق (قوله بما نسيت) أى بالأمر الذى غفلت عنه لقيام حمية الشرع بى ، وقيل أراد بالنسيان الترك (قوله عسرا) مفعول ثان لترهقنى (قوله غلاما) قيل كان اسمه شمعون (قوله لم يبلغ الحنث) يطلق الحنث على المعصية وعلى مخالفة اليمين ، والمراد لم يبلغ حدّ التكليف من باب إطلاق الملزوم وإرادة اللازم (قوله مع الصبيان) أى وكانوا عشرة (قوله أو اقتلع رأسه بيده) أى بعد أن لوى عنقه (قوله لأن القتل عقب اللقى) أى بخلاف السفينة فإن الخرق لم يكن عقب ركوبها فلذا لم يأت بالفاء (قوله وفى قراءة) وهما سبعيتان (قوله بغير نفس) أى من غير استحقاقها للقتل والجار والمجرور متعلق بقتلت (قوله لقد جئت) أى فعلت (قوله نكرا) هو أعظم من الإمر لأن فيه القتل بالفعل بخلاف خرق السفينة فإنه يمكن تداركه ، وقيل بالعكس لأن الإمر قتل أنفس متعددة بسبب الخرق فهو أعظم من قتل الغلام وحده (قوله بسكون الكاف وضمها) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله لعدم العذر هنا) لأنه لم يبد هنا عذرا (قوله بالتشديد والتخفيف) أى فهما قراءتان سبعيتان والنون للوقاية أتى بها لتقى الفعل من الكسر كما أتى بها فى من وعن محافظة على تسكين النون (قوله حتى إذا أتيا أهل قرية) أى وكان إتيانهم لها بعد الغروب والليلة باردة ممطرة (قوله هى إنطاكية) بتخفيف الياء (قوله طلبا منهم الطعام) روى أنهما طافا فى القرية فاستطعماهم لم يطعموهما واستضافاهم لم يضيفوهما فأطعمتهم امرأة من أهل بربرة فدعوا لنسائهم ولعنا

روى أن الماء لم يدخلها (قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا . قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ) أى غفلت عن التسليم لك وترك الانكار عليك (وَلَا تُرْهِقْنِي) تكلفنى (مِنْ أَمْرِي عُسْرًا) مشقة فى صحبتى إياك أى عاملنى فيها بالعفو واليسر (فَانْطَلَقَا) بعد خروجهما من السفينة يمشيان (حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا) لم يبلغ الحنث يلعب مع الصبيان أحسنهم وجها (فَقَتَلَهُ) الخضر بأن ذبحه بسكين مضطجعا أو اقتلع رأسه بيده أو ضرب رأسه بالجدار أقوال ، وأتى هنا بالفاء العاطفة لأن القتل عقب اللقى ، وجواب إذا (قَالَ) له موسى (أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَاكِيَةً) أى طاهرة لم تبلغ حد التكليف وفى قراءة زكية بتشديد الياء بلا ألف (بِغَيْرِ نَفْسٍ) أى لم تقتل نفسا (لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا) بسكون الكاف وضمها أى منكرا (قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا) زاد لك على ماقبله لعدم العذر هنا ولهذا (قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا) أى بعد هذه المرة (فَلَا تُصَاحِبْنِي) لا تتركنى أتبعك (قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي) بالتشديد والتخفيف من قبلى (عُذْرًا) فى مفارقتك لى (فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ) هى انطاكية (اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا) طلبا منهم الطعام بضيافة (فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا) ارتفاعه مائة ذراع (يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ) أى يقرب أن يسقط لميلانه (فَأَقَامَهُ) الخضر بيده (قَالَ) له موسى (لَوْ شِئْتَ لَتَخَذْتَ) وفى قراءة لاتخذت (عَلَيْهِ أَجْرًا) جعلا حيث لم يضيفونا مع حاجتنا إلى الطعام (قَالَ) له الخضر (هَذَا فِرَاقُ) أى وقت فراق (بَيْنِي وَبَيْنِكَ) فيه إضافة بين إلى غير متعدد سوغها تكريره بالعطف بالواو (سَأُنَبِّئُكَ) قبل فراقى لك (بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا .

رجالهم ، وعن قتادة شر القرى من لا تضيف الضيف (قوله مائة ذراع) أى وعرضه خمسون وامتداده على وجه الأرض خمسمائة ذراع (قوله فأقامه الخضر بيده) قيل مسه بها فاستقام ، وقيل أقامه بعمود ، وقيل نقضه و بناه (قوله لو شئت لتخذت عليه أجرا) أى كان ينبغى لك أخذ جعل منهم على فعلك لتقصيرهم فينا مع حاجتنا فقد فعلت المعروف مع غير أهله (قوله وفى قراءة) أى بإظهار الذال و إدغامها فى التاء على كل فتكون القراآت أربعا سبعيات (قوله بتأويل) أى تفسير هذه الآيات التى وقعت لموسى مع الخضر ، وحكمة تخصيص الخضر لموسى بتلك الثلاثة ماورد «أنه لما أنكر خرق السفينة نودى ياموسى أين كان تدبيرك هذا وأنت فى التابوت مطروحا فى اليم ، فلما أنكر أمر الغلام قيل له أين إنكارك هذا من وكزك القبطى وقضائك عليه ، فلما أنكر إقامة الجدار نودى أين هذا من رفعك حجر البئر لبنتى شعيب دون أجر» .

(قوله أما السفينة) شروع في وفاء ما وعد الخضر به موسى على سبيل اللف والنشر المرتب. والسفينة تجمع على سفين وسفائن ويجمع السفين على سفن بضمتين مأخوذة من السفن كأنها تسفن الماء: أي تقشره وصاحبها سفان (قوله لمساكين عشرة) أي وكانوا إخوة ورثوها عن أبيهم خمسة زمنى وخمسة يعملون في البحر، وقيل بكل واحد زمانة ليست بالآخر، فأما العمال منهم فأحدهم مجذوم، والثاني أعور، والثالث أعرج، والرابع آدر، والخامس محموم لا تنقطع عنه الحمى الدهر كله وهو أصغرهم والخمسة الذين لا يطيقون العمل أعمى وأصم وأخرس ومقعد ومجنون وكان البحر الذي يعملون فيه ما بين فارس إلى الروم (قوله فأردت أن أعيبها) أي فإذا رآها الملك معيبة تركها فإذا جاوزوه أصلحوها وانتفعوا بها (قوله وكان وراءهم) الجملة حالية على إضمار قد (قوله إذا رجعوا) من المعلوم أنه إذا كان وراءهم وقت رجوعهم فبالضرورة يكون في حال توجههم أمامهم فقد اتحد هذا القول مع ما بعده، وقد يجاب بأن قوله: وكان وراءهم: أي في حال توجههم لكنهم في حال رجوعهم يمرون عليه وحينئذ فلا يكون أمامهم الآن، وقوله أو أمامهم الآن: أي ووراء بمعنى أمام. قال تعالى - من ورائه جهنم - (قوله ملك كافر) أي وكان ملك غسان واسمه جيسور (قوله صالحة) أي صحيحة (قوله فخشينا) أي أن الله أعلم الخضر بوقوع ذلك من الغلام إن لم يقتله (قوله أن يرهقهما) أي يكلفهما ويوقعهما في الكفر (قوله طبع كافرا) أي خلق مجبولا على الكفر وحينئذ فيكون مستثنى من حديث «كل مولود يولد على فطرة الإسلام» (قوله لمحبتهما له) علة لإيقاعه لهما في الكفر (قوله بالتشديد والتخفيف) قراءتان سبعيتان (قوله خيرا منه) اسم التفضيل ليس على بابه إذ لم يكن في الغلام خير أو على بابه باعتبار

(أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ) عشرة (يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ) بها مؤاجرة لها طلبا للكسب (فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ) إذا رجعوا، أو أمامهم الآن (مَلِكٌ) كافر (يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ) صالحة (غَصْبًا) نصبه على المصدر المبين لنوع الأخذ (وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا) فإنه كما في حديث مسلم: طبع كافرا ولو عاش لأرهقهما ذلك لمحبتهما له يتبعانه في ذلك (فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا) بالتشديد والتخفيف (رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً) أي صلاحا وتقى (وَأَقْرَبَ) منه (رُحْمًا) بسكون الحاء وضمها رحمة وهي البر بوالديه فأبدلهما تعالى جارية تزوجت نبيا فولدت نبيا فهدى الله تعالى به أمة (وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ) مال مدفون من ذهب وفضة (لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا) فحفظا بصلاحه

زعمهما (قوله زكاة) تمييز وكذا قوله رحما (قوله جارية) أي بنتا (قوله فولدت نبيا) وقيل اثني عشر نبيا، وقيل ولدت سبعين نبيا وما فعله الخضر من قتل الغلام إنما هو جار على شرعه لا على شرعنا فإنه لا يجوز قتل الصبيان الكفار إلا أن يقاتلوا بالسلاح في الحرب ولو اطلع شخص على ما اطلع عليه الخضر فلا يجوز له قتل الغلمان، وقد أرسل بعض الخوارج لابن عباس يسأله كيف قتل الخضر الغلام الصغير وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل أولاد الكفار فضلا عن أولاد المؤمنين، فكتب إليه على سبيل المجاراة والتسليم لدعواه إن علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك أن تقتلهم، وروي أن موسى لما قال للخضر أقتلت نفسا زكية الآية غضب الخضر واقتلع كتف الصبي الأيسر وقشر اللحم عنه وإذا فيه مكتوب كافر لا يؤمن بالله أبدا (قوله فكان لغلامين) اسم أحدهما أصرم والآخر صريم (قوله في المدينة) هي المعبر عنها أولا بالقرية تحقيرا لها لكون أهلها لم يضيفوهما وعبر عنها بالمدينة تعظيما لها من حيث اشتمالها على هذين الغلامين وعلى أبيهما (قوله مال مدفون من ذهب وفضة) هذا أحد أقوال في تفسير الكنز، وقيل كان علما في صحف مدفونة، وقيل كان لوحا من ذهب مكتوب في أحد جانبيه: بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن، عجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب، عجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح، عجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل، عجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها لا إله إلا الله محمد رسول الله، وفي الجانب الآخر مكتوب: أنا الله لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقته للخير وأجريته على يديه، والويل لمن خلقته للشر وأجريته على يديه (قوله وكان أبوهما صالحا) قيل إنه أبوهما مباشرة، وقيل هو الأب السابع، وقيل العاشر، وكان يسمى كاشحا واسم أمهما دنيا، وفيه دليل على أن تقوى الأصول تنفع الفروع.

فى أنفسهما ومالهما (فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا) أى إيناس رشدهما (وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ) مفعول له عامله أراد (وَمَا فَعَلْتُهُ) أى ماذكر من خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار (عَنْ أَمْرِى) أى اختيارى بل بأمر إلهام من الله (ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا) يقال اسطاع واستطاع بمعنى أطاق ففى هذا وما قبله جمع بين اللغتين ونوعت العبارة فى فأردت فأردنا فأراد ربك (وَيَسْأَلُونَكَ) أى اليهود (عَنْ ذِى الْقَرْنَيْنِ) اسمه الاسكندر ولم يكن نبيا (قُلْ سَأَتْلُو) سأقص (عَلَيْكُمْ مِنْهُ) من حاله (ذِكْرًا) خبرا

(قوله أى إيناس رشدها) أى حتى يبلغا أن يعلم إيناس أشدهما : أى قوتهما وكمالهما (قوله ويستخرجا كنزهما) أى من تحت الجدار ولولا فعلى ذلك لضاع (قوله بل بأمر إلهام من الله) لم يقل بوحى لعدم الجزم بنبوته (قوله ذلك) أى ماذكر من الأجوبة الثلاثة (قوله ونوعت العبارة) أى أن هذا التغاير تنويع فى العبارة وبعضهم أبدى حكمة فى اختلاف التعبير وهو أن الأولى لما كان ظاهرها إفسادا محضا أضافه لنفسه حيث قال فأردت أدبا مع الله وإن كان الكل منه ، والثانى لما كان فيه نوع إصلاح ونوع إفساد عبر فيه بقوله فأردنا ، والثالث لما كان إصلاحا محضا أضافه لله بقوله : فأراد ربك ، قيل إن الخضر لما أراد أن يفارق موسى قال له موسى أوصنى . قال كن بساما ولا تكن ضحاكا ودع اللجاجة ولا تمش فى غير حاجة ولا تعب على الخاطئين خطاياهم وابك على خطيئتك يا ابن عمران (قوله ويسئلونك) أى المشركون بأمر اليهود فاليهود سبب فى السؤال وإن لم تقع منهم المباشرة له فصح قول المفسر اليهود (قوله عن ذى القرنين) لقب بذلك لما قيل إن له قرنين صغيرين فى رأسه ، وقيل لأنه أعطى علم الظاهر والباطن ، وقيل لأنه ملك فارس والروم (قوله اسمه الاسكندر) أى وهو الذى بنى الاسكندرية وسماها باسمه (قوله ولم يكن نبيا) أى على الصحيح وإنما كان وليا فقط وما يأتى مما يوهم نبوته فمؤول ومحمول على الالهام والالقاء فى القلب وذلك غير مخصوص بالأنبياء وإسكندر هذا من أولاد سام بن نوح وكان ابن عجوز ليس لها غيره وكان أسود اللون وكان على شريعة إبراهيم الخليل فانه أسلم على يديه ودعا له وأوصاه بوصايا وكان يطوف معه وكان الخضر وزيره وابن خالته وكان يسير معه على مقدمة جيشه ، وهذا بخلاف ذى القرنين الأصغر فانه من ولد العيص بن اسحق وكان كافرا عاش ألفا وستمائة سنة وكان قبل المسيح بثلثمائة سنة ، وفى القرطبى قال وهب بن منبه : كان ذوالقرنين رجلا من الروم ابن عجوز من عجائزهم ليس لها ولد غيره وكان اسمه اسكندر فلما بلغ كان عبدا صالحا . قال الله تعالى أى على لسان نبى كان موجودا أو بالهام ياذا القرنين إنى باعثك : أى سلطانا إلى أمم الأرض وهم أمم مختلفة ألسنتهم وهم جميع الأرض وهم أصناف أمتان بينهما طول الأرض كلها وأمتان بينهما عرض الأرض كلها وأمم فى وسط الأرض منهم الجن والانس ويأجوج ومأجوج ، فأما اللتان بينهما عرض الأرض فأمة فى قطر الأرض تحت الجنوب ويقال لها هاويل ، وأمة فى قطر الأرض الأيسر ويقال لها تاويل ، وأما اللتان بينهما طول الأرض فأمة عند مطلع الشمس يقال لها منسك ، وأمة عند مغرب الشمس يقال لها ناسك ، فقال ذو القرنين إلهى لقد ندبتنى لأمر عظيم لا يقدر قدره إلا أنت فأخبرنى عن هذه الأمم بأى قوة أكاثرهم وبأى صبر أقاسيهم وبأى لسان أناطقهم ، وكيف لى بأن أفقه لغتهم وليس لى قوة ، فقال الله تعالى سأظفرك بما حملتك أشرح لك صدرا فتسمع كل شىء ، وأثبت لك فهما فتفقه كل شىء ، وألبسك الهيبة فلا يروعك شىء ، وأسخر لك النور والظلمة فيكونان جندا من جنودك يهديك النور من أمامك وتحفظك الظلمة من ورائك ، فلما قيل له ذلك سار بمن اتبعه فانطلق إلى الأمة التى عند مغرب الشمس لأنها كانت أقرب الأمم منه وهى ناسك ، فوجد جنودا لا يحصيها إلا الله وقوة وبأسا لا يطيقه إلا الله تعالى وألسنة مختلفة وأهواء مشتتة فكاثرهم بالظلمة فضرب حولهم ثلاثة عساكر من جنود الظلمة قدر ما أحاط بهم من كل مكان حتى جمعهم فى مكان واحد ، ثم دخل عليهم بالنور فدعاهم إلى الله تعالى وإلى عبادته فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه ، فأدخل على الذين تولوا الظلمة فغشيتهم من كل مكان فدخلت فى أفواههم وأنوفهم وأعينهم وبيوتهم وغشيتهم من كل مكان فتحيروا وهاجوا وأشفقوا أن يهلكوا فعجوا إلى الله بصوت واحد إنا آمنا ، فكشفها عنهم وأخذهم عنوة ودخلوا فى دعوته ، فجند من أهل المغرب أمما عظيمة فجعلهم جندا واحدا ثم انطلق بهم يقودهم والظلمة تسوقهم وتحرسه من خلفه والنور أمامه يقوده ويدله وهو يسير فى ناحية الأرض اليمنى يريد هاويل ، وسخر الله له يده وقلبه وعقله ونظره فلا يخطىء إذا عمل عملا ، فاذا أتوا مخاضة أو بحرا بنى سفنا من ألواح صغار أمثال النعال فيضمها فى ساعة ثم يحمل عليها جميع من

خه من تلك الأمم فاذاقطع البحار والأنهار فتقها ودفع إلى كل رجل لوحا فلا يكترث بحمله فأتيهى إلى هاو يل ففعل بهم كفعله ناسك فآمنوا فأخذ جيوشا منهم فانطلق إلى ناحية الأرض الأخرى حتى انتهى إلى منسك عند مطلع الشمس ، فعمل فيها وجند منها جنودا كفعله فى الأول ، ثم كر مقبلا حتى أخذ بناحية الأرض اليسرى يريد تاو يل ، وهى الأرض التى تقابل هاو يل بينهما عرض الأرض ففعل فيها كفعله فيما قبلها ، ثم عطف على الأمم التى فى وسط الأرض من الانس والجن و يأجوج ومأجوج ، فلما كان فى بعض الطريق مما يلى منقطع الترك نحو المشرق قالت أمة صالحة من الانس : ياذا القرنين إن بين هذين الجبلين خلقا من خلق الله كثيرين ليس فيهم مشابهة للانس وهم أشباه البهائم يأكلون العشب و يفترسون الدواب والوحش كما تفترسها السباع و يأكلون دواب الأرض كلها من الحيات والعقارب والوزغ وكل ذى روح مما خلق الله فى الأرض وليس لله خلق ينمى نماءهم فى العام الواحد ، فاذا طالت المدة سيملئون الأرض و يخرجون أهلها منها - فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا و بينهم سدا - إلى آخر ما يأتى فى الآية ، و بالجملة فقد ملكه الله ومكنه ودانت له الملوك ، فقد روى « أن الذين ملكوا الدنيا كلها أربعة : مؤمنان وكافران ، فالمؤمنان سليمان بن داود والأسكندر ، والكافران نمرود و بختنصر وسيملكها من هذه الأمة خامس وهو المهدى » (قوله إنا مكنا له فى الأرض) أى بالتصرف فيها حيث شاء (قوله طريقا) أى كالات السير وكثرة الجنود (قوله إلى مراده) أى وهو جميع الأرض (قوله فأتبع سببا) بالتشديد والتخفيف قراءتان سبعيتان (قوله موضع غروبها) أى فالمراد أنه بلغ آخر العمارة من الأرض ووصل إلى ساحل البحر المحيط ، فلما لم يبق قدامه شط بل مياه لا آخر لها رأى الشمس كأنها تغرب فيه وسماه الله عينا لأنه بالنسبة إلى ماهو أعظم منه فى علم الله كالعين وإن كان عظيما فى نفسه

(إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ) بتسهيل السير فيها (وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ) يحتاج إليه (سَبَبًا) طريقا يوصل إلى مراده (فَأَتْبَعَ سَبَبًا) سلك طريقا نحو المغرب (حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ) موضع غروبها (وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ) ذات حمأة وهى الطين الأسود وغروبها فى العين فى رأى العين و إلا فهى أعظم من الدنيا (وَوَجَدَ عِنْدَهَا) أى العين (قَوْمًا) كافرين (قُلْنَا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ) بالهام (إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ) القوم بالقتل (وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا) بالأسر (قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ) بالشرك (فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ) نقتله (ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا) بسكون الكاف وضمها : شديدا فى النار (وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى) أى الجنة والإضافة للبيان ، وفى قراءة بنصب جزاء وتنوينه ، قال الفراء ونصبه على التفسير أى لجهة النسبة (وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا) أى نأمره بما يسهل عليه (ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا) نحو المشرق (حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ) موضع طلوعها (وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ) ،

(قوله حمئة) بالهمزة بدون ألف و بألف بعدها ياء قراءتان سبعيتان ، فأما الأولى فهى من الحمأة وهى الطين الأسود ، وأما الثانية فهى اسم فاعل من حمى يحمى ، والمعنى فى عين حارة ولا تنافى بين القراءتين لأن العين جامعة بين الوصفين الحرارة وكون أرضها من طين (قوله وغروبها فى العين الخ) جواب عما يقال إن الشمس فى السماء الرابعة وهى قدر كرة الأرض مائة وستين مرة فكيف تسعها عين فى الأرض تغرب فيها ، فأجاب بأن هذا الوجدان باعتبار ما رأى لا حقيقة كما يرى راكب البحر الشمس طالعة وغاربة فيه (قوله كافرين) أى وكانوا فى مدينة لها اثنا عشر ألف باب كانت على ساحل البحر المحيط وقوتهم ما يلفظه البحر من السمك وكان لباسهم جلود الوحوش (قوله قلنا) أى بالهام (قوله بالأسر) أى وسمى إحسانا بالنسبة للقتل (قوله أما من ظلم) أى استمر على ظلمه (قوله ثم يرد) أى فى الآخرة (قوله بسكون الكاف وضمها) أى فيهما سبعيتان (قوله أى لجهة النسبة) أى نسبة الخبر المقدم وهو الجار والمجرور إلى المبتدأ المؤخر وهو الحسنى والتقدير فالحسنى كائنة له من جهة الجزاء (قوله وسنقول له) أى لمن آمن (قوله موضع طلوعها) أى الموضع الذى تطلع الشمس عليه أولا ، قيل بلغه فى اثنتى عشرة سنة ، وقيل أقل لأنه سخرله السحاب وطويت له الأرض .

(قوله هم الزنج) بفتح الزاى وكسرها (قوله ستراً) هو بالفتح المصدر و بالكسر الاسم وهو فى الآية بالكسر (قوله ولا سقف) أى ولا أشجار لأن أرضهم رخوة لاتحمل بناء لعدم الجبال فيها فتميد بأهلها ولا تستقر (قوله و يظهرون عند ارتفاعها) أى مغيبها يسعون فى تحصيل مهمات معاشهم فحالهم بالضد من أحوال الخلق فمادامت الشمس طالعة فهم فى السراديب و إذا غربت خرجوا لتكسباتهم (قوله أى الأمر) أشار بذلك إلى أن قوله كذلك خبر لمحذوف (قوله وقد أحطنا الخ) الجملة مستأنفة من كلام الله وفائدة الاخبار بذلك الاعتناء بشأن ذى القرنين وأن الله معه بالنصر والعون أينما حل (قوله ثم أتبع) تقدم أنه يقرأ بالتشديد والتخفيف (قوله سببا) أى طريقا آخر توصله لجهة الشمال لأن يأجوج ومأجوج و إن كانوا فى وسط الأرض إلا أنهم لجهة الشمال لأن أرضهم واسعة جدا تنتهى إلى البحر المحيط . قال بعضهم : مسافة الأرض تمامها خمسمائة عام ثلثمائة بحار ومائة وتسعون مسكن يأجوج ومأجوج تبقى عشرة للحبشة منها سبعة وثلاثة لجملة الخلق غيرهم (قوله هنا و بعد) أى فى هذه الآية ، وفى قوله الآتى : على أن تجعل بيننا و بينهم سدا ، وفى يس : وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا ، فهذه المواضع تقرأ بالفتح والضم سبعيتان (قوله جبلان) أى عاليان جدا أملسان (قوله بمنقطع) بفتح الطاء أى آخر بلاد الترك (قوله سد الاسكندر مابينهما) أى الفتحة التى بين الجبلين

هم الزنج (لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا) أى الشمس (سِتْرًا) من لباس ولا سقف ؛ لأن أرضهم لاتحمل بناء ولهم سروب يغيبون فيها عند طلوع الشمس و يظهرون عند ارتفاعها (كَذَٰلِكَ) أى الأمر كما قلنا (وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ) أى عند ذى القرنين من الآلات والجند وغيرهما (خُبْرًا) علما (ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا . حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ) بفتح السين وضمها هنا و بعد ، هما جبلان بمنقطع بلاد الترك سد الاسكندر مابينهما كما سيأتى (وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا) أى أمامهما (قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا) أى لا يفهمونه إلا بعد بطء وفى قراءة بضم الياء وكسر القاف (قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ) بالهمز وتركه هما اسمان أعجميان لقبيلتين فلم ينصرفا (مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ) بالنهب والبغى عند خروجهم إلينا (فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا) جُعْلا من المال وفى قراءة خراجا (عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا) حاجزا فلا يصلون إلينا (قَالَ مَا مَكَّنِّي) ،

وقدرها مائة فرسخ ومسيرة الفرسخ ساعة ونصف فتكون مسيرة مائة وخمسين ساعة مسيرة اثنى عشر يوما ونصف فتبلغ مسافته نحو العقبة من مصر (قوله أى أمامهما) أى بقربهما (قوله قوما) أى وهم الترك والروم (قوله لا يكادون يفقهون قولا) أى لغرابة لغتهم و بطء فهمهم (قوله وفى القراءة) أى وهما سبعيتان والمعنى لا يفهمون غيرهم لشدة عجمتهم فكلامهم مغلق (قوله قالوا) أى قال مترجمهم لأنهم من أولاد يافث بن نوح وذو القرنين من أولاد سام فلا يفهم لغتهم و إنما كان لهم مترجم يفهم كلا من اللغتين ، وقيل خاطبوه بأنفسهم وفهم لغتهم كرامة له لما تقدم أن الله جعل له فهما يفقه به كل شئ وهو الأقرب . قال أهل التواريخ : أولاد نوح ثلاثة سام وحام و يافث ، فسام أبو العجم والعرب والروم ، وحام أبو الحبشة والزنج والنوبة ، و يافث أبو الترك والبربر وصقالبة و يأجوج ومأجوج . قال ابن عباس : هم عشرة أجزاء ولد آدم كلهم جزء (قوله إن يأجوج ومأجوج) روى أن كلا من الجيلين اشتمل على أربعة آلاف أمة لايموت الواحد منهم حتى ينظر ألف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح ، وهم : أصناف صنف منهم طوله عشرون ومائة ذراع فى السماء وصنف منهم طوله وعرضه سواء عشرون ومائة ذراع وصنف منهم يفترش أحدهم إحدى أذنيه و يلتحف بالأخرى لايمرون بفيل ولا وحش ولا خنزير إلا أكلوه ، ومن مات منهم أكلوه والجميع كفار دعاهم النبى صلى الله عليه وسلم إلى الايمان ليلة الاسراء فلم يجيبوا (قوله بالهمز وتركه) أى فهما قراءتا سبعيتان (قوله أعجميان) أى لا اشتقاق لهما ومنعا من الصرف للعلمية والعجمة (قوله بالنهب والبغى) أى فكانوا يخرجون أيام الربيع إلى أرضهم فلا يدعون فيها شيئا أخضر إلا أكلوه ولا يابسا إلا احتملوه وأدخلوه أرضهم (قوله عند خروجهم) أى من هذه الفتحة (قوله وفى قراءة خراجا) أى وهى سبعية أيضا

(قوله وفى قراءة بنونين) أى وهى سبعية أيضا (قوله وغيره) أى كالملك (قوله وأجعل لكم السد تبرعا) روى أنه قال لهم أعدوا لى الصخر والحديد والنحاس حتى أعلم علمهم فانطلق حتى توسط بلادهم فوجد طول الواحد منهم مثل نصف الرجل المربوع منا ، لهم مخالب وأضراس كالسباع ، ولهم شعر يوارى أجسادهم و يتقون به من الحر والبرد ، ولكل واحد منهم أذنان عظيمتان يفترش إحداهما و يلتحف بالأخرى يصيف فى واحدة و يشتى فى الأخرى يتسافدون تسافد البهائم فلما عاين ذوالقرنين ذلك اهتم بالسد فبنى الجدار على الماء بالصخر والحديد والنحاس المذاب ، فلما وصل إلى ظاهر الأرض بنى بقطع الحديد وأفرغ عليه النحاس المذاب ولا يشكل هذا على ماتقدم من أنهم أصناف لأنه رأى صنفا من الأصناف (قوله آتونى) بفتح الهمزة وكسرها مع المد فيهما قراءتان سبعيتان فزبر على الفتح منصوب على المفعولية وعلى الكسر منصوب بنزع الخافض (قوله زبر الحديد) جمع زبرة كغرف وغرفة (قوله بضم الحرفين الخ) أى فالقراءات السبعية ثلاث

وفى قراءة بنونين من غير إدغام (فِيهِ رَبِّى) من المال وغيره (خَيْرٌ) من خرجكم الذى تجعلونه لى فلا حاجة بى إليه وأجعل لكم السد تبرعا (فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ) لما أطلبه منكم (أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا) حاجزاً حصينا (آتُونِى زُبَرَ الْحَدِيدِ) قطعه على قدر الحجارة التى يبنى بها فبنى بها وجعل بينها الحطب والفحم (حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصُّدُفَيْنِ) بضم الحرفين وفتحهما وضم الأول وسكون الثانى أى جانبى الجبلين بالبناء ووضع المنافخ والنار حول ذلك (قَالَ انْفُخُوا) فنفخوا (حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ) أى الحديد (نَاراً) أى كالنار (قَالَ آتُونِى أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً) هو النحاس المذاب تنازع فيه الفعلان وحذف من الأول لإعمال الثانى فأفرغ النحاس المذاب على الحديد المحمى فدخل بين زبره فصار شيئا واحدا (فَمَا اسْطَاعُوا) أى يأجوج ومأجوج (أَنْ يَظْهَرُوهُ) يعلوا ظهره لارتفاعه وملاسته (وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْباً) خرقا لصلابته وسمكه (قَالَ) ذو القرنين (هٰذَا) أى السد أى الإقدار عليه (رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّى) نعمة لأنه مانع من خروجهم (فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّى) بخروجهم القريب من البعث (جَعَلَهُ دَكَّاءَ) مدكوكا مبسوطا (وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى) بخروجهم وغيره (حَقًّا) كائنا ، قال تعالى (وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ) يوم خروجهم (يَمُوجُ فِى بَعْضٍ) يختلط به ،

(قوله بالبناء) متعلق بساوى (قوله ووضع المنافخ) جمع منفخ كمنبر ويقال منفاخ كمفتاح ويجمع على منافيخ (قوله فنفخوا) أى وهذه كرامة لذى القرنين حيث منع الله حرارة النار عن العملة الذين ينفخون ويفرغون النحاس مع أنه أصعب من النار مع قربهم من ذلك (قوله وحذف من الأول) أى هو وضميره لأنه فضلة والأصل آتونى قطرا أفرغ عليه قطرا (قوله بين زبره) أى مكان الحطب والفحم الذى كان بينهما فلما أكلته النار بقى ما بينهما خاليا فأفرغ فيه النحاس المذاب فامتزج بالحديد (قوله لارتفاعه) أى فكان لكثرتهم

ارتفاعه مائتى ذراع (قوله وملاسته) أى فكان لايثبت عليه قدم ولا غيره (قوله وما استطاعوا له نقبا) أى خرقا بالفعل كما يشهد له ماروى الشيخان عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم يحفرونه كل يوم حتى إذا كادوا يخرقونه قال الذى عليهم ارجعوا فستحفرونه غدا قال فيعيده الله كأشد مما كان حتى إذا بلغ مدتهم وأراد الله أن يبعثهم إلى الناس قال الذى عليهم ارجعوا فستحفرونه غدا إن شاء الله قال فيرجعون فيجدونه على هيئته حين تركوه فيخرقونه فيخرجون منه إلى الناس فيستقون المياه وتنفر الناس منهم (قوله فإذا جاء وعد ربى) أى وقت وعده (قوله بخروجهم) أى فيخرجون على الناس فينفرون منهم فيرمون بسهام إلى السماء فترجع مخضبة بالدماء فيقولون قهرنا من فى الأرض ومن فى السماء فيزدادون قوة وقسوة (قوله قال تعالى) أشار بذلك إلى أن كلام ذى القرنين تم عند قوله حقا وهذا من كلام الله (قوله وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض) أى لشدة الازدحام عند خروجهم وذلك عقب موت الدجال فينحاز عيسى بالمؤمنين إلى جبل الطور

فرارا منهم ثم يسلط الله عليهم دودا فى آنوفهم فيموتون به فتنتن الأرض منهم فتأتى طيور ترميهم فى البحر بدعاء عيسى عليه السلام ولا يدخلون مكة ولا المدينة ولا بيت المقدس ولا يصلون إلى من تحصن بورد أو ذكر (قوله لكثرتهم) أى وضيق الأرض فان أرضنا بالنسبة لأرضهم ضيقة جدا (قوله ونفخ فى الصور) أى النفخة الثانية بدليل التعقيب فى قوله فجمعناهم وأما النفخة الأولى فعندها تخرج روح كل ذى روح واختلف فى القدر الذى بين النفختين والصحيح أنه أربعون عاما (قوله أى القرن) وهو بيد إسرافيل عليه السلام (قوله قربنا) أى أظهرنا بحيث يكونون مشاهدين لها (قوله يومئذ) إن كان المراد به يوم الوقف فالعرض على حقيقته بمعنى التقريب والاظهار وإن كان المراد بعد انفضاضه ، فالمراد بالعرض امتزاجها بهم فيكون كناية عن دخولهم فيها وتعذيبهم بها وفائدة التأكيد على الأول الاشارة إلى أنه لم يكن بينهم و بينها حجاب (قوله أعينهم) أى بصائرهم (قوله لايهتدون به) أى لايتعظون ولا يؤثر فى قلوبهم (قوله لايستطيعون سمعا) أى سماع قبول وفهم لوجود الحجاب المانع لهم من ذلك (قوله أفحسب الذين كفروا) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير أكفروا فحسبوا الخ والاستفهام للتوبيخ والتقريع (قوله أى ملائكتى وعيسى وعزيرا) أشار بذلك إلى

لكثرتهم ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ أى القرن للبعث ﴿فَجَمَعْنَاهُمْ﴾ أى الخلائق فى مكان واحد يوم القيامة ﴿جَمْعًا. وَعَرَضْنَا﴾ قربنا ﴿جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا. الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ﴾ بدل من الكافرين ﴿فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي﴾ أى القرآن فهم عمى لايهتدون به ﴿وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ أى لا يقدرون أن يسمعوا من النبى ما يتلو عليهم بغضاً له فلا يؤمنون به ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي﴾ أى ملائكتى وعيسى وعزيراً ﴿مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ﴾ أربابا مفعول ثان ليتخذوا والمفعول الثانى لحسب محذوف ، المعنى أظنوا أن الاتخاذ المذكور لايغضبنى ولا أعاقبهم عليه ؟ كلا ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ﴾ هؤلاء وغيرهم ﴿نُزُلًا﴾ أى هى معدة لهم كالمنزل المعد للضيف ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ تمييز طابق المميز وبيّنهم بقوله ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بطل عملهم ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ﴾ يظنون ﴿أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ عملا يجازون عليه ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ بدلائل توحيده من القرآن وغيره ﴿وَلِقَائِهِ﴾ أى وبالبعث والحساب والثواب والعقاب ،

تنوعهم فى الكفر فالمشركون يعبدون الملائكة والنصارى يعبدون عيسى واليهود يعبدون العزير (قوله وعزيرا) هذا لقبه واسمه قطفير أو إطفير (قوله من دونى) أى غيرى وهو صادق بكونهم يشركونهم معه فى العبادة أو خصوهم بالعبادة دونه (قوله مفعول ثان ليتخذوا) أى والأول قوله عبادى فمفعولا اتخذ مذكوران (قوله والمفعول الثانى لحسب محذوف) أى والأول قوله أن يتخذوا الخ والتقدير أظن الكافرون اتخاذهم عبادى من دونى أربابا لايغضبنى ، بل هو مغضب لى وأعاقبهم عليه ، وبتفسير الأولياء بالأرباب اندفعت شبهة من يزعم أن محبة الأولياء وزيارتهم إشراك واستدلوا بمثل هذه الآية فيقال إن كان اعتقاد الأولياء على سبيل أنهم يضرون الخلق وينفعونهم بذواتهم فسلم أنه إشراك ، وأما إن كان على سبيل أنهم عباد اختاروا خدمة ربهم وعبادته فاختارهم وأحبهم فهذا الاعتقاد منج من المهالك وموزث للفوز بصحبتهم ومرافقتهم فى دار السلام ، لما ورد «المرء مع من أحب» (قوله كلا) هى كلمة ردع وزجر (قوله إنا أعتدنا) أى هيأنا وأحضرنا (قوله هؤلاء) أى الذين عبدوا الملائكة وعيسى وعزيرا (قوله وغيرهم) أى من بقية الكفار (قوله كالمنزل المعد للضيف) أى فهو استهزاء وسخرية بهم حيث سمى محل عذابهم نزلا والنزل اسم لمكان الضيف أو لما يهيأ له (قوله بالأخسرين) جمع أخسر إما بمعنى أشد الناس خسرانا أو بمعنى خاسر (قوله طابق المميز) جواب عما يقال كيف جمع التمييز مع أن أصله الافراد ولم جمع المصدر مع أنه لايثنى ولا يجمع فأجاب بأنه جمع لمشاكلة مميزه (قوله الذين ضل سعيهم) خبر مبتدإ محذوف أى هم الذين الخ (قوله بطل عملهم) أى لأن شرط الثواب الاسلام والكفر لاتنفع معه طاعة (قوله وهم يحسبون) الجملة حالية من فاعل ضل (قوله أى وبالبعث) أى فالمراد بلقاء الله لقاء بعثه وحسابه الخ

(قوله فحبطت) أي فبسبب ذلك (قوله أي لانجعل لهم قدرا) أى منزلة و إنما قال ذلك لأن الكفار على التحقيق توزن أعمالهم و بعضهم أجاب بأن الآية فيها حذف النعت والتقدير وزنا نافعا (قوله ذلك أى الأمر) أشار بذلك إلى أن قوله ذلك خبر لمحذوف (قوله الذى ذكرت) تفسير لاسم الاشارة (قوله وابتدأ) أشار بذلك إلى أن جملة جزاؤهم جهنم مستأنفة وهو صادق بأن يكون جزاؤهم مبتدأ وجهنم خبرا و بالعكس ويصح أن يكون ذلك مبتدأ أول وجزاؤهم مبتدأ ثان وجهنم خبر الثانى وهو وخبره خبر الأول (قوله بما كفروا) الباء سببية ومامصدرية أى بسبب كفرهم واتخاذهم (قوله فى علم الله) أى قبل أن يخلقوا وهو جواب عما يقال إنهم يدخلونها فى المستقبل فلم عبر بالماضى ؟ . فأجاب بأن المراد ثبتت واستقرت لهم قبل خلقهم فهو نظير قوله تعالى ــ إن الذين سبقت لهم منا الحسنى ــ الآية (قوله هو وسط الجنة) إما بسكون السين بمعنى أنها متوسطة بين الجنات أو بفتحها بمعنى خيارها . قال كعب : ليس فى الجنان جنة أعلى من جنة الفردوس فيها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ، والفردوس الجنة من الكرم خاصة أوماغالبها كرم ، واختلف فيه فقيل هو عربى ، وقيل أعجمى ، وقيل

هو رومى ، وقيل فارسى ، وقيل سريانى (قوله منزلا) أى وقيل هو مايهيأ للضيف (قوله خالدين) حال مقدرة (قوله لايبغون) حال أخرى (قوله تحولا) أى انتقالا عنها إلى غيرها لأن فيها ماتشتهيه الأنفس وتلذ الأعين (قوله لو كان البحر مدادا) سبب نزولها أن اليهود قالت يامحمد إننا قد أوتينا التوراة وفيها علم كثير فكيف تقول : وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ، وقصدهم بذلك الانكار عليه و إثبات الفضل لهم (قوله أى ماؤه) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (سورة

(فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ) بطلت (فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا) أى لا نجعل لهم قدرا (ذَٰلِكَ) أى الأمر الذى ذكرت من حبوط أعمالهم وغيره وابتدأ (جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا) أى مهزوءا بهما (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ) فى علم الله (جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ) هو وسط الجنة وأعلاها والاضافة إليه للبيان (نُزُلًا) منزلا (خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ) يطلبون (عَنْهَا حِوَلًا) تحولا إلى غيرها (قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ) أى ماؤه (مِدَادًا) هو مايكتب به (لِكَلِمَاتِ رَبِّي) الدالة على حكمه وعجائبه بأن تكتب به (لَنَفِدَ الْبَحْرُ) فى كتابتها (قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ) بالتاء والياء تفرغ (كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ) أى البحر (مَدَدًا) زيادة فيه لنفد ولم تفرغ هى ونصبه على التمييز (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ) آدمى (مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ) أن المكفوفة بما باقية على مصدريتها ، والمعنى يوحى إلىّ وحدانية الإله (فَمَنْ كَانَ يَرْجُو) يأمل (لِقَاءَ رَبِّهِ) بالبعث والجزاء (فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ) أى فيها بأن يرائى (أَحَدًا) .

(قوله لكلمات ربى) أى النفسية القائمة بذاته ويصح أن يراد بها الكلمات القرآنية الحادثة ويكون المراد بعدم تناهيها باعتبار مدلولاتها (قوله لنفد البحر) أى فرغ (قوله قبل أن تنفد) إن قلت إن الآية تدل على نفاد الكلمات وفراغها لأن مقتضى قوله ــ قبل أن تنفد كلمات ربى ــ أنها تفرغ بعد فراغ المداد . وأجيب بأن قبل بمعنى غير (قوله بالتاء والياء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله لنفد) قدره إشارة إلى أن لوشرطية جوابها محذوف ، ويوضح هذه الآية قوله تعالى فى سورة لقمان : ولو أن مافى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر مانفدت كلمات الله (قوله ونصبه) أى مدادا وقوله على التمييز أى لمثل (قوله باقية على مصدريتها) أى فما و إن كفتها عن العمل لاتخرجها عن المصدرية (قوله والمعنى) أى المأخوذ من التركيب (قوله عملا صالحا) أى بشروطه وأركانه (قوله بأن يرائى) هذا قدر زائد على التوحيد والعمل وحينئذ فيكون بيانا للايمان الكامل الذى يرقى به صاحبه المراتب العلية واللقى خاص و إلا فالمراتب ثلاث : من أراد بعمله الحظ الفانى فهو فى أدنى المراتب ، ومن أراد به الخوف من العقاب والفوز بجزيل الثواب فهو أعلى منه ، ومن أراد وجه الله فهو فى أعلى المراتب .

[سورة مريم مكية] سميت بذلك لذكر قصتها فيها على عادته تعالى من تسمية السورة باسم بعضها وفي بعض النسخ عليها السلام ولاضرر فيها وإن كان المقصود ذكر اسم السورة لاالعلم المشهور ولم تذكر امرأة باسمها صريحا في القرآن إلا مريم فذكرت فيه في ثلاثين موضعا ، وحكمة ذلك التبكيت لمن يزعم من الكفار أنها زوجة الله لأن العظيم يأنف من ذكر زوجته باسمها فكأن الله يقول لهم لوكان ماتزعمون حقا ماصرحت باسمها (قوله أو إلا فخلف من بعدهم خلف الخ) تحصل أن الأقوال ثلاثة : قيل مكية بتمامها ، وقيل المدني منها آية السجدة فيها ، وقيل المدني منها آيتان قوله : فخلف من بعدهم خلف إلى قوله : شيئا (قوله كهيعص) اعلم أن الكاف والصاد يمدان لازما باتفاق السبعة وهو قدر ثلاث ألفات والهاء والياء يمدان مدا طبيعيا باتفاقهم وهو قدر ألف ويجوز في العين المد اللازم المذكور والقصر بقدر ألفين قراءتان سبعيتان ويتعين في النون من عين إخفاؤها في الصاد وغنتها وفتح العين ويجوز في الدال الإظهار والادغام في ذال ذكر والقراءتان سبعيتان (قوله الله أعلم بمراده بذلك) هذا هو الحق ، وللسلف أقوال أخر منها ماقاله ابن عباس أنه اسم من أسماء الله تعالى وقال قتادة هو اسم من أسماء القرآن ، وقيل هو اسم الله الأعظم ولذا يذكره العارفون في أحزابهم كالسيد إبراهيم الدسوقي وأبي الحسن الشاذلي ، وقيل هو اسم السورة ، وقيل قسم أقسم الله به

وعن الكلبي هو ثناء أثنى الله به على نفسه ، وقيل معناه كاف لخلقه هاد لعباده يده فوق أيديهم عالم ببريته صادق في وعده ، فكل حرف يشير لمعنى من هذه المعاني ، وقيل غير ذلك (قوله هذا) قدره إشارة إلى أن ذكر خبر لمحذوف (قوله ذكر رحمت) هو مصدر مضاف لمفعوله والفاعل محذوف أي ذكر الله رحمته عبده زكريا (قوله مفعول رحمة) أي ورحمة من إضافة المصدر لفاعله وهذه التاء لاتمنع عمل المصدر لأنها من بنية الكلمة لاللوحدة ، ومعنى ذكر الرحمة بلوغها وإصابتها لعبده زكريا بمعنى عامله بالرحمة والنعمة لابالغضب والنقمة وليس المراد بالذكر حقيقته وهو ضد النسيان لأنه مستحيل (قوله متعلق برحمة) أي على أنه ظرف له أي رحمة الله إياه وقت أن ناداه (قوله مشتملا على دعاء) أي وهو قوله : رب إني وهن العظم إلى قوله : واجعله رب رضيا ، فجملة النداء ثمان جمل والدعاء منه هو قوله : فهب لي من لدنك الخ (قوله جوف الليل) أي في جوفه (قوله لأنه أسرع للاجابة) أي ماذكر من كونه خفيا حاصلا في جوف الليل فتحصل أن إخفاء الدعاء والذل والتواضع والانكسار فيه من أسباب الاجابة سيما إذا كان في جوف الليل (قوله قال رب) أي يامالكي ومربي (قوله وهن) من باب وعد بفتح الهاء للسبعة وقرئ بضمها وكسرها (قوله جميعه) أشار بذلك إلى أن أل في العظم للاستغراق (قوله أي انتشر) أشار بذلك إلى أن في اشتعل استعارة تبعية حيث شبه انتشار الشيب باشتعال النار في الحطب واستعير الاشتعال للانتشار واشتق منه اشتعل بمعنى انتشر والجامع أن كلا يضعف مانزل به وأعاد الضمير على الرأس مذكرا لأنها تذكر لاغير (قوله وإني أريد أن أدعوك) تمهيد لقوله ولم أكن الخ (قوله أي بدعائي إياك) أشار بذلك إلى أن دعاء مصدر مضاف لمفعوله والفاعل محذوف (قوله فيما مضى) أي أنت قد أجبتني في الزمان الماضي حال شبوبيتي وعودتني منك الإحسان والاجابة فلا تخيبني فيما يأتي في حال شيخوختي (قوله وإني خفت الموالي) جمع مولى وهو العاصب .

(سورة مريم)

مكية ، أو إلا سجدتها فمدنية ، أو إلا : فخلف من بعدهم خلف الآيتين فمدنيتان وهي ثمان أو تسع وتسعون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . كهيعص) الله أعلم بمراده بذلك هذا (ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ) مفعول رحمة (زَكَرِيَّا) بيان له (إِذْ) متعلق برحمة (نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً) مشتملا على دعاء (خَفِيًّا) سرا جوف الليل لأنه أسرع للإجابة (قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ) ضعف (الْعَظْمُ) جميعه (مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ) مني (شَيْبًا) تمييز محول عن الفاعل أي انتشر الشيب في شعره كما ينتشر شعاع النار في الحطب وإني أريد أن أدعوك (وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ) أي بدعائي إياك (رَبِّ شَقِيًّا) أي خائبا فيما مضى فلا تخيبني فيما يأتي (وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ) أي الذين يلوني في النسب ،

(قوله كبنى العم) أى لأنهم كانوا شرار بنى إسرائيل فخاف أن يبدلوا دينهم (قوله من ورائى) متعلق بمحذوف أى جور الموالى من ورائى (قوله على الدين) متعلق بخفت (قوله من تبديل الدين) بيان لما (قوله وكانت امرأتى) أى وهى إشاع أخت حنة كانتا بنت فاقود فولد لاشاع يحيى ولحنة مريم (قوله لاتلد) أى لم تلد أصلا لافى صغرها ولا فى كبرها (قوله وبالرفع صفة وليا) هى سبعية أيضا وهى أظهر معنى لأنها تفيد أن هذا الوصف من جملة مطلوبه (قوله العلم والنبوة) أى لا المال لأن الأنبياء لايورثون درهما ولا دينارا (قوله قال تعالى) أشار بذلك إلى أن هذا من كلام الله ولاينافيه ماتقدم فى سورة آل عمران من أنه من كلام الملائكة لأنه يمكن أن يكون الخطاب وقع مرتين أو المعنى على لسان الملائكة (قوله الحاصل به) نعت للابن (قوله إنا نبشرك بغلام) بين هذه البشارة ووجود الولد فى الخارج بالفعل ثلاث عشرة سنة (قوله اسمه يحيى) إنما سماه بذلك، لأن رحم أمه حيى به بعد موته بالعقم أو لحياة القلوب به وهوممنوع من الصرف للعلمية والعجمة وتقول فى تثنيته يحييان رفعا ويحيين نصبا وجرا وتقول فى جمعه للسلامة يحيون رفعا ويحيين نصبا وجرا (قوله أى مسمى بيحيى) أى لم يسم يحيى قبله (قوله كيف) اسم استفهام سؤال عن جهة حصول الولد لاستبعاد ذلك بحسب العادة لابحسب القدرة الالهية أواستفهام تعجب وسرور فى هذا الأمر العجيب (قوله وكانت امرأتى عاقرا) أى ولم تزل (قوله يبس) بالياء المثناة بعدها باء موحدة من اليبس يقال عتا العود بمعنى يبس وجف ومعناه هنا يبس العظم والعصب والجلد (قوله عتوو) هو بضمتين وواوين (قوله كسرت التاء الخ) اشتمل كلامه على أربع إعمالات فى الكلمة كسر التاء وقلب الواو الأولى ياء وقلب الثانية كذلك لاجتماعها مع الواو وسبق إحداهما بالسكون وإدغام الياء فى الياء وهذا على غير قراءة حفص وأما على قراءته من كسر العين اتباعاً للتاء ففيه خمس إعمالات (قوله الأمر) قدره إشارة إلى أن كذلك خبر لمحذوف (قوله قال ربك) أى على لسان ملك أو إلقاء فى القلب وأما الخطاب جهرا مشافهة فلم يكن لغير موسى وسيدنا محمد عليهما الصلاة والسلام (قوله وأفتق) من باب نصر أى أشق (قوله للملوق) بفتح الميم أى الذى ويصح ضمها مصدر علق (قوله وقد خلقتك) الجملة حالية (قوله ولما تاقت نفسه) أى تطلعت وتشوقت وأشار بذلك إلى أن قوله قال ربّ اجعل لى آية مرتب على محذوف (قوله إلى سرعة المبشر به) أى بعلامة تدل على حصوله بالفعل وليس عند زكريا شك فى إجابة الله دعاءه بل قصد تعجيل المسرة ليزداد فرحا وشكرا (قوله أى تمنع) أى قهرا بلا آفة (قوله أى بأيامها) أشار بذلك إلى وجه الجمع بين ماهنا وبين آية آل عمران وحكمة ذكر الليالى هنا أن الليل سابق على النهار وهذه السورة مكية والمكى مقدّم على المدنى وآل عمران مدنية فأعطى السابق للسابق والمتأخر للمتأخر.

كبنى العم (مِنْ وَرَائِي) أى بعد موتى على الدين أن يضيعوه كما شاهدته فى بنى إسرائيل من تبديل الدين (وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا) لاتلد (فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ) من عندك (وَلِيًّا) ابنا (يَرِثُنِي) بالجزم جواب الأمر وبالرفع صفة وليا (وَيَرِثُ) بالوجهين (مِنْ آلِ يَعْقُوبَ) جدى العلم والنبوّة (وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا) أى مرضيًّا عندك، قال تعالى فى إجابة طلبه الابن الحاصل به رحمته (يَازَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ) يرث كما سألت (اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا) أى مسمى بيحيى (قَالَ رَبِّ أَنَّى) كيف (يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا) من عتا: يبس، أى نهاية السن مائة وعشرين سنة وبلغت امرأته ثمانيا وتسعين سنة، وأصل عتىّ عتوو كسرت التاء تخفيفاً وقلبت الواو الأولى ياء لمناسبة الكسرة والثانية ياء لتدغم فيها الياء (قَالَ) الأمر (كَذَلِكَ) من خلق غلام منكما (قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ) أى بأن أرد عليك قوة الجماع وأفتق رحم امرأتك للعلوق (وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا) قبل خلقك ولإظهار الله هذه القدرة العظيمة ألهمه السؤال ليجاب بما يدل عليها ولما تاقت نفسه إلى سرعة المبشر به (قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً) أى علامة على حمل امرأتى (قَالَ آيَتُكَ) عليه (أَ)نْ (لَا تُكَلِّمَ النَّاسَ) أى تمنع من كلامهم بخلاف ذكر الله (ثَلَاثَ لَيَالٍ) أى بأيامها كما فى آل عمران ثلاثة أيام (سَوِيًّا).

(قوله حال من فاعل تكلم) أى ينعدم منك الكلام حال كونك سليما لم يطرأ عليك آفة ولا علة تمنعك من الكلام ، ويصح أن يكون صفة لثلاث أى ثلاثا كاملات لانقص فيهن (قوله فخرج على قومه) أى متغير اللون عاجزا عن الكلام فأنكروا ذلك عليه وقالوا له مالك فأشار إليهم أن صلوا بكرة وعشيا (قوله من المحراب) يطلق على الغرفة وصدر البيت وأكرم مواضعه ومقام الامام من المسجد والموضع ينفرد به الملك وعلى المسجد جميعه فالمحراب المعروف الآن يوافق اللغة قديما (قوله أى المسجد) أى موضع الصلاة (قوله وكانوا ينتظرون فتحه) أى فكان هو مقيما به ولايفتحه إلا وقت الصلاة ولا يدخلونه إلا باذنه (قوله أشار إليهم) أى بأصبعه وقيل كتب لهم (قوله أوائل النهار وأواخره) أى فالمراد بالصلاة فى هذين الوقتين صلاة الصبح وصلاة العصر والمعنى صلوا صلاتكم على عادتكم ولا تنتظرونى أكلمكم بل دعونى وحالى (قوله فعلم) أى زكريا (قوله وبعد ولادته الخ) قدر ذلك إشارة إلى أن قوله يايحيى الخ مرتب على محذوف (قوله قال تعالى له) أى على لسان الملك (قوله خذ الكتاب) أى اعمل بأحكامه وليس المراد اشتغل بحفظه فى المكتب مثلا لأن الله ألقاه على قلبه بمجرد قوله خذ الكتاب (قوله بقوّة) أى بجد واجتهاد وإنما أمر بذلك لأن كلام الله عظيم جليل القدر فيحتاج للاهتمام به والاجتهاد فيه ومن هنا ينبغى لطالب العلم الجد والاجتهاد فيه ولايتراخى فى طلبه فانك إن أعطيت العلم كلك أعطاك بعضه وإن أعطيته بعضك لم يعطك شيئا منه ، ولذا قال الامام الشافعى رضى الله عنه : أخى لن تنال العلم إلا بستة سأنبيك عنها مجبرا ببيان ذكاء وحرص واجتهاد وبلغة وصحبة أستاذ وطول زمان

حال من فاعل تكلم أى بلا علة (فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ) أى المسجد وكانوا ينتظرون فتحه ليصلوا فيه بأمره على العادة (فَأَوْحَىٰ) أشار (إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا) صلوا (بُكْرَةً وَعَشِيًّا) أوائل النهار وأواخره على العادة ، فعلم بمنعه من كلامهم حملها بيحيى ، وبعد ولادته بسنتين قال تعالى له (يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ) أى التوراة (بِقُوَّةٍ) بجد (وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ) النبوة (صَبِيًّا) ابن ثلاث سنين (وَحَنَانًا) رحمة للناس (مِنْ لَدُنَّا) من عندنا (وَزَكَاةً) صدقة عليهم (وَكَانَ تَقِيًّا) روى أنه لم يعمل خطيئة ولم يهم بها (وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ) أى محسنا إليهما (وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا) متكبرا (عَصِيًّا) عاصيا لربه (وَسَلَامٌ) منا (عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا) أى فى هذه الأيام المخوفة التى يرى فيها مالم يره قبلها فهو آمن فيها (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ) القرآن (مَرْيَمَ) أى خبرها ،

ولم يأمر الله سيدنا محمدا بتلقى ما أوحى إليه بقوّة لأن الله أعطاه عزما وقوّة عظيمة فلم يحتج للأمر بذلك بل قيل له : إنا سنلقى عليك قولا ثقيلا (قوله ابن ثلاث سنين) أى فأحكم الله عقله وقوى فهمه وقولهم النبوّة على رأس الأربعين محله فى غير يحيى وعيسى على ما يأتى وقيل المراد بالحكم فهم التوراة وقراءتها وأما النبوّة فتأخرت للأربعين كغيره (قوله وحنانا) أى رحمة ورقة فى قلبه وتعطفا على الناس (قوله صدقة عليهم) أى توفيقا للتصدّق وقيل المراد بالزكاة طهارته من الأوساخ أوطهارة من اتبعه أو المراد أن الله تصدّق به على والديه (قوله وكان تقيا) أى مجبولا على التقوى ومن جملة تقواه أنه كان يتقوّت بالعشب وكان كثير البكاء فكان لدمعه مجار على خدّه (قوله ولم يهم بها) أى لم تخطر بباله ولاخصوصية له بذلك بل جميع الأنبياء كذلك (قوله عاصيا لربه) أشار بذلك إلى أن المبالغة ليست مرادة بل المنفى أصل العصيان لا المبالغة فيه (قوله وسلام عليه) أى أمان له من المخاوف ونكر هنا وعرّف فى قصة عيسى لأن ماهنا حاصل من الله والقليل منه كثير وماذكر فى قصة عيسى أل فيه للعهد أى السلام المعهود وهو الكائن من الله (قوله يوم ولد) أى من أن يناله الشيطان بمكروه (قوله ويوم يموت) أى من عذاب القبر (قوله ويوم يبعث حيا) أى من هول الموقف ولاينافى هذا ماورد «أن الأنبياء يوم القيامة يجثون على الركب ويقولون ربّ سلم سلم» لأن جلال الله محيط بهم فهم خائفون من هيبته وجلاله لامن عذابه وعقابه لصدق وعد الله فى تأمينهم فلايخلف وعده . بقى شىء آخر وهو أنه ورد أن يحيى قتل فى حياة والده فكيف ذلك مع طلبه ولدا ربه وإجابة الله له بقوله كذلك هو علىّ هين . أجيب بأنّ هذه الرواية ضعيفة والحق أنه عاش بعد أبيه الزمن الطويل وحينئذ فقد سقط السؤال والجواب (قوله واذكر فى الكتاب مريم) أى قصة ولادتها لعيسى وحملها به فانها من الآيات الكبرى وتقدّم أن معنى مريم العابدة خادمة الرب (قوله القرآن) أشار بذلك إلى أن أل فى الكتاب للعهد .

(قوله إذ انتبذت) ظرف لمحذوف قدره المفسر بقوله أى خبرها وهو بدل اشتمال وليس المراد خصوص الخبر الواقع فى وقت الانتباذ بل هو ومابعده إلى آخر القصة (قوله أى اعتزلت فى مكان) أشار بذلك إلى أن مكانا منصوب على الظرفية ويصح أن يكون مفعولا به على أن معنى انتبذت أتت مكانا (قوله من الدار) أى دار زوج خالتها وهو زكريا القيم عليها ، وفى بعض النسخ أو شرق بيت المقدس أى فقوله فى الآية شرقيا يحتمل أن يكون شرقيا من دارها أو من بيت المقدس (قوله أوتغتسل من حيضها) أى لأنها كانت تتحوّل من المسجد إلى بيت خالتها إذا حاضت وتعود إليه إذا طهرت وقد حاضت قبل حملها بعيسى مرتين (قوله روحنا) سمى بذلك لأن الله أحيا به القلوب والأديان كما أن الروح به حياة الأجساد أو كناية عن محبة الله له كما يقول الانسان لمن يحبه : أنت روحى (قوله فتمثل لها) اختلف فى كيفية تمثل الملك فى غير صورته الأصلية هل تنعدم بقية أجزائه الزائدة أو تنفصل مع كونها باقية أو لاتنفصل وإنما تخفى عن الرائى وهو الذى ندين الله به لأن لهم قدرة على التشكلات بالصور الجميلة ولا تحكم عليهم (قوله بعد لبسها ثيابها) جواب عما يقال إن الملك لايدخل على امرأة مكشوفة الرأس فضلا عن كونها مكشوفة البدن فكيف أتى مريم وهى تغتسل . فأجاب المفسر بأنه إنما تمثل لها بعد أن لبست ثيابها (قوله بشرا سويا) أى بصورة شاب أمرد معتدل الخلقة لتأنس بكلامه ولعله يهيج شهوتها فتنحدر نطفتها إلى رحمها ، ولايقال إن النظر (٣/٣٢) المهيج للشهوة حرام لأن ذلك إذا كان مع اختيار وأما الميل الطبيعى فلايؤاخذ به الانسان (قوله بالرحمن) خصته بالذكر ليرحم ضعفها وعجزها عن دفعه لعدم المغيث لها من الخلق (قوله إن كنت تقيا) أى عاملا بمقتضى تقواك وإيمانك (قوله فتنتهى عنى) هو جواب الشرط وقدره فعلا مضارعا مقرونا بالفاء فهو على تقدير المبتدإ ليكون الجواب جملة اسمية حتى يسوغ اقترانه بالفاء أى فأنت تنتهى عنى

(إذ) حين (انتبذت من أهلها مكانا شرقيا) أى اعتزلت فى مكان نحو الشرق من الدار (فاتخذت من دونهم حجابا) أرسلت سترا تستتر به لتفلى رأسها أو ثيابها أو تغتسل من حيضها (فأرسلنا إليها روحنا) جبريل (فتمثل لها) بعد لبسها ثيابها (بشرا سويا) تام الخلق (قالت إنى أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا) فتنتهى عنى بتعوذى (قال إنما أنا رسول ربك ليهب لك غلاما زكيا) بالنبوة (قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر) بتزوج (ولم أك بغيا) زانية (قال) الأمر (كذلك) من خلق غلام منك من غير أب (قال ربك هو على هين) أى بأن ينفخ بأمرى جبريل فيك فتحملى به ولكون ما ذكر فى معنى العلة عطف عليه (ولنجعله آية للناس) على قدرتنا (ورحمة منا) لمن آمن به (وكان) خلقه (أمرا مقضيا) به فى علمى فنفخ جبريل فى جيب درعها

(قوله رسول ربك) أى جبريل وقولهم إن الوحى لم ينزل على امرأة قط أى رسالة وأما بغيرها فلا مانع منه (قوله ليهب لك) بالياء والهمزة قراءتان سبعيتان فعلى الأولى الاسناد لله وعلى الثانية الاسناد لجبريل لكونه سببا فيه (قوله غلاما زكيا) فيه مجاز الأول لأنه حينئذ لم يكن غلاما (قوله بتزوج) دفع به مايقال إن قولها لم يمسسنى بشر يدخل تحته ولم أك بغيا فأجاب بأن المس عبارة عن النكاح فى الحلال والزنا ليس كذلك بل يقال فجر بها وما أشبهه (قوله بغيا) لم يقل بغية لأن بغيا غالب فى النساء فأجروه إجراء حائض وطامث وعاقر أو يقال إن أصله بغويا بوزن فعول اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون قلبت الواو ياء وأدغمت فى الياء وكسرت الغين لتصح الياء وحيث كان بزنة فعول فلا تلحقه التاء كما قال ابن مالك :

ولا تلى فارقة فعولا أصلا ولا المفعال والمفعيلا

وهذا ليس استبعادا منها لقدرة الله وإنما هو تعجب من مخالفة العادة (قوله الأمر) قدره إشارة إلى أن كذلك خبر لمحذوف (قوله قال ربك) بمنزلة العلة كأنه قيل الأمر كذلك لأنه علينا هين ولنجعله الخ (قوله على قدرتنا) أى كمال قدرتنا على أنواع الخلق فانه تعالى خلق آدم من غير ذكر ولا أنثى وخلق حوّاء من ذكر بلا أنثى وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر وخلق بقية الخلق من ذكر وأنثى (قوله أمرا مقضيا) أى لا يتغير ولا يتبدّل (قوله فنفخ جبريل) أى نفخة وصلت إلى فرجها ودخلت منه جوفها ، وليس المراد أنه نفخ فى فرجها مباشرة .

درعها فأحست بالحمل فى بطنها مصوراً ﴿ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ ﴾ تنحت ﴿ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴾ بعيداً من أهلها ﴿ فَأَجَاءَهَا ﴾ جاء بها ﴿ الْمَخَاضُ ﴾ وجع الولادة ﴿ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ ﴾ لتعتمد عليه فولدت ، والحمل والتصوير والولادة فى ساعة ﴿ قَالَتْ يَا ﴾ للتنبيه ﴿ لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا ﴾ الأمر ﴿ وَكُنْتُ نِسْيًا مَنْسِيًّا ﴾ شيئاً متروكا لايعرف ولا يذكر ﴿ فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا ﴾ أى جبريل وكان أسفل منها ﴿ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴾ نهر ماء كان انقطع ﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ ﴾ كانت يابسة والباء زائدة ﴿ تَسَّاقَطْ ﴾ أصله بتاءين قلبت الثانية سيناً وأدغمت فى السين وفى قراءة تركها ﴿ عَلَيْكِ رُطَبًا ﴾ تمييز ﴿ جَنِيًّا ﴾ صفته ﴿ فَكُلِي ﴾ من الرطب ﴿ وَاشْرَبِي ﴾ من السرى ﴿ وَقَرِّي عَيْنًا ﴾ بالولد تمييز محول من الفاعل أى لتقر عينك به :

(قوله درعها) أى قميصها (قوله مكانا قصيا) أى بعيدا من أهلها وهو بيت لحم فرارا من تعيير قومها بولادتها من غير زوج (قوله فأجاءها المخاض) أى ألجأها (قوله لتعتمد عليه) أى فاعتمدت عليه وقيل حضنته وكان يابسا فاخضر وأثمر لوقته (قوله فولدت) أى ببيت لحم فخافت عليه فجاءت به إلى بيت المقدس فوضعته على صخرة فانخفضت الصخرة له وصارت كالمهد وهى الآن موجودة تزار بحرم بيت المقدس ثم بعد أيام توجهت به إلى بحر الأردن فغمسته فيه وهو اليوم الذى يتخذه النصارى عيدا ويسمونه يوم الغطاس وهم يظنون أن المياه فى ذلك اليوم تقدست فلذلك يغطسون فى كل ماء (قوله فى ساعة) هو الصحيح وقيل حملته فى ساعة وصور فى ساعة ووضعته فى ساعة، وقيل كان مدة حملها تسعة أشهر وقيل ثمانية أشهر وقيل ستة أشهر وسنها إذ ذاك عشر سنين وقيل ثلاث عشرة سنة وقيل ست عشرة سنة (قوله ليتنى مت قبل هذا) إنما تمنت الموت لئلا تقع المصيبة بمن تكلم فى شأنها بسوء وإلا فهى راضية بما بشرت به (قوله وكنت نسيا) بكسر النون وفتحها قراءتان سبعيتان وقوله منسيا تأكيد لنسيا (قوله فناداها) أى لما شق عليها الأمر وعلمت أنها تتهم ولابد لعدم وجود بينة ظاهرة تشهد لها. قيل أول من علم بها يوسف النجار وكان رفيقا لها يخدمان المسجد ولايعلم من أهل زمانهما أحد أشد عبادة واجتهادا منهما فبقى متحيرا فى أمرها ، ثم قال لها قد وقع فى نفسى من أمرك شىء وقد حرصت على كتمانه فغلبنى ذلك فرأيت أن أتكلم به أشفى صدرى فقالت قل قولا جميلاً قال أخبرينى يامريم هل ينبت زرع بغير بذر فقالت نعم ألم تعلم أن الله أنبت الشجر بالقدرة من غير بذر ولاغيث أو تقول إن الله تعالى لايقدر أن ينبت الشجرة حتى استعان بالماء ولولا ذلك لم يقدر على إنباتها قال يوسف لا أقول هذا ولكنى أقول إن الله يقدر على مايشاء يقول له كن فيكون قالت مريم ألم تعلم أن الله تعالى خلق آدم وامرأته من غير ذكر ولا أنثى فعند ذلك زال ما فى نفسه من التهمة وكان ينوب عنها فى خدمة المسجد مدة نفاسها (قوله من تحتها) بفتح الميم وكسرها قراءتان سبعيتان فعلى الأولى الفاعل هو الموصول وتحتها صلته وعلى الثانية الفاعل ضمير مستتر والجار والمجرور متعلق بنادى (قوله أى جبريل) تفسير لمن على الفتح وللضمير المستتر فى نادى على الكسر وقيل المنادى لها عيسى ومعنى كونه تحتها أسفل ثيابها وحينئذ فيكون قوله أن لاتحزنى إلى قوله فلن أكلم اليوم إنسيا أول كلام عيسى (قوله وكان أسفل منها) أى كان جبريل فى مكان أسفل من مريم (قوله أن لاتحزنى) يحتمل أن تكون أن مفسرة وقد وجد شرطها وهو تقدم ماهو بمعنى القول ولا ناهية وحذفت النون للجازم أو ناصبة ولا نافية وحذفت النون للناصب (قوله نهرماء) أى وجمعه سريان كرغيف ورغفان ويطلق السرى على الشريف الرئيس وأصله سريو اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون قلبت الواو ياء وأدغمت فى الياء كسيد ويكون المراد به عيسى ومامشى عليه المفسر أظهر لمناسبة قوله فكلى واشربى (قوله كان انقطع) أى ثم جرى وامتلأ ماء ببركة عيسى وأمه (قوله والباء زائدة) أى ويصح أن تكون أصلية والمفعول محذوف والجار والمجرور متعلق بمحذوف صفة لرطبا والتقدير وهزى إليك رطبا كائنا بجذع النخلة (قوله وفى قراءة بتركها) أى التاء مع تخفيف السين وفتح القاف وبقى قراءة سبعية أيضا وهى ضم التاء مع كسر القاف بمعنى تسقط فرطبا مفعول به (قوله تمييز) أى على القراءتين اللتين ذكرهما المفسر لا على الثالثة (قوله جنيا) أى تاما نضجه صالحا للاجتناء (قوله وقرى عينا) العامة على فتح القاف من قر يقر بكسر العين فى الماضى وفتحها فى المضارع من باب تعب وقرىء شذوذا بكسر القاف وهى لغة نجد بفتح العين فى الماضى وكسرها فى المضارع من باب ضرب .

(قوله أى تسكن) أى فهو من القرار بمعنى عدم الحركة ويصح أن يكون من القر وهو البرد لأن العين إذا فرح صاحبها كان دمعها باردا وإذا حزن كان دمعها حارا كأنه قال اتركى الحزن وافرحى بما أعطاك ربك (قوله حذفت منه لام الفعل) أى وأصله ترأيين بهمزة هى عين الكلمة وياء مكسورة هى لامها وأخرى ساكنة هى ياء الضمير والنون علامة الرفع نقلت حركة الهمزة إلى الراء فسقطت الهمزة فتحركت الياء وانفتح ماقبلها قلبت ألفا فالتقى ساكنان حذفت لالتقائهما ثم أكد بالنون وحرك بالكسر ففيه ست إعمالات نقل الحركة وسقوط الهمزة وقلب الياء ألفا وحذفها وتأكيده بالنون وتحريكه بالكسر وإن نظرت لحذف نون الرفع للجازم كانت سبعة أفاد المفسر منها خمسا ولم يرتبها كما يعلم بالتأمل (قوله فيسألك عن ولدك) جواب عما يقال إن قولها فلن أكلم اليوم إنسيا كلام فقد حصل التناقض . فأجاب بأن المراد إذا رأيت أحدا من البشر وسألك عن أمرك فقولى الخ ويكون انشاء النذر من حين قولها للسائل تلك المقالة (قوله صوما) قيل كان فى بنى إسرائيل من أراد أن يجتهد صام عن الكلام كما يصوم عن الطعام فلا يتكلم حتى يمسى وفى هذا دلالة على ترك مجادلة السفهاء والتكلم معهم فإنه أغيظ لهم (قوله مع الأناسى) أى لامع الله كالذكر ولامع الملائكة لما ورد أنها كانت تكلم الملائكة ولاتكلم الانس والأناسى بفتح الهمزة جمع إنسى أو إنسان وأصله على هذا أناسين قلبت النون ياء وأدغمت فى الياء (قوله

(٣٤)

أى تسكن فلا تطمح إلى غيره (فَإِمَّا) فيه إدغام نون إن الشرطية فى ما الزائدة (تَرَيِنَّ) حذفت منه لام الفعل وعينه وألقيت حركتها على الراء وكسرت ياء الضمير لالتقاء الساكنين (مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً) فيسألك عن ولدك (فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْماً) أى إمساكا عن الكلام فى شأنه وغيره من الأناسى بدليل (فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا) أى بعد ذلك (فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ) حال فرأوه (قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيًّا) عظيما حيث أتيت بولد من غير أب (يَا أُخْتَ هَارُونَ) هو رجل صالح أى يا شبيهته فى العفة (مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ) أى زانيا (وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا) زانية فمن أين لك هذا الولد ؟ (فَأَشَارَتْ) لهم (إِلَيْهِ)أن كلموه (قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ) أى وجد (فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا . قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ) أى الإنجيل (وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَمَا كُنْتُ)أى نفاعا للناس إخبار بما كتب له (وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ) أمرنى بهما (مَا دُمْتُ حَيًّا . وَبَرًّا بِوَالِدَتِي) منصوب بجعلنى مقدراً (وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً) متعاظماً (شَقِيًّا) عاصياً لربه ،

أى بعد ذلك) أى بعد قولها إنى نذرت للرحمن صوما (قوله فأتت به) أى فى يوم وضعه وقيل بعد أربعين يوما لما طهرت من نفاسها (قوله فرأوه) أى أبصروه (قوله قالوا) أى أهلها وكانوا أهل بيت صالحين بمصدوق قوله تعالى - إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض - (قوله لقد جئت) أى فعلت وأتيت (قوله فريا) من فريت الجلد قطعته أى شيئا قاطعا وخارقا للعادة ومقطعا للعرض له (قوله هو رجل صالح) أى فى بنى إسرائيل (والسلام) شبهت به فى عفتها وصلاحها . قيل إنه تبع جنازته يوم مات أربعون ألفا من بنى إسرائيل كلهم يسمون هرون سوى سائر الناس (قوله ما كان أبوك) أى عمران وقوله وما كانت أمك أى حنة (قوله فأشارت إليه) أى وحينئذ غضب القوم وقالوا أتسخرين بنا ثم قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا (قوله وجد) أشار المفسر الى أن كان تامة وحينئذ فصبيا حال ويصح أن تكون ناقصة وصبيا خبرها (قوله فى المهد) قيل المراد به حجرها وقيل هو المهد بعينه ، ورد أنه لما أشارت إليه ترك الرضاع واتكأ على يساره وأقبل عليهم وجعل يشير بيمينه وقال إنى عبد الله الخ (قوله عبد الله) وصف نفسه بذلك لئلا يتخذ إلها وكل هذه الأوصاف تقتضى براءة أمه لأن هذه أوصاف الكاملين المطهرين من الأرجاس (قوله وجعلنى نبيا) أى فى الحال وقيل المراد سيجعلنى بعد الأربعين قولان للعلماء والله أعلم بحقيقة الحال(قوله أى نفاعا للناس)أى لأنه كان يبرئ الأكمه والأبرص ويحيى الموتى ويهدى من ضل (قوله إخبار بما كتب له) أى فالماضى بمعنى المستقبل وقيل على حقيقته (قوله أمرنى بهما) أى بفعلهما (قوله وبرا) العامة على فتح الباء وقرئ بكسرها إما على حذف مضاف أى ذابر أو مبالغة (قوله متعاظما) أى بل جعلنى متواضعا ومن تواضعه أنه كان يأكل ورق الشجر ويجلس على التراب ولم يتخذ له مسكنا .

(قوله والسلام) آل فيه للعهد أى السلام الحاصل ليحيى حاصل لى فلا يقال إن يحيى سلم عليه ربه وعيسى سلم على نفسه بل هو حاك السلام عن الله (قوله ويوم أبعث حيا) هذا آخر كلامه، ثم سكت بعد ذلك فلم يتكلم حتى بلغ المدة التى يتكلم فيها الأطفال (قوله قال تعالى) أشار بذلك إلى أن هذا من كلام الله تعالى وأما كلام عيسى فقد انتهى الى قوله حيا (قوله ذلك) أى المذكور بتلك الأوصاف واسم الأشارة مبتدأ وعيسى خبره وابن مريم صفته وقول الحق خبر مبتدإ محذوف أى قول ابن مريم قول الحق وهو من اضافة الموصوف للصفة: أى القول الحق، والمعنى أن الموصوف بما ذكر من الأوصاف هو عيسى ابن مريم وقوله القول الحق أى الصدق المطابق للواقع (قوله وبالنصب) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله بتقدير قلت) أى فهو مصدر مؤكد لعامله (قوله والمعنى) أى على كل من القراءتين فعلى الرفع يكون المعنى قول عيسى القول الحق وعلى النصب يكون المعنى قلت حاكيا عن عيسى القول الحق والقائل ذلك هو الله تعالى (قوله الذى فيه يمترون) خبر لمحذوف أى هو عيسى الذى فيه يترددون ويتحيرون (قوله قالوا إن عيسى ابن الله) أى وقالوا غير هذه المقالة كما يأتى فى قوله فاختلف الأحزاب من بينهم، وإنما اقتصر على هذه هنا لأنها التى يتضح إبطالها بقوله ما كان لله الخ (قوله ما كان لله) أى لايمكن ولا يتأتى لأنه مستحيل لا تتعلق به القدرة (قوله أن يتخذ من ولد) أن وما دخلت عليه فى تأويل مصدر اسم كان، والمعنى ما كان اتخاذ الولد من صفته بل هو (٣٥) محال قال تعالى ـ تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا ـ (قوله عن ذلك) أى اتخاذ الولد (قوله إذا قضى أمرا) هذا كالدليل لما قبله كأنه قال إن اتخاذ الولد والسعى فى أسبابه شأن العاجز الضعيف المحتاج الذى لايقدر على شئ وأما القادر الغنى الذى يقول للشئ كن فيكون فلا يحتاج فى اتخاذ الولد إلى إحبال الأنثى وحيث أوجده بقول كن لايسمى ابنا له بل هو عبده ومخلوقه فهو تبكيت وإلزام لهم بالحجج الباهرة (قوله بتقدير أن) أى بعد فاء السببية الواقعة بعد الأمر (قوله وإن الله ربى وربكم) هذا من كلام عيسى سواء قرئ بكسر إن أوفتحها فهو من تعلقات قوله وأوصانى بالصلاة والزكاة الخ (قوله بتقدير اذكر) أى اذكر ياعيسى أن الله الخ (قوله بتقدير قل) أى وإن تكسر بعد القول (قوله هذا صراط مستقيم) من كلام عيسى أيضا (قوله المذكور) يعنى القول بالتوحيد ونفى الولد (قوله فاختلف الأحزاب) أى أن النصارى تحزبوا وتفرقوا فى شأن عيسى بعد رفعه إلى السماء أربع فرق اليعقوبية والنسطورية والملكانية والاسلامية، لما روى أنه اجتمع بنو إسرائيل فأخرجوا منهم أربعة نفر من كل قوم عالمهم فامتروا فى شأن عيسى حين رفع فقال أحدهم هو الله هبط إلى الأرض فأحيا من أحيا وأمات من أمات ثم صعد إلى السماء وهم اليعقوبية فقالت الثلاثة كذبت ثم قال اثنان منهم للثالث قل فيه قال هو ابن الله وهم النسطورية فقال الاثنان كذبت ثم قال أحد الاثنين للآخر قل فيه فقال هو ثالث ثلاثة الله إله وهو إله وأمه إله وهم الملكانية فقال الرابع كذبت بل هو عبدالله ورسوله وكلمته وهم المسلمون وكان لكل رجل منهم أتباع على ماقال فاقتتلوا وظهروا على المسلمين وكفر الفرقة الأخيرة بعدم اتباعهم لنبينا صلى الله عليه وسلم من حين البعث وأما الذين اتبعوه منهم فهم الذين يعطون أجرهم مرتين كالنجاشى وأتباعه وهم الذين قال تعالى فيهم ـ ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الآيات ـ .

(وَالسَّلَامُ) من الله (عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا) يقال فيه ما تقدم فى السيد يحيى. قال تعالى (ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلُ الْحَقِّ) بالرفع خبر مبتدإ مقدر أى قول ابن مريم وبالنصب بتقدير قلت، والمعنى القول الحق (الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ) من المرية أى يشكون وهم النصارى قالوا إن عيسى ابن الله، كذبوا (مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ) تنزيها له عن ذلك (إِذَا قَضَى أَمْرًا) أى أراد أن يحدثه (فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) بالرفع بتقدير هو وبالنصب بتقدير أن، ومن ذلك خلق عيسى من غير أب (وَأَنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ) بفتح أن بتقدير اذكر وبكسرها بتقدير قل بدليل: ماقلت لهم إلا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم (هَٰذَا) المذكور (صِرَاطٌ) طريق (مُسْتَقِيمٌ) مؤد إلى الجنة (فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ) أى النصارى فى عيسى أهو ابن الله أو إله معه أو ثالث ثلاثة (فَوَيْلٌ).

(قوله فشدة عذاب) وقيل المراد بالويل واد فى جهنم يأكل الحجارة والحديد قوتهم فيه الجيف (قوله من مشهد يوم عظيم) يطلق المشهد على الشهادة وعلى الحضور وهو المراد هنا وسمى بذلك لشهادة الأعضاء عليهم بما كسبوا قال تعالى - يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون - (قوله أسمع بهم وأبصر) هو فعل ماض جاء على صورة الأمر ومعناه التعجب ، و إعرابه أسمع فعل ماض للتعجب والباء زائدة والضمير فاعله وأبصر مثله وحذف بهم من الثانى لدلالة الأول عليه ، وليس المراد التعجب من المتكلم وهو الله لاستحالته عليه بل المراد التعجيب وهو حمل المخاطب على التعجب أى اعجبوا ياعبادى من شدة سمعهم و بصرهم فى ذلك اليوم (قوله من إقامة الظاهر مقام المضمر) أى إشارة إلى أن من اتصف بصفاتهم يسمى ظالما (قوله فى ضلال) أى خطأ وعدم اهتداء للحق (قوله به صموا) أى بسبب الضلال حصل لهم الصمم الخ فى الدنيا فالعجب منهم فى الحالتين شدة الاسماع والابصار فى الآخرة وضدها فى الدنيا (قوله هو يوم القيامة) أى وله أسماء كثيرة منها يوم الدين ويوم الجزاء و يوم الحساب والحاقة والقارعة واليوم الموعود وغير ذلك (قوله يتحسر فيه المسىء الخ) أى والمحسن على ترك الزيادة فى الاحسان كما فى الحديث (قوله إذ قضى الأمر) أى أحكم وأمضى ، وذلك أنه ورد «إذا استقر أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار يؤتى بالموت فى صورة كبش فيذبح بين الجنة والنار ، وينادى المنادى يا أهل الجنة خلود بلاموت و يا أهل النار خلود بلا موت فعند ذلك يزداد أهل النار حسرة على حسرتهم وأهل الجنة فرحا على فرحهم» (قوله وهم فى غفلة) الجملة حالية

فشدة عذاب (لِلَّذِينَ كَفَرُوا) بما ذكر وغيره (مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ) أى حضور يوم القيامة وأهواله (أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ) بهم صيغتا تعجب بمعنى ما أسمعهم وما أبصرهم (يَوْمَ يَأْتُونَنَا) فى الآخرة (لَٰكِنِ الظَّالِمُونَ) من إقامة الظاهر مقام المضمر (الْيَوْمَ) أى فى الدنيا (فِى ضَلَالٍ مُبِينٍ) أى بين به صموا عن سماع الحق وعموا عن إبصاره أى اعجب منهم يامخاطب فى سمعهم وإبصارهم فى الآخرة بعد أن كانوا فى الدنيا صما عميا (وَأَنْذِرْهُمْ) خوف يامحمد كفار مكة (يَوْمَ الْحَسْرَةِ) هو يوم القيامة يتحسر فيه المسىء على ترك الاحسان فى الدنيا (إِذْ قُضِىَ الْأَمْرُ) لهم فيه بالعذاب (وَهُمْ) فى الدنيا (فِى غَفْلَةٍ) عنه (وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) به (إِنَّا نَحْنُ) تأكيد (نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا) من العقلاء وغيرهم باهلاكهم (وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ) فيه للجزاء (وَاذْكُرْ) لهم (فِى الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ) أى خبره (إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا) مبالغا فى الصدق (نَبِيًّا) ويبدل من خبره (إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ) آزر (يَا أَبَتِ) التاء عوض عن ياء الإضافة

وكذا قوله وهم لايؤمنون وهذا الانذار لكل مكلف وإنما خصه المفسر بأهل مكة لأنهم سبب نزولها والعبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب (قوله باهلاكهم) أى فلا يبقى حى سوى الله تعالى لما ورد «إن الله تعالى ينادى بعد انقراض الدنيا بأهلها لمن الملك اليوم ؟ فيجيب نفسه بقوله : لله الواحد القهار » (قوله و إلينا يرجعون) أى يردون فيجازى كل أحد بما قدمه من خير وشر ولا

(قوله واذكر فى الكتاب إبراهيم) يحتمل أنه معطوف على قوله وأنذرهم يوم الحسرة ، والمعنى واذكر لأهل مكة قصة إبراهيم لعلهم يعتبرون فيؤمنوا و يحتمل أنه معطوف على قوله واذكر فى الكتاب مريم عطف قصة على قصة وهو الأقرب (قوله مبالغا فى الصدق) أى فى أقواله وأفعاله وأحواله (قوله نبيا) وصف خاص لأن كل نبى صديق ولا عكس و بين الولاية والصديقية عموم وخصوص مطلق أيضا فكل صديق ولى ولاعكس لأن الصديقية مرتبة تحت مرتبة النبوة (قوله و يبدل منه) أى بدل اشتمال وحينئذ فقوله إنه كان صديقا نبيا معترض بين البدل والمبدل منه (قوله لأبيه) قيل حقيقة وهو ما مشى عليه السيوطى فى سورة الأنعام تبعا للمفسر هنا ولا يضر كفر أصول الأنبياء فان الله يخرج الحى من الميت ولا ينافيه قوله صلى الله عليه وسلم « مازلت أتنقل من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الفاخرة » لأن المعنى الطاهرة من سفاح الجاهلية و إن كانوا كفارا أو يقال إن آزر لم يتحقق كفره إلا بعد بعثة إبراهيم وحينئذ فقد انتقل منه النور المحمدى إلى ولده ، وهو فى حالة الفترة وقيل هو عمه واسم أبيه تارخ وسمى أبا على عادة الأكابر من تسمية العم أبا وعليه فلا يرد الحديث المتقدم وهما قولان للمفسرين (قوله التاء عوض عن ياء الاضافة) أى فأصله أبى فيقال فى إعرابه يا حرف نداء وأب منادى منصوب بفتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المناسبة والتاء عوض عن الياء .

(قوله ولا يجمع بينهما) أى فلا يقال يا أبتى لأن فيه الجمع بين العوض والمعوض ويقال يا أبتا لأن الألف فيه عوض عن الياء أيضا ففيه جمع بين عوضين (قوله لم تعبد مالا يسمع) أى لأى سبب تعبد مالا سمع فيه ولا بصر (قوله أو ضر) أى أو دفع ضر (قوله من العلم) أى العلم بالتوحيد والشرع (قوله فاتبعنى) أى امتثل أمرى فيما آمرك به (قوله مستقيما) أى لا اعوجاج فيه (قوله بطاعتك إياه) أى فالمراد بعبادته امتثال أمره فى عبادة الأصنام حيث حسنها له بوسوسته (قوله عصيا) أى وطاعة العاصى عصيان (قوله إنى أخاف أن يمسك عذاب) أى فى المستقبل إن لم ترجع وإنما عبر بالخوف لأنه لم يكن قاطعا بموته على الكفر بل كان مترجيا إيمانه ، وقيل المراد بالخوف العلم والأقرب الأول لأنه لو علم عدم هدايته ما خاطبه بهذا الخطاب اللطيف (قوله ناصرا وقرينا) المناسب الاقتصار على تفسيره بالقرين لأنه بعد الدخول فى العذاب لايتأتى معاونة ولا مناصرة (قوله أراغب) مبتدأ وأنت فاعل سد مسد الخبر وسوّغه اعتماده على الاستفهام وهو أولى من جعله خبرا مقدما وأنت مبتدأ مؤخرا لأنه يلزم عليه الفصل بين العامل وهو أراغب والمعمول وهو عن آلهتى بأجنبى وهو

أنت لأن المبتدأ غير معمول للخبر (قوله لئن لم تنته الخ) قابل التعطف واللطافة فى الخطاب بالفظاظة والغلظة فناداه باسمه وصدر كلامه بالانكار وهدده بقوله لئن تنته لأرجمنك .

وكل إناء بالذى فيه ينضح

(قوله بالحجارة) أى حتى تموت أو تخلى سبيلى (قوله أو بالكلام القبيح) أى الشتم والذم (قوله فاحذرنى) قدره إشارة إلى أن قوله واهجرنى معطوف على محذوف ليحصل التناسب بين المعطوف والمعطوف عليه فان جملة اهجرنى إنشائية

ولا يجمع بينهما وكان يعبد الأصنام (لِمَ تَعْبُدُ مَالاَ يَسْمَعُ وَلاَ يُبْصِرُ وَلاَ يُغْنِى عَنْكَ) لايكفيك (شَيْئًا) من نفع أو ضر (يَا أَبَتِ إِنِّى قَدْ جَاءَنِى مِنَ الْعِلْمِ مَالَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِى أَهْدِكَ صِرَاطًا) طريقا (سَوِيًّا) مستقيما (يَا أَبَتِ لاَتَعْبُدِ الشَّيْطَانَ) بطاعتك إياه فى عبادة الأصنام (إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا) كثير العصيان (يَا أَبَتِ إِنِّى أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ) إن لم تتب (فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا) ناصراً وقرينا فى النار (قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِى يَا إِبْرَاهِيمُ) فتعيبها (لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ) عن التعرض لها (لَأَرْجُمَنَّكَ) بالحجارة أو بالكلام القبيح فاحذرنى (وَاهْجُرْنِى مَلِيًّا) دهراً طويلا (قَالَ سَلاَمٌ عَلَيْكَ) منى أى لا أصيبك بمكروه (سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّى إِنَّهُ كَانَ بِى حَفِيًّا) من حفى أى بارا فيجيب دعائى وقد وفى بوعده المذكور فى الشعراء : واغفر لأبى ، وهذا قبل أن يتبين له أنه عدو لله كما ذكره فى براءة (وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ) تعبدون (مِنْ دُونِ اللهِ وَأَدْعُو) أعبد (رَبِّى عَسَى أ)ن (لاَأَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّى) بعبادته (شَقِيًّا) كما شقيتم بعبادة الأصنام (فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ) بأن ذهب إلى الأرض المقدسة (وَوَهَبْنَا لَهُ) ابنين يأنس بهما (إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلاًّ) منهما (جَعَلْنَا نَبِيًّا وَوَهَبْنَا لَهُمْ) للثلاثة (مِنْ رَحْمَتِنَا) المال والولد (وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا) رفيعا هو الثناء الحسن ،

وجملة لئن لم تنته الخ خبرية ولا يصح عطف الانشاء على الخبر (قوله مليا) إما منصوب على الظرفية و إليه يشير المفسر بقوله دهرا طويلا أو على الحال من فاعل اهجرنى أى اعتزلنى سالما لايصيبك منى مضرة (قوله أى لاأصيبك بمكروه) أى فهو سلام متاركة ومقاطعة (قوله سأستغفر لك ربى) أى أطلب غفرانه لك المترتب على هدايتك و إسلامك (قوله حفيا) أى مبالغا فى إكرامى واللطف بى والاعتناء بشأنى ويطلق الحفى على المستقصى فى السؤال ومنه قوله تعالى - كأنك حفى عنها - (قوله وهذا قبل أن يتبين له أنه عدو لله) هذا جواب عما يقال كيف يجوز الاستغفار للكفار . فأجاب بأنه استغفر له قبل علمه أنه عدو لله فلما علم ذلك تبرأ منه ، و بهذا تعلم أنه يجوز الدعاء بالمغفرة للكافر إن قصد بها هدايته و إسلامه ، فإن قطع بكفره فلا يجوز (قوله وأعتزلكم) أى أرتحل من أرضكم و بلادكم وقد فعل ذلك (قوله بأن ذهب) أى من بابل العراق إلى الأرض المقدسة (قوله يأنس بهما) استفيد منه أنه رأى يعقوب وهو كذلك لما تقدم أنه بشر باسحق ومن وراء إسحق يعقوب وقد عاش إبراهيم مائة وخمسا وسبعين سنة و بينه و بين آدم ألفا سنة و بينه و بين نوح ألف سنة (قوله إسحق و يعقوب) خصهما لأنه سيذكر إسمعيل بمزايا تخصه (قوله للثلاثة) أى إبراهيم وولديه (قوله المال والولد) أى فبسط لهم الدنيا ووسع لهم الأرزاق

وأكثر لهم الأولاد فجميع الأنبياء الذين جاءوا بعده من ذريته (قوله فى جميع أهل الأديان) أى كل أهل دين يترضون عن إبراهيم وإسحق ويعقوب ويذكرونهم بخير إلى يوم القيامة (قوله واذكر فى الكتاب موسى) معطوف على قوله واذكر فى الكتاب مريم عطف قصة على قصة . والحاصل أن الله تعالى ذكر فى هذه السور أسماء عشرة من الأنبياء زكريا ويحيى وعيسى وإبراهيم وإسحق ويعقوب وإسمعيل وموسى وهرون وإدريس ، وذكر لكل أوصافا ومناقب يجب الإيمان بها تنبيها على عظيم شأنها وتعليما للأمة المحمدية ليقتدوا بهم ، وكذا يقال فى جميع قصص الأنبياء المذكورة فى القرآن (قوله بكسر اللام وفتحها) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله من أخلص فى عبادته) أى لم يلتفت لغير مولاه وهذا راجع لقراءة الكسر (قوله وأخلصه الله) أى صفاه ونقاه وهو راجع لقراءة الفتح فيكون لفا ونشرا مرتبا ، فموسى عليه السلام صفاه مولاه واختاره لخدمته ومحبته فتسبب عن ذلك إخلاصه فى عبادته (قوله وكان رسولا نبيا) أى ثبت واستقر أزلا فى علمنا نبوته ورسالته وإلا فرسالته الخارج حين المناداة (قوله بقول ياموسى) أى فى سورة القصص فى قوله تعالى ـ فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله ـ الآيات (قوله اسم جبل) هو معروف بين مدين ومصر (قوله الذى يلى يمين موسى) هذا صريح فى أن المراد به الطور الذى عند بيت المقدس لا الطور الذى عند السويس لأنه على يسار المتوجه من مدين إلى مصر كما هو مشاهد والأيمن صفة للجانب بدليل تبعيته له فى الاعراب فى قوله تعالى ـ وواعدناكم جانب الطور الأيمن ـ والمعنى أنه سمع النداء فى ذلك المكان بجميع أجزائه من كل جهة (قوله وقربناه) أى تقريب شرف ومكانة لا مكان (قوله من كل جهة) أى بكل جارحة (قوله بدل أو عطف بيان) أى وأخاه مفعول به وقوله من رحمتنا أى من أجل رحمتنا (قوله هى المقصودة بالهبة) جواب عما يقال ما معنى هبته له مع كونه أسن منه والموهوب يكون متأخرا عن الموهوب له . فأجاب بأن المراد جعله نبيا يعينه

(٣٨)

فى جميع أهل الأديان (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا) بكسر اللام وفتحها من أخلص فى عبادته وأخلصه الله من الدنس (وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا . وَنَادَيْنَاهُ) بقول : يا موسى إنى أنا الله (مِنْ جَانِبِ الطُّورِ) اسم جبل (الْأَيْمَنِ) أى الذى يلى يمين موسى حين أقبل من مدين (وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا) مناجيا بأن أسمعه الله تعالى كلامه (وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا) نعمتنا (أَخَاهُ هَارُونَ) بدل أو عطف بيان (نَبِيًّا) حال هى المقصودة بالهبة إجابة لسؤاله أن يرسل أخاه معه ، وكان أسن منه (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ) لم يعد شيئا إلا وفى به وانتظر من وعده ثلاثة أيام أو حولا حتى رجع إليه فى مكانه (وَكَانَ رَسُولًا) إلى جرهم (نَبِيًّا وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ) أى قومه (بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا) أصله مرضوو قلبت الواوان ياءين والضمة كسرة (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ) ،

هو ويشد عضده (قوله إجابة لسؤاله) تعليل لقوله وهبنا حيث قال ـ واجعل لى وزيرا من أهلى ـ (قوله وكان أسن منه) أى بسنة وقيل بأربع سنين (قوله إسمعيل) أى ابن إبراهيم وكان من هاجر جارية سارة التى وهبتها له فلما ولدت له اسمعيل نقلها إلى الحجاز قبل بناء البيت ، فتربى إسمعيل بين جرهم عرب من اليمن فزوجوه منهم ، فلما كبر أرسله الله إليهم كما قال المفسر ثم تناسلت منه العرب الذين منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكفاه بهذا فخرا ، ولما كان أعظم مزية من أولاد إبراهيم أفرده بالذكر والثناء (قوله صادق الوعد) خص بهذا الوصف وإن كان موجودا فى غيره من الأنبياء لأنه المشهور بين خصاله (قوله وانتظر من وعده) أى شخصا وعده إسماعيل وكان عليه إبراز الضمير لأن الصلة جرت على غير من هى له ، والمعنى أن إسماعيل وعد شخصا أن ينتظره فى مكان ليذهب الرجل ويأتى له فمكث ثلاثة أيام أو حولا (قوله وكان رسولا) أى بشريعة أبيه (قوله قلبت الواوان الخ) أى فوقعت الواو الثانية متطرفة قلبت ياء فاجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون قلبت الواو ياء وأدغمت فى الياء ، وهذا الوصف جامع لكل خير لأن من كانت أفعاله مرضية لربه لا يصدر عنه إلا كل بر وإحسان ولا شك أن الأنبياء كذلك لأن الله أعلم حيث يجعل رسالته (قوله إدريس) هذا لقبه واسمه أخنوخ بن شيث بن آدم ، ولقب بذلك لأنه أول من درس الكتب ، لأن الله أنزل عليه ثلاثين صحيفة قيل هى التى نزلت على أبيه وقيل غيرها ، وهو أول من خط بالقلم وخاط الثياب واتخذ السلاح وقاتل الكفار ونظر فى علم النجوم والحساب

(قوله هو جد أبي نوح) لأن نوحا بن لمك بفتح اللام وسكون الميم ابن متوشلخ بن إدريس (قوله ورفعناه مكانا عليا) اختلف المفسرون فى المكان العلىّ ، فقيل المراد به المكان المعنوى وهو الرفعة وعلوّ المنزلة ، وقيل المراد به المكان الحسى ، وعليه فقيل هو السماء الرابعة ، وقيل الجنة . واختلفوا فى سبب رفعه ، فقيل إنه كان يرفع لإدريس كل يوم من العبادة مثل ما يرفع لجميع أهل الأرض فى زمانه فعجب منه الملائكة واشتاق إليه ملك الموت فاستأذن ربه فى زيارته فأذن له فأتاه فى صورة بنى آدم وكان إدريس يصوم الدهر فلما كان وقت إفطاره دعاه إلى طعامه فأبى أن يأكل معه ففعل ثلاث ليال فأنكره إدريس وقال له فى الليلة الثالثة إنى أريد أن أعلم من أنت ؟ قال أنا ملك الموت استأذنت ربى أن أصحبك فقال إدريس لى إليك حاجة قال ماهى ؟ قال تقبض روحى ، فأوحى الله إليه أن اقبض روحه فقبضها وردّها إليه فى ساعة ، فقال له ملك الموت ما الفائدة فى سؤالك قبض الروح ؟ قال لأذوق الموت وغمته فأكون أشدّ استعدادا ، ثم قال له إدريس إن لى إليك حاجة قال وماهى ؟ قال ترفعنى إلى السماء لأنظر إليها وإلى الجنة والنار فأذن الله له فرفعه فلما قرب من النار قال لى إليك حاجة قال وما تريد ؟ قال تسأل مالكا حتى يفتح أبوابها ففعل ، فقال له كما أريتنى النار فأرنى الجنة فذهب به إلى الجنة فاستفتح ففتح أبوابها فأدخله الجنة ثم قال له ملك الموت اخرج لتعود إلى مقرّك فتعلق بشجرة وقال ما أخرج منها فبعث الله ملكا حكما بينهما فقال له الملك مالك لاتخرج قال لأن الله تعالى قال : كل نفس ذائقة الموت وقد ذقته وقال : وإن منكم إلا واردها وقد وردتها وقال : وماهم منها بمخرجين ولست أخرج ، فأوحى الله إلى ملك الموت بإذنى دخل الجنة وبأمرى لايخرج منها فهو حىّ

هو جد أبى نوح (إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا . وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا) هو حى فى السماء الرابعة أو السادسة أو السابعة أو فى الجنة أدخلها بعد أن أذيق الموت وأحيى ولم يخرج منها (أُولَٰئِكَ) مبتدأ (الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ) صفة له (مِنَ النَّبِيِّينَ) بيان له وهو فى معنى الصفة وما بعده إلى جملة الشرط صفة للنبيين ، فقوله (مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ) أى إدريس (وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ) فى السفينة أى إبراهيم ابن ابنه سام (وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ) أى إسمعيل وإسحق ويعقوب (وَ) من ذرية (إِسْرَائِيلَ) وهو يعقوب ، أى موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى ،

هناك . وقيل سببه أنه نام ذات يوم فاشتدّ عليه حرّ الشمس فقال اللهم خفف عن ملك الشمس وأعنه فانه يمارس نارا حامية فأصبح ملك الشمس وقد نصب له كرسى من نور عنده سبعون ألف ملك عن يمينه ومثلها عن يساره يخدمونه ويتولون عمله من تحت حكمه فقال ملك الشمس يارب من أين لى هذا ؟ قال دعا لك رجل من بنى آدم يقال له إدريس فقال يارب اجعل بينى وبينه خلة فأذن له فى ذلك فصار يتردّد على إدريس ، فقال له إنك أكرم الملائكة عند ملك الموت فاشفع لى عنده ليؤخر أجلى فأزداد عبادة وشكرا ، فقال الملك لايؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها ، فرفعه فى مكانه ثم أتى ملك الموت فقال له لى صديق من بنى آدم يتشفع بى إليك لتؤخر أجله فقال ليس ذلك إلىّ ولكن إن أحببت أعلمته متى يموت فيقدم لنفسه ، قال نعم فنظر فى ديوانه فقال إنك كلمتنى فى إنسان يموت الساعة عند مطلع الشمس قال إنى أتيتك وتركته هناك فانطلق فوجده قد مات ثم أحياه الله فهو يرفع فى الجنة تارة ويعبد الله مع الملائكة فى السماء الرابعة تارة أخرى . قال العلماء : أربعة من الأنبياء أحياء اثنان فى الأرض وهما الخضر وإلياس واثنان فى السماء وهما عيسى وإدريس (قوله أولئك) اسم الاشارة عائد على الأنبياء المذكورين فى هذه السورة وهم عشرة أوّلهم زكريا وآخرهم إدريس كما تقدم (قوله صفة له) أى لاسم الاشارة أى أولئك الموصوفون بانعام الله عليهم ، وذلك أن الله لما وصف كلا من الأنبياء بأوصاف تخصه أوّلا ذكر ثانيا لهم صفة تعمهم (قوله بيان لهم) أى للمنعم عليهم (قوله أى إدريس) تفسير للذرية أى إن إدريس من ذرّية آدم لأنه تقدم أنه ابن شيث بن آدم (قوله وممن حملنا) أى ومن ذرية من حملنا (قوله أى إبراهيم) تفسير لبعض ذرية من حمل مع نوح لأن من حمل معه أولاده الثلاثة وإبراهيم من ذرية أحدهم وهو سام لكن بوسائط فان بين إبراهيم ونوح عشرة قرون (قوله وعيسى) أى فأولاد البنات من الذرية . والحاصل أن من ذرية آدم لصلبه إدريس ومن ذرّية نوح بوسائط إبراهيم ومن ذريته إسماعيل وإسحق ويعقوب ومن ذرية يعقوب موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى .

(قوله وممن هدينا) عطف على من ذرية آدم زيادة فى تمجيدهم (قوله خرّوا سجدا وبكيا) أى أن الأنبياء إذا سمعوا آيات الله التى خصهم بها من الكتب المنزلة عليهم سجدوا وبكوا خضوعا وخشوعا (قوله وباك) أى على غير قياس وقياسه بكاة كقاض وقضاة (قوله فكونوا مثلهم) أى فى السجود والخشوع والخضوع والبكاء عند تلاوة القرآن كما فى الحديث « اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا » (قوله فخلف من بعدهم) أى وجد من بعد النبيين (قوله خلف) هو بالسكون فى الشر وبالفتح فى الخير يقال خلف سوء وخلف صدق (قوله هو واد فى جهنم) أى تستعيذ من حرّه أوديتها (قوله إلا من تاب) قدّر المفسر لكن إشارة إلى أن الاستثناء منقطع لأن المستثنى المؤمنون والمستثنى منه الكفار (قوله بدل من الجنة) قال بعضهم إنه بدل كل من بعض لأن الجنة بعض الجنات . ورد بأن أل فى الجنة جنسية فهو بدل كل من كل (قوله أى غائبين عنها) أى غير مشاهدين لها لأن الوعد حاصل فى الدنيا ومن فيها لايشاهد الجنة (قوله أى موعوده) أى الذى وعد به من الجنة وغيرها (قوله بمعنى آتيا) أى فاسم المفعول بمعنى اسم الفاعل (قوله أوموعوده الخ) أشار لتفسير آخر وعليه فاسم المفعول باق على ماهو عليه وحينئذ فيكون المراد بالموعود خصوص الجنة (قوله لغوا) هو الكلام الزائد المستغنى عنه

(وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا) أى من جملتهم ، وخبر أولئك (إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا) جمع ساجد وباك أى فكونوا مثلهم وأصل بكىّ بكوى قلبت الواو ياء والضمة كسرة (فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ) بتركها كاليهود والنصارى (وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ) من المعاصى (فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا) هو واد فى جهنم أى يقعون فيه (إِلَّا) لكن (مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ) ينقصون (شَيْئًا) من ثوابهم (جَنَّاتِ عَدْنٍ) إقامة بدل من الجنة (الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ) حال أى غائبين عنها (إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ) أى موعوده (مَأْتِيًّا) بمعنى آتيا وأصله مأتوى أو موعده هنا الجنة يأتيه أهله (لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا) من الكلام (إِلَّا) لكن يسمعون (سَلَامًا) من الملائكة عليهم أو من بعضهم على بعض (وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا) أى على قدرهما فى الدنيا وليس فى الجنة نهار ولا ليل بل ضوء ونور أبدا (تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ) نعطى وننزل (مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا) بطاعته ، ونزل لما تأخر الوحى أياما وقال النبى صلى الله عليه وسلم لجبريل : ما يمنعك أن تزورنا ،

(قوله لكن يسمعون سلاما) أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع لأن السلام ليس من جنس اللغو (قوله وليس فى الجنة نهار ولا ليل) أى وإنما يعرفون الليل بارخاء الحجب وغلق الأبواب والنهار بفتحها ورفع الحجب كما روى وليس معرفة الليل الاستراحة فيه والنوم إذ لانوم ولا تعب فيها بل ذلك على عادة الملوك فى الدنيا من تهيئة تحف فى الصباح والمساء ليتم نظامهم (قوله تلك الجنة)

اسم الاشارة عائد على الجنة فى قوله : فأولئك يدخلون الجنة ولايظلمون شيئا وأتى باسم الاشارة البعيد إشارة لعلو رتبتها ورفيع منزلتها (قوله نورث من عبادنا) عبر بالميراث إشارة إلى أنهم يعطونها عطاء لايرد ولا يبطل كالميراث (قوله من كان تقيا) أى سعيدا وهو من مات على كلمة الاخلاص ولومصرا على الكبائر فمآله للجنة وإن أدخل النار وعذب فيها بقدر جرمه لأن الجنة جعلت مسكنا للموحدين والنار جعلت مسكنا للمشركين ، ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى فى سورة فاطر ــ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ــ إلى أن قال ــ جنات عدن يدخلونها ــ وقوله صلى الله عليه وسلم « من مات لايشرك بالله شيئا دخل الجنة وإن زنى وإن سرق وإن شرب الخمر » ولكن الجنة مراتب ودرجات على حسب التفاوت فى الأعمال الصالحة (قوله بطاعته) أى ولو بمجرد الاسلام (قوله ونزل لما تأخر الوحى) أى حين سأله اليهود عن الروح وأصحاب الكهف وذى القرنين فقال أخبركم غدا ولم يقل إن شاء الله فتأخر جبريل حتى شقّ على النبىّ صلى الله عليه وسلم ثم نزل بعد أربعين يوما ، وقيل خمسة عشر ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أبطأت علىّ حتى ساء ظنى واشتقت إليك فقال له جبريل إنى كنت أشوق ولكنى عبد مأمور إذا بعثت نزلت وإذا حبست احتبست .

(قوله أكثر مما تزورنا) هذا عتاب من رسول الله لجبريل كأنه قال له إن شوقي إليك في ازدياد فكان الرجاء فيك الزيارة لا الهجر (قوله وما نتنزل إلا بأمر ربك) هذا على لسان جبريل أمره الله تعالى بذلك اعتذارا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وجوابا لسؤاله المذكور والتنزل النزول شيئا فشيئا (قوله من أمور الآخرة) بيان لما ويصح أن يحمل قوله ما بين أيدينا على ما يأتي، وقوله وما خلفنا على ما سبق، وقوله وما بين ذلك على الحالة الراهنة (قوله له علم ذلك جميعه) أي تفصيلا، وأما علم بعضه إجمالا فيكون لبعض الحوادث كالأنبياء والأولياء بالهام من الله تعالى ومع ذلك فيكتمونه ولا يفشون منه إلا ما أذن لهم فيه، إذا علمت ذلك فالتشدق بالتجرؤ على المغيبات من الضلال المبين لأنه لو استند لقواعد فهي كاذبة ولو صادفت الحق بمصداق قوله صلى الله عليه وسلم «كذب المنجمون ولو صدقوا» وإن استند لكشف فصاحبه لا يطلع إلا على بعض جزئيات ومع ذلك هو مأمور بكتمها لأن الله قال لنبيه على لسان جبريل - له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك - فكيف بغيره من آحاد الخلق (قوله أي تاركا لك) أي إن عدم التنزل لحكمة يعلمها الله لا تركا لك وهجرانا، وهذه الآية بمعنى قوله تعالى - ما ودعك ربك وما قلى - (قوله هو) قدره إشارة إلى أن رب خبر لمحذوف (قوله فاعبده) أي دم على عبادته ولا تحزن بابطاء الوحي واستهزاء الكفرة (قوله أي مسمى بذلك) أي بلفظ الجلالة أو برب السموات والأرض وقيل معنى سميا مثلا يستحق أن يسمى إلها واحدا يسمى بالله فان المشركين وإن سموا الصنم إلها لم يسموه الله قط لظهور أحديته وأنه رب السموات والأرض وما بينهما. قال تعالى - ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله - وقد ورد أن امرأة سمت ولدها الله فنزلت عليه نار فأحرقته - (قوله المنكر للبعث) أشار بذلك إلى أن المراد بالانسان خصوص الكافر المنكر للبعث (قوله أو الوليد) أو لتنويع الخلاف في المراد بالانسان الذي قال تلك المقالة وفي الحقيقة كل من الشخصين قد قالها (قوله أئذا) منصوبة بقوله أخرج حيا، ولا يقال إن ما بعد اللام لا يعمل فيما قبلها لأن ذلك في لام الابتداء وأما هذه فهي زائدة كما قال المفسر (قوله وإدخال ألف بينها) أي الثانية وقوله وبين الأخرى: أي الأولى. وكان المناسب أن يقول وتركه فتكون القراآت أربعا وهي سبعيات (قوله أولا يذكر) الاستفهام للتوبيخ (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضا (قوله من قبل) أي من قبل بعثه (قوله فيستدل بالابتداء على الاعادة) أي لأنها أهون. قال تعالى - وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه - (قوله فوربك) أضاف اسمه تعالى إليه صلى الله عليه وسلم تشريفا وتعظيما (قوله لنحضرنهم حول جهنم جثيا) أي وهو الموقف (قوله وأصله جثوو) أي بواوين قلبت الثانية ياء لتطرفها فاجتمعت مع الواو الساكنة قلبت الواو ياء وأدغمت في الياء (قوله أو جثوي) أي بياء بعد الواو قلبت الواو ياء وأدغمت في الياء وعلى كل كسرت الثاء لتصح الياء (قوله ثم لننزعن من كل شيعة) أي من كل أمة (قوله أيهم) موصولة بمعنى الذي بنيت على الضم لاضافتها وحذف صدر صلتها وقوله أشد خبر لمحذوف والجملة صلتها وهي وصلتها في محل نصب مفعول لننزعن وعتيا تمييز محول

أكثر مما تزورنا (وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا) أي أمامنا من أمور الآخرة (وَمَا خَلْفَنَا) من أمور الدنيا (وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ) أي ما يكون من هذا الوقت إلى قيام الساعة أي له علم ذلك جميعه (وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا) بمعنى ناسيا أي تاركا لك بتأخير الوحي عنك، هو (رَبُّ) مالك (السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ) أي اصبر عليها (هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا) أي مسمى بذلك؟ لا (وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ) المنكر للبعث أبي بن خلف أو الوليد بن المغيرة النازل فيه الآية (أَئِذَا) بتحقيق الهمزة الثانية وتسهيلها وإدخال ألف بينها بوجهيها وبين الأخرى (مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا) من القبر كما يقول محمد فالاستفهام بمعنى النفي أي لا أحيا بعد الموت وما زائدة للتأكيد وكذا اللام ورد عليه بقوله تعالى (أَوَلَا يَذَّكَّرُ الْإِنْسَانُ) أصله يتذكر أبدلت التاء ذالا وأدغمت في الذال وفي قراءة تركها وسكون الذال وضم الكاف (أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا) فيستدل بالابتداء على الاعادة (فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ) أي المنكرين للبعث (وَالشَّيَاطِينَ) أي نجمع كلا منهم وشيطانه في سلسلة (ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ) من خارجها (جِثِيًّا) على الركب جمع جاث وأصله جثوو أو جثوي من جثا يجثو أو يجثي لغتان (ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ) فرقة منهم (أَيُّهُمْ

عن المبتدإ المحذوف : أى عتوه أشد ، والمعنى أنه يميز طوائف الكفار فيطرح الأعتى فالأعتى على الترتيب لأن عذاب الضال المضل يكون فوق عذاب من يضل تبعا لغيره وليس عذاب من يتمرد و يتجبر كعذاب المقلد (قوله صليا) بضم الصاد وكسرها قراءتان سبعيتان جمع صال كجثيا جمع جاث (قوله فنبدأ بهم) أى بالذين هم أولى بها (قوله من صلى بكسر اللام) أى كرضى ، وقوله وفتحها : أى كرمى (قوله و إن منكم إلا واردها) أى مسلما أو كافرا . والحاصل أنه اختلف المفسرون فى المراد بالورود فقيل الدخول ، وقيل الحضور معها فى الموقف والذى عوّل عليه الأشياخ أن المراد به المرور على الصراط وهو على ظهرها أحدّ من السيف وأرق من الشعرة و يتسع للمؤمن بقدر عمله ومن هنا تقول النار للمؤمن جز يامؤمن فقد أطفأ نورك لهبى وهم فى المرور مختلفون لما فى الحديث « يرد الناس النار ثم يصدرون عنها بأعمالهم فأولهم كلمح البصر ثم كالريح ثم كعدو الفرس ثم كالراكب المجد ثم كشد الرجل فى مشيه » (قوله أى داخل جهنم) أى وتكون على المؤمنين ولو ماتوا عصاة غير من تحقق فيهم الوعيد برداوسلاما لدخولهم فيها وهى خامدة فلايشعرون بها (قوله كان) أى الورود (قوله حتما مقضيا) أى بمقتضى حكمته لابايجاب عليه (قوله ثم ننجى الذين اتقوا) أى نخرجهم منها من غيرأن يمسهم عذابها وهم من لم ينفذ فيهم الوعيد أو بعد العذاب وهم من نفذ فيهم الوعيد

أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمٰنِ عُتِيًّا) جراءة (ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا) أحق بجهنم الأشد وغيره منهم (صُلِيًّا) دخولا واحتراقا فنبدأ بهم وأصله صلوى من صلى بكسر اللام وفتحها (وَإِنْ) أى ما (مِنْكُمْ) أحد (إِلَّا وَارِدُهَا) أى داخل جهنم (كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا) حتمه وقضى به لايتركه (ثُمَّ نُنَجِّي) مشدداً ومخففاً (الَّذِينَ اتَّقَوْا) الشرك والكفر منهما (وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ) بالشرك والكفر (فِيهَا جِثِيًّا) على الركب (وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ) أى المؤمنين والكافرين (آيَاتُنَا) من القرآن (بَيِّنَاتٍ) واضحات حال (قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ) نحن وأنتم (خَيْرٌ مَقَامًا) منزلا ومسكنا بالفتح من قام و بالضم من أقام (وَأَحْسَنُ نَدِيًّا) بمعنى النادى وهو مجتمع القوم يتحدثون فيه يعنون نحن فنكون خيراً منكم قال تعالى (وَكَمْ) أى كثيراً (أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ) أى أمة من الأمم الماضية (هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا) مالا ومتاعا (وَرِءْيًا) منظرا من الرؤية فكما أهلكناهم لكفرهم نهلك هؤلاء (قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ) شرط جوابه (فَلْيَمْدُدْ) بمعنى الخبر أى يمد (لَهُ الرَّحْمٰنُ مَدًّا) فى الدنيا يستدرجه (حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ) كالقتل والأسر (وَإِمَّا السَّاعَةَ) المشتملة على جهنم فيدخلونها ، (فسيعلمون

(قوله ونذر الظالمين) أى نتركهم فيها على سبيل الخلود ، وقوله جثيا حال من الظالمين (قوله و إذا تتلى عليهم الخ) أى حين نزلت على النبى صلى الله عليه وسلم آيات القرآن وتلاها على المؤمنين والكافرين وعجزوا عن معارضتها أخذ أغنياء الكفار فى الافتخار على فقراء المؤمنين بمالهم من حظوظ الدنيا حيث قالوا لهم انظروا إلى منازلنا فتروها أحسن من منازلكم و إلى مجالسنا فتروها أحسن من مجالسكم نجلس فى صدر المجلس وتجلسون فى طرفه الحقير ، فاذا كان ذلك لنا فى الدنيا فنحن عند الله خير منكم ولو كنتم على خير لأكرمكم كما أكرمنا وقصدهم بذلك فتنة فقراء المؤمنين بزينة الدنيا . قال تعالى ـ و إن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين ـ (قوله قال الذين كفروا) أى أغنياؤهم (قوله للذين آمنوا) أى الفقراء منهم (قوله نحن وأنتم) بيان للفريقين (قوله بالفتح وبالضم) أى فهما قراءتان سبعيتان فالفتح على أنه من قام ثلاثيا والضم على أنه من أقام رباعيا وكل يحتمل أن يكون اسم مكان أواسم مصدر (قوله قال تعالى) أى ردا عليهم (قوله هم أحسن) مبتدأ وخبره والجملة صفة لقرن وأثاثا ورئيا تمييزان (قوله ورئيا) أى مرئيا كالذبح بمعنى المذبوح ، وقوله منظرا : أى هيئة وصورة (قوله قل) أى للكفار المفتخرين على فقراء المؤمنين (قوله فى الضلالة) أى الكفر والغفلة عن عواقب الأمور (قوله بمعنى الخبر) أى وأتى به على صورة الأمر إعلاما بأنه يحصل ولابد بمقتضى حكمته كأنه ألزم نفسه بذلك (قوله أى يمد له الرحمن) إنما ذكر الرحمن إشارة إلى أن رحمته سبقت غضبه (قوله يستدرجه) أى بأن يطيل عمره ويكثر ماله ويمكنه من التصرف فيه (قوله حتى إذا رأوا مايوعدون) غاية فى قوله ـ فليمدد له الرحمن ـ (قوله و إما الساعة) إما حرف تفصيل وهى مانعة خلو تجوز الجمع

(فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا) أعوانا أهم أم المؤمنون وجندهم الشياطين وجند المؤمنين عليهم الملائكة (وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا) بالايمان (هُدًى) بما ينزل عليهم من الآيات (وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ) هى الطاعات تبقى لصاحبها (خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا) أى ما يرد إليه ويرجع بخلاف أعمال الكفار، والخيرية هنا فى مقابلة قولهم: أى الفريقين خير مقاما (أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا) العاصى بن وائل (وَقَالَ) لخباب بن الأرت القائل له تبعث بعد الموت والمطالب له بمال (لَأُوتَيَنَّ) على تقدير البعث (مَالًا وَوَلَدًا) فأقضيك قال تعالى (أَطَّلَعَ الْغَيْبَ) أى أعلمه وأن يؤتى ما قاله واستغنى بهمزة الاستفهام عن همزة الوصل فحذفت (أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا) بأن يؤتى ما قاله (كَلَّا) أى لا يؤتى ذلك (سَنَكْتُبُ) نأمر بكتب (مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا) نزيده بذلك عذابا فوق عذاب كفره (وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ) من المال والولد (وَيَأْتِينَا) يوم القيامة،

والعذاب والساعة بدلان من ما، والمعنى يستمرون فى الطغيان إلى أن يعلموا إذا رأوا العذاب أو الساعة من هو شر مكانا وأضعف جندا (قوله فسيعلمون) جواب إذا، وقوله ـ من هو شر مكانا ـ راجع لقوله ـ خير مقاما ـ وقوله ـ وأضعف جندا ـ راجع لقوله ـ وأحسن نديا ـ على طريق اللف والنشر المرتب (قوله أهم أم المؤمنون) أشار بذلك إلى أن من استفهامية ويصح كونها موصولة مفعول يعلمون (قوله عليهم) متعلق بجندا لتضمينه معنى المعاونين وذلك كما وقع لهم فى بدر فالكفار كان جندهم إبليس وأعوانه جاءوا إليهم ليعينوهم ثم انخذلوا عنهم، والمؤمنون كان جندهم الملائكة التى قاتلت معهم كما تقدم فى الأنفال وآل عمران (قوله ويزيد الله) هذه الجملة مستأنفة أو معطوفة على جملة الشرط المحكية بالقول كأنه قال قل لهم من كان فى الضلالة الخ وقل لهم يزيد الله الذين اهتدوا الخ (قوله بما ينزل عليهم من الآيات) أى فكلما نزلت عليهم آية من القرآن ازدادوا بها هدى وإيمانا. قال تعالى ـ وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا ـ (قوله هى الطاعة) تقدم أن هذا أحد تفاسير فى الباقيات الصالحات وهو الأحسن (قوله خير عند ربك) أى من زينة الدنيا التى يتنعم بها الكفار (قوله بخلاف أعمال الكفار) أى فإنها شر مردا لكونهم يردون إلى جهنم، فتحصل أن الأعمال كلها باقية لأصحابها فالمؤمنون تبقى لهم الأعمال الصالحة فيتنعمون بها فى الجنة والكفار تبقى لهم الأعمال السيئة فيعذبون بها فى النار فالعاقل يختار لنفسه أى العملين يبقى له (قوله والخيرية الخ) أى فأفعل التفضيل ذكر على سبيل المشاكلة للكلام السابق فاندفع مايقال إن أعمال الكفار لاخير فيها أصلا فكيف تصح المفاضلة (قوله أفرأيت الذى كفر بآياتنا) الاستفهام تعجبى: أى تعجب يا محمد من مقالة هذا الكافر الشنيعة (قوله العاص بن وائل) هو أبو سيدنا عمرو الذى فتح مصر فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنهما وهو والد عبد الله أحد العبادلة المشهورة (قوله لخباب بن الأرت) هو بدرى من فقراء الصحابة، وذلك أن خبابا كان صائغا فصاغ للعاصى حليا ثم طالبه بأجرته، فقال له لن أقضيك حتى تكفر بمحمد، فقال خباب لن أكفر به حتى تموت ثم تبعث. قال وإنى لمبعوث من بعد الموت فسوف أعطيك إذا رجعت إلى مال وولد (قوله واستغنى بهمزة الاستفهام الخ) أى فأصله أأطلع حذفت همزة الوصل تخفيفا (قوله كلا) ذكر النحويون فى هذه اللفظة ستة مذاهب: أحسنها أنها حرف ردع وزجر. والثانى أنها حرف تصديق بمعنى نعم. الثالث أنها بمعنى حقا. الرابع أنها رد لما قبلها. الخامس أنها صلة فى الكلام بمعنى أى. السادس أنها حرف استفتاح، وذكرت فى القرآن فى ثلاثة وثلاثين موضعا وكلها فى النصف الثانى منه فى خمس عشرة سورة كلها مكية ترجع إلى ثلاثة أقسام قسم يجوز الوقف عليها وعلى ماقبلها فيبتدأ بها وذلك فى خمسة مواضع اللتان فى هذه السورة واللتان فى الشعراء وواحدة فى سبأ، وقسم اختلف فيه هل يجوز الوقف عليها أو يتعين على ما قبلها، وذلك فى تسعة مواضع واحدة فى المؤمنون واثنتان فى سأل سائل والأولى والثالثة فى المدثر والأولى فى سورة القيامة والثانية فى سورة ويل للمطففين والأولى فى سورة الفجر والتى فى سورة ويل لكل، وقسم لايجوز الوقف عليها باتفاق وهو التسع عشرة الباقية (قوله سنكتب مايقول) أى نظهره له ونعلمه أنا كتبناه فاندفع مايقال إن الكتابة لاتتأخر عن القول. قال تعالى ـ مايلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد (قوله نزيده بذلك عذابا الخ) أى لما تقدم أن كل من كان أشد كفرا كان أعظم عذابا (قوله ونرثه مايقول) أى نسلبه ونأخذه منه بأن يخرج من الدنيا خاليا من ذلك.

(قوله فردا) أى منقطعا عن ماله وولده بالكلية فلايلقى مالا ولا ولدا أصلا لافى البعث ولافى الحشر لانقطاع الأسباب بينهم و بين أولادهم بل و بين مايشتهون كما قال تعالى : وحيل بينهم و بين مايشتهون . وأما المؤمنون و إن كانوا يبعثون فرادى إلا أنهم يلاقون أحبابهم وأولادهم ومايشتهونه (قوله واتخذوا) حكاية عما وقع من الكفار عموما (قوله الأوثان) هومفعول أول وآلهة مفعول ثان (قوله سيكفرون الخ) فى معنى التعليل (قوله ضدا) أى أضدادا و إنما أفرده إما لكونه مصدرا فى الأصل أولأنه مفرد فى معنى الجمع (قوله على الكافرين) أى وأما المؤمنون فليس للشياطين عليهم سبيل قال تعالى إن عبادى ليس لك عليهم سلطان (قوله تهيجهم إلى المعاصى) أى تغريهم بتزيين الشهوات لهم (قوله أزا) مفعول مطلق لتؤزهم ، والأز يطلق على الغليان وعلى الحركة الشديدة وعلى التهييج والإزعاج وهو المراد هنا (قوله فلاتعجل عليهم) أى لتستريح أنت والمؤمنون من شرهم وتطهر الأرض من فسادهم لأن لهم أياما محصورة وأنفاسا معدودة يعيشونها ثم يردون إلى عذاب النار (قوله إنما نعد لهم عدا) أى نضبط مايقع منهم ولانهمل منه شيئا ليؤاخذوا به (قوله أوالأنفاس) تفسير ثان (قوله إلى وقت عذابهم) أى وهو موتهم لأن بموتهم تصير قبورهم حفرة من حفر النار فيعذبون فيها إلى قيام الساعة فيقذفون فى النار (قوله يوم نحشر) ظرف معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله اذكر أى اذكر يامحمد لقومك هذا اليوم العظيم فانه يوم الفصل بين أهل الجنة وأهل النار (قوله بمعنى راكب) هذا المعنى ليس مأخوذا من معنى الوفد لأن الوفد فى اللغة الجماعة الذين يقدمون على الملوك للعطايا من غير تقييد بركوب بل هو مأخوذ من قرينة مدح المتقين لما ورد : أنهم يحشرون ركبانا على نجائب سرجها من ياقوت وعلى نوق رحالها من ذهب وأزمتها من زبرجد . واختلف فى وقت ركوبهم فقيل من أول خروجهم من القبور ، وقيل من منصرفهم من الموقف

(فَرْدًا) لا مال له ولا ولد (وَاتَّخَذُوا) أى كفار مكة (مِنْ دُونِ ٱللهِ) الأوثان (آلِهَةً) يعبدونهم (لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا) شفعاء عند الله بأن لايعذبوا (كَلَّا) أى لامانع من عذابهم (سَيَكْفُرُونَ) أى الآلهة (بِعِبَادَتِهِمْ) أى ينفونها كما فى آية أخرى : ما كانوا إيانا يعبدون (وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا) أعوانا وأعداء (أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ) سلطناهم (عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ) تهيجهم إلى المعاصى (أَزًّا . فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ) بطلب العذاب (إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ) الأيام والليالى أو الأنفاس (عَدًّا) إلى وقت عذابهم ، اذكر (يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ) بإيمانهم (إِلَى الرَّحْمٰنِ وَفْدًا) جمع وافد بمعنى راكب (وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ) بكفرهم (إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا) جمع وارد بمعنى ماش عطشان (لَا يَمْلِكُونَ) أى الناس (الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمٰنِ عَهْدًا) أى شهادة أن لا إله إلا الله ،

ولا على كل فيستمرون راكبين حتى يقرعوا باب الجنة ، وجمع بأنهم يركبون من أول خروجهم من القبورحتى يأتوا الموقف ثم بعد انفضاض الموقف يركبون حتى يدخلوا الجنة . وعن ابن عباس من كان يحب ركوب الخيل وفد إلى الله تعالى على خيل لاتروث ولاتبول لجمها من الياقوت الأحمر ومن الزبرجد الأخضر ومن الدر الأبيض وسرجها السندس والإستبرق ، ومن كان يحب ركوب الإبل فعلى نجائب لاتبعر ولا تبول أزمتها من الياقوت والزبرجد ، ومن كان يحب ركوب السفن فعلى سفن من زبرجد وياقوت قد أمنوا الغرق وأمنوا الأهوال . وورد أيضا « يحشر الناس يوم القيامة على ثلاث طرائق راغبين وراهبين واثنان على بعير وثلاثة على بعير وأربعة على بعير وعشرة على بعير » (قوله بكفرهم) أشار بذلك إلى أن المراد بالمجرمين الكفار (قوله وردا) أى مشاة عطاشا قد تقطعت أعناقهم من العطش ومع ذلك يحملون أوزارهم على ظهورهم لما ورد « أن المؤمن إذا خرج من قبره استقبله عمله فى أحسن صورة وأطيب ريح فيقول هل تعرفنى ؟ فيقول لا فيقول أنا عملك الصالح طالما ركبتك وأتعبتك فى الدنيا اركبنى اليوم ، وأن الكافر يستقبله عمله فى أقبح صورة وأنتنها ريحا فيقول هل تعرفنى فيقول لافيقول أنا عملك السيء طالما ركبتنى وأتعبتنى فى الدنيا وأنا اليوم أركبك قال تعالى: وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم» (قوله لايملكون) أى الخلق عموما مؤمنهم وكافرهم وقوله الشفاعة أى كونه يشفع لغيره أويشفع غيره فيه (قوله إلا من اتخذ) مستثنى من العموم المتقدم وهومتصل (قوله عند الرحمن) كرر لفظ الرحمن فى هذه السورة ست عشرة مرة إشارة إلى أن رحمته غلبت غضبه (قوله أى شهادة أن لاإله إلا الله) أى مع عديلتها وهى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(قوله ولاحول ولا قوة إلا بالله) فى رواية : والتبرّى من الحول والقوة لله وعدم رجاء غيره (قوله ومن زعم أن الملائكة بنات الله) أى وهم مشركو العرب وهذا رجوع لذكر قبائح الكفار إثر بيان عاقبتهم وعاقبة المؤمنين (قوله قال تعالى) أى تقريعا وتوبيخا (قوله منكرا عظيما) أى فظيعا شديدا (قوله تكاد السموات الخ) هذا بيان لكون ذلك الشئ منكرا عظيما (قوله ينفطرن) أى يتفتتن ويقطعن (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا وظاهره أن القراآت أربع وليس كذلك بل هى ثلاث فقط لأن فى قراءة التاء من تكاد وجهين التاء والنون من يتفطرن وفى قراءة الياء وجها واحدا وهو التاء من يتفطرن والثلاث سبعيات (قوله وتنشق الأرض) أى تنخسف بهم (قوله من أجل أن دعوا للرحمن ولدا) المعنى أن هذه المقالة منهم موجبة للغضب عليهم الذى ينشأ عنه نزول السماء قطعا قطعا عليهم وخسف الأرض بهم وسقوط الجبال عليهم لولا حلمه وسبق رحمته ، أوالمعنى أن هذه المقالة من عظمها وشناعتها تفزع منها السموات والأرض والجبال وتمنى أنها لوأهلكت من تفوّه بها لولا رحمة الله (قوله قال تعالى) أى ردّا عليهم (قوله ومايبنغى للرحمن) أى لايليق به ذلك ولايتأتى لاستحالته عليه عقلا ونقلا لأن الولد علامة الضعف والحدوث (قوله لقد أحصاهم) أى أحاط بهم علمه (قوله وعدّهم عدّا) أى عدّ أشخاصهم وأنفاسهم وأفعالهم فلا يخفى عليه شئ من أمورهم (قوله مبلغ جميعهم) راجع لقوله وعدّهم وقوله ولا واحد منهم راجع لقوله وأحصاهم فكأنه قال أحاط بهم علمه جمعا وفرادى (قوله فردا) أى منفردا (قوله سيجعل لهم الرحمن ودّا) أى فى الدنيا والآخرة

(٤٥)

ولا حول ولا قوة إلا بالله (وَقَالُوا) أى اليهود والنصارى ومن زعم أن الملائكة بنات الله (اتَّخَذَ الرَّحْمٰنُ وَلَدًا) قال تعالى لهم (لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا) أى منكرا عظيما (تَكَادُ) بالتاء والياء (السَّمٰوَاتُ يَنْفَطِرْنَ) بالنون وفى قراءة بالتاء وتشديد الطاء بالانشقاق (مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا) أى تنطبق عليهم من أجل (أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمٰنِ وَلَدًا) قال تعالى (وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمٰنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا) أى ما يليق به ذلك (إِنْ) أى ما (كُلُّ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمٰنِ عَبْدًا) ذليلا خاضعا يوم القيامة منهم عزير وعيسى (لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا) فلا يخفى عليه مبلغ جميعهم ولا واحد منهم (وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا) بلا مال ولا نصير يمنعه (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمٰنُ وُدًّا) فيما بينهم يتوادون ويتحابون ويحبهم الله تعالى (فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ) أى القرآن (بِلِسَانِكَ) العربى (لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ) الفائزين بالإيمان (وَتُنْذِرَ) تخوف (بِهِ قَوْمًا لُدًّا) جمع ألد أى جدل بالباطل وهم كفار مكة (وَكَمْ) أى كثيرا (أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ) أى أمة من الأمم الماضية بتكذيبهم الرسل (هَلْ تُحِسُّ) تجد (مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا) صوتا خفيا ؟ لا ، فكما أهلكنا أولئك نهلك هؤلاء .

والتنوين للتعظيم أى ودّا عظيما فكلما عظمت طاعاتهم عظم ودّهم لربهم ولأحبابه وعبر بالرحمن لعظم تلك النعمة فانّ المحبة رأس الايمان وأساسه لما فى الحديث « ألا لاإيمان لمن لامحبة له » فمن أعطى المحبة لله ولأحبابه فقد أعطى خيرالدنيا والآخرة لأن المحبة حكمة إيجاد الخلق لما فى الحديث القدسى « فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق فبى عرفونى » وبالجملة فالمحبة أمرها عظيم ولذا كان تنافس العارفين فيها كبيرا ، فكل من عظمت معرفته ازداد محبة وشغفا ، وعبر بأداة الاستقبال لأن المؤمنين كانوا بمكة فى مبدإ الاسلام مفرّقين فوعد الله رسوله بأن يؤلف بين قلوب المؤمنين ويضع فيها المحبة فهذه الآية نزلت فى مبدإ الاسلام تسلية له صلى الله عليه وسلم ، وودّا بضم الواو للسبعة وقرئ بفتحها وكسرها فهو مثلث (قوله فانما يسرناه) أى أنزلناه ميسرا (قوله العربى) أى فالمراد باللسان اللغة العربية (قوله جمع ألد) أى شديد الخصومة (قوله وكم أهلكنا الخ) تخويف لهم وتسلية له صلى الله عليه وسلم (قوله هل تحس) بضم التاء وكسر الحاء من أحسّ رباعيا والاستفهام إنكارى كما أشار إليه بقوله لا وقرئ شذوذا بفتح التاء وضم الحاء أوكسرها (قوله منهم) حال من أحد لأنه نعت نكرة قدم عليها (قوله صوتا خفيا) أى والمعنى استأصلناهم بالهلاك جميعا حتى لايرى منهم أحد ولايسمع لهم صوت خفىّ

[سورة طه مكية] أى كلها وقيل إلا فاصبر على مايقولون الآية وهذه السورة نزلت قبل إسلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكانت سببا فيه (قوله أو أربعون الخ) أى فالخلاف فى سبع آيات أو خمس (قوله الله أعلم بمراده بذلك) أشار بذلك إلى أن طه حروف مقطعة استأثر الله بعلمها ، وقيل إن طه اسم من أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم حذف منه حرف النداء ، وقيل إنه فعل أمر وأصله طأها ، والمعنى طإ الأرض بقدميك معا خوطب به لما كان يشدد على نفسه فى تهجده حيث كان يقوم الليل كله ويقف على إحدى رجليه ويريح الأخرى من شدة التعب فأمره الله بالتخفيف على نفسه ، فكان يصلى وينام ويقوم على رجليه معا (قوله من طول قيامك) بيان لما ، وقيل إن معنى لتشقى لتتعب نفسك بتأسفك على كفر من كفر ، فإنما عليك البلاغ فأرح نفسك من هذا التعب فانا أنزلنا القرآن لمن يذكر ويخشى ، وقيل إنه رد وتكذيب للكفرة حيث قالوا لما رأوا كثرة عبادته وتهجداته إنك لتشقى بترك ديننا وإن القرآن أنزل عليك لتشقى به (قوله لكن) أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع لأن التذكرة ليست من جنس الشقاء (قوله تذكرة) مفعول لأجله ولتشقى كذلك وإنما نصب الثانى دون الأول لأن فاعل الذكرى والانزال هو الله بخلاف الأول

(قوله لمن يخشى) أى لمن فى قلبه رقة يتأثر بالمواعظ

(سورة طه مكية)

مائة وخمس وثلاثون آية أو أربعون أو واثنتان

(بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ . طٰهٰ) الله أعلم بمراده بذلك (مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ) يا محمد (لِتَشْقَى) لتتعب بما فعلت بعد نزوله من طول قيامك بصلاة الليل ، أى خفف عن نفسك (إِلَّا) لكن أنزلناه (تَذْكِرَةً) به (لِمَنْ يَخْشَى) يخاف الله (تَنْزِيلًا) بدل من اللفظ بفعله الناصب له (مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمٰوَاتِ الْعُلَى) جمع عليا ككبرى وكبر ، هو (الرَّحْمٰنُ عَلَى الْعَرْشِ) وهو فى اللغة سرير الملك (اسْتَوَى) استواء يليق به (لَهُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا) من المخلوقات (وَمَا تَحْتَ الثَّرَى) هو التراب الندى ، والمراد الأرضون السبع لأنها تحته (وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ) فى ذكر أو دعاء فالله غنى عن الجهر به (فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى) منه ، أى ما حدثت به النفس وما خطر ولم تحدث به ، فلا

(قوله بدل من اللفظ) أى عوض من التلفظ والنطق بفعله المقدر والأصل نزلناه تنزيلا فحذف الفعل وجوبا لنيابة المصدر عنه فى المعنى والعمل (قوله هو) قدره إشارة إلى أن الرحمن خبر لمحذوف وحينئذ فيكون نعتا مقطوعا قصد به المدح (قوله سرير الملك) أى الذى يجلس عليه الملك قال تعالى فى حق بلقيس: قال نكروا لها عرشها (قوله استواء يليق به) هذه طريقة السلف الذين يفوضون علم المتشابه لله تعالى ومن ذلك جواب الامام مالك رضى الله عنه عن معنى الاستواء على العرش فى حقه تعالى حيث قال للسائل : الاستواء معلوم والكيف مجهول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة أخرجوا عنى هذا المبتدع . وأما الخلف وهم من بعد الخمسمائة فيؤولونه بمعنى صحيح لائق به سبحانه وتعالى فيقولون إن المراد بالاستواء الاستيلاء بالتصرف والقهر فالاستواء له معنيان الركوب والجلوس والاستيلاء بالقهر والتصرف وكلا المعنيين وارد فى اللغة يقال استوى السلطان على الكرسى بمعنى جلس واستوى على الأقطار بمعنى ملك وقهر ، ومن الثانى قول الشاعر :

قد استوى بشر على العراق ... من غير سيف ودم مهراق

وحينئذ فالمتعين إطلاقه عليه تعالى بهذا المعنى هو الثانى (قوله من المخلوقات) بيان للثلاثة (قوله هو التراب الندى) أى الذى فيه نداوة فان لم يكن نديا فهو تراب ولا يقال له ثرى (قوله وإن تجهر بالقول) المقصود منه النهى عن الجهر لغير أمر شرعى كأنه يقول إن الله غنى عن الجهر فلا تجهد نفسك به فالجهر بالذكر أو الدعاء أو القراءة بقصد إسماع الله تعالى إما جهل أو كفر وأما لغرض آخر كارشاد العباد وحضور القلب ودفع الشواغل والوسوسة فهو مطلوب (قوله فالله غنى الخ) قدره إشارة إلى أن جواب الشرط محذوف وقوله فانه يعلم السر الخ تعليل لذلك المحذوف (قوله وأخفى) هو أفعل تفضيل أى والذى هو أخفى من السر (قوله أى ما حدثت به النفس الخ) هذا أحد أقوال فى تفسير السر وأخفى ، وقال ابن عباس : السر ما أسره ابن آدم

فى نفسه وأخفى ما أخفى على ابن آدم مما هو فاعله وهو لايعلمه فالله يعلم ذلك كله وعلمه فيما مضى من ذلك ومايستقبل علم واحد وجميع الخلائق فى علمه كنفس واحدة (قوله فلا تجهد) بفتح التاء والهاء أوضم التاء وكسر الهاء من جهد وأجهد : أى لاتتعب نفسك بالجهر بقصد إسماع الله تعالى ، وهذا نهى له صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره (قوله والحسنى مؤنث الأحسن) أى فهى اسم تفضيل يوصف بها الواحد من المؤنث والجمع من المذكر غير العاقل كما هنا (قوله وهل أتاك حديث موسى) الاستفهام للتشويق والتقرير فى ذهن السامع والجملة مستأنفة خطاب لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كأن الله يقول له إنا أرسلناك بالتوحيد ولا غرابة فى ذلك فانه أمر مستمر فيما بين الأنبياء كابرا عن كابر ، وقد خوطب به موسى حيث قيل له : إننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى ،و به ختم موسى مقالته حيث قال: إنما إلهكم الله الذى لا إله إلا هو فالمقصود من الاستفهام تشويق السامع ليتلقى ماذكر بتطلع والتفات وحضور قلب لاحقيقته فانه مستحيل عليه تعالى أو أن هل بمعنى قد كما قال المفسر (قوله إذ رأى نارا) ظرف لحديث (قوله امرأته) أى وهى بنت شعيب واسمها صفورا وقيل صفوريا وقيل صفورة واسم أختها ليا ، وقيل شرفا وقيل عبدا واختلف فى التى تزوجها فقيل هى الصغرى ، وقيل الكبرى وتقدم ذلك (قوله امكثوا) إنما أتى بجمع الذكور و إن كان الخطاب لامرأته تعظيما أومراعاة لمن معها من الخدم والأولاد (قوله وذلك فى مسيره الخ) روى أنه عليه السلام استأذن شعيبا عليه السلام فى الخروج إلى أمه وأخيه بمصر فخرج بأهله وأخذ على

غير الطريق مخافة من ملوك الشام فلما وافى وادى طوى وهو بالجانب الغربى من الطور الذى هو بفلسطين لأنه هو الذى على يمين المتوجه من مدين وقيل هو الذى بين مصر وأيلة ورد بأنه على يسار المتوجه من مدين إلى مصر كما هو مشاهد وقد قال تعالى وناديناه من جانب الطور الأيمن ولد له ولد فى ليلة مظلمة شاتية باردة وكانت ليلة الجمعة وقد أخطأ الطريق وتفرقت ماشيته ولاماء عنده وقدح زنده فلم يخرج نارا فبينما هو فى ذلك إذ راى عن يسار الطريق من جانب الطور نارا فأمر أهله بالمكث لئلا يتبعوه فيما عزم عليه من الذهاب إلى النار كما هو المعتاد لا لئلا ينتقلوا إلى موضع آخر فانه مما لايخطر بالبال ، فلما وصل إلى تلك النار التى أبصرها خاطبه الله وأرسله إلى فرعون وخلف أهله فى الموضع الذى تركهم فيه فلم يزالوا مقيمين فيه حتى مر بهم راع من أهل مدين فعرفهم فحملهم إلى شعيب فمكثوا عنده حتى جاوز موسى ببنى إسرائيل البحر وغرق فرعون وقومه فبعثهم شعيب إلى موسى بمصر (قوله إنى آنست) من الايناس وهو الابصار ومنه إنسان العين لأنه يبصر الأشياء (قوله أو أجد على النار هدى) أو مانعة خلو تجوز الجمع وعلى بمعنى عند أى عند النار (قوله وكان أخطأها) أى لأنه سلك على غير الطريق مخافة من ملوك الشام (قوله لعدم الجزم بوفاء الوعد) لأنه لايدرى مايفعل الله به (قوله فلما أتاها) أى النار التى آنسها (قوله وهى شجرة عوسج) هذا أحد أقوال فيها وقيل عليق وقيل عناب (قوله نودى ياموسى إنى أنا ربك) هذا أول المكالمة بينه و بين الله تعالى وآخرها قوله فيما يأتى أن العذاب على من كذب وتولى ، وهذا بالنسبة لهذه الواقعة و إلا فله مكالمات أخر وسمع الكلام بكل أجزائه من جميع جهاته حتى إن كل جارحة منه كانت أذنا (قوله فاخلع نعليك) أى تواضعا لله ومن ثم كان السلف يطوفون بالكعبة حفاة وقيل أمر بخلعهما لنجاستهما لأنهما كانا من جلد حمار ميت لم يدبغ ، روى أنه خلعهما وألقاهما خلف الوادى (قوله بالتنوين وتركه) هما قراءتان سبعيتان .

فلا تجهد نفسك بالجهر (اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ) التسعة والتسعون الوارد بها الحديث والحسنى مؤنث الأحسن (وَهَلْ) قد (أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ . إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ) لامرأته (امْكُثُوا) هنا وذلك فى مسيره من مدين طالبا مصر (إِنِّي آنَسْتُ) أبصرت (نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ) شعلة فى رأس فتيلة أو عود (أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى) أى هاديا يدلنى على الطريق وكان أخطأها لظلمة الليل ،وقال : لعل لعدم الجزم بوفاء الوعد (فَلَمَّا أَتَاهَا) وهى شجرة عوسج (نُودِيَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي) بكسر الهمزة بتأويل نودى بقيل و بفتحها بتقدير الباء (أَنَا) تأكيد لياء المتكلم (رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ) المطهر أو المبارك (طُوًى) بدل أو عطف بيان بالتنوين وتركه مصروف باعتبار المكان وغير مصروف للتأنيث باعتبار البقعة مع العلمية ،

(قوله وأنا اخترتك) أى للنبوّة والرسالة وكان عمره إذ ذاك أربعين سنة كما سيأتى عند قوله تعالى ثم جئت على قدر ياموسى : (قوله إننى أنا الله) بدل مما يوحى وهو إشارة للعقائد العقلية وقوله : فاعبدنى إشارة للأعمال الفرعية ، وقوله إن الساعة آتية إشارة للعقائد السمعية فقد اشتمل ذلك على جملة الدين (قوله وأقم الصلاة) خصها بالذكر وإن كانت داخلة فى جملة العبادات لعظم شأنها واحتوائها على الذكر وشغل القلب واللسان والجوارح فهى أفضل أركان الدين بعد التوحيد (قوله لذكرى فيها) أى لتذكرنى فيها لأنها مشتملة على كلامى وغيره من أنواع الذكر (قوله إن الساعة آتيه) أى حاصلة ولا بد وسميت ساعة لأنها تأتى فى ساعة أى قطعة من الزمان (قوله أكاد أخفيها) أى أريد إخفاء وقتها ، والحكمة فى إخفاء وقتها وإخفاء الموت أن الله تعالى حكم بعدم قبول التوبة عند قربها وفى الغرغرة فلو عرف الخلق وقتها لاشتغلوا بالمعاصى إلى قرب ذلك الوقت ثم يتوبون فيتخلصون من عقاب المعصية فتعريف وقتهما كالاغراء بفعل المعاصى (قوله بعلاماتها) أى أماراتها وأول العلامات الصغرى بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم وآخرها ظهور المهدى (قوله لتجزى) إما متعلق بأخفيها أو بآتية وقوله أكاد أخفيها جملة معترضة بين المتعلق والمتعلق (قوله بما تسعى) ماموصولة وجملة تسعى صلته والعائد محذوف قدره المفسر بقوله به وقوله من خير وشر بيان لما (قوله فلا يصدنك) الخطاب لموسى ، والمراد غيره والفعل مبنى على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة (قوله فتردى) منصوب بفتحة مقدرة على الألف بأن مضمرة بعد فاء السببية فى جواب النهى (قوله

(وَأَنَا اخْتَرْتُكَ) من قومك (فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى) إليك منى (إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي) فيها (إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا) عن الناس ويظهر لهم قربها بعلاماتها (لِتُجْزَى) فيها (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى) به من خير أو شر (فَلَا يَصُدَّنَّكَ) يصرفنك (عَنْهَا) أى عن الإيمان بها (مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ) فى إنكارها (فَتَرْدَى) أى فتهلك إن انصددت عنها (وَمَا تِلْكَ) كائنة (بِيَمِينِكَ يَامُوسَى) الاستفهام للتقرير ليرتب عليه المعجزة فيها (قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ) أعتمد (عَلَيْهَا) عند الوثوب والمشى (وَأَهُشُّ) أخبط ورق الشجر (بِهَا) ليسقط (عَلَى غَنَمِي) فتأكله (وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ) جمع مأرب مثلث الراء أى حوائج (أُخْرَى) كحمل الزاد والسقاء وطرد الهوام ، زاد فى الجواب بيان حاجاته بها (قَالَ أَلْقِهَا يَامُوسَى. فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ) ثعبان عظيم (تَسْعَى) تمشى على بطنها سريعاً كسرعة الثعبان الصغير ،

وماتلك بيمينك ياموسى) أى بعد أن خلع عليه خلعة النبوّة والرسالة بسط له الكلام ليزداد حبا وشغفا ويؤيده بالمعجزات الباهرة وما اسم استفهام مبتدأ وتلك اسم إشارة خبر وقوله بيمينك متعلق بمحذوف حال والعامل فيه معنى الاشارة وهذا أحسن من جعل تلك اسما موصولا بمعنى التى وبيمينك صلتها لأنه ليس مذهب البصريين (قوله الاستفهام للتقرير) أى فحكمة الاستفهام المسمى كون موسى يقر ويعترف بصفات تلك العصا فيمنحه فوق مايعلم منها ، وليس المراد حقيقة الاستفهام الذى هو طلب الفهم فانه مستحيل عليه تعالى لعلمه بها (قوله قال هى عصاى) أى وكانت من آس الجنة نزل بها آدم منها ثم ورثها شعيب فلما زوجه ابنته أمرها أن تعطيه عصا يدفع بها السباع عن غنمه وكانت عصى الأنبياء عنده فوقع فى يدها عصا آدم فأخذها موسى بعلم شعيب ، وإنما زاد فى الجواب لأن المقام مقام مباسطة وخطاب الحبيب ولا شك أن الزيادة فى الجواب فى هذا المقام مما يريح الفؤاد وإلا فكان يكفيه أن يقول هى عصاى (قوله عند الوثوب) أى النهوض للقيام (قوله وأهش) بضم الهاء من هش يهش بمعنى خبط الشجر ليسقط ورقه ، وأما هش يهش بكسر الهاء فيقال على اللين والاسترخاء وسرعة الكسر والبشاشة (قوله ولى فيها مآرب أخرى) أجمل فى هذا الجواب إما حياء من الله تعالى لطول الكلام أو اتكالا على علمه تعالى (قوله كحمل الزاد) أشار بالكاف إلى أن لها منافع أخرى فكان يستقى بها الماء من البئر فيجعلها موضع الحبل وكل شعبة من شعبتيها تصير دلوا ممتلئا وكانت تماشيه وتحادثه وكان يضرب بها الأرض فيخرج له مايأكل يومه ويركزها فيخرج الماء فاذا رفعها ذهب الماء وكان إذا اشتهى ثمرة ركزها فتغصن غصنين فصارت شجرة وأورقت وأثمرت وكانت شعبتاها تضيآن بالليل كالسراج وإذا ظهر له عدوّ كانت تحارب به (قوله فألقاها) أى طرحها على الأرض (قوله فاذا هى حية تسعى) عبر عنها بالحية وفى آية أخرى بثعبان

وفي أخرى بـ ـها كالجان ووجه الجمع ماأشار له المفسر بقوله تمشي على بطنها سريعا كسرعة الثعبان الخ . والحاصل أن تسميتها حية باعتبار كونها ثعبانا عظيما وجانا باعتبار مشيها (قوله المسمى بالجان) أي وهو الثعبان الصغير . وأما الجن فهو النوع المعروف (قوله قال خذها ولا تخف) إنما حصل له الخوف لأن صورتها هائلة فشعبتاها صارتا شدقين لها والمحجن عنقها وعيناها تتقدان نارا تمر بالشجرة العظيمة فتلتقمها وتقطع الشجرة العظيمة بأنيابها ، يسمع لأنيابها صوت عظيم فظن أنها سطوة من الله عليه فولى مدبرا ولم يعقب فلما قال الله له خذها لاتخف تبين له أنها نعمة لانقمة (قوله فأدخل يده) أي مكشوفة ، وقيل كان عليه مدرعة صوف فلما قال الله له خذها لف كم المدرعة على يده فأمره الله أن يكشف يده وقال أرأيت لو أذن الله لها أكانت المدرعة تغني عنك شيئا قال لا ولكني ضعيف من الضعف خلقت فكشف عن يده ثم وضعها في فم الحية (قوله وتبين) هو فعل ماض وفاعله ضمير يعود على موسى أي علم (قوله أن موضع الخ) في محل المفعول به (قوله موضع مسكها) أي الاتكاء عليها ، والمعنى أنه لما وضع يده في فمها وانقلبت عصا ويده بحالها رأى محل يده هو مابين الشعبتين فالشعبتان صارتا شدقين وصار ماتحتهما وهو محل مسكها بيده عنقا لها (قوله ورأى ذلك) أي بصر الله موسى قلبها حية في ذلك الوقت لئلا يجزع الخ (قوله لدى فرعون) أي عنده (قوله بمعنى الكف) أي لابمعنى حقيقتها وهي من الأصابع إلى المنكب (٤٩) (قوله تحت العضد) بيان المراد من الجنب وقوله إلى الابط أي من المرفق منتهيا إلى الابط (قوله من الأدمة) أي السمرة (قوله من غير سوء) متعلق بتخرج وهذا يسمى عند أهل البيان احتراسا وهو أن يؤتى بشيء يرفع توهم غير المراد لأن البياض قد يراد به البرص والبهق (قوله تضيء كشعاع الشمس) أي فكان إذا أدخل يده اليمنى في جيبه وأدخلها تحت إبطه الأيسر وأخرجها كان لها نور ساطع

المسمى بالجان المعبر به فيها في آية أخرى (قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ) منها (سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا) منصوب بنزع الخافض أي إلى حالتها (الْأُولَى) فأدخل يده في فمها فعادت عصا وتبين أن موضع الادخال موضع مسكها بين شعبتيها وأرى ذلك السيد موسى لئلا يجزع إذا انقلبت حية لدى فرعون (وَاضْمُمْ يَدَكَ) اليمنى بمعنى الكف (إِلَى جَنَاحِكَ) أي جنبك الأيسر تحت العضد إلى الإبط وأخرجها (تَخْرُجْ) خلاف ما كانت عليه من الأدمة (بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ) أي برص تضيء كشعاع الشمس تغشي البصر (آيَةً أُخْرَى) وهي وبيضاء حالان من ضمير تخرج (لِنُرِيَكَ) بها إذا فعلت ذلك لإظهارها (مِنْ آيَاتِنَا) الآية (الْكُبْرَى) أي العظمى على رسالتك وإذا أراد عودها إلى حالتها الأولى ضمها إلى جناحه كما تقدم وأخرجها (اذْهَبْ) رسولا (إِلَى فِرْعَوْنَ) ومن معه (إِنَّهُ طَغَى) جاوز الحد في كفره إلى ادعاء الإلهية (قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي) وسعه لتحمل الرسالة (وَيَسِّرْ) سهل (لِي أَمْرِي) لأبلغها (وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي) حدثت من احتراقه ،

يضيء بالليل والنهار كضوء الشمس والقمر وأشد ضوءا ثم إذا ردها إلى جيبه صارت إلى لونها الأول (قوله الآية الكبرى) قدره إشارة إلى أن الكبرى صفة لمحذوف مفعول ثان لقوله لنريك والكاف مفعول أول والكبرى اسم تفضيل ، والمعنى التي هي أكبر من غيرها حتى من العصا لأنها لم تعارض أصلا ، وأما العصا فقد عارضها السحرة (قوله اذهب إلى فرعون) أي بهاتين الآيتين وهما العصا واليد . روى أن الله تعالى قال لموسى عليه السلام : اسمع كلامي واحفظ وصيتي وانطلق برسالتي فإنك بعيني وسمعي وإن معك يدي ونصري وإني ألبسك جبة من سلطاني تستكمل بها القوة في أمرك أبعثك إلى خلق ضعيف من خلقي بطر نعمتي وأمن مكري وغرته الدنيا حتى جحد حقي وأنكر ربوبيتي ، أقسم بعزتي لولا الحجة التي وضعت بيني وبين خلقي لبطشت به بطشة جبار ولكن هان علي وسقط من عيني ، فبلغه رسالتي وادعه إلى عبادتي وحذره نقمتي وقل له قولا لينا لايغتر بلباس الدنيا فإن ناصيته بيدي لايطرف ولايتنفس إلا بعلمي ، فسكت موسى سبعة أيام لايتكلم ثم جاءه الملك فقال له أجب ربك فيما أمرك ، فعند ذلك قال رب اشرح لي صدري الخ (قوله وسعه لتحمل الرسالة) أي فإنك كلفتني بأمر عظيم لايقوى عليه إلا من شرحت صدره وقويته (قوله واحلل عقدة من لساني) أي لكنة حاصلة فيه وقد أجيب بحلها فعاد لفصاحته الأصلية وهذا هو الأحسن ، وقيل زال بعضها بدليل قوله تعالى :

ـ هو أفصح منى لسانا ـ وقول فرعون ـ ولا يكاد يبين ـ ورد بأن معنى هو أفصح أنه لم يطرأ عليه لكنة وقول فرعون باعتبار مايعهده منه (قوله بجمرة وضعها الخ) أى وذلك أن موسى لاعبه فرعون ذات يوم فنتف لحيته ولطمه على وجهه فاغتم وهمّ بقتله فقالت له زوجته آسية بنت مزاحم مثل هذا الغلام لايغتم منه لأنه لايفرق بين التمرة والجمرة فأتى له بطست فيه تمر، وقيل جوهر و بطست آخر فيه جمر فأراد أن يأخذ التمرة أوالجوهرة فأخذ جبريل بيده ووضعها على الجمر فأخذ جمرة ووضعها على فيه فاحترق لسانه وصارفيه لكنة (قوله يفقهوا قولى) مجزوم فى جواب الدعاء (قوله وزيرا) من الوزر وهوالثقل سمى بذلك لأنه يتحمل مشاق الملك ويعينه على أموره و يقوم بها (قوله مفعول ثان) أى والأول وزيرا والأحسن عكسه بأن يجعل وزيرا مفعولا ثانيا مقدما وهرون مفعولا أول مؤخرا لأن القاعدة إذا اجتمع معرفة ونكرة يجعل المفعول الأول هو المعرفة لأن أصله المبتدأ والنكرة المفعول الثانى لأن أصله الخبر ووزيرا نكرة وهرون معرفة بالعلمية (قوله والفعلان بصيغتى الأمر والمضارع الخ) حاصل ماهنا أن القراآت السبعية خمس اثنتان عند الوقف على ياء أخى وهما قراءة الفعلين بصيغتى الأمر فتضم الهمزة فى الأول وتفتح فى الثانى، والمضارع فتفتح فى الأول وتضم فى الثانى وثلاثة عند وصل أخى بما بعده وهى أن تسكن الياء ممدودة قدر ألفين مع قراءة الفعلين بالمضارع أو تحها والفعلان بالأمر أوتحذفها وهما بالأمر أيضا (قوله وهو جواب الطلب) أى وهو اجعل لى (قوله كى نسبحك كثيرا) تعليل لكل من الأفعال الثلاثة التى هى اجعل واشدد وأشرك (قوله قال قد أوتيت) أى جوابا لمطلوباته

وقوله سؤلك أى مسئولك ففعل بمعنى مفعول كأكل وخبز بمعنى مأكول ومخبوز (قوله ياموسى) خاطبه باسمه إشعارا بمحبته وتعظيم شأنه ورفعة قدره عليه السلام (قوله منا عليك) أى تفضلا حاصلا عليك وقدره دخولا على مابعده (قوله ولقد مننا عليك) استئناف مسوق لزيادة الطمأنينة لموسى كأن الله يقول له إنا قد مننا عليك بمنن سابقة من غير دعاء منك ولاطلب (ما

بجمرة وضعها بفيه وهو صغير (يفقهوا) يفهموا (قولى) عند تبليغ الرسالة (واجعل لى وزيرا) معينا عليها (من أهلى هرون) مفعول ثان (أخى) عطف بيان (اشدد به أزرى) ظهرى (وأشركه فى أمرى) أى الرسالة والفعلان بصيغتى الأمر والمضارع المجزوم وهو جواب الطلب (كى نسبحك) تسبيحا (كثيرا . ونذكرك) ذكرا (كثيرا . إنك كنت بنا بصيرا) عالما فأنعمت بالرسالة (قال قد أوتيت سؤلك ياموسى) منا عليك (ولقد مننا عليك مرة أخرى . إذ) للتعليل (أوحينا إلى أمك) مناما أو إلهاما لما ولدتك وخافت أن يقتلك فرعون فى جملة من يولد .

فلأن نعطيك ماتطلبه بالأولى، وصدر الجملة بالقسم زيادة فى الاعتناء بشأنه (قوله مرة أخرى) تأنيث آخر بمعنى غير أى تحققت منتنا عليك مرة أخرى غير المنة التى تحققت لك بسؤالك، والمراد بالمنة الجنس الصادق بالمنن الكثيرة (قوله للتعليل) أى لقوله مننا، والمعنى لأننا أوحينا إلى أمك الخ ويصح أن تكون للظرفية، والمعنى ولقد مننا عليك وقت إيحائنا إلى أمك الخ. وحاصل ماذكره من المنن من غير سؤال ثمانية. الأولى قوله إذ أوحينا. الثانية قوله وألقيت عليك. الثالثة قوله: ولتصنع على عينى. الرابعة قوله: فرجعناك إلى أمك. الخامسة قوله: وقتلت نفسا. السادسة قوله: وفتناك فتونا. السابعة قوله: فلبثت سنين. الثامنة قوله: واصطنعتك لنفسى (قوله إلى أمك) أى واسمها يوحانذ بياء مضمومة فواو ساكنة بعدها حاء مهملة فألف فنون مكسورة فذال معجمة (قوله مناما أو إلهاما) أى أو يقظة ولاينافيه كونها ليست نبية فإن المخصوص بالأنبياء الوحى بالشرائع والتكاليف وأما الوحى بغير الشرع فجائز حتى للنساء كما وقع لمريم أم عيسى (قوله لما ولدتك) أى فى السنة التى رتب فرعون أتباعه لذبح كل من يولد من الذكور فى تلك السنة، وذلك أن فرعون رأى رؤيا هالته فقصها على الكهنة فعبرت له بمولود يكون زوال ملكه على يديه فأمر أتباعه بأن يذبحوا كل من يولد من الذكور حتى شق الأمر فأبقى القتل فى سنة ورفعه فى سنة فصادف ولادة موسى عليه السلام فى السنة التى فيها القتل، فلما ولد جاء أتباع فرعون يفتشون على المولود فوضعته أمه فى التنور فجاءت أخته وأوقدته ففتشوا عليه فلم يجدوه، فخرجوا من عندها فنظرت إلى التنور فوجدته موقدا فخافت عليه فنادتها من التنور فأخرجته سالما فأوحى الله إليها أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه فى اليم، فأخذت صندوقا وجعلت فيه قطنا ووضعته فيه

ثم طلت رأس التابوت بالقار وألقته في اليم ، فموّجه البحر حتى أدخله في نهر كائن في بستان فرعون وكان فرعون جالسا مع آسية زوجته فأمر به فأخرج ففتح فاذا هو صبي أحسن الناس وجها فأحبه عدو الله حبا شديدا حتى إنه لم يقدر على بعده عنه ، وذلك قوله تعالى – وألقيت عليك محبة مني – (قوله مايوحى) أبهمه للتعظيم كقوله تعالى – فغشيهم من اليم ماغشيهم – (قوله في أمرك) أي شأنك (قوله ويبدل منه) أي بدل مفصل من مجمل (قوله أي شاطئه) المراد قربه لأن الصندوق أخذ من نفس البحر قريبا من البر (قوله والأمر بمعنى الخبر) أي وحكمة العدول عنه أنه لما كان إلقاء البحر إياه بالساحل أمرا واجب الحصول لتعلق الارادة به نزل البحر منزلة شخص مطيع أمره الله بأمر لايستطيع مخالفته (قوله وألقيت عليك محبة مني) يحتمل أن المعنى ألقيت عليك محبة صادرة مني بأن أحببتك فتسبب عن محبتي محبة الناس لك ، ويحتمل أن المعنى ألقيت عليك محبة خلقتها في قلوب الناس لك فأحبوك ، والأول أحسن لعدم السكاكة فيه (قوله ولتصنع) عطف على محذوف قدره المفسر بقوله لتحب من الناس (قوله تربى على رعايتي الخ) أي فالعين هنا بمعنى الرعاية والحفظ مجازا مرسلا من إطلاق السبب وهو نظر العين على المسبب وهو الحفظ والرعاية ، لأن شأن من ينظر للشيء بعينه أن يحفظه ويرعاه (قوله أختك مريم) أي وكانت شقيقته وهي غير أم عيسى (قوله لتعرف خبرك) أي فوجدتك في يد فرعون

(مَا يُوحَىٰ) في أمرك ويبدل منه (أَنِ اقْذِفِيهِ) ألقيه (فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ) بالتابوت (فِي الْيَمِّ) بحر النيل (فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ) أي شاطئه والأمر بمعنى الخبر (يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ) وهو فرعون (وَأَلْقَيْتُ) بعد أن أخذوك (عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي) لتحب من الناس فأحبك فرعون وكل من رآك (وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي) تربى على رعايتي وحفظي لك (إِذْ) للتعليل (تَمْشِي أُخْتُكَ) مريم لتتعرف خبرك وقد أحضروا مراضع وأنت لا تقبل ثدي واحدة منهن (فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَنْ يَكْفُلُهُ) فأجيبت فجاءت بأمه فقبل ثديها (فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا) بلقائك (وَلَا تَحْزَنَ) حينئذ (وَقَتَلْتَ نَفْسًا) هو القبطي بمصر فاغتممت لقتله من جهة فرعون (فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا) اختبرناك بالإيقاع في غير ذلك وخلصناك منه (فَلَبِثْتَ سِنِينَ) عشرا (فِي أَهْلِ مَدْيَنَ) بعد مجيئك إليها من مصر من عند شعيب النبي وتزوجك بابنته (ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ) في علمي بالرسالة وهو أربعون سنة من عمرك (يَا مُوسَىٰ . وَاصْطَنَعْتُكَ) اخترتك (لِنَفْسِي) بالرسالة (اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ) إلى الناس (بِآيَاتِي) التسع

فدلتهم على أمك حيث قالت هل أدلكم الخ (قوله وأنت لاتقبل الخ) أي لحكمة عظيمة وهي وقوعك في يد أمك لأنك لو رضعت غيرها لاستغنوا عن أمك (قوله على من يكفله) أي يكمل رضاعه ، وقد أرضعته أمه قيل ثلاثة أشهر وقيل أربعة (قوله فرجعناك) معطوف على محذوف قدره المفسر بقوله فأجيبت الخ (قوله كي تقر عينها) أي تسكن وتبرد دمعة حزنها (قوله ولا تحزن حينئذ) أي حين إذ قبلت ثديها ، والمراد نفي دوام الحزن (قوله هو القبطي) أي واسمه قاب قان وكان طباخا لفرعون (قوله من جهة فرعون) أي لامن جهة قتله فانه كان كافرا (قوله وفتناك فتونا) أي خلصناك من محنة بعد أخرى . روى أن سعيد بن جبير سأل ابن عباس رضي الله عنهما عن هذه الآية فقال : خلصناك من محنة بعد محنة ولد في عام كان يقتل فيه الولدان فهذه فتنة يا ابن جبير ، وألقته أمه في البحر وهمّ فرعون بقتله وقتل قبطيا وأجر نفسه عشر سنين وضلّ الطريق وضلت غنمه في ليلة مظلمة ، وكان يقول عند كل واحدة فهذه فتنة يا ابن جبير (قوله سنين عشرا) أي ولبث في مصر قبل قتل القبطي ثلاثين سنة وقيل خرج من مصر وهو ابن اثنتي عشرة سنة فمكث بمدين لرعي الغنم عشر سنين وبعدها ثماني عشرة سنة (قوله على قدر) أي مقدار من الزمان (قوله واصطنعتك لنفسي) أي لتشتغل بأوامري وتبليغ رسالتي ، وأن تكون في حركاتك وسكناتك لي لالغيري (قوله اذهب أنت وأخوك بآياتي) أي قد أجبناك فيما طلبت وأعطينا أخاك الرسالة فاذهب أنت وهو إلى فرعون وقومه (قوله إلى الناس) قدره إشارة إلى أنه حذف من هنا لدلالة قوله فيما يأتي إلى فرعون عليه كما أنه حذف فيما يأتي قوله بآياتي لدلالة ما هنا عليه ففي الكلام احتباك حيث حذف من كل نظير ما أثبته في الآخر (قوله بآياتي التسع) المناسب للمفسر أن يقول العصا واليد لأن باقي التسع لم يكن في المبدإ بل كان في أثناء المدة وعليه فجمع الآيات باعتبار ما اشتملت عليه العصا واليد من المعجزات المتعددة

(قوله ولا تنيا فى ذكرى) يقال ونى ينى ونيا كوعد يعد وعدا إذا فتر وأصله تونيا حذفت الواو لوقوعها بين عدوتيها الفتحة والكسرة (قوله وغيره) أى كتبليغ الرسالة وهو المقصود بالذات (قوله اذهبا إلى فرعون) إن قلت ما حكمة جمعهما فى ضمير واحد مع أن هرون لم يكن حاضرا فى محل المناجاة بل كان فى ذلك الوقت بمصر . أجيب بأن الله كشف الحجاب فى ذلك الوقت عن سمع هرون حتى سمع الخطاب مع أخيه لكن موسى سمعه من الله بلا واسطة وهرون سمعه من جبريل عن الله وهذا أحسن ما يقال (قوله فقولا له قولا لينا) أى سهلا لطيفا وقد قصه الله فى سورة النازعات فى قوله: هل لك إلى أن تزكى وأهديك إلى ربك فتخشى فانه دعوة فى صورة عرض (قوله فى رجوعه عن ذلك) أى عما هو فيه من ادعاء الربوبية والتكبر (قوله والترجى بالنسبة إليهما) أى إلى موسى وهرون ، والمعنى اذهبا مترجيين إيمانه وطامعين فيه ولا تذهبا آيسين منه (قوله لعلمه تعالى بأنه لايرجع) أى والفائدة فى إرسالهما إلزامه الحجة وقطع عذره لجريان عادته سبحانه وتعالى أنه لايعذب أحدا إلا بعد تبليغه الدعوة وعناده بعد ذلك (قوله قالا ربنا) أسند القول لهما لأنه وقع من كل منهما وإن كان مكانهما مختلفا لما تقدم أنه لامانع من إزالة الحجاب عن هرون وسماعه من جبريل ماقيل لموسى وقت المناجاة (قوله أو يعجل

بالعقوبة) أى فلا يصبر إلى تمام الدعوة وإظهار المعجزة (قوله أو أن يطغى) أى يزداد تكبرا وكفرا وأو مانعة خلو تجوز الجمع (قوله قال لا تخافا) أى لاتنزعجا منه (قوله فأتياه) أى اذهبا بأنفسكما إليه ولاتقعدا فى مكان وترسلا له (قوله فقولا إنا رسولا ربك) أمرهما الله أن يقولا له ست جمل أولها قوله: إنا رسولا ربك. الثانية قوله فأرسل معنا بنى إسرائيل. الثالثة ولا تعذبهم. الرابعة قد جئناك بآية من ربك الخامسة : والسلام على من اتبع الهدى . السادسة : إنا قد أوحى إلينا أن العذاب فى على من كذب وتولى (قوله فأرسل معنا بنى إسرائيل) أى أطلقهم من أسرك ولاتتول عليهم فانهم أولاد الأنبياء ولايليق أن يولى عليهم خسيس ، والمعنى أن موسى وهرون أرسلا إلى فرعون بأنه يؤمن بالله وحده ولا يتولى على بنى إسرائيل (قوله بحجة) أى دليل وبرهان على ما ادّعيناه من الرسالة (قوله فأتياه وقالا له جميع ما ذكر) قدر ذلك إشارة إلى أن قوله قال فمن ربكما الخ مرتب على محذوف وإشعارا بأنهما سارعا إلى امتثال الأمر من غير توان فيه (قوله قال فمن ربكما) لم يضف الرب لنفسه تكبرا وطغيانا وخوفا على قومه إذا أضاف الربّ لنفسه أن يميلوا لموسى (قوله اقتصر عليه) أى مع توجيه الخطاب لهما (قوله لأنه الأصل) أى فى الرسالة وهرون وإن كان رسولا إلا أن المقصود منه معاونة موسى (قوله ولادلالة عليه بالتربية) أى ولاقامة فرعون الدليل على موسى بأن ذكره بتربيته له فى قوله الآتى فى الشعراء ألم نربك فينا وليدا (قوله خلقه) أى صورته وشكله (قوله الحيوان منه) أى من كل شئ (قوله قال فما بال القرون الأولى) لما ظهر للعين حقية ماقال موسى وبطلان ماهو عليه أراد أن يصرفه عليه السلام إلى مالايعنيه من الأمور التى لاتعلق لها بالرسالة من الحكايات خوفا على رياسته أن تذهب فلم يلتفت موسى عليه السلام إلى ذلك الحديث وقال علمها عند ربى

(وَلاَ تَنِيَا) تفترا (فِى ذِكْرِى) بتسبيح وغيره (اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى) بادعائه الربوبية (فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَيِّنًا) فى رجوعه عن ذلك (لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ) يتعظ (أَوْ يَخْشَى) الله فيرجع، والترجى بالنسبة إليهما لعلمه تعالى بأنه لايرجع (قَالاَ رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا) أى يعجل بالعقوبة (أَوْ أَنْ يَطْغَى) علينا أى يتكبر (قَالَ لاَ تَخَافَا إِنَّنِى مَعَكُمَا) بعونى (أَسْمَعُ) ما يقول (وَأَرَى) ما يفعل (فَأْتِيَاهُ فَقُولاَ إِنَّا رَسُولاَ رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِى إِسْرَائِيلَ) إلى الشام (وَلاَ تُعَذِّبْهُمْ) أى خلّ عنهم من استعمالك إياهم فى أشغالك الشاقة كالحفر والبناء وحمل الثقيل (قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ) بحجة (مِنْ رَبِّكَ) على صدقنا بالرسالة (وَالسَّلاَمُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى) أى السلامة له من العذاب (إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ) ما جئنا به (وَتَوَلَّى) أعرض عنه ، فأتياه وقالا له جميع ما ذكر (قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَامُوسَى) اقتصر عليه لأنه الأصل ولادلالة عليه بالتربية (قَالَ رَبُّنَا الَّذِى أَعْطَى كُلَّ شَىْءٍ) من الخلق (خَلْقَهُ) الذى هو عليه متميز به عن غيره (ثُمَّ هَدَى) الحيوان منه إلى مطعمه ومشربه ومنكحه وغير ذلك (قَالَ) فرعون (فَمَا بَالُ) حال (الْقُرُونِ) الأمم (الْأُولَى) كقوم نوح وهود ولوط وصالح ،

(قوله فى عبادتهم الأوثان) أى أكان سببا فى شقاوتهم أوسعادتهم وإنما لم يوضح له الجواب لأنه مامور بملاطفته فاذا وضح له الجواب ربما نفر وتغير (قوله لايضل ربى) أى لايذهب شىء عن علمه (قوله ولا ينسى) أى بعد علمه (قوله الذى جعل لكم الأرض) هذا من جملة جواب موسى عن سؤال فرعون الأول (قوله مهادا) أى كالمهاد (قوله طرقا) أى تسلكونها من قطر إلى قطر لتقضوا مآربكم (قوله قال تعالى) أشار بذلك إلى أن قوله: فأخرجنا به أزواجا من كلامه تعالى لابطريق الحكاية عن موسى بل خطابا لأهل مكة وامتنانا عليهم وينتهى إلى قوله تارة أخرى وقيل إنه من كلام موسى أيضا وفيه التفات من الغيبة للتكلم (قوله وخطابا لأهل مكة) أى فى قوله: كلوا وارعوا **(٥٣)** (قوله شتى) ألفه للتأنيث

فى عبادتهم الأوثان (قَالَ) موسى (عِلْمُهَا) أى علم حالهم محفوظ (عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ) هو اللوح المحفوظ يجازيهم عليها يوم القيامة (لَا يَضِلُّ) يغيب (رَبِّي) عن شىء (وَلَا يَنْسَى) ربى شيئاً، هو (الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ) فى جملة الخلق (الْأَرْضَ مَهْدًا) فراشاً (وَسَلَكَ) سهل (لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا) طرقا (وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً) مطرا قال تعالى تتميما لما وصفه به موسى وخطابا لأهل مكة (فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا) أصنافا (مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى) صفة أزواجا أى مختلفة الألوان والطعوم وغيرهما، وشتى جمع شتيت كمريض ومرضى من شت الأمر: تفرق (كُلُوا) منها (وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ) فيها جمع نعم هى الإبل والبقر والغنم، يقال رعت الأنعام ورعيتها والأمر للإباحة وتذكير النعمة والجملة حال من ضمير أخرجنا أى مبيحين لكم الأكل ورعى الأنعام (إِنَّ فِي ذَلِكَ) المذكور هنا (لَآيَاتٍ) لعبرا (لِأُولِي النُّهَى) لأصحاب العقول جمع نهية كغرفة وغرف، سمى به العقل لأنه ينهى صاحبه عن ارتكاب القبائح (مِنْهَا) أى من الأرض (خَلَقْنَاكُمْ) بخلق أبيكم آدم منها (وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ) مقبورين بعد الموت (وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ) عند البعث (تَارَةً) مرة (أُخْرَى) كما أخرجناكم عند ابتداء خلقكم (وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ) أى أبصرنا فرعون (آيَاتِنَا كُلَّهَا) التسع (فَكَذَّبَ) بها وزعم أنها سحر (وَأَبَى) أن يوحد الله تعالى (قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا) مصر ويكون لك الملك فيها (بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى. فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ) يعارضه (فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا) لذلك (لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا) منصوب بنزع الخافض: فى (سُوًى) بكسر أوله وضمه أى وسطا تستوى إليه مسافة الجائى من الطرفين (قَالَ) موسى (مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ).

(قوله يقال رعت الأنعام الخ) أى فيستعمل لازما ومتعديا (قوله أى مبيحين لكم) المناسب أن يقول أى قائلين لكم كلوا الخ فهو أمر إباحة (قوله جمع نهية) وقيل إنه اسم مفرد فهو مصدر كالهدى والسرى (قوله بخلق أبيكم آدم منها) أى لجميع الخلق غير آدم خلقوا من الأرض بواسطة وهذا أحد قولين وقيل كل إنسان خلق من التراب بلا واسطة لأن كل نطفة وقعت فى الرحم يأخذ الملك الموكل بها شيئا من تراب المكان الذى يدفن فيه فيذره على النطفة فيخلق الله النسمة من النطفة والتراب (قوله ولقد أريناه آياتنا كلها) إخبار عما وقع لموسى فى مدة دعائه لفرعون وبهذا التقرير صح قول المفسر التسع واندفع مايقال إن فرعون فى ابتداء الأمر لم ير إلا العصا واليد وعليه فتكون هذه الجملة معترضة بين القصة (قوله قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك ياموسى) أى بعد أن رأى مارأى من معجزة العصا واليد قال ماذكر تسترا وخوفا على حفظ رياسته لئلا يؤمن قومه (قوله فلنأتينك) اللام موطئة لقسم محذوف تقديره وعزتى وكبريائى وقوله بسحر متعلق بنأتينك (قوله مثله) أى فى الغرابة (قوله موعدا) الأحسن أنه ظرف زمان مفعول أول مؤخر لقوله اجعل وقوله بيننا مفعول ثان مقدم وقوله بنزع الخافض أى فالمعنى عين زمانا بيننا وبينك نجتمع فيه فى مكان سوى أى متوسط (قوله بكسر أوله وضمه) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله قال موعدكم يوم الزينة) خصه عليه السلام بالتعيين لمزيد وثوقه بربه وعدم مبالاته بهم وليكون ظهور الحق على رؤوس الأشهاد ويشيع ذلك بين كل حاضر وباد فيكون أعظم فخرا لموسى عليه السلام.

(قوله يوم عيد لهم) أى وكان يوم عاشوراء واتفق أنه يوم سبت (قوله وأن يحشر الناس) أن ومادخلت عليه فى تأويل مصدر معطوف على الزينة أى ويوم حشر الناس ضحى (قوله وقته) أى وقت الضحى وهو ارتفاع الشمس (قوله أدبر) أى انصرف من المجلس (قوله أى ذوى كيده) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله ثم أتى بهم الموعد) أى فى يوم الزينة فى المكان المتوسط وهو سكندرية (قوله وهم اثنان وسبعون) الاثنان من القبط والسبعون من بنى إسرائيل وهذا أحد أقوال فى عددهم، وقيل كانوا اثنين وسبعين ألفا وهوموافق بعض النسخ، وقيل اثنى عشر ألفا (قوله مع كل واحد حبل وعصا) تقدم أنها كانت حمل أربعمائة بعير (قوله أى ألزمكم الله الويل) أشار بذلك إلى أن ويلكم منصوب بفعل محذوف والويل معناه الدمار والهلاك (قوله بإشراك أحد معه) أى بسبب اشراك أحد مع الله، والمعنى ألزمكم الله الويل إن افتريتم على الله الكذب بسبب اشراكم كم مع الله بدوام تصديقكم لفرعون (قوله بضم الياء الخ) أى فهما قراءتان سبعيتان فالضم من الرباعى والفتح من الثلاثى (قوله فتنازعوا أمرهم بينهم) أى تناظروا وتشاوروا فى أمر موسى وأخيه سراء، واختلف فيما أسروه فقيل هو قولهم

يوم عيد لهم يتزينون فيه ويجتمعون (وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ) يجمع أهل مصر (ضُحًى) وقته للنظر فيما يقع (فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ) أدبر (فَجَمَعَ كَيْدَهُ) أى ذوى كيده من السحرة (ثُمَّ أَتَى) بهم الموعد (قَالَ لَهُمْ مُوسَى) وهم اثنان وسبعون مع كل واحد حبل وعصا (وَيْلَكُمْ) أى ألزمكم الله الويل (لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا) بإشراك أحد معه (فَيُسْحِتَكُمْ) بضم الياء وكسر الحاء وبفتحهما أى يهلككم (بِعَذَابٍ) من عنده (وَقَدْ خَابَ) خسر (مَنِ افْتَرَى) كذب على الله (فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ) فى موسى وأخيه (وَأَسَرُّوا النَّجْوَى) أى الكلام بينهم فيهما (قَالُوا) لأنفسهم (إِنْ هَٰذَيْنِ) لأبى عمرو، ولغيره هذان وهو موافق للغة من يأتى فى المثنى بالألف فى أحواله الثلاث (لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى) مؤنث أمثل بمعنى أشرف، أى بأشرافكم بميلهم إليهما لغلبتهما (فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ) من السحر بهمزة وصل وفتح الميم من جمع أى لمّ، وبهمزة قطع وكسر الميم من أجمع أحكم (ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا) حال أى مصطفين (وَقَدْ أَفْلَحَ) فاز (الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى) غلب (قَالُوا يَا مُوسَى) اختر (إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ) عصاك أى أولا (وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى) عصاه (قَالَ بَلْ أَلْقُوا) فألقوا (فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ) أصله عصوو قلبت الواوان ياءين،

وكسرت

إن هذين لساحران الخ وقيل هو قول بعضهم لبعض ماهذا ساحر فان غلبنا اتبعناه وإن غلبناه بقينا على مانحن عليه (قوله وأسروا النجوى) أى تحدثوا سرا فيما بينهم (قوله لأبى عمرو) أى فقراءته بالياء اسم إن وساحران خبرها واللام للابتداء زحلقت للخبر وقوله ولغيره خبر مقدم وهذان مبتدأ مؤخر وقوله وهو موافق أى هذان موافق لمن يعرب المثنى بحركات مقدرة على الألف فيبنى اسم الاشارة الدال عليه على الألف وقد أجمل المفسر فى قوله ولغيره هذان. والحاصل أن القراآت السبعيات أربع: الأولى لأبى عمرو التى ذكرها المفسر وبقى ثلاث الأولى تشديد نون هذان مع تخفيف نون إن، والثانية والثالثة تخفيف نون هذان مع تشديد نون إن أو تخفيفها فعلى تشديد نون إن يكون هذان اسمها مبنيا على الألف وساحران خبرها وعلى تخفيفها يكون هذان ساحران مبتدأ وخبرا وإن مخففة واسمها ضمير الشأن والجملة خبر إن (قوله أى بأشرافكم) تفسير لطريقتكم فان من جملة معانى الطريقة أماثل الناس وأشرافهم: أى وذلك كفرعون وجلسائه (قوله فأجمعوا كيدكم) أى اجعلوه مجمعا بحيث لايتخلف عنه واحد منكم (قوله بهمزة وصل الخ) أى فهما سبعيتان (قوله ثم ائتوا صفا) أى لأنه أهيب فى صدور الرائين (قوله إما أن تلقى) أن وما بعدها فى تأويل مصدر منصوب بفعل محذوف قدره المفسر بقوله اختر (قوله قال بل ألقوا) أى ليظهر الفرق بين المعجزة والسحر (قوله فاذا حبالهم) إذا فجائية وحبالهم وعصيهم مبتدأ خبره جملة يخيل إليه الخ (قوله أصله عصوو) بوزن فلوس وقوله قلبت الواوان ياءين الخ أى قلبت الثانية ياء لوقوعها متطرفة فاجتمعت مع الواو وسبقت

إحداهما بالسكون قلبت الواو ياء وادغمت فى الياء (قوله وكسرت العين) اى اتباعا للصاد وكسرت الصاد لتصح الياء (قوله يخيل إليه) أى لأنهم طلوها بالزئبق فلما اشتد حر الشمس اضطربت واهتزت فتخيل أنها تتحرك (قوله خيفة) أصله خوفة قلبت الواو ياء لكسر ماقبلها (قوله من جهة أن سحرهم الخ) جواب عما يقال كيف حصل له الخوف مع علمه بأنه على الحق ولايصل له سوء منهم (قوله إنك أنت الأعلى) فيه إشارة إلى أن لهم علوا وغلبة بالنسبة لسائر الناس فطمنه الله بأمور لاتخطر بباله فان ابتلاع العصا لحبالهم وعصيهم أمر لايخطر ببال موسى (قوله تلقف) بفتح اللام وتشديد القاف أو بسكون اللام وفتح القاف قراءتان سبعيتان (قوله ماصنعوا) أى اخترعوا مما لاحقيقة له (قوله أى جنسه) دفع بذلك مايقال لم لم يقل ولايفلح السحرة بصيغة الجمع وفيه إشارة إلى أن الكلام موجه للعموم فكأنه قال لايفلح كل ساحر سواء كان من هؤلاء أو من غيرهم (قوله حيث أتى) أى فى أى زمان أو مكان أقبل منه (قوله فألقى موسى عصاه الخ) قدره إشارة إلى أن قوله فألقى السحرة سجدا مرتب على محذوف (قوله فألقى السحرة سجدا) أى إيمانا بالله وكفرا بفرعون وهذا من غرائب قدرة الله حيث ألقوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود، ثم ألقوا رؤوسهم بعد ساعة للشكر والسجود فما أعظم الفرق بين الالقاءين قيل لم يرفعوا رؤوسهم من السجود حتى رأوا الجنة والنار والثوب والعقاب ورأوا منازلهم فى الجنة (قوله وقالوا آمنا) قدر المفسر الواو إشارة إلى أنه معطوف على قوله فألقى السحرة سجدا، وفيه إيماء إلى أنهم

جمعوا فى الايمان بين القول والفعل (قوله قال آمنتم له قبل أن آذن لكم) أى لما شاهد فرعون من السحرة السجود والاقرار خاف أن يقتدى الناس بهم فى الايمان بالله وحده فألقى شبهتين الأولى قوله آمنتم له قبل أن آذن لكم أى لم تشاورنى ولم تستعينوا بنظر غيركم بل فى الحال آمنتم له فحينئذ دل ذلك على أن أيمانكم ليس

وكسرت العين والصاد (يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا) حيات (تَسْعَى) على بطونها (فَأَوْجَسَ) أحس (فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى) أى خاف من جهة أن سحرهم من جنس معجزته أن يلتبس أمره على الناس فلا يؤمنوا به (قُلْنَا) له (لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى) عليهم بالغلبة (وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ) وهى عصاه (تَلْقَفْ) تبتلع (مَاصَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ) أى جنسه (وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى) بسحره، فألقى موسى عصاه فتلقفت كل ماصنعوه (فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا) خروا ساجدين لله تعالى، و (قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى. قَالَ) فرعون (ءَآمَنْتُمْ) بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفا (لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ) أنا (لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ) معلمكم (الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ) حال بمعنى مختلفة أى الأيدى اليمنى والأرجل اليسرى (وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ) أى عليها (وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا) يعنى نفسه ورب موسى (أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى) أدوم،

عن بصيرة بل بسبب آخر، الثانية قوله إنه لكبيركم الذى علمكم السحر: أى فأنتم أتباعه فى السحر فتواطأتم معه على أن تظهروا العجز من أنفسكم ترويجا لأمره وتفخيما لشأنه لتنزعوا الملك منى وهاتان الشبهتان لايقبلهما إلا من عنده تردد أوشك وأما من كشف الله عنه الحجاب كالسحرة فلايدخل عليه شىء من ذلك لظهور شمس الهدى واتضاحها لهم (قوله بتحقيق الهمزتين) أى الأولى وهى للاستفهام والثانية وهى المزيدة فى الفعل الرباعى وقوله وإبدال الثانية ألفا صوابه الثالثة وهى فاء الكلمة فيكون فى كلامه إشارة لقراءة واحدة أو يقال إن معنى قوله الثانية أى فى الفعل بقطع النظر عن همزة الاستفهام فيكون قد أشار لقراءتين: الأولى تحقيق الهمزتين، الثانية تحقيق همزة الاستفهام، وبقيت قراءة أخرى وهى تسهيل الثانية والثلاث سبعيات ولا يتأتى هنا الرابعة المتقدمة فى الأعراف وهى قلب الأولى واوا لعدم الضمة قبلها هنا، بخلاف ماتقدم فانها تقدمها ضمة ونص الآية قال فرعون أآمنتم وأصل الفعل أأمن كأكرم بهمزتين الأولى زائدة والثانية فاء الكلمة قلبت الثانية ألفا على القاعدة، قال ابن مالك:

ومدا ابدال ثانى الهمزين من ... كلمة ان يسكن كآثر وائتمن

ثم دخلت همزة الاستفهام (قوله من خلاف) من ابتدائية أى فالقطع ابتدىء من مخالفة العضو للعضو (قوله أى عليها) أشار بذلك إلى أن فى الكلام استعارة تبعية حيث شبه الاستعلاء المطلق بالظرفية المطلقة فسرى التشبيه من الكليات للجزئيات فاستعيرت لفظة فى الموضوعة للظرفية الخاصة لمعنى على الموضوعة للاستعلاء الخاص بجامع التمكن فى كل.

(قوله على مخالفته) متعلق بكل من أعدّ وأبقى (قوله قالوا لن نؤثرك على ماجاءنا) أى قالوا ذلك غير مكترثين بوعيده لهم (قوله من البينات) أى المعجزات الظاهرة وجمعها باعتبار ما اشتملت عليه العصا واليد من الخوارق للعادات وإنما نسب المجىء لهم وإن كان موسى جاء بها لفرعون وقومه أيضا لأنهم هم المنتفعون بها (قوله قسم) أى وجوابه محذوف تقديره لانؤثرك على الحق ولايجوز أن يكون قوله لن نؤثرك جوابه لأن القسم لايجاب بلن إلا شذوذا ولاينبغى حمل التنزيل عليه (قوله أو عطف على ما) أى والتقدير لن نؤثرك على الذى جاءنا من البينات ولا على الذى فطرنا (قوله فاقض ما أنت قاض) اقض فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت وما اسم موصول مفعوله وأنت قاض صلته والعائد محذوف تقديره الذى أنت قاضيه، وقد أشار لهذا ابن مالك بقوله:

كذاك حذف ما بوصف خفضا ... كأنت قاض بعد أمر من قضى

وهو جواب عن تهديده المذكور كأنهم قالوا لانبالى بك ولا بتهديدك فافعل مابدالك ولم يثبت فى الكتاب ولافى السنة أنه فعل ماهددهم به (قوله النصب على الاتساع) أى نصب هذه المبدلة منه الحياة الدنيا على نزع الخافض (قوله وما أكرهتنا عليه من السحر) معطوف على خطايانا: أى ويغفر لنا الذى أكرهتنا عليه من السحر (قوله تعلما وعملا) أى لأن فرعون كان يخبره الكهنة بظهور مولود من بنى إسرائيل يكون زوال ملكه على يديه فعلمهم كانوا يصفونه له بهاتين المعجزتين

على مخالفته (قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ) نختارك (عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ) الدالة على صدق موسى (وَالَّذِي فَطَرَنَا) خلقنا، قسم أو عطف على ما (فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ) أى اصنع ما قلته (إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) النصب على الاتساع أى فيها وتجزى عليه فى الآخرة (إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا) من الإشراك وغيره (وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ) تعلما وعملا لمعارضة موسى (وَاللَّهُ خَيْرٌ) منك ثوابا إذا أطيع (وَأَبْقَى) منك عذابا إذا عصى، قال تعالى (إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا) كافرا كفرعون (فَإِنَّ لَهُ) نار (جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا) فيستريح (وَلَا يَحْيَا) حياة تنفعه (وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ) الفرائض والنوافل (فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى) جمع عليا مؤنث أعلى (جَنَّاتُ عَدْنٍ) أى إقامة بيان له (تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى) تطهر من الذنوب (وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي) بهمزة قطع من أسرى وبهمزة وصل وكسر النون من سرى لغتان أى سر بهم ليلا من أرض مصر (فَاضْرِبْ) اجعل (لَهُمْ) بالضرب بعصاك (طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا)

فأحب أن يتهيأ لمعارضته بإكراه الناس على تعليم السحر وإكراههم أيضا على الاتيان بهم من المدائن البعيدة ومما يدل على كونهم مكرهين على عمله ماروى أنهم قالوا لفرعون أرنا موسى وهو نائم ففعل فوجدوه تحرسه عصاه فقالوا ماهذا ساحر فان الساحر إذا نام بطل سحره فأبى إلا أن يعارضوه (قوله والله خير وأبقى) ردّ لقوله ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى (قوله قال تعالى) أشار بذلك إلى أن قوله: إنه من يأت ربه الخ مستأنف من كلامه تعالى وقيل إنه من كلام السحرة ألهمهم الله إياه (قوله إنه من يأت ربه مجرما) أى بأن يموت على كفره (قوله فيستريح) أى من العذاب (قوله حياة تنفعه) أى بأن تكون هنية مرية (قوله من تحتها الأنهار) أى من تحت قصورها (قوله وذلك) أى ماتقدم من قوله - جنات عدن - الخ (قوله تطهر من الذنوب) أى بعدم فعلها أو بالتوبة النصوح منها (قوله ولقد أوحينا إلى موسى) عطف قصة على قصة لأن الله تعالى قصّ علينا أولا مبدأ رسالة موسى إلى فرعون وما وقع منه وقص علينا ثانيا منتهى أمر فرعون وجنوده وكل ذلك عبرة للأمة المحمدية ليعلموا أن الظالم وإن أمهله الله وأمدّه بالنعم لايهمله، وقد ذكرت هذه القصة هنا مختصرة وتقدم ذكرها فى الأعراف مبسوطا (قوله بعبادى) أى وكانوا ستمائة ألف وسبعين ألفا (قوله لغتان) أى وهما قراءتان سبعيتان وكان المناسب للمفسر التنبيه على ذلك (قوله أى سر بهم ليلا) تفسير لكلّ من القراءتين (قوله من أرض مصر) أى إلى البحر فهو مأمور بالسير له فلا يقال لم لم يسر بهم فى البرّ فى طريق الشام (قوله طريقا) مفعول به لتضمن اضرب معنى اجعل كما أشار له المفسر، والمراد بالطريق جنسه فإن الطرق كانت اثنى عشرة بعدد أسباط بنى إسرائيل.

(قوله يبسا) أى يؤول إلى ذلك لأنه لم يكن يابسا قبل و إنما مرت عليه الصبا فجففته . قال ابن عباس : لما أمر الله موسى أن يقطع بقومه البحر وكان يوسف عهد إليهم عند موته أن يخرجوا بعظامه معهم من مصر فلم يعرفوا مكانها حتى دلتهم عليها عجوز فأخذوها وقال لها موسى اطلبى منى شيئا ، فقالت أكون معك فى الجنة فلما خرجوا تبعهم فرعون ، فلما وصل البحر وكان على حصان أقبل جبريل على فرس أنثى فى ثلاثة وثلاثين من الملائكة فسار جبريل بين يدى فرعون فأبصر الحصان الفرس فاقتحم بفرعون على أثرها فصاحت الملائكة بالقبط الحقوا حتى إذا لحق آخرهم وكاد أولهم أن يخرج التقى البحر عليهم فغرقوا فرجع بنو إسرائيل حتى ينظروا إليهم وقالوا ياموسى ادع الله أن يخرجهم لنا حتى ننظر إليهم فلفظهم البحر إلى الساحل فأصابوا من أمتعتهم شيئا كثيرا (قوله لا تخاف) العامة ماعدا حمزة وحده على الرفع وعليه فهو جملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب أو حال من فاعل اضرب : أى اضرب لهم طريقا حال كونك غير خائف ، وقرأ حمزة بالجزم على أن لا ناهية وتخف مجزوم بها ، وقوله ولا تخشى هو بالألف باتفاق القراء فعلى رفع لا تخاف العطف ظاهر وعلى الجزم فيكون قوله ولا تخشى معطوفا على لا تخف مجزوما وعلامة جزمه حذف الألف والألف الموجودة للاشباع أتى بها موافقة للفواصل

ورءوس الآى (قوله فأتبعهم

يَبَسًا) أى يابسا فامتثل ماأمر به وأيبس الله الأرض فمروا فيها (لَا تَخَافُ دَرَكًا) أى أن يلحقك فرعون (وَلَا تَخْشَى) غرقا (فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ) وهو معهم (فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ) أى البحر (مَا غَشِيَهُمْ) فأغرقهم (وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ) بدعائهم إلى عبادته (وَمَا هَدَى) بل أوقعهم فى الهلاك خلاف قوله : وما أهديكم إلا سبيل الرشاد (يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ) فرعون بإغراقه (وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ) فنؤتى موسى التوراة للعمل بها (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى) هما الترنجبين والطير السمانى بتخفيف الميم والقصر ، والمنادى من وجد من اليهود زمن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وخوطبوا بما أنعم الله به على أجدادهم زمن النبى موسى توطئة لقوله تعالى لهم (كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ) أى المنعم به عليكم (وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ) بأن تكفروا النعمة به (فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي) بكسر الحاء : أى يجب ، و بضمها : أى ينزل (وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي) بكسر اللام وضمها (فَقَدْ هَوَى) سقط فى النار (وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ) من الشرك (وَآمَنَ) وحد الله (وَعَمِلَ صَالِحًا) يصدق بالفرض والنفل (ثُمَّ اهْتَدَى) باستمراره على ما ذكر إلى موته .

فرعون) أى بعد ما أرسل حاشرين يجمعون له الجيش فجمعوا جيوشا كثيرة حتى كان مقدمة جيشه سبعمائة ألف فضلا عن الجناحين والقلب والساقة (قوله بجنوده) الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من فرعون (قوله فغشيهم من اليم ماغشيهم) أى علاهم وغمرهم من الأمر الهائل مالم يبلغ كنهه أحد (قوله وأضل فرعون قومه) إخبار عن حاله قبل الغرق (قوله خلاف قوله : وما أهديكم إلا سبيل الرشاد) أى أنه مخالف له فهو تكذيب لفرعون فى قوله (قوله قد أنجيناكم من عدوكم الخ) قدم أولا نعمة الانجاء ثم النعمة الدينية ثم الدنيوية فهو ترتيب فى غاية الحسن (قوله فنؤتى موسى التوراة) جواب عما يقال إن المواعدة كانت لموسى لا لهم فكيف أضيفت لهم . وأجيب أيضا بأنه أمر موسى أن يختار منهم سبعين رجلا فأضيفت المواعدة لهم بهذا الاعتبار (قوله هما الترنجبين) هو شىء حلو أبيض مثل الثلج كان ينزل عليهم فى التيه من الفجر إلى طلوع الشمس لكل إنسان صاع (قوله والطير السمانى) أى فكان ريح الجنوب يأتيهم به فيذبح الرجل منهم ما يكفيه وشربهم من العيون التى تخرج من الحجر (قوله والمنادى من وجد من اليهود الخ) هذا أحد قولين ، وقيل المخاطب من كان فى عهد موسى (قوله توطئة) أى تمهيدا (قوله من طيبات مارزقناكم) أى لذائذه وحلالاته (قوله بأن تكفروا النعمة) أى بعدم شكرها و بطركم لها (قوله بكسر الحاء الخ) أى ففى كل قراءتان سبعيتان (قوله سقط فى النار) أى على سبيل الخلود (قوله يصدق بالفرض والنفل) أى العمل الصالح يشمل كلا منهما (قوله باستمراره على ما ذكر إلى موته) أى بأن يدوم على التوبة والايمان والأعمال الصالحة وهو جواب عما يقال مافائدة ذكر الاهتداء آخرا مع أنه داخل فى عموم قوله وآمن فأفاد المفسر أن النجاة التامة والمغفرة الشاملة لمن حصلت منه التوبة والايمان والأعمال الصالحة ثم استمر عليها إلى أن لقى مولاه

(قوله وما أعجلك عن قومك ياموسى) ما استفهامية مبتدأ وأعجلك خبره وعن قومك متعلق بأعجلك ، والمعنى أى شىء حملك متعجلا عن قومك وسابقا لهم . وحاصل ذلك أن الله سبحانه وتعالى وعد موسى ثلاثين يوما وأتمها بعشر بعد إغراق فرعون وقومه يصومها ولايأكل ولايشرب ولاينام فيها وأمره تعالى أن يحضر من قومه سبعين رجلا يختارهم من بنى إسرائيل ليذهبوا معه إلى الطور لأجل أن يأخذوا التوراة فخرج بهم وخلف هرون على من بقى ، وفى رواية أنه أمر هرون أن يأتى بهم عند تمام الميقات فسار موسى بالسبعين ، ثم عجل من بينهم تشوقا إلى ربه وخلفهم وراءه وأمرهم أن يتبعوه إلى الجبل فقال تعالى له : وما أعجلك الخ ، والمقصود من سؤال الله لموسى إعلامه بما حصل من قومه وإلا فيستحيل عليه تعالى السؤال لطلب الفهم (قوله عن قومك) سياق المفسر يقتضى أن المراد بهم جملة بنى إسرائيل وأيده جماعة من المفسرين (قوله لمجىء ميعاد أخذ التوراة) أى لمجيئك فى ميعاد أخذ التوراة (قوله قال هم أولاء على أثرى) هم مبتدأ وأولاء خبره ، وقوله على أثرى خبر بعد خبر (قوله أى زيادة على رضاك) أى فسارعت إلى امتثال أمرك طلبا لزيادة رضاك ، لا لأصل الرضا فإنه حاصل وطلبه لايليق بحال الأنبياء (قوله وقبل الجواب) أى جواب السؤال وهو قوله - وعجلت إليك رب لترضى - (قوله أتى بالاعتذار) أى عن سبقه لقومه ، وقوله بحسب ظنه متعلق بالاعتذار (قوله وتخلف المظنون لما قال تعالى) أى ظهر لموسى أن ظنه تخلف حين أخبره الله بأن قومه قد عبدوا العجل وهذا يؤيد ماقلناه أولا أن المراد بالقوم جميع بنى إسرائيل (قوله أى بعد فراقك لهم) أى بعشرين يوما وهذا الاخبار من الله تعالى عند تمام الأربعين (قوله وأضلهم السامرى) اسمه موسى بن ظفر منسوب إلى سامرة قبيلة من بنى إسرائيل كان منافقا وكان قد رباه جبريل لأن فرعون لما شرع فى ذبح الولدان وضعته أمه فى حفرة فتعهده جبريل وكان يغذيه

(وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ) لمجىء ميعاد أخذ التوراة (يَا مُوسَى . قَالَ هُمْ أُولَاءِ) أى بالقرب منى يأتون (عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى) عنى ، أى زيادة على رضاك ، وقبل الجواب أتى بالاعتذار بحسب ظنه وتخلف المظنون لما (قَالَ) تعالى (فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ) أى بعد فراقك لهم (وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ) فعبدوا العجل (فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ) من جهتهم (أَسِفًا) شديد الحزن (قَالَ يَاقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا) أى صدقا أنه يعطيكم التوراة (أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ) مدة مفارقتى إياكم (أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ) يجب (عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ) بعبادتكم العجل (فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي) وتركتم المجىء بعدى (قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا) مثلث الميم ، أى بقدرتنا أو أمرنا (وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا) بفتح الحاء مخففا و بضمها وكسر الميم مشددا (أَوْزَارًا) أثقالا (مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ) أى حلى قوم فرعون استعارها منهم بنو إسرائيل بعلة عرس فبقيت عندهم (فَقَذَفْنَاهَا) طرحناها فى النار بأمر السامرى (فَكَذَلِكَ

من أصابعه الثلاثة فيخرج له من إحداها لبن ومن الأخرى سمن ومن الأخرى عسل (قوله فرجع موسى) أى بعد أن تم الأربعين وأخذ التوراة ، روى أنه لما رجع موسى سمع الصياح والضجيج وكانوا يرقصون حول العجل ، فقال للسبعين الذين كانوا معه هذا صوت الفتنة (قوله أنه يعطيكم التوراة) أن وما دخلت عليه فى تأويل مصدر مفعول ثان لقوله يعدكم والأول الكاف (قوله أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم) المعنى إن كان الحامل لكم على عبادة العجل والمخالفة طول العهد فإنه لم يطل ، و إن كان الحامل لكم على ذلك غضب الله عليكم فلا يليق من العاقل التعرض لغضب الله عليه (قوله وتركتم المجىء بعدى) أى لأنه وعدهم أن يتبعوه على أثره للميقات فخالفوا واشتغلوا بعبادة العجل (قوله ما أخلفنا موعدك بملكنا) أى لأنا لوخلينا وأنفسنا ما أخلفنا ولكن السامرى سوّل لنا وغلب على عقولنا فأطعناه (قوله مثلث الميم) أى كلها قراآت سبعيات (قوله و بضمها وكسر الميم) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله استعارها منهم بنو إسرائيل) أى قبل مسخ أموالهم (قوله بعلة عرس) أى إن بنى إسرائيل أظهروا أن العلة فى استعارتها هو العرس وفى الواقع ليس كذلك (قوله بأمر السامرى) أى فقال لهم إنما تأخر عنكم موسى لما معكم من الأوزار فالرأى أن تحفروا لها حفيرة وتوقدوا فيها نارا وتقذفوها فيها لتخلصوا من ذنبها .

(قوله فأخرج لهم عجلا) هذا من كلامه تعالى حكاية عن فتنة السامرى فهو معطوف على قوله : وأضلهم السامرى (قوله جسدا) حال من العجل ولايقال جسد إلا للحيوان ولايقال لغيره جسد إلا للزعفران والدم إذا يبس (قوله وأتباعه) أى الذين ضلوا وصاروا يساعدونه على من توقف من بنى إسرائيل (قوله أفلا يرون) الاستفهام للتوبيخ والتقريع (قوله أن مخففة من الثقيلة) أى فقوله لايرجع بالرفع فى قراءة العامة (قوله ولقد قال لهم هرون الخ) أى فنصحهم هرون قبل رجوع موسى (قوله وإن ربكم الرحمن) إنما ذكر هذا الاسم تنبيها على أنهم متى تابوا قبل الله توبتهم لأنه هو الرحمن (قوله حتى يرجع إلينا موسى) غاية لعكوفهم بطريق التعلل والتسويف لابطريق الوعد وترك عبادته عند رجوعه (قوله إذ رأيتهم) ظرف

(فَكَذَٰلِكَ) كما ألقينا (أَلْقَى السَّامِرِيُّ) ما معه من حليهم ومن التراب الذى أخذه من أثر حافر فرس جبريل على الوجه الآتى (فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا) صاغه من الحلى (جَسَدًا) لحما ودما (لَهُ خُوَارٌ) أى صوت يسمع أى انقلب كذلك بسبب التراب الذى أثره الحياة فيما يوضع فيه ووضعه بعد صوغه فى فمه (فَقَالُوا) أى السامرى وأتباعه (هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ . فَنَسِيَ) موسى ربه هنا وذهب يطلبه ، قال تعالى (أَفَلَا يَرَوْنَ أَ)ن مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أى أنه (لَا يَرْجِعُ) العجل (إِلَيْهِمْ قَوْلًا) أى لايرد لهم جوابا (وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا) أى دفعه (وَلَا نَفْعًا) أى جلبه أى فكيف يتخذ إلها (وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ) أى قبل أن يرجع موسى (يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَٰنُ فَاتَّبِعُونِي) فى عبادته (وَأَطِيعُوا أَمْرِي) فيها (قَالُوا لَن نَّبْرَحَ) نزال (عَلَيْهِ عَاكِفِينَ) على عبادته مقيمين (حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ . قَالَ) موسى بعد رجوعه (يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا) بعبادته (أَ)ن (لَا تَتَّبِعَنِ) لا زائدة (أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي) بإقامتك بين من يعبد غير الله تعالى (قَالَ) هرون (يَا ابْنَ أُمَّ) بكسر الميم وفتحها أراد أمى وذكرها أعطف لقلبه (لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي) وكان أخذها بشماله (وَلَا بِرَأْسِي) وكان أخذ شعره بيمينه غضبا (إِنِّي خَشِيتُ) لو اتبعتك ولابد أن يتبعنى جمع ممن لم يعبد العجل (أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ) وتغضب على (وَلَمْ تَرْقُبْ) تنتظر (قَوْلِي) فيما رأيته فى ذلك (قَالَ فَمَا خَطْبُكَ) شأنك الداعى إلى ما صنعت (يَا سَامِرِيُّ ؟ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ) بالياء والتاء أى علمت مالم يعلموه (فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ) تراب (أَثَرِ) حافر فرس (الرَّسُولِ) جبريل (فَنَبَذْتُهَا) ألقيتها فى صورة العجل المصاغ (وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ) زينت (لِي نَفْسِي) وألقى فيها أن آخذ قبضة من تراب ما ذكر وألقيها على ما لا روح له يصير له روح ، ورأيت قومك ،

منصوب بمنعك ، والمعنى أى شئ منعك وقت رؤيتك ضلالهم (قوله لازائدة) أى للتأكيد ، والمعنى مامنعك من اتباعى فى الغضب لله والمقاتلة لمن كفر (قوله باقامتك بين من يعبد غير الله) أى ولم يبالغ فى منعهم والانكار عليهم (قوله بكسر الميم) أى فحذفت الياء وبقيت الكسرة دالة عليها وقوله وفتحها أى فحذفت الألف المنقلبة عن الياء وبقيت الفتحة دالة عليها والقراءتان سبعيتان (قوله أعطف لقلبه) أى لالكونه أخاه من أمه فقط فان الحق أنه شقيقه (قوله وكان أخذ شعره) أى الرأس (قوله ولم ترقب قولى) معطوف على أن تقول أى وخشيت عدم ترقبك أى انتظارك وتأملك فى قولى حتى تفهم عذرى فالياء فى قولى واقعة على هرون ، هذا هو المتبادر من عبارة المفسر ، وقيل إنه معطوف على فرقت أى وخشيت أن تقول لم ترقب قولى أى تحفظه وتعمل به فعليه الياء واقعة على موسى (قوله قال بصرت) بضم الصاد فى قراءة العامة من باب ظرف وقرئ بكسرها من باب تعب (قوله بالياء) أى بنو إسرائيل وقوله والتاء أى أنت وقومك والقراءتان سبعيتان (قوله من أثر الرسول) أى وعرفه لسابق الألفة فلما جاء جبريل ليطلب موسى إلى الميقات لأخذ التوراة كان راكبا على فرس كلما وضعت حافرها على شئ اخضر فعرف السامرى أن التراب الذى تضع الفرس حافرها عليه شأنا (قوله فى صورة العجل) أى فى فمه (قوله المصاغ) صوابه المصوغ كما فى بعض النسخ .

(قوله طلبوا منك) أى حين جاوزوا البحر كما قال تعالى: وجاوزنا ببنى إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم الآية (قوله فان لك فى الحياة) إن حرف توكيد ونصب والجار والمجرور خبرها مقدم وأن تقول فى محل نصب اسمها مؤخر، والمعنى أن هذا القول ثابت لك مادمت حيا لاينفك عنك فكان يصيح فى البرية لامساس وحرّم موسى عليهم مكالمته ومواجهته ومبايعته، ويقال إن قومه باقية فيهم تلك الحالة إلى الآن، وهذه الآية أصل فى نفى أهل البدع والمعاصى وهجرانهم وعدم مخالطتهم (قوله فكان يهيم فى البرية) أى مع السباع والوحوش. يقال إن موسى عليه السلام همّ بقتله فقال الله له لاتقتله فانه سخى (قوله وبفتحها) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله ثم لننسفنه فى اليمّ) أى فلايبقى له عين ولا أثر (قوله بعد ذبحه) أى ولما ذبحه سال منه الدم (قوله إنما إلهكم الله الخ) كلام مستأنف لتحقيق الحق وإبطال الباطل، وهذا آخر قصة موسى المذكورة فى هذه السورة (قوله كذلك نقصّ عليك) جملة مستأنفة ذكرت تسلية له صلى الله عليه وسلم وتكثيرا لمعجزاته وزيادة فى علم أمته ليعرفوا

أحباب الله فيحبونهم وأعداء الله فيبغضونهم ليزدادوا رفعة وشأنا حيث اطلعوا على سير الأوائل (قوله أى كما قصصنا عليك) أشار بذلك إلى أن الكاف نعت لمصدر محذوف تقديره كقصصنا هذا الخبر الغريب نقصّ عليك الخ (قوله هذه القصة) أل للجنس لأن المتقدم ثلاث قصص: قصة موسى مع فرعون ومع بنى إسرائيل ومع السامرى (قوله ذكرا) سمى بذلك لتذكيره النعم والدار الآخرة (قوله من أعرض عنه) هذه الجملة فى محل نصب صفة لذكرا (قوله فلم يؤمن به) أشار بذلك إلى أن المراد بالإعراض عنه الكفر به وإنكار كونه من عند الله كلا أو بعضا

من

(قوله من الاثم) بيان للحمل الثقيل (قوله خالدين فيها) الجملة فى محل نصب على الحال من الضمير فى يحمل العائد على من باعتبار معناها، والتقدير يحملون الوزر حال كونهم مخلدين فيه. (قوله أى فى الوزر) أى عقابه فالكلام على حذف مضاف (قوله وساء لهم يوم القيامة حملا) ساء فعل ماض لانشاء الذم والفاعل مستتر عائد على الحمل المفسر بقوله حملا ولهم جار ومجرور متعلق بقول محذوف ويوم القيامة ظرف لساء وحملا تمييز والمخصوص بالذم محذوف قدره المفسر بقوله وزرهم. (قوله يوم ننفخ) أى نأمر بالنفخ وفى قراءة سبعية أيضا بالياء مع بناء الفعل للمفعول أى ينفخ إسرافيل (قوله القرن) أى وفيه طاقات على عدد أرواح الخلائق (قوله النفخة الثانية) أى لحشر الخلائق (قوله زرقا) حال من المجرمين (قوله مع سواد وجوههم) خصت بالذكر لأنها مظهر القبيح والحسن (قوله يتخافتون بينهم) أى يخفضون أصواتهم ويخفونها لما شاهدوه من الرعب والهول.

طلبوا منك أن تجعل لهم إلها فحدثتنى نفسى أن يكون ذلك العجل إلههم (قَالَ) له موسى (فَاذْهَبْ) من بيننا (فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَوٰةِ) أى مدة حياتك (أَنْ تَقُولَ) لمن رأيته (لَا مِسَاسَ) أى لا تقربنى فكان يهيم فى البرّية وإذا مسّ أحداً أو مسه أحد حمّا جميعاً (وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا) لعذابك (لَنْ تُخْلَفَهُ) بكسر اللام أى لن تغيب عنه، وبفتحها أى بل تبعث إليه (وَانْظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِى ظَلْتَ) أصله ظللت بلامين أولاهما مكسورة حذفت تخفيفا أى دمت (عَلَيْهِ عَاكِفًا) أى مقيما تعبده (لَنُحَرِّقَنَّهُ) بالنار (ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا) نذرينه فى هواء البحر وفعل موسى بعد ذبحه ما ذكره (إِنَّمَا إِلَٰهُكُمُ اللَّهُ الَّذِى لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا) تمييز محول عن الفاعل أى وسع علمه كل شىء (كَذَٰلِكَ) أى كما قصصنا عليك يا محمد هذه القصة (نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ) أخبار (مَا قَدْ سَبَقَ) من الأمم (وَقَدْ آتَيْنَاكَ) أعطيناك (مِنْ لَدُنَّا) من عندنا (ذِكْرًا) قرآنا (مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ) فلم يؤمن به (فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا) حملا ثقيلا من الإثم (خَالِدِينَ فِيهِ) أى فى عذاب الوزر (وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا) تمييز مفسر للضمير فى ساء والمخصوص بالذم محذوف تقديره وزرهم واللام للبيان ويبدل من يوم القيامة (يَوْمَ نَنْفُخُ فِي الصُّورِ) القرن النفخة الثانية (وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ) الكافرين (يَوْمَئِذٍ زُرْقًا) عيونهم مع سواد وجوههم (يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ) يتساررون (إِنْ) ما (لَبِثْتُمْ) فى الدنيا (إِلَّا عَشْرًا):

(قوله من الليالى بأيامها) حمل المفسر العشر على الليالى دون الأيام لتجريده من التاء فان المعدود إذا كان مؤنثا جرد العدد من التاء عكس المذكر (قوله أمثلهم طريقة) أى أعدلهم رأيا فى الدنيا (قوله لما عاينوه فى الآخرة من الهول) أى فنسب ذلك القول لهم لشدة ما عاينوا من الهول لا لكونه أقرب إلى الصدق (قوله ويسئلونك) أى كفار مكة تعنتا واستهزاء (قوله ثم يطيرها بالرياح) أى فالمعنى أنها تذهب بقدرة الله فلا يبقى لها أثر (قوله فيذرها) أى يتركها والضمير عائد على الأرض (قوله قاعا صفصفا) حالان من الضمير فى يذرها، والقاع المستوى الصلب، والصفصف الأرض الملساء فهو قريب فى المعنى من القاع فهو توكيد له (قوله عوجا) تقدم أن العوج بالكسر فى المعانى وبالفتح فى المحسوسات وما هنا منها الثانى لكن عبر فيه بالكسر لأنه لشدة غرابته كأنه صار من قبيل المعانى (قوله يتبعون الداعى) أى فيقبلون من كل جهة (قوله وهو إسرافيل) أى فيضع الصور على فيه ويقف على صخرة بيت المقدس ويقول: يا أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء فيقبلون عليه، وقيل المنادى جبريل والنافخ إسرافيل وصححه بعضهم (قوله إلى عرض الرحمن) أى العرض عليه (قوله لا عوج له) أى لا يزيغون عنه يمينا ولا شمالا بل يأتونه سراعا (قوله الرحمن) أى لجلاله وهيبته (قوله إلا همسا) مفعول به

من الليالى بأيامها (نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ) فى ذلك، أى ليس كما قالوا (إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ) أعدلهم (طَرِيقَةً) فيه (إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاَّ يَوْمًا) يستقلون لبثهم فى الدنيا جداً لما يعاينونه فى الآخرة من أهوالها (وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ) كيف تكون يوم القيامة (فَقُلْ) لهم (يَنْسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا) بأن يفتتها كالرمل السائل ثم يطيرها بالرياح (فَيَذَرُهَا قَاعًا) منبسطا (صَفْصَفًا) مستويا (لاَ تَرَى فِيهَا عِوَجًا) انخفاضا (وَلاَ أَمْتًا) ارتفاعا (يَوْمَئِذٍ) أى يوم إذ نسفت الجبال (يَتَّبِعُونَ) أى الناس بعد القيام من القبور (الدَّاعِيَ) إلى المحشر بصوته وهو إسرافيل يقول: هلموا إلى عرض الرحمن (لاَ عِوَجَ لَهُ) أى لاتباعهم أى لا يقدرون أن لا يتبعوا (وَخَشَعَتِ) سكنت (الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمٰنِ فَلاَ تَسْمَعُ إِلاَّ هَمْسًا) صوت وطء الأقدام فى نقلها إلى المحشر كصوت أخفاف الإبل فى مشيها (يَوْمَئِذٍ لاَ تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ) أحداً (إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمٰنُ) أن يشفع له (وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً) بأن يقول: لا إله إلا الله (يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ) من أمور الآخرة (وَمَا خَلْفَهُمْ) من أمور الدنيا (وَلاَ يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا) لا يعلمون ذلك (وَعَنَتِ الْوُجُوهُ) خضعت (لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ) أى الله (وَقَدْ خَابَ) خسر (مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا) أى شركا (وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ) الطاعات،

وهو استثناء مفرغ (قوله إلا من أذن له الرحمن) من مفعول به وهى واقعة على المشفوع له أو على الشفيع فقول المفسر أن يشفع له أى أو يشفع فى غيره (قوله بأن يقول لا إله إلا الله) أى مع عديلتها وهى محمد رسول الله، والمعنى أن من مات على الاسلام فقد رضى الله قوله وأذن له أن يشفع فى غيره وأن يشفع غيره فيه (قوله ما بين أيديهم) أى الخلق عموما (قوله ولا يحيطون به) أى بما بين أيديهم وما خلفهم (قوله لا يعلمون ذلك) أى لا تفصيلا ولا إجمالا وإنما يعلمه الله سبحانه وتعالى (قوله وعنت الوجوه) عنا فعل ماض والتاء للتأنيث والوجوه فاعل وأصله عنوت تحركت الواو وانفتح ما قبلها قلبت ألفا ثم حذفت لالتقاء الساكنين فهو من باب سما يسمو سموا وأما عنى كرضى يعنى عنا فهو بمعنى تعب وليس مرادا هنا بل المراد خضعت وذلت وأل فى الوجوه للاستغراق أى كل الوجوه والمراد أصحابها وخصت الوجوه بالذكر لأن الذل أول ما يظهر فيها (قوله للحى) أى الذى حياته أبدية لا أول لها ولا آخر (قوله القيوم) أى القائم على كل نفس بما كسبت فيجازيها على الخير والشر (قوله وقد خاب من حمل ظلما) أشار بذلك إلى أن الخلائق تنقسم فى القيامة قسمين أهل سعادة وأهل شقاوة وكلاهما فى خضوع وذل لله جل جلاله لكن أهل السعادة خضوعهم إجلالا وهيبة ورغبة فى الله وأهل الشقاوة خضوعهم رهبة وإشفاقا من عذاب الله ويأسا من رحمة الله قال تعالى: وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة (قوله خسر) أى ظهر خسرانه (قوله من حمل ظلما) أى تحمله وارتكبه وهذه الآية باعتبار ظاهرها تدل على أن أهل الظلم خائبون خاسرون أى معرضون لذلك ففى الحديث «الظلم ظلمات يوم القيامة» فان الظالم ربما أداه ظلمه إلى الكفر والعياذ بالله تعالى فاذا مات على ذلك فهو مخلد فى النار وإن مات على الاسلام فقد نقص عن مراتب المطهرين بسبب الزيادة فى سيئاته والنقص من حسناته.

(قوله وهو مؤمن) الجملة حالية (قوله فلا يخاف ظلما ولا هضما) أى وبضدها تميز الأشياء ، فالعاصى الظالم يخاف زيادة سيئاته ونقص حسناته لما ورد أنه يؤخذ من حسناته للمظلوم فاذا لم يبق له حسنات طرح من سيئات المظلوم عليه (قوله أى مثل إنزال ماذكر) أى الآيات المشتملة على تلك القصص العجيبة الغريبة (قوله أنزلناه) أى على لسان جبريل مفرقا فى ثلاث وعشرين سنة على حسب الوقائع (قوله عربيا) أى بلغة العرب ليعرفوا أنه فى الفصاحة والبلاغة خارج عن طوق البشر (قوله من الوعيد) أى التخويف (قوله لعلهم يتقون الشرك) أى يجعلون بينهم و بين الشرك وقاية بأن يؤمنوا (قوله أو يحدث لهم ذكرا) أى موعظة فى القلوب فينشأ عنها امتثال الأوامر واجتناب النواهى وتكرار المواعظ فى القرآن من مزيد رحمته تعالى بعباده سيما مع إمهالهم وعدم معاجلتهم بالأخذ ولذلك يقال للكفار يوم القيامة أو لم نعمركم مايتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير (قوله الملك) أى النافذ حكمه وأمره (قوله الحق) أى الثابت الذى لايقبل الزوال أزلا ولا أبدا (قوله ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه) المعنى لاتتعجل بقراءة ماألقاه عليك جبريل فى قلبك حتى يقرأه عليك ، وسبب ذلك أن جبريل كان يأتى للنبى بالقرآن فيلابس جسمه و يضعه فى قلبه فيريد النبىّ التعجل والنطق به فأمره الله أن لاينطق به حتى يقرأه جبريل باللسان عليه ظاهرا وهذا معنى قوله تعالى ـ لاتحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه ، والحكمة فى تلقى رسول الله عن جبريل ظاهرا أنه يكون سنة متبعة لأمته فهم مأمورون بالتلقى من أفواه المشايخ ولا يفلح من أخذ العلم أو القرآن من السطور بل التلقى له سرّ آخر (قوله وقل رب زدنى علما) أى سل ربك الاستزادة من العلوم بسبب توالى نزول القرآن فانها أفضل مايسئل وأعزّ مايطلب ، ومن هنا أمر المشايخ المريدين بتلاوة القرآن واقتصر

(وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا) بزيادة فى سيآته (وَلَا هَضْمًا) بنقص من حسناته (وَكَذَٰلِكَ) معطوف على كذلك نقصّ ، أى مثل إنزال ماذكر (أَنزَلْنَاهُ) أى القرآن (قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا) كررنا (فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) الشرك (أَوْ يُحْدِثُ) القرآن (لَهُمْ ذِكْرًا) بهلاك من تقدّمهم من الأمم فيعتبرون (فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ) عما يقول المشركون (وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ) أى بقراءته (مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ) أى يفرغ جبريل من إبلاغه (وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا) أى بالقرآن فكلما أنزل عليه شىء منه زاد به علمه (وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ) وصيناه أن لايأكل من الشجرة (مِن قَبْلُ) أى قبل أكله منها (فَنَسِيَ) ترك عهدنا (وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا) حزما وصبرا عما نهيناه عنه (وَ) اذكر (إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ) وهو أبو الجن كان يصحب الملائكة و يعبد الله معهم (أَبَىٰ) عن السجود لآدم قال أنا خير منه (فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ) حواء بالمد (فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ) تتعب بالحرث والزرع والحصد والطحن والخبز وغير ذلك ،

والتعبد به بعد كمالهم ونظافة قلوبهم وما داموا لم يكملوا يأمرونهم بالمجاهدة بالذكر ونحوه لتخلص قلوبهم والحكمة فى ذلك أن الغفلة فى الذكر أخف منها فى القرآن لما فى الأثر : رب قارىء والقرآن يلعنه ، فجعل العارفون للتوصل للقرآن طرقا يجاهدون أنفسهم فيها ليزدادوا بقراءتهم القرآن علوما ومعارف وأخلاقا وحينئذ فليس تركهم القراءة فى المبدإ لكون غيره أفضل منه بل لينظفوا أنفسهم للقراءة (قوله وصيناه أن لا يأكل من الشجرة) أى نهيناه عن الأكل منها وحتمنا عليه الأكل منها فغلب مرادنا على أمرنا (قوله ترك عهدنا) أى متأولا حيث غلطه إبليس بقوله : هل أدلك على شجرة الخلد وملك لايبلى ، وقاسمهما إنى لكما لمن الناصحين ، فظنّ أنه لايحلف أحد بالله كذبا (قوله و إذ قلنا للملائكة) كررت هذه القصة فى سبع سور من القرآن تعليما للعباد امتثال الأمر واجتناب النهى وعطف هذه القصة على ما قبلها من عطف السبب على المسبب لأن هذه القصة سبب فى عداوة إبليس لآدم (قوله فسجدوا) أى جميعا وتقدم الجواب عن سجود الملائكة بأوضح وجه (قوله إلا إبليس) استثناء متصل أو منقطع (قوله كان يصحب الملائكة الخ) توجيه للاتصال لكونه لم يعبر بلكن (قوله فلايخرجنكما) النهى لابليس صورة ، والمراد نهيهما عن تعاطى أسباب الخروج فيتسبب عن ذلك حصول التعب له فى الدنيا .

(قوله واقتصر على شقاه) أى مع أن النهى لهما معا (قوله إن لك أن لاتجوع فيها ولا تعرى الخ) قابل الله سبحانه وتعالى بين الجوع والعرى والظمأ والضحو و إن كان الجوع يقابل العطش والعرى يقابل الضحو ، لأن الجوع ذلّ الباطن والعرى ذلّ الظاهر والظمأ حر الباطن والضحو حر الظاهر فنفى عن ساكن الجنة ذل الظاهر والباطن وحر الظاهر والباطن (قوله بفتح الهمزة وكسرها) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله قال يا آدم) بيان لصورة الوسوسة (قوله فبدت لهما سوآتهما) أى بسبب تساقط حلل الجنة عنهما لما أكلا من الشجرة (قوله يسوء صاحبه) أى يحزنه (قوله من ورق الجنة) أى ورق التين فصارا يلزقان بعضه ببعض حتى يصيرطويلا عريضا يصلح للاستتار به (قوله وعصى آدم ربه فغوى) أى وقع فيمانهى عنه متأولا حيث تخلف ماقصده بأكله من الشجرة وضل عن مطلوبه وهو الخلود فى الجنة فمعصيته ووقوعه فى المخالفة باعتبار الواقع لافى القصد والنية بل قصده ونيته امتثال الأمر وتجنب مايوجب الخروج وحينئذ فلايجوز أن يطلق على آدم العصيان والغواية من غير اقتران بالتأويل ولا نفى اسم العصيان عنه لصريح الآية وعلى كل حال فالله عنه راض وهومعصوم قبل النبوّة و بعدها من كل مايخالف أمر الله هذاهو الحق فى تقرير هذا المقام . واعلم أن الخطأ والنسيان يقع من المعصومين للتشريع والمصالح كماهو معهود فى نصوص الشرع وتسمية الله له فى حقهم معصية من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين (قوله بالأكل من الشجرة) تقدم أنها الحنطة

واقتصر على شقاه لأن الرجل يسعى على زوجته (إِنَّ لَكَ أَ) ن (لَا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى وَأَنَّكَ) بفتح الهمزة وكسرها عطف على اسم إن وجملتها (لَا تَظْمَؤُا فِيهَا) تعطش (وَلَا تَضْحَى) لا يحصل لك حر شمس الضحى لانتفاء الشمس فى الجنة (فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ) أى التى يخلد من يأكل منها (وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى) لا يفنى وهو لازم الخلد (فَأَكَلَا) أى آدم وحواء (مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا) أى ظهر لكل منهماقبُلُهُ وقبُلُ الآخر ودُبُرُهُ وسمى كل منهماسوأة لأن انكشافه يسوء صاحبه (وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ) أخذا يلزقان (عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ) ليستترا به (وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى) بالأكل من الشجرة (ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ) قرّبه (فَتَابَ عَلَيْهِ) قبل توبته (وَهَدَى) أى هداه إلى المداومة على التوبة (قَالَ اهْبِطَا) أى آدم وحواء بما اشتملتما عليه من ذريتكما (مِنْهَا) من الجنة (جَمِيعًا بَعْضُكُمْ) بعض الذرية (لِبَعْضٍ عَدُوٌّ) من ظلم بعضهم بعضا (فَإِمَّا) فيه إدغام نون إن الشرطية فى ما الزائدة (يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ) أى القرآن (فَلَا يَضِلُّ) فى الدنيا (وَلَا يَشْقَى) فى الآخرة (وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي) أى القرآن فلم يؤمن به (فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا)

وقيل التين وقيل غيرذلك (قوله ثم اجتباه) أى اصطفاه واختاره (قوله قبل توبته) أى بقوله ربنا ظلمنا أنفسنا الخ (قوله إلى المداومة على التوبة) أى الاستمرار عليها (قوله قال اهبطا) أى قال الله تعالى لآدم وحواء اهبطا من الجنة لأن مكثهما فيها كان معلقا على عدم أكلهما من الشجرة وقد سبق فى علمه تعالى أنهما يأكلان منها فهوأمر مبرم والمعلق على المبرم مبرم فاخراجهما ليس للغضب عليهما بل لمزيد شرفهما ورفعة قدرهما لأنهما خرجا من الجنة منفردين و يعودان إليها بمائة وعشرين صفا من أولادهما لايحيط بعدة تلك الصفوف إلا الله تعالى . إن قلت ما الحكمة فى تعليق الخروج على الأكل من الشجرة ولم يكن بلاسبب . أجيب بأن الله سبحانه وتعالى كريم ومن عادة الكريم أن لايسلب نعمته عن المنعم عليه إلا بحجة قال تعالى ـ ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم (قوله أى آدم وحواء) يحتمل أن أى حرف نداء وآدم منادى مبنى على الضم فى محل نصب وحواء معطوف على آدم ، ويحتمل أن أى حرف تفسير وآدم وحواء تفسير للضمير فى اهبطا (قوله بما اشتملتما عليه) قصد بذلك التوفيق بين هذه الآية وآية الأعراف حيث جمع فيها وتقدم لنا وجه آخر فى التوفيق بينهما بأن الجمع باعتبار آدم وحواء و إبليس والحية وعلى هذا فقوله بعضكم لبعض عدو باعتبار أن الحية و إبليس عدو لآدم وذريته (قوله من ظلم بعضهم بعضا) أى من أجل ظلم بعضهم بعضا لما فى الحديث « سألت ربى أن لايسلط على أمتى عدوا من سوى أنفسها فاستجاب لى » (قوله فاما يأتينكم منى هدى) إن شرطية مدغمة فى ما الزائدة و يأتينكم فعل الشرط مبنى على الفتح فى محل جزم لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة ومنى متعلق بهدى وهدى فاعل وقوله فمن اتبع الخ من شرطية واتبع فعل الشرط وجملة فلا يضلّ جوابه وقوله ومن أعرض الخ جملة شرطية أيضا والجملتان فى محلّ جزم جواب الشرط الأول (قوله أى القرآن) فى تفسير الهدى والذكر

فيما يأتي بالقرآن قصور لأن الخطاب مع آدم وذرّيته وهداهم وتذكيرهم أعم من أن يكون بالقرآن أو بغيره من الكتب النازلة على الرسل فالمناسب أن يقول أى كتاب ورسول (قوله بالتنوين) أي وصلا و إبداله ألفا وقفا وفى قراءة شاذة ضنكى كسكرى بألف بدل عن التنوين إجراء للوصل مجرى الوقف (قوله مصدر) أى وهو لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث بل هو لفظ واحد للجميع ولذلك لم يقل ضنكة (قوله بعذاب الكافر فى قبره) أى لما ورد أنه يضغط عليه القبر حتى تختلف أضلاعه ولا يزال فى العذاب حتى يبعث ، وقيل المراد بالعيشة الضنكى الحياة فيمايغضب الله تعالى و إن كان فى رخاء ونعمة إذ لاخير فى نعمة بعدها النار لما فى الحديث «رب شهوة ساعة أورثت حزنا طويلا» (قوله أى المعرض عن القرآن) المناسب أن يقول المعرض عن الهدى لما علمت (قوله أى أعمى البصر) أي وذلك فى المحشر فاذا دخل النار زال عماه ليرى مقعده فى النار وعذابه بها (قوله الأمر كذلك) قدره إشارة إلى أن كذلك خبر لمحذوف (قوله تركتها ولم تؤمن بها) أى فالمراد بالنسيان الاعراض وعدم الايمان بها ، وليس المراد حقيقة النسيان وحينئذ فلا يصح الاستدلال بهذه الآية على أن من حفظ القرآن ثم نسيه يحشر يوم القيامة أعمى لأنه أمر اختلف فيه العلماء ، فمذهب مالك رضى الله عنه حفظ الزائد عما تصح به الصلاة من القرآن مستحب أكيد ابتداء ودواما فنسيانه مكروه ، ومذهب الشافعى نسيان كل حرف منه كبيرة تكفر بالتوبة والرجوع لحفظه (قوله أدوم) أى لأنه لاينقطع بخلاف عذاب الدنيا والقبر (قوله أفلم يهد لهم) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير أعموا فلم يهد لهم (قوله يتبين) أشار بذلك إلى أن يهد فعل لازم ، والمعنى أعموا فلم يظهر لهم إهلاكنا كثيرا من قبلهم من القرون (قوله مفعول به) أى وتمييزها محذوف أى قرنا وقوله من القرون متعلق بمحذوف صفة لذلك التمييز

بالتنوين مصدر بمعنى ضيقة وفسرت فى حديث بعذاب الكافر فى قبره (وَنَحْشُرُهُ) أى المعرض عن القرآن (يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى) أى أعمى البصر (قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً) فى الدنيا وعند البعث (قَالَ) الأمر (كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا) تركتها ولم تؤمن بها (وَكَذَلِكَ) مثل نسيانك آياتنا (الْيَوْمَ تُنْسَى) تترك فى النار (وَكَذَلِكَ) ومثل جزائنا من أعرض عن القرآن (نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ) أشرك (وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ) من عذاب الدنيا وعذاب القبر (وَأَبْقَى) أدوم (أَفَلَمْ يَهْدِ) يتبين (لَهُمْ) لكفار مكة (كَمْ) خبرية مفعول به (أَهْلَكْنَا) أى كثيرا إهلاكنا (قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ) أى الأمم الماضية بتكذيب الرسل (يَمْشُونَ) حال من ضمير لهم (فِي مَسَاكِنِهِمْ) فى سفرهم إلى الشام وغيرها فيعتبروا ، وما ذكر من أخذ إهلاك من فعله الخالى عن حرف مصدرى لرعاية المعنى لامانع منه (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ) لعبرا (لِأُولِي النُّهَى) لذوى العقول (وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ) بتأخير العذاب عنهم إلى الآخرة (لَكَانَ) الإهلاك (لِزَاماً) لازما لهم فى الدنيا (وَأَجَلٌ مُسَمًّى) مضروب لهم معطوف على الضمير المستتر فى كان وقام الفصل بخبرها مقام التأكيد ،

(فاصبر

(قوله بتكذيب الرسل) الباء سببية أى إن الاهلاك بسبب تكذيب الرسل وترك الايمان ورسله (قوله وماذكر) مبتدأ وقوله لامانع منه خبره ، والمعنى أن أخذ المصدر من الفعل لصحة المعنى لايتوقف على الحرف المصدرى بل يسبك المصدر من الفعل بدون سابك لتوقف المعنى عليه وأما لصحة الاعراب فلا يكون غالبا إلا بحرف مصدرى (قوله لذوى العقول) أى السليمة الصافية وخصوا بالذكر لأنهم المنتفعون (قوله ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما) أى أن الله سبحانه وتعالى سبق فى علمه تأخير العذاب العام لهذه الأمة إكراما لنبيها ولولا ذلك لحل بهم كما حل بمن قبلهم من القرون الماضية فتأخيره إمهال لا إهمال ليتدارك الكافر مافاته فيما بقى من عمره فان تاب قبله ربه (قوله معطوف على الضمير المستتر فى كان) أى والمعنى لكان الاهلاك والأجل المعين له لزاما أى لازما لهم ، ولم يقل لازمين لأن لزاما مصدر فى الأصل و إن كان هنا بمعنى اسم الفاعل وقوله وقام الفصل الخ أى أن العطف على ضمير الرفع المتصل جائز إذا حصل الفاصل بالضمير المنفصل أو فاصل ما كما هنا ، قال ابن مالك :

و إن على ضمير رفع متصل عطفت فافصل بالضمير المنفصل أو فاصل ما

(فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ) منسوخ بآية القتال (وَسَبِّحْ) صلّ (بِحَمْدِ رَبِّكَ) حال أى متلبساً به (قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ) صلاة الصبح (وَقَبْلَ غُرُوبِهَا) صلاة العصر (وَمِنْ آنَاءِ ٱلَّيْلِ) ساعاته (فَسَبِّحْ) صلّ المغرب والعشاء (وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ) عطف على محل من آناء المنصوب أى صلّ الظهر لأن وقتها يدخل بزوال الشمس فهو طرف النصف الأول وطرف النصف الثانى (لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ) بما تعطى من الثواب (وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا) أصنافا (مِنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا) زينتها وبهجتها (لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ) بأن يطغوا (وَرِزْقُ رَبِّكَ) فى الجنة (خَيْرٌ) مما أوتوه فى الدنيا (وَأَبْقَىٰ) أدوم (وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ) اصبر (عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ) نكلفك (رِزْقًا) لنفسك ولا لغيرك (نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَٱلْعَٰقِبَةُ) الجنة (لِلتَّقْوَىٰ) لأهلها (وَقَالُوا) أى المشركون (لَوْلَا) هلا (يَأْتِينَا) محمد (بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ) مما يقترحونه (أَوَلَمْ تَأْتِهِم) بالتاء والياء (بَيِّنَةُ) بيان ،

وأحسن مما قرره المفسر أن يجعل قوله وأجل مسمى معطوفا على كلمة . والمعنى ولولا كلمة وأجل مسمى وهو مدة معيشتهم فى الدنيا التى قدرها الله لهم لكان العذاب العام لازما (قوله فاصبر على مايقولون) أى حيث علمت أن تأخير عذابهم ليس بإهمال بل هو لازم لهم فى القيامة فتسلّ واصبر ولا تنزعج (قوله منسوخ بآية القتال) أى وعليه فالمراد بقوله اصبر لاتعاجلهم بالقتال ، وقيل إن الآية محكمة وعليه فالمراد بالصبر عدم الاضطراب مما صدر منهم من الأذية (قوله صل) إنما سمى التسبيح والتحميد صلاة لاشتمالها عليهما ولأن المقصود من الصلاة تنزيه الله عن كل نقص . والمعنى لاتشتغل بالدعاء عليهم بل صل الصلوات الخمس ولما كان الأصل فى الأمر الوجوب حمل الأمر بالتسبيح والتحميد على الأمر بالصلاة (قوله حال) أى من فاعل سبح والباء فى بحمد ربك للملابسة كما قال المفسر (قوله ومن آناء الليل) جمع إنى بكسر الهمزة والقصر كمعى وأصله أأناء بهمزتين أبدلت الثانية ألفا على القاعدة المعروفة (قوله وأطراف النهار) المراد بالجمع مافوق الواحد لأن المراد به الزمن الذى هو آخر النصف الأول وأول الثانى (قوله المنصوب) أى بسبح . والمعنى صل فى أطراف النهار وهو الوقت الذى يجمع الطرفين وهو الزوال (قوله لعلك ترضى) متعلق بسبح أى سبح فى هذه الأوقات لعلك ترضى بذلك ، وانظر إلى هذا الخطاب اللطيف المشعر بأنه صلى الله عليه وسلم حبيب ربّ العالمين وأفضل الخلق أجمعين حيث قال له ربه لعلك ترضى ولم يقل لعلى أرضى عليك ونحو ذلك ومن هنا قوله عليه الصلاة والسلام «وجعلت قرة عينى فى الصلاة» وقول السيدة عائشة رضى الله عنها : ما أرى ربك إلا يسارع فى هواك فصلاته صلى الله عليه وسلم مأمور بها ليرضى هو لا ليكفر الله عنه سيئاته ولا ليرضى عليه وحينئذ فلا كلفة عليه فيها لأن فيها شهوده لربه الذى هو قرة عينه وللعارفين الكاملين من أمته نصيب من هذا المقام (قوله ولا تمدن عينيك) عطف على فاصبر : أى لاتنظر بعينيك إلى زهرة الدنيا نظر رغبة وهذا الخطاب لرسول الله ، والمراد غيره لأن ذلك مستحيل عليه لما ورد أنه خير بين أن يكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا فاختار أن يكون نبيا عبدا وورد «لست من الدنيا وليست الدنيا منى» (قوله أصنافا منهم) أى الخلق فالدنيا دائرة فى أصناف الخلق فتارة تكون مع الشريف وتارة مع الوضيع وهكذا (قوله زهرة الحياة الدنيا) الأحسن أنه منصوب على أنه مفعول ثان لمتعنا بتضمينه معنى أعطينا والأول هو قوله أزواجا (قوله بأن يطغوا) الباء سببية أى نفتنهم بسبب طغيانهم فيه (قوله ورزق ربك خير وأبقى) أى فعلى الانسان أن يشتغل بما هو خير وأبقى وهو الجنة ونعيمها ويترك مايفنى وهو الدنيا وقسمته الأزلية تأتيه منها من غير تعب ولا مشقة (قوله وأمر أهلك) أى أمتك (قوله واصطبر عليها) أى وأمرهم بذلك (قوله نحن نرزقك) أى نحن متكفلون برزقك فتفرغ لما كلفت به ولا تشتغل بما تكفلنالك به ، وروى أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا أصاب أهل بيته ضيق أمرهم بالصلاة وتلا هذه الآية » (قوله والعاقبة للتقوى) أى الجيلة المحمودة لأهل التقوى (قوله أى المشركون) أى وهم كفار مكة (قوله مما يقترحونه) أى يطلبونه تعنتا كما تقدم بعضه فى قوله تعالى : وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا الآيات (قوله أو لم تأتهم) الهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة على ذلك المحذوف أى أعموا ولم تأتهم الخ (قوله بالتاء والياء) أى فهما قراءتان سبعيتان

(قوله مافى الصحف الأولى) أى الكتب المتقدمة . والمعنى ألم يكتفوا بالقرآن المحتوى على أخبار الأمم الماضية (قوله ولو أنا أهلكناهم) كلام مستأنف لتقرير ماقبله (قوله لقالوا ربنا الخ) أى لكان لهم أن يحتجوا يوم القيامة ويعتذروا بهذا العذر فقطع الله عذرهم بإرسال الرسول لهم ولم يهلكهم قبل مجيئه (قوله من قبل أن نذل) أى يحصل لنا الذل والهوان (قوله ونخزى) أى نفتضح (قوله مايؤول إليه الأمر) أى أمرنا وأمركم (قوله فتربصوا) أى انتظروا (قوله من أصحاب الصراط السوى) من فى الموضعين استفهامية والكلام على حذف مضاف والتقدير فستعلمون جواب من أصحاب الخ وهو أنهم هم المؤمنون (قوله ومن اهتدى من الضلالة) أشار المفسر إلى وجه المغايرة بين القسمين ، فأصحاب الصراط السوى من لم يضل أصلا كالنبى ومن أسلم صبيا ، ومن اهتدى هو من سبق له الكفر ثم أسلم بعد ذلك .

[سورة الأنبياء عليهم السلام] سميت بذلك لذكر قصص جملة من الأنبياء فيها (قوله مكية) أى نزلت قبل الهجرة باتفاق (قوله أو اثنتا عشرة آية) هذا الخلاف مرتب على الخلاف فى قوله تعالى قال أفتعبدون من دون الله إلى قوله أفلا تعقلون هل هو آية واحدة أو آيتان وأول الثانية قوله أف لكم الخ (قوله أهل مكة) أشار بذلك إلى أنه من إطلاق العام وإرادة الخاص وحاصل ذلك أن كفار قريش قالوا محمد يهددنا بالبعث والجزاء على الأعمال وهذا بعيد فأنزل الله اقترب للناس حسابهم ووجه قرب الحساب أنه آت لامحالة وكل آت قريب أو يقال إن قربه باعتبار مامضى من الزمان فإن مابقى أقل مما مضى (قوله وهم فى غفلة معرضون) الجملة حالية أى قرب حسابهم والحال أنهم غافلون معرضون غير متأهبين له والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فهذه الآية وإن كان سببها الرد على كفار مكة إلا أن العبرة بعمومها (هل

(قوله مايأتيهم من ذكر) هذا فى معنى العلة لما قبله كأنه قال معرضون لأنه مايأتيهم من ذكر الخ (قوله من ربهم) الجار والمجرور متعلق بيأتيهم (قوله أى لفظ قرآن) دفع بذلك مايقال كيف وصف الذكر بالحدوث مع أن المراد به القرآن وهو قديم . فأجاب بأن وصفه بالحدوث باعتبار ألفاظه المنزلة علينا ، وأما باعتبار المدلول وهو الوصف القائم بذاته تعالى فهو قديم وأما مادلت عليه الألفاظ الحادثة ، فمنها ماهو قديم كمدلول آية الكرسى والصمدية ، ومنها ماهو حادث كمدلول القصص وأخبار المتقدمين ، ومنها ماهو مستحيل كمدلول ما اتخذ الله من ولد (قوله وهم يلعبون) الجملة حالية من فاعل استمعوه وكذا قوله لاهية قلوبهم . والمعنى مايقرأ عليهم القرآن إلا استمعوه فى حال استهزائهم وكون قلوبهم غافلة عن معناه فلا يسمعونه سماع تدبر وقبول وكل آية وردت فى الكفار جرت بذيلها على عصاة الأمة ، ففى هذه الآية تحذير لمن يستمع القرآن فى حال لهوه ولعبه وأقبح منه من يطرب بسماعه من حيث اشتماله على الأنغام المعروفة لامن حيث بلاغته ومواعظه وأحكامه وكونه من عند الله فإنا لله وإنا إليه راجعون (قوله بدل من واو وأسروا النجوى)

(مَافِى الصُّحُفِ الْأُولَى) المشتمل عليه القرآن من أنباء الأمم الماضية وإهلاكهم بتكذيب الرسل (وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ) قبل محمد الرسول (لَقَالُوا) يوم القيامة (رَبَّنَا لَوْلَا) هلا (أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ) المرسل بها (مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ) فى القيامة (وَنَخْزَى) فى جهنم (قُلْ) لهم (كُلٌّ) منا ومنكم (مُتَرَبِّصٌ) منتظر مايؤول إليه الأمر (فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ) فى القيامة (مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ) الطريق (السَّوِيِّ) المستقيم (وَمَنِ اهْتَدَى) من الضلالة أنحن أم أنتم .

(سورة الأنبياء)

مكية ، وهى مائة وإحدى أو اثنتا عشرة آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . اقْتَرَبَ) قرب (لِلنَّاسِ) أهل مكة منكرى البعث (حِسَابُهُمْ) يوم القيامة (وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ) عنه (مُعْرِضُونَ) عن التأهب له بالإيمان (مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ) شيئا فشيئا أى لفظ قرآن (إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ) يستهزئون (لَاهِيَةً) غافلة (قُلُوبُهُمْ) عن معناه (وَأَسَرُّوا النَّجْوَى) أى الكلام (الَّذِينَ ظَلَمُوا) بدل من واو وأسروا النجوى ،

أشار بذلك إلى أن أسرّ فعل ماض والواو فاعله والنجوى مفعوله والذين بدل وهذه إحدى طريقتين للنحويين فى الفعل الذى لحقته العلامة وأسند للظاهر . والطريقة الثانية أن الواو حرف علامة والذين فاعل وتسمى بلغة أكلونى البراغيث ولما كانت ضعيفة لاينبغى حمل الآية عليها أعرض عنها المفسر (قوله هل هذا إلا بشر مثلكم) بدل من النجوى مفسر لها أى فكانوا يتناجون بذلك سرا بينهم ثم يشيع كل واحد منهم مقالته ليضل غيره (قوله أفتأتون السحر) أى تحضرونه وتقبلونه (قوله وأنتم تبصرون) الجملة حالية من فاعل تأتون (قوله فى السماء والأرض) أشار المفسر إلى أنه حال من القول أى يعلم القول حال كون القول كائنا فى السماء والأرض (قوله للانتقال من غرض إلى آخر) أى فلا تقع بل فى القرآن إلا للانتقال لا للابطال لأنه يكون إضرابا عن الكلام السابق و إعراضا عنه لكونه صدر على وجه الغلط وتنزه الله عنه خلافا لمن يقول إنها تأتى للابطال واستدل بقوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون وقوله تعالى أم يقولون به جنة بل جاءهم بالحق ولا دليل فى ذلك لأن بل فيهما للانتقال من الاخبار بقولهم إلى الاخبار بالواقع فتأمل (قوله أضغاث أحلام) خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله هو والجملة مقول القول (قوله بل هو شاعر) أى يأتى بكلام يخيل للسامع معانى لاحقيقة **(٦٧)** لها وليس المراد بالشعر هنا خصوص الكلام المقفى الموزون قصدا بل ماهو أعم (قوله فليأتنا بآية) جواب شرط مقدر كأنه قيل و إن لم يكن كما قلنا بل كان رسولا كما يزعم فليأتنا الخ (قوله كما أرسل الأولون) صفة لمصدر محذوف والتقدير إتيانا كائنا مثل إرسال الأولين (قوله من قرية) من زائدة فى الفاعل (قوله لا) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفى (قوله وما أرسلنا) رد لقولهم هل هذا إلا بشر مثلكم (قوله

(هَلْ هٰذَا) أى محمد (إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ) فما يأتى به سحر (أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ) تتبعونه (وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ) تعلمون أنه سحر (قُلْ) لهم (رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ) كائنا (فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ) لما أسروه (الْعَلِيمُ) به (بَلْ) للانتقال من غرض إلى آخر فى المواضع الثلاثة (قَالُوا) فيما أتى به من القرآن هو (أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ) أخلاط رآها فى النوم (بَلِ افْتَرَاهُ) اختلقه (بَلْ هُوَ شَاعِرٌ) فما أتى به شعر (فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ) كالناقة والعصا واليد ، قال تعالى (مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ) أى أهلها (أَهْلَكْنَاهَا) بتكذيبها ما أتاها من الآيات (أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ) لا (وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا يُوحَى) وفى قراءة بالنون وكسر الحاء (إِلَيْهِمْ) لا ملائكة (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ) العلماء بالتوراة والإنجيل (إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) ذلك فإنهم يعلمونه وأنتم إلى تصديقهم أقرب من تصديق المؤمنين بمحمد (وَمَا جَعَلْنَاهُمْ) أى الرسل (جَسَدًا) بمعنى أجسادا (لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ) بل يأكلونه (وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ) فى الدنيا (ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ) بإنجائهم (فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ) أى المصدقين لهم (وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ) المكذبين لهم ،

يوحى إليهم) أى يأتيهم الوحى بالشرائع والأحكام ، والمعنى ما أرسلنا إلى الأمم قبل إرسالك لأمتك إلا رجالا من أفراد جنسك متأهلين للارسال (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله فاسئلوا أهل الذكر) أى المطلعين على أحوال الرسل الماضية فإنهم يخبرونكم بحقيقة الحال (قوله العلماء بالتوراة والانجيل) إنما أحالهم عليهم لأنهم كانوا يرسلون للمشركين أن ابقوا على ما أنتم عليه من التكذيب ونحن معكم فهم مشتركون فى العداوة لرسول الله وأصحابه فلا يكذبونهم فيما هم فيه (قوله من تصديق المؤمنين) المصدر مضاف لمفعوله والفاعل محذوف أى أقرب من تصديقكم المؤمنين . والمعنى إذا أخبركم المؤمنون بحال محمد وحال الرسل المتقدمين وأخبركم أهل الكتاب بذلك صدقتم أهل الكتاب دون المؤمنين لألفتكم أهل الكتاب وعداوتكم للمؤمنين (قوله وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام) رد لقولهم مال هذا الرسول يأكل الطعام . والمعنى لم نجعلهم ملائكة بل جعلناهم بشرا يأكلون الطعام (قوله وما كانوا خالدين) أى ما كثين على سبيل الخلود فى الدنيا بل يموتون كغيرهم (قوله ثم صدقناهم الوعد) أى باهلاك أعدائهم (قوله بإنجائهم) محمول على الرسل الذين أمروا بالجهاد فلا يرد من قتل من الرسل فإنهم لم يؤمروا بالجهاد (قوله ومن نشاء) أى المؤمنين الذين اتبعوهم . وقد وقع ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فإن كبراء أصحابه الذين حضروا مغازيه لم يموتوا فى حروبه بل بقوا بعده ومهدوا دينه .

(قوله لقد أنزلنا إليكم كتابا) كلام مستأنف قصد به التبكيت عليهم . والمعنى كيف تعرضون عن كتاب فيه شرفكم وعزكم لأنه بلسانكم وعلى لغتكم فكان بمقتضى الحمية والعقل أن تعظموا هذا الكتاب وهذا النبي الذى جاء به وتكونوا أول مؤمن به فإعراضكم عنه دليل على عدم عقلكم (قوله فيه ذكركم) أى الثناء عليكم بالجميل أو شرفكم أو مواعظكم (قوله أفلا تعقلون) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير أجهلتم فلا تعقلون أن الأمر كذلك (قوله وكم قصمنا من قرية) كم خبرية مفعول مقدم لقصمنا ومن قرية بيان لكم (قوله أى أهلها) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف والمقصود من هذه الآية تحذير الكفار من هذه الأمة عن عدم الإيمان والرجوع عن الكفر بأنهم لايغرنهم سعة الدنيا عليهم والتفاخر بالأموال والأولاد كأن الله يقول لهم لاتغتروا بذلك فإننا أهلكنا كثيرا من أهل القرى الكفار وماجرى عليهم يجرى عليكم وأهل القرى قيل المراد بهم الأمم الماضية كقوم نوح ولوط وصالح وشعيب وغيرهم ، وقيل المراد بهم أهل قرية باليمن تسمى حضور بوزن شكور بعث الله عليهم موسى بن ميشا بن يوسف بن يعقوب نبيا قبل موسى بن عمران فكذبوه وقتلوه فسلط الله عليهم بختنصر فقتل رجالهم وسبى نساءهم فلما استمر فيهم القتل

(لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ) يامعشر قريش (كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ) لأنه بلغتكم (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) فتؤمنون به (وَكَمْ قَصَمْنَا) أهلكنا (مِنْ قَرْيَةٍ) أى أهلها (كَانَتْ ظَالِمَةً) كافرة (وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْماً آخَرِينَ . فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا) أى شعر أهل القرية بالإهلاك (إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ) يهربون مسرعين فقالت لهم الملائكة استهزاء (لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ) نعمتم (فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ) شيئا من دنياكم على العادة (قَالُوا يَا) للتنبيه (وَيْلَنَا) هلاكنا (إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ) بالكفر (فَمَا زَالَتْ تِلْكَ) الكلمات (دَعْوَاهُمْ) يدعون بها ويرددونها (حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيداً) أى كالزرع المحصود بالمناجل بأن قتلوا بالسيف (خَامِدِينَ) ميتين كخمود النار إذا طفئت (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ) عابثين بل دالين على قدرتنا ونافعين عبادنا (لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْواً) ما يلهى به من زوجة أو ولد (لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا) من عندنا من الحور العين والملائكة ،

هربوا فقالت الملائكة لهم استهزاء لاتركضوا وارجعوا إلى ماكنتم وأموالكم لعلكم تسئلون شيئا من دنياكم فإنكم أهل نعمة وغنى فاتبعهم بختنصر وأخذتهم السيوف ونادى مناد من جو السماء يالثارات الأنبياء فلما رأوا ذلك أقروا بالذنوب حيث لم ينفعهم فعلى القول الأول كم واقعة على القرى وعلى الثانى واقعة على أشخاص تلك القرية (قوله أى شعر أهل القرية) بفتح العين بمعنى علم وأما بالضم فمعناه تكلم بالشعر ضد النثر (قوله يهربون) أى فالركض كناية عن الهرب (قوله استهزاء بهم) (إن جواب عما يقال إن الملائكة معصومون من الكذب فكيف يقولون لهم ذلك مع علمهم بأنهم مهلكون عن آخرهم فأجاب بأن هذا القول ليس على حقيقته بل سخرية بهم على حد : ذق إنك أنت العزيز الكريم (قوله وماكنتم) بالجر عطفا على ما (قوله شيئا من دنياكم) أى فأنتم أهل سخاء وغنى تعطون الفقراء وهذا توبيخ وتهكم بهم (قوله بالكفر) أى وقتل موسى (قوله فمازالت) مانافية وزال فعل ماض ناقص وتلك اسمها ودعواهم خبرها (قوله الكلمات) المراد بها قولهم ياويلنا إنا كنا ظالمين (قوله حتى جعلناهم) أى رجالهم وأما النساء فقد سباهم بختنصر كما تقدم وكلام المفسر يفيد أن هذه الآية حكاية عن أهل حضور (قوله كخمود النار) أى سكون لهبها مع بقاء جمرها وأما الهمود فهو عبارة عن ذهاب النار بالكلية حتى تصير رمادا (قوله لاعبين) حال من فاعل خلقنا وهو محط النفى (قوله بل دالين على قدرتنا) و يسبحوننا دليل قوله تعالى - وإن من شىء إلا يسبح بحمده - (قوله ونافعين عبادنا) أى وتفصيل جهات النفع بها لايعلمها إلا الله سبحانه وتعالى (قوله لو أردنا أن نتخذ لهوا) رد على من أثبت الولد والزوجة لله (قوله لاتخذناه من لدنا) جواب لو واستثناء نقيض التالى ينتج نقيض المقدم والمعنى لو تعلقت إرادتنا باتخاذ الزوجة والولد لاتخذناه من عندنا لكنا لم نتخذه فلم تتعلق به إرادتنا لاستحالة ذلك علينا .

(قوله إن كنا فاعلين) يحتمل أن تكون إن نافية أى ما كنا فاعلين (قوله بل نقذف بالحق على الباطل) أى شأننا أن نؤيد الحق ونذهب الباطل (قوله مما تصفون الله به) أشار بذلك إلى أن ماموصولة والعائد محذوف و يصح أن تكون مصدرية. والمعنى ولكم الويل من أجل وصفكم إياه بما لايليق (قوله أى الملائكة) عبر عنهم بالعندية إشارة إلى أنهم فى مكانة وشرف ورفعة (قوله لايستكبرون) أى يتكبرون (قوله ولا يستحسرون) أى لا يكلون ولايتعبون (قوله يسبحون الليل والنهار) المقصود من هذا الاخبار تحريض المؤمنين على الطاعات وتبكيت الكفار على تركها لأن العبادة والتسبيح وصف أهل القرب والشرف وتركها وصف أهل البعد والخسة (قوله فهو منهم كالنفس منا) أى فهو سجية وطبيعة لهم ولايشغلهم التسبيح عن غيره كلعن الكفرة ونزول الأرض وتبليغ الأحكام وغير ذلك كما أن اشتغالنا بالنفس لايمنعنا الكلام. إن قلت إن هذا قياس مع الفارق لأن آلة النفس غير آلة الكلام وأما التسبيح واللعن فهما من جنس الكلام فاجتماعهما محال. أجيب بأن الملائكة لهم ألسنة كثيرة بعضها يسبحون الله به و بعضها يلعنون أعداء الله به فلا يقاسون على بنى آدم (قوله وهمزة الانكار) أى وهو راجع لقوله هم ينشرون (قوله هم ينشرون) أى حيث ادعوا أنها آلهة لزمهم ماذكر ضمنا والتزاما و إلا فهم لم يدعوا أنها تحيي الموتى (قوله لوكان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) لوحرف شرط وكان تامة فعل الشرط وآلهة

(إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ) ذلك لكنا لم نفعله فلم نرده (بَلْ نَقْذِفُ) نرمى (بِالْحَقِّ) الإيمان (عَلَى الْبَاطِلِ) الكفر (فَيَدْمَغُهُ) يذهبه (فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ) ذاهب، ودمغه فى الأصل أصاب دماغه بالضرب وهو مقتل (وَلَكُمُ) يا كفار مكة (الْوَيْلُ) العذاب الشديد (مِمَّا تَصِفُونَ) الله به من الزوجة أو الولد (وَلَهُ) تعالى (مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ) ملكا (وَمَنْ عِنْدَهُ) أى الملائكة مبتدأ خبره (لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ) لايعيون (يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ) عنه فهو منهم كالنفس منا لايشغلنا عنه شاغل (أَمِ) بمعنى بل للانتقال وهمزة الانكار (اتَّخَذُوا آلِهَةً) كائنة (مِنَ الْأَرْضِ) كحجر وذهب وفضة (هُمْ) أى الآلهة (يُنْشِرُونَ) أى يحيون الموتى؟ لا، ولا يكون إلها إلا من يحيى الموتى (لَوْ كَانَ فِيهِمَا) أى السموات والأرض (آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ) أى غيره (لَفَسَدَتَا) خرجتا عن نظامهما المشاهد لوجود التمانع بينهم على وفق العادة عند تعدد الحاكم من التمانع فى الشىء وعدم الاتفاق عليه (فَسُبْحَانَ) تنزيه (اللَّهِ رَبِّ) خالق (الْعَرْشِ)،

فاعلها وفيهما متعلق بكان و إلا بمعنى غير صفة لآلهة ظهر اعرابها فيما بعدها وقوله لفسدتا جواب الشرط ففعل الشرط يقال له المقدم وجوابه يقال له التالى واستثناء نقيض التالى ينتج نقيض المقدم. والمعنى لكنهما لم تفسدا فلم يكن فيهما آلهة غير الله والجمع فى آلهة ليس قيدا وكذا قوله فيهما و إنما أتى بذلك ردا على الكفار فى اتخاذهم الآلهة فى السماء والأرض (قوله أى غيره) أشار بذلك إلى أن إلا صفة بمعنى غير فهى اسم لكن لم يظهر اعرابها إلا فيما بعدها لكونها على صورة الحرف ولا يجوز أن تكون أداة استثناء لامن جهة المعنى ولا من جهة اللفظ أما الأول فلأنه يلزم منه نفى التوحيد إذ التقدير لوكان فيهما آلهة ليس فيهم الله لفسدتا فيقتضى بمفهومه أنه لوكان فيهما آلهة فيهم الله لم تفسدا وهو باطل وأما الثانى فلأن المستثنى منه يشترط أن يكون عاما و آلهة جمع منكر فى الاثبات فلا عموم له فلايصح الاستثناء منه (قوله لوجود التمانع بينهم) أى التخالف بين الآلهة و يسمى الدليل على ذلك ببرهان التمانع والتطارد فى فرض اختلافهما. وتقريره أن يقال لو فرض إلهان متصفان بصفات الألوهية وأراد أحدهما إيجاد شىء والآخر إعدامه فاما أن يتم مرادهما معا وهو باطل للزوم اجتماع الضدين أو لايتم مرادهما معا وهو باطل أيضا للزوم عجز من لايتم مراده وعجز من يتم مراده أيضا لوجود المماثلة بينهما فيطل التعدد وثبتت الوحدانية و إذا فرض اتفاقهما فهو باطل أيضا لوجود برهان التوارد وتقريره أيضا أن يقال لوفرض إلهان وأرادا معا إيجاد شىء فاما أن يحصل بارادتهما معا وذلك باطل لأنه يلزم عليه اجتماع مؤثرين على أثر واحد أو يسبق أحدهما إلى إيجاده فيلزم عليه عجز الآخر أو تحصيل الحاصل ويلزم عجز الأول لوجود المماثلة بينهما. واعلم أن الدليل على ثبوت الوحدانية لله النقل والعقل، أما النقل فآيات كثيرة جدا منها: و إلهكم إله واحد لاإله إلا هو، الله لا إله إلا هو الحى القيوم، هو الذى يصوركم فى الأرحام كيف

يشاء لا إله إلا هو إلى غير ذلك وأما العقل فقد علمنا الله كيفيته بقوله تعالى - ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض - وكهذه الآية إذا علمت ذلك فالدليل فى هذه الآية قطعي كما هو الحق لكون الفساد مرتبا على فرض الاتفاق والاختلاف وليس إقناعيا بحسب مايفهمه المخاطب خلافا لما تقتضيه عبارة المفسر حيث أحاله على العادة وبهذه الآية انتفت الكموم الخمسة الكم المتصل فى الذات وهو التركيب فيها والكم المنفصل فيها وهو النظير فيها والكم المتصل فى الصفات وهو التركيب فيها والكم المنفصل فيها وهو النظير والكم المنفصل فى الأفعال وهو المشارك له فيها ، والمتصل فيها لاينفى لأنه ثابت لأن أفعاله كثيرة على حسب شؤونه فى خلقه (قوله الكرسى) الصواب إبقاء العرش على ماهو عليه لأن التحقيق أن العرش جسم عظيم محيط بالعالم برمته والكرسى تحته وخص العرش بالذكر لأنه أعظم من غيره فاذا كان الله رب العرش كان رب غيره بالأولى (قوله لايسئل عما يفعل) أى لايسئل عما يحكم فى عباده من إعزاز وإذلال وهدى وإضلال وإسعاد وإشقاء لأنه الرب الخالق المالك لجميع الأشياء ، إذا علمت ذلك فالاعتراض على أفعال الله إما كفر أو قريب منه (قوله وهم يسئلون) (٧٠) أى يقال للخاق لم فعلتم كذا لأنهم عبيد يجب عليهم امتثال أمر مولاهم

الكرسى (عَمَّا يَصِفُونَ) أى الكفار الله به من الشريك له وغيره (لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ) عن أفعالهم (أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ) تعالى أى سواه (آلِهَةً) فيه استفهام توبيخ (قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ) على ذلك ولا سبيل إليه (هَٰذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ) أى أمتى وهو القرآن (وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي) من الأمم وهو التوراة والإنجيل وغيرهما من كتب الله ليس فى واحد منها أن مع الله إلها مما قالوا ، تعالى عن ذلك (بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ) أى توحيد الله (فَهُمْ مُعْرِضُونَ) عن النظر الموصل إليه (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا يُوحَى) وفى قراءة بالنون وكسر الحاء (إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) أى وحدونى (وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا) من الملائكة (سُبْحَانَهُ ، بَلْ) هم (عِبَادٌ مُكْرَمُونَ) عنده والعبودية تنافى الولادة (لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ) لايأتون بقولهم إلا بعد قوله (وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ) أى بعده (يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ) أى ماعملوا وماهم عاملون (وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى) تعالى أن يشفع له (وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ) تعالى (مُشْفِقُونَ) أى خائفون ،

(ومن

وتبين بهذا أن من يسئل عن أعماله كعيسى والملائكة لايصلح للألوهية (قوله أم اتخذوا من دونه آلهة) إضراب انتقالى من بطلان التعدد إلى إظهار بطلان اتخاذهم تلك الآلهة من غير دليل على ألوهيتها (قوله فيه استفهام توبيخ) أى من حيث إن أم بمعنى الهمزة وسكت عن كونها بمعنى بل هنا والناسب لما تقدم أنها بمعناها أيضا (قوله على ذلك) أى الاتخاذ كأن الله يقول لهم نحن قد أتينا ببراهين دالة على وحدانيتنا فائتوا ببرهان يدل على ثبوت الشريك لنا (قوله هذا ذكر من معى) أى عظتهم ومتمسكهم على التوحيد (قوله ليس فى واحد منها) أى فراجعوها وانظروا هل فى واحد منها غير الأمر بالتوحيد والنهى عن الاشراك (قوله بل أكثرهم لايعلمون) إضراب انتقالى من محاجتهم إلى بيان أنهم كالبهائم لايميزون بين الحق والباطل (قوله الحق) الكلام على حذف مضاف أى توحيد الحق (قوله وما أرسلنا من قبلك الخ) تقرير لما قبله من كون التوحيد نطقت به الكتب القديمة واجتمعت عليه الرسل (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله وقالوا) الضمير عائد على فرق من العرب وهم خزاعة وجهينة وبنو سلمة حيث قالوا الملائكة بنات الله (قوله والعبودية تنافى الولادة) أى لأن عبد الانسان لا يكون ولده وهذا بحسب المعتاد عندهم (قوله وهم بأمره يعملون) أى لا يخالفونه فى القول ولافى العمل (قوله يعلم مابين أيديهم وما خلفهم) أى فهم يراقبونه فى جميع أحوالهم فلا يقدمون على قول ولا عمل بغير مراده لعلمهم بأنه تعالى محيط بهم (قوله إلا لمن ارتضى) أى كان مؤمنا فلا يقدمون على الشفاعة إلا لمن علموا أن الله راض عنه ويقبل شفاعتهم فيه (قوله وهم من خشيته مشفقون) أى وجلون لايأمنون مكره ، والاشفاق الخوف مع الاجلال ويرادفه الخشية .

(قوله ومن يقل منهم) أى من الملائكة المحدث عنهم أولا بقوله بل عباد مكرمون وهذا على سبيل الفرض والتقدير لأنهم معصومون من الكفر والمعاصى ويحتمل أن القول قد وقع من بعضهم وهو إبليس كما قال المفسر وكونه من الملائكة باعتبار أنه كان بينهم وملحقا بهم فى العبادة حتى قيل إنه كان أعبدهم (قوله دعا إلى عبادة نفسه) أى لأجل الاضلال والاغواء ولامانع من ذلك كما يقع لبعض الزنادقة من تشكلاته لهم فى الصور النيرة كالقمر والشمس وغير ذلك ودعواه أنه رب العالمين وكما وقع لبرصيصا العابد حيث أتى له وهو مصلوب وقال له اسجد لى أخلصك وإن كان فى الواقع معترفا بالعبودية لله تعالى وآيسا من رحمته إذا علمت ذلك فكلام المفسر لاغبار عليه (قوله كذلك نجزى الظالمين) أى إياها (قوله أولم ير) الهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة عليه والتقدير ألم يتفكروا و يعلموا (قوله بواو ودونها) قراءتان سبعيتان (قوله ير الذين كفروا الخ) شروع فى ذكر ستة أدلة على التوحيد وأن ماسوى الله مقهور وهو القاهر فوق عباده (قوله كانتا رتقا) أى شيئا واحدا لما روى أن الله خلق السموات والأرض بعضها على بعض ثم خلق ريحا توسطتها ففتقها بها وقيل خلق السموات قطعة واحدة مرتفعة والأرض قطعة واحدة منخفضة فجعل السموات سبعا والأرض سبعا (٧١) ولكن السموات طباق والأرض مختلف فيها قيل طباق وقيل مجاورة لبعضها كناية عن الأقاليم السبعة وتقدم الجواب عن جمع السموات و إفراد الأرض بأن جنس السموات مختلف بخلاف الأرض (قوله أن كانت لاتمطر) بفتح الهمزة مصدرية أى كونها لاتمطر فأمطرت (قوله من الماء) الجار والمجرور متعلق بمحذوف مفعول ثان مقدم وكل شئ مفعول أول مؤخر والمعنى ناشئا ومتسببا عنه (قوله نبات وغيره) أى فالحياة فى كل شئ بحسبه

﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِنْ دُونِهِ﴾ أى الله أى غيره وهو إبليس دعا إلى عبادة نفسه وأمر بطاعتها ﴿فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ﴾ كما نجزيه ﴿نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ أى المشركين ﴿أَوَلَمْ﴾ بواو وتركها ﴿يَرَ﴾ يعلم ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا﴾ أى سدا بمعنى مسدودة ﴿فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ أى جعلنا السماء سبعا والأرض سبعا، أو فتق السماء أن كانت لاتمطر فأمطرت وفتق الأرض أن كانت لاتنبت فأنبتت ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ﴾ النازل من السماء والنابع من الأرض ﴿كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ نبات وغيره أى فالماء سبب لحياته ﴿أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ بتوحيدى ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾ جبالا ثوابت ا ﴿أَنْ﴾ لا ﴿تَمِيدَ﴾ تتحرك ﴿بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا﴾ أى الرواسى ﴿فِجَاجًا﴾ مسالك ﴿سُبُلًا﴾ بدل أى طرقا نافذة واسعة ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ إلى مقاصدهم فى الأسفار ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا﴾ للأرض كالسقف للبيت ﴿مَحْفُوظًا﴾ عن الوقوع ﴿وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا﴾ من الشمس والقمر والنجوم ﴿مُعْرِضُونَ﴾ لا يتفكرون فيها فيعلمون أن خالقها لاشريك له ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ﴾ تنوينه عوض عن المضاف إليه من الشمس والقمر وتابعه وهو النجوم ﴿فِي فَلَكٍ﴾ أى مستدير كالطاحونة

فحياة الحيوان قيام الروح به وحياة النبات بروزه من الأرض وخضرته و إثماره (قوله رواسى) جمع راسية من رسا الشئ إذا ثبت واستقر (قوله أن تميد) قدر المفسر لا النافية لصحة التعليل أى لأجل عدم تحركها بهم لأن تثبيتها بالجبال لأجل عدم التحرك لاللتحرك (قوله إلى مقاصدهم) أى الدنيوية والأخروية (قوله كالسقف للبيت) أى وهذا ماعليه أهل السنة وقالت الحكماء إن السماء محيطة بالأرض كاحاطة بياض البيضة بصفارها إذا علمت ذلك فلا فرار من قضاء الله إلا إليه (قوله محفوظا عن الوقوع) أى أو عن الفساد والخلل (قوله وهم عن آياتها) أى الدالة على وجود الصانع وكمال صفاته وأفعاله (قوله من الشمس والقمر) أى وغيرهما كالنجوم وارتفاعها من غير عمد ونزول الماء منها (قوله لايتفكرون فيها) أى مع أنهم لو سئلوا عمن خلق السموات والأرض ليقولن الله (قوله وهو الذى خلق الليل الخ) فيه التفات من التكلم للغيبة (قوله من الشمس والقمر) بيان للمضاف إليه المحذوف (قوله أى مستدير كالطاحونة) أى كهيئة فلكة المغزل أى ثقالته وقيل الفلك السماء التى تسير فيها تلك الكواكب كما تسير السفن فى البحر. واختلف الناس فى حركات الكواكب على ثلاثة أقوال قيل إن الفلك ساكن والسير للكواكب وهو الذى يدل عليه لفظ القرآن، وقيل إن الفلك متحرك والكواكب متحركة وحركة

كل تدافع حركة الآخر ، وقيل إن الفلك متحرك والكواكب ساكنة ولا يعلم الحقيقة إلا الله تعالى . واختلف هل الشمس والقمر يجريان من تحت الأرض وعليه الحكماء أو منتهى سيرهما فى العالم السفلوى وعليه أهل السنة (قوله والتشبيه به) جواب عما يقال لم جمعهما بضمير العقلاء . فأجاب بأنه لما أسندت لهما السباحة التى هى من أفعال العقلاء جمعا جمعهم (قوله ونزل لما قال الكفار إن محمدا سيموت) أى شماتة به (قوله وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد) أى سبقت حكمتنا بأن كل بشر من قبلك بل ومن بعدك لايخلد فى الدنيا بل يذوق الموت واقتصر على البشر و إن كان غيره كذلك بدليل مابعده للرد عليهم لكونهم من البشر (قوله فالجملة الأخيرة الخ) أى فالهمزة مقدمة من تأخير لأن الاستفهام له الصدارة والأصل أفهم الخالدون إن مت (قوله كل نفس) أى مخلوقة فلا يرد ذات الله تعالى وهو دليل لما قبله أعم منه وليس معيبا وقوله ذائقة الموت أى ذائقة مرارة مفارقة الروح للجسم وهى فى غاية الصعوبة جدا ومثلوه بعصر القصب بالآلة المعروفة فانه لايبقى فيه طراوة أصلا بل يؤخذ للنار حالا غير أن المؤمن يتسلى برؤية ما أعد له من النعيم الدائم والكافر يزداد بالموت عقوبة لرؤيته ما أعد له من العذاب المقيم (قوله نختبركم) أى نعاملكم معاملة المختبر إذ لايخفى على الله شئ (قوله أتبصرون) راجع الشر وقوله وتشكرون راجع للخير (٧٢) فالمؤمن الكامل يشاهد الأشياء كلها من الله فاذا ابتلى بالفقر أو المرض مثلا رضى به وازداد إقبالا عليه وإذا أنعم عليه بالغنى أو الصحة مثلا ازداد شكرا وخوفا من الله فهو راض عن الله فى الحالتين وأما الكافر والفاسق فيشاهد الأشياء من الخلق فاذا ابتلى سخط وإذا أنعم عليه بطر فهو مغضوب عليه فى الحالين ، (قوله وإلينا ترجعون) أى تردون فيظهر لكم جزاء أعمالكم إن خيرا فخير و إن شرا فشر (قوله و إذا رآك الذين كفروا) رأى بصرية أى أبصرك المشركون (قوله إن يتخذونك) جواب إذا وإن نافية بمعنى ما كما قال المفسر (قوله يقولون) قدره إشارة إلى أن قوله أهذا الذى الخ مقول لقول محذوف والمعنى يقول بعضهم لبعض فى حال الهزؤ والسخرية أهذا الخ (قوله وهم بذكر الرحمن هم كافرون) هم مبتدأ وكافرون خبره و بذكر متعلق به وهم الثانية تأكيد لفظى للأولى وحينئذ فقد فصل بين العامل والمعمول بالمؤكد و بين المؤكد والمؤكد بالمعمول و إضافة ذكر للرحمن من إضافة المصدر لفاعله كما أشار له المفسر حيث قدر لهم وحينئذ فالمراد بالذكر إرشاد الله لعباده بإرسال الرسل و إنزال الكتب ويحتمل أنه مضاف لمفعوله أى ذكرهم الرحمن بالتوحيد (قوله إذ قالوا مانعرفه) أى الرحمن وذلك أنهم كانوا يقولون لانعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة وهو مسيلمة الكذاب (قوله فى استعجالهم العذاب) أى حيث قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء الآية (قوله من عجل) هو ضد البطء أى السرعة فى الأمور (قوله أى أنه لكثرة عجله فى أحواله الخ) أشار بذلك إلى أن فى الكلام استعارة بالكناية حيث شبه العجل من حيث إن الإنسان طبع عليه حتى صار كالجبلة له بالطين الذى خلق منه البشر وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشئ من لوازمه وهو خلق ، والمعنى أن الإنسان جبل على السرعة فى الأمور والعجلة فيها حتى إنه يقع فى المضرة ولايشعر (قوله مواعيدى بالعذاب) المراد متعلقاتها وهو أنواع العذاب فى الدنيا كوقعة بدر وغيرها وفى الآخرة كعذاب النار

فى السماء (يَسْبَحُونَ) يسيرون بسرعة كالسابح فى الماء ، وللتشبيه به أتى بضمير جمع من يعقل . ونزل لما قال الكفار إن محمدا سيموت (وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ) أى البقاء فى الدنيا (أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ) فيها ؟ لا ، فالجملة الأخيرة محل الاستفهام الانكارى (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ) فى الدنيا (وَنَبْلُوكُمْ) نختبركم (بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ) كفقر وغنى وسقم وصحة (فِتْنَةً) مفعول له أى لننظر أتصبرون وتشكرون أولا (وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ) فنجازيكم (وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ) ما (يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا) أى مهزوءا به يقولون (أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ) أى يعيبها (وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ) لهم (هُمْ) تأكيد (كَافِرُونَ) به إذ قالوا مانعرفه . ونزل فى استعجالهم العذاب (خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ) أى إنه لكثرة عجله فى أحواله كأنه خلق منه (سَأُرِيكُمْ آيَاتِي) مواعيدى بالعذاب (فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ) فيه فأراهم القتل ببدر ،

(قوله ويقولون) أى استهزاء واستعجالا للعذاب (قوله إن كنتم صادقين) شرط حذف جوابه والتقدير فأتوا به وهو خطاب منهم للنبى وأصحابه (قوله قال تعالى) كلام مستأنف لبيان شدة هول مايستعجلونه لجهلهم به (قوله ولا عن ظهورهم) أى فهو كناية عن إحاطة النار بهم من كل ناحية (قوله ماقالوا ذلك) قدره إشارة إلى أن جواب لو محذوف (قوله بل تأتيهم بغتة) إضراب انتقالى من قولهم إلى بيان كيفية وقوع العذاب بهم (قوله ردها) أى دفعها (قوله فيه تسلية للنبى) أى حيث كان يغتم من استهزائهم وعدم انقيادهم (قوله قل من يكلؤكم الخ) أى قل يامحمد للمستهزئين القائلين لانعرف الرحمن من يحفظكم بالليل والنهار من عذابه إن أراده بكم وقدم الليل لكثرة الآفات فيه (قوله والمخاطبون لايخافون الخ) توطئة لقوله : بل هم عن ذكر ربهم معرضون ، والمعنى ليس لهم حافظ ولامانع غير الرحمن غير أنهم لايخافونه لإعراضهم عن ذكره (قوله فيها معنى الهمزة) أى زيادة على بل (قوله لايستطيعون نصر أنفسهم) أى فكيف يتوهم أن ينصروا غيرهم (قوله يجارون) أى ينقذون (قوله بل متعنا هؤلاء الخ) إضراب عما توهموه من أن حفظهم وإمدادهم بالنعم من قبل آلهتهم بل ماهم فيه من السراء والنعم والحفظ منا استدراج لهم (قوله بالفتح على النبى) أى وتسليط المسلمين عليهم (قوله أفهم الغالبون) استفهام توبيخ وتقريع وفيه معنى الانكار ولذا قدر المفسر لا ، وقوله بل النبى وأصحابه أى هم الغالبون (قوله قل إنما أنذركم بالوحى) المقصود من ذلك توبيخهم على ماوقع منهم حيث أقام لهم الحجج والبراهين فلم يذعنوا لها (قوله ولايسمع الصم

(وَيَقُولُونَ مَتَى هَٰذَا الْوَعْدُ) بالقيامة (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) فيه ، قال تعالى (لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ) يدفعون (عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ) يمنعون منها فى القيامة ، وجواب لو ماقالوا ذلك (بَلْ تَأْتِيهِمْ) القيامة (بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ) تحيرهم (فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ) يمهلون لتوبة أو معذرة (وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ) فيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم (فَحَاقَ) نزل (بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) وهو العذاب فكذا يحيق بمن استهزأ بك (قُلْ) لهم (مَنْ يَكْلَؤُكُمْ) يحفظكم (بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَٰنِ) من عذابه إن نزل بكم ؟ أى لا أحد يفعل ذلك ، والمخاطبون لايخافون عذاب الله لإنكارهم له (بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ) أى القرآن (مُعْرِضُونَ) لايتفكرون فيه (أَمْ) فيها معنى الهمزة للانكار أى أ (لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ) مما يسوؤهم (مِنْ دُونِنَا) أى ألهم من يمنعهم منه غيرنا (لَا يَسْتَطِيعُونَ) أى الآلهة (نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ) فلا ينصرونهم (وَلَا هُمْ) أى الكفار (مِنَّا) من عذابنا (يُصْحَبُونَ) يجارون ، يقال صحبك الله ، أى حفظك وأجارك (بَلْ مَتَّعْنَا هَٰؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ) بما أنعمنا عليهم (حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ) فاغتروا بذلك (أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ) نقصد أرضهم (نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا) بالفتح على النبى (أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ) ؟ لا ، بل النبى وأصحابه (قُلْ) لهم (إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ) من الله لا من قبل نفسى (وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بينها وبين الياء (مَا يُنْذَرُونَ) أى هم لتركهم العمل بما سمعوه من الإنذار كالصم (وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ) وقعة خفيفة (مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا) للتنبيه (وَيْلَنَا) هلاكنا (إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ) بالإشراك وتكذيب محمد (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ

الدعاء) بالياء المفتوحة ورفع الصم على الفاعلية ونصب الدعاء على المفعولية وفى قراءة سبعية أيضا بالتاء المضمومة وكسر الميم خطاب للنبى والصم مفعوله الأول والدعاء مفعوله الثانى والمقصود من ذلك تسليته صلى الله عليه وسلم كأن الله يقول له أرح قلبك ولاتعلقه بهم وارض بحكم الله فيهم (قوله بتحقيق الهمزتين) أى همزة الدعاء وهمزة إذا (قوله وتسهيل الثانية) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله قعة خفيفة) أخذ الخفة من التعبير بالمس والنفح والتاء الدالة على المرة والنفح فى الأصل هبوب رائحة الشىء ، والمعنى ولئن أصابهم عذاب خفيف ليقولن تحسرا وتندما ياويلنا الخ وهو كناية عن كونهم فى غاية الضعف والحقارة ومن كان كذلك فلايبالى به (قوله ونضع الموازين) هذه الآية آخر خطابات قريش فى هذه السورة والجمع فى الموازين للتعظيم فان الصحيح أنه ميزان واحد لجميع الأمم ولجميع الأعمال ، وهو جسم محسوس له لسان وكفتان وعمود كل كفة قدر مابين

الشرق والغرب ومكانه قبل الصراط كفته اليمنى للحسنات وهى نيرة عن يمين العرش وكفته اليسرى للسيئات وهى مظلمة عن يساره يأخذ جبريل بعموده ناظرا إلى لسانه وميكائيل أمين عليه بحضرة الجن والإنس ووقته بعد الحساب ولا يكون الوزن فى حق كل أحد بل هو تابع للحساب فمن حوسب وزنت أعماله ومن لا فلا ، والحق أن الكفار توزن أعمالهم السيئة غير الكفر ليجازوا عليها بالعقاب زيادة على عذاب الكفر وأعمالهم الحسنة التى لا تتوقف على نية كالعتق وصلة الرحم والوقف فيخفف عنهم بذلك من عذاب غير الكفر فتوزن أعمالهم لأجل ذلك لا للنجاة من عذاب الكفر فانه لا يخفف عنهم ولا ينقطع ، وأما قوله تعالى : فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ، فمعناه نافعا بحيث ينجون من الخلود فى النار ، وقيل حسناتهم التى فعلوها يجازون عليها فى الدنيا كصحة وعافية ولا يجازون عليها فى الآخرة أصلا . واختلف هل الوزن بصنج أولا ، واستظهر الأول تحقيقا للعدل فتوضع السيئات فى مقابلة الحسنات فان رجح أحدهما وضع صنج بقدر ما رجح فينعم بقدره أو يعذب بقدره فان لم يكن له إلا حسنات فقط أو سيئات فقط وضعت الصنج فى الكفة الأخرى . واختلف أيضا هل الأعمال تصوّر وتوزن فالحسنات تصوّر بصورة حسنة نورانية ثم توضع فى كفة الحسنات ، والسيئات تصوّر بصورة قبيحة ظلمانية ثم توضع فى كفة السيئات أو توزن الصحائف أو توزن الأشخاص ولا مانع من حصول ذلك كله (قوله القسط) أفرد لأنه مصدر وصف به مبالغة أو على حذف مضاف (قوله شيئا) إما مفعول ثان أو مفعول مطلق (قوله وإن كان العمل) قدّره المفسر إشارة إلى أن كان ناقصة واسمها مستتر يعود على العمل ومثقال بالنصب خبرها وفى قراءة سبعية برفعه على أنها تامة (قوله من خردل) المراد أقل قليل (قوله وكفى بنا حاسبين) أى عالمين

(الْقِسْطَ) ذوات العدل (لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ) أى فيه (فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا) من نقص حسنة أو زيادة سيئة (وَإِنْ كَانَ) العمل (مِثْقَالَ) زنة (حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا) أى بموزونها (وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ) محصين فى كل شىء (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ) أى التوراة الفارقة بين الحق والباطل والحلال والحرام (وَضِيَاءً) بها (وَذِكْرًا) أى عظة بها (لِلْمُتَّقِينَ . الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ) عن الناس أى فى الخلاء عنهم (وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ) أى أهوالها (مُشْفِقُونَ) أى خائفون (وَهَذَا) أى القرآن (ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ) الاستفهام فيه للتوبيخ (وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ) أى هداه قبل بلوغه ، (وكنا

والمقصود منه التحذير لأن الانسان العاقل إذا علم أن الله تعالى يحاسبه مع القدرة عليه وإحاطة علمه بجزئيات أعماله فانه يكون على حذر وخوف منه (قوله ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان) شروع فى ذكر قصص الأنبياء تسلية له صلى الله عليه وسلم وزيادة فى علم أمته ، وذكر منها عشر قصص :
الأولى قصة موسى وهرون . الثانية قصة إبراهيم . الثالثة قصة لوط . الرابعة قصة نوح . الخامسة قصة داود وسليمان . السادسة قصة أيوب . السابعة قصة إسمعيل وإدريس وذى الكفل . الثامنة قصة يونس . التاسعة قصة زكريا . العاشرة قصة مريم وعيسى صلوات الله وسلامه على الجميع (قوله وضياء) أى يستضاء بها من ظلمات الجهل والكفر (قوله الذين يخشون ربهم) أى عذابه (قوله بالغيب) حال من الفاعل فى يخشون أى حال كونهم غائبين ومنفردين عن الناس ، والناس فى ذلك مراتب فمنهم من يعتقد أن الله مطلع عليه ولا يغيب عنه ولكن قلبه غير ذائق لذلك وهذا محجوب قد تقع منه المعاصى . ومنهم من يراقب الله بقلبه بحيث يشاهد أنه فى حضرة الله وأنه مطلع عليه وهذا أعلى من الأول ، ويسمى ذلك المقام مقام المراقبة . ومنهم من يشاهد الله بعين بصيرته وهذا أعلى المقامات ويسمى مقام المشاهدة (قوله وهم من الساعة مشفقون) خصت بالذكر لكونها أعظم ما يخاف منه (قوله مبارك) أى كثير الخير (قوله أفأنتم له منكرون) الخطاب لأهل مكة تقريعا لهم أى إن هذا القرآن فيه تذكيركم وفيه خير كثير أيليق منكم إنكاره والاستهزاء به (قوله أى هداه قبل بلوغه) المراد بالهدى الاهتداء لصلاح الدين والدنيا حين خرج من السرب وهو صغير وتفكر واستدل بالكواكب على وحدانية الله وليس المراد به النبوة ، وقيل من قبل موسى وهرون وعليه فالمراد بالرشد النبوة فتحصل أنه إن كان المراد بقوله قبل أى قبل البلوغ ، فالمراد بالرشد الاهتداء لصلاح الدين والدنيا لأن الله تعالى لم يتخذ وليا جاهلا بمعرفته فضلا عن نبى ، وإن كان المراد به قبل موسى وهرون ، فالمراد بالرشد النبوة وإرشاد الخلق .

(قوله وكنا به عالمين) أى ولم نزل كذلك **(قوله إذ قال لأبيه)** ظرف لقوله آتينا أو لمحذوف أى اذكر **(قوله لأبيه)** أى آزر **(قوله التماثيل)** جمع تمثال وهو الصورة المصنوعة من رخام أو نحاس أو خشب وكانت تلك الأصنام اثنين وسبعين صنما بعضها من ذهب وبعضها من فضة وبعضها من حديد وبعضها من رصاص وبعضها من نحاس وبعضها من حجر وبعضها من خشب، وكان كبيرها من ذهب مكللا بالجواهر فى عينيه ياقوتتان متقدتان تضيئان بالليل **(قوله عاكفون)** عبر بالعكوف الذى هو عبارة عن الاستمرار على الشىء لغرض ما ولم يعبر بالعبادة تحقيرا لهم **(قوله قالوا وجدنا آباءنا الخ)** أجابوا بذلك وإن كان غير موافق لسؤاله بما لأنه مآل سؤاله إذ هو يعرف حقيقتها من كونها من ذهب أو غيره كأنه قال ما هى لأى شىء عبدتموها وحينئذ فلم يكن لهم جواب إلا التقليد **(قوله فى ضلال مبين)** أى لعدم استنادكم إلى دليل **(قوله قالوا أجئتنا بالحق الخ)** أى لما استبعدوا تضليل آبائهم ظنوا أن ما قاله على وجه اللعب فقالوا أصدق ما تقوله أم أنت هازل فيه **(قوله قال بل ربكم الخ)** إضراب عن قولهم باقامة البرهان على صدق ما ادعاه **(قوله وأنا على ذلكم)** أى على ما ذكرته من كون ربكم رب السموات والأرض دون ما عداه **(قوله من الشاهدين)** أى العالمين بالبرهان **(قوله وتالله لأكيدن أصنامكم)** انتقال من دلالة قولية إلى دلالة فعلية فلما لم يفد فيهم الدليل القولى عدل إلى الدليل الفعلى وهو الكسر، والمعنى لأجتهدن فى كسرها وأكيدنكم فيها **(قوله بعد ذهابهم إلى مجتمعهم)** أى وقد ذهب معهم إبراهيم فلما كان فى أثناء الطريق ألقى نفسه وقال إنى سقيم اشتكى رجله فتركوه ومضوا ثم نادى فى آخرهم وقد بقى ضعفاء الناس: تالله لأكيدن أصنامكم فسمعها الضعفاء فرجع إبراهيم إلى بيت الأصنام وقبالة الباب صنم عظيم وإلى جنبه أصغر منه وهكذا كل صنم أصغر من الذى يليه، وكانوا وضعوا عند الأصنام طعاما يأكلون منه إذا رجعوا من عيدهم إليهم، فقال لهم إبراهيم: ألا تأكلون؟ فلم يجيبوه فكسرها **(قوله بضم الجيم وكسرها)** أى فهما قراءتان سبعيتان وقرئ شذوذا بفتحها **(قوله بفأس)** هو مهموز الآلة التى يكسر بها الحجر **(قوله إلا كبيرا لهم)** أى لم يكسره بل تركه والضمير فى لهم يصح أن يعود على الأصنام أو على عابديها **(قوله من فعل هذا)** أى التكسير ومن يحتمل أن تكون استفهامية مبتدأ وفعل هذا خبره أو موصولة وفعل صلته وإنه لمن الظالمين خبره **(قوله قالوا سمعنا فتى)** القائل هم الضعفاء من قوم إبراهيم الذين سمعوا حلفه **(قوله أى يعيبهم)** أى ينقصهم ويستهزئ بهم **(قوله يقال له إبراهيم)** مرفوع على أنه نائب فاعل يقال على إرادة لفظه أو مبتدأ خبره محذوف أى يقال له إبراهيم فاعل ذلك أو منادى وحرف النداء محذوف أو خبر لمحذوف أى يقال له هذا إبراهيم **(قوله قالوا فأتوا به)** القائل لذلك النمروذ **(قوله لعلهم يشهدون)** أى لعل الناس يشهدون عليه بفعله بأن يكون أحد من الناس رآه يكسرها **(قوله بتحقيق الهمزتين)** أى بادخال ألف بينهما وتركه فتكون القراآت السبعيات خمسا. وحاصلها أن الهمزتين إما محققتان أو الثانية مسهلة وفى كل إما بادخال ألف بينهما أولا

(وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ) أى بأنه أهل لذلك (إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ) الأصنام (الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ) أى على عبادتها مقيمون (قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ) فاقتدينا بهم (قَالَ) لهم (لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ) بعبادتها (فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) بيّن (قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ) فى قولك هذا (أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ) فيه (قَالَ بَل رَّبُّكُمْ) المستحق للعبادة (رَبُّ) مالك (السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ) خلقهن على غير مثال سبق (وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُم) الذى قلته (مِّنَ الشَّاهِدِينَ) به (وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ. فَجَعَلَهُمْ) بعد ذهابهم إلى مجتمعهم فى يوم عيد لهم (جُذَاذًا) بضم الجيم وكسرها: فتاتا بفأس (إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ) علق الفأس فى عنقه (لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ) أى إلى الكبير (يَرْجِعُونَ) فيرون ما فعل بغيره (قَالُوا) بعد رجوعهم ورؤيتهم ما فعل (مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ) فيه (قَالُوا) أى بعضهم لبعض (سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ) أى يعيبهم (يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ. قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ) أى ظاهرا (لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ) عليه أنه الفاعل (قَالُوا) له بعد إتيانه (أَأَنتَ) بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفا وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه (فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ. قَالَ) ساكتا عن فعله

فهذه أربع والخامسة إبدال الثانية ألفا (قوله قال بل فعله كبيرهم هذا) اعلم أن هذا من التعريض لأن القاعدة أنه إذا دار الفعل بين قادر عليه وعاجز عنه وأثبت للعاجز بطريق التهكم به لزم منه انحصاره فى الآخر فهو إشارة لنفسه مضمنا فيه الاستهزاء والتضليل وقوله هذا بدل من كبيرهم أو نعت له . ورد أن إبراهيم قال لهم إن الكبير غضب من إشراككم معه غيره الصغار فى العبادة فكسرهن ، وأراد بذلك إقامة الحجة عليهم (قوله إن كانوا ينطقون) أى إن كانوا ممن يمكن أن ينطق وخص النطق بالذكر و إن كان غيره من السمع والعقل و بقية أوصاف العقلاء كذلك لأنه أظهر فى تبكيتهم (قوله فيه تقديم جواب الشرط) أى وهو قوله فاسألوهم وفيه إشارة إلى أن قوله : بل فعله كبيرهم هذا مرتبط بقوله إن كانوا ينطقون ، والمعنى بل فعله كبيرهم هذا إن كانوا ينطقون فاسألوهم (قوله فرجعوا إلى أنفسهم) أى إلى عقولهم وتذكروا أن من لا يقدر على دفع المضرة أو جلب المنفعة كيف يصلح أن يكون إلها (قوله ثم نكسوا على رءوسهم) أى انقلبوا إلى المجادلة والكفر بعد استقامتهم بالمراجعة ونكسوا بالتخفيف مبنيا للمفعول فى قراءة العامة وفاعل النكس هو الله كما يشير له المفسر وقرئ شذوذا بالتشديد و بالتخفيف مبنيا للفاعل (قوله أى ردوا إلى كفرهم) أى الاستمرار عليه (قوله وقالوا والله) أشار بذلك إلى أن قوله لقد علمت الخ جواب قسم محذوف (قوله بكسر الفاء) أى مع التنوين وتركه وقوله وفتحها أى بترك التنوين فالقراآت ثلاث سبعيات (قوله أفلا تعقلون) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه والتقدير أجهلتم فلا تعقلون .

(بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسْئَلُوهُمْ) عن فاعله (إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ) فيه تقديم جواب الشرط وفيما قبله تعريض لهم بأن الصنم المعلوم عجزه عن الفعل لا يكون إلها (فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ) بالتفكر (فَقَالُوا) لأنفسهم (إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ) أى بعبادتكم من لا ينطق (ثُمَّ نُكِسُوا) من الله (عَلَى رُءُوسِهِمْ) أى ردوا إلى كفرهم وقالوا والله (لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ) أى فكيف تأمرنا بسؤالهم (قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ) أى بدله (مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا) من رزق وغيره (وَلَا يَضُرُّكُمْ) شيئاً إذا لم تعبدوه (أُفٍّ) بكسر الفاء وفتحها بمعنى مصدر ، أى نتنا وقبحاً (لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ) أى غيره (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) أن هذه الأصنام لا تستحق العبادة ولا تصلح لها و إنما يستحقها الله تعالى (قَالُوا حَرِّقُوهُ) أى إبراهيم (وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ) أى بتحريقه (إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ) نصرتها فجمعوا له الحطب الكثير وأضرموا النار فى جميع وأوثقوا إبراهيم وجعلوه ،

[فائدة] : ورد فى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات ثنتان منها فى ذات الله قوله : إنى سقيم ، وقوله كبيرهم هذا ، وقوله لسارة هذه أختى » والمعنى أنه لم يتكلم بكلام صورته صورة الكذب إلا هذه الكلمات الثلاث فقوله إنى سقيم أراد سقيم القلب من ضلالتكم ، وقوله بل فعله كبيرهم هذا تبكيت لقومه وقوله هذه أختى فى أى فى الدين والخلقة فهذه الألفاظ صدق فى نفسها ليس فيها كذب أصلا ومعنى كون الأولى والثانية فى ذات الله أنهما من أجل غيرته على الله وأما الثالثة فمن أجل غيرته على زوجته وهذا مافتح الله به (قوله قالوا حرقوه) القائل ذلك النمروذ بن كنعان ابن سنجاريب بن نمروذ بن كوس بن حام بن نوح عليه السلام ، وقيل رجل من أكراد فارس اسمه هيبون خسف الله به الأرض والحكمة فى اختيارهم التحريق على غيره من أنواع القتل أن إبراهيم بادأهم بالفضيحة والتشنيع عليهم فأحبوا أن يجازوه بما فيه التشنيع والشهرة (قوله فجمعوا له الحطب الخ) حاصل القصة فى ذلك أنه لما اجتمع نمروذ وقومه لإحراق إبراهيم حبسوه فى بيت و بنوا بنيانا كالحظيرة بقرية يقال لها كوثى ثم جمعوا له صلاب الحطب وأصناف الخشب مدة شهر حتى كان الرجل يمرض فيقول : لئن عوفيت لأجمعن حطبا لإبراهيم وكانت المرأة تنذر فى بعض ماتطلبه لئن أصابته لتحطبن فى نار إبراهيم وكانت المرأة تغزل وتشترى الحطب بغزلها احتسابا فى دينها وكان الرجل يوصى بشراء الحطب و إلقائه فيه فلما جمعوا ما أرادوا أشعلوا فى كل ناحية من الحطب نارا فاشتعلت النار واشتدت حتى إن كان الطير ليمر بها فيحترق من شدة وهجها وحرها فأوقدوا عليها سبعة أيام فلما أرادوا أن يلقوا إبراهيم فلم يعلموا كيف يلقونه فقيل إن إبليس جاء وعلمهم عمل المنجنيق فعملوه ثم عمدوا إلى إبراهيم فقيدوه ورفعوه على رأس البنيان ووضعوه فى المنجنيق مقيدا مغلولا فصاحت السماء والأرض ومن فيهما

من الملائكة وجميع الخلق إلا الثقلين صيحة واحدة أى ربنا إبراهيم خليلك يلقى فى النار وليس فى أرضك أحد يعبدك غيره فائذن لنا فى نصرته ، فقال الله تعالى إنه خليلى ليس لى خليل غيره وأنا الإله ليس له إله غيرى فان استغاث بأحدكم أو دعاه فلينصره فقد أذنت له فى ذلك وإن لم يدع غيرى فأنا وليه وأنا أعلم به خلوا بينى وبينه ، فلما أرادوا إلقاءه فى النار أتاه خازن المياه وقال : إن أردت أخمدت النار ، وأتاه خازن الهواء وقال : إن شئت طيرت النار فى الهواء ، فقال إبراهيم : لا حاجة لى إليكم حسبى الله ونعم الوكيل . روى أنه قال حين أوثقوه ليلقوه فى النار «لا إله إلا أنت سبحانك لك الحمد ولك الملك لا شريك لك» ثم رموا به فى المنجنيق إلى النار فاستقبله جبريل فقال يا إبراهيم ألك حاجة ؟ قال أما إليك فلا . قال جبريل فاسأل ربك فقال إبراهيم حسبى من سؤالى علمه بحالى ، وكان وقت إلقائه فيها ابن ست عشرة سنة وقيل ابن ست وعشرين سنة ، ولما ألقى فيها جعل كل شىء يطفئ النار إلا الوزغ فانه كان ينفخ فى النار فصم بسبب ذلك وأمر صلى الله عليه وسلم بقتله ، وقال من قتل وزغة فى أول ضربة كتب له مائة حسنة وفى الثانية دون ذلك وفى الثالثة دون ذلك . ذكر بعض الحكماء أن الوزغ لا يدخل بيتا فيه زعفران ، ومدة مكثه فى النار سبعة أيام وقيل أربعون يوما وقيل خمسون يوما (قوله فى منجنيق) آلة ترمى بها الحجارة فارسى معرب لأن الجيم والقاف لا يجتمعان فى كلمة واحدة من كلام العرب (قوله كونى بردا وسلاما) أى ابردى بردا غير ضار ، ورد «أنه لما ألقى فيها أخذت الملائكة بضبعيه فأقعدوه على الأرض فاذا عين ماء عذب وورد أحمر ونرجس وأتاه جبريل بقميص من حرير الجنة وطنفسة فألبسه القميص وأقعده على الطنفسة وجلس معه يحدثه ويقول له يا إبراهيم : إن ربك يقول لك أما علمت أن النار لا تضر أحبابى قال إبراهيم : ما كنت أياما قط أنعم منى من الأيام التى كنت فى النار ، ثم نظر نمروذ وأشرف على إبراهيم من صرح له فرآه جالسا فى روضة والملك قاعد إلى جنبه فناداه يا إبراهيم إن إلهك الذى بلغت قدرته أن حال بينك وبين النار لكبير هل تستطيع أن تخرج منها ؟ قال نعم . قال هل تخشى إذا قمت أن يضرك ؟ قال لا . قال قم فاخرج منها فقام إبراهيم يمشى فيها حتى خرج منها فلما وصل إليه قال له يا إبراهيم من الرجل الذى رأيت معك مثلك فى صورتك قاعدا إلى جنبك ؟ قال ذلك ملك الظل أرسله إلىّ ربى ليؤنسنى فيها . قال نمروذ يا إبراهيم إنى مقرب إلى إلهك قربانا لما رأيت من قدرته وعزته فيما صنع بك حين أبيت إلا عبادته وتوحيده وإنى ذابح له أربعة آلاف بقرة . قال إبراهيم إذا لا يقبل الله منك ما كنت على دينك حتى تفارقه وترجع إلى دينى ، فقال لا أستطيع ترك ملكى ولكن سوف أذبحها له فذبحها له نمروذ وكف عن إبراهيم عليه السلام (قوله وبقوله وسلاما الخ) أى ولو لم يقل على إبراهيم لما أحرقت النار أحدا ولما أوقدت (قوله فجعلناهم الأخسرين) أى لأنهم خسروا السعى والنفقة فلم يحصلوا مرادهم ويحتمل أن المراد بالأخسرين الهالكون لأن الله سلط عليهم البعوض فأكلت لحومهم وشربت دماءهم ودخلت فى رأس النمروذ بعوضة فأهلكته (قوله ابن أخيه هاران) أى الأصغر وكان له أخ ثالث اسمه ناخور والثلاثة أولاد آزر وأما هاران الأكبر فهو عم إبراهيم أبو سارة زوجته وقد آمنت به (قوله من العراق) أى وصحب معه لوطا وسارة ونزل بحران فمكث بها ثم خرج منها حتى قدم مصر ثم خرج ورجع إلى الشام فنزل بالسبع من أرض فلسطين وترك لوطا بالمؤتفكة فبعثه الله نبيا إلى أهلها وما قرب منها (قوله بكثرة الأنهار والأشجار) أشار بذلك إلى أن المراد بالبركة الدنيوية وعليه يحمل ما ورد «إن عمر ابن الخطاب قال لكعب : ألا تتحول إلى المدينة فيها مهاجر رسول الله وقبره ؟ فقال كعب : إنى وجدت فى كتاب الله المنزل يا أمير المؤمنين أن الشام كنز الله فى أرضه وبها كنزه من عباده» وإلا فالمدينة ومكة أفضل من الشام باتفاق (قوله بفلسطين) بفتح الفاء وكسرها مع فتح اللام لا غير قرى بيت المقدس (قوله ولوط بالمؤتفكة) هى قرى قوم لوط رفعها جبريل وأسقطها مقلوبة بأمر من الله .

فى منجنيق ورموه فى النار ، قال تعالى ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ فلم تحرق منه غير وثاقه وذهبت حرارتها وبقيت إضاءتها وبقوله وسلاما سلم من الموت ببردها ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾ وهو التحريق ﴿فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ فى مرادهم ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا﴾ ابن أخيه هاران من العراق ﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ بكثرة الأنهار والأشجار وهى الشام نزل إبراهيم بفلسطين ولوط بالمؤتفكة وبينهما يوم ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ﴾ أى لإبراهيم وكان سأل ولدا ،

كما ذكر فى الصافات (إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً) أى زيادة على المسئول، أو هو ولد الولد (وَكُلًّا) أى هو وولداه (جَعَلْنَا صَالِحِينَ) أنبياء (وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً) بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ياء يقتدى بهم فى الخير (يَهْدُونَ) الناس (بِأَمْرِنَا) إلى ديننا (وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ) أى أن تفعل وتقام وتؤتى منهم ومن أتباعهم وحذف هاء إقامة تخفيف (وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ. وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا) فصلاً بين الخصوم (وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ) أى أهلها الأعمال (الْخَبَائِثَ) من اللواط والرمى بالبندق واللعب بالطيور وغير ذلك (إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ) مصدر ساءه نقيض سره (فَاسِقِينَ. وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا) بأن أنجيناه من قومه (إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ. وَ) اذكر (نُوحًا) وما بعده بدل منه (إِذْ نَادَى) دعا على قومه بقوله: رب لا تذر الخ (مِنْ قَبْلُ) أى قبل إبراهيم ولوط (فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ) الذين فى سفينته (مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ) أى الغرق وتكذيب قومه له (وَنَصَرْنَاهُ) منعناه (مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا) الدالة على رسالته ألا يصلوا إليه بسوء (إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ. وَ) اذكر (دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ) أى قصتهما ويبدل منهما (إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ) هو زرع أو كرم (إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ) أى رعته ليلاً بلا راع بأن انفلتت (وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ) فيه استعمال ضمير الجمع لاثنين،

(قوله كما ذكر فى الصافات) أى فى قوله: رب هب لى من الصالحين (قوله نافلة) حال من يعقوب أى أعطى يعقوب لابراهيم زيادة على مطلوبه (قوله وولداه) أى إسحق ويعقوب (قوله وإبدال الثانية ياء) هو وجه من جملة خمسة أوجه تقدمت فى سورة براءة (قوله يهدون بأمرنا) أى يدعون الناس بوحينا (قوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة) عطف خاص على عام لأن الصلاة أفضل العبادات البدنية والزكاة أفضل العبادات المالية (قوله وكانوا لنا عابدين) تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر أى كانوا لنا لا لغيرنا (قوله ولوطا) منصوب بفعل مقدر يفسره قوله آتينا (قوله فصلا بين الخصوم) أى على وجه الحق (قوله وعلما) أى بالشرائع والأحكام (قوله أى أهلها) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف أو فيه مجاز عقلى (قوله الأعمال) قدره إشارة إلى أن الخبائث صفة لموصوف محذوف (قوله والرمى بالبندق) أى رمى المارة بالبرام وأما بندق الرصاص فلم يحدث إلا فى هذه الأمة (قوله وغير ذلك) كالضراط فى المجالس (قوله بأن أنجيناه من قومه) المناسب أن يقول: وأدخلناه فى أهل رحمتنا أى جنتنا وإلا فيلزم عليه التكرار (قوله واذكر) قدره إشارة إلى أن نوحا منصوب بفعل محذوف وبعث نوح وهو ابن أربعين سنة ومكث فى قومه ألف سنة إلا خمسين وعاش بعد الطوفان ستين فجملة عمره ألف وخمسون سنة وهذا أحد أقوال تقدمت (قوله بقوله رب لا تذر على الأرض الخ) أى بعد أن أوحى إليه أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن (قوله الذين فى سفينته) وجملتهم ستة رجال ونساؤهم، وقيل أربعون رجلا وأربعون امرأة (قوله منعناه) أشار بذلك إلى أنه ضمن نصر معنى منع حيث عدى بمن قال

(قوله ألا يصلوا إليه) أى لئلا يصلوا إليه فهو تعليل لنصرناه (قوله وداود وسليمان) معمولان لمحذوف قدره المفسر بقوله اذكر وعاش داود مائة سنة وبينه وبين موسى خمسمائة وتسع وستون سنة وقيل وتسع وسبعون، وعاش ولده سليمان تسعا وخمسين وبينه وبين مولد النبى صلى الله عليه وسلم نحو ألف سنة وسبعمائة (قوله أى قصتهما) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله ويبدل منهما) فى الحقيقة الابدال من المضاف المحذوف (قوله إذ يحكمان) عبر عنه بالمضارع استحضارا للحال الماضية لغرابتها (قوله هو زرع أو كرم) هما قولان للمفسرين وعلى كل كان قبل تمام نضجه (قوله إذ نفشت) أى تفرقت وانتشرت فيه فأفسدته (قوله غنم القوم) أى بعض القوم: أى قوم داود وهم أمته (قوله وكنا لحكمهم شاهدين) أى كان ذلك بعلمنا ومرأى منا فخذها أيها العاقل ولا تتردد فيها (قوله فيه استعمال ضمير الجمع لاثنين) أى بناء على أن أقل الجمع اثنان، ويجاب أيضا بأن الجمع باعتبار الحاكمين والمحكوم عليهما.

قال داود : لصاحب الحرث رقاب الغنم ، وقال سليمان ينتفع بدرّها ونسلها وصوفها إلى أن يعود الحرث كما كان بإصلاح صاحبها فيردها إليه (فَفَهَّمْنَاهَا) أى الحكومة (سُلَيْمَانَ) وحكمهما باجتهاد ورجع داود إلى سليمان ، وقيل بوحى والثانى ناسخ للأول (وَكُلًّا) منهما (آتَيْنَا) ه (حُكْمًا) نبوة (وَعِلْمًا) بأمور الدين (وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ) كذلك سخرا للتسبيح معه لأمره به إذا وجد فترة لينشط له (وَكُنَّا فَاعِلِينَ) تسخير تسبيحهما معه وإن كان عجبا عندكم أى مجاوبته للسيد داود (وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ) وهى الدرع لأنها تلبس وهو أول من صنعها وكان قبلها صفائح (لَكُمْ) فى جملة الناس (لِنُحْصِنَكُمْ) بالنون لله وبالتحتانية لداود ، وبالفوقانية للبوس (مِنْ بَأْسِكُمْ) حربكم مع أعدائكم (فَهَلْ أَنْتُمْ) يا أهل مكة (شَاكِرُونَ) نعمى بتصديق الرسول أى اشكرونى بذلك ،

(قوله قال داود : لصاحب الحرث رقاب الغنم) أى عوضا عن حرثه . وحاصل تلك القصة أن رجلين دخلا على داود عليه السلام أحدهما صاحب حرث والآخر صاحب غنم ، فقال صاحب الحرث إن هذا قد انفلتت غنمه ليلا فوقعت فى حرثى فأفسدته فلم تبق منه شيئا ، فأعطاه داود رقاب الغنم فى الحرث ، فخرجا فمرا على سليمان وهو ابن إحدى عشرة سنة ، فقال كيف قضى بينكما فأخبراه ، فقال سليمان لو وليت أمركما لقضيت بغير هذا . وروى أنه قال غير هذا أرفق بالفريقين ، فأخبر بذلك داود فدعاه فقال له بحق النبوة والأبوة إلا ما أخبرتنى بالذى هو أرفق بالفريقين . قال ادفع الغنم لصاحب الحرث ينتفع بلبنها وصوفها ونسلها ويزرع صاحب الغنم لصاحب الحرث مثل حرثه فإذا صار الحرث كهيئته يوم أكل دفع إلى صاحبه وأخذ صاحب الغنم غنمه ، فقال داود القضاء ماقضيت . ومن أحكام داود وسليمان عليهما السلام ما روى كانت امرأتان معهما ابناهما جاء الذئب فذهب بابن إحداهما فقالت لصاحبتها إنما ذهب بابنك ، وقالت الأخرى إنما ذهب بابنك فتحاكما إلى داود فقضى به للكبرى ، فخرجتا على سليمان بن داود فأخبرتاه ، فقال ائتونى بالسكين أشقه بينهما ، فقالت الصغرى لا تفعل يرحمك الله هو ابنها فقضى به للصغرى (قوله ففهمناها) أى فهمناه الصواب فيها (قوله وحكمهما باجتهاد الخ) أى ويجوز الخطأ على الأنبياء إذا لم يكن فيه مفسدة ولكن لايبقيهم الله عليه لعصمتهم ، والمجتهد مأجور أخطأ أو أصاب لكن المصيب له أجران ، والمخطئ له أجر واحد (قوله وقيل بوحى) أى لكل منهما وهذا فى شريعتهم ، وأما فى شريعتنا فمذهب مالك ما أتلفته البهائم ليلا وهى غير معروفة بالعداء ولم تربط ولم يغلق عليها فعلى ربها وإن زاد على قيمتها يقوّم إن لم يبد صلاحه بين الرجاء والخوف وإن بدا صلاحه ضمن قيمته على البت ، وأما ما أتلفته نهارا وهى غير عادية ولم يكن معها راع وسرحت بعيدة عن المزارع فلا ضمان على ربها وإن كان معها راع أو سرّحها ربها قرب المزارع أو كانت عادية فعلى ربها ليلا أو نهارا ، ومذهب أبى حنيفة لا ضمان فيما أتلفته البهائم ليلا أو نهارا إلا أن يكون معها سائق أو قائد ، ومذهب الشافعى فيه تفصيل فانظره ، ويمكن تخريج حكم داود على شريعتنا بأنه رأى أن قيمة الغنم مثل قيمة الحرث وصاحب الغنم مفلس ، فالحكم أنها تعطى لصاحب الحرث (قوله وكلا آتينا حكما وعلما) دفع بذلك مايتوهم من قوله ففهمناها سليمان أن داود ناقص فى العلم (قوله وسخرنا) أى ذللنا (قوله يسبحن) حال من الجبال وقوله والطير فيه قراءتان سبعيتان الرفع والنصب فالنصب إما على أنه مفعول معه أو معطوف على الجبال والرفع على أنه مبتدأ والخبر محذوف كما قدره المفسر بقوله كذلك ، وقدم الجبال لكون تسبيحها أغرب وأعجب (قوله لأمره به إذا وجد فترة) أى فكان إذا وجد فترة أمر الجبال والطير فيسبحن (قوله وإن كان عجبا عندكم) أى مستغربا ، وقد اتفق فى هذه الأمة لغير واحد منها كالسيد الدسوقى وأمثاله (قوله وعلمناه صنعة لبوس) وسبب ذلك أنه مرّ به ملكان على صورة رجلين ، فقال أحدهما للآخر نعم الرجل إلا أنه يأكل من بيت المال فسأل الله أن يرزقه من كسبه فألان الله له الحديد فكان يعمل منه الدروع بغير نار كأنه طين فى يده (قوله وهى الدروع) وأنث الضمير لكون درع الحديد تؤنث وتذكر ، وأما درع المرأة أى قميصها فهو مذكر (قوله وهو أول من صنعها) أى حلقا بعضها داخل فى بعض وقبل ذلك كانوا يصنعونها من صفائح متصل بعضها ببعض (قوله لكم) أى يا أهل مكة (قوله فى جملة الناس) دفع به ما يرد كيف تكون لأهل مكة مع أن صنع داود لم يكن فى زمنهم فأفاد أنها نعمة اتصلت بمن بعده إلى أن كانوا من جملتهم (قوله وبالفوقانية للبوس) أى لأنه بمعنى الدرع وهى تؤنث .

(قوله ولسليمان الريح) عبر باللام إشارة إلى أن الله ملكه الريح وجعلها ممتثلة لأمره وعبر بمع فى حق داود لأن الجبال والطير قد صاحباه فى التسبيح واشتركا معه (قوله أى شديدة الهبوب الخ) لف ونشر مرتب (قوله تجرى بأمره) حال (قوله إلى الأرض التى باركنا فيها) أى لأنها مقره فكان ينتقل منها ويرجع إليها . قال وهب : كان سليمان عليه الصلاة والسلام إذاخرج إلى مجلسه عكفت عليه الطيور وقام له الانس والجن حيث يجلس على سريره وكان امرأ غازيا قلما كان يقعد عن الغزو ولا يسمع فى ناحية من الأرض بملك إلا أتاه حتى يذله . وقال مقاتل : نسجت الشياطين لسليمان بساطا فرسخا فى فرسخ ذهبا فى إبريسم وكان يوضع له منبر من الذهب وسط البساط فيقعد عليه وحوله ثلاثة آلاف كرسى من ذهب وفضة يقعد الأنبياء على كراسى الذهب والعلماء على كراسى الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير بأجنحتها حتى لايقع عليه شمس ويرفع ريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح إلى الرواح . وقال الحسن : لما شغلت نبى الله سليمان الخيل حتى فاتته صلاة العصر غضب لله فعقر الخيل فأبدله الله مكانها خيرا منها وأسرع الريح تجرى بأمره كيف يشاء ، فكان يغدو من إيليا فيقيل باصطخر ثم يروح منها فيكون رواحها ببابل ، وهكذا غدوها شهر ورواحها شهر حتى ملك الأرض مشرقا ومغربا ملك سلطنة وحكم ، وأما رسالته فكانت لبنى إسرائيل (قوله ومن الشياطين) أى الكفار منهم (قوله وغيره) أى كالنورة والطاحون والقوارير والصابون فان ذلك من استخراجاتهم (قوله لأنهم كانوا إذافرغوا من عمل الخ) قيل إن سليمان كان إذابعث شيطانا مع إنسان ليعمل له عملا قال له إذا فرغ من عمله قبل الليل فأشغله بعمل آخر لئلا يفسد ما عمله و يخربه

(وَ) سخرنا (لِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً) وفى آية أخرى رخاء أى شديدة الهبوب وخفيفته بحسب إرادته (تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا) وهى الشام (وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ) من ذلك علمه تعالى بأن مايعطيه سليمان يدعوه إلى الخضوع لربه ففعله تعالى على مقتضى علمه (وَ) سخرنا (مِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ) يدخلون فى البحر فيخرجون منه الجواهر لسليمان (وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ) أى سوى الغوص من البناء وغيره (وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ) من أن يفسدوا ماعملوا لأنهم كانوا إذا فرغوا من عمل قبل الليل أفسدوه إن لم يشغلوا بغيره (وَ) اذكر (أَيُّوبَ) ويبدل منه (إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ) لما ابتلى بفقد جميع ماله وولده وتمزيق جسده وهجر جميع الناس له إلا زوجته سنين ثلاثاً أو سبعاً ،

(قوله وأيوب) قدر اذكر إشارة إلى أن أيوب معمول لمحذوف (قوله ويبدل منه) أى من أيوب والمعنى اذكر قصة أيوب إذنادى ربه فهى الحقيقة الابدال من المضاف المقدر كما تقدم نظيره وسيأتى (قوله لما ابتلى) متعلق بنادى (قوله بفقد جميع ماله) أى بجملة ما ابتلاه الله به أربعة أمور . وحاصل قصته باختصار أن أيوب كان رجلا من الروم أو وهو ابن أموص بن رازح بن روم بن عيص بن إسحاق بن إبراهيم وكانت أمه من ولد لوط بن هاران أخى إبراهيم ، وكان له من أصناف المال كله من الابل والبقر والغنم والخيل والحمر مالا يكون لرجل أفضل منه فى العدة والكثرة وكان له خمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وولد ومال وكان له أهل وولد من رجال ونساء وكان نبيا تقيا شاكرا لأنعم ربه وكان معه ثلاثة نفر قدآمنوا به وكانوا كهولا وكان إبليس لايحجب عن شىء من السموات فيقف فيهن من حيث ماأراد فسمع صلاة الملائكة على أيوب فحسده ، وقال إلهى نظرت فى عبدك أيوب فوجدته شاكرا حامدا لك ولو ابتليته لرجع عن شكرك وطاعتك ، فقال الله له انطلق فقدسلطتك على ماله ، فانطلق وجمع عفاريت الشياطين والجن وقال لهم قد سلطت على مال أيوب ، فقال عفريت أعطيت من القوة ما إذا شئت تحولت إعصارا من نار فأحرق كل شىء آتى عليه . قال إبليس اذهب فأت الابل ورعاتها فلم يشعر الناس حتى ثار من تحت الأرض إعصار من نار فأحرق الابل ورعاتها حتى أتى على آخرها ، ثم جاء إبليس على صورة القيم على قعود إلى أيوب فوجده قائما يصلى فقال له أحرقت نار إبلك ورعاتها ، فقال أيوب الحمد لله هوأعطانيها وهوأخذها ، ثم سلط عفريتا على الغنم ورعاتها فصاح عليهم فماتوا جميعا وعلى الحرث فتحول ريحا عاصفا فأطارها ، ثم جاء إبليس وأخبر أيوب بذلك فحمد الله وأثنى عليه ، فلما رأى أنه قد أفنى ماله ولم ينجح منه بشىء صعد إلى السماء وقال : يارب سلطنى على أولاده ، فقال له : انطلق فقد سلطتك على أولاده ، فذهب إليهم وزلزل بهم القصر وقلبه عليهم فماتوا جميعا ، ثم جاءه فى صورة المعلم الذى يعلمهم

الحكة وهو جريح مشدوخ الرأس يسيل دمه فأخبره بموت أولاده وفصل له ذلك حتى رق قلبه و بكى وقبض قبضة من التراب فوضعها على رأسه وقال ياليت أمي لم تلدني ففرح إبليس وصعد إلى السماء سريعا لينظر مايفعل به فأوحى الله إلى أيوب إنه إبليس فاستغفر فوقف إبليس خاسئا ذليلا ، فقال يارب سلطني على جسده ، فقال له انطلق فقد سلطتك على جسده غير قلبه ولسانه وعقله فانقض عدو الله سريعا فأتاه فوجده ساجدا فنفخ في منخريه نفخة اشتعل منها جسده فخرج منها ثآليل مثل أليات الغنم ووقعت فيه حكة فحك بأظفاره حتى سقطت كلها ثم حكها بالمسوح الخشنة حتى قطعها ثم حكها بالفخار والحجارة الخشنة فلم يزل كذلك حتى تقطع جسده وأنتن فأخرجه أهل القرية وجعلوه على كناسة وجعلوا له عريشا وهجره الناس كلهم إلا زوجته رحمة بنت أفرائيم بن يوسف بن يعقوب فكانت تخدمه وتأتيه بالطعام وهجره الثلاثة الذين آمنوا به ولم يتركوا دينهم ، ونقل أن سبب قوله - أني مسني الضر - أن الدود قصد قلبه ولسانه فخشي أن يفتر عن الذكر ولا ينافي صبره قوله : أني مسني الضر لأنه شكوى للخالق وهي لا تنافي الصبر . إن قلت إن الأنبياء يستحيل عليهم المنفر من الأمراض . أجيب بأن ما نزل به ليس من المنفرات في شيء [1] و إنما هو حرارة وحكة ظهرت من آثار نفخ اللعين إبليس وأعظم الله ضرها لخصوص أيوب تعظيما لقدره لأن أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل كما ورد بذلك الحديث (قوله أو ثماني عشرة) هذا هو الصحيح (قوله وضيق) إما فعل مبني للمفعول عطف على ابتلى أومصدر عطف على فقد (قوله وأنت أرحم الراحمين) تعريض بطلب الرحمة (قوله فاستجبنا له نداءه) أي الذي في ضمنه الدعاء (قوله فكشفنا مابه من ضر) روى أن الله تعالى قال له اركض برجلك الأرض فركض فخرجت عين ماء فأمره أن يغتسل منها ففعل فذهب كل داء كان بظاهره ثم مشى أربعين خطوة فأمره أن يضرب برجله الأرض مرة أخرى ففعل فنبعت عين ماء بارد فأمره أن يشرب

أو ثماني عشرة وضيق عيشه (أَنِّي) بفتح الهمزة بتقدير الباء (مَسَّنِيَ الضُّرُّ) أي الشدة (وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ . فَاسْتَجَبْنَا لَهُ) نداءه (فَكَشَفْنَا مَابِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ) أولاده الذكور والإناث بأن أحيوا له وكل من الصنفين ثلاث أو سبع (وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ) من زوجته وزيد في شبابها وكان له أندر للقمح وأندر للشعير فبعث الله سحابتين أفرغت إحداهما على أندر القمح الذهب وأفرغت الأخرى على أندر الشعير الورق حتى فاض (رَحْمَةً) مفعول له (مِنْ عِندِنَا) صفة (وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ) ليصبروا فيثابوا (وَ) اذكر (إِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ) على طاعة الله وعن معاصيه (وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا) من النبوة (إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ) لها ، وسمي ذا الكفل لأنه تكفل بصيام جميع نهاره وقيام جميع ليله وأن يقضي بين الناس ولا يغضب فوفى بذلك ،

منها فشرب فذهب كل داء كان بباطنه فصار كأصح ما كان وهو معنى قوله تعالى في سورة ص - اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب - (قوله بأن أحيوا له) أي لأنهم ماتوا قبل انتهاء آجالهم، وقيل رزقه الله مثلهم ، روى أن امرأته ولدت بعد ذلك ستة وعشرين ابنا (قوله ثلاث أوسبع) أي لجملتهم ستة أو أربعة عشر (قوله وكان له أندر) هو الموضع الذي يدرس فيه الطعام (قوله أفرغت إحداهما على أندر القمح الذهب) أي لمناسبته له في الحمرة وكذا يقال فيما بعده (قوله وذكرى للعابدين) خصهم لأنهم المنتفعون بذلك (قوله و إسمعيل) عاش مائة وثلاثين سنة وكان له حين مات أبوه تسع وثمانون سنة وقصة صبره على الذبح ستأتي مفصلة في سورة الصافات (قوله وإدريس) هو جد نوح ولد في حياة آدم قبل موته بمائة سنة و بعث بعد موته بمائتي سنة وعاش بعد نبوته مائة وخمسين سنة فجملة عمره أربعمائة وخمسون سنة وكان بينه وبين نوح ألف سنة (قوله وذا الكفل) هذا لقبه واسمه بشر وهو ابن أيوب (قوله وأدخلناهم) معطوف على محذوف تقديره فأعطيناهم ثواب الصابرين وأدخلناهم الخ (قوله لأنه تكفل بصيام جميع نهاره الخ) أي فكان يصوم النهار و يصلي بالليل ولا يفتر وكان ينام وقت القيلولة وكان لا ينام إلا تلك النومة فامتحنه إبليس لينظر هل يغضب أم لا فأتاه إبليس حين أخذ مضجعه فدق عليه الباب ، فقال من هذا؟ فقال شيخ

(١) إذا كان تعفن الجسم ونبذ الانسان على الكناسة وهجر جميع الناس إياه لا يعد منفرا فأي شيء منفر بعد ذلك ؟ اللهم إن هذا كلام لا يليق بمقام الأنبياء .

كبير مظلوم بينى و بين قومى خصومة و إنهم ظلمونى ، فقام وفتح له الباب وصار يطيل عليه الكلام حتى ذهبت القيلولة فقال له إذا قعدت للحكم فائتنى أخلص حقك فلما جلس للحكم لم يجده فلما رجع إلى القائلة من الغد أتاه ودقّ الباب فقال له من هذا ؟ فقال الشيخ المظلوم ففتح الباب فقال ألم أقل لك إذا قعدت للحكم فائتنى ؟ فقال إن خصومى أخبث قوم إذا علموا أنك قاعد قالوا نعطيك حقك و إذا قمت جحدونى فلما كان اليوم الثالث قال ذو الكفل لبعض أهله لاتدعن أحدا يقرب هذا الباب حتى أنام فانه قد شق علىّ النعاس ، فلما كانت تلك الساعة جاءه إبليس فلم يأذن له الرجل فرأى طاقة فدخل منها ودق الباب من داخل فاستيقظ فقال له أتنام والخصوم ببابك فعرف أنه عدو الله وقال فعلت مافعلت لأغضبك فعصمك الله (قوله وقيل لم يكن نبيا) أى بل كان عبدا صالحا والصحيح أنه نبى قيل بعث إلى رجل واحد (قوله وذا النون) لقب ليونس وجمعه أنوان ونينان وهو اسم للحوت كبيرا أوصغيرا (قوله ابن متى) اسم أبيه ، وقيل اسم أمه (قوله و يبدل منه) أى بدل اشتمال (قوله مغاضبا لقومه) أى لالازم له لأن خروجه باجتهاد منه حين وعدهم بالعذاب فلما لم ينزل بهم ظنّ أنه إن بقى بينهم قتلوه لأنهم كانوا يقتلون كل من ظهر عليه كذب (قوله أى غضبان عليهم) أشار بذلك إلى أن المفاعلة ليست على بابها (قوله أى نقضى

وقيل لم يكن نبيا (وَ) اذكر (ذَا النُّونِ) صاحب الحوت وهو يونس بن متى ويبدل منه (إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا) لقومه : أى غضبان عليهم مما قاسى منهم ولم يؤذن له فى ذلك (فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ) أى نقضى عليه بما قضينا من حبسه فى بطن الحوت أو نضيق عليه بذلك (فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ) ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت (أَنْ) أى بأن (لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) فى ذهابى من بين قومى بلا إذن (فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ) بتلك الكلمات (وَكَذَلِكَ) كما نجيناه (نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ) من كربهم إذا استغاثوا بنا داعين (وَ) اذكر (زَكَرِيَّا) ويبدل منه (إِذْ نَادَى رَبَّهُ) بقوله (رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا) أى بلا ولد يرثنى (وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ) الباقى بعد فناء خلقك (فَاسْتَجَبْنَا لَهُ) نداءه (وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى) ولدا (وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ) فأتت بالولد بعد عقمها (إِنَّهُمْ) أى من ذكر من الأنبياء (كَانُوا يُسَارِعُونَ) يبادرون (فِي الْخَيْرَاتِ) الطاعات (وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا) فى رحمتنا (وَرَهَبًا) من عذابنا (وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ) متواضعين فى عبادتهم ،

عليه بما قضينا) أشار بذلك إلى أن معنى أن لن نقدر عليه نقضى عليه بما قضينا من القدر وهو القضاء ، والمعنى فظنّ أننا لا نؤاخذه بخروجه (قوله أونضيق عليه) أى فمعنى نقدر نضيق كما فى قوله تعالى ـ الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده و يقدر ـ وقوله تعالى ـ ومن قدر عليه رزقه ـ لامن القدرة بمعنى الاستطاعة التى هى ضد العجز (قوله من حبسه فى بطن الحوت) أى وكانت مدة مكثه ببطن الحوت أربعين يوما أوسبعة أيام أو ثلاثة أو أربع ساعات وأوحى الله إلى ذلك الحوت لاتأكل له لحما ولا تهشم له عظما فانه ليس رزقا لك و إنما جعلتك سجناله . وحاصل ذلك أنه حين غاضب قومه لما لم ينزل بهم العذاب الذى توعدهم به خرج فركب سفينة فسارت قليلا ثم وقفت فى لجة البحر ، فقال الملاحون هنا عبد آبق من سيده تظهره القرعة فضربوها فخرجت على يونس فألقوه فى البحر فابتلعه الحوت وهو آت بما يلام عليه من ذهابه للبحر وركوبه إياه فدعا ربه فألقاه الحوت بالساحل ضعيفا وكانت تأتيه غزالة صباحا ومساء فيشرب من لبنها حتى قوى فرجع إلى قومه فآمنوا به جميعا . قال تعالى ـ وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون فآمنوا فمتعناهم إلى حين ـ (قوله أن لاإله إلا أنت) أن إما مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن وما بعدها خبرها أو تفسيرية لتقدّم جملة فيهامعنى القول دون حروفه ، وهذا الدعاء عظيم جدا لاشتماله على التهليل والتسبيح والاقرار بالذنب ، ولذا ورد فى الحديث « مامن مكروب يدعو بهذا الدعاء إلا استجيب له » (قوله وزكريا) معمول لمحذوف قدّره بقوله اذكر (قوله أى بلا ولد يرثنى) أى فى العلم والنبوّة (قوله بعد عقمها) المراد به انسداد الرحم عن الولادة (قوله إنهم كانوا يسارعون) علة لمحذوف : أى قالوا ماقالوا لأنهم الخ (قوله رغبا ورهبا) إما منصوبان على المفعول من أجله أو على أنهما واقعان موقع الحال : أى راغبين راهبين .

(و)

(قوله والتي أحصنت فرجها) صفة لموصوف محذوف معمول لمحذوف قدر ذلك المفسر بقوله واذكر مريم (قوله من أن ينال) أي يصل إليه أحد بحلال أوحرام . إن قلت المزية ظاهرة في حفظه من الحرام وأما الحلال فكيف تمدح على التعفف عنه . أجيب بأن الترهب كان مشروعا لهم أو لتكون ولادتها خارقة للعادة (قوله حيث نفخ في جيب درعها) أي أمرناه ففعل ذلك أو المراد نفخنا فيها بعض الأرواح المخلوقة لنا وهي روح عيسى (قوله آية للعالمين) لم يقل آيتين لأن كلا من مريم وابنها بانضمامه للآخر صار آية واحدة أوفيه الحذف من الأول لدلالة الثاني عليه (قوله إن هذه أمتكم) أشار المفسر إلى أن اسم الاشارة يعود على ملة الاسلام والأمة في الأصل الجماعة ثم أطلقت على الملة لأنها تستلزم الاجتماع ، والمعنى أن ملة الإسلام ملتكم لا اختلاف فيها من لدن آدم إلى محمد فلا تغيير ولا تبديل في أصول الدين وإنما التغاير في الفروع فمن غير و بدل في الملة فهو خارج عنها ضال مضل ، وحكمة ذكر هذه الآية عقب القصص دفع مايتوهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بعقائد تخالف عقائد من قبله من الرسل (قوله حال لازمة) أي من أمة ، وقيل بدل من هذه ويكون قد فصل بين البدل والمبدل منه بخبر إن نحو إن زيدا قائم أخاك وأمتكم بالرفع خبر إن وقرىء شذوذا بالنصب على أنه بدل من هذه أو عطف بيان (قوله فاعبدون) إن كان الخطاب للمؤمنين فمعناه دوموا على العبادة وإن كان الخطاب للكفار فمعناه إنشاء العبادة والتوحيد (قوله وتقطعوا أمرهم) أي تفرقوا في أمرهم واختلفوا في دينهم وهذا إخبار من الله بأن الجميع لم يكونوا على دين واحد لسبق حكمته البالغة بذلك ، والحكمة في ذكر العبادة هنا والتقوى في المؤمنون وذكر الواو هنا والفاء هناك ، قيل تفنن وقيل لأن الخطاب هنا للكفار فناسبه ذكر التوحيد والخطاب هناك للرسل فناسبه ذكر التقوى وأتى بالواو هنا لأنها لا تقتضي الترتيب وهو المراد هنا فان التفرق كان حاصلا من قبل بخلاف ما يأتي فان التفرق حصل بعد إرسال الرسل فناسبه الفاء (قوله وهم طوائف اليهود والنصارى) لا مفهوم له بل هذه الأمة افترقت ثلاثا وسبعين فرقة اثنتان وسبعون في النار وواحدة ناجية كما في الحديث (قوله كل إلينا راجعون) تهديد للكفار . والمعنى أن الله تعالى لا يفلت أحدا بل كل من الثابت على الحق والزائغ عنه راجع اليه (قوله من الصالحات) أي الأعمال الحسنة من فرض ونفل (قوله فلا كفران لسعيه) أي لايمنع من ثوابه ولا يحرم منه ، فالكفران مصدر بمعنى الكفر الذي هو الجحود والانكار فشبه منع الثواب بالكفر والجحود (قوله وإنا له كاتبون) أي حافظون للعمل فلا يضيع منه شيء (قوله وحرام) خبر مقدم وأنهم لايرجعون مبتدأ مؤخر ، والمعنى رجوع أهل قرية أهلكناها ممتنع ، وقوله الى الدنيا أي الى البقاء والمعيشة فيها ، وقيل الى الايمان يعني أن رجوعهم الى الايمان ممتنع لسبق الشقاء عليهم قال تعالى - ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه - (قوله غاية لامتناع رجوعهم) أي فهي متعلقة بحرام غاية لما قبلها ويصح أن تكون ابتدائية وتكون الجملة مستأنفة (قوله بالتشديد والتخفيف) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله بالهمز وتركه) قراءتان سبعيتان (قوله اسمان أعجميان لقبيلتين) أي من بني آدم يقال إنهم تسعة أعشار بني آدم وتقدمت قصتهم .

(وَ) اذكر مريم (ٱلَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا) حفظته من أن ينال (فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا) أي جبريل حيث نفخ في جيب درعها فحملت بعيسى (وَجَعَلْنَاهَا وَٱبْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ) الإنس والجن والملائكة حيث ولدته من غير فحل (إِنَّ هَٰذِهِ) أي ملة الإسلام (أُمَّتُكُمْ) دينكم أيها المخاطبون أي يجب أن تكونوا عليها (أُمَّةً وَاحِدَةً) حال لازمة (وَأَنَا رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ) وحدون (وَتَقَطَّعُوا) أي بعض المخاطبين (أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ) أي تفرقوا أمر دينهم متخالفين فيه وهم طوائف اليهود والنصارى ، قال تعالى (كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ) أي فنجازيه بعمله (فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ) أي جحود (لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ) بأن نأمر الحفظة بكتبه فنجازيه عليه (وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا) أريد أهلها (أَنَّهُمْ لَا) زائدة (يَرْجِعُونَ) أي ممتنع رجوعهم إلى الدنيا (حَتَّىٰ) غاية لامتناع رجوعهم (إِذَا فُتِحَتْ) بالتخفيف والتشديد (يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ) بالهمز وتركه اسمان أعجميان لقبيلتين ويقدر قبله مضاف أي سدهما ،

(قوله وذلك قرب القيامة) أي بعد نزول عيسى وهلاك الدجال حين يأتي ويمكث أربعين يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كباقي الأيام ، وفي الحديث «فقلنا يارسول الله في اليوم الذي كسنة يكفينا فيه صلاة يوم ؟ قال لا ، اقدروا له قدره قلنا يارسول الله وما إسراعه في الأرض ؟ قال كالغيث استدبرته الريح فينزل عيسى على منارة بني أمية شرقي دمشق عليه حلتان ممصرتان فيقتله ثم يخرج يأجوج ومأجوج من السد فيحصل للخلق جدب عظيم حتى تكون رأس الثور خيرا من مائة دينار ثم يدعو الله عيسى فيرسل الله عز وجل النغف في رقابهم فيهلكون جميعا فتملأ رممهم وجيفهم الأرض فيدعو الله عيسى فيرسل الله عليهم طيرا كأعناق البخت فتحملهم وتطرحهم حيث شاء الله ثم يرسل الله مطرا فيغسل الأرض من آثارهم ثم يقول الله للأرض أنبتي ثمرك فيكثر الرزق جدا ويستقيم الحال لعيسى والمؤمنين فبينما هم كذلك إذ بعث الله عليهم ريحا لينة تقبض روح كل مؤمن ومسلم وتبقى شرار الناس يتهارجون في الأرض كتهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة» وبين موت عيسى والنفخة الأولى مائة وعشرون سنة لكن السنة بقدر شهر كما أن الشهر بقدر جمعة والجمعة بقدر يوم واليوم بقدر ساعة فيكون بين عيسى والنفخة الأولى قدر نحو عشرة سنة من السنين المعتادة وفي الحديث «لا تقوم الساعة حتى تروا قبلها عشر آيات : الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى ابن مريم ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم» (قوله وهم من كل حدب ينسلون)

وذلك قرب القيامة (وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ) مرتفع من الأرض (يَنْسِلُونَ) يسرعون (وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ) أي يوم القيامة (فَإِذَا هِيَ) أي القصة (شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا) في ذلك اليوم لشدته يقولون (يَا) للتنبيه (وَيْلَنَا) هلاكنا (قَدْ كُنَّا) في الدنيا (فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا) اليوم (بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ) أنفسنا بتكذيبنا للرسل (إِنَّكُمْ) ياأهل مكة (وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) أي غيره من الأوثان (حَصَبُ جَهَنَّمَ) وقودها (أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ) داخلون فيها (لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ) الأوثان (آلِهَةً) كما زعمتم (مَا وَرَدُوهَا) دخلوها (وَكُلٌّ) من العابدين والمعبودين (فِيهَا خَالِدُونَ . لَهُمْ) للعابدين (فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ) شيئا لشدة غليانها . ونزل لما قال ابن الزبعرى عبد عزير والمسيح والملائكة فهم في النار على مقتضى ماتقدم (إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا) ،

أي يأجوج ومأجوج ينتشرون في الأرض ويسرعون فيها من كل مرتفع من الأرض (قوله واقترب الوعد) عطف على فتحت (قوله أي القصة) أشار بذلك إلى أن الضمير للقصة وشاخصة خبر مقدم وأبصار مبتدأ مؤخر والجملة خبر هي والتعقيب عرفي لأن التفاوت القليل كالعدم فاندفع مايقال إنه رتب الشخوص على فتح السد واقتراب الساعة مع أن الشخوص لا يوجد المنزلة إلا يوم القيامة (قوله يقولون ياويلنا) أشار بذلك إلى أن ياويلنا مقول لقول محذوف (قوله بل كنا ظالمين) إضراب عن قولهم قد كنا في غفلة لعله ينفعهم الاقرار بالذنب فلا ينفعهم (قوله من الأوثان) خصها بالذكر لأنها كانت معظم معبوداتهم وإلا فالشمس والقمر يصيران ثورين عقيرين في النار (قوله وقودها) أي وسمي حصبا لأنه يرمى بهم فيها كما ترمى الحصباء (قوله لو كان هؤلاء آلهة الخ) تبكيت عليهم (قوله زفير) أي أنين وتنفس شديد (قوله لشدة غليانها) أي فعدم سماعهم لشدة غليان النار عليهم لما ورد «إذا بقي من يخلد فيها جعلوا في توابيت من نار ثم جعلت تلك التوابيت في توابيت أخرى ثم تلك التوابيت في توابيت أخرى عليها مسامير من نار فلا يسمعون ولا يرى أحد منهم أن في النار أحدا يعذب غيره» (قوله ونزل لما قال ابن الزبعرى الخ) حاصل ذلك : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد وصناديد قريش في الحطيم وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنما فعرض له النضر بن الحارث فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أفحمه ثم تلا عليه : إنكم وما تعبدون من دون حصب جهنم الآيات الثلاث ثم قام فأقبل ابن الزبعرى وهو بكسر الزاي وفتح الباء وسكون العين وفتح الراء مقصورا وقد أسلم بعد ذلك فأخبره الوليد بن المغيرة بما قاله رسول الله لهم فقال أما والله لو وجدته لخصمته فدعوا رسول الله فقال له ابن الزبعرى أنت قلت إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم قال نعم قال أليست اليهود تعبد عزيرا والنصارى تعبد المسيح وبنو مليح يعبدون الملائكة ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل هم يعبدون الشيطان فنزلت هذه الآية ردا عليه .

(قوله المنزلة الحسنى) أى الدرجة والرتبة الحسنى أوالمراد الكلمة الحسنى وهى لا إله إلا الله أوالمراد السعادة الأبدية (قوله ومنهم من ذكر) أى العزير وعيسى والملائكة ، والمعنى أن كل من سبقت له الحسنى سواء عبد أولا فهو مبعد عن النار (قوله أولئك عنها مبعدون) أى عن جهنم . إن قلت كيف ذلك مع قوله تعالى ـ و إن منكم إلا واردها ـ والورود يقتضى القرب منها . أجيب بأن المراد مبعدون عن عذابها وألمها فان المؤمنين إذا مرّوا على النار تخمد وتقول جز يامؤمن فان نورك قد أطفأ لهبى وهذا لاينافى الورود (قوله لايسمعون حسيسها) أى حركة تلهبها وفى هذا تأكيد بعدهم عنها (قوله لايحزنهم الفزع الأكبر) هذا بيان لنجاتهم من الفزع إثر بيان نجاتهم من النار (قوله وهو أن يؤمر بالعبد إلى النار) أى الكافر ، وقيل هوحين تغلق النار على أهلها و ييأسون من الخروج ، وقيل هوحين يذبح الموت بين الجنة والنار و ينادى ياأهل النار خلود بلا موت، وقيل هوجميع أهوال القيامة (قوله عند خروجهم من القبور) أى تستقبلهم بالبشرى والسرور عند ذلك ، وقيل تستقبلهم على أبواب الجنة ولامانع أنها تستقبلهم فى الحالين (قوله اسم ملك) أى فى السماء الثالثة وعلى هذا فالمصدر مضاف لفاعله فان هذا الملك يطوى كتب الأعمال إذا رفعت إليه (قوله واللام

زائدة) أى والكتاب مفعوله

المنزلة (الْحُسْنَى) ومنهم من ذكر (أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ. لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا) صوتها (وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ) من النعيم (خَالِدُونَ. لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ) وهو أن يؤمر بالعبد إلى النار (وَتَتَلَقَّاهُمُ) تستقبلهم (الْمَلَائِكَةُ) عند خروجهم من القبور يقولون لهم (هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ) فى الدنيا (يَوْمَ) منصوب باذكر مقدراً قبله (نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ) اسم ملك (لِلْكِتَابِ) صحيفة ابن آدم عند موته واللام زائدة أو السجل الصحيفة والكتاب بمعنى المكتوب واللام بمعنى على وفى قراءة للكتب جمعا (كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ) عن عدم (نُعِيدُهُ) بعد إعدامه فالكاف متعلقة بنعيد وضميره عائد إلى أول وما مصدرية (وَعْدًا عَلَيْنَا) منصوب بوعدنا مقدرا قبله وهو مؤكد لمضمون ما قبله (إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ) ما وعدنا (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ) بمعنى الكتاب أى كتب الله المنزلة (مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ) بمعنى أم الكتاب الذى عند الله (أَنَّ الْأَرْضَ) أرض الجنة (يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ) عام فى كل صالح (إِنَّ فِي هَٰذَا) القرآن (لَبَلَاغًا) كفاية فى دخول الجنة (لِقَوْمٍ عَابِدِينَ)

(قوله أوالسجل الصحيفة) أى والمعنى كطى الصحف على مكتوبها وعليه فهو من إضافة المصدر لمفعوله والفاعل محذوف تقديره كما يطوى الرجل الصحيفة على مافيها (قوله وفى قراءة) أى سبعية أيضا (قوله جمعا) أى وأماعلى قراءة الافراد فأل للجنس (قوله كما بدأنا أول خلق) أى كما بدأناهم فى بطون أمهاتهم حفاة عراة غرلا كذلك نعيدهم يوم القيامة والخلق بمعنى المخلوق و إضافة أوّله من إضافة الصفة للموصوف ، والمعنى كما بدأنا المخلوق الأوّل نعيده ثانيا (قوله بعد إعدامه) هذا أحد قولين لأهل السنة . والقول الثانى أن الإعادة بعد تفرّق الأجزاء قال فى الجوهرة :

وقل يعاد الجسم بالتحقيق ... عن عدم وقيل عن تفريق

(قوله ومامصدرية) أى و بدأنا صلتها والجملة فى محل جر بالكاف وأول خلق مفعول به لبدأنا (قوله وعدا علينا) أى فعلينا إنجازه لتعلق علمنا بوقوعه وقدرتنا على إنفاذه (قوله لمضمون ماقبله) أى الجملة الخبرية (قوله إنا كنا فاعلين) توكيد لماقبله (قوله بمعنى الكتاب) أى فأل فى الزبور للجنس ، والمعنى جنس الكتب السماوية (قوله بمعنى أم الكتاب) أى وهو اللوح المحفوظ (قوله أن الأرض) مفعول كتبنا (قوله عام فى كل صالح) أى من هذه الأمة وغيرها من الأمم والمراد بالصلاح الموت على الايمان ، والمعنى أن المؤمنين يرثون الجنة و يتنعمون فيها على قدر أعمالهم وعبر بالميراث لأنه ملك مستمر يأتى من غير تكسب ، وأما من مات على الكفر فليس له فى الجنة نصيب لأن الجنة عزيزة عند الله فلا يعطيها لأعدائه ، وأما الدنيا فقد تعطى للكافر لعدم عزتها عنده لمافى الحديث «لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ماسقى الكافر منها جرعة ماء» ومعناه لوكان للدنيا قدر عند الله لبقيت ببقائه ولوكانت باقية مانعم الكافر فيها لهوانه عليه فقدّر الله فى الأزل أن الدنيا فانية زائلة لاقدر لها عنده فنعم فيها الكفار (قوله كفاية فى دخول الجنة) أى من حيث أنه يوصل لمرضاة الله تعالى فى الدنيا و يؤنس صاحبه فى القبر و يوضع فى الميزان و يرقى به فى درجات الجنة

عاملين به (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ) يا محمد (إِلَّا رَحْمَةً) أي للرحمة (لِلْعَالَمِينَ) الإنس والجن بك (قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ) أي مايوحى إليّ في أمر الإله إلا وحدانيته (فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) منقادون لما يوحى إليّ من وحدانية الإله والاستفهام بمعنى الأمر (فَإِنْ تَوَلَّوْا) عن ذلك (فَقُلْ آذَنْتُكُمْ) أعلمتكم بالحرب (عَلَىٰ سَوَاءٍ) حال من الفاعل والمفعول أي مستوين في علمه لا أستبدّ به دونكم لتتأهبوا (وَإِنْ) ما (أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ) من العذاب أو القيامة المشتملة عليه وإنما يعلمه الله (إِنَّهُ) تعالى (يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ) والفعل منكم ومن غيركم (وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ) أنتم وغيركم من السر (وَإِنْ) ما (أَدْرِي لَعَلَّهُ) أي ما أعلمتكم به ولم يعلم وقته (فِتْنَةٌ) اختبار (لَكُمْ) ليرى كيف صنعكم (وَمَتَاعٌ) تمتع (إِلَىٰ حِينٍ) أي انقضاء آجالكم وهذا مقابل للأول المترجي بلعل وليس الثاني محلا للترجي (قُلْ) وفي قراءة قال (رَبِّ احْكُمْ) بيني وبين مكذبي (بِالْحَقِّ) بالعذاب لهم أو النصر عليهم فعذبوا ببدر وأحد والأحزاب وحنين والخندق ونصر عليهم (وَرَبُّنَا الرَّحْمَٰنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ) من كذبكم على الله في قولكم اتخذ ولداً ، وعليّ في قولكم ساحر ، وعلى القرآن في قولكم شعر .

(قوله عاملين به) أي ممتثلين أوامره مجتنبين نواهيه (قوله أي للرحمة) أشار بذلك إلى أن رحمة منصوب على أنه مفعول لأجله ويصح أن يكون منصوبا على الحال أي أنه نفس الرحمة لما ورد أن الأنبياء خلقوا من الرحمة ونبينا عين الرحمة أو على حذف مضاف أي ذا رحمة أو راحما لما في الحديث «إنما أنا رحمة مهداة» (قوله الانس والجن) أي برا وفاجرا مؤمنا وكافرا لأنه رفع بسببه الخسف والمسخ وعذاب الاستئصال ورحمة أيضا من حيث إنه جاء بما يرشد الخلق إلى السعادة العظمى فمن آمن فهو رحمة له دنيا وأخرى ومن كفر فهو رحمة له في الدنيا فقط (قوله قل إنما يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد) اعلم أن في هذه الآية قصرين . الأول قصر الصفة على الموصوف . والثاني بالعكس . والمعنى كما قال المفسر مايوحى إليّ في أمر الإله إلا اختصاصه بالوحدانية ففيه رد على الكفرة الذين يعبدون غير الله (قوله بمعنى الأمر) أي فالمراد منه التحضيض على الإسلام لا الاستفهام عنه (قوله أعلمتكم بالحرب) أي أنذرتكم به والمراد بالحرب محاربته هو وأصحابه لهم والمعنى أعلمتكم بأني محارب لكم والحال أني وأنتم مستوون في العلم بنقض الصلح لئلا أنسب للغدر المذموم فاعله (قوله لتتأهبوا) أي لتستعدوا وتتهيئوا له وهو علة للنفي لا للمنفي فالمعنى لا أستبد به بل أعلمكم لتتأهبوا (قوله وإن أدري أقريب أم بعيد ما توعدون) أي لا أدري الوقت الذي يحل بكم العذاب فيه وإنما علمه موكول إلى الله ، والمراد بالعذاب تعذيبه إياهم بحربه في الدنيا وقوله أو القيامة أي تعذيبهم بالنار (قوله إنه يعلم الجهر من القول) أي ماتقولونه جهرا مما لا يليق (قوله والفعل) أشار بذلك إلى أن في الآية اكتفاء (قوله أي ما أعلمتكم به) أي وهو تأخير العذاب عنهم في الدنيا (قوله اختبار لكم) أي معاملتكم معاملة المختبر (قوله وهذا مقابل للأول الخ) حاصله أن قوله لعله فتنة لكم محتمل للوقوع وعدمه وأما قوله ومتاع إلى حين فهو محقق الحصول والأحسن أن يجعل قوله ومتاع خبرا لمحذوف تقديره ، وهذا متاع إلى حين أي وتأخير عذابكم متاع أي تمتع لكم إلى وقت فراغ الأجل والجملة مستأنفة (قوله وفي قراءة قال) أي وهي سبعية أيضا فالأولى أمر . والثانية إخبار عن مقالته (قوله احكم بالحق) أي عجل النصر لي والعذاب لأعدائي (قوله والخندق) المناسب حذفه لأنه هو الأحزاب (قوله المستعان) أي الذي تطلب منه الإعانة (قوله على ماتصفون) أي على وصفكم لربكم ولنبيه بالنقائص . فقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتفويض الأمر إلى الله والصبر على المشاق تعليما لأمته حسن الالتجاء إلى ربهم

(سورة

[سورة الحج مكية] سميت بذلك لذكر الحج فيها (قوله إلا ومن الناس الخ) هذا أحد قولين في المدني منها (قوله أو إلا هذان خصمان) هذا قول ثان وقوله الست آيات أي وتنتهي إلى صراط الحميد لكن أربع آيات منها متعلقات بالكفار وآيتان متعلقتان بالمؤمنين ، وقيل إن السورة كلها مدنية وقيل إلا أربع آيات من قوله وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلى قوله عذاب مقيم فهي مكيات والتحقيق أنها مختلطة منها مكي ومنها مدني وهي من أعاجيب السور نزلت ليلا ونهارا سفرا وحضرا مكيا ومدنيا سلميا وحربيا ناسخا ومنسوخا محكما ومتشابها (قوله أو ثمان وسبعون آية) أي أنها سبعون آية جزما والخلاف في النيف الزائد على خمسة أقوال (قوله أي أهل مكة) إما برفع أهل على أن أي حرف تفسير وأهل تفسير للناس أو نصبه على أن أي حرف نداء وأهل منادى وقوله وغيرهم بالرفع أو النصب وأشار بذلك إلى أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (قوله بأن تطيعوه) أي بفعل المأمورات واجتناب المنهيات (قوله إن زلزلة الساعة الخ) تعليل للأمر بالتقوى . والمعنى اتقوا ربكم لتأمنوا من المخاوف فإن من دخل حضرته أمن من كل ما يزعج قال تعالى : إن المتقين في مقام أمين و إضافة زلزلة للساعة من إضافة المصدر لفاعله والمفعول محذوف تقديره الأرض و إسناد الزلزلة

للساعة مجاز عقلي لأنها مقدمتها ومن علاماتها الكبرى لما روي في حديث الصور : إنه قرن عظيم ينفخ فيه ثلاث نفخات نفخة الفزع ونفخة الصعق ونفخة القيام لرب العالمين وأن عند نفخة الفزع يسير الله الجبال وترجف الراجفة تتبعها الرادفة قلوب يومئذ واجفة وتكون الأرض كالسفينة تضربها الأمواج أو كالمنديل المعلق تحركه الرياح (قوله أي الحركة الشديدة) أي وتكون تلك الحركة في نصف رمضان (قوله التي يكون بعدها طلوع

(سورة الحج)

مكية إلا ومن الناس من يعبد الله الآيتين ، أو إلا هذان خصمان الست آيات فمدنيات وهي أربع أو خمس أو ست أو سبع أو ثمان وسبعون آية

(بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ . يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ) أي أهل مكة وغيرهم (ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ) أي عقابه بأن تطيعوه (إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ) أي الحركة الشديدة للأرض التي يكون بعدها طلوع الشمس من مغربها الذي هو قرب الساعة (شَىْءٌ عَظِيمٌ) في إزعاج الناس الذي هو نوع من العقاب (يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ) بسببها (كُلُّ مُرْضِعَةٍ) بالفعل (عَمَّآ أَرْضَعَتْ) أي تنساه (وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ) أي حبلى (حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ) من شدة الخوف (وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ) من الشراب (وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ) فهم يخافونه . ونزل في النضر بن الحرث وجماعة (وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ) قالوا الملائكة بنات الله والقرآن أساطير الأولين ، وأنكروا البعث و إحياء من صار ترابا (وَيَتَّبِعُ) في جداله (كُلَّ شَيْطَٰنٍ ،

الشمس من مغربها) أشار المفسر بذلك إلى أن تلك الزلزلة تكون في الدنيا قبل طلوع الشمس من مغربها و يقوي هذا القول قوله تعالى : تذهل كل مرضعة عما أرضعت الآية والرضاع والحمل إنما هو في الدنيا وقيل تكون مع النفخة الأولى وقيل تكون مع قيام الساعة عند النفخة الثانية وحينئذ يكون قوله تذهل كل مرضعة مبالغة أي أن الزلزلة من شدة هولها وعظمة شأنها أن تذهل كل مرضعة عن ولدها (قوله كل مرضعة بالفعل) والمعنى مباشرة للارضاع (قوله عما أرضعت) يصح أن تكون ما مصدرية أي عن إرضاعها و يصح أن تكون موصولة أي عن الذي أرضعته (قوله كل ذات حمل) هو بفتح الحاء ما كان في بطن أو على رأس شجرة وأما الحمل بكسر الحاء فهو ما يحمل على الظهر (قوله ولكن عذاب الله شديد) استدراك على محذوف تقديره فهذه الأحوال ليست شديدة ولكن عذاب الله الخ فما بعد لكن مخالف لما قبلها وهاتان الآيتان قيل نزلتا في غزوة بني المصطلق ليلا فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس حتى كانوا حوله فقرأهما عليهم فلم ير باكيا أكثر من تلك الليلة فلما أصبحوا لم يحطوا السروج عن الدواب ولم يضربوا الخيام ولم يطبخوا والناس من بين باك وجالس حزين متفكر (قوله من يجادل في الله) أي في قدرته وصفاته العظيمة (قوله بغير علم) حال من فاعل يجادل (قوله وأنكروا البعث) أي حيث قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا

مبعوثون خلقا جديدا (قوله مريد) أى عات والمراد إما رؤساء الكفرة الذين يدعون من دونهم إلى الكفر و إما إبليس وجنوده وهو الأقرب لقوله فى الآية الأخرى : إن الشيطان لكم عدوّ فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير (قوله كتب عليه) هو فعل مبنى للمفعول وأن وما دخلت عليه فى تأويل مصدر نائب فاعل (قوله من تولاه) إما شرطية والفاء واقعة فى جوابها أو موصولة والفاء زائدة فى الخبر لشبه المبتدإ بالشرط (قوله يدعوه) أى وسمى الدعاء هداية تهكما بهم (قوله أى النار) أشار بذلك إلى أن المراد بالسعير النار بجميع طبقاتها لا الطبقة المسماة بذلك (قوله يأيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث) مناسبة هذه الآية لما قبلها أنه لما ذكر من يجادل فى قدرة الله بغير علم وكان جدالهم فى البعث ذكر دليلين على ذلك : الأول فى نفس الانسان وابتداء خلقه . والثانى فى الأرض وما يخرج منها فاذا تأمل الانسان فيهما ثبت عنده البعث وأنه واقع لامحالة (قوله ثم من علقة) أى بأن

تصير النطفة دما جامدا وهكذا يقال فيما بعده بدليل قوله تعالى فى سورة المؤمنون ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة لما ورد أن النطفة إذا وقعت فى الرحم وأراد الله أن يخلق منها بشرا طارت فى بشرة المرأة تحت كل ظفر وشعرة ثم تمكث أربعين يوما ثم تصير دما فى الرحم فذلك جمعها وهو وقت جعلها علقة واتفقوا على أن نفخ الروح فيه يكون بعد مائة وعشرين يوما وذلك أربعة أشهر (قوله تامة الخلق) أى تامة التصوير بأن خلق الرأس واليدان والرجلان (قوله أى غير تامة الخلق) أى غير تامة التصوير بأن لم يخلق فيها شىء من ذلك (قوله كمال قدرتنا) قدره إشارة إلى أن مفعول نبين محذوف (قوله ونقر فى الأرحام ما نشاء) وأن

مَرِيدٍ) أى متمرّد (كُتِبَ عَلَيْهِ) قضى على الشيطان (أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ) أى اتبعه (فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ) يدعوه (إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ) أى النار (يٰأَيُّهَا النَّاسُ) أى أهل مكة (إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ) شك (مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ) أى أصلكم آدم (مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ) خلقنا ذريته (مِنْ نُطْفَةٍ) منىّ (ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ) وهى الدم الجامد (ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ) وهى لحمة قدر ما يمضغ (مُخَلَّقَةٍ) مصورة تامة الخلق (وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ) أى غير تامة الخلق (لِنُبَيِّنَ لَكُمْ) كمال قدرتنا لتستدلوا بها فى ابتداء الخلق على إعادته (وَنُقِرُّ) مستأنف (فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى) وقت خروجه (ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ) من بطون أمهاتكم (طِفْلًا) بمعنى أطفالا (ثُمَّ) نعمركم (لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ) أى الكمال والقوة وهو ما بين الثلاثين إلى الأربعين سنة (وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى) يموت قبل بلوغ الأشد (وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ) أخسه من الهرم والخرف (لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا) قال عكرمة من قرأ القرآن لم يصر بهذه الحالة (وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً) يابسة (فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ) تحركت (وَرَبَتْ) ارتفعت وزادت (وَأَنْبَتَتْ مِنْ) زائدة (كُلِّ زَوْجٍ) صنف (بَهِيجٍ) حسن (ذٰلِكَ) المذكور من بدء خلق الإنسان إلى آخر إحياء الأرض (بِأَنَّ) بسبب أن (اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ) الثابت الدائم (وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) .

أى فلا تسقطه الرحم (قوله إلى أجل مسمى) أى معين لإخراجه فتارة يخرج لستة أشهر وتارة لأكثر (قوله طفلا) حال من مفعول نخرجكم وأفرده لأنه مصدر فى الأصل أو لأنه يراد به الجنس أو لأن المعنى نخرج كل واحد منكم طفلا كقولك القوم يشبعهم رغيف أى كل واحد منهم والطفل يطلق على الولد من حين الانفصال إلى البلوغ (قوله إلى أرذل العمر) قيل هو خمس وسبعون سنة وقيل ثمانون وقيل تسعون (قوله والخرف) بفتحتين هو فساد العقل من الكبر (قوله لكيلا يعلم) متعلق بيرد أى لكيلا يعقل من بعد عقله الأول شيئا ليعود كهيئته الأولى فى أوان الطفولية من سخافة العقل وقلة الفهم فينسى ماعلمه و ينكر ماعرفه (قوله قال عكرمة من قرأ القرآن الخ) أى فهو مخصوص بغير من قرأ القرآن والعلماء وأماهم فلا يردون إلى الأرذل بل يزداد عقلهم كلما طال عمرهم كما هو مشاهد (قوله وترى الأرض هامدة) هذا هو الدليل الثانى على تمام قدرته تعالى (قوله تحركت) أى فى رأى العين بسبب حركة النبات (قوله بأن الله هو الحق) أى هذا الصنع بسبب أنه تعالى هو الثابت الذى

لايقبل الزوال أزلا ولا أبدا الموجد للأشياء على طبق علمه وإرادته (قوله وأن الساعة آتية) توكيد لقوله وأنه يحيى الموتى وكذا قوله ـ وأن الله يبعث من فى القبور ـ (قوله ونزل فى أبى جهل) واسمه عمرو بن هشام وأبو جهل كنيته ويكنى أيضا بأبى الحكم (قوله ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم) عطف على قوله ومن الناس الأول ، والمعنى أن الكفار تنوعوا فى كفرهم فبعضهم كان يقلد غيره فى الكفر وقد دلت الآية الأولى على هذا القسم ، وبعضهم كان قدوة يقتدى به غيره فى الضلال والكفر وقد دلت هذه الآية عليه ، وبعضهم كان يدخل الاسلام باللسان وفى قلبه الريب والشك وهو الآتى فى قوله ـ ومن الناس من يعبد الله على حرف ـ وحينئذ فليس فى الآية تكرار (قوله بغير علم) أى معرفة وقوله ولا هدى أى استدلال وقوله ولا كتاب أى وحى . والمعنى أنه يجادل من غير مستند أصلا (قوله ثانى عطفه) أى لاوى جنبه ، والمراد منه الاعراض عن الحق لأن شأن من أعرض عن شىء لوى جنبه عنه فشبه عدم التمسك بالحق بلىّ الجانب واستعير اسم المشبه به للمشبه بجامع الاعراض فى كل على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية والعامة على كسر العين وهو الجانب وقرىء شذوذا بفتحها وهو مصدر بمعنى التعطف كأنه قال تاركا تعطفه أى رحمته ويتمسك بالقسوة (قوله أى لاوى عنقه) الأوضح أن يقول جنبه لأن العطف بالكسر الجانب إلا أن يقال يلزم من لىّ الجانب لى العنق (قوله ليضل) متعلق بيجادل وقوله بفتح الياء أى فهو فعل لازم، والمعنى ليحصل له الضلال فى نفسه وقوله وضمها أى فهو متعد . والمعنى ليوقع غيره فى الضلال وهما قراءتان سبعيتان واللام للعاقبة والصيرورة (قوله عذاب) فى بعض النسخ زيادة ثقيل ومعناه عظيم متكرر وأخذ ذلك من التنوين على حد شر أهر ذا ناب (قوله عذاب الحريق) من إضافة الموصوف لصفته : أى العذاب المحرق أو الحريق طبقة من طباق جهنم (قوله ويقال له) أى من قبل الله على ألسنة ملائكة العذاب (قوله ذلك) أى ماذكر من الخزى وعذاب الحريق (قوله عبر عنه بهما الخ) جواب عما يقال لم خص اليدين بالذكر مع أن الفاعل هو الشخص ذاته (قوله تزاول) أى تعالج (قوله وأن الله) عطف على قدمت (قوله أى بذى ظلم) أى فظلام صيغة نسبة كتمار ونجار ودفع بذلك مايقال إن نفى الكثرة يستدعى ثبوت أصل الظلم مع أنه مستحيل لأن الظلم التصرف فى ملك الغير بغير إذنه ولا ملك لأحد معه لأن حكمه فى ملكه دائر بين الفضل والعدل فلا يسئل عما يفعل وحينئذ فلا يليق من الشخص الاعتراض على أحكام الله تعالى وإنما يرضى ويسلم ليفوز بسعادة الدنيا والآخرة (قوله فيعذبهم بغير ذنب) أى وسماه ظلما لأنه وعد الطائع بالجنة ووعده لايتخلف لكن لو فرض لم يكن ظلما (قوله ومن الناس من يعبد الله على حرف) نزلت فى المنافقين وأعراب البوادى كان أحدهم إذا قدم المدينة فصح فيها جسمه ونتجت بها فرسه مهرا وولدت امرأته غلاما وكثر ماله قال هذا دين حسن وقد أصبت فيه خيرا واطمأن له وإن أصابه مرض وولدت امرأته جارية ولم تلد فرسه وقلّ ماله قال ما أصبت منذ دخلت فى هذا الدين إلا شرّا فينقلب عن دينه وقوله على حرف حال من فاعل يعبد أى متزلزلا وقد صار مثلا لكل من كان عنده شك فى شىء (قوله أى شك فى عبادته) أى ضعف يقين فيها (قوله شبه بالحالّ على حرف جبل فى عدم ثباته) أشار بذلك إلى أن فى الآية استعارة تمثيلية حيث شبه حال من دخل الاسلام من غير اعتقاد وصحة قصد بحال الجالس على طرف جبل تحته مهاو بجامع التزلزل وعدم الثبات فى كل (قوله اطمأن به) أى رضى به وسكن إليه (قوله فتنة) المراد بها هنا كل مكروه الطبع وثقيل على النفس ولم يقل وإن أصابه شر ليقع فى مقابلة الخير لأن ما يخفى

وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ) شك (فِيهَا ، وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ) ونزل فى أبى جهل (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى) معه (وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ) له نور معه (ثَانِيَ عِطْفِهِ) حال أى لاوى عنقه تكبرا عن الايمان ، والعطف الجانب عن يمين أو شمال (لِيَضِلَّ) بفتح الياء وضمها (عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) أى دينه (لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ) عذاب فقتل يوم بدر (وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ) أى الاحراق بالنار ويقال له (ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ) أى قدمته ، عبر عنه بهما دون غيرهما لأن أكثر الأفعال تزاول بهما (وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ) أى بذى ظلم (لِلْعَبِيدِ) فيعذبهم بغير ذنب (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ) أى شك فى عبادته شبه بالحالّ على حرف جبل فى عدم ثباته (فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ) صحة وسلامة فى نفسه وماله (اطْمَأَنَّ بِهِ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ) محنة وسقم فى نفسه وماله ،

هنــه الطبع ليس شرًّا فى نفسه بل قد يكون خيرا إذا حصل معه الرضا والتسليم (قوله انقلب على وجهه) أى ارتد للحالة التى كان عليها أوّلا من الكفر والاعتراض على الله تعالى (قوله بفوات ماأمله) أى وهوكثرة ماله واجتماعه بأحبابه (قوله ذلك هو الخسران المبين) أى الذى لاخسران مثله لفوات حظه من الدنيا والآخرة (قوله من الصنم) لامفهوم له بل مثله كل مخلوق . والحاصل أن العبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب فهذه الآية تقال أيضا لمن التجأ لمخلوق وترك الخالق معتمدا على ذلك المخلوق. وأما الالتجاء للمخلوق من حيث إنه مهبط الرحمات كمواصلة آل البيت والأولياء والصالحين فهو مطلوب وهو فى الحقيقة التجاء للخالق يقرّب ذلك أن الله تعالى أمرنا بالجلوس فى المساجد والطواف بالبيت وقيام ليـلة القدر ونحوها ، وماذاك إلا للتعرّض للرحمة النازلة فى تلك الأماكن والأزمان فلا فرق بين الأشخاص وغيرها فهم مهبط الرحمات لامنشؤها تأمل (قوله اللام زائدة) أى ومن مفعول يدعو وضره مبتدأ وأقرب خبره والجملة صلة من . إن قلت إنه أثبت الضر والنفع هنا ونفاها فيما تقدم فقد حصل التعارض والتناقض . أجيب بأن النفى باعتبار ما فى نفس الأمر والاثبات باعتبار زعمهم الباطل (قوله هو) قدره إشارة إلى أن المخصوص بالذم محذوف (قوله وعقب ذكر الشاك بالخسران) الجار والمجرور حال من الشاك والباء للملابسة وقوله بذكر المؤمنين متعلق بعقب ، والمعنى لما ذكر الشاك فى الدين حال كونه ملتبسا بالخسران ذكر عقبه المؤمنين وما أعد لهم من الثواب الجزيل (قوله من الفروض) أى وهى ما أمر بها المكلف أمرا جازما يترتب على فعلها الثواب وعلى تركها العقاب وقوله والنوافل هى ما أمر بها الشخص أمرا غير جازم يترتب على فعلها الثواب وليس فى تركها عقاب (قوله تجرى من تحتها) أى من تحت قصورها (قوله إن الله يفعل مايريد) أى فلا معقب لحكمه حال

ولا يسئل عما يفعل (قوله من كان يظنّ أن لن ينصره الله) هذه الآية مرتبطة بقوله ومن الناس من يعبد الله على حرف، وأما قوله إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات الخ فهو معترض بين أوصاف الشاك لجرى عادة الله بذكر أهل الوعد إثر أهل الوعيد . والمعنى من كان يظنّ من الكفار والشاكين فى دينهم أن الله لاينصر محمدا فى الدنيا والآخرة فليأت بحبـل يشده فى سقف بيته وفى عنقه ثم يختنق به حتى يموت فلينظر هل فعل هذا يذهب غيظه وهو نصرة محمد فالاتيان بالحبل والاختناق به كناية عن كونه يموت غيظا فيكون بمعنى قوله تعالى ـ قل موتوا بغيظكم ـ وهذا هو المشهور فى تفسير الآية ولذا مشى عليه المفسر . وقيل إن المعنى من كان يظنّ أن لن ينصر الله محمدا فليطلب حيلة يصل بها إلى السماء ثم ليقطع النصر عنـه وينظر هل يذهب ما احتال به غيظه إن أمكنه ذلك (قوله بأن يقطع نفسه) بالتحريك ، وهو إشارة إلى أن مفعول يقطع محذوف (قوله كما فى الصحاح) راجع لجميع ماذكر من قوله بحبل إلى السماء الخ . والصحاح بفتح الصاد اسم كتاب فى اللغة للامام أبى النصر إسماعيل بن حماد الجوهرى (قوله مايغيظ) ما اسم موصول صفة لموصوف محذوف ويغيظ صلته والعائد محذوف والتقدير الشىء الذى يغيظه (قوله منها) بيان لما الواقعة على نصرة النبى

(انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ) أى رجع إلى الكفر (خَسِرَ الدُّنْيَا) بفوات ما أمّله منها (وَالْآخِرَةَ) بالكفر (ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ) البين (يَدْعُوا) يعبد (مِنْ دُونِ اللَّهِ) من الصنم (مَالَا يَضُرُّهُ) إن لم يعبده (وَمَا لَا يَنْفَعُهُ) إن عبده (ذَٰلِكَ) الدعاء (هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ) عن الحق (يَدْعُوا لَمَنْ) اللام زائدة (ضَرُّهُ) بعبادته (أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ) إن نفع بتخيله (لَبِئْسَ الْمَوْلَىٰ) هو أى الناصر (وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ) الصاحب هو ، وعقب ذكر الشاك بالخسران بذكر المؤمنين بالثواب فى (إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) من الفروض والنوافل (جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ) من إكرام من يطيعه وإهانة من يعصيه (مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ) أى محمداً نبيه (فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ) بحبل (إِلَى السَّمَاءِ) أى سقف بيته يشده فيه وفى عنقه (ثُمَّ لْيَقْطَعْ) أى ليختنق به بأن يقطع نفسه من الأرض كما فى الصحاح (فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ) فى عدم نصرة النبى (مَا يَغِيظُ)ه منها، المعنى فليختنق غيظا منها فلا بد منها (وَكَذَٰلِكَ) أى مثل إنزالنا الآيات السابقة (أَنْزَلْنَاهُ) أى القرآن الباقى (آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ) ظاهرات ،

(قوله حال) أى من الهاء فى أنزلناه (قوله على هاء أنزلناه) أى فالمعنى وأنزلنا إن الله يهدى من يريد أى و يضل من يريد ففى الآية اكتفاء (قوله إن الذين آمنوا الخ) أى فالأديان ستة واحد للرحمن وأصحابه فى الجنة وخمسة للشيطان وأصحابها فى النار (قوله والمجوس) قيل هم قوم يعبدون النار وقيل الشمس و يقولون العالم له أصلان النور والظلمة وقيل هم قوم يستعملون النجاسات والأصل نجوس أبدلت النون ميما (قوله طائفة منهم) أى من اليهود وقيل هم طائفة من النصارى (قوله إن الله على كل شئ شهيد) تعليل لقوله إن الله يفصل بينهم (قوله عالم) أشار بذلك إلى أن الشهيد معناه الذى لايغيب عنه شئ (قوله والشمس والقمر والنجوم) عطف خاص على قوله من فى السموات ؛ ونص عليها لما ورد أن بعضهم كان يعبدها (قوله والجبال والشجر والدواب) عطف خاص على من فى الأرض وخصها بالذكر لأن بعضهم كان يعبدها (قوله أى يخضع له) أشار بذلك إلى أن المراد بالسجود الخضوع والانقياد لله وهو أحد قولين ، وقيل المراد بالسجود حقيقته لأنه ورد «مافى السماء نجم ولاشمس ولا قمر إلا يقع ساجدا حين يغيب ثم لاينصرف حتى يؤذن له» وقال تعالى ـ ولله يسجد من فى السموات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال ـ (قوله وكثير من الناس) أشار المفسر إلى أنه معطوف على فاعل يسجد (قوله يشقه)

حال (وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَنْ يُرِيدُ) هداه معطوف على هاء أنزلناه (إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَٱلَّذِينَ هَادُوا) هم اليهود (وَٱلصَّابِئِينَ) طائفة منهم (وَٱلنَّصَارَى وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ) بادخال المؤمنين الجنة و إدخال غيرهم النار (إِنَّ ٱللَّهَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ) من عملهم (شَهِيدٌ) عالم به علم مشاهدة (أَلَمْ تَرَ) تعلم (أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِى ٱلسَّمٰوَاتِ وَمَنْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَابُّ) يخضع له بما يراد منه (وَكَثِيرٌ مِنَ ٱلنَّاسِ) وهم المؤمنون بزيادة على الخضوع فى سجود الصلاة (وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ) وهم الكافرون لأنهم أبوا السجود المتوقف على الايمان (وَمَنْ يُهِنِ ٱللَّهُ) يشقه (فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ) مسعد (إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ) من الاهانة والاكرام (هَٰذَانِ خَصْمَانِ) أى المؤمنون خصم والكفار الخمسة خصم وهو يطلق على الواحد والجماعة (ٱخْتَصَمُوا فِى رَبِّهِمْ) أى فى دينه (فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ) يلبسونها يعنى أحيطت بهم النار (يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ) الماء البالغ نهاية الحرارة (يُصْهَرُ) يذاب (بِهِ مَا فِى بُطُونِهِمْ) من شحوم وغيرها ،

أى يحتم عليه الشقاء وهو عدم الاهتداء (قوله إن الله يفعل مايشاء) أى فلا حرج عليه ولا منازع له فى حكمه (قوله هذان خصمان) اسم الاشارة يعود على المؤمنين والكفار كما قاله المفسر ، وسبب نزولها تخاصم حمزة وعلى وعبيدة بن الحرث مع عتبة وشيبة ابنى ربيعة والوليد بن عتبة فكان كل من الفريقين يسب دين الآخر ، وقيل نزلت فى المسلمين وأهل الكتاب حيث قال أهل الكتاب نحن أولى بالله وأقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم . وقال المسلمون نحن أحق بالله منكم آمنا بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ونبيكم و بما أنزل الله من كتاب وأنتم تعرفون كتابنا ونبينا وكفرتم حسدا . واختلف هل هذا الخصام فى الدنيا والتعقيب بقوله فالذين كفروا الخ باعتبار تحقق مضمونه أو فى الآخرة بدليل التعقيب ، ولذا قال على بن أبى طالب كرم الله وجهه أنا أول من يجثو يوم القيامة للخصومة بين يدى الله تعالى (قوله وهو يطلق على الواحد والجماعة) أى لأنه مصدر فى الأصل ، والغالب استعماله مفردا مذكرا وعليه قوله تعالى ـ وهل أتاك نبأ الخصم ـ ويثنى ويجمع كما هنا (قوله اختصموا) جمعه باعتبار ما احتوى عليه الفريق من الأشخاص فالجمع باعتبار المعنى كقوله تعالى ـ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ـ (قوله أى فى دينه) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله قطعت لهم ثياب من نار) أى قدرت على قدر جثثهم ، فنى الكلام استعارة تمثيلية حيث شبه إعداد النار وإحاطتها بهم بتفصيل ثياب لهم وسترها لأبدانهم ، وجمع الثياب لأن تراكم النار عليهم كالثياب الملبوس بعضها فوق بعض وهو أبلغ من مقابلة الجمع بالجمع (قوله يصب من فوق رءوسهم الحميم) لما ذكر أن الثياب تغطى الجسد غير الرأس ذكر ما يصيب الرأس ، ولما ذكر ما يصيب ظاهر الجسد ذكر ما يصيب باطنه وهو الحميم الذى يذيب ما فى البطون من الأحشاء لما فى الحديث «إن الحميم ليصب من فوق رءوسهم فينفذ من جمجمة أحدهم

حتى يخلص إلى جوفه فيسلب مافى جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان (قوله وتشوى به الجلود) أشار بذلك إلى أن الجلود مرفوع بفعل مقدّر لأن الجلود لاتذاب نظير * علفتها تبنا وماء باردا * ويصح أن يكون معطوفا على ما ويراد بالاذابة التقطع (قوله ولهم مقامع) جمع مقمعة بكسر الميم آلة القمع أى الضرب والزجر (قوله من غم) أى من أجل حصوله لهم (قوله أعيدوا فيها) أى لما ورد « إن جهنم تفور بهم فيصعدون إلى أعلاها فيريدون الخروج منها فتضربهم الزبانية بمقامع الحديد فيهوون فيها سبعين خريفا» (قوله وقيل لهم) أى تقول لهم الملائكة ذلك (قوله عذاب الحريق) من إضافة الموصوف للصفة أى العذاب المحرق (قوله إنّ الله يدخل الذين آمنوا الخ) لم يقل فى حقهم والذين آمنوا عطفا على قوله فالذين كفروا إشارة لتعظيم شأن المؤمنين (قوله الأنهار) جمع نهر والمعنى تجرى من تحت قصورهم (قوله من أساور) من إما زائدة أو للتبعيض أو لبيان الجنس وقوله من ذهب من لابتداء الغاية (قوله بأن يرصع اللؤلؤ بالذهب) العبارة فيها قلب والأصل بأن يرصع الذهب باللؤلؤ وقيل إنهم يلبسون الأساور من النوعين الذهب واللؤلؤ، وفى آية هل أتى ـ وحلوا أساور من فضة ـ فهم يلبسونها من الأنواع الثلاثة لما ورد « إن المؤمن يسوّر فى الجنة بثلاثة أسورة سوار من ذهب وسوار من فضة وسوار من لؤلؤ » وفى الحديث « تبلغ حلية المؤمن حيث يبلغ الوضوء » (قوله ولباسهم فيها حرير) غاير الأسلوب حيث لم يقل ويلبسون فيها حريرا إشارة إلى أن الحرير ثيابهم المعتادة فى الجنة

(وَ) تشوى به (الْجُلُودُ . وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ) لضرب رءوسهم (كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا) أى النار (مِنْ غَمٍّ) يلحقهم بها (أُعِيدُوا فِيهَا) ردوا إليها بالمقامع (وَ) قيل لهم (ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ) أى البالغ نهاية الإحراق، وقال فى المؤمنين (إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤٍ) بالجر أى منهما بأن يرصع اللؤلؤ بالذهب، وبالنصب عطفاً على محل من أساور (وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ) وهو المحرّم لبسه على الرجال فى الدنيا (وَهُدُوا) فى الدنيا (إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ) وهو لا إله إلا الله (وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ) أى طريق الله المحمودة ودينه (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) طاعته (وَ) عن (الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ) منسكا ومتعبداً (لِلنَّاسِ،

فان العدول إلى الجملة الاسمية يدل على الدوام (قوله وهو المحرم لبسه على الرجال فى الدنيا) أى يوصلهم الله فى الآخرة إلى ماحرمه عليهم فى الدنيا . قال عليه الصلاة والسلام « من لبس الحرير فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة » واختلف فى معنى الحديث فقيل لم يلبسه فى الآخرة إذا مات مصرا ودخل النار فلا ينافى أنه إذا دخل الجنة يلبسه وقيل لم يلبسه أصلا ولو دخل الجنة بل يتنعم بغير الحرير وأما هو فلا يشتهيه فيها والمعتمد الأول وكذا يقال فى الأحاديث الواردة فيمن شرب الخمر ولبس الذهب (قوله وهو لا إله إلا الله) أى مع عديلتها وهى محمد رسول الله فهى أفضل القول لما فى الحديث « أفضل ماقلته أنا والنبيون من قبلى لا إله إلا الله » فهى رأس المال لذاكرها لايقبل شىء من الأعمال إلا بها فمن مات عليها حصلت له السعادة والسيادة . نسأل الله تعالى الثبات عليها فى الدنيا والآخرة بمنه وكرمه (قوله إلى صراط الحميد) أى وهو دين الاسلام وسمى صراطا لأنه طريق يوصل إلى رضا الله تعالى (قوله أى طريق الله المحمودة) أشار بذلك إلى أن الحميد وصف لله تعالى ومعناه المحمود فى أفعاله (قوله ويصدون) معطوف على كفروا ففيه عطف المستقبل على الماضى وحينئذ فاما أن يراد بالماضى المضارع أو يجرد المضارع عن معناه بأن يراد به الثبوت والاستمرار لتناسب العطف وهذا هو الأحسن ولا يصح جعل جملة ويصدّون حالا لأن الجملة المضارعية المثبتة إذا وقعت حالا لاتقترن بالواو . قال ابن مالك :

وذات بدء بمضارع ثبت حوت ضميرا ومن الواو خلت

ولا جعل الواو زائدة لأن الأصل عدمها وخبر إن محذوف يقدّر بعد قوله والباد لدلالة قوله نذقه من عذاب أليم عليه كما سيأتى فى المفسر (قوله منسكا) قدره إشارة الى أن مفعول جعلنا الثانى محذوف وقوله ومتعبدا عطف تفسير (قوله للناس) ظرف لغو اما متعلق بمنسكا الذى قدره المفسر أو بجعلنا وهذا التقدير انما هو لايضاح المعنى والا فيصح جعل جملة سواء العاكف

سَوَاءٌ الْعَاكِفُ) المقيم (فِيهِ وَالْبَادِ) الطارئ (وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ) الباء زائدة (بِظُلْمٍ) أى بسببه بأن ارتكب منهيا ولو شتم الخادم (نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ) مؤلم أى بعضه ، ومن هذا يؤخذ خبر إن ، أى نذيقهم من عذاب أليم (وَ) اذكر (إِذْ بَوَّأْنَا) بينا (لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ) ليبنيه وكان قد رفع زمن الطوفان وأمرناه (أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ) من الأوثان (لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ) المقيمين به (وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ) جمع راكع وساجد : المصلين (وَأَذِّنْ) ناد (فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ) فنادى على جبل أبى قبيس : يا أيها الناس إن ربكم بنى بيتا وأوجب عليكم الحج إليه فأجيبوا ربكم والتفت بوجهه يمينا وشمالا وشرقا وغربا فأجابه كل من كتب له أن يحج من أصلاب الرجال وأرحام الأمهات : لبيك اللهم لبيك وجواب الأمر (يَأْتُوكَ رِجَالًا) مشاة جمع راجل كقائم وقيام ،

فيه والباد مفعولا ثانيا وعلى ما قدره المفسر تكون حالية (قوله سواء العاكف فيه) سواء بالرفع خبر مقدم والعاكف وما عطف عليه مبتدأ مؤخر وقرأ حفص بالنصب فيعرب حالا والعاكف مرفوع على الفاعلية لسواء لأنه مصدر وصف به فهو فى قوة اسم الفاعل المشتق تقديره جعلناه مستويا فيه العاكف الخ . والمعنى أن المقيم فى المسجد والطارئ سواء فى النزول به فمن سبق إلى مكان فيه فهو حقه لايقيمه منه غيره وليس المراد أن دور مكة غير مملوكة لأربابها فالغريب وأهل البلد سواء فيها بل هى مملوكة لأربابها ويجوز بيعها وإجارتها (قوله والباد) باثبات الياء وصلا ووقفا أو حذفها فيهما أو حذفها وقفا وإثباتها وصلا ثلاث قراآت سبعيات وقوله الطارئ دفع به مايتوهم من قوله البادى أن المراد به ساكن البادية بل المراد به الطارئ كان من البادية أولا وإنما سمى الطارئ باديا لأنه لايأتى إليها إلا من البادية (قوله ومن يرد فيه) أى يقصد فى المسجد الحرام (قوله بالحاد) أى عدول عن الاعتدال (قوله الباء زائدة) أى فى المفعول (قوله نذقه من عذاب أليم) أى فى الآخرة إلا أن يتوب . وأخذ منه أن السيئة فى مكة أعظم من السيئة فى غيرها ومن هنا كره مالك المجاورة فى مكة لغير أهلها وندبها بالمدينة (قوله ومن هذا) أى جواب الشرط (قوله يؤخذ خبر إن) أى ويكون مقترنا بعد قوله والبادى (قوله واذكر) قدره إشارة إلى أن قوله بوأنا ظرف لمحذوف (قوله بينا لابراهيم مكان البيت) أريناه أصله ليبنيه حين أسكن ولده إسمعيل وأمه هاجر فى تلك الأرض وأنعم الله عليهما بزمزم فدعا الله بعمارة هذا البيت ، فبعث الله له ريحا هفافة فكشفت عن أساس آدم فرتب قواعده عليه لأن أساسه فى الأرض كما قيل ثلاثون ذراعا بذراع آدم ، وقيل بعث الله تعالى سحابة بقدر البيت فقامت بحذاء البيت وفيها رأس يتكلم يا إبراهيم ابن على دورى فبنى عليه وجعل طوله فى السماء سبعة أذرع بذراعه وأدخل الحجر فى البيت ولم يجعل له سقفا وجعل له بابا وحفر له بئرا يلقى فيه ما يهدى للبيت وبناه قبله شيث وقبل شيث آدم وقبل آدم الملائكة ثم بعد إبراهيم بناه العمالقة ثم جرهم ثم قصى ثم قريش ثم ابن الزبير ثم الحجاج وهى باقية الآن على بنائه ثم يهدمها فى آخر الزمان ذو السويقتين فيجددها عيسى ابن مريم عليه السلام (قوله وأمرناه) قدره إشارة إلى أن قوله أن لا تشرك معمول لمحذوف وذلك المحذوف معطوف على بوأنا (قوله من الأوثان) قيل المراد بها الأصنام لأن جرهما والعمالقة كانت لهم أصنام فى محل البيت قبل أن يبنيه إبراهيم عليه السلام وقيل المراد نزهه عن أن يعبد فيه غيره تعالى فهو كناية عن إظهار التوحيد ويصح أن يكون المراد طهره من الأقذار والأنجاس والدماء وجميع ما تنفر منه النفوس (قوله وأذن فى الناس بالحج) أى بالدعاء إليه والأمر به (قوله على جبل أبى قبيس) أى فلما صعد للنداء خفضت الجبال رءوسها ورفعت له القرى ، فنادى فى الناس بالحج ، فأول من أجابه أهل اليمن فليس حاج من يومئذ إلى يوم تقوم الساعة الامن أجاب ابراهيم عليه السلام يومئذ ، فمن لبى مرة حج مرة ، ومن لبى مرتين حج مرتين ؟ ومن لبى أكثر حج بقدر تلبيته (قوله لبيك اللهم لبيك) أى أجبتك إجابة بعد إجابة (قوله يأتوك) أى يأتوا مكانك لأن المقصود اتيان البيت لا اتيان ابراهيم وقوله رجالا وعلى كل ضامر ليس فيه دليل على أن راكب البحر لايجب عليه الحج لأن مكة ليست على البحر وانما يتوصل اليها على احدى هاتين الحالتين .

(قوله وعلى كل ضامر) التضمير فى الأصل أن تعلف الفرس حتى يسمن ثم تقلل عنه الأكل شيئا فشيئا حتى يصل إلى حد القوت وحينئذ فيكون سريع الجرى وقدم الراجل لما ورد أن له بكل خطوة سبعمائة حسنة من حسنات الحرم كل حسنة مائة ألف حسنة وللراكب بكل خطوة سبعون حسنة ، وأخذ الشافعى من هذا الحديث أن المشى أفضل من الركوب ، وقال مالك الركوب أفضل لأنه أقرب للشكر ولأن رسول الله صلى الله عليه وسلم حج راكبا ولو كان المشى أفضل لفعله رسول الله وأجاب عن الحديث بأنه مزية وهى لاتقتضى الأفضلية (قوله حملا على المعنى) أى حيث ألحق الفعل العلامة ولو راعى اللفظ لقال يأتى (قوله بالتجارة) أى لأنها جائزة للحاج من غير كراهة إذا لم تكن مقصودة بالسفر (قوله ويذكروا اسم الله) أى عند إعداد الهدايا وذبحها (قوله عشر ذى الحجة) أى وسميت معلومات لحرص الحجاج على علمها لأن وقت الحج فى آخرها (قوله إلى آخر أيام التشريق) راجع للقولين قبله (قوله على مارزقهم) أى لأجل مارزقهم (قوله فكلوا منها) أمر إباحة لمخالفة ما كانت عليه الجاهلية من عدم الأكل من لحوم هداياهم فأمر الله بمخالفتهم واتفق العلماء على أن الهدى إذا كان تطوعا جاز الأكل منه . واختلفوا فى الهدى الواجب فقال الشافعى لايأكل منه وقال مالك يأكل من كل هدى وجب إلا من جزاء الصيد وفدية الأذى

(وَ) ركبانا (عَلَى كُلِّ ضَامِرٍ) أى بعير مهزول وهو يطلق على الذكر والأنثى (يَأْتِينَ) أى الضوامر حملا على المعنى (مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ) طريق بعيد (لِيَشْهَدُوا) أى يحضروا (مَنَافِعَ لَهُمْ) فى الدنيا بالتجارة ، أو فى الآخرة ، أو فيهما أقوال (وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ) أى عشر ذى الحجة أو يوم عرفة أو يوم النحر إلى آخر أيام التشريق أقوال (عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ) الإبل والبقر والغنم التى تنحر فى يوم العيد وما بعده من الهدايا والضحايا (فَكُلُوا مِنْهَا) إذا كانت مستحبة (وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ) أى الشديد الفقر (ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ) أى يزيلوا أوساخهم وشعثهم كطول الظفر (وَلْيُوفُوا) بالتخفيف والتشديد (نُذُورَهُمْ) من الهدايا والضحايا (وَلْيَطَّوَّفُوا) طواف الإفاضة (بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ) أى القديم لأنه أول بيت وضع للناس (ذَٰلِكَ) خبر مبتدإ مقدر أى الأمر أو الشأن ذلك المذكور (وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ) هى ما لايحل انتهاكه (فَهُوَ) أى تعظيمها (خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ) فى الآخرة (وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ) أكلا بعد الذبح (إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ) تحريمه فى : حرمت عليكم الميتة الآية فالاستثناء منقطع ، ويجوز أن يكون متصلا والتحريم لما عرض من الموت ونحوه

والنذر إذا قصد به المساكين . وقال أصحاب أبى حنيفة يأكل من دم التمتع والقران ولا يأكل من واجب سواهما (قوله ثم ليقضوا تفثهم) أى بعد تمام حجهم وتحللهم لأن الواجب فعله يوم النحر أربعة أشياء على الترتيب الرمى فالنحر فالحلق فطواف الافاضة فبعد الفراغ منها حل له كل شىء كان محرما عليه قبل الاحرام (قوله بالتشديد والتخفيف) هما قراءتان سبعيتان (قوله لأنه أول بيت وضع)وقيل سمى عتيقا لأن الله أعتقه من تسلط الجبابرة

(فاجتنبوا

عليه ومن الغرق لأنه رفع أيام الطوفان (قوله أى الأمر أو الشأن ذلك) أشار بذلك إلى أن قوله ذلك خبر لمحذوف وهذا على عادة الفصحاء إذا ذكروا جملة من الكلام ثم أرادوا الخوض فى كلام آخر يقولون هذا وقد كان كذا فهو يذكر للفصل بين كلامين أو بين وجهى كلام واحد (قوله هى مالايحل انتهاكه) أى وهى التكاليف التى كلف الله بها عباده من واجب وسنة ومندوب ومكروه وحرام وتعظيمها كناية عن قبولها والخضوع لها فتعظيمه فى الواجب والسنة والمندوب فعل كل وفى المكروه والحرام ترك كل بل وترك مايؤدى لذلك (قوله خير له عند ربه) أى قربة وطاعة يثاب عليها فى الآخرة واسم التفضيل على بابه باعتبار مايزعمه أهل اللهو والفسوق من أن من أطلق نفسه فى الشهوات فقد أصاب حظه فهو خير باعتبار ماعندهم لاباعتبار ماعند الله لما ورد « رب شهوة ساعة أورثت حزنا طويلا» (قوله الأنعام)أى الابل والبقر والغنم (قوله بعد الذبح) أى أو النحر أو العقر (قوله إلا مايتلى عليكم) أى إلا مدلول الآية التى تتلى عليكم (قوله فالاستثناء منقطع) أى ووجهه أن فى الآية ماليس من جنس الأنعام كالدم ولحم الخنزير (قوله ويجوز أن يكون متصلا) أى ووجهه العموم فى قوله الأنعام لأن ظاهره حل الأنعام مطلقا ولو منخنقة وموقوذة ومتردية فأفاد أن الحلال ماعدا مافى الآية .

(قوله فاجتنبوا الرجس) هو فى الأصل القذر والأوساخ وعبادة الأوثان قذر معنوى (قوله قول الزور) تعميم بعد تخصيص لأن عبادة الأوثان رأس الزور (قوله أى الشرك بالله فى تلبيتهم) أى فانهم كانوا يقولون لبيك لاشريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك (قوله أو شهادة الزور) أى الشهادة بما لايعلم حقيقته (قوله حنفاء لله) أى مخلصين له (قوله حالان من الواو) أى فى اجتنبوا لكن الأولى مؤسسة والثانية مؤكدة (قوله ومن يشرك بالله الخ) هذا مثل ضربه الله تعالى للشرك، والمعنى أنه شبه حال المشرك بحال الماوى من السماء فى أن كلا لايملك لنفسه حيلة حتى يقع فهو هالك لامحالة إما بتخطف الطير لحمه أو تفرقة الرياح لأجزائه فى أمكنة بعيدة لايرجى خلاصه (قوله يقدر قبله الأمر مبتدأ) أى واسم الاشارة خبر نظير ماتقدم (قوله شعائر الله) جمع شعيرة أو شعارة (قوله وهى البدن) فسرها بذلك وإن كانت الشعائر فى الأصل أعلام الحج وأفعاله مراعاة للسياق (قوله بأن تستحسن) أى تختار حسنة بأن تكون غالية الثمن لما روى أن عمر أهدى نجيبة طلبت منه بثلثمائة دينار (قوله من تقوى القلوب) أى من امتثال الأوامر واجتناب النواهى وقوله منهم قدره إشارة إلى أن العائد محذوف (قوله بما تعرف به) أى بعلامة يعرف بها أنها هدى (قوله كطعن حديدة بسنامها) أى وشق الجلال وإخراج السنام من الشق وكتعاليق النعال فى رقبتها (قوله كركوبها والحمل عليها) أى وشرب لبنها الفاضل عن ولدها (قوله أى عنده) أشار بذلك إلى أن إلى بمعنى عند (قوله

(فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ) من للبيان أى الذى هو الأوثان (وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ) أى الشرك بالله فى تلبيتهم أو شهادة الزور (حُنَفَاءَ لِلَّهِ) مسلمين عادلين عن كل دين سوى دينه (غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ) تأكيد لما قبله وهما حالان من الواو (وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ) سقط (مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ) أى تأخذه بسرعة (أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ) أى تسقطه (فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ) بعيد أى فهو لايرجى خلاصه (ذَٰلِكَ) يقدر قبله الأمر مبتدأ (وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا) أى فإن تعظيمها وهى البدن التى تهدى للحرم بأن تستحسن وتستسمن (مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ) منهم وسميت شعائر لإشعارها بما تعرف به أنها هدى كطعن حديدة بسنامها (لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ) كركوبها والحمل عليها مالايضرها (إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى) وقت نحرها (ثُمَّ مَحِلُّهَا) أى مكان حل نحرها (إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ) أى عنده، والمراد الحرم جميعه (وَلِكُلِّ أُمَّةٍ) أى جماعة مؤمنة سلفت قبلكم (جَعَلْنَا مَنْسَكًا) بفتح السين مصدر وبكسرها اسم مكان أى ذبحا قربانا أو مكانه (لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ) عند ذبحها (فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا) انقادوا (وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ) المطيعين المتواضعين (الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ) خافت (قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ) من البلايا (وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ) فى أوقاتها (وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) يتصدقون (وَالْبُدْنَ) جمع بدنة وهى الإبل (جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ) أعلام دينه (لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ) نفع فى الدنيا كما تقدم وأجر فى العقبى (فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا) عند نحرها (صَوَافَّ) قائمة على ثلاث معقولة اليد اليسرى،

والمراد الحرم جميعه) أى لاخصوص الكعبة (قوله أى ذبحا قربانا) مفعول للمصدر الذى هو ذبحا، والمعنى أن يذبحوا القربان وقيل معنى منسكا نوعا من التعبد والتقرب (قوله ليذكروا اسم الله) معناه أمرناهم عند ذبائحهم بذكر الله (قوله من بهيمة الأنعام) أى عند ذبحها ونحرها (قوله انقادوا) أى خضعوا وفوضوا أمورهم إليه ورضوا بأحكامه (قوله المتواضعين) هذا أصل معناه لأن الاخبات نزول الخبت وهو المكان المنخفض (قوله الذين إذا ذكر الله) أى بأن سمعوا الذكر من غيرهم أو ذكروا بأنفسهم (قوله من البلايا) أى المحن بأن لايجزعوا عند نزولها بهم (قوله يتصدقون) أى صدقة التطوع ويعلم منه أنهم يخرجون الزكاة الواجبة بالأولى (قوله وهى الابل) أى فالبدن عند الشافعى خاصة بالابل، وقال أبو حنيفة البدن الابل والبقر وعلى كل حال فالبقر من شعائر الله أيضا (قوله لكم فيها خير) الجملة إما حالية أو مستأنفة (قوله فاذكروا اسم الله عليها) أى بأن تقولوا عند ذبحها بسم الله، والله أكبر اللهم إن هذا منك وإليك (قوله قائمة) المناسب أن يقول قائمات

(قوله فإذا وجبت جنوبها) كناية عن الموت وجمع الجنوب مع أن البعير إذا سقط عند النحر إنما يسقط على أحد جنبيه لأن ذلك الجمع فى مقابلة جمع البدن (قوله سقطت إلى الأرض) أى فالوجوب السقوط ، يقال وجبت الشمس : أى سقطت (قوله فكلوا منها) أى إن كانت مستحبة باتفاق وكذا إن كانت واجبة عند مالك إلا فى جزاء الصيد وفدية الأذى والنذر إذا قصد به المساكين ولا يأكل من الواجبة عند الشافعى (قوله وأطعموا القانع) أى المستغنى بما أعطيه المتعفف عما فى أيدى الناس الذى لا التفات له إليهم الذى قال الله فى حق من اتصف بصفته : يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافا ، وقال الامام الشافعى رضى الله عنه :

أمت مطامعى فأرحت نفسى ... فإن النفس ماطمعت تهون
وأحييت القنوع وكان ميتا ... ففى إحيائه عرضى مصون
إذا طمع يحل بقلب شخص ... علته مهانة وعلاه هون

(قوله أى مثل ذلك التسخير) أى المفهوم من قوله صواف (قوله وإلا لم تطق) أى وإلا نسخرها لم يقدر على نحرها وركوبها (قوله لن ينال الله لحومها ولا دماؤها) ردّ لما كانت عليه المشركون من تشريح اللحم وجعله حول الكعبة وتضميخها بالدم تقربا إلى الله تعالى (قوله أى لايرفعان إليه) أى وإنما يرفع إليه العمل الصالح ومنه التصدق

(فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا) سقطت إلى الأرض بعد النحر وهو وقت الأكل منها (فَكُلُوا مِنْهَا) إن شئتم (وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ) الذى يقنع بما يُعطى ولا يسأل ولا يتعرض (وَالْمُعْتَرَّ) السائل أو المتعرض (كَذَٰلِكَ) أى مثل ذلك التسخير (سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ) بأن تنحر وتركب وإلا لم تطق (لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) إنعامى عليكم (لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا) أى لا يرفعان إليه (وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ) أى يرفع إليه منكم العمل الصالح الخالص له مع الإيمان (كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ) أرشدكم لمعالم دينه ومناسك حجه (وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ) أى الموحدين (إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا) غوائل المشركين (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ) فى أمانته (كَفُورٍ) لنعمته وهم المشركون المعنى أنه يعاقبهم (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ) أى المؤمنين أن يقاتلوا وهذه أول آية نزلت فى الجهاد (بِأَنَّهُمْ) أى بسبب أنهم (ظُلِمُوا) بظلم الكافرين إياهم (وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ)

(قوله لتكبروا الله على ماهداكم) أى بأن تقولوا : الله أكبر على ماهدانا والحمد لله على ما أولانا (قوله وبشر المحسنين) أى برضا الله والدرجات الرفيعة (قوله إن الله يدافع عن الذين آمنوا) مناسبة هذه الآية لما قبلها أن الله تعالى لما ذكر جملة من أفعال الحج والترغيب فيه وذكر أن الكفار يصدون الناس عن المسجد الحرام كأن قائلا يقول بأى شىء تمكن الناس من الحج والهدايا مع وجود المانع ثم فأنزل الله هذه الآية بشارة للمؤمنين وأنهم يتمكنون من المسجد الحرام ويدفع عنهم أعداءهم ، وهذه الآية وإن كان سبب نزولها ما ذكر إلا أن العبرة بعموم اللفظ ولذا حذف المعمول ليؤذن بالعموم فالمؤمنون مآلهم للعز والنصر والفوز الأكبر وإن امتحنوا ببلاء أو غيره فذلك لتكفير سيآتهم ورفع درجاتهم فهم بخير على كل حال (قوله غوائل المشركين) قدره اشارة إلى أن المفعول محذوف لدلالة المقام عليه والغوائل جمع غائلة وهى مايصيب الانسان من المكروه (قوله فى أمانته) مفرد مضاف أى أماناته وهى الأوامر والنواهى (قوله وهم المشركون) أى لأنهم خائنون كافرون فى كل وقت وأما العصاة من المؤمنين فليسوا كذلك وهذا وعيد للكفار إثر وعد المؤمنين لأن شأن الخائن يجازى على خيانته بالخزى والعقاب (قوله أذن للذين يقاتلون) أى يريدون القتال والمأذون فيه محذوف قدره المفسر بقوله أن يقاتلوا وفى قراءة سبعية أيضا يقاتلون بالبناء للمفعول (قوله وهذه أول آية نزلت فى الجهاد) أى بعد أن نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نيف وسبعين آية ، وذلك أن مشركى مكة كانوا يؤذون أصحاب رسول الله ويعذبونهم فيشكون لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول لهم اصبروا فانى لم أومر بقتال حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية فحينئذ كان يوم عيد عند المسلمين (قوله وإن الله على نصرهم لقدير) جملة مستأنفة سيقت وعد المؤمنين بالنصر على طريق الكناية .

هم (الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ) فى الاخراج ، ما أخرجوا (إِلَّا أَنْ يَقُولُوا) أى بقولهم (رَبُّنَا اللهُ) وحده وهذا القول حق فالإخراج به إخراج بغير حق (وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ) بدل بعض من الناس (بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ) بالتشديد للتكثير و بالتخفيف (صَوَامِعُ) للرهبان (وَبِيَعٌ) كنائس للنصارى (وَصَلَوَاتٌ) كنائس لليهود بالعبرانية (وَمَسَاجِدُ) للمسلمين (يُذْكَرُ فِيهَا) أى فى المواضع المذكورة (اسْمُ اللهِ كَثِيرًا) وتنقطع العبادات بخرابها (وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ) أى ينصر دينه (إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ) على خلقه (عَزِيزٌ) منيع فى سلطانه وقدرته (الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ) بنصرهم على عدوهم (أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ) جواب الشرط وهو وجوابه صلة الموصول و يقدر قبله هم مبتدأ (وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ) أى إليه مرجعها فى الآخرة (وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ) إلى آخره فيه تسلية للنبى صلى الله عليه وآله وسلم (فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ) تأنيث قوم باعتبار المعنى (وَعَادٌ) قوم هود (وَثَمُودُ) قوم صالح (وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ) قوم شعيب (وَكُذِّبَ مُوسَى) :

(قوله هم الذين) قدر المفسر الضمير إشارة إلى أن الموصول خبر لمحذوف وهو أحد أوجه فى اعرابه ويصح أن يكون نعتا أو بيانا أو بدلا من الذين الأول أو منصوبا على المدح (قوله إلا أن يقولوا) استثناء مفرغ من محذوف قدره المفسر بقوله ما أخرجوا وهو متصل ، والمعنى لم يكن لهم سبب فى إخراجهم إلا تعصب المشركين عليهم من أجل مخالفتهم فى الدين . إن قلت إن سبب خروجهم أمر الله لنبيه . أجيب بأن سبب الخروج باطنا أمر الله لهم بالخروج وظاهرا تعصب المشركين عليهم ولا يصح استثناؤه من المذكور لأنه يصير المعنى الذين أخرجوا من ديارهم إلا أن يقولوا ربنا الله وهو لا يصح (قوله ولولا دفع الله الناس) لولا حرف امتناع لوجود ودفع مبتدأ والخبر محذوف والتقدير موجود و إضافة دفع لما بعده من اضافة المصدر لفاعله وقوله بعضهم أى الكافرين وقوله ببعض أى المؤمنين ، والمعنى لولا دفع الله الكافرين بالمؤمنين موجود لهدم فى زمن موسى الكنائس التى كانوا يصلون فيها فى شرعه ، وفى زمن عيسى الصوامع والبيع ، وفى زمن نبينا المساجد ، وهذا الدفع حين كانوا على الحق قبل التحريف والنسخ وأما من يوم بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فقد بطل كل دين يخالف دينه قال تعالى ــ ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين ــ فالمعنى لولا عز الاسلام وقوة شوكته ماعبدالله فى أى زمن (قوله بالتشديد للتكثير) باعتبار المواضع (قوله وبالتخفيف) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله صوامع) جمع صومعة وهى المحل المرتفع البناء فى الأماكن الخالية (قوله للرهبان) أى وقيل للصابئين (قوله وصلوات) جمع صلاة سميت الكنائس بذلك لأنه يصلى فيها وقيل هى كلمة معربة أصلها بالعبرانية صلوثا بفتح الصاد والثاء المثلثة والقصر ومعناه فى لغتهم المصلى (قوله اى ينصر دينه) أى وأولياءه ومعنى نصره تعالى هو أن يظفر أولياءه بأعدائه ومعنى نصر العبيد لربهم هو تجلدهم بالقتال لأعداء الله أو بإيضاح الأدلة والحجج على أعداء الله كالعلماء (قوله منيع فى سلطانه) المناسب أن يقول غالب على أمره وقد أنجز الله وعده بأن أذل الكفار وأعز المسلمين فأورثهم أرضهم وديارهم (قوله الذين إن مكناهم فى الأرض الخ) يجوز فى هذا الموصول ما جاز فى الذى قبله (قوله جواب الشرط) أى قوله أقاموا وما عطف عليه (قوله وهو وجوابه) أى الشرط وفعله وجوابه (قوله صلة الموصول) أى لا محل لها من الاعراب (قوله ويقدر قبله الخ) أى على أحد الاحتمالات المتقدمة وهو إخبار من الله عما يكون عليه المهاجرون والأنصار رضى الله عنهم (قوله ولله عاقبة الأمور) أى آخر أمور الخلق مصيرها إليه فيجازى كل شخص بعمله إن خيرا فخير و إن شرا فشر (قوله و إن يكذبوك) أى يدوموا على تكذيبك وعدم الايمان بك والضمير عائد على أهل مكة ، والمعنى لا تحزن وتسل فلست بأول من كذبه قومه (قوله باعتبار المعنى) أى وهو الأمة والقبيلة (قوله وعاد وثمود) لم يقل قوم هود وقوم صالح لاشتهارهما بهذين الاسمين (قوله وأصحاب مدين) خصهم بالذكر و إن كان شعيب أرسل إلى أصحاب الأيكة وكذبوه أيضا لأنهم سابقون عليهم فى التكذيب له فخصوا بالذكر لسبقهم بالتكذيب .

(قوله كذبه القبط لاقومه) أشار بذلك إلى وجه بناء الفعل فى هذا الأخير للمفعول ، والقبط بوزن القسط أهل مصر (قوله فأمليت للكافرين) وضع الظاهر موضع المضمر زيادة فى التشنيع عليهم (قوله أى إنكارى عليهم) أشار بذلك إلى أن نكير مصدر بمعنى الانكار (قوله باهلاكهم) أى بعذاب الاستئصال (قوله للتقرير) أى والمعنى فليقر المخاطبون بأن إهلاكى لهؤلاء كان واقعا موقعه وفى الحقيقة هو مضمن معنى التعجب . والمعنى ما أشد ما كان انكارى عليهم (قوله فكأين) مبتدأ ومن قرية تمييز وقوله أهلكتها خبره وقوله وهى ظالمة الجملة حالية . والمعنى عدد كثير من القرى أهلكتها والحال أنها ظالمة (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله أى أهلها) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله فهى خاوية على عروشها) أى تهدمت حيطانها فسقطت الحيطان فوق السقوف (قوله و بئر معطلة) قدر المفسر كم والجار اشارة إلى أنه معطوف على قرية . والمعنى عدد كثير من الآبار معطلة عن الاستقاء منها بموت أهلها ، وقيل إن البئر واحدة معهودة وهى التى نزل عليها صالح مع أربعة آلاف نفر ممن آمن به ونجاهم الله من العذاب وهم بحضرموت ، وسميت بذلك لأن صالحا حين حضرها مات وهناك بلدة عند البئر اسمها حاضورا بناها قوم صالح و أمروا عليهم جلهس بن جلاس وأقاموا بها زمانا ثم كفروا وعبدوا صنما وأرسل الله تعالى عليهم حنظلة بن صفوان نبيا فقتلوه فأهلكهم الله وعطل بئرهم وخرب قصورهم ، والمتبادر من الآية العموم ولذا مشى عليه المفسر (قوله أفلم يسيروا) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه تقديره أغفلوا فلم يسيروا فهو تحريض لهم على السير ليشاهدوا آثار من قبلهم من الكفار ليعتبروا وهم و إن كانوا سافروا لم يسافروا للاعتبار والنظر فجعلوا كأن لم يسافروا ولم يسيروا (قوله فتكون لهم قلوب) مفرع على قوله يسيروا المنفى فهو منفى أيضا (قوله ماتزل بالمكذبين) مفعول يعقلون (قوله أى القصة) أى وما بعده تفسير له (قوله لاتعمى الأبصار الخ) أى فالخلل ليس فى حواسهم الظاهرية و إنما هو فى قلوبهم فترتب على ذلك انهما كهم فى الشهوات وعدم إذعانهم للحق لأن عمى القلب هو الضار فى الدين لما ورد فى الحديث « ألا و إن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله و إذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب » (قوله تأكيد) أى قوله التى فى الصدور تأكيد للقلوب لأن من المعلوم أن القلوب حالة فى الصدور ، ومنه قولهم سمعت بأذنى ونظرت بعينى (قوله و يستعجلونك بالعذاب) أى يطلب كفار مكة تعجيل العذاب استهزاء حيث يقولون أين ماتوعدنا به مع كوننا كذبناك كما كذبت الأمم الماضية رسلهم (قوله ولن يخلف الله وعده) تضمن ذلك نزول العذاب بهم فى الدنيا وتضمن قوله و إن يوما عند ربك الخ عذابهم فى الآخرة فهم يعذبون مرتين فى الدنيا بالقتل والأسر وفى الآخرة بدخول النار الدائم (قوله فأنجزه يوم بدر) أى فقتل منهم سبعون وأسر سبعون من صناديدهم (قوله كألف سنة) اقتصر على الألف لأنه منتهى العدد بلا تكرار وهو كناية عن طول العذاب وعدم تناهيه (قوله بالتاء والياء) أى فهما قراءتان سبعيتان .

كذبه القبط لاقومه بنو إسرائيل أى كذب هؤلاء رسلهم فلك أسوة بهم (فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ) أمهلتهم بتأخير العقاب لهم (ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ) بالعذاب (فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ) أى إنكارى عليهم بتكذيبهم باهلاكهم والاستفهام للتقرير أى هو واقع موقعه (فَكَأَيِّنْ) أى كم (مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْتُهَا) وفى قراءة أهلكناها (وَهِيَ ظَالِمَةٌ) أى أهلها بكفرهم (فَهِيَ خَاوِيَةٌ) ساقطة (عَلَى عُرُوشِهَا) سقوفها (وَ) كم من (بِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ) متروكة بموت أهلها (وَقَصْرٍ مَشِيدٍ) رفيع خال بموت أهله (أَفَلَمْ يَسِيرُوا) أى كفار مكة (فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا) ما نزل بالمكذبين قبلهم (أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا) أخبارهم بالإهلاك وخراب الديار فيعتبروا (فَإِنَّهَا) أى القصة (لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) تأكيد (وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ) بانزال العذاب فأنجزه يوم بدر (وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ) من أيام الآخرة بسبب العذاب (كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ) بالتاء والياء فى الدنيا ،

(وكأين

(قوله وكأين من قرية) أتى هنا بالواو لمناسبة ماقبلها فى قوله : ولن يخلف الله وعده و إن يوما الخ بخلاف الأولى فأتى بالفاء لمناسبة ماقبلها فى قوله : فكيف كان نكير ، فأتى كلّ بما يناسبه (قوله قل ياأيها الناس) للموصوفون باستعجال العذاب وقد جرت عادة الله فى كتابه أنه يخاطب المؤمنين بياأيها الذين آمنوا وكفار مكة بياأيها الناس (قوله وأنا بشير للمؤمنين) قدّره إشارة إلى أن فى الآية اكتفاء بدليل التعميم المذكور بعد (قوله لهم مغفرة) أى من الذنوب الصغائر والكبائر (قوله والذين سعوا) أى اجتهدوا (قوله بإبطالها) الباء بمعنى فى ، والمعنى اجتهدوا فى إبطالها حيث قالوا فى القرآن إنه أساطير الأوّلين وسحر وكهانة (قوله من اتبع النبيّ) أشار به إلى أن مفعول معجزين محذوف (قوله و يثبطونهم) أى يعوّقونهم و يشغلونهم (قوله أومقدّرين عجزنا) أى فالمفعول محذوف تقديره الله ، والمعنى عليه ظانين عجزنا عنهم (قوله وفى قراءة معاجزين) أى وهى سبعية أيضا وتقدير المفعول عليها معاجزين الله أى مسابقين له ، ومعنى مسابقتهم ظنهم الفرار من عذاب الله ، ومعنى مسابقة الله إنزال العذاب بهم وعدم فرارهم منه (قوله يظنون أن يفوتونا) أى فلا يلحقهم عذابنا (قوله أصحاب الجحيم) أى ما لهم لها وهى معدّة لهم (قوله وما أرسلنا من قبلك الخ) هذه تسلية ثانية لرسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله من

(وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا) المراد أهلها (وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ) المرجع (قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ) أى أهل مكة (إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ) بيّن الانذار وأنا بشير للمؤمنين (فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ) من الذنوب (وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) هو الجنة (وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا) القرآن بإبطالها (مُعَجِّزِينَ) من اتبع النبى أى ينسبونهم إلى العجز ويثبطونهم عن الإيمان أو مقدرين عجزنا عنهم ، وفى قراءة معاجزين مسابقين لنا أى يظنون أن يفوتونا بإنكارهم البعث والعقاب (أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ) النار (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ) هو نبى أمر بالتبليغ (وَلَا نَبِيٍّ) أى لم يؤمر بالتبليغ (إِلَّا إِذَا تَمَنَّى) قرأ (أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ) قراءته ماليس من القرآن مما يرضاه المرسل إليهم وقد قرأ النبى صلى الله عليه وسلم فى سورة النجم بمجلس من قريش بعد : أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى بإلقاء الشيطان على لسانه من غير علمه صلى الله عليه وسلم به : تلك الغرانيق العلا و إن شفاعتهن لترتجى ، ففرحوا بذلك ثم أخبره جبريل بما ألقاه الشيطان على لسانه من ذلك فحزن فسلى بهذه الآية ليطمئن (فَيَنْسَخُ اللَّهُ) يبطل (مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ) يثبتها (وَاللَّهُ عَلِيمٌ) بإلقاء الشيطان ماذكر (حَكِيمٌ) فى تمكينه منه يفعل مايشاء

رسول) من زائدة فى المفعول أى رسولا (قوله هو نبيّ أمر بالتبليغ) أى إنسان ذكر حرّ أوحى إليه بشرع وأمر بتبليغه (قوله ولا نبيّ) عطف على رسول . إن قلت إن تفسير النبيّ بكونه لم يؤمر بالتبليغ ينافى قوله أرسلنا . أجيب بأن الإرسال معناه البعث لنفسه لأنه أوحى إليه بشرع يعمل به فى نفسه وليس مأمورا بتبليغه للخلق أو يقدر قبل قوله ولا نبي ما يناسبه كأن يقال مثلا ولا أنبأنا من نبيّ على حد : * علفتها تبنا وماء باردا * (قوله أى لم يؤمر بالتبليغ) أشار المفسر بهذا إلى أن العطف فى الآية مغاير و إن كان لفظ النبيّ أعم (قوله قراءته) إنما سميت القراءة أمنية لأن القارئ إذا وصل إلى آية رحمة تمنى حصولها أو آية عذاب تمنى البعد عنه (قوله ماليس من القرآن) مفعول ألقى (قوله مما يرضاه) بيان لما (قوله المرسل إليهم) أى وهم الكفار (قوله وقد قرأ النبيّ) أشار بذلك إلى أن سبب نزول هذه الآية قراءة النبيّ سورة النجم ، وذلك كان فى رمضان سنة خمس من البعثة وكانت الهجرة إلى الحبشة فى رجب من تلك السنة ، وقدوم المهاجرين إلى مكة كان فى شوال من تلك السنة (قوله بإلقاء الشيطان) متعلق بقرأ (قوله تلك الغرانيق) معمول قرأ ، والغرانيق فى الأصل الذكور من طير الماء واحدها غرنوق كفردوس أو غرنوق كعصفور ، وكانوا يزعمون أن الأصنام تقرّبهم من الله وتشفع لهم فشبهت بالطيور التى تعلو فى السماء وترتفع (قوله ففرحوا بذلك) أى بما سمعوه وقالوا ماذكر آلهتنا بخير قبل اليوم (قوله يبطل) أى يزيل فالنسخ فى اللغة معناه الإزالة وماذكره المفسر من قصة الغرانيق رواية عامة المفسرين الظاهريين . قال الرازى : أما أهل التحقيق فقد قالوا هذه الرواية باطلة موضوعة ، واحتجوا على البطلان بالقرآن والسنة والمعقول ، أما القرآن فبوجوه :

أحدها قوله تعالى : ولو تقول علينا بعض الأقاويل الآية . ثانيها : قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى الآية . ثالثها قوله تعالى : وماينطق عن الهوى . وأما السنة فمنها ماروى عن محمد بن خزيمة أنه سئل عن هذه القصة فقال هى من وضع الزنادقة وقال البيهقى هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل فقد روى البخارى فى صحيحه « أنه صلى الله عليه وسلم قرأ سورة النجم وسجد فيها المسلمون والكفار والانس والجن » وليس فيه حديث الغرانيق ، وأما المعقول فمن أوجه : أحدها أن من جوّز على النبىّ صلى الله عليه وسلم تعظيما للأوثان فقد كفر . ثانيها لوكان الالقاء على الرسول ثم الازالة عنه لكانت عصمته من أول الأمر أولى وهوالذى يجب علينا أعتقاده فى كل نبىّ . ثالثها وهوأقوى الأوجه أنا لوجوّزنا ذلك لارتفع الأمان عن شرعه ، ثم قال الرازى وقد عرفنا أن هذه القصة موضوعة وخبرالواحد لايعارض الدلائل العقلية والنقلية المتواترة قاله الخطيب . ثم قال وهذا هو الذى يطمئن إليه القلب و إن أطنب ابن حجر العسقلانى فى صحتها اهـ ، و يكون معنى الآية على هذا التحقيق ألقى الشيطان فى أمنيته أى تلاوته شبها وتخيلات فى قلوب الأمم بأن يقول لهم الشيطان هذا سحر وكهانة فينسخ الله تلك الشبه من قلوب من أراد لهم الهدى و يحكم الله آياته فى قلوبهم

والله عليم بما ألقاه الشيطان فى قلوبهم حكيم فى تسليطه عليهم ليميز المفسد من المصلح (قوله ليجعل مايلقى الشيطان) متعلق بيحكم أى ثم يحكم الله آياته ليجعــل الخ (قوله والقاسية قلوبهم) عطف على الذين أى فتنة للقاسيـة قلوبهم (قوله حيث جرى عـلى لسانه الخ) قد علمت أن هذا خلاف الصواب والصواب أن يقول حيث سـلط الشيطان عليهم بالوسوسة والطعن فى القرآن (قوله وليعــلم) عطف على ليجعل (قوله فيؤمنوا به) أى بالقرآن (قوله أى دين الاسلام) أى وسمى صراطا لأنه يوصل لمرضاة الله كما أن الصراط يوصل لدار النعيم

(لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً) محنة (لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) شك ونفاق (وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ) أى المشركين عن قبول الحق (وَإِنَّ الظَّالِمِينَ) الكافرين (لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ) خلاف طويل مع النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين حيث جرى على لسانه ذكر آلهتهم بما يرضيهم ثم أبطل ذلك (وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ) التوحيد والقرآن (أَنَّهُ) أى القرآن (الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ) تطمئن (لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ) طريق (مُسْتَقِيمٍ) أى دين الاسلام (وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ) شك (مِنْهُ) أى القرآن بما ألقاه الشيطان على لسان النبى ثم أبطل (حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً) أى ساعة موتهم أو القيامة فجأة (أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ) هو يوم بدر لا خير فيه للكفار كالريح العقيم التى لاتأتى بخير ، أو هو يوم القيامة لاليل له (الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ) أى يوم القيامة (لِلَّهِ) وحده وما تضمنه من الاستقرار ناصب للظرف (يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ) بين المؤمنين والكافرين بما بيّن بعده (فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ) فضلا من الله (وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ) شديد بسبب كفرهم (وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) أى طاعته من مكة إلى المدينة (ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا)

هو

(قوله ولايزال الذين كفروا) رجوع لذكر حال الكفار ومام عليه (قوله أى القرآن) أشار بذلك إلى أن الضمير عائد على القرآن وقيل عائد على الرسول أى فى شك من أمر الرسول من كونه صادقا أولا (قوله بما ألقاه الشيطان على لسان النبى) هذا خلاف الصواب ، والصواب أن يقول بما ألقاه الشيطان فى قلوب من أضلهم الله (قوله يوم عقيم) العقم فى الأصل عدم الولادة فشبه اليوم الذى لاخير فيه بمرأة عقيم وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشىء من لوازمه وهوالعقم فاثباته تخييل والجامع عدم الثمرة فى كل (قوله يومئذ) التنوين عوض عن جملة أى الملك يوم تأتيهم الساعة بغتة أو يأتيهم العذاب يوم القيامة لله ، ومعنى كونه لله عدم نسبة شىء فى الملك لأحد سواه فى ذلك اليوم (قوله ناصب للظرف) أى قوله يومئذ (قوله يحكم بينهم) جملة مستأنفة سيقت جوابا لسؤال مقدر تقديره ماذا يصنع بهم (قوله فضلا من الله) أى لابسبب أعمالهم (قوله والذين هاجروا) مبتدأ خبره ليرزقنهم الله وخصهم بالذكر و إن كانوا داخلين فى جملة المؤمنين تعظيما لشأنهم (قوله ثم قتلوا) أى فى الحروب وقوله أوماتوا أى على فراشهم من غير قتل .

(قوله هو رزق الجنة) أى التنعم فيها (قوله أفضل المعطين) أى فالمراد بالرزق الاعطاء وهو ينسب للخالق كما ينسب للخالق إلا أن نسبته للخالق حقيقة ولغيره مجاز (قوله ليدخلنهم الخ) إما مستأنف أو بدل من قوله ليرزقنهم (قوله بضم الميم وفتحها) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله حليم) أى فلا يعجل بالعقوبة على من عصاه بل يمهله ليتوب فيستحق الجنة (قوله ذلك الذى قصصناه عليك) أى من وعد المؤمنين ووعيد الكافرين واسم الاشارة خبر لمحذوف تقديره الأمر الذى قصصناه عليك ذلك : أى لاتغيير فيه ولاتبديل فهى كلمة يؤتى بها للانتقال من كلام إلى آخر (قوله ومن عاقب) العقاب مأخوذ من التعاقب وهو مجئ الشئ بعد غيره وحينئذ فقوله عاقب بمعنى جازى حقيقة لغوية ، وأما قوله ـ بمثل ماعوقب به ـ أتى به لمشاكلة الأول للازدواج نظير ـ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ـ والباء فى بمثل للآلة والباء فى به للسببية (قوله أى قاتلهم) أى قاتل من كان يقاتله نزلت هذه الآية فى قوم من المشركين لقوا قوما من المسلمين لليلتين بقيتا من المحرم فقالوا إن أصحاب محمد يكرهون القتال فى الشهر الحرام فاحملوا عليهم فناشدهم المسلمون أن لايقاتلوهم فى الشهر الحرام فأبوا وحملوا عليهم وثبت المسلمون ونصرهم الله عليهم ، و إلى هذا يشير المفسر بقوله: غفور لهم عن قتالهم فى

الشهر الحرام ، وقيل نزلت فى قوم من المشركين مثلوا بقوم من المسلمين قتلوهم يوم أحد فعاقبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثله ، وقيل إنها عامة فى النبي وأصحابه ، وذلك أن المشركين كذبوا نبيهم وآذوا من آمن به وأخرجوهم من مكة فوعد الله بالنصر محمدا وأصحابه فإنهم حزب الله والكفار حزب الشيطان (قوله غفور لهم) أى ما فعلوا لأنهم فعلوه دفعا عن أنفسهم لا تجريا على المحرم (قوله ذلك) مبتدأ و بأن الله خبره (قوله بأن يزيد) أى الآخر ، وقوله ذلك : أى الايلاج فهو إشارة إلى أن الايلاج دليل القدرة والقدرة دليل النصر لأن القادر على إدخال كل منهما فى الآخر قادر على نصر أحبابه وخذلان أعدائه (قوله وأن الله) بالفتح فى قراءة العامة عطف على أن الأولى وقرئ شذوذا بالكسر استئنافا (قوله ذلك بأن الله) مبتدأ وخبر وقوله هو إما مبتدأ أو ضمير فصل (قوله الثابت) الذى لايقبل الزوال أزلا ولا أبدا (قوله بالياء والتاء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله الزائل) أى الفانى الذى لابقاء له (قوله وأن الله هو العلى الكبير) نتيجة ماقبله من الأوصاف (قوله ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء) شروع فى ذكر ستة أدلة على كونه هو الحق وما سواه باطل وفى الحقيقة كل دليل نتيجة للدليل الذى قبله ففى الأدلة الترقى فى الاحتجاج والمعرفة فتأمل . الأول إنزال الماء الناشئ عنه اخضرار الأرض . الثانى قوله ـ له مافى السموات وما فى الأرض ـ . الثالث تسخير مافى الأرض . الرابع تسخير الفلك . الخامس إمساك السماء . السادس الاحياء ثم الإماتة ثم الاحياء ثانيا (قوله تعلم) فسر الرؤية بالعلم دون الابصار لأن الماء و إن كان مرئيا إلا أن كون الله منزلا له من السماء غير مرئى (قوله مطرا) لامفهوم له لأن النيل وماء الآبار من السماء إلا أن يقال اقتصر على المطر لأنه هو المشاهد نزوله من جهة السماء دون غيره (قوله فتصبح الأرض مخضرة) عبر بالمضارع اشارة الى استمرار النفع به بعد نزوله .

هو رزق الجنة (وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) أفضل المعطين (لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا) بضم الميم وفتحها أى إدخالا أو موضعا (يَرْضَوْنَهُ) وهو الجنة (وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ) بنياتهم (حَلِيمٌ) عن عقابهم ، الأمر (ذَٰلِكَ) الذى قصصناه عليك (وَمَنْ عَاقَبَ) جازى من المؤمنين (بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ) ظلما من المشركين أى قاتلهم كما قاتلوه فى الشهر المحرم (ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ) منهم أى ظلم بإخراجه من منزله (لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ) عن المؤمنين (غَفُورٌ) لهم عن قتالهم فى الشهر الحرام (ذَٰلِكَ) النصر (بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ) أى يدخل كلا منهما فى الآخر بأن يزيد به وذلك من أثر قدرته تعالى التى بها النصر (وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ) دعاء المؤمنين (بَصِيرٌ) بهم حيث جعل فيهم الإيمان فأجاب دعاءهم (ذَٰلِكَ) النصر أيضا (بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ) الثابت (وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ) بالياء والتاء : يعبدون (مِنْ دُونِهِ) وهو الأصنام (هُوَ الْبَاطِلُ) الزائل (وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ) أى العالى على كل شىء بقدرته (الْكَبِيرُ) الذى يصغر كل شىء سواه (أَلَمْ تَرَ) تعلم (أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً) مطرا (فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً) بالنبات وهذا من أثر قدرته (إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ) بعباده فى إخراج النبات بالماء

(قوله بما فى قلوبهم عند تأخير المطر) أى من التأثر والقنوط (قوله على جهة الملك) أى فلا ملك لأحد معه (قوله سخر لكم مافى الأرض) أى ذلل لكم مافيها من الدواب لتنتفعوا بها (قوله والفلك) بالنصب فى قراءة العامة عطف على ما فى قوله ما فى الأرض: أى وسخر لكم الفلك، وأفردها بالذكر لكون تسخيرها أعجب من سائر المسخرات والفلك يطلق على الواحد والجمع بلفظ واحد فوزن الواحد قفل ووزن الجمع بدن (قوله من أن أو لئلا تقع) أشار بذلك إلى أنّ أن تقع إما فى محل نصب على المفعول لأجله: أى لأجل أن لا تقع أو فى محل جرّ على حذف حرف الجرّ، والتقدير من أن تقع: أى من وقوعها (قوله إلا بإذنه) استثناء مفرغ من معنى قوله ـ و يمسك السماء أن تقع على الأرض ـ، والتقدير لايتركها تقع فى حال من الأحوال إلا فى حالة كونها ملتبسة بمشيئة الله تعالى (قوله وهو الذى أحياكم) أى أوجدكم من العدم لتسعدوا أو تشقوا فكل من الاحياء الأوّل والثانى إما نعمة أو نقمة (قوله ثم يحييكم عند البعث) أى للثواب أو العقاب (قوله إن الانسان لكفور) أى جحود لنعم خالقه (قوله لكل أمة) أى أهل دين فالمراد بالأمة من له ملة وشرع (قوله بفتح السين وكسرها)

(خَبِيرٌ) بما فى قلوبهم عند تأخير المطر (لَهُ مَا فِي السَّمَٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) على جهة الملك (وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ) عن عباده (الْحَمِيدُ) لأوليائه (أَلَمْ تَرَ) تعلم (أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ) من البهائم (وَالْفُلْكَ) السفن (تَجْرِي فِي الْبَحْرِ) للركوب والحمل (بِأَمْرِهِ) بإذنه (وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ) من (أَنْ) أو لئلا (تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ) فتهلكوا (إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ) فى التسخير والإمساك (وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ) بالإنشاء (ثُمَّ يُمِيتُكُمْ) عند انتهاء آجالكم (ثُمَّ يُحْيِيكُمْ) عند البعث (إِنَّ الْإِنْسَانَ) أى المشرك (لَكَفُورٌ) لنعم الله بتركه توحيده (لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا) بفتح السين وكسرها: شريعة (هُمْ نَاسِكُوهُ) عاملون به (فَلَا يُنَازِعُنَّكَ) يراد به لا تنازعهم (فِي الْأَمْرِ) أى أمر الذبيحة إذ قالوا ماقتل الله أحق أن تأكلوه مما قتلتم (وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ) أى إلى دينه (إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى) دين (مُسْتَقِيمٍ. وَإِنْ جَادَلُوكَ) فى أمر الدين (فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ) فيجازيكم عليه وهذا قبل الأمر بالقتال (اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ) أيها المؤمنون والكافرون (يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) بأن يقول كل من الفريقين خلاف قول الآخر (أَلَمْ تَعْلَمْ) الاستفهام فيه للتقرير (أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ) أى ما ذكر (فِي كِتَابٍ) هو اللوح المحفوظ،

(إن

أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله شريعة) أى أحكام دين لكل أمة معينة من الأمم بحيث لاتتخطى أمة منهم شريعتها المعينة لها إلى شريعة أخرى فالأمة التى كانت من مبعث موسى إلى مبعث عيسى منسكهم التوراة ومن مبعث عيسى إلى مبعث محمد صلى الله عليه وسلم منسكهم الانجيل والأمة الموجودون عند مبعث النبى صلى الله عليه وسلم ومن بعدهم إلى يوم القيامة منسكهم القرآن لاغيره وحينئذ فقوله فلا ينازعنك فى الأمر: أى لاينازعك هؤلاء الأمم فى أمر دينك زعما منهم أن شريعتهم باقية لم تنسخ فان التوراة والانجيل شريعتان لمن مضى من الأمم قبل بعث محمد ومن وقت بعثته انتسخ كلّ شرع سوى شرعه صلى الله عليه وسلم. إذا علمت ذلك فقول المفسر فلا ينازعنك فى الأمر: أى أمر الذبيحة الخ لايسلم لأنه يقتضى أن يكون أكل الميتة من جملة المناسك والشرائع التى جعلها الله لبعض الأمم ولا شك فى بطلان ذلك فكان المناسب له أن يفسر الآية بما فسرناها به (قوله وادع إلى ربك) أى ادعهم أو ادع الناس عموما (قوله وهذا قبل الأمر بالقتال) أى فهو منسوخ بآية القتال وهذا أحد قولين، وقيل إن الآية محكمة، وحينئذ فيكون المعنى اترك جدالهم وفوّض الأمر الى الله بقولك الله أعلم بما تعملون فيكون وعيدا لهم على أعمالهم حيث داموا على الكفر وهو لا ينافى قتالهم لأن القتال يرفعه أحد أمرين الاسلام أو الجزية مع البقاء على الكفر (قوله الله يحكم بينكم) أى يقضى و يفصل (قوله الاستفهام فيه للتقرير) أى وهو حمل المخاطب على الاقرار بالحكم (قوله هو اللوح المحفوظ) هو من درّة بيضاء فوق السماء السابعة معلق فى الهواء طوله مابين السماء والأرض وعرضه ما بين المشرق والمغرب

(قوله أى علم ماذكر) أى الموجود فى السماء والأرض (قوله سلطانا) أى من جهة الوحى (قوله ومالبس لهم به علم) أى دليلى عقلى (قوله حال) أى من آيات (قوله فى وجوه الذين كفروا) وضع الظاهر موضع الضمر تبكيتا عليهم (قوله أى الانكار لها) أشار بذلك إلى أن المنكر مصدرميمى على حذف مضاف (قوله يكادون يسطون) هذه الجملة حال إمامن الموصول أومن الوجوه وضمن يسطون معنى يبطشون فعداه بالباء و إلا فهو متعدّ بعلى (قوله النار) قدّر المفسر الضمير إشارة إلى أن النار خبر لمحذوف كأنه قيل وما الأشر فقيل هوالنار (قوله وعدها الله الذين كفروا) وعد تتعدّى لمفعولين الهاء مفعول ثان مقدم والذين كفروا مفعول أول مؤخر نظير قوله تعالى ـ وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم ـ ويصحّ العكس بأن يجعل الضمير هو المفعول الأول والذين كفروا هو المفعول الثانى ، وإليه يشير المفسر بقوله بأن مصيرهم إليها حيث جعل الذين كفروا هو الموعود به والنار هى الموعودة ، والمعنى جعل الله الكفار طعاما للنار وعدها بهم والأوّل أنسب من جهة العربية لأن المفعول الأول شرطه صلاحيته للأخذ كأعطيت زيدا درهما (قوله يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له)

(إِنَّ ذَٰلِكَ) أى علم ماذكر (عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ) سهل (وَيَعْبُدُونَ) أى المشركون (مِنْ دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ) هو الأصنام (سُلْطَٰنًا) حجة (وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ) أنها آلهة (وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ) بالإشراك (مِن نَّصِيرٍ) يمنع عنهم عذاب الله (وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا) من القرآن (بَيِّنَٰتٍ) ظاهرات حال (تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ) أى الإنكار لها ، أى أثره من الكراهة والعبوس (يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا) أى يقعون فيهم بالبطش (قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ) أى بأكره إليكم من القرآن المتلوّ عليكم ، هو (ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟) بأن مصيرهم إليها (وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ) هى (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ) أى أهل مكة (ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ) وهو (إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ) تعبدون (مِن دُونِ ٱللَّهِ) أى غيره وهم الأصنام (لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا) اسم جنس ، واحده ذبابة يقع على المذكر والمؤنث (وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ) لخلقه (وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا) مما عليهم من الطيب والزعفران الملطخون به (لَّا يَسْتَنقِذُوهُ) لايستردوه (مِنْهُ) لعجزهم فكيف يعبدون شركاء لله تعالى ؟ هذا أمر مستغرب عبر عنه بضرب المثل (ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ) العابد (وَٱلْمَطْلُوبُ) المعبود ،

هذه الآية مرتبطة بقوله ـ ويعبدون من دون الله مالم ينزل به سلطانا ـ فالخطاب و إن كان لأهل مكة إلا أن المراد به عموم من كان يعبد الأصنام . والمثل فى اللغة مرادف للمثل والشبه والنظير ثم صار حقيقة عرفية فى ما شبه مضربه بمورده كقولهم الصيف ضيعت اللبن ، وليس مرادا هنا بل المراد به الأمر الغريب والقصة العجيبة وإليه يشير المفسر فى آخر العبارة بقوله هذا أمر مستغرب (قوله فاستمعوا له) أى اصغوا إليه لتعتبروا (قوله وهو) أى المثل المضروب (قوله واحده ذبابة) أى ويجمع على ذبان بالكسر كغربان وذبان بالضم كقضبان وأذبة كأغربة مأخوذ من ذب إذا طرد وآب إذا رجع لأنه يذب فيرجع وهوأحرص الحيوانات وأجهلها لأنه يرمى نفسه فى المهلكات ، ومدة عيشه أربعون يوما ، وأصل خلقته من العفونات ، ثم يتوالد بعضه من بعض يقع روثه على الشىء الأبيض فيرى أسود وعلى الأسود فيرى أبيض (قوله ولواجتمعوا له) الجملة حالية كأنه قال انتفى خلقهم الذباب على كل حال ولوفى حال اجتماعهم (قوله و إن يسلبهم) أى يأخذ ويختطف منهم (قوله مما عليهم من الطيب والزعفران الخ) أى لأنهم كانوا يطلون الأصنام بالزعفران ورؤوسها بالعسل ويغلقون عليها الأبواب فيدخل الذباب من الكوى فيأكله ، وكانوا يحلونها باليواقيت واللآلىء وأنواع الجواهر ويطيبونها بأنواع الطيب فربما سقط شىء منها فيأخذه طائر أوذباب فلا تقدر الآلهة على استرداده (قوله الملطخون بها) المناسب أن يقول الملطخين لأنه نعت سببى للطيب والزعفران (قوله لايستنقذوه) أى لايخلصوه منه (قوله عبر عنه بضرب المثل) جواب عما يقال إن الذى ضرب و بين ليس بمثل حقيقة فكيف سماه مثلا ، فأجاب بأن القصة العجيبة تسمى مثلا تشبيها لها ببعض الأمثال فى الغرابة .

(قوله ماقدروا الله حق قدره) هذه الآية قيل غير مرتبطة بما قبلها وعليه فيكون سبب نزولها كما قيل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا وحوله أصحابه وفى القوم مالك بن أبى الصيف من أحبار اليهود ، فقال له رسول الله ناشدتك الله هل رأيت فى التوراة أن الله يبغض الحبر السمين ؟ فقال نعم ؟ فقال له رسول الله : وأنت حبر سمين ، فضحك القوم ، فالتفت مالك إلى عمر ابن الخطاب وقال ـ ماأنزل الله على بشر من شئ ـ وقيل سبب نزولها أن اليهود قالوا خلق الله السموات يوم الأحد والأرض يوم الاثنين والجبال يوم الثلاثاء والأوراق والأشجار يوم الأربعاء والشمس والقمر فى يوم الخميس وخلق آدم وحواء فى يوم الجمعة ثم استوى على ظهره ووضع إحدى رجليه على الأخرى واستراح ، فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقيل إنها من تمة المثل وعليه درج المفسر (قوله الله يصطفى) أى يختار (قوله من الملائكة رسلا) إن قلت إن هذا يقتضى أن يكون الرسل بعض الملائكة لاكلهم ، وآية فاطر تقتضى أن الكل رسل . أجيب بأن التبعيض بالنسبة لإرسالهم لبنى آدم والجميع رسل بالنسبة لبعضهم بعضا (قوله ومن الناس رسلا) أشار بذلك إلى أن فى الآية الحذف من الثانى لدلالة الأول عليه (قوله نزل لما قال المشركون) القائل هو الوليد بن المغيرة ووافقه على ذلك قومه (قوله كجبريل الخ) مثل باثنين من الملائكة واثنين من الانس (قوله ماقدموا) أى من الاعمال (قوله وما خلفوا) أى لم يعملوه بالفعل (قوله أو ماعملوا) أى بالفعل وقوله وما هم عاملون : أى فى المستقبل (قوله ترجع الأمور) أى تصير أمور الخلائق إليه تعالى ويجازى كلا بعمله (قوله أى صلوا) أى وعبر عنها بالركوع والسجود من باب تسمية الشئ باسم أشرف أجزائه (قوله كصلة الرحم ومكارم الأخلاق) أى وغيرها من الخيرات الواجبة والمندوبة (قوله لعلكم تفلحون) الترجى فى القرآن بمنزلة التحقيق فالفلاح محقق لمن فعل هذه الأمور (قوله وجاهدوا فى الله) أى أعداءكم الظاهرية والباطنية ، فالظاهرية فرق الضلال والكفر ، ومجاهدتها معلومة ويسمى الجهاد الأصغر ، والباطنية النفس والهوى والشيطان ، ومجاهدتها الامتناع من شهواتها شيئا فشيئا ويسمى الجهاد الأكبر كما فى الحديث ، ووجه تسميته أكبر أن الأعداء الظاهرية تحضر تارة وتغيب أخرى وتصالح وإذا قتلها الشخص أو قتلته فهو فى الجنة بخلاف الأعداء الباطنية فلاتغيب أصلا ولا يمكن الصلح معها وإذا قتلت صاحبها وغلبته فهو فى النار (قوله حق جهاده) من إضافة الصفة للموصوف : أى جهادا حقا (قوله هو اجتباكم) أى اصطفاكم وجعلكم أمة وسطا (قوله وماجعل عليكم فى الدين من حرج) المراد بالدين أصوله وفروعه حيث لم يشدد عليهم كما شدد على من قبلهم ، فمن ذلك قبول توبتهم إذا ندموا وأقلعوا ولم يجعل توبتهم قتل أنفسهم ، وإذا أذنب الشخص منهم ذنبا ستره الله ولم يفضحه فى الدنيا بأن يجده مكتوبا فى جبهته أو على باب داره كما كان فيمن قبلهم وجعل النجاسة تزال بالماء دون قطع محلها وغير ذلك . إن قلت كيف لاحرج فى الدين مع أن اليد تقطع بسرقة ربع دينار والمحصن يرجم بزنا مرة ونحو ذلك . أجيب بأن رفع الحرج لمن استقام على منهاج الشرع ، وأما السراق وأصحاب الحدود فقد انتهكوا حرمة الشرع وانتقلوا من السهولة للصعوبة لأن الله لم يحرم المال مطلقا ولا النكاح مطلقا بل أحل أشياء وحرم أشياء لها جزاء من يتعدى

(مَاقَدَرُوا اللَّهَ) عظموه (حَقَّ قَدْرِهِ) عظمته إذ أشركوا به مالم يمتنع من الذباب ولا ينتصف منه (إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ) غالب (اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ) رسلا . نزل لما قال المشركون أأنزل عليه الذكر من بيننا (إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ) لمقالتهم (بَصِيرٌ) بمن يتخذه رسولا كجبريل وميكائيل وإبراهيم ومحمد وغيرهم صلى الله عليهم وسلم (يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ) أى ماقدموا وما خلفوا ، أو ماعملوا وماهم عاملون بعد (وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا) أى صلوا (وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ) وحدوه (وَافْعَلُوا الْخَيْرَ) كصلة الرحم ومكارم الأخلاق (لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) تفوزون بالبقاء فى الجنة (وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ) لإقامة دينه (حَقَّ جِهَادِهِ) باستفراغ الطاقة فيه ، ونصب حق على المصدر (هُوَ اجْتَبَاكُمْ) اختاركم لدينه (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ) أى ضيق بأن سهله عند الضرورات كالقصر والتيمم وأكل الميتة والفطر للمرض والسفر (مِلَّةَ أَبِيكُمْ) .

منصوب

الحدود إلا التشديد عليه (قوله بنزع الخافض الكاف) أى كملة أبيكم فالتشبيه فى أصول الدين وفى سهولة الفروع (قوله هو سماكم المسلمين) أشار المفسر إلى أن الضمير عائد على الله تعالى وقيل الضمير عائد على إبراهيم (قوله أى قبل هذا الكتاب) أى فى الكتب القديمة (قوله وفى هذا) أى بقوله ـ ورضيت لكم الاسلام دينا ـ (قوله ليكون الرسول) متعلق بسماكم واللام للعاقبة (قوله داوموا عليها) أى بشروطها وأركانها (قوله وآتوا الزكاة) أى لمستحقيها (قوله ثقوا) أى فى جميع أموركم (قوله هو) قدره إشارة إلى أن المخصوص بالمدح محذوف ويحذفه من الثانى لدلالة هذا عليه.

[سورة المؤمنون مكية] سورة مبتدأ والمؤمنون مضاف إليه مجرور بياء مقدرة منع من ظهورها اشتغال المحل بواو الحكاية ومكية خبر وظاهره أن جميعها مكى، وقيل إلا ثلاث آيات وهى قوله ولو رحمناهم إلى آخرها فانهن مدنيات (قوله وثمان) هذا قول الكوفيين وقوله أو تسع عشرة آية هو قول البصريين، وسبب هذا اختلافهم فى قوله تعالى ـ ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا وسلطان مبين هل هو آية كما قاله البصريون أو بعض آية كما قاله الكوفيون (قوله قد للتحقيق) أى لتحقيق ما يحصل فى المستقبل وتنزيله منزلة الواقع (قوله فاز المؤمنون) أى ظفروا بمقصودهم ونجوا من كل مكروه

منصوب بنزع الخافض الكاف (إِبْرَاهِيمَ) عطف بيان (هُوَ) أى الله (سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ) أى قبل هذا الكتاب (وَفِي هَٰذَا) أى القرآن (لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ) يوم القيامة أنه بلغكم (وَتَكُونُوا) أنتم (شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ) أن رسلهم بلغتهم (فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ) داوموا عليها (وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ) ثقوا به (هُوَ مَوْلَاكُمْ) ناصركم ومتولى أموركم (فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ) هو (وَنِعْمَ النَّصِيرُ) أى الناصر لكم.

(سورة المؤمنون)

مكية، وهى مائة وثمان أو تسع عشرة آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ. قَدْ) للتحقيق (أَفْلَحَ) فاز (الْمُؤْمِنُونَ. الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ) متواضعون (وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ) من الكلام وغيره (مُعْرِضُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ) مؤدون (وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ) عن الحرام (إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ) أى من زوجاتهم (أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ) أى السرارى (فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ) فى إتيانهن (فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ) من الزوجات والسرارى،

قال تعالى ـ فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز ـ والمؤمنون جمع مؤمن وهو المصدق بالله ورسله وملائكته وكتبه واليوم الآخر والقدر خيره وشره حلوه ومره (قوله خاشعون) أى ظاهرا وباطنا فالخشوع الظاهرى التمسك بآداب الصلاة كعدم الالتفات والعبث وسبق الامام ووضع اليد فى الخاصرة وغير ذلك، والخشوع الباطنى استحضار عظمة الله وعدم التفكر بدنيوى، وقدم الصلاة لأنها أعظم أركان الدين بعد الشهادتين (قوله والذين هم عن اللغو) المراد به كل ما لا يعود على الشخص منه فائدة فى الدين أو الدنيا كان قولا أو فعلا أو مكروها أو مباحا كالهزل واللعب وضياع الأوقات فيما لا يعنى والتوغل فى الشهوات وغير ذلك مما نهى الله عنه، وبالجملة فينبغى للانسان أن يرى ساعيا فى حسنة لمعاده أو درهم لمعاشه و «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه» قوله والذين هم للزكاة) اعلم أن الزكاة تطلق على القدر المخرج كربع العشر من النقدين والعشر أو نصفه من الحرث والشاة من الأربعين وعلى المصدر الذى هو فعل الفاعل فعلى الأول يكون معنى فاعلون مؤدون لأن القدر المخرج لا معنى لفعله وعلى الثانى ففاعلون على بابه (قوله حافظون) أى مانعون (قوله عن الحرام) أى عن كل ما لا يحل وطؤه بوجه من الوجوه (قوله أى من زوجاتهم) أشار بذلك إلى أن على بمعنى من (قوله أو ما ملكت أيمانهم) عبر بما دون من وإن كان المقام له لأن الاناث ناقصات ولا سيما الأرقاء ففيهن شبه بالبهائم فى حل البيع والشراء (قوله أى السرارى) جمع سرية بالضم وهى فى الأصل الأمة التى بوئت ببيت مأخوذة من السر وهو الجماع أو الاخفاء لأن الانسان كثيرا ما يسرها ويسترها عن حرمته أو من السرور لأن مالكها يسر بها (قوله فانهم غير ملومين) علة للاستثناء.

(قوله كالاستمناء باليد) أى فهو حرام عند مالك والشافعى وأبى حنيفة ، وقال أحمد بن حنبل : يجوز بشروط ثلاثة أن يخاف الزنا وأن لايجد مهر حرة أو ثمن أمة وأن يفعله بيده لابيد أجنبى أوأجنبية (قوله والذين هم لأماناتهم) أى ما ائتمنوا عليه من حقوق الخالق كالصلاة والصوم والحج وفعل المعروف والنهى عن المنكر وحقوق الخلق كالودائع والصنائع وأعراض الخلق وعوراتهم (قوله جمعا ومفردا) أى فهماقراءتان سبعيتان (قوله وعهدهم) مرادف للأمانات (قوله حافظون) أى غير مضيعين لها (قوله يحافظون) أى يداومون عليها بشروطها وأركانها وآدابها ، ولكون الصلاة عماد الدين وأعظم أركانه ابتدأ بها أوصاف المؤمنين وختمها بها (قوله لاغيرهم) أخذ الحصر من وجود ضمير الفصل لأن الجملة المعرفة الطرفين تفيد الحصر وهو إضافى لاحقيقى لأنه ثبت أن الجنة يدخلها الأطفال والمجانين والعصاة الذين ماتوا على الإيمان بعد العفو لقوله تعالى ـ ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ـ أو يقال إن الحصر فيهم حقيقى بالنسبة للفردوس وباقى الجنان لمن لم يمت كافرا (قوله الذين يرثون الفردوس) عبر بالارث دون الاستحقاق لأن الارث ملك دائم (قوله ويناسبه ذكر المبدإ بعده) أشار بذلك إلى وجه المناسبة بين هذه الآية وما قبلها ، والمعنى أن الآية التى سبقت ذكر فيها المعاد وما يؤول إليه أمر من اتصف بتلك الصفات وهذه الآية ذكر فيها بيان المبدإ وحينئذ فبين الآيتين مناسبة وهذا أتم مما قيل إن هذه الآية جملة مستأنفة لا ارتباط لها

كالاستمناء باليد فى إتيانهن (فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ) المتجاوزون إلى مالا يحل لهم (وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ) جمعاً ومفرداً (وَعَهْدِهِمْ) فيما بينهم ، أو فيما بينهم و بين الله من صلاة وغيرها (رَاعُونَ) حافظون (وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ) جمعاً ومفرداً (يُحَافِظُونَ) يقيمونها فى أوقاتها (أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ) لا غيرهم (الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ) هو جنة أعلى الجنان (هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) فى ذلك إشارة إلى المعاد ويناسبه ذكر المبدإ بعده (وَ) الله (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ) آدم (مِنْ سُلَالَةٍ) هى من سللت الشىء من الشىء ، أى استخرجته منه وهو خلاصته (مِنْ طِينٍ) متعلق بسلالة (ثُمَّ جَعَلْنَاهُ) أى الانسان نسل آدم (نُطْفَةً) منيًا (فِى قَرَارٍ مَكِينٍ) هو الرحم (ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً) دمًا جامدا (فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً) لحما قدر ما يمضغ (فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا) وفى قراءة عظما فى الموضعين وخلقنا فى المواضع الثلاث بمعنى صيرنا (ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ) بنفخ الروح فيه (فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ)

عما قبلها (قوله ولقدخلقنا الانسان الخ) ذكر الله سبحانه وتعالى فى هذه الآيات من هنا إلى قوله وعلى الفلك تحملون أربعة أنواع من دلائل قدرته تعالى: الأول تقلب الانسان فى أطوار خلقته وهى تسعة آخرها قوله تبعثون . الثانى خلق السموات . الثالث إنزال الماء . الرابع منافع الحيوانات وذكر منها أربعة أنواع واللام موطئة لقسم محذوف قدره المفسر بقوله والله (قوله من سلالة) متعلق بخلقنا (قوله متعلق بسلالة) أى لأنه بمعنى مسلول (قوله أى الانسان نسل آدم) أشار المفسر بذلك إلى أن الضمير يعود على الانسان لكن لابالمعنى الأول وحينئذ ففى الكلام استخدام ويؤيده قوله تعالى فى الآية الأخرى ـ وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ـ (قوله فى قرار مكين) أى فى مقر متمكن وصف بذلك لأنه محفوظ لايطرأ عليه اختلال مع كونه ضيقا (قوله ثم خلقنا النطفة علقة) قيل كلها وقيل جزء منها والباقى يوضع نصفه فى موضع تربته والنصف الثانى يوضع فى السماء فاذا أراد الله إحياء الخلق من القبور أمطرت السماء منيا فتتلاقى النطف النازلة من السماء بالنطف الباقية فى الأرض فتوجد الخلائق بينهما وهذا هو حكمة قوله تعالى ـ كما بدأكم تعودون ـ (قوله وفى قراءة عظما) أى وهى سبعية أيضا (قوله ثم أنشأناه خلقا آخر) أى من غير توان ، والمعنى حولنا النطفة عن صفاتها إلى صفة لايحيط بها وصف الواصفين (قوله بنفخ الروح فيه) هذا قول ابن عباس والشعبى والضحاك ، وقيل الخلق الآخر هو خروجه إلى الدنيا ، وقيل خروج أسنانه وشعره ، وقيل كال شبابه والأتم أنه عام فى هذا وغيره من النطق والادراك وتحصيل المعقولات وجميع الأمور التى اشتمل عليها بنو آدم من الكمالات الحسية والمعنوية التى يشير لها قول بعض العارفين : وتحسب أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

(قوله فتبارك الله) أى تعاظم وارتفع قدره .

(قوله للمقدرين) أي المصورين ودفع بذلك مايقال إن اسم التفضيل يقتضي المشاركة مع أنه لاخالق غيره . فأجاب بأن المراد بالخلق التقدير لا الايجاد والابداع والتقدير حاصل من الحوادث (قوله للعلم به) أي من قوله الخالقين فانه يدل عليه (قوله بعد ذلك) أي من الأمور العجيبة (قوله يوم القيامة) أي عند النفخة الثانية . إن قلت ماحكمة اختلاف المتعاطفات بثم والفاء لأنه ورد أن مدة كل طور أربعون يوما فان نظر لآخر المدة وأولها اقتضى أن يعطف بثم و إن نظر لآخرها اقتضى أن يعطف بالفاء . أجيب بأنه نزل التفاوت بين الأطوار منزلة التراخي والبعد الحسي لأن حصول النطفة من التراب غريب جدا وكذا جعلها دما بخلاف جعل الدم لحما فهو قريب لمشابهته له في اللون أو الصورة وكذا جعلها عظما وأما جعلها خلقا آخر فغريب وكذا الموت والبعث فظهر حكمة التعبير في كل موضع بما يناسبه (قوله ولقد خلقنا فوقكم) المراد به جهة العلو لأن كونها فوق إنما هو بعد خلق الخلق و إلا فوقت خلق السموات لم يكونوا مخلوقين (قوله لأنها طرق الملائكة) أي في العروج والهبوط والطيران ، وقيل معنى طرائق مطروقات أي موضوعا بعضها فوق بعض فهو معنى طباقا في الآية الأخرى (قوله وأنزلنا من السماء) الجار والمجرور متعلق بأنزلنا (قوله بقدر) أي تقدير يجلب منافعهم ودفع مضارهم ، وقيل المعنى بقدر حاجاتهم و إليه يشير المفسر (قوله فأسكناه في الأرض) أي جعلناه ساكنا ثابتا مستقرا في الأرض بعضه على ظهرها و بعضه في بطنها (قوله و إنا على ذهاب به لقادرون) الباء في به للتعدية ، والمعنى و إنا لقادرون على إذهابه . روى الشيخان عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «إن الله عز وجل أنزل من الجنة خمسة أنهار سيحون وجيحون ودجلة والفرات والنيل أنزلها الله عز وجل من عين واحدة من عيون الجنة من أسفل درجة من درجاتها على جناحي جبريل استودعها الجبال وأجراها في الأرض وجعل فيها منافع للناس فذلك قوله تعالى وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض فاذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج أرسل الله عز وجل جبريل فرفع من الأرض القرآن والعلم كله والحجر الأسود من ركن البيت ومقام إبراهيم وتابوت موسى بما فيه وهذه الأنهار الخمسة فيرفع ذلك إلى السماء فذلك قوله تعالى و إنا على ذهاب به لقادرون فاذا رفعت هذه الأشياء كلها من الأرض فقد أهلها خير الدنيا والدين» (قوله لكم فيها) أي الجنات (قوله ومنها) أي من ثمر الجنات كالرطب والعنب والتمر والزبيب وغير ذلك (قوله وشجرة تخرج من طور سيناء) المراد بها شجرة الزيتون وخصت بسيناء لأن أصلها منه ثم نقلت وهي أول شجرة نبتت في الأرض بعد الطوفان وتبقى في الأرض كثيرا حتى قيل إنها تعمر ثلاثة آلاف سنة (قوله سيناء) قيل معناه المبارك أو الحسن أو الملتف بالأشجار وهو الجبل الذي نودي عليه موسى (قوله منع الصرف للعلمية والتأنيث) أي وقيل للعلمية والعجمة لأنه اسم أعجمي نطقت به العرب فاختلفت فيه لغاتهم فقالوا سيناء بكسر السين وفتحها وسينين فهو علم مركب كامرئ القيس ومنع من الصرف و إن كان جزء علم نظرا إلى أنه عومل معاملة العلم (قوله والتأنيث للبقعة) أي والهمزة فيه ليست للتأنيث بل للالحاق بقرطاس وهي منقلبة عن ياء أو واو لوقوعها متطرفة بعد ألف زائدة (قوله من الرباعي والثلاثي) أي فهما قراءتان سبعيتان .

أي المقدرين ومميز أحسن محذوف للعلم به ، أي خلقا (ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ . ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ) للحساب والجزاء (وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ) أي سبع سموات جمع طريقة لأنها طرق الملائكة (وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ) تحتها (غَافِلِينَ) أن تسقط عليهم فتهلكهم بل نمسكها كآية «ويمسك السماء أن تقع على الأرض» (وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ) من كفايتهم (فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ) فيموتون مع دوابهم عطشا (فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ) هما أكثر فواكه العرب (لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ) صيفا وشتاء (وَ) أنشأنا (شَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سِينَاءَ) جبل بكسر السين وفتحها ومنع الصرف للعلمية والتأنيث للبقعة (تَنْبُتُ) من الرباعي والثلاثي (بِالدُّهْنِ) الباء زائدة على الأول ومعدية على الثاني ، وهي شجرة الزيتون (وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ) عطف على الدهن أي إدام يصبغ اللقمة بغمسها فيه وهو الزيت ،

(قوله و إن لكم فى الأنعام لعبرة) عبر فى جانب الأنعام بالعبرة دون النبات لأن العبرة فيها أظهر (قوله مما فى بطونها) عبر بلفظ الجمع هنا لأن المراد هنا العموم بدليل العطف بقوله ولكم فيها منافع الخ وذكر الضمير فى النحل باعتبار البعض فان المراد خصوص الاناث بدليل الاقتصار على اللبن (قوله أى الابل) خصها لأنها المحمول عليها غالبا ويصح عوده على الأنعام لأن منها مايحمل عليه أيضا كالبقر (قوله ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه) شروع فى ذكر خمس قصص غير قصة خلق آدم فتكون ستا : الأولى قصة نوح . الثانية قصة هود . الثالثة قصة القرون الآخرين . الرابعة قصة موسى وهرون . الخامسة قصة عيسى وأمه ، والمقصود منه اطلاع الأمة المحمدية على أحوال من مضى ليقتدوا بهم فى الخصال المرضية و يتباعدوا عن خصالهم المذمومة ، ونوح لقبه واسمه قيل عبد الغفار وقيل عبد الله وقيل يشكر وعاش من العمر ألف سنة وخمسين لأنه أرسل على رأس الأربعين ومكث يدعو قومه ألف سنة إلا خمسين وعاش بعد الطوفان ستين سنة وهذا أحد أقوال تقدمت (قوله مالكم من إله غيره) بمنزلة التعليل لما قبله (قوله وهو اسم ما) أى قوله إله ، وأما لفظ غيره فيصح فيه الرفع إتباعا لمحل إله والجر إتباعا للفظه قراءتان سبعيتان (قوله وما قبله الخبر) أى وهو الجار والمجرور وما مشى عليه المفسر طريقة ضعيفة للنحاة وهى جواز إعمال ما عند مخالفة الترتيب بين خبرها واسمها إذا كان الخبر ظرفا أوجارا ومجرورا والمشهور إهمالها حينئذ فكان المناسب أن يقول وهو مبتدأ مؤخر وما قبله الخبر (قوله أفلا تتقون) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه والتقدير أجهلتم فلا تتقون (قوله فقال الملأ) أى الأشراف . وحاصل ماذكروه خمس مقالات : الأولى ماهذا إلا بشر مثلكم . الثانية ولوشاء الله لأنزل ملائكة . الثالثة ماسمعنا بهذا فى آبائنا الأولين . الرابعة إن هو إلا رجل به جنة . الخامسة فتربصوا به حتى حين ، ولكونها ظاهرة الفساد لم يتعرض لردها (قوله بأن يكون متبوعا) أى بادعاء الرسالة (قوله أن لايعبد غيره) أشار بذلك إلى أن مفعول المشيئة محذوف (قوله بذلك) أى بأن لايعبد غيره (قوله لابشرا) أى لأن الملائكة لشدة سطوتهم وعلو شأنهم ينقاد الخلق إليهم من غير شك فلما لم يفعل ذلك علمنا أنه ما أرسل رسولا (قوله حالة جنون) أى فعلة بالكسر للهيئة . قال ابن مالك : * وفعلة لهيئة كجلسه * (قوله إلى زمن موته) أى فكانوا يقولون لبعضهم اصبروا فانه إن كان نبيا حقا فالله ينصره ويقوى أمره و إن كان كاذبا فالله يخذله و يبطل أمره فنستريح منه أوالمراد بالحين الزمان الذى تظهر فيه العواقب فالمعنى انتظروا عاقبة أمره فان أفاق و إلا فاقتلوه (قوله قال رب انصرنى) أى قال ذلك بعد أن أيس من إيمانهم (قوله أن اصنع الفلك) أن مفسرة لوقوعها بعد جملة فيها معنى القول دون حروفه (قوله بأعيننا) حال من الضمير فى اصنع وجمع الأعين للمبالغة (قوله بمرأى منا وحفظنا) أشار بذلك إلى أن فى الآية مجازا مرسلا لأن شأن من نظر إلى الشىء بعينه حفظه فأطلق اللازم وأريد الملزوم (قوله ووحينا) أى تعليمنا فان الله أرسل إليه جبريل فعلمه صنعتها ، وصنعها فى عامين وجعل طولها ثمانين ذراعا وعرضها خمسين وارتفاعها ثلاثين والذراع إلى المنكب وهذا أشهر الروايات

(وَإِنَّ لَكُمْ فِى الْأَنْعَامِ) أى الإبل والبقر والغنم (لَعِبْرَةً) عظة تعتبرون بها (نُسْقِيكُمْ) بفتح النون وضمها (مِمَّا فِى بُطُونِهَا) أى اللبن (وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ) من الأصواف والأوبار والأشعار وغير ذلك (وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ . وَعَلَيْهَا) أى الإبل (وَعَلَى الْفُلْكِ) أى السفن (تُحْمَلُونَ . وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ) أطيعوه ووحدوه (مَالَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ) وهو اسم ما وما قبله الخبر ومن زائدة (أَفَلَا تَتَّقُونَ) تخافون عقوبته بعبادتكم غيره (فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ) لأتباعهم (مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ) يتشرف (عَلَيْكُمْ) بأن يكون متبوعا وأنتم أتباعه (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ) أن لايعبد غيره (لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً) بذلك لابشرا (مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا) الذى دعا إليه نوح من التوحيد (فِى آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ) أى الأمم الماضية (إِنْ هُوَ) أى مانوح (إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ) حالة جنون (فَتَرَبَّصُوا بِهِ) انتظروه (حَتَّىٰ حِينٍ) إلى زمن موته (قَالَ) نوح (رَبِّ انْصُرْنِى) عليهم (بِمَا كَذَّبُونِ) أى بسبب تكذيبهم إياى بأن تهلكهم، قال تعالى مجيبا دعاءه (فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ) السفينة (بِأَعْيُنِنَا) بمرأى منا وحفظنا (وَوَحْيِنَا) أمرنا ، (فاذا

وقيل غير ذلك . وقد تقدم فى هود وجعلها ثلاث طباق السفلى للسباع والهوام والوسطى للدواب والأنعام والعليا للانس (قوله فاذا جاء أمرنا) أى ابتدأ ظهوره (قوله وفار التنور) عطف بيان لمجيء الأمر . روى أنه قيل له عليه الصلاة والسلام «إذا فار الماء من التنور فاركب أنت ومن معك» وكان تنور آدم عليه السلام من حجر تخبز فيه حواء فصار إلى نوح فلما نبع منه الماء أخبرته امرأته فركبوا . واختلف فى مكانه فقيل كان بمسجد الكوفة على يمين الداخل مما يلى باب كندة اليوم ، وقيل كان فى عين وردة من الشام (قوله علامة لنوح) أى على ركوب السفينة (قوله من كل زوجين) أى غير البشر لما يأتى أنه أدخل فيها من البشر سبعين أو ثمانين (قوله وغيرهما) أى من كل مايلد أو يبيض بخلاف ما يتولد من العفونات كالدود والبق فلم يحمله فيها (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله بالتنوين) أى لحذف ما أضيف إليه

(فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا) بإهلاكهم (وَفَارَ التَّنُّورُ) للخباز بالماء وكان ذلك علامة لنوح (فَاسْلُكْ فِيهَا) أى أدخل فى السفينة (مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ) أى ذكر وأنثى ، أى من كل أنواعهما (اثْنَيْنِ) ذكراً وأنثى وهومفعول ومن متعلقة باسلك ، وفى القصة أن الله تعالى حشر لنوح السباع والطير وغيرهما فجعل يضرب بيديه فى كل نوع فتقع يده اليمنى على الذكر واليسرى على الأنثى فيحملهما فى السفينة . وفى قراءة كلٍّ بالتنوين فزوجين مفعول واثنين تأكيد له (وَأَهْلَكَ) أى زوجته وأولاده (إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ) بالإهلاك وهو زوجته وولده كنعان بخلاف سام وحام و يافث فحملهم وزوجاتهم ثلاثة وفى سورة هود « وَمَن آمن وما آمن معه إلا قليل » قيل كانوا ستة رجال ونساءهم ، وقيل جميع من كان فى السفينة ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء (وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا) كفروا بترك إهلاكهم (إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ . فَإِذَا اسْتَوَيْتَ) اعتدلت (أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) الكافرين وإهلاكهم (وَقُلْ) عند نزولك من الفلك (رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا) بضم الميم وفتح الزاى مصدر أو اسم مكان و بفتح الميم وكسر الزاى مكان النزول(مُبَارَكًا) ذلك الانزال أو المكان (وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ) ما ذكر (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ) المذكور من أمر نوح والسفينة و إهلاك الكفار (لَآيَاتٍ) دلالات على قدرة الله تعالى (وَإِنْ) مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن (كُنَّا لَمُبْتَلِينَ) مختبرين قوم نوح بإرساله إليهم ووعظه (ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا) قوماً (آخَرِينَ)هم عاد ،

كل وعوض عنه التنوين (قوله أى زوجته) أى المؤمنة لأنه كان له زوجتان إحداهما مؤمنة فأخذها معه فى السفينة والأخرى كافرة تركها وهى أم ولده كنعان (قوله وهو زوجته) أى الكافرة (قوله بخلاف سام) أى وهو أبو العرب وحام هو أبو السودان و يافث هو أبو الترك (قوله ستة رجال) أى فالجملة اثنا عشر (قوله بترك إهلاكهم) متعلق بتخاطبنى (قوله إنهم مغرقون) أى محكوم عليهم بالغرق (قوله و إهلاكهم) أى ونجانا من إهلاكهم (قوله وقل رب أنزلنى الخ) العبرة بعموم اللفظ فهذا الدعاء ينبغى قراءته لكل من نزل محلا يريد الاقامة فيه (قوله عند نزولك من الفلك) أى حين استوت على الجودى وكان يوم عاشوراء وابتداء ركوبه السفينة كان لعشر خلون من رجب فكان مكثهم فى السفينة ستة أشهر (قوله بضم الميم) أى فهما قراءتان سبعيتان وظاهره أن الوجهين على قراءة ضم الميم وليس كذلك بل كل من الوجهين يتأتى على كل من القراءتين (قوله مباركا ذلك الانزال) تفسير للضمير فى مباركا والوجهان لكل من الضم والفتح (قوله و إن كنا لمبتلين) إن مخففة واللام فارقة ، والمعنى و إننا كنا معاملين قوم نوح معاملة المختبر لننظر هل يتبعونه و يتعظون بوعظه (قوله ثم أنشأنا من بعدهم) أى من بعد قوم نوح (قوله قرنا) أى قوما سموا بذلك لأن بعضهم مقترن ببعض فى الزمان (قوله هم عاد) اسم قبيلة أرسل إليها هود وما ذكره المفسر من أن المراد بالقرن عاد و بالرسول هود هو ما عليه أكثر المفسرين و يشهد له مجيء قصة هود عقب قصة نوح فى الأعراف وهود والشعراء . وخير ما فسرته بالوارد . ولا يشكل على هذا قوله فى آخر القصة : فأخذتهم الصيحة الموهم أن القرن ثمود وأن الرسول صالح لأنه يقال المراد بالصيحة صيحة الريح أو شدة صوته

(قوله فأرسلنا فيهم) أى فى القرن و إنما جعل القرن موضع الارسال ليدل على أنه لم يأت من مكان غير مكانهم (قوله رسولا منهم) أى من جنسهم وقبيلتهم لأن هودا بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وهم ينسبون لعاد وتقدم ذلك فى هود (قوله بأن اعبدوا) أشار بذلك إلى أنّ أن مصدرية ويصح جعلها تفسيرية لتقدمها جملة فيها معنى القول دون حروفه لأن أرسلنا بمعنى قلنا (قوله وقال الملأ) عطف على ماقبله وأتى بالواو إشارة إلى تباين الكلامين بخلاف مافى الأعراف وهود فانه فى جواب سؤال مقدر ولذا تركت الواو (قوله الذين كفروا) وصف مخصص لأن قومه بعضهم آمن و بعضهم كفر (قوله وأترفناهم فى الحياة الدنيا) أى أعطيناهم ملكا عظيما قال تعالى مذكرا لهم بهذه النعم على لسان نبيهم - أمدكم بأنعام و بنين وجنات وعيون - (قوله ماهذا إلا بشر مثلكم) هذه شبهة أولى تنتهى لقوله: لخاسرون. والثانية إنكارهم البعث وتنتهى لقوله بمبعوثين وأهمل الجواب عنهما لفسادهما وركاكتهما (قوله ويشرب مما تشربون) أى منه فحذف العائد لاستكمال الشروط التى أشار إليها ابن مالك بقوله:

كذا الذى جر بما الموصول جر ... كمر بالذى مررت فهو بر

(قوله ولئن أطعتم) اللام موطئة لقسم محذوف قدره المفسر بقوله والله (قوله والجواب لأولهما) أى على القاعدة التى ذكرها ابن مالك بقوله:

واحذف لدى اجتماع شرط وقسم ... جواب ماأخرت فهو ملتزم

(فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ) هوداً (أَنِ) أى بأن (اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ) عقابه فتؤمنون (وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ) أى بالمصير إليها (وَأَتْرَفْنَاهُمْ) نعمناهم (فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ. وَ) الله (لَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَراً مِثْلَكُمْ) فيه قسم وشرط والجواب لأولهما وهو مغن عن جواب الثانى (إِنَّكُمْ إِذاً) أى إذا أطعتموه (لَخَاسِرُونَ) أى مغبونون (أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَاباً وَعِظَاماً أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ) هو خبر أنكم الأولى وأنكم الثانية تأكيد لها لما طال الفصل (هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ) اسم فعل ماض بمعنى مصدر أى بعد بعد (لِمَا تُوعَدُونَ) من الإخراج من القبور واللام زائدة للبيان (إِنْ هِيَ) أى ما الحياة (إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا) بحياة أبنائنا (وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ. إِنْ هُوَ) أى ما الرسول (إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ) أى مصدقين فى البعث بعد الموت (قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي

ولا يصلح أن يكون جوابا للشرط لعدم وجود الفاء (قوله إنكم إذا الخ) الكاف اسم إن وخاسرون خبرها واللام للابتداء زحلقت للخبر وإذا لتأكيد مضمون الشرط ولذا قال المفسر إذا أطعتموه (قوله أيعدكم) استفهام لتقرير ماقبله (قوله أنكم مخرجون) أى من القبور أو من العدم إلى الوجود تارة أخرى (قوله تأكيدا لها) أى تأكيد لفظى (قوله اسم فعل ماض) اختلف فى اسم الفعل فقيل معناه لفظ الفعل بما وعليه فهو مبنى على الفتح لامحل له من الاعراب والثانى توكيد له واللام زائدة وما اسم موصول فاعله وتوعدون صلته أو اللام للبيان والفاعل مستتر فيه، والمعنى بعد وقوع خروجنا من القبور، وقيل معناه المصدر وعليه فهو مبتدأ فى محل رفع والثانى توكيد له ولما توعدون متعلق بمحذوف خبر المبتدا فاللام ليست زائدة إذا علمت ذلك فكلام المفسر رضى الله عنه فى غاية الاجمال لأن قوله اسم فعل ماض أحد قولين وقوله بمعنى مصدر هو القول الثانى وقوله أى بعد بعد يصح أن يقرأ بلفظ الفعل فيكون تفسيرا للفعل الماضى أو بلفظ المصدر فيكون تفسيرا للمصدر وقوله واللام زائدة ظاهرة على كل من القولين وليس كذلك بل هى زائدة على كون المراد به لفظ الفعل والموصول فاعل لاعلى كونها للبيان ولاعلى كونه مصدرا وقوله للبيان هذا قول ثان فكان المناسب أن يأتى بأو وترك التفريع على المصدر وتقدم أنها ليست زائدة بل متعلقة بمحذوف خبر، وفى هذه اللفظة لغات كثيرة تزيد على الأربعين والمشهور منها ستة عشر وهى هيهات بفتح التاء وضمها وكسرها وفى كل مع التنوين و بدونه وهيهات باسكان التاء أو إبدالها هاء ساكنة وفى كل من الثمان إما بالهاء أولا أو إبدالها همزة وقرئ بالجميع لكن المتواتر القراءة الأولى وهى الفتح من غير تنوين (قوله أى ما الحياة) أشار بذلك إلى أنّ إن نافية والضمير عائد على الحياة (قوله بحياة أبنائنا) جواب عما يقال إن فى قولهم ونحيا اعترافا بالبعث مع كونهم منكرين له. فأجاب بأن المراد ونحيا أبناؤنا بعد موتنا.

(قوله بما كذبون) أى بسبب تكذيبهم إياى (قوله صيحة العذاب والهلاك) جواب عما يقال إن الصيحة كانت عذاب قوم صالح لاقوم هود (قوله كائنة بالحق) أى العدل فيهم وأشار بذلك إلى أن الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من الصيحة (قوله غثاء) مفعول ثان لجعلنا (قوله وهو نبت يبس) الأوضح أن يقول وهو العشب إذا يبس (قوله فبعدا للقوم الظالمين) بعدا مصدر بدل من لفظ الفعل والأصل بعدوا بعدا واللام إما متعلقة بمحذوف للبيان أو ببعدا وهو إخبار أودعاء عليهم (قوله ثم أنشأنا من بعدهم) أى من بعد قوم هود ونوح وقوله قرونا آخرين أى كقوم صالح و إبراهيم ولوط وشعيب (قوله من أمة) أى جماعة (قوله ومايستأخرون) أى لايتأخرون عنه ، والمقصود من هذه الآية التقريع والتخويف لأهل مكة كأنه قال لاتغتروا بطول الأمل فان للظالم وقتا يؤخذ فيه لايتقدم عليه ولايتأخر عنه (قوله بعد تأنيثه) أى فى قوله أجلها الراجع إلى أمة وقوله رعاية للمعنى أى لأن أمة بمعنى قوم (قوله تترا) التاء مبدلة من واو وأصله وترا وهو مصدر على التحقيق ومعناه التتابعة مع مهلة ، وقيل التابعة مطلقا وان لم تكن مهلة ولكن الآية تفسر بالأول لأنه الواقع (قوله بالتنوين وعدمه) أى فهما قراءتان سبعيتان فمن نون قال إن ألفه للالحاق بجعفر كعلقى فلما نون ذهبت ألفه لالتقاء الساكنين ومن لم ينون قال إن ألفه للتأنيث كدعوى (قوله وتسهيل الثانية الخ) أى فينطق بها متوسطة بين الهمزة والواو وهما قراءتان سبعيتان (قوله وجعلناهم أحاديث) جمع أحدوثة كأعجوبة وأضحوكة : مايتحدث به

بِمَا كَذَّبُونِ . قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ) من الزمان وما زائدة (لَيُصْبِحُنَّ) ليصيرن (نَادِمِينَ) على كفرهم وتكذيبهم (فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ) صيحة العذاب والهلاك كائنة (بِالْحَقِّ) فماتوا (فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً) وهو نبت يبس أى صيرناهم مثله فى اليبس (فَبُعْدًا) من الرحمة (لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) المكذبين (ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا) أقواما (آخَرِينَ . مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا) بأن تموت قبله (وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ) عنه ذكر الضمير بعد تأنيثه رعاية للمعنى (ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا) بالتنوين وعدمه أى متتابعين بين كل اثنين زمان طويل (كُلَّمَا جَاءَ أُمَّةً) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بينها و بين الواو (رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا) فى الهلاك (وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ . ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ) حجة بينة ، وهى اليد والعصا وغيرهما من الآيات (إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا) عن الإيمان بها وبالله (وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ) قاهرين بنى إسرائيل بالظلم (فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ) مطيعون خاضعون (فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ . وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ) التوراة (لَعَلَّهُمْ) أى قومه بنى إسرائيل (يَهْتَدُونَ) به من الضلالة ، وأوتيها بعد هلاك فرعون وقومه جملة واحدة (وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ) عيسى (وَأُمَّهُ آيَةً) لم يقل آيتين لأن الآية فيهما واحدة ولادته من غير فحل (وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ) مكان مرتفع ،

عجبا وتسليا ولا يقال ذلك إلا فى الشر ولا يقال فى الخير (قوله فبعدا لقوم لايؤمنون) بعدا منصوب بمحذوف أى بعدوا عن رحمتنا بعدا لايزول (قوله بآياتنا) أى التسع وهى العصا واليد والسنون المجدبة والطمس والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم (قوله وسلطان مبين) عطف مرادف إشارة إلى أن المعجزات كما تسمى بالآيات تسمى بالسلطان أيضا (قوله وغيرهما) أى من باقى التسع (قوله لبشرين مثلنا) أفرد مثل لأنه يجرى مجرى المصادر فى الأفراد والتذكير ولايؤنث أصلا (قوله وقومهما لنا عابدون) الجملة حالية (قوله فكانوا من المهلكين) أى من جملة من هلك (قوله أى قومه بنى إسرائيل) أشار بذلك إلى أن الضمير فى لعلهم راجع لقوم موسى لالفرعون وقومه لأن التوراة إنما جاءته بعد هلاك فرعون وقومه (قوله جملة واحدة) إما راجع لقوله وأوتيها أو راجع لهلاك فرعون وقومه (قوله لأن الآية فيهما واحدة) أى لأن ولادته من غير أب أمر خارق للعادة فيصح نسبته لهما وله (قوله وآويناهما إلى ربوة) سبب ذلك أن ملك ذلك الزمان كان أراد أن يقتل عيسى عليه السلام فهربت به أمه إلى تلك الربوة ومكثت بها اثنتى عشرة سنة حتى هلك ذلك الملك .

(قوله وهو بيت المقدس) هو أعلى مكان من الأرض لأنه يزيد على غيره فى الارتفاع ثمانية عشر ميلا فهو أقرب البقاع إلى السماء (قوله ومعين) اسم مفعول من عان يعين فهو معين وأصله معيون كمبيوع استثقلت الضمة على الياء فحذفت فالتقى ساكنان حذفت الواو لالتقاء الساكنين وكسرت العين لتصح الياء (قوله يا أيها الرسل كلوا من الطيبات) خطاب لجميع الرسل على وجه الاجمال ، فليس المراد أنهم خوطبوا بذلك دفعة واحدة ، بل المراد خوطب كل رسول فى زمانه بذلك بأن قيل مثلا لكل رسول: كل من الطيبات واعمل صالحا إنى بما تعمل عليم ، وحكمة خطاب النبي بها على سبيل الاجمال التشنيع على رهبانى النصارى حيث يزعمون أن ترك المستلذات مقرب إلى الله فرد الله عليهم بأن المدار على أكل الحلال وفعل الطاعات (قوله الحلالات) أى مستلذات أم لا (قوله واعملوا صالحا) أى شكرا على تلك النعم لتزدادوا بها قربا من ربكم (قوله فأجازيكم عليه) أى إن خيرا فخير وإن شرا فشر فالآية فيها ترغيب وترهيب (قوله واعلموا أن هذه أمتكم) قدّر المفسر لفظ اعلموا إشارة إلى أن أنّ بفتح الهمزة معمولة لمحذوف وهذه اسمها وأمتكم خبرها وأمة حال وواحدة صفة له (قوله دينكم)

وهو بيت المقدس أو دمشق أو فلسطين أقوال (ذَاتِ قَرَارٍ) أى مستوية يستقر عليها ساكنوها (وَمَعِينٍ) أى ماء جارٍ ظاهر تراه العيون (يَٰأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ) الحلالات (وَاعْمَلُوا صَالِحًا) من فرض ونفل (إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ) فأجازيكم عليه (وَ) اعلموا (أَنَّ هَٰذِهِ) أى ملة الإسلام (أُمَّتُكُمْ) دينكم أيها المخاطبون ، أى يجب أن تكونوا عليها (أُمَّةً وَاحِدَةً) حال لازمة ، وفى قراءة بتخفيف النون وفى أخرى بكسرها مشددة استئنافا (وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ) فاحذرون (فَتَقَطَّعُوا) أى الأتباع (أَمْرَهُمْ) دينهم (بَيْنَهُمْ زُبُرًا) حال من فاعل تقطعوا ، أى أحزابا متخالفين كاليهود والنصارى وغيرهم (كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ) أى عندهم من الدين (فَرِحُونَ) مسرورون (فَذَرْهُمْ) أى اترك كفار مكة (فِى غَمْرَتِهِمْ) ضلالتهم (حَتَّىٰ حِينٍ) أى حين موتهم (أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ) نعطيهم (مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ) فى الدنيا (نُسَارِعُ) نعجل (لَهُمْ فِى الْخَيْرَاتِ) لا (بَل لَّا يَشْعُرُونَ) أن ذلك استدراج لهم (إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم) خوفهم منه (مُشْفِقُونَ) خائفون من عذابه (وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ) القرآن (يُؤْمِنُونَ) يصدقون (وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ) معه غيره (وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ) ،

يعطون

أشار بذلك إلى أن المراد بالأمة الدين ، والمراد به العقائد لأنها هى التى اتحدت فى جميع الشرائع ، وأما الأحكام الفرعية فقد اختلفت باختلاف الشرائع (قوله وفى قراءة بتخفيف النون) أى والهمزة مفتوحة والعامل مقدّر كما فى المشددة واسمها ضمير الشأن وهذه أمتكم مبتدأ وخبر والجملة خبر أن (قوله استئنافا) أى فهو إخبار من الله بأن جميع الشرائع متفقة الأصول والقراآت الثلاث سبعيات (قوله فاتقون) أى افعلوا ما أمرتكم به واتركوا ما نهيتكم عنه (قوله فتقطعوا أمرهم) أى جعلوا دينهم مفرقا ، فلذلك صاروا فرقا مختلفة كاليهود والنصارى والمجوس وغير ذلك من الأديان الباطلة (قوله زبرا) جمع زبور بمعنى فريق (قوله فرحون) أى لاعتقادهم أنهم على الحق (قوله فذرهم) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والضمير لكفار مكة كما أشار لذلك المفسر وهو تسلية له (قوله فى غمرتهم) مفعول ثان لذرهم : أى مستقرين فيها ، والغمرة فى الأصل الماء الذى يغمر القامة ثم استعير ذلك للجهالة ، والغمر بالضم يقال لمن لم يجرب الأمور ، والغمر بالكسر الحقد (قوله من مال وبنين) بيان لما (قوله بل لا يشعرون) إضراب انتقالى : أى لا يعلمون أن توسعة الدنيا ليست ناشئة عن الرضا عليهم بل استدراج لهم ، قال تعالى ــ إنما نملى لهم ليزدادوا إثما ــ (قوله إن الذين هم) الذين اسم إن وهم مبتدأ ومشفقون خبره ومن خشية ربهم متعلق بمشفقون ، وكذا يقال فيما بعده (قوله مشفقون) الاشفاق الخوف مع زيادة التعظيم فهو أعلى من الخشية ، وهذه الأوصاف متلازمة من اتصف بواحد منها لزم منه الاتصاف بالباقى (قوله القرآن) أى وغيره من باقى الكتب السماوية .

(قوله يعطون) أشار بذلك إلى أن قوله يؤتون من الإيتاء، وهو الإعطاء (قوله وقلوبهم وجلة) الجملة حالية من فاعل يؤتون: أى والحال أن قلوبهم خائفة من عدم قبول أعمالهم الصالحة لما قام بقلوبهم من جلال الله وهيبته وعزته واستغنائه، ولذا ورد عن أبى بكر الصديق أنه قال: لا آمن مكر الله ولو كانت إحدى قدمى داخل الجنة والأخرى خارجها وكان كثير البكاء من خشية الله حتى أثرت الدموع فى خديه (قوله يقدر قبله لام الجر) أى فيكون تعليلا لقوله وجلة (قوله أولئك يسارعون فى الخيرات) هذه الجملة خبر عن قوله - إن الذين هم من خشية ربهم - وما عطف عليه فاسم إن أربع موصولات وخبرها جملة أولئك الخ (قوله وهم لها سابقون) الضمير قيل للخيرات، وقيل للجنة، وقيل للسعادة، وقوله فى علم الله: أى كتبوا سابقين فى علم الله فظهر فيهم مقتضى سابقية العلم (قوله ولا نكلف نفسا إلا وسعها) أى تفضلا منه سبحانه وتعالى وإلا فلا يسئل عما يفعل، وأتى بهذه الآية عقب أوصاف المؤمنين إشارة إلى أن تلك الأوصاف فى طاقة الانسان وكذا جميع التكاليف التى افترضها الله على عباده فعلا أو تركا، وهذا لمن وفقه الله وكشفت عنه الحجب، وأما المحجوب فيرى التكاليف ثقيلة يشق عليه تعاطيها. قال بعض العارفين:

إذا رفع الحجاب فلا ملاله لتكليف الإله ولا مشقه

يعطون (مَا آتَوا) أعطوا من الصدقة والأعمال الصالحة (وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ) خائفة أن لا تقبل منهم (أَنَّهُمْ) يقدر قبله لام الجر (إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ. أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِى الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ) فى علم الله (وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) أى طاقتها فمن لم يستطع أن يصلى قائما فليصل جالسا، ومن لم يستطع أن يصوم فليأكل (وَلَدَيْنَا) أى عندنا (كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ) بما عملته وهو اللوح المحفوظ تسطر فيه الأعمال (وَهُمْ) أى النفوس العاملة (لَا يُظْلَمُونَ) شيئا منها فلا ينقص من ثواب أعمال الخيرات ولا يزاد فى السيآت (بَلْ قُلُوبُهُمْ) أى الكفار (فِى غَمْرَةٍ) جهالة (مِنْ هَٰذَا) القرآن (وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَٰلِكَ) المذكور للمؤمنين (هُمْ لَهَا عَامِلُونَ) فيعذبون عليها (حَتَّىٰ) ابتدائية (إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ) أغنياءهم ورؤساءهم (بِالْعَذَابِ) أى السيف يوم بدر (إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ) يضجون يقال لهم (لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنْصَرُونَ) لا تمنعون (قَدْ كَانَتْ آيَاتِى) من القرآن (تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ) ترجعون قهقرى (مُسْتَكْبِرِينَ) عن الايمان (بِهِ) أى بالبيت أو الحرم بأنهم أهله فى أمن بخلاف سائر الناس فى مواطنهم (سَامِرًا) حال،

(قوله عندنا) أى عندية رتبة ومكانة واختصاص (قوله ينطق بالحق) أى يبين أعمال العباد خيرها وشرها (قوله بما عملته) الضمير عائد على النفس المتقدم ذكرها (قوله وهم لا يظلمون) الجمع باعتبار العموم المستفاد من لفظ نفس لأنه نكرة فى سياق النفى (قوله فلا ينقص من ثواب أعمال الخير الخ) أى لأن الأعمال كلها والجزاء عليها مثبتة فى اللوح المحفوظ وهو مطابق لما فى علم الله (قوله بل قلوبهم) رجوع لأحوال الكفار (قوله ولهم أعمال) أى سيئة (قوله من دون ذلك) أى غير ما ذكر للمؤمنين، والمعنى أن الكفار لهم أعمال مضادة ومخالفة لأوصاف المؤمنين المتقدمة (قوله هم لها عاملون) أى مستمرون عليها (قوله ابتدائية) أى تبتدأ بعدها الجمل (قوله إذا أخذنا مترفيهم) إذا ظرف لما يستقبل خافض لشرطه منصوب بجوابه وإذا الثانية للمفاجأة قائمة مقام الفاء. قال ابن مالك:

وتخلف الفا إذا المفاجأه كإن تجد إذا لنا مكافأه

(قوله أغنياءهم ورؤساءهم) أى كأبى جهل وأضرابه من صناديدهم (قوله يجأرون) أى يصرخون ويبتهلون أو يستغيثون ويلتجئون فى كشف العذاب عنهم ومع ذلك فلا ينفعهم (قوله يقال لهم) الأقرب أن ذلك عند قبض أرواحهم حين تأتيهم الملائكة بالمطارق من نار يضربون بها وجوههم وأدبارهم، وقيل إنه يوم القيامة حين يعذبون فى النار (قوله قد كانت آياتى الخ) تعليل لما قبله (قوله تنكصون) من باب جاس ودخل فهو بكسر الكاف وضمها (قوله ترجعون قهقرى) أى إلى جهة الخلف وهو كناية عن إعراضهم عن الايمان (قوله به) الجار والمجرور إما متعلق بمستكبرين أو بسامرا، وأشار المفسر إلى أن الضمير إما عائد على البيت أو الحرم (قوله سامرا) من السمر، وهو الحديث ليلا (قوله حال) المناسب للمفسر أن يقول أحوال ويخبر عن قوله: تهجرون لأن الأحوال

ثلاثة مستكبرين وسامرا وتهجرون (قوله أى جماعة) أشار بذلك إلى أن سامرا اسم جمع واحده سامر (قوله من الثلاثى) أى مأخوذ من الهجران وهو الترك أومن هجرهجرا بالتحريك: هذى وتكلم بما لايعقله (قوله ومن الرباعى) أى مأخوذ من الاهجار وهو الفحش فى الكلام (قوله أفلم يدبروا القول) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه، والتقدير أعموا فلم يدبروا، وهذا شروع فى بيان أن إقدامهم على هذه الضلالات لابدّ أن يكون لأحد أمور أربعة: أحدها أن لايتأملوا فى دليل نبوّته وهو القرآن المعجز مع أنهم تأملوا وظهرت لهم حقيته. ثانيها أن يعتقدوا أن بعثة الرسول أمر غريب لم تسمع ولم ترد عن الأمم السابقة وليس كذلك لأنهم عرفوا أن الرسل كانت ترسل إلى الأمم. ثالثها أن لا يكونوا عالمين بأمانته وصدقه قبل ادّعاء النبوّة وليس كذلك بل سبقت لهم معرفة كونه فى غاية الأمانة والصدق. رابعها أن يعتقدوا فيه الجنون وليس كذلك لأنهم كانوا يعلمون أنه أعقل الناس، وسيأتى خامس فى قوله ـ أم تسئلهم خرجا ـ وأم فى المواضع الأربعة

مقدرة ببل الانتقالية وهمزة الاستفهام التقريرى وهو حمل المخاطب على الاقرار بما يعرفه (قوله من صدق النبى الخ) بيان للحق على طبق الآية على سبيل اللف والنشر المرتب (قوله وأكثرهم للحق) أى القرآن وغيره فهو أعمّ من الحقّ الأول ولذا أظهر فى مقام الاضمار وأشار بقوله: وأكثرهم إلى أن الأقل لم يدم على كراهة الحق بل رجع عن كفره وآمن (قوله عادة) المناسب أن يقول عقلا لأن وجود الشريك يقضى بفساد العالم عقلا لاعادة (قوله بل أتيناهم بذكرهم) إضراب انتقالى، والمعنى كيف يكرهون الحقّ مع أن القرآن

أى جماعة يتحدثون بالليل حول البيت (تَهْجُرُونَ) من الثلاثى: تتركون القرآن، ومن الرباعى أى تقولون غير الحق فى النبى والقرآن، قال تعالى (أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا) أصله يتدبروا فأدغمت التاء فى الدال (الْقَوْلَ) أى القرآن الدال على صدق النبى (أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ. أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ. أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ) الاستفهام فيه للتقرير بالحق من صدق النبى ومجىء الرسل للأمم الماضية ومعرفة رسولهم بالصدق والأمانة وأن لاجنون به (بَلْ) للانتقال (جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ) أى القرآن المشتمل على التوحيد وشرائع الاسلام (وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ. وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ) أى القرآن (أَهْوَاءَهُمْ) بأن جاء بما يهوونه من الشريك والولد لله، تعالى عن ذلك (لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ) أى خرجت عن نظامها المشاهد لوجود التمانع فى الشىء عادة عند تعدد الحاكم (بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ) أى بالقرآن الذى فيه ذكرهم وشرفهم (فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ. أَمْ تَسْئَلُهُمْ خَرْجًا) أجرا على ماجئتهم به من الايمان (فَخَرَاجُ رَبِّكَ) أجره وثوابه ورزقه (خَيْرٌ) وفى قراءة خرجا فى الموضعين وفى قراءة أخراجا فيهما (وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) أفضل من أعطى وأجر (وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ) طريق (مُسْتَقِيمٍ) أى دين الاسلام (وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ) بالبعث والثواب والعقاب (عَنِ الصِّرَاطِ) أى الطريق (لَنَاكِبُونَ) عادلون، (ولو

أتاهم بتشريفهم وتعظيمهم فاللائق بهم الانقياد لهوتعظيمه، والعامة على قصر أتيناهم وقرئ بالمد بمعنى أعطينا وحينئذ فالباء إما زائدة وذكرهم مفعول ثان أو المفعول محذوف وقرئ بالقصر مع تاء المتكلم أوتاء المخاطب، وقوله بذكرهم هكذا قرأ العامة وقرئ شذوذا بذكراهم بألف التأنيث ونذكرهم بنون العظمة (قوله أم تسألهم خرجا) راجع لقوله ـ أم يقولون به جنة ـ وما بينهما اعتراض (قوله فخراج ربك خير) تعليل لنفى السؤال المستفاد من الانكار (قوله أجره وثوابه) أى فى الآخرة، وقوله ورزقه: أى فى الدنيا فهذه الأمور كالخراج من حيث إن الله تفضل بها لعبيده فلا يتركها أبدا (قوله وفى قراءة خرجا فى الموضعين الخ) أى فالقراآت الثلاث سبعيات لكن الأولى أبلغ من حيث إنه عبر فى حق الله بالخراج المفيد للتكرار وفى حق العبيد بالخرج المفيد عدم التكرار والمماثلة فى القراءتين الباقيتين للمشاكلة (قوله وأجر) بالقصر من باب ضرب ونصر وبالمد: أى أثاب (قوله عن الصراط) متعلق بناكبون (قوله عادلون) أى زائغون ومنحرفون.

(قوله ولو رحمناهم الخ) قال الأشياخ الأظهر أن هذه الآية والتين بعدها إلى مبلسون مدنيات ، وسبب ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة دعا على أهل مكة بقوله : اللهم اشدد وطأتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنينا كسنين يوسف فقحطوا حتى أكلوا العلهز وهو بعين مكسورة ولام ساكنة وهاء وزاي معجمة شيء كانوا يتخذونه من الدم ووبر الابل فى سنى المجاعة فجاء أبو سفيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقال أنشدك الله والرحم ألست تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع فنزلت الآية (قوله للجوا) اللجاج التمادى والاستمرار على العناد فى تعاطى الفعل المنهى عنه (قوله ولقد أخذناهم بالعذاب) تأكيد لما قبله (قوله فما استكانوا) أصله استكونوا نقلت حركة الواو إلى ماقبلها فتحركت الواو وانفتح ماقبلها قلبت ألفا ، والمعنى لم يحصل منهم تواضع ورجوع إلى الله فى الماضى ولم يحصل منهم التجاء إلى الله فى المستقبل (قوله ابتدائية) أى تبتدأ بعدها الجمل (قوله إذا فتحنا عليهم) إذا شرطية و إذا الثانية رابطة للجواب قائمة مقام الفاء (قوله آيسون) أى فالابلاس اليأس ومنه إبليس ليأسه من رحمة الله (قوله وهو الذى أنشأ لكم الخ) خطاب

للخلق عموما قصد به تذكير

(وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ) أى جوع أصابهم بمكة سبع سنين (لَلَجُّوا) تمادوا (فِي طُغْيَانِهِمْ) ضلالتهم (يَعْمَهُونَ) يترددون (وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ) الجوع (فَمَا اسْتَكَانُوا) تواضعوا (لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ) يرغبون إلى الله بالدعاء (حَتَّى) ابتدائية (إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا) صاحب (عَذَابٍ شَدِيدٍ) هو يوم بدر بالقتل (إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ) آيسون من كل خير (وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ) خلق (لَكُمُ السَّمْعَ) بمعنى الإسماع (وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ) القلوب (قَلِيلًا مَا) تأكيد للقلة (تَشْكُرُونَ . وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ) خلقكم (فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) تبعثون (وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي) بنفخ الروح فى المضغة (وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ) بالسواد والبياض والزيادة والنقصان (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) صنعه تعالى فتعتبرون (بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ . قَالُوا) أى الأولون (أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ) لا ، وفى الهمزتين فى الموضعين التحقيق وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين (لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا) أى البعث بعد الموت (مِنْ قَبْلُ إِنْ) ما (هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ) أكاذيب (الْأَوَّلِينَ) كالأضاحيك والأعاجيب جمع أسطورة بالضم (قُلْ) لهم (لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا) من الخلق (إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) خالقها ومالكها (سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ، قُلْ) لهم (أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) بإدغام التاء الثانية فى الذال : تتعظون فتعلمون أن القادر على الخلق ابتداء قادر على الاحياء بعد الموت (قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ ،

النعم للمؤمنين والتوبيخ للكافرين حيث لم يصرفوا النعم فى مصارفها لأن السمع خلق ليسمع به مايرشد والبصر ليشاهد به الآيات الدالة على كمال أوصاف الله والقلوب بمعنى العقول ليتأمل بها فى مصنوعات الله فمن لم يصرف تلك النعم فى مصارفها فهو بمنزلة عادمها قال تعالى - فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء - وأفرد السمع وجمع الأبصار تفننا (قوله تأكيد للقلة) أى لفظ ما تأكيد للقلة المستفادة من التنكير والمعنى شكرا قليلا وهو كناية عن عدمه (قوله تبعثون) أى تحيون بعد الموت (قوله وله اختلاف الليل والنهار) أى خلقا و إيجادا (قوله بالسواد والبياض) لف ونشر مرتب (قوله أفلا تعقلون) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه أى أغفلتم فلا تعقلون أن القادر على انشاء الخلق قادر على اعادتهم بعد الموت (قوله بل قالوا) أى كفار مكة (قوله مثل ماقال الأولون) أى من قوم نوح وهود وصالح وغيرهم (قوله لا) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفى (قوله و إدخال ألف بينهما) أى وترك الادخال فالقراآت أربع سبعيات فى الثانى وثلاث فى الأول بترك الادخال بين المحققتين (قوله لقد وعدنا) وعد فعل ماض مبنى للمجهول ونائب الفاعل هو الضمير المتصل ونحن توكيد له وآباؤنا معطوف على الضمير المتصل فهو نائب فاعل أيضا وقوله هذا مفعول ثان لوعد ونائب الفاعل مفعول أول والأصل وعدنا الآن محمد بالبعث ووعد غيره آباءنا من قبلنا به وقد المرفوع الذى هو نائب الفاعل هنا وعكس فى النمل تفننا واشارة إلى أنه يجوز الأمران (قوله قل لهم) أى لأهل مكة المنكرين البعث (قوله من الخلق) أى المخلوقات عقلاء وغيرهم (قوله إن كنتم تعلمون) شرط حذف جوابه والتقدير فأخبرونى بخالقهما (قوله سيقولون لله) إخبار من الله بما يقع منهم فى الجواب قبل وقوعه (قوله بادغام التاء) أى بعد قلبها دالا فذالا وتسكينها

(قوله الكرسى) المناسب إبقاؤه على ظاهره فإن العرش على التحقيق غير الكرسى (قوله والتاء للمبالغة) أى وكذا الواو فهما زائدتان كزيادتهما فى الرحموت والرهبوت من الرهبة والرحمة (قوله يحمى ولا يحمى عليه) الأول بفتح الياء كيرمى والثانى بضمها . والمعنى يمنع ويحفظ من أراد حفظه ولا يمنع منه أحد ولا ينصر من أراد خذلانه قال تعالى - إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده - (قوله وفى قراءة لله بلام الجر) أى وهو لمعظم السبعة (قوله فى الموضعين) أى الأخيرين وأما جواب السؤال الأول فهو باللام باتفاق السبعة ولم يقرأ بدونها أحد (قوله نظرا إلى أن المعنى) أى فلام الجر مقدرة فى السؤال فظهرت فى الجواب نظرا للمعنى وأما على قراءة إسقاطها فباعتبار مراعاة لفظ السؤال لأنه لافرق بين قوله : من رب السموات وبين لمن السموات كقولك من رب هذه الدار فيقال زيد وإن شئت قلت لزيد لأن السؤال لافرق فيه بين أن يقال لمن هذه الدار أو من ربها (قوله قل فأنى) أى فكيف تسحرون (قوله عبادة الله) بدل من الحق فهو بالجر (قوله أى كيف تخيل لكم) أشار بذلك إلى أن المراد بالسحر التخيل والوهم لاحقيقته (قوله فى نفيه) أى الحق (قوله من ولد) من

وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ) الكرسى (سَيَقُولُونَ اللهُ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ) تحذرون عبادة غيره (قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ) ملك (كُلِّ شَيْءٍ) والتاء للمبالغة (وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ) يحمى ولا يحمى عليه (إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . سَيَقُولُونَ اللهُ) وفى قراءة لله بلام الجر فى الموضعين نظراً إلى أن المعنى من له ما ذكر (قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ) تخدعون وتصرفون عن الحق عبادة الله وحده أى كيف تخيل لكم أنه باطل (بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ) بالصدق (وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) فى نفيه ، وهو (مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا) أى لو كان معه إله (لَذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ) أى انفرد به ومنع الآخر من الاستيلاء عليه (وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ) مغالبة كفعل ملوك الدنيا (سُبْحَانَ اللهِ) تنزيها له (عَمَّا يَصِفُونَ)ه به مما ذكر (عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) ما غاب وما شوهد ، بالجر صفة والرفع خبر هو مقدراً (فَتَعَالَى) تعظم (عَمَّا يُشْرِكُونَ)ه معه (قُلْ رَبِّ إِمَّا) فيه إدغام نون إن الشرطية فى ما الزائدة (تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ) من العذاب هو صادق بالقتل ببدر (رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) فأهلك بهلاكهم (وَإِنَّا عَلَى أَنْ نُرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ . ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) ،

زائدة فى المفعول وقوله من إله من زائدة فى اسم كان (قوله أى لوكان معه إله) أشار بذلك إلى أن قوله إذا لذهب جواب لشرط محذوف وهو لو الامتناعية علم من قوله وما كان معه من إله وتقدم تحقيق الكلام فى هذا البرهان فى سورة الأنبياء (قوله كفعل ملوك الدنيا) كلامه يقتضى أن هذا أمر عادى لا إلزامى قطعى وهو خلاف التحقيق بل التحقيق أنه دليل عقلى قطعى (قوله عالم الغيب والشهادة) هذا دليل آخر على الوحدانية كأنه قال الله عالم الغيب والشهادة أى وغيره لايعلمهما فغيره ليس بإله (قوله بالجر صفة) أى للفظ الجلالة أو بدل منه وقوله والرفع خبر هو مقدرا أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله فتعالى عما يشركون) عطف على معنى ماتقدم كأنه قال علم الغيب فتعالى (قوله قل رب الخ) هذا أمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بكيفية دعاء يتخلص به من عذابهم وهو مجاب لأن الله ما أمره بدعاء إلا استجاب له (قوله إما ترينى) إن شرطية وما زائدة وترينى فعل شرط والنون للوقاية والياء مفعول أول وما مفعول ثان ويوعدون صلة ما ورب تأكيد للأول وقوله فلا تجعلنى الخ جواب الشرط (قوله بالقتل ببدر) أى وهو الذى رآه بالفعل (قوله فأهلك بهلاكهم) أى لأن شؤم الظالم قد يعم غيره . إن قلت إن رسول الله معصوم من جعله مع القوم الظالمين فكيف أمره الله بهذا الدعاء أجيب بأنه أمر بذلك إظهارا للعبودية وتواضعا لربه وتعظيما لأجره وليكون فى جميع الأوقات ذاكرا لله تعالى (قوله وإنا على أن نريك الخ) إن حرف توكيد ونصب ونا اسمها والجار والمجرور متعلق بقادرون وما واقعة على العذاب وقادرون خبر إن واللام للابتداء زحلقت للخبر والمعنى وإنا لقادرون على أن نريك العذاب الذى نعدهم به .

أى الخصلة من الصفح والإعراض عنهم (السَّيِّئَةَ) أذاهم إياك وهذا قبل الأمر بالقتال (نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ) أى يكذبون ويقولون ، فنجازيهم عليه (وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ) أعتصم (بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ) نزغاتهم بما يوسوسون به (وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ) فى أمورى لأنهم إنما يحضرون بسوء (حَتَّى) ابتدائية (إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ) ورأى مقعده من النار ومقعده من الجنة لو آمن (قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ) الجمع للتعظيم (لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا) بأن أشهد أن لا إله إلا الله يكون (فِيمَا تَرَكْتُ) ضيعت من عمرى أى فى مقابلته ، قال تعالى (كَلَّا) أى لا رجوع (إِنَّهَا) أى رب ارجعون (كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا) له ولا فائدة فيها (وَمِنْ وَرَائِهِمْ) أمامهم (بَرْزَخٌ) حاجز يصدهم عن الرجوع (إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) ولا رجوع بعده (فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ) القرن النفخة الأولى أو الثانية (فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ) يتفاخرون بها (وَلَا يَتَسَاءَلُونَ) عنها خلاف حالهم فى الدنيا لما يشغلهم من عظم الأمر عن ذلك فى بعض مواطن القيامة وفى بعضها يفيقون ، وفى آية : فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون (فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ) بالحسنات (فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) الفائزون (وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ) بالسيآت (فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ)

(قوله أى الخصلة الخ) أشار بذلك إلى أن التى صفة لموصوف محذوف وقوله من الصفح الخ بيان للخصلة التى هى أحسن (قوله وهذا قبل الأمر بالقتال) أى فهو منسوخ ويحتمل أن المعنى ادفع بالتى هى أحسن ولو فى حال القتال كأن الله يقول له إذا قدرت عليهم فاصفح عنهم ولا تعاملهم بما كانوا يعاملونك به وحينئذ فتكون الآية محكمة وقد حصل منه هذا الأمر عند فتح مكة (قوله وقل رب) أى فى كل وقت لأن العصمة والحفظ من الشيطان أمرها عظيم جدا وهو وإن كان معصوما فالمقصود تعليم أمته وإظهار الالتجاء لربه (قوله من همزات الشياطين) جمع همزة وهى النخسة (قوله نزغاتهم) أى إفساداتهم ، والمعنى أتحصن بك من وساوس الشياطين (قوله وأعوذ بك رب) كرر ذلك للمبالغة والاعتناء بهذه الاستعاذة (قوله ابتدائية) أى تبتدأ بعدها الجمل إشارة إلى أن هذا الكلام منقطع عما قبله قصد به وصف حال الكافر بعد موته (قوله الجمع للتعظيم) جواب عما يقال لم لم يقل رب ارجعنى بالإفراد مع أن المخاطب واحد . وأجيب أيضا بأن الواو لتكرير الطلب كأنه قال ارجعنى ارجعنى ارجعنى أو الجمع باعتبار الملائكة الذين يقبضون روحه كأنه استغاث بالله أولا ثم رجع إلى طلب الرجوع إلى الدنيا من الملائكة (قوله يكون فيما تركت) أى بدلا عنه (قوله أى لارجوع) أشار بذلك إلى أن كلا هنا معناها النفى ومع ذلك فيها معنى الردع والزجر (قوله أى رب ارجعون) أى وما بعدها (قوله ومن ورائهم) الجمع باعتبار معنى أحد (قوله برزخ) هو المدة التى من حين الموت إلى البعث والمعنى أن بينهم وبين الرجعة حجابا ومانعا من الرجوع وهو الموت إذا علمت ذلك فالأموات لاتعود أجسامهم فى الدنيا بأرواحهم كما كانوا أبدا وإنما يبعثون يوم القيامة لا فرق بين الأنبياء وغيرهم وما ورد عن بعض الصالحين من أنهم يجتمعون بالنبى صلى الله عليه وسلم يقظة فالمراد أن روحه الشريفة تشكلت بصورة جسده الشريف وكذا يقال فى الأولياء والشهداء لأن أرواح المطيعين مطلقة غير محبوسة وأما الكفار فأرواحهم محبوسة لاتسعى فى الملكوت (قوله ولارجوع بعده) أى يوم البعث (قوله النفخة الأولى) هو قول ابن عباس وقوله أو الثانية هو قول ابن مسعود (قوله يتفاخرون بها) جواب عما يقال إن الأنساب ثابتة بينهم لا يصح نفيها فأجاب بأن معنى لا أنساب بينهم لايتفاخرون بأنسابهم . وأجيب أيضا بأن معنى لاأنساب بينهم لاأنساب تنفعهم لزوال التراحم والتعاطف من شدة الحسرة والدهشة (قوله خلاف حالهم فى الدنيا) أى لأنهم كانوا يسألون عن بعضهم فى الدنيا (قوله لما يشغلهم) علة لقوله ولايتساءلون ودفع بذلك مايقال كيف الجمع بين هذه الآية وآية : وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون فجمع المفسر بأن القيامة مواطن مختلفة وهذا مبنى على أن المراد النفخة الثانية وأما على أن المراد النفخة الأولى فوجه الجمع أن نفى السؤال إنما هو عند النفخة الأولى لموتهم حينئذ وإثباته إنما هو بعد النفخة الثانية (قوله موازينه) الجمع إما للتعظيم أو باعتبار الموزون (قوله بالحسنات) الباء سببية أى بسبب ثقل الحسنات (قوله بالسيئات) أى بسبب ثقل السيئات ، والمعنى فمن رجحت حسناته فأولئك هم المفلحون ومن رجحت سيئاته فأولئك الذين خسروا الخ .

(قوله فهم فى جهنم) أشار المفسر إلى أن قوله فى جهنم خبر لمحذوف (قوله تلفح وجوههم) اللفح الاصابة بشدة (قوله شمرت شفاههم الخ) أى فالكلوح تشمر الشفة العليا واسترخاء السفلى لما ورد أنه تتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخى السفلى حتى تبلغ سرته (قوله تتلى عليكم) أى فى الدنيا (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله وهما مصدران بمعنى) أى وهو سوء العاقبة (قوله بعد قدر الدنيا مرتين) أى وقدرها قيل سبعة آلاف سنة بعدد الكواكب السيارة، وقيل اثناعشر ألف سنة بعدد البروج، وقيل ثلثمائة ألف سنة وستون سنة بعدد أيام السنة (قوله اخسئوا فيها) أى اسكنوا سكوت هوان وذل (قوله فينقطع رجاؤهم) أى وهذا آخر كلامهم فى النار فلا يسمع لهم بعد ذلك إلا الزفير والشهيق والنباح كنباح الكلاب (قوله إنه كان فريق) تعليل لما قبله (قوله بضم السين وكسرها) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله وسلمان) المناسب

فهم (فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ) تحرقها (وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ) شمرت شفاههم العليا والسفلى عن أسنانهم ويقال لهم (أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي) من القرآن (تُتْلَى عَلَيْكُمْ) تخوفون بها (فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ. قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا) وفى قراءة شقاوتنا بفتح أوله وألف وهما مصدران بمعنى (وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ) عن الهداية (رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا) إلى المخالفة (فَإِنَّا ظَالِمُونَ. قَالَ) لهم بلسان مالك بعد قدر الدنيا مرتين (اخْسَئُوا فِيهَا) ابعدوا فى النار أذلاء (وَلَا تُكَلِّمُونِ) فى رفع العذاب عنكم فينقطع رجاؤهم (إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي) هم المهاجرون (يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ. فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سُخْرِيًّا) بضم السين وكسرها مصدر بمعنى الهزء منهم بلال وصهيب وعمار وسلمان (حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي) فتركتموه لاشتغالكم بالاستهزاء بهم فهم سبب الإنساء فنسب إليهم (وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ. إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ) النعيم المقيم (بِمَا صَبَرُوا) على استهزائكم بهم وأذاكم إياهم (إِنَّهُمْ) بكسر الهمزة (هُمُ الْفَائِزُونَ) بمطلوبهم استئناف وبفتحها مفعول ثان لجزيتهم (قَالَ) تعالى لهم بلسان مالك وفى قراءة قل (كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ) فى الدنيا وفى قبوركم (عَدَدَ سِنِينَ) تمييز (قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ) شكوا فى ذلك واستقصروه لعظم ما هم فيه من العذاب (فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ) أى الملائكة المحصين أعمال الخلق (قَالَ) تعالى بلسان مالك وفى قراءة أيضا قل (إِنْ) أى ما (لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) مقدار لبثكم من الطول كان قليلا بالنسبة إلى لبثكم فى النار (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا) لا لحكمة،

أن يقول بدله وخباب لأن سلمان ليس من المهاجرين (قوله فنسب إليهم) أى وحقه أن ينسب إلى الاستهزاء (قوله وكنتم منهم تضحكون) أى وذلك غاية الاستهزاء (قوله بكسر الهمزة و بفتحها) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله بلسان مالك) دفع بذلك ما يقال إن قوله قال يقتضى أن الله يكلمهم مع أنه قال فى آية أخرى: ولا يكلمهم الله. فأجاب بأن المكلم لهم الملك عن الله (قوله وفى قراءة قل) أى وهى سبعية أيضا. والحاصل أن هنا وفيما يأتى فى قوله قال إن لبثتم ثلاث قراءات سبعيات الأمر فيهما والماضى فيهما والأمر فى الأول والماضى فى الثانى (قوله كم لبثتم) كم فى محل نصب على الظرفية الزمانية وقوله عدد سنين هو مميزها، والمعنى لبثتم كم عددا من السنين والقصد من هذا السؤال التوبيخ والتبكيت عليهم لأنهم كانوا يعتقدون بقاءهم فى الدنيا ويعولون على اللبث فيها وينكرون البعث فلما أدخلوا النار وأيقنوا دوامهم وخلودهم فيها سألهم عن لبثهم فى الدنيا زيادة فى تحسرهم على ما كانوا يعتقدونه حيث أظهر خلافه (قوله فاسئل العادين) بالتشديد جمع عاد من العدد وهذا من جملة كلامهم لأنه غشيهم من الهول والعذاب ما يشغلهم عن ضبط ذلك وإحصائه (قوله قال تعالى) أى تقريعا وتوبيخا وتصديقا لهم (قوله لو أنكم) لو هنا امتناعية ومفعول العلم محذوف قدره المفسر بقوله مقدار لبثكم وجواب لو محذوف أيضا قدره المفسر بقوله كان قليلا أى فى علمكم، والمعنى لو أنكم كنتم تعلمون مقدار لبثكم من الطول لعلمتم قلة لبثكم فى الدنيا (قوله أفحسبتم) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه والتقدير أجهلتم فحسبتم وحسب بمعنى ظن والاستفهام للتوبيخ والانكار (قوله عبثا) إما حال مؤول باسم الفاعل أى عابثين أو مفعول

(وأنكم

لأجله والعبث اللعب وكل ماليس فيه غرض صحيح فقوله : لحكمة تفسير للعبث (قوله وأنكم إلينا لاترجعون) عطف على : أنما خلقناكم فيكون حسب مسلطا عليه (قوله بالبناء للفاعل وللمفعول) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله لا) قدّره جوابا للاستفهام (قوله بل لنتعبدكم) أى لنكلفكم (قوله على ذلك) أى على امتثال التعبد المذكور (قوله إلا ليعبدون) أى حكمة خلق لهم كونهم يمتثلون أوامرى و يجتنبون نواهىّ (قوله فتعالى الله) أى تنزه (قوله الملك الحق) أى الذى يحقّ له التصرّف فى ماسكه بالايجاد والاعدام والثواب والعقاب وغير ذلك فكل ماسواه مقهور وهو القاهر فوق عباده (قوله الكريم) بالجرّ صفة للعرش لأن كل بركة ورحمة وخير نازلة منه وقرئ شذوذا بالرفع على أنه نعت مقطوع للمدح (قوله الكرسى) تقدم أن المناسب إبقاؤه على ظاهره (قوله هوالسرير الحسن) هكذا فى بعض النسخ وفى بعضها إسقاطها (قوله صفة كاشفة) أى بيان للواقع لأن كل من ادّعى مع الله إلها آخر لابد وأن يكون لابرهان له به (قوله فانما حسابه عند ربه) هو جواب الشرط (قوله إنه لايفلح الكافرون) الجمهور على كسر إن استئنافا وفيه معنى العلة وقرئ شذوذا بالفتح على أنه خبرحسابه والأصل حسابه أنه لايفلح هوفوضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا عليهم (قوله فى الرحمة زيادة على المغفرة) أى فذكر الرحمة بعد

(وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ) بالبناء للفاعل وللمفعول ؟ لا ، بل لنتعبدكم بالأمر والنهى وترجعوا إلينا ونجازى على ذلك « وماخلقت الجنّ والإنس إلا ليعبدون » (فَتَعَالَى اللَّهُ) عن العبث وغيره مما لايليق به (الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ) الكرسى هو السرير الحسن (وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ) صفة كاشفة لامفهوم لها (فَإِنَّمَا حِسَابُهُ) جزاؤه (عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ) لا يسعدون (وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ) المؤمنين فى الرحمة زيادة على المغفرة (وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ) أفضل راحم ،

(سـورة النور)

مدنية ، وهى اثنتان أو أربع وستون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ) هذه (سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا) مخففا ومشددا لكثرة المفروض فيها (وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ) واضحات الدلالات (لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) بادغام التاء الثانية فى الذال : تتعظون (الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي) أى غير المحصنين ،

المغفرة تحلية بعد تخلية فى الغفران محو السيئات وفى الرحمة رفع الدرجات (قوله أفضل رحمة) بالنصب على التمييز .

[سورة النور]

سميت بذلك لذكر النور فيها وفى هذه السورة ذكر أحكام العفاف والستر وغيرها من الأحكام الدينية المفصلة ، ولذلك كتب عمر رضى الله عنه إلى الكوفة : علموا نساءكم سورة النور ، وقالت عائشة رضى الله عنها : لاتنزلوا النساء فى الغرف ولا تعلموهنّ الكتابة وعلموهن سورة النور والغزل (قوله هذه سورة) أشار المفسر إلى أن سورة خبر لمحذوف قدّره بقوله هذه والاشارة لما فى علم الله لكونها فى حكم الحاضر المشاهد و يصح أن تكون سورة مبتدأ وجملة أنزلناها صفة لها والخبر قوله الزانية والزانى ، والمعنى السورة المنزلة والمفروضة كذا وكذا والخبر محذوف والتقدير فيما يتلى عليكم وهذا على قراءة الرفع وهى لعامة القراء وقرئ سورة بالنصب بفعل مضمر يفسره أنزلناه فهو من باب الاشتغال أوعلى الاغراء أى دونك سورة (قوله وفرضناها) أى أوجبنا مافيها من الأحكام إيجابا قطعيا (قوله مخففا ومشددا) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله وأنزلنا فيها) كرّر الإنزال لكمال الاعتناء بشأنها (قوله آيات بينات) أى دلائل على وحدانية الله تعالى وقد ذكر فى أوّل هذه السورة أنواع من الأحكام والحدود وفى آخرها دلائل التوحيد فقوله : وفرضناها إشارة إلى الأحكام وقوله : وأنزلنا فيها آيات بينات إشارة إلى الأدلة (قوله بادغام التاء الثانية) أى بعد قلبها دالا فذالا أى و بتسكينها أى فهما قراءتان سبعيتان و بقيت ثالثة سبعية أيضا وهى حذف إحدى التاءين (قوله الزانية والزانى) مبتدأ والخبر محذوف تقديره فيما يتلى عليكم أوجملة فاجلدوا ودخلت الفاء لشبه المبتدأ بالشرط وعليه درج المفسر ، وقدّمت المرأة فى حدّ الزنا وأخرت فى آية السرقة لأن شهوة الزنا فى المرأة أقوى وأكثر والسرقة ناشئة من الجسارة والقوّة وهى فى الرجل أقوى وأكثر .

(قوله لرجمهما بالسنة) أشار بذلك إلى أن الزانية والزانى لفظ عام يشمل المحصن وغيره فالسنة أخرجت المحصن و بينت أن حقه الرجم فصار الكلام فى غيره (قوله فاجلدوا كل واحد منهما الخ) أى بسوط لين له رأس واحد و يجرد الرجل من ثيابه والمرأة مما يقيها ألم الضرب وتوضع فى قفة فيها تراب للستر (قوله والرقيق على النصف مما ذكر) أى الجلد والتغريب وهذا مذهب الشافعى وقال مالك : لايغرب إلا الذكر الحر ، وأما المرأة والرقيق فلا يغربان (قوله ولا تأخذكم) قرأ العامة بالتأنيث مراعاة للفظ وقرئ شذوذا بالياء التحتية (قوله رأفة) بسكون الهمزة وفتحها قراءتان سبعيتان وقرئ بالمد بوزن سحابة ، والرأفة أشد الرحمة ويقال رءف بالضم والفتح والكسر ككرم وقطع وطرب (قوله بأن تتركوا شيئا من حدهما) أى لأن إقامة الحدود فيها رضا الله لما ورد « إقامة حد لله تعالى فى الأرض خير من أن تمطروا أربعين صباحا » (قوله فى هذا) أى قوله إن كنتم تؤمنون الخ (قوله تحريض) أى حث على ماقبل الشروط وهو قوله : ولاتأخذكم بهما رأفة فالواجب الغضب لله واستيفاء الحدود اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فانه قال «لوسرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها» (قوله وهو جوابه) أى كما هو رأى الكوفيين وقوله أودال كما هو رأى البصريين (قوله وليشهد عذابهما طائفة) الأمر للندب والطائفة الفرقة التى يمكن أن تكون حاقة (قوله قيل ثلاثة الخ) القولان للشافعى وعند مالك أقل ذلك أربعة (قوله أى المناسب لكل منهما ماذكر) أى فهذا زجر لمن يريد نكاح الزانية ، والمعنى أن الزانى يرغب فى نكاح الزانية أوالمشركة والزانية ترغب فى نكاح الزانى أوالمشرك (قوله وحرم ذلك على المؤمنين) أى لما فيه من المفاسد كالطعن فى النسب والتعرض للتهم والتشبه بالفساق فالواجب التزوج بالعفيفات لما فى الحديث « تخيروا لنطفكم فان العرق دساس » (قوله نزل ذلك) أى الآية وحينئذ فالمطابق لسبب النزول هو الجملة الثانية وإنما ذكر الأولى زيادة فى التنفير (قوله وهن موسرات) أى غنيات (قوله خاص بهم) أى ولم ينسخ إلى الآن (قوله وأنكحوا الأيامى) جمع أيم وهى من ليس لها زوج بكرا أوثيبا ومن ليس له زوجة وهو يشمل الزانى والزانية وغيرهما فغاية الأمر أن نكاح الفاسق والفاسقة مكروه (قوله والذين يرمون المحصنات) تقدم أن الزانى والزانية إما أن يرجما إن كانا محصنين أو يجلدان إن لم يكونا كذلك فتبين أن الزنا أمره عظيم شديد لابد وأن يثبت إما باقرار أو بأربعة عدول ، فان انتفى واحد من ذلك حد المدعى فبين هذه الآية وماقبلها شدة مناسبة وقوله الذين مبتدأ و يرمون صلته والخبر ثلاث جمل . الأولى فاجلدوهم . الثانية قوله : ولاتقبلوا لهم شهادة أبدا . الثالثة قوله : وأولئك هم الفاسقون ومعنى يرمون المحصنات يتهمونهن فشبه الاتهام بالرمى بجامع التأدية للهلاك فى كل لأنه إن ثبت ذلك الأمر فقد هلك المرمى و إن لم يثبت فقد هلك الرامى وقوله المحصنات لامفهوم له بل وكذا المحصنون و إنما خصهن بالذكر لأن الشأن قوة شهوة النساء (قوله العفيفات) تفسير للمحصنات باعتبار اللغة لأن الإحصان كما يطلق على العفة يطلق على التزوج وعلى الحرية ومفهوم قوله العفيفات أنه إذا رمى غير عفيف لايحد و يشترط زيادة على العفة أن يكون المرمى يتأتى منه الزنا واللواط بأن يكون ذا آلة فان رمى مجبوبا عزر ولايحد وأن يكون حرا مسلما مكلفا فان انتفى شرط منها يحد القاذف إلا الرامى الصبى باللواط به أوالصبية المطيقين فعندمالك يحد وعند الشافعى يعزر

لرجمهما بالسنة وأل فيما ذكر موصولة وهو مبتدأ ولشبهه بالشرط دخلت الفاء فى خبره وهو (فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ) أى ضربة ، يقال جلده ضرب جلده و يزاد على ذلك بالسنة تغريب عام والرقيق على النصف مما ذكر (وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ اللَّهِ) أى حكمه بأن تتركوا شيئا من حدهما (إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) أى يوم البعث وفى هذا تحريض على ماقبل الشرط وهو جوابه أو دال على جوابه (وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا) أى الجلد (طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) قيل ثلاثة ، وقيل أربعة عدد شهود الزنا (الزَّانِى لَا يَنْكِحُ) يتزوج (إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ) أى المناسب لكل منهما ماذكر (وَحُرِّمَ ذَلِكَ) أى نكاح الزوانى (عَلَى الْمُؤْمِنِينَ) الأخيار ، نزل ذلك لما هم فقراء المهاجرين أن يتزوجوا بغايا المشركين وهن موسرات لينفقن عليهم فقيل التحريم خاص بهم وقيل عام ونسخ بقوله تعالى : وأنكحوا الأيامى منكم (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ) العفيفات بالزنا

(قوله بالزنا) أى أو اللواط فى آدمى مطيق أو جنى تشكل بآدمى (قوله بأربعة شهداء) أى عدول وقوله برؤيتهم متعلق بشهداء أى شهدوا بأنهم رأوا الذكر فى الفرج ولا بد أن يتحدوا فى الرؤية والأداء فان اختلفوا ولو فى أى صفة حد الجميع (قوله أبدا) أى ماداموا مصرين على عدم التوبة بدليل الاستثناء وعلى هذا درج مالك والشافعى وقال أبو حنيفة لاتقبل شهادتهم ولو تابوا (قوله إلا الذين تابوا) استثناء متصل لأن المستثنى منه الذين يرمون والتائبون من جملتهم (قوله من بعد ذلك) أى القذف (قوله فيها ينتهى فسقهم) هذا مبنى على رجوع الاستثناء للجملتين الأخيرتين وهو مذهب مالك والشافعى فعندهما أن التائب تقبل شهادته ويزول عنه اسم الفسق (قوله وقيل لاتقبل) هذا مذهب أبى حنيفة واتفق الجميع على أن القاذف يجلد وإن تاب فليس الاستثناء راجعا إلى الجملة الأولى (قوله أزواجهم) جمع زوج بمعنى الزوجة وحذف التاء أفصح من إثباتها إلا فى المواريث (قوله ولم يكن لهم شهداء) مفهومه لو كان له بينة فلا لعان بينهما عند مالك وقال الشافعى له ترك البينة ويلاعن وأجاب عن الآية بأنها خرجت على سبب النزول فانه لم يكن لهم بينة (قوله إلا أنفسهم) بالرفع بدل من شهداء (قوله وقع ذلك) أى قذف الزوجة بالزنا (قوله لجماعة من الصحابة) أى وهم هلال بن أمية

وعويمر العجلانى وعاصم بن عدى

بالزنا (ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ) على زناهن برؤيتهم (فَاجْلِدُوهُمْ) أى كل واحد منهم (ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً) فى شىء (أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) لاتيانهم كبيرة (إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا) عملهم (فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ) لهم قذفهم (رَحِيمٌ) بهم بإلهامهم التوبة فيها ينتهى فسقهم وتقبل شهادتهم، وقيل لاتقبل رجوعا بالاستثناء إلى الجملة الأخيرة (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ) بالزنا (وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ) عليه (إِلَّا أَنْفُسُهُمْ) وقع ذلك لجماعة من الصحابة (فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ) مبتدأ (أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ) نصب على المصدر (بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ) فيما رمى به زوجته من الزنا (وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ) فى ذلك وخبر المبتدإ تدفع عنه حد القذف (وَيَدْرَأُ) يدفع (عَنْهَا الْعَذَابَ) أى حد الزنا الذى ثبت بشهاداته (أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ) فيما رماها به من الزنا (وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ) فى ذلك (وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ) بالستر فى ذلك (وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ) بقبوله التوبة فى ذلك وغيره (حَكِيمٌ) فيما حكم به فى ذلك وغيره لبين الحق فى ذلك وعاجل بالعقوبة من يستحقها (إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ) أسوأ الكذب على عائشة رضى الله عنها أم المؤمنين بقذفها

(قوله نصب على المصدر) أى والعامل شهادة وفى قراءة سبعية أيضا بالرفع خبر المبتدا (قوله من الزنا) أى أو نفى الحمل لأن اللعان كما يكون فى رؤية الزنا يكون فى نفى الحمل (قوله والخامسة أن لعنة الله الخ) بالرفع لاغير باتفاق السبعة وقوله أن تشهد أربع شهادات بالنصب لاغير باتفاق السبعة وقوله والخامسة أن غضب الله الخ يجوز فى السبعة رفعه ونصبه فتحصل أن الخامسة الأولى بالرفع لاغير وفى الثانية الوجهان ولفظ أربع الأول فيه الوجهان والثانى بالنصب لاغير وحكمة تخصيص الرجل باللعنة والمرأة بالغضب أن اللعن معناه الطرد والبعد عن رحمة الله وفى لعانه إبعاد الزوجة والولد، وفى لعانها إغضاب الرب والزوج والأهل إن كانت كاذبة (قوله وخبر المبتدإ) أى الذى هو قوله فشهادة أحدهم (قوله فى ذلك) أى فيما رماها به .

[فائدة] يترتب على لعانه دفع الحد عنه وقطع نسب الولد منه وإيجاب الحد عليها وعلى لعانها دفع الحد عنها وتأبيد تحريمها وفسخ نكاحها (قوله بالستر) متعلق بكل من فضل ورحمة (قوله لبين الحق فى ذلك) جواب لولا (قوله إن الذين جاءوا بالافك الخ) شروع فى ذكر الآيات المتعلقة بالافك وهى ثمانية عشر تنتهى بقوله أولئك مبرءون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم ومناسبة هذه الآيات لما قبلها أن الله لما ذكر مافى الزنا من الشناعة والقبح وذكر مايترتب على من رمى غيره به وذكر أنه لايليق بآحاد الأمة فضلا عن زوجة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ذكر مايتعلق بذلك (قوله أسوأ الكذب) أى أقبحه وأفحشه (قوله على عائشة) متعلق بالكذب وقد عقد عليها النبى صلى الله عليه وسلم بمكة وهى بنت ست سنين أو سبع ودخل عليها بالمدينة وهى بنت تسع وتوفى عنها وهى بنت ثمانى عشرة سنة

(قوله عصبة منكم) العصبة من العشرة إلى الأربعين وإن كان من عينتهم وذكرتهم أربعة فقط لأنهم هم الرؤساء فى هذا الأمر (قوله من المؤمنين) أى ولو ظاهرا فان عبد الله بن أبى من كبار المنافقين (قوله قالت) أى عائشة فى تعيين أهل الافك (قوله وحمنة بنت جحش) هى زوجة طلحة بن عبيد الله (قوله لاتحسبوه شرا لكم) الخاطب به النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعائشة وصفوان تسلية لهم (قوله بل هو خير لكم) أى لظهور كرامتكم على الله وتعظيم شأنكم وتهويل الوعيد لمن تكلم فيكم والثناء على من ظن بكم خيرا (قوله يأجركم الله به) بسبب الصبر عليه (قوله ومن جاء معها) أى يقود بها الراحلة (قوله وهو صفوان) أى السلمى ابن المعطل (قوله فى غزوة) قيل هى غزوة بنى المصطلق وكانت فى السنة الرابعة وقيل فى السادسة . وسببها أن رسول الله

صلى الله عليه وسلم بلغه أن بنى المصطلق يجتمعون لحربه وقائدهم الحرث ابن ضرار أبو جويرية زوج النبى صلى الله عليه وسلم فلما سمع بذلك خرج إليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المريسيع من ناحية قديد إلى الساحل فاقتتلوا فهزم الله بنى المصطلق وأمكن رسوله من أبنائهم ونسائهم وأموالهم فأفاءها وردها عليهم (قوله بعدما أنزل الحجاب) أى وهى قوله تعالى وإذا سألتموهن متاعا فاسئلوهن من وراء حجاب (قوله وآذن) بالمد والقصر أى أعلم (قوله وقضيت شأنى) أى حاجتى كالبول مثلا (قوله فاذا عقدى انقطع) أى وكان من جزع أظفار وهو الخرز اليمانى غالى القيمة وكان أصله لأمها أعطته لها حين تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لأختها أسماء (قوله ألتمسه) أى أفتش عليه (قوله فجلست فى المنزل الذى كنت فيه) أى وهذا من حسن عقلها وجودة رأيها فان من الآداب أن الانسان إذا ضل عن رفقته وعلم أنهم يفتشون عليه أن يجلس فى المكان الذى فقدوه فيه ولا ينتقل منه فربما رجعوا فلم يجدوه (قوله فنمت) أى وكانت كثيرة النوم لحداثة سنها (قوله وكان صفوان قد عرس) أى وكان صاحب ساقة رسول الله لشجاعته وكان إذا رحل الناس قام يصلى ثم اتبعهم فما سقط منهم شىء إلا حمله حتى يأتى به أصحابه (قوله فسار منه) أى فادلج بالتشديد سار من آخر الليل وأما أدلج سار من أوله (قوله فى منزله) أى منزل الجيش الذى مكثت فيه عائشة (قوله ووطىء على يدها) أى الراحلة خوف أن تقوم (قوله موغرين) أى أتينا الجيش فى وقت القيلولة (قوله نهلك من هلك) أى تكلم بما كان سببا فى هلاكه (قوله فىّ) أى بسببى

(عُصْبَةٌ مِنْكُمْ) جماعة من المؤمنين قالت : حسان بن ثابت وعبدالله بن أبىّ ومسطح وحمنة بنت جحش (لَا تَحْسَبُوهُ) أيها المؤمنون غير العصبة (شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ) يأجركم الله به ويظهر براءة عائشة ومن جاء معها منه ، وهو صفوان فإنها قالت «كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة بعد ما أنزل الحجاب ففرغ منها ورجع ودنا من المدينة وآذن بالرحيل ليلة فمشيت وقضيت شأنى وأقبلت إلى الرحل فإذا عقدى انقطع» هو بكسر المهملة القلادة «فرجعت ألتمسه وحملوا هودجى هو ما يركب فيه على بعيرى يحسبوننى فيه وكانت النساء خفافا إنما يأكلن العلقة» هو بضم المهملة وسكون اللام «من الطعام» أى القليل «ووجدت عقدى وجئت بعد ما ساروا فجلست فى المنزل الذى كنت فيه وظننت أن القوم سيفقدوننى فيرجعون إلىّ فغلبتنى عيناى فنمت ، وكان صفوان قد عرس من وراء الجيش فادلج» هما بتشديد الراء والدال : أى نزل من آخر الليل «للاستراحة فسار منه فأصبح فى منزله فرأى سواد إنسان نائم أى شخصه فعرفنى حين رآنى وكان يرانى قبل الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين عرفنى» أى قوله إنا لله وإنا إليه راجعون «فخمرت وجهى بجلبابى» أى غطيته بالملاءة «والله ما كلمنى بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حين أناخ راحلته ووطىء على يدها فركبتها فانطلق يقودبى الراحلة حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا موغرين فى نحر الظهيرة» أى من أوغر واقفين فى مكان وغر «من شدة الحر فهلك من هلك فىّ ، وكان الذى تولى كبره منهم عبد الله ،

ابن

(قوله ابن أبي ابن سلول) نسب أولا لأبيه ثم لأمه (قوله انتهى قولها) هذا باعتبار مااختصره وإلا فحديثها له بقية كما فى البخارى وهى « فقدمنا المدينة فاشتكيت بها شهرا وهم يفيضون من قول أصحاب الافك ويريبنى فى وجعى أنى لا أرى من رسول الله صلى الله عليه وسلم اللطف الذى كنت أرى منه حين أمرض إنما يدخل فيسلم ثم يقول: كيف تيكم لا أشعر بشىء من ذلك حتى نقهت بفتح فكسر أى برئت من مرضى فخرجت أنا وأم مسطح قبل المناصع متبرزنا لانخرج إلا ليلا إلى ليل ، وذلك قبل أن تتخذ الكنف قريبا من بيوتنا وأمرنا أمر العرب الأول فى البرية أو فى التنزه ، فأقبلت أنا وأم مسطح بنت رهم نمشى ، فعثرت فى مرطها وهو بكسر الميم كساء من صوف ، فقالت تعس مسطح ، فقلت لها بئس ماقلت أتسبين رجلا شهد بدرا ؟ فقالت ياهنتاه أى قليلة المعرفة ألم تسمعى ماقالوا ؟ فأخبرتنى بقول أهل الافك فازددت مرضا على مرضى ، فلما رجعت إلى بيتى دخل علىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : كيف تيكم ؟ فقلت ائذن لى إلى أبوى ، قالت وأنا حينئذ أريد أن أستيقن الخبر من قبلهما ، فأذن لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتيت أبوىّ فقلت لأمى مايتحدث به الناس ؟ قالت يابنية هوّنى على نفسك الشأن فوالله قلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أكثرن عليها ، فقلت سبحان الله ولقد تحدث الناس بهذا ، قالت فبت تلك الليلة حتى أصبحت لايرقأ لى دمع ولا أكتحل بنوم ، ثم أصبحت فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علىّ بن أبى طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحى يستشيرهما فى فراق أهله ، فأما أسامة فأشار إليه بالذى يعلم من نفسه بالود لهم ، فقال أسامة هم أهلك يارسول الله ولا نعلم والله إلا خيرا ، وأما علىّ بن أبى طالب فقال لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير واسأل الجارية تصدقك ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة فقال : يابريرة هل رأيت فيها شيئا يريبك ؟ فقالت بريرة لا والذى بعثك بالحق نبيا إن رأيت منها أمرا أغمصه عليها هو بهمزة مفتوحة فغين معجمة فصاد مهملة أى أعيبه وأنكره أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن العجين ، فيأتى الداجن هو بدال مهملة ثم جيم مايألف البيوت من الشاة والدجاج ونحو ذلك فيأكله ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من يومه فاستعذر من عبد الله بن أبى ابن سلول ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يعذرنى من

ابن أبى ابن سلول» اه قولها رواه الشيخان ، قال تعالى :

رجل بلغنى أذاه فى أهلى فوالله ماعلمت فى أهلى إلا خيرا وقد ذكروا رجلا ماعلمت عليه إلا خيرا وما كان يدخل على أهلى إلا معى فقام سعد بن معاذ وقال : يارسول الله أنا والله أعذرك منه إن كان من الأوس ضربنا عنقه وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك ، فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وكان قبل ذلك رجلا صالحا ولكن احتملته الحمية فقال : كذبت لعمر الله لاتقتله ولا تقدر على ذلك ، فقام أسيد بن حضير فقال : كذبت لعمر الله لنقتلنه فانك منافق تجادل عن المنافقين فثار الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر ، فنزل فخفضهم حتى سكتوا وسكت وبقيت يومى لايرقأ لى دمع ولا أكتحل بنوم ، فأصبح عندى أبواى وقد بكيت ليلتى ويوما حتى أظن أن البكاء فالق كبدى ، قالت فبينما هما جالسان عندى وأنا أبكى إذ استأذنت امرأة من الأنصار فأذنت لها فجلست تبكى معى ، فبينما نحن كذلك إذ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس ولم يجلس عندى من يوم قيل لى ماقيل قبلها وقد مكث شهرا لايوحى إليه فى شأنى شىء قالت فتشهد ثم قال : ياعائشة إنه قد بلغنى عنك كذا وكذا فان كنت بريئة فسيبرئك الله ، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفرى الله وتوبى إليه ، فان العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه ، فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلص دمعى : أى انقطع جريانه حتى ما أحس منه بقطرة وقلت لأبى أجب عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال والله ما أدرى ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت لأمى أجيبى عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال . قالت والله ماأدرى ماأقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم قالت وأنا جارية حديثة السن لاأقرأ كثيرا من القرآن ، فقلت إنى والله لقد علمت أنكم سمعتم ماتحدث به الناس ووقر فى أنفسكم وصدقتم به ، ولئن قلت لكم إنى بريئة والله يعلم إنى بريئة لاتصدقونى بذلك ، ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أنى لبريئة لتصدقننى . والله ما أجد لى ولكم مثلا إلا أبا يوسف إذ قال - فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون - ثم تحولت فاضطجعت على فراشى وأنا أرجو أن يبرئنى الله ولكن ما ظننت أن ينزل فى شأنى وحى ، ولأنا أحقر فى نفسى من أن يتكلم بالقرآن فى أمرى ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النوم رؤيا يبرئنى الله بها ، فوالله ما رام أن يرح مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه الوحى ، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء أى الشدة

والكرب حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان أى اللؤلؤ من العرق فى يوم شات ، فلما سرى أى كشف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك ، فكان أول كلمة تكلم بها أن قال يا عائشة احمدى الله فقد برأك الله ، فقالت أمى قومى لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله فأنزل الله عز وجل ـ إن الذين جاءوا بالافك عصبة منكم ـ الآيات ، فلما أنزل الله هذا فى براءتى قال أبو بكر الصديق وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه والله ما أنفق على مسطح بشىء أبدا بعد ما قال فى عائشة فأنزل الله عز وجل ـ ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة ـ الآية إلى قوله ـ غفور رحيم ـ فقال أبو بكر بلى والله إنى لأحب أن يغفر الله لى فرجع إلى مسطح الذى كان يجرى عليه ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل زينب بنت جحش عن أمرى فقال يا زينب ما علمت ما رأيت ؟ فقالت يارسول الله أحمى سمعى و بصرى والله ما علمت عليها إلا خيرا ، قالت وهى التى كانت تسامينى فعصمها الله بالورع » انتهى (قوله لكل امرىء منهم) أى من العصبة (قوله ما اكتسب من الاثم) أى جزاء ما اكتسب من الاثم فى الدنيا وهو لغير عبد الله بن أبى ، فانهم قد حدّوا حدّ القذف ، وعمى حسان وشلت يده فى آخر عمره ، وعمى مسطح أيضا أو فى الدنيا والآخرة وهو لابن أبى ، فعذبه الله بخزى الدنيا والخلود فى النار (قوله لولا إذ سمعتموه) لما بين سبحانه وتعالى حال الخائضين فى الافك وأنهم اكتسبوا الاثم شرع فى توبيخهم وزجرهم بتسعة زواجر : الأول هذا . الثانى لولا جاءوا عليه الخ . الثالث ولولا فضل الله الخ . الرابع إذ تلقونه الخ . الخامس ولولا إذ سمعتموه الخ . السادس يعظكم الله الخ . السابع إن الذين يحبون الخ . الثامن ولولا فضل الله عليكم الخ . التاسع ياأيها الذين آمنوا لاتتبعوا خطوات الشيطان ، إلى سميع عليم ولولا هنا للتوبيخ لدخولها على الماضى ، لأن لولا لها ثلاثة أحوال : إذا دخلت على ماض كان معناها التوبيخ وإذا دخلت على مضارع كان معناها التحضيض وإذا دخلت على جملة اسمية كانت امتناعية ، وقد كررت هنا

(لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ) أى عليه (مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ) فى ذلك (وَالَّذِى تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ) أى تحمل معظمه فبدأ بالخوض فيه وأشاعه وهو عبد الله بن أبىّ (لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ) هو النار فى الآخرة (لَوْلَا) هلا (إِذْ) حين (سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ) أى ظن بعضهم ببعض (خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ) كذب بيّن فيه التفات عن الخطاب أى ظننتم أيها العصبة وقلتم (لَوْلَا) هلا (جَاءُوا) أى العصبة (عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ) شاهدوه (فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ) أى فى حكمه (هُمُ الْكَاذِبُونَ) فيه (وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَفَضْتُمْ) أيها العصبة أى خضتم (فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) فى الآخرة (إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ) أى يرويه بعضكم عن بعض وحذف من الفعل إحدى التاءين ، وإذ منصوب بمسكم أو بأفضتم (وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا) لا إثم فيه (وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ) فى الإثم ،

(ولولا) فى ستة مواضع : الأول والثانى والرابع توبيخية لاجواب لها . والثالث والخامس والسادس شرطية ذكر جوابها فى الثالث والسادس وحذف فى الخامس فتدبر و إذا ظرف لظن ، والمعنى كان ينبغى لكم بمجرّد سماعه أن تحسنوا الظن فى أم المؤمنين ولا تصرّوا على الأمر القبيح بعد سماعه (قوله بأنفسهم) أى بأبناء جنسهم فى الايمان والصحبة (قوله فيه التفات عن الخطاب) أى إلى الغيبة إذ كان مقتضى الظاهر ظننتم ، وحكمته التسجيل عليهم والمبالغة فى توبيخهم (قوله لولا جاءوا عليه) أى الافك (قوله شاهدوه) أى عاينوا الزنا (قوله فى حكمه) أى الشرعى لأن مداره على الشهادة والأمر الظاهر ، وهذا جواب عما يقال إنهم كاذبون عند الله مطلقا ولو أتوا بشهداء . فأجاب بأنهم كاذبون باعتبار حكم المشروع ، ولا شك أنهم لو أتوا ببينة معتبرة لكان حكم الله أنهم صادقون فى الظاهر ، فأراد الله أن يكذبهم ظاهرا وباطنا (قوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته) لولا امتناعية وجوابها قوله لمسكم ، والمعنى امتنع مسّ العذاب لكم لوجود فضل الله ورحمته عليكم (قوله فيما أفضتم فيه) أى بسببه وما اسم موصول وأفضتم صلته أو مصدرية : أى بسبب الذى أفضتم فيه أو بسبب إفاضتكم .(قوله عذاب عظيم) أى لغير ابن سلول فان عذابه محتم (قوله إذ تلقونه بألسنتكم) أى تتلفظون به باللسان فقط دون اعتقاده بالقلب فهم يعتقدون براءتها و إنما تلفظهم بالافك محض حسد وعناد

(قوله ولولا إذ سمعتموه) لولا توبيخية و إذ ظرف لقلتم ، والمعنى كان الواجب عليكم حين سمعتم هذا الأمر أن تقولوا سبحانك وفصل بالظرف بين لولا وقلتم لأنه يغتفر فى الظروف مالايغتفر فى غيرها (قوله هو للتعجب هنا) أى مع التنزيه ، والمعنى تنزيها لك عن انتهاك حرماتك ، فانه غير لائق بك ولا بأحبابك الذين قلت فيهم ـ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا ـ (قوله ينهاكم) أشار بذلك إلى أنه ضمن يعظكم معنى ينهاكم فعداه بعن (قوله أبدا) أى مدة حياتكم (قوله إن كنتم مؤمنين) شرط حذف جوابه لدلالة ماقبله عليه أى فلا تعودوا لمثله (قوله باللسان) أى فالمراد باشاعتها إشاعة خبرها (قوله بنسبتها إليهم) أشار بذلك إلى أن المراد بالذين آمنوا خصوص عائشة وصفوان (قوله وهم العصبة) تفسير للذين يحبون (قوله لحق الله) أى ذنب القذف وهو محمول على عبد الله بن أبى ، وأما غيره فقد تاب وحسنت توبته (قوله وأن الله رءوف رحيم) عطف على فضل الله (قوله لعاجلكم بالعقوبة) جواب لولا

(وَلَوْلَا) هلا (إِذْ) حين (سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ) ما ينبغى (لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَانَكَ) هو للتعجب هنا (هَٰذَا بُهْتَانٌ) كذب (عَظِيمٌ . يَعِظُكُمُ اللَّهُ) ينهاكم (أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) تتعظون بذلك (وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ) فى الأمر والنهى (وَاللَّهُ عَلِيمٌ) بما يأمر به وينهى عنه (حَكِيمٌ) فيه (إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ) باللسان (فِي الَّذِينَ آمَنُوا) بنسبتها إليهم وهم العصبة (لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا) بحد القذف (وَالْآخِرَةِ) بالنار لحق الله (وَاللَّهُ يَعْلَمُ) انتفاءها عنهم (وَأَنْتُمْ) أيها العصبة بما قلتم من الإفك (لَا تَعْلَمُونَ) وجودها فيهم (وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ) أيها العصبة (وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) بكم لعاجلكم بالعقوبة (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ) أى طرق تزيينه (وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ) أى المتبع (يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ) أى القبيح (وَالْمُنْكَرِ) شرعا باتباعهما (وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ) أيها العصبة بما قلتم من الإفك (مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا) أى ماصلح وطهر من هذا الذنب بالتوبة منه (وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي) يطهر (مَنْ يَشَاءُ) من الذنب بقبول توبته منه (وَاللَّهُ سَمِيعٌ) بما قلتم (عَلِيمٌ) بما قصدتم (وَلَا يَأْتَلِ) يحلف (أُولُو الْفَضْلِ) أى أصحاب الغنى (مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ) لا (يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) نزلت فى أبى بكر حلف أن لاينفق على مسطح وهو ابن خالته مسكين مهاجر بدرى

وخبر المبتدإ محذوف والتقدير موجودان (قوله خطوات) بضم الطاء وسكونها قراءتان سبعيتان (قوله ومن يتبع خطوات الشيطان) شرط حذف جوابه تقديره فلا يفلح أبدا وقوله فانه يأمر الخ تعليل للجواب (قوله أى المتبع) هكذا بصيغة اسم المفعول وهو الشيطان (قوله باتباعهما) متعلق بيأمر (قوله مازكا منكم من أحد أبدا) هذا يفيد أنهم تابوا وطهروا وهو كذلك إلا عبدالله بن أبى فانه استمر على النفاق حتى هلك كافرا (قوله ولا يأتل) لا ناهية والفعل مجزوم بحذف الياء (قوله أى أصحاب الغنى) فى تفسير الفضل بالغنى نوع تكرار مع قوله والسعة وحينئذ فالمناسب تفسير الفضل بالعلم والدين والاحسان وكفى به دليلا على فضل الصديق (قوله أن لايؤتوا) أشار المفسر إلى أن الكلام على تقدير لا النافية (قوله أولى القربى) أى القرابة وقوله والمساكين والمهاجرين معطوفان على أولى فهذه الأوصاف الثلاثة لموصوف واحد وهو مسطح (قوله حلف أن لاينفق على مسطح) أى فبعد ذلك تاب وجاء إلى أبى بكر واعتذر وقال إنما كنت أغشو مجلس حسان وأسمع منه ولا أقول ، فقال له أبو بكر لقد ضحكت وشاركت فيما قيل وكفر عن يمينه . [لطيفة] وقع لابن المقرى أنه وقع منه هفوة فقطع والده ما كان يجريه له من النفقة فكتب الولد لأبيه :

لاتقطعن عادة بر ولا تجعل عقاب المرء فى رزقه ... فان أمر الافك من مسطح
يحط قدر النجم من أفقه ... وقد جرى منه الذى قد جرى ... وعوتب الصديق فى حقه

فكتب إليه والده :

قد يمنع المضطر من ميتة ... إذا عصى بالسير فى طرقه
لأنه يقوى على توبة ... توجب إيصالا إلى رزقه

لما خاض فى الإفك بعد أن كان ينفق عليه وناس من الصحابة أقسموا أن لايتصدقوا على من تكلم بشىء من الإفك (وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا) عنهم فى ذلك (أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) للمؤمنين ، قال أبو بكر بلى أنا أحب أن يغفر الله لى ورجع إلى مسطح ما كان ينفقه عليه (إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ) بالزنا (الْمُحْصَنَاتِ) العفائف (الْغَافِلَاتِ) عن الفواحش بأن لايقع فى قلوبهن فعلها (الْمُؤْمِنَاتِ) بالله ورسوله (لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ . يَوْمَ) ناصبه الاستقرار الذى تعلق به لهم (تَشْهَدُ) بالفوقانية والتحتانية (عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) من قول وفعل وهو يوم القيامة (يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ) يجازيهم جزاءهم الواجب عليهم (وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ) حيث حقق لهم جزاءه الذى كانوا يشكون فيه ومنهم عبد الله بن أبى . والمحصنات هنا أزواج النبى صلى الله عليه وسلم لم يذكر فى قذفهن توبة ومن ذكر فى قذفهن أول السورة التوبة غيرهن (الْخَبِيثَاتُ) من النساء ومن الكلمات (لِلْخَبِيثِينَ) من الناس (وَالْخَبِيثُونَ) من الناس (لِلْخَبِيثَاتِ) مما ذكر (وَالطَّيِّبَاتُ) مما ذكر (لِلطَّيِّبِينَ) من الناس (وَالطَّيِّبُونَ) منهم (لِلطَّيِّبَاتِ) مما ذكر : أى اللائق بالخبيث مثله وبالطيب مثله (أُولَئِكَ) الطيبون والطيبات من النساء ومنهم عائشة وصفوان (مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ) أى الخبيثون والخبيثات من النساء فيهم (لَهُمْ) للطيبين والطيبات من النساء (مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) فى الجنة ، وقد افتخرت عائشة بأشياء : منها أنها خلقت طيبة ووعدت مغفرة ورزقا كريما .

لو لم يتب مسطح من ذنبه ماعوتب الصدّيق فى حقه انتهى

(قوله لما خاض فى الافك) ظرف لقوله حلف (قوله وليعفوا) أى أولوا الفضل (قوله وليصفحوا) أى ليعرضوا عن لومهم (قوله ورجع إلى مسطح ما كان ينفقه عليه) أى وحلف أن لاينزع نفقته منه أبدا ومسطح هو ابن أثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف وقيل اسمه عوف ومسطح لقبه (قوله الغافلات عن الفواحش) أى لسلامة صدورهن ونقاء قلوبهن واستغراقهن فى مشاهدة الله تعالى (قوله لعنوا فى الدنيا) أى بعدوا فيها عن الثناء الحسن على ألسنة المؤمنين وقوله والآخرة أى بالعذاب إن لم يتوبوا (قوله ناصبه الاستقرار الخ) أى والتقدير وعذاب عظيم كائن لهم يوم تشهد (قوله بالفوقانية والتحتانية) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله يومئذ) معمول ليوفيهم أو ليعلمون (قوله جزاءهم الواجب عليهم) أشار بذلك إلى أن المراد بالدين الجزاء لما فى الحديث كما تدين تدان (قوله هو الحق) أى الثابت الذى لايقبل الزوال أزلا ولا أبدا (قوله ومنهم عبدالله ابن أبى) أتى بهذا ليصح قوله كانوا يشكون فيه فالشك من بعضهم وأما حسان ومسطح وحمنة فهم مؤمنون لايترددون فى الجزاء (قوله أزواج النبى) أى لأن من قذف واحدة منهن فقد قذف الجميع لاشتراكهن فى العفة والصيانة والنسبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله لم يذكر فى قذفهن توبة) أى مثل ماذكر فيما تقدم فى قوله إلا الذين تابوا (قوله ومن ذكر) مبتدأ وغيرهن خبره وهذا من باب التهويل والتعظيم لأمر الافك وإلا فهو كغيره من سائر المعاصى التى تمحى بالتوبة وأما بعد نزول الآيات فقد صار قذف عائشة رضى الله عنها بصفوان كفرا لمصادمة القرآن العظيم فاعتقاد براءتها شرط فى صحة الايمان (قوله الخبيثات للخبيثين) كلام مستأنف سيق لتأكيد البراءة لعائشة وتقبيحا على من تكلم فيها . والمعنى أن المجالسة من دواعى الانضمام فالخبيث لا يكاد يألف غير جنسه والطيب كذلك وهو بمعنى قولهم :

* وكل إناء بالذى فيه ينضح *

(قوله من النساء ومن الكلمات) هذان قولان فى تفسير الخبيثات وقوله مما ذكر أى من النساء والكلمات (قوله والطيبات للطيبين) لاشارة بذلك لرسول الله وعائشة أى حيث كان رسول الله أطيب الطيبين تبين بذلك أن عائشة من أطيب الطيبات (قوله أى اللائق بالخبيث مثله) أى من نساء أو كلمات (قوله وقد افتخرت عائشة بأشياء) منها أن جبريل عليه السلام أتى بصورتها فى سرقة حرير وقال هذه زوجتك ، و يروى أنه أتى بصورتها فى راحته ، ومنها أن النبى

(يأيها

صلى الله عليه وسلم لم يتزوج بكرا غيرها وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجرها وفى يومها ودفن فى بيتها وكان ينزل الوحى عليه وهو معه فى اللحاف ونزلت براءتها من السماء وأنها ابنة الصديق خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلقت طيبة ووعدت مغفرة ورزقا كريما ، وفى القرطبى قال بعض أهل التحقيق : إن يوسف عليه الصلاة والسلام لما رمى بالفاحشة برأه الله على لسان صبى فى المهد و إن مريم لما رميت بالفحشاء برأها الله على لسان ولدها عيسى عليهما السلام و إن عائشة لما رميت بالفحشاء برأها الله بالقول فما رضى لها براءة صبى ولا نبى حتى برأها الله بكلامه من القذف والبهتان انتهى (قوله يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم الخ) لما ذكر الله أحكام العفاف وكان من جملة العفاف عدم دخول منازل الغير إلا باذن أهلها ذكر الاستئذان عقب ذلك ، وسبب نزولها أن امرأة من الأنصار قالت يارسول الله إنى أكون فى بيتى على حال لا أحب أن يرانى عليها أحد لا والد ولا ولد فيأتى الأب فيدخل على و إنه لايزال يدخل على رجل من أهلى وأنا على تلك الحالة فنزلت (قوله غير بيوتكم) أى غير محل سكنكم وحينئذ فقد خرج مالك ذات الدار إذا دخل على مكتريها فيجب عليه الاستئذان لأنه قد صدق عليه أنه غير بيته (قوله حتى تستأنسوا) من الاستئناس وهو ضد الاستيحاش سمى بذلك لأن المستأذن مستوحش ، فاذا أذن له فقد زال الاستيحاش (قوله فيقول الواحد السلام عليكم أأدخل) أشار بذلك إلى أن السلام مقدم على الاستئذان وهو قول الأكثر والحق التفصيل فان وقع بصره على أحد فى البيت قدم السلام و إلا قدم الاستئذان

ثم يسلم ويكون كل من السلام والاستئذان ثلاث مرات يفصل بين كل مرتين بسكوت يسير : الأول إعلام ، والثانى للتهيؤ ، والثالث استئذان فى الدخول أو الرجوع و إذا أتى الباب لايستقبله من تلقاء وجهه بل يجىء من جهة ركنه الأيمن أو الأيسر و إذا طلب منه التعيين فليعين نفسه بصفة تميزه ولا يكتفى

(يٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا) أى تستأذنوا (وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا) فيقول الواحد السلام عليكم أأدخل كما ورد فى حديث (ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ) من الدخول بغير استئذان (لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) بإدغام التاء الثانية فى الذال خيريته فتعملون به (فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا) يأذن لكم (فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ) بعد الاستئذان (ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ) أى الرجوع (أَزْكَىٰ) أى خير (لَكُمْ) من القعود على الباب (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ) من الدخول بإذن وغير إذن (عَلِيمٌ) فيجازيكم عليه (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ) أى منفعة (لَكُمْ) باستكنان وغيره كبيوت الربط والخانات المسبلة (وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ) تظهرون (وَمَا تَكْتُمُونَ) تخفون فى دخول غير بيوتكم من قصد صلاح أو غيره وسيأتى أنهم إذا دخلوا بيوتهم يسلمون على أنفسهم

بقوله أنا مثلا لما روى عن جابر بن عبد الله قال «استأذنت على النبى صلى الله عليه وسلم فقال: من هذا فقلت أنا فقال النبى صلى الله عليه وسلم أنا أنا كأنه كره ذلك لعدم إفادته» فالواجب أن يفعل الشخص كما فعل عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين أراد الدخول على النبى صلى الله عليه وسلم وهو فى مشربة ، فقال السلام عليك يارسول الله السلام عليكم أيدخل عمر (قوله من الدخول بغير استئذان) أى ومن تحية الجاهلية حيث كان الرجل منهم إذا أراد أن يدخل بيتا غير بيته يقول حييتكم صباحا حييتكم مساء فربما أصاب الرجل مع امرأته فى لحاف (قوله بادغام التاء الثانية فى الذال) أى بعد قلبها دالا فذالا (قوله أحد يأذن لكم) السالبة تصدق بنفى الموضوع فهو صادق بأن لا يكون فيها أحد أصلا أو فيها من لايصلح للاذن أو فيها من يصلح لكن لم يأذن (قوله حتى يؤذن لكم) أى حتى يأتيكم الاذن ولو مع خادم يوثق به (قوله هو أزكى) أى أطهر للأمن من الرذائل والدناآت (قوله ليس عليكم جناح) هذا كالاستثناء من قوله لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم . وسبب نزولها أن أبا بكر رضى الله عنه لما نزلت آية الاستئذان قال يارسول الله كيف بالبيوت التى بين مكة والشام على ظهر الطريق والخانات أفلا ندخلها إلا باذن فنزلت (قوله غير مسكونة) أى غير معدة لسكنى طائفة مخصوصة كالربط والخانات والحمامات والحوانيت ونحوها (قوله باستكنان) أى طلب كن يستتر فيه من الحر والبرد وقوله وغيره كالبيع والشراء (قوله المسبلة) اقتصر عليها لأن مورد سؤال أبى بكر فى الخانات المسبلة التى بين مكة والشام (قوله وسيأتى) أى فى آخر السورة فى قوله فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم أى قولوا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فان الملائكة ترد عليكم أى و إن كان بها أهل فسلموا عليهم

(قوله قل للمؤمنين الخ) شروع فى ذكر أحكام بم المستأذنين وغيرهم (قوله يغضوا) أى يخفضوا (قوله ومن زائدة) أى يغضوا أبصارهم وحكمة دخول من فى غض البصر دون حفظ الفرج الاشارة إلى أن أمر النظر أوسع من أمر الفرج (قوله ذلك أزكى لهم) أى لأنه أبعد للريبة ولا مفهوم للبصر والفرج بل باقى الجوارح كذلك وخص البصر والفرج بالذكر لأنهما مقدمتان لغيرهما من الجوارح (قوله فيجازيهم عليه) أى فالغاض يجازى بالحسنات وغيره يجازى بالسيئات (قوله وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن) هـذا أمر من الله سبحانه وتعالى للمؤمنات بغض الأبصار وحفظ الفروج و بسط الكلام فى شأنهن لأن النساء شأنهن التبرج والخيلاء والعجب لما روى «إذا أقبلت المرأة جلس إبليس على رأسها فزينها لمن ينظر و إذا أدبرت جلس على عجيزتها فزينها لمن ينظر» وقد اشتملت هـذه الآية على خمسة وعشرين ضميرا للاناث مابين مرفوع ومجرور ولم يوجد لها نظير فى القرآن فى هذا الشأن (قوله عما لايحل لهن فعله بها) أى عن الأمر الذى لايحل فعله بالفروج كأن تمكن المرأة من فرجها غير زوجها نظرا أو فعلا (قوله زينتهن) أى موضع زينتهن (قوله فيجوز نظره لأجنبى الخ) هـذا مذهب مالك وأحد قولين عنـد الشافعى (قوله حسما للباب) أى سدا للذريعة (قوله وليضربن بخمرهن) أى يلقين خمرهن على

(قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ) عما لايحل لهم نظره ومن زائدة (وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ) عما لايحل لهم فعله بها (ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ) أى خير (لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ) بالأبصار والفروج فيجازيهم عليه (وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ) عما لايحل لهن نظره (وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ) عما لايحل لهن فعله بها (وَلَا يُبْدِينَ) يظهرن (زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا) وهو الوجه والكفان فيجوز نظره لأجنبى إن لم يخف فتنة فى أحد وجهين . والثانى يحرم لأنه مظنة الفتنة ورجح حسماً للباب (وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ)أى يسترن الرءوس والأعناق والصدور بالمقانع (وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ) الخفية وهى ماعدا الوجه والكفين (إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ) جمع بعل أى زوج (أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ) فيجوز لهم نظره إلا مابين السرة والركبة فيحرم نظره لغير الأزواج وخرج بنسائهن الكافرات فلا يجوز للمسلمات الكشف لهن وشمل ماملكت أيمانهن العبيد (أَوِ التَّابِعِينَ) فى فضول الطعام (غَيْرِ) بالجر صفة والنصب استثناء (أُولِي الْإِرْبَةِ) أصحاب الحاجة إلى النساء (مِنَ الرِّجَالِ) بأن لم ينتشر ذكر كل (أَوِ الطِّفْلِ) بمعنى الأطفال ،

موضع جيوبهن وهو العنق والجيب فى الأصل طوق القميص وكانت النساء على عادة الجاهلية يسدلن خمرهن من خلفهن فتبدو نحورهن وقلائدهن من جيوبهن لسعتها فأمرن بارسال خمرهن على جيوبهن سترا لما يبدو منها (قوله زينتهن) أى مواضع زينتهن (قوله إلا لبعولتهن) حاصل هـذه المستثنيات اثنا عشر نوعا آخرها أو الطفل (قوله أو آبائهن) أى وإن علوا (قوله أو أبنائهن) ولو من الرضاع و إن سفلوا (قوله أو إخوانهن) جمع أخ كان من نسب أو رضاع (قوله أو نسائهن) (الدين) أى نساء جنسهن اللاتى اشتركن معهن فى الايمان فيخرج الكافرات (قوله فيجوز لهم نظره) أى يجوز للرجال المحارم رؤية ماعدا مابين السرة والركبة من محارمهم النساء ويجوز لهن نظر ذلك منهم ، وهذا مذهب الشافعى ، وعند مالك لايحل للرجال المحارم إلا نظر الوجه والأطراف من النساء المحارم ، وأما النساء فيحل لهن نظر ماعدا مابين السرة والركبة من الرجال المحارم (قوله فلا يجوز للمسلمات الكشف لهن) أى باتفاق مالك والشافعى لئلا تصفها الكافرة لأهل دينها فتحصل المفاسد (قوله العبيد) أى فيجوز أن يكشفن لهم ماعدا مابين السرة والركبة لكن بشرط العفة وعدم الشهوة من الجانبين ، وهذا مذهب الشافعى وعند مالك يفرق بين الوغد وغيره فالوغد يرى من سيدته الوجه والأطراف وغيره كالحر الأجنبى يرى منها الوجه والكفين (قوله أو التابعين) الحق أن المراد بالتابع الشيخ الهرم الذى لايشتهى النساء أو الأبله الذى لايعرف الأرض من السماء ولا الرجل من المرأة (قوله غير أولى الاربة) بالكسر الحاجة (قوله من الرجال) حال من التابعين : أى فيجوز لمن ذكر نظر ماعدا مابين السرة والركبة عند الشافعى وعند مالك يحل نظر الوجه والأطراف فقط .

(قوله الذين لم يظهروا على عورات النساء) اعلم أن الصبي إما أن لايبلغ أن يحكي ما رأى وهذا غيبته كحضوره، أو أن يبلغه وليس فيه ثوران شهوة وهذا كالمحرم ، أو يعرف أمر الجماع والشهوة وهذا كالبالغ باتفاق مالك والشافعي (قوله ليعلم مايخفين من زينتهن) أى فان ذلك يورث الرجال ميلا اليهن ، وهذا من باب سد الباب وتعليم الأحوط و إلا فصوت الخلخال مثلا ليس بعورة (قوله وتوبوا إلى الله جميعا) هذا حسن اختتام لهذه الآية كأن الله يقول لا تقنطوا من رحمتي فمن كان قد وقع منه شيء مما نهيته عنه فليتب فان التوبة فيها الفلاح والظفر بالمقصود (قوله تغليب الذكور) أى فى قوله وتوبوا الخ (قوله وأنكحوا الأيامى منكم الخ) الخطاب للأولياء والسادات والانكاح تزويج الغير (قوله جمع أيم) أى بوزن فيعل ، قيل غير مقلوب ، وقيل إن الأصل أيائم فقلب (قوله وهى من ليس لها زوج الخ) أى فلفظ الأيم يطلق على كل من الرجل والمرأة غير المتزوجين سواء سبق لهما تزوج أولا ، والأمر للوجوب إن خيف الزنا على المرأة أو الرجل أو اضطرت المرأة للنفقة لكن المرأة يزوجها وليها والرجل يتزوج بنفسه إن كان رشيدا أو أذن له وليه ، وهذا مذهب مالك والشافعي ، وعند أبى حنيفة تزوج المرأة نفسها فان لم تخف الزنا أو لم تضطر للمرأة كان مباحا عند الشافعي ومندوبا عند مالك وأبى حنيفة . واعلم أن النكاح تعتريه الأحكام الأربعة: فتارة يجب وذلك إذا خاف الزنا ولو كان ينفق عليها من حرام ، وتارة يندب إذا كان راغبا فيه ولم يخش الزنا أو راجيا النسل، وتارة يحرم كما إذا كان يقطعه عن عبادة واجبة أو ينفق عليها من حرام مع

كونه لم يخش الزنا ، وتارة يكره كما

(الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا) يطلعوا (عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ) للجماع فيجوز أن يبدين لهم ما عدا ما بين السرة والركبة (وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ) من خلخال يتقعقع (وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ) مما وقع لكم من النظر الممنوع منه ومن غيره (لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) تنجون من ذلك لقبول التوبة منه ، وفى الآية تغليب الذكور على الاناث (وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ) جمع أيم ، وهى من ليس لها زوج بكرا كانت أو ثيبا ومن ليس له زوج وهذا فى الأحرار والحرائر (وَالصَّالِحِينَ) أى المؤمنين (مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ) وعباد من جموع عبد (إِنْ يَكُونُوا) أى الأحرار (فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ) بالتزوج (مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ) لخلقه (عَلِيمٌ) بهم (وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا) أى ما ينكحون به من مهر ونفقة عن الزنا (حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ) يوسع عليهم (مِنْ فَضْلِهِ) فينكحون (وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ) بمعنى المكاتبة (مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ) من العبيد والإماء ،

إذا كان يقطعه عن عبادة مندوبة (قوله وهذا فى الأحرار الخ) أى بقرينة قوله و إمائكم (قوله أى المؤمنين) أى فالعبيد المؤمنون يزوجون وجوبا إن خيف بتركه الزنا وهذا عند الشافعي وعند مالك لايجب على السيد تزويج عبده ولو خاف العبد الزنا وحينئذ فالأمر عنده للندب (قوله من عبادكم) أى فيزوجه سيده ولو بحرة وقوله و إمائكم : أى فيزوج السيد أمته لرقيق وكذا لحر بشرط أن لايجد للحرائر طولا وأن يخشى الزنا ومحل الشرطين إن لم يكن عقيما (قوله من جموع عبد) أى وله جموع أخر كعبيد وأعابد وأعبد ونحو ذلك (قوله إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله) أى فان فى فضل الله كفاية عن المال لقوله عليه الصلاة والسلام « اطلبوا الغنى بالتزوج » فالمهم تزوج الصالحين من عباد الله نساء ورجالا و إن كانوا فقراء لما فى الحديث « تنكح المرأة لمالها وجمالها ودينها فعليك بذات الدين تربت يداك » (قوله والله واسع) أى ذو العطايا العظيمة التى لا تنفد (قوله عليم بهم) أى بحالهم فيغنيهم (قوله وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا) أى ليجتهدوا فى طلب العفة وتحصيل أسبابها وذلك يكون بالتباعد عن الغلمان والنساء ويكون بملازمة الصوم والرياضة لما فى الحديث « من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء » ويكون بترك استعمال العقاقير التى تقوى الشهوة واستعمال ضدها (قوله أى ماينكحون به) أى فالمصدر بمعنى اسم المفعول ككتاب بمعنى مكتوب (قوله عن الزنا) قدره إشارة إلى أن متعلق يستعفف محذوف (قوله والذين) اسم موصول مبتدأ ويبتغون صلته والكتاب معمول ليبتغون ، وقوله : مما ملكت أيمانكم حال من فاعل يبتغون ، وقوله : فكاتبوهم الجملة خبر وقرن بالفاء لما فى المبتدإ من معنى الشرط (قوله بمعنى المكاتبة) أى وهى مفاعلة لأن السيد كتب على نفسه العتق والعبد كتب على نفسه النجوم .

(قوله فكاتبوهم) الأمر للندب (قوله أى أمانة) أى فى دينه (قوله وقدرة على الكسب) أى بحرفة وغيرها (قوله وآتوهم) الأمر قيل للندب وقيل للوجوب (قوله حط شىء) أى وهو أفضل من الاعطاء لأنه قد يصرفه فى غير جهة الكتابة والأفضل أن يكون ذلك الحط فى آخر نجم (قوله ولا تكرهوا فتياتكم) جمع فتاة ولامفهوم للاكراه بل الرضا بالزنا من الكبائر وإنما عبر به لأنه سبب النزول (قوله على البغاء) هو مصدر بغت المرأة تبغى بغاء : أى زنت وهو مختص بزنا النساء (قوله إن أردن تحصنا) لامفهوم له بل يحرم الاكراه على الزنا وإن لم يردن التحصن ، وإنما نص على ذلك لأنه الواقع من عبد الله بن أبى الذى نزلت فى حقه الآية (قوله محل الاكراه) أى فلايتحقق الاكراه إلا عند تلك الارادة وأما عند ميلهن له فذلك باختيارهن فلا يتصور الاكراه حينئذ فالتقييد لأجل صحة قوله تكرهوا (قوله كان يكره جواريه) أى وكن ستا فشكا ثنتان منهن للنبى صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية (قوله غفور لهن) أى ماوقع منهن لأن المكره وإن لم يكن آثما فلربما يحصل منه بعض ميل والاكراه المبيح للزنا هو خوف القتل أو الضرب المؤدى له أو لتلف عضو ، وأما القتل فلا يباح بخوف القتل بل يسلم نفسه ولا يقتل غيره ، وأما ترك الصلاة مثلا فالاكراه عليه يحصل بالضرب ونحوه (قوله بفتح الياء وكسرها) أى

فهما قراءتان سبعيتان (قوله بين فيها ماذكر) راجع للفتح ، وقوله أو بينة راجع للكسر (قوله ومثلا) عطف على آيات (قوله أى من جنس أمثالهم) أشار بذلك إلى أن فى الآية حذف مضافين والأصل ومثلا من جنس أمثال الذين خلوا (قوله الله نور السموات والأرض) اعلم أن حقيقة النور كيفية تدركها الباصرة أولا وتدرك بواسطتها سائر المبصرات كالكيفية الفائضة من النيرين على الأجرام الكثيفة المحاذية لهما وهو بهذا المعنى مستحيل إطلاقه على الله تعالى ، وحينئذ هى

فيجاب عن الآية بأن معنى قوله ـ نور السموات والأرض ـ خالق النور فى السموات بالشمس والقمر والنجوم والكواكب والعرش والملائكة ، وفى الأرض بالمصابيح والسرج والشموع والأنبياء والعلماء والصالحين أفاد هذا المفسر بقوله : أى منورهما وقيل معنى نور السموات والأرض مظهرهما لأن النور كما يطلق على الكيفية يطلق على الظاهر فى نفسه المظهر لغيره ، وهو بهذا المعنى يصح إطلاقه على الله تعالى فهو سبحانه وتعالى نور بمعنى مظهر الأشياء من العدم إلى الوجود . قال ابن عطاء الله فى الحكم : الكون كله ظلمة أناره ظهور الحق فيه فوجود العالم بوجود الله إذ لولا وجود الله ما وجد شىء من العالم (قوله مثل نوره) مبتدأ ، وقوله كمشكاة خبر والمثل بمعنى الصفة والكلام على حذف مضاف : أى كمثل مشكاة (قوله أى صفته فى قلب المؤمن) أشار بذلك إلى أن فى الكلام شبه استخدام حيث ذكر النور أولا بمعنى ثم ذكره ثانيا بمعنى آخر فتحصل أنه فسر النور أولا بالحسى وثانيا بالمعنوى (قوله كمشكاة) اختلف فى هذه اللفظة ، قيل عربية وقيل حبشية معربة (قوله فى زجاجة) واحدة الزجاج وفيه ثلاث لغات الضم وبه قرأ العامة والفتح والكسر وبهما قرىء شذوذا .

(فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا) أى أمانة وقدرة على الكسب لأداء مال الكتابة ، وصيغتها مثلا كاتبتك على ألفين فى شهرين كل شهر ألف فإذا أديتهما فأنت حر فيقول قبلت (وَآتُوهُمْ) أمر للسادة (مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ) ما يستعينون به فى أداء ما التزموه لكم وفى معنى الايتاء حط شىء مما التزموه (وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ) أى إماءكم (عَلَى الْبِغَاءِ) أى الزنا (إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا) تعففا عنه وهذه الإرادة محل الاكراه فلا مفهوم للشرط (لِتَبْتَغُوا) بالإكراه (عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) نزلت فى عبد الله بن أبى كان يكره جواريه على الكسب بالزنا (وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ) لهن (رَحِيمٌ) بهن (وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ) بفتح الياء وكسرها فى هذه السورة بين فيها ماذكر أو بينة (وَمَثَلًا) خبرا عجيبا وهو خبر عائشة (مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ) أى من جنس أمثالهم أى أخبارهم العجيبة كخبر يوسف ومريم (وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ) فى قوله تعالى : ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله الخ ، لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون الخ ولولا إذ سمعتموه قلتم الخ ، يعظكم الله أن تعودوا الخ وتخصيصها بالمتقين لأنهم المنتفعون بها (اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) أى منورهما بالشمس والقمر (مَثَلُ نُورِهِ) أى صفته فى قلب المؤمن (كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ)

هى القنديل ، والمصباح: السراج أى الفتيلة الموقودة ، والمشكاة : الطاقة غير النافذة أى الأنبوبة فى القنديل (الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا) والنور فيها (كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ) أى مضىء بكسر الدال وضمها من الدرء بمعنى الدفع لدفعه الظلام و بضمها وتشديد الياء منسوب إلى الدر اللؤلؤ (تَوَقَّدَ) المصباح بالماضى، وفى قراءة بمضارع أوقد مبنيا للمفعول بالتحتانية، وفى أخرى توقد بالفوقانية أى الزجاجة (مِنْ) زيت (شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ) بل بينهما فلا يتمكن منها حر ولا برد مضرين (يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ) لصفائه (نُورٌ) به (عَلَى نُورٍ) بالنار ، ونور الله أى هداه للمؤمن نور على نور الايمان (يَهْدِى اللهُ لِنُورِهِ) أى دين الاسلام (مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ) يبين (اللهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ) تقريبا لأفهامهم ليعتبروا فيؤمنوا (وَاللهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ) ومنه ضرب الأمثال ،

(قوله هى القنديل) بكسر القاف (قوله الموقودة) صوابه الموقدة (قوله غير النافذة) قيد به لأنه فى تلك الحالة أجمع للنور (قوله أى الأنبوبة) هى السنبلة التى فى القنديل وهو تفسير آخر للمشكاة ، وحينئذ فكان المناسب للمفسر أن يقول أو الأنبوبة فتحصل أنه اختلف فى المشكاة فقيل هى الطاقة غير النافذة التى وضع فيها القنديل وعليه فهى ظرف للقنديل ، وقيل هى السنبلة التى تكون وسط القنديل توضع فيها الفتيلة وعليه فالقنديل ظرف لها (قوله بكسر الدال وضمها) أى مع الهمزة قراءتان سبعيتان ، وقوله و بضمها وتشديد الياء قراءة سبعية أيضا فتكون القراآت ثلاثا (قوله بمعنى الدفع) أى و بابه قطع (قوله منسوب إلى الدر) أى لشدة صفائه (قوله بالماضى الخ) حاصله أن القراآت ثلاث سبعيات بالماضى و بالمضارع بالتحتانية و يكون الضمير عائدا على المصباح و بالفوقانية ويكون الضمير عائدا على الزجاجة على حذف مضاف : أى فتيلة الزجاجة (قوله من زيت شجرة) من ابتدائية وأشار المفسر إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله مباركة) أى لكثرة منافعها . قال ابن عباس : فى الزيتون منافع يسرج بزيته وهو إدام ودهان ودباغ ووقود وليس فيه شىء إلا وفيه منفعة حتى الرماد يغسل به الابريسم ، وهى أول شجرة نبتت فى الدنيا وأول شجرة نبتت بعد الطوفان ونبتت فى منازل الأنبياء والأرض المقدسة ودعا لها سبعون نبيا بالبركة منهم إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام (قوله لاشرقية ولا غربية) بالجر صفة لشجرة وقرىء شذوذا بالرفع خبر لمحذوف أى لاهى شرقية ولا هى غربية والجملة فى محل جر نعت لشجرة (قوله بل بينهما الخ) أشار بذلك إلى أن المراد بقوله لاشرقية ولا غربية أنها متوسطة لاشرقية فقط ولا غربية فقط بل بينهما وهى الشام فان زيتونه أجود الزيتون وفى الحديث « لاخير فى شجرة ولا نبات فى مقنأة ولا خير فيهما فى مضحى » والمقنأة بقاف ونون مفتوحة أو مضمومة فهمزة المكان الذى لا تطلع عليه الشمس والمضحى هو الذى تشرق عليه دائما فتحرقه وهو أحد قولين ، وقيل معنى لاشرقية ولا غربية أن الشمس تبقى عليها دائما من أول النهار لآخره لايواريها عن الشمس شىء كالتى تكون فى الصحارى الواسعة فان ثمرتها تكون أنضج وزيتها أصفى وعلى هذا فلا يتقيد بشام ولا غيرها (قوله مضرين) هذا هو محل النفى وهو حال (قوله ولو لم تمسسه نار) شرط حذف جوابه لدلالة ماقبله عليه والتقدير لأضاء (قوله نور به) أى الزيت ، وقوله على نور : أى مع نور وهو نور المصباح والزجاجة فالأنوار المشبه بها متعددة كأنوار المشبه فليس المقصود فى الآية التثنية بل الكثرة وتراكم الأنوار (قوله ونور الله : أى هداه الخ) أى فبراهين الله تزداد فى قلب المؤمن برهانا بعد برهان . إن قلت لم ضرب الله المثل بنور الزيت ولم يضرب به بنور الشمس والقمر والشمع مثلا . أجيب بأن الزيت فيه منافع ويسهل لكل أحد كما أن المؤمن الكامل الإيمان منافعه كثيرة . واختلف فى هذا التشبيه هل هو تشبيه مركب بأن قصد فيه تشبيه جملة بجملة من غير نظر إلى مقابلة جزء بجزء وذلك بأن يراد مثل نور الله الذى هو هداه و براهينه الساطعة كجملة النور الذى يتخذ من هذه الهيئة أو تشبيه جزء بجزء بأن يشبه صدر المؤمن بالمشكاة وقلبه بالزجاجة ومعارفه بالزيت و إيمانه بالمصباح (قوله يهدى الله لنوره من يشاء) أى من يريد هدايته فان الأسباب دون مشيئته لاغية ولولا العناية ماكان الوصول لذلك النور (قوله أى دين الاسلام) المراد به مايشمل الإيمان وهو الذى ضرب له المثل المتقدم وأظهر فى مقام الاضمار اعتناء بشأنه (قوله ويضرب الله الأمثال للناس) أى تقريبا للمعقول من المحسوس فحيث كان نور الإيمان والمعارف مثله هكذا فلا تدخل شبهة على المؤمن إلا شاهدها بعين البصيرة كما تشاهد بعين البصر و يشهد الحق بعين البصيرة كما يشهده

بعين البصر ، وفى هذا المقام تنافس المتنافسون فأدناهم أهل المراقبة وأعلاهم أهل المشاهدة ، ومن هذا المعنى قوله تعالى - إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون - وقوله فى الحديث « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله » وقوله فى الحديث أيضا « الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه » وللعارفين تفننات وضرب أمثال فى هذه المقامات لايدركها إلا من كان من أهل هذا النور (قوله فى بيوت) المراد بها جميع المساجد ، وقيل خصوص مساجد أربع الكعبة ومسجد المدينة و بيت المقدس وقباء لأنه لم يبنها إلا نبى فالكعبة بناها إبراهيم و إسماعيل وبيت المقدس بناه داود وسليمان ومسجد المدينة وقباء بناهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والأقرب الأوّل لأن العبرة بعموم اللفظ (قوله يتعلق بيسبح الآتى) أى سواء قرئ بيناه للفاعل أو المفعول وكرّر الظرف وهو قوله فيها اعتناء بشأن المساجد لما ورد « بيوت الله فى الأرض تضىء لأهل السماء كما تضىء النجوم لأهل الأرض » ويصح أن يكون متعلقا بمحذوف دلّ عليه قوله يسبح ، والتقدير سبحوا ربكم فى بيوت وعلى هذين فالوقف على عليم ويصح أن يكون الجار والمجرور صفة لمشكاة أو لمصباح أو لزجاجة أو متعلق بتوقد وعلى هذه الأربعة لايوقف على عليم (قوله أذن الله) أى أمر والجملة صفة لبيوت وأن ومادخلت عليه فى تأويل مصدر مجرور بالباء المقدرة ، والتقدير أمر الله برفعها (قوله تعظم) أى حسا ومعنى فالتعظيم الحسى رفعها بالبنيان المتين الحسن مساويا لبنيان البلد أو أعلى ولا منافاة بين هذا وقوله عليه الصلاة والسلام « إذا ساء عمل قوم زخرفوا مساجدهم » لأن المنهى عنه الزخرفة والتزويق لاحسن البنيان وإتقانه ومن التعظيم الحسى تطهيرها من الأقذار والنجاسات . قال القرطبى : كره بعض أصحابنا تعليم الصبيان فى المساجد لأنهم لايتحرزون عن الأقذار والأوساخ فيؤدّى ذلك إلى عدم تنظيف المساجد وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتنظيفها وتطييبها فقال « جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وسل سيوفكم وإقامة حدودكم ورفع أصواتكم وخصوماتكم وجمروها فى الجمع واجعلوا لها على أبوابها المطاهر » والتعظيم المعنوى بترك اللهو واللعب والحديث الدنيوى وغير ذلك مما لايعنى (قوله ويذكر فيها اسمه) أى بأى ذكر كان (قوله بفتح الموحدة وكسرها) أى فهما قراءتان سبعيتان فعلى الفتح يكون نائب الفاعل أحد المجرورات الثلاثة والأوّل أولى ، ولذا اقتصر عليه المفسر ورجال فاعل فعل محذوف أو خبر لمحذوف تقديره بحسبه أو المسبح وعليه فالوقف على الآصال وعلى الكسر فرجال فاعله ولايوقف على الآصال (قوله أى يصلى) فسر التسبيح بالصلاة لاشتمالها عليه ، واختلف فى المراد بالصلاة فقيل المراد صلاة الصبح فى الغدو وباقى الخمس فى الآصال ، وقد أشار لهذا المفسر بقوله من بعد الزوال ، وقيل المراد صلاة الصبح والعصر لما قيل إنهما الصلاة الوسطى (قوله مصدر) أى فى الأصل وأما هنا فالمراد منه الأزمنة (قوله أى البكر) أى وهى أوائل النهار ، وقوله العشايا هى أواخر النهار (قوله رجال) خصوا بالذكر لأن شأنهم حضور المساجد للجمعة والجماعة (قوله شراء) خص التجارة بالشراء وإن كان لفظ التجارة يقع على البيع أيضا لذكره البيع بعده ، وقيل المراد بالتجارة حقيقتها ويكون خص البيع بالذكر لأن الاشتغال به أعظم لكون الربح الحاصل من البيع ناجزا محققا والربح الحاصل من الشراء مشكوك فيه مستقبل فلا يكاد يشغله (قوله عن ذكر الله) أى عن حقوق الله صلاة أو غيرها فقوله : وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة من ذكر الخاص بعد العام اعتناء بشأنهما فإن المواظب عليهما كامل الايمان (قوله وإقام الصلاة) أى أدائها فى أوقاتها بشروطها وأركانها وآدابها (قوله يخافون يوما) أى هؤلاء الرجال وإن أكثروا الذكر والطاعات فإنهم مع ذلك وجلون خائفون من الله سبحانه وتعالى لعلمهم بأنهم ماعبدوه حق عبادته (قوله بين النجاة والهلاك) راجع لتقليب القلوب ، وقيل معنى تقلب القلوب ارتفاعها إلى الحناجر فلاتنزل ولا تخرج من شدة الهول

(فِى بُيُوتٍ) متعلق بيسبح الآتى (أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ) تعظم (وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ) بتوحيده (يُسَبَّحُ) بفتح الموحدة وكسرها : أى يصلى (لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ) مصدر بمعنى الغدوات أى البكر (وَالآصَالِ) العشايا من بعد الزوال (رِجَالٌ) فاعل يسبح بكسر الباء وعلى فتحها نائب الفاعل له ورجال فاعل فعل مقدار جواب سؤال مقدر كأنه قيل من يسبحه (لاَ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ) أى شراء (وَلاَ بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلاَةِ) حذف هاء إقامة تخفيف (وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ) تضطرب (فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ) من الخوف ، القلوب بين النجاة والهلاك ، والأبصار

(قوله بين ناحيتى اليمين والشمال) وقيل تقلب الأبصار شخوصها من هول الأمر وشدته (قوله ليجزيهم الله) اللام للعاقبة والصيرورة أى إن مآل أمرهم وعاقبته الجزاء الحسن وليست لام العلة لأن هذه مرتبة عامة المؤمنين وتلك الأوصاف إنما هى لكامل الإيمان (قوله وأحسن بمعنى حسن) أى فالمحترز عنه المجازاة على القبيح فالمعنى يجازون على كل عمل حسن قال تعالى - إنا لانضيع أجر من أحسن عملا - ولايجازون على ماسبق من العمل القبيح (قوله ويزيدهم من فضله) أى فلا يقتصر فى إعطائهم على جزاء أعمالهم بل يعطون أشياء لم تخطر ببالهم (قوله والله يرزق من يشاء بغير حساب) تذييل ووعد كريم بأنه تعالى يعطيهم فوق أجور أعمالهم من الخيرات مالايفى به الحساب (قوله يقال فلان ينفق بغير حساب الخ) أى فهو كناية عن كون الله يعطيهم مالاعين رأت ولاأذن سمعت ولاخطر على قلب بشر بغير نهاية فوق ماوعدهم به (قوله والذين كفروا الخ) لما ضرب الله المثل للمؤمنين بأشرف الأمثال وأعلاها ضرب المثل للكفار بأشر الأشياء وأخسها . والحاصل أن الله ضرب للكفار مثلين مثل لأعمالهم الحسنة بقوله كسراب الخ ومثل لأعمالهم السيئة بقوله أوكظلمات الخ والاسم الموصول مبتدأ وكفروا صلته وأعمالهم مبتدأ ثان وكسراب خبر الثانى والثانى وخبره خبر الأول ويصح أن يكون أعمالهم بدل اشتمال وكسراب خبر الذين (قوله أعمالهم) أى الصالحة كصدقة وعتق وغير ذلك مما لايتوقف على نية (قوله بقيعة) الباء بمعنى فى كما يشير له المفسر بقوله أى فى فلاة (قوله جمع قاع) أى كجيرة جمع جار ، وقيل القيعة مفرد بمعنى القاع (قوله يشبه الماء الجارى) أى ويسمى آلا أيضا ، قال الشاعر : إذا أنا كالذى يجرى لورد إلى آل فلم يدرك بلالا (١٣٣) ويسمى سرابا لأنه ينسرب أى يجرى كالماء (قوله يحسبه) بكسر السين وفتحها قراءتان سبعيتان وماضيه حسب بكسر السين وهو من باب تعب فى لغة جميع العرب إلا بنى كنانة فإنهم يكسرون المضارع مع كسر الماضى أيضا (قوله الظمآن) أى وكذا كل من رآه وإنما خص الظمآن لأنه أحوج إليه من غيره (قوله حتى إذا جاءه) أى جاء ماقصده وظنه ماء وهو غاية فى محذوف أى يستمر سائرا إليه حتى إذا جاءه الخ (قوله كذلك الكافر الخ) أشار بذلك إلى وجه الشبه فتحصل أنه شبه حال الكافر من حيث اعتقاده أن عمله الصالح ينفعه فى الآخرة فإذا جاء يوم القيامة لم يجد الثواب الذى كان يظنه بل وجد العقاب العظيم والعذاب الأليم فعظمت حسرته بحال الظمآن الذى اشتدت حاجته إلى الماء فإذا شاهد السراب تعلق به فإذا جاءه لم يجده شيئا (قوله ووجد الله) أى وجد وعد الله بالجزاء على عمله أو المعنى وجد عذاب الله له (قوله أى جازاه عليه فى الدنيا) المعنى أن الكافر يوم القيامة يعلم ويتحقق أن الله جازاه على أعماله الحسنة التى لم تتوقف على نية فى الدنيا بالمال والبنين والعافية وغير ذلك من لذات الدنيا هكذا قال المفسر وهو وإن كان صحيحا فى نفسه إلا أن المفسرين على خلافه فإنهم قالوا : معنى وفاه حسابه جازاه عليه فى الآخرة بالعذاب . والحاصل أنه إن أريد مثل أعماله الصالحة التى تتوقف على نية فمسلم أنه لايجد لها جزاء فى الآخرة ولا تنفعه أصلا وإن أريد خصوص مالايتوقف على نية فقيل لايجد لها نفعا أصلا ، وقيل يجد نفعها إما فى الدنيا كتوسعتها عليه وعافيته وغير ذلك ، أو فى الآخرة بتخفيف عذاب غير الكفر (قوله أوكظلمات) أو للتقسيم أى أن أعمال الكافر جميعها تنقسم قسمين : قسم كالسراب وهو العمل الصالح ، وقسم كالظلمات وهو العمل السيء ، وقوله : أوكظلمات معطوف على قوله : كسراب على حذف مضاف تقديره أوكذى ظلمات يدل عليه قوله - إذا أخرج يده لم يكد يراها

بين ناحيتى اليمين والشمال هو يوم القيامة (لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا) أى ثوابه وأحسن : بمعنى حسن (وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) يقال فلان ينفق بغير حساب : أى يوسع كأنه لايحسب ماينفقه (وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ) جمع قاع : أى فى فلاة ، وهو شعاع يرى فيها نصف النهار فى شدة الحر يشبه الماء الجارى (يَحْسَبُهُ) يظنه (الظَّمْآنُ) أى العطشان (مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا) مما حسبه كذلك الكافر يحسب أن عمله كصدقة ينفعه حتى إذا مات وقدم على ربه لم يجد عمله أى لم ينفعه (وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ) أى عند عمله (فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ) أى جازاه عليه فى الدنيا (وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ) أى المجازاة (أَوْ) الذين كفروا أعمالهم السيئة (كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ

لُجِّيٍّ) عميق (يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ) أى الموج (مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ) أى الموج الثانى (سَحَابٌ) أى غيم ، هذه (ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ) ظلمة البحر ، وظلمة الموج الأول ، وظلمة الثانى ، وظلمة السحاب (إِذَا أَخْرَجَ) الناظر (يَدَهُ) فى هذه الظلمات (لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا) أى لم يقرب من رؤيتها (وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ) أى من لم يهده الله لم يهتد (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ) ومن التسبيح صلاة (وَالطَّيْرُ) جمع طائر بين السماء والأرض (صَافَّاتٍ) حال باسطات أجنحتهن (كُلٌّ قَدْ عَلِمَ) الله (صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ) فيه تغليب العاقل (وَلِلّٰهِ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ) خزائن المطر والرزق والنبات (وَإِلَى اللهِ الْمَصِيرُ) المرجع (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُزْجِي سَحَاباً) يسوقه برفق (ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ) يضم بعضه إلى بعض فيجعل القطع المتفرقة قطعة واحدة (ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَاماً) بعضه فوق بعض (فَتَرَى الْوَدْقَ) المطر (يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ) مخارجه (وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ) زائدة (جِبَالٍ فِيهَا) فى السماء ،

(قوله لجى) منسوب للجّ أو اللجة وهو الماء الغزير (قوله يغشاه موج الخ) أى يعلوه وهو إشارة إلى كثرة الأمواج وتراكمها ، والمعنى أن البحر اللجى يكون باطنه مظلما بسبب غزارة الماء فإذا ترادفت الأمواج ازدادت الظلمة فإذا كان مع ذلك سحاب ازدادت الظلمة جدا ، ووجه الشبه أن الله تعالى ذكر ثلاث ظلمات : ظلمة البحر والأمواج والسحاب ، كذلك الكافر له ثلاث ظلمات : ظلمة الاعتقاد وظلمة القول وظلمة الفعل (قوله من فوقه سحاب) أى قد غطى أنوار النجوم (قوله هذه ظلمات) أشار بذلك إلى أن قوله : ظلمات خبر لمحذوف (قوله إذا أخرج يده) خصها لأنها أقرب الأشياء إليه (قوله ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور) استفيد من هذا أن النور ليس بالحول ولا بالقوة بل بفضل الله يعطيه لمن يشاء ، والمعنى من لم يجعل الله له دينا وإيمانا فلا دين له (قوله ألم تر) الخطاب لكل عاقل وهو توبيخ للكفار كأن الله يقول لهم إن تسبيحى ليس قاصرا عليكم بل جميع من فى السموات والأرض يسبحونى (قوله ومن التسبيح صلاة) ذكر ذلك توطئة لقوله كل قد علم صلاته وتسبيحه فالصلاة مندرجة فى عموم التسبيح (قوله والطير) بالرفع عطف على من والنصب على المعية وصافات بالنصب على الحال على كل من القراءتين وقرئ شذوذا برفعهما على الابتداء والخبر ومفعول صافات محذوف أى أجنحتها (قوله بين السماء والأرض) أشار بهذا إلى أن العطف مغاير لأنه فى حالة الطيران يكون بين السماء والأرض (قوله قد علم الله صلاته الخ) أشار بذلك إلى أن الضمير فى علم عائد على الله ، ويصح عوده على كل أى علم كل صلاة نفسه وتسبيحها (قوله فيه تغليب العاقل) أى حيث عبر بالفعل (قوله خزائن المطر والرزق) راجع للسماء وقوله والنبات راجع للأرض وفى كلام المفسر إشارة إلى أن الكلام على حذف مضاف والأصل ولله ملك خزائن السموات والأرض ، والأصح إبقاء الآية على ظاهرها كما سلكه غيره بدل وعلى كل فهو من أدلة تنزيه المخلوقات له (قوله وإلى الله المصير) أى مرجع الخلائق كلها إلى الله فيجازى كل أحد بعمله (قوله ألم تر) الخطاب لكل عاقل لا لخصوص النبى صلى الله عليه وسلم لأن من تأمل ذلك حصل له العلم به (قوله ثم يؤلف بينه) أى بين أجزائه لأن كل جزء سحاب وبهذا اندفع ما قيل إن بين لاتدخل إلا على متعدد وإلى هذا يشير المفسر بقوله يضم بعضه إلى بعض الخ (قوله ركاما) الركام الشىء المتراكم بعضه على بعض (قوله فترى الودق) أى تبصره (قوله مخارجه) أى ثقبه فالسحاب غربال المطر . قال كعب الأحبار : لولا السحاب حين ينزل المطر من السماء لأفسد ما يقع عليه من الأرض (قوله وينزل من السماء من جبال فيها من برد) أشار بذلك إلى أن السماء كما ينزل منها المطر الذى هو نفع للعباد ينزل منها بعض الجبال التى هى البرد وهو ضرر للعباد فسبحان من جعل السماء منشأ للخير والشر (قوله من زائدة) الحاصل أن من الأولى ابتدائية لاغير والثانية فيها ثلاثة أوجه : قيل زائدة ، وقيل ابتدائية ، وقيل تبعيضية وهو الأحسن ، والثالثة فيها أربعة أوجه الثلاثة المتقدمة وقيل بيانية وهو الأحسن وحينئذ فيكون المعنى على ذلك وينزل بعض جبال كائنة فى السماء التى هى البرد إنزالا ناشئا ومبتدأ من السماء (قوله فيها) الجار والمجرور متعلق بمحذوف صفة لجبال .

بدل باعادة الجار (مِنْ بَرَدٍ) أى بعضه (فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ) يقرب (سَنَا بَرْقِهِ) لمعانه (يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ) الناظرة له أى يخطفها (يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ) أى يأتى بكل منهما بدل الآخر (إِنَّ فِي ذَلِكَ) التقليب (لَعِبْرَةً) دلالة (لِأُولِي الْأَبْصَارِ) لأصحاب البصائر على قدرة الله تعالى (وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ) أى حيوان (مِنْ مَاءٍ) أى نطفة (فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ) كالحيات والهوام (وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ) كالإنسان والطير (وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ) كالبهائم والنعام (يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ) أى بينات هى القرآن (وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ) طريق (مُسْتَقِيمٍ) أى دين الإسلام (وَيَقُولُونَ) أى المنافقون (آمَنَّا) صدقنا (بِاللَّهِ) بتوحيده (وَبِالرَّسُولِ) محمد (وَأَطَعْنَا) هما فيما حكما به (ثُمَّ يَتَوَلَّى) يعرض (فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ) عنه (وَمَا أُولَئِكَ) المعرضون (بِالْمُؤْمِنِينَ) المعهودين الموافق قلوبهم لألسنتهم (وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ) المبلغ عنه (لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ) عن المجيء إليه (وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ) مسرعين طائعين (أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) كفر

(قوله بدل باعادة الجار) هذا راجع لقوله من جبال والمناسب للمفسر أن يقول أو بدل فيكون قولا ثانيا لأن هذا لايتأتى على جعلها زائدة بل على جعلها ابتدائية (قوله فيصيب به) أى بالبرد (قوله سنابرقه) هو بالقصر فى قراءة العامة معناه الضياء وأما بالمد فمعناه الرفعة وليس مرادا (قوله أى يخطفها) أشار بذلك إلى أن الباء فى الأبصار للتعدية، والمعنى يذهبها بسرعة لأن الضوء القوى يذهب الضعيف ومن ذلك قول الفقهاء إذا فعل رجل بآخر فعلا أذهب بصره وأريد أن يقتص منه باذهاب بصره فانه يؤتى له بمرآة وتوضع فى الشمس ويجلس الشخص قبالتها وتقلب المرآة يمينا وشمالا فان ذلك يخطف بصره (قوله أى يأتى بكل منهما بدل الآخر) أى ويقصر هذا ويطول هذا وفى هذا رد على من ينسب الأمور للدهر (قوله لأولى الأبصار) جمع بصيرة وخصهم بالذكر لأنهم المنتفعون بذلك حيث يتأملون فيجدون الماء والنور والنار والظلمة تخرج من شيء واحد فسبحان القادر على كل شيء (قوله على قدرة الله) متعلق بدلالة (قوله أى حيوان) أشار بذلك إلى أن المراد بالدابة مادب على وجه الأرض لاخصوص ذوات الأربع (قوله أى نطفة) هذا بحسب الغالب فى الحيوانات الأرضية وإلا فالملائكة خلقوا من النور والجن خلقوا من النار وآدم خلق من الطين وعيسى خلق من النفس الذى نفخه جبريل فى جيب أمه والدود تخلق من الفاكهة والعفونات وقيل المراد بالماء حقيقته لما ورد أن الله خلق ماء وجعل بعضه ريحا ونورا فخلق منه الملائكة وجعل بعضه نارا فخلق منه الجن وجعل بعضه طينا فخلق منه آدم (قوله فمنهم) الضمير راجع لكل باعتبار معناه وفيه تغليب العاقل على غيره حيث أتى بضمير جماعة الذكور العقلاء فى الجمع (قوله من يمشى على بطنه) قدمه لغرابته وسماه مشيا مشاكلة لما بعده وإلافهو زحف (قوله كالحيات والهوام) بالتشديد أى خشاش الأرض وأدخلت الكاف الدود والسمك (قوله كالانسان والطير) أى والنعام (قوله ومنهم من يمشى على أربع) أى ومنهم من يمشى على أكثر كالعقارب والعنكبوت والحيوان المعروف بأم أربع وأربعين وإنما لم يصرح بهذا القسم لندوره ولدخوله فى قوله : يخلق الله مايشاء (قوله إن الله على كل شيء قدير) أى بما ذكر وبما لم يذكر (قوله لقد أنزلنا) اللام موطئة لقسم محذوف : أى والله لقد أنزلنا الخ (قوله مبينات) بكسر الياء وفتحها قراءتان سبعيتان (قوله والله يهدى من يشاء) أشار بذلك إلى أن الهدى بيد الله وعنايته فلا يهتدى إلا من حفه الله بالعناية فليس ظهور الآيات سببا فى الاهتداء دون عناية الله (قوله ويقولون آمنا بالله) شروع فى ذكر أحوال المنافقين (قوله وأطعنا) قدر المفسر الضمير اشارة إلى أن مفعول أطعنا محذوف (قوله وإذا دعوا إلى الله ورسوله) تفصيل لما أجمل أولا (قوله المبلغ عنه) جواب عما يقال لم أفرد الضمير فى ليحكم مع أنه تقدمه اثنان فاجاب بأن الرسول هو المباشر للحكم وإنما ذكر الله معه تفخيما لشأنه وتعظيما لقدره (قوله إذا فريق) إذا فجائية قائمة مقام الفاء فى ربط الجواب بالشرط (قوله معرضون) أى إن كان الحكم عليهم بدليل مابعده (قوله إليه) يصح أن يكون متعلقا بيأتوا أو بمذعنين (قوله أفى قلوبهم مرض) أشار بذلك إلى أن منشأ الإعراض وسببه أحد أمور ثلاثة

(قوله أم ارتابوا) أم بمعنى بل والهمزة وكذا يقال فيما بعده والاستفهام للتقرير (قوله لا) أشار بذلك إلى أن الاستفهام فى هذا الأخير بمعنى النفى . والمعنى لامحل لخوفهم لاستحالة الحيف على الله ورسوله (قوله بالاعراض عنه) أى الحكم (قوله إنما كان قول المؤمنين) العامة على نصب القول خبرا لكان والاسم أن ومادخلت عليه وقرئ شذوذا برفعه على أنه اسمها وأن ومادخلت عليه خبرها (قوله بالاجابة) أى قولا وفعلا (قوله حينئذ) أى حين إذ قالوا هذا القول (قوله ومن يطع الله الخ) قال بعض الأحبار هذه الآية جمعت مافى توراة موسى وإنجيل عيسى (قوله يخافه) هذا حل معنى و إلا فكان حقه أن يقول يخفه (قوله وكسرها) أى باشباع ودونه فهذه ثلاث قراآت و بسكون القاف مع كسر الهاء بدون إشباع فتكون أربعة وكلها سبعية (قوله هم الفائزون) أى الظافرون بمقصودهم الناجون من كل مكروه (قوله وأقسموا بالله) الضمير عائد على المنافقين وهو معطوف على قوله ويقولون آمنا بالله وبالرسول (قوله جهد أيمانهم) جهد منصوب على المفعولية المطلقة ، والمعنى جهدوا اليمين جهدا حذف الفعل وأقيم المصدر مقامه وأضيف إلى المفعول كضرب الرقاب وهذه الآية نزلت لما قال المنافقون لرسول الله صلى الله عليه وسلم أينما كنت نكن معك لئن خرجت خرجنا ولئن أقمت قمنا وإن أمرتنا بالجهاد جاهدنا (قوله ليخرجن) اللام موطئة للقسم ويخرجن فعل مضارع مؤكد بالنون وأصله ليخرجونن حذفت نون الرفع لتوالى الأمثال فالتقى ساكنان الواو ونون التوكيد حذفت الواو لالتقائهما وبقيت الضمة لتدل عليها (قوله طاعة) مبتدأ ومعروفة صفته والخبر محذوف قدره المفسر بقوله خير من قسمكم ويصح أن يكون طاعة خبرا لمحذوف تقديره أمركم طاعة معروفة أى الأمر المطلوب منكم طاعة معروفة بالصدق وموافقة الواقع لامجرد القول باللسان (قوله إن الله خبير بما تعملون) تعليل لما قبله والمعنى لاتحلفوا باللسان مع كون قلوبكم ليس فيها الامتثال والاخلاص فان الله مطلع على بواطنكم وظواهركم لاتخفى عليه خافية (قوله فان تولوا) شرط حذف جوابه والتقدير فلا ضرر عليه وقوله فانما عليه ماحمل علة للدليل المحذوف (قوله ماحمل) أى كلف (قوله تهتدوا) أى تصلوا للرشاد والفوز برضا الله وهذا راجع لقوله وعليكم ماحملتم ، وقوله وماعلى الرسول إلا البلاغ المبين راجع لقوله فانما عليه ماحمل على سبيل اللف والنشر المشوش (قوله أى التبليغ البين) أى الظاهر وقد أداه فعليكم أن تؤدوا ماحملتم من الطاعة لله ورسوله (قوله وعد الله الخ) وعد فعل ماض ولفظ الجلالة فاعله والاسم الموصول مفعوله الأول والمفعول الثانى محذوف تقديره الاستخلاف فى الأرض وتمكين دينهم وتبديل خوفهم أمنا يدل على هذا المحذوف قوله ليستخلفنهم الخ فان اللام موطئة لقسم محذوف تقديره أقسم الله ليستخلفنهم (قوله منكم) الجار والمجرور حال من الذين آمنوا والخطاب لعموم الأمة (قوله فى الأرض) أى جميعها وقد حصل ذلك (قوله كما استخلف) مامصدرية والمعنى استخلافا كاستخلاف الذين من قبلهم (قوله بالبناء للفاعل والمفعول) أى فهما قراءتان سبعيتان

(أَمِ ارْتَابُوا) أى شكوا فى نبوّته (أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ) فى الحكم أى فيظلموا فيه ؟ لا (بَلْ أُولٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) بالإعراض عنه (إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ) بالقول اللائق بهم (أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا) بالإجابة (وَأُولٰئِكَ) حينئذ (هُمُ الْمُفْلِحُونَ) الناجون (وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللهَ) يخافه (وَيَتَّقْهِ) بسكون الهاء وكسرها بأن يطيعه (فَأُولٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ) بالجنة (وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ) غايتها (لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ) بالجهاد (لَيَخْرُجُنَّ، قُلْ) لهم (لَا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ) للنبى خير من قسمكم الذى لاتصدقون فيه (إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) من طاعتكم بالقول ومخالفتكم بالفعل (قُلْ أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا) عن طاعته بحذف إحدى التاءين خطاب لهم (فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ) من التبليغ (وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ) من طاعته (وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ) أى التبليغ البين (وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ) بدلا عن الكفار (كَمَا اسْتَخْلَفَ) بالبناء للفاعل والمفعول (الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) من بنى إسرائيل بدلا عن الجبابرة (وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ،

الذى

(قوله الذى ارتضى لهم) العائد محذوف أى ارتضاه لهم ، والمعنى وليجعلن دينهم الذى رضيه لهم ظاهرا وفائقا على جميع الأديان (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله بما ذكر) أى وهو ما تقدم من الأمور الثلاثة (قوله يعبدوننى) أى يوحدوننى ، وقوله لا يشركون بى شيئا حال من فاعل يعبدوننى أو بدل مما قبله (قوله هو مستأنف) أى واقع فى جواب سؤال مقدر كأنه قيل ما بالهم يستخلفون ويجعل دينهم ظاهرا على جميع الأديان ويؤمنون فقيل يعبدوننى الخ (قوله بعد ذلك الانعام) أى بما ذكر من الأمور الثلاثة ، فالمراد بالكفر كفر النعم بدليل قوله ـ فأولئك هم الفاسقون ـ وليس المراد به ما قابل الايمان وإلا لقال الكافرون (قوله وأول من كفر به) أى بالانعام (قوله قتلة عثمان) أى وهم جماعة من الرعية أخذوه بغتة (قوله وأقيموا الصلاة) معطوف على قوله ـ أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ـ (قوله لعلكم ترحمون) الترجى فى القرآن بمنزلة التحقيق (قوله بالفوقانية والتحتانية) قراءتان سبعيتان (قوله والفاعل الرسول) أى على كل من القراءتين واسم الموصول مفعول أول ومعجزين مفعول ثان (قوله بأن يفوتونا) أى يفروا من عذابنا (قوله ومأواهم النار) معطوف على جملة لا تحسبن أو على مقدر تقديره بل هم مقهورون ومأواهم (قوله هى) قدره إشارة إلى أن المخصوص بالذم محذوف (قوله يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم) اختلف فى الأمر فقيل للوجوب وقيل للندب والأمر متعلق بالمخدومين لا بالخدم . وسبب نزول هذه الآية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث غلاما من الأنصار يقال له مدلج ابن عمرو إلى عمر بن الخطاب ليدعوه فدعاه فوجده نائما وقد أغلق عليه الباب فدق الغلام

الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ) وهو الإسلام بأن يظهره على جميع الأديان ويوسع لهم فى البلاد فيملكوها (وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ) بالتخفيف والتشديد (مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ) من الكفار (أَمْنًا) وقد أنجز الله وعده لهم بما ذكر ، وأثنى عليهم بقوله (يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا) هو مستأنف فى حكم التعليل (وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ) الإنعام منهم به (فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) وأول من كفر به قتلة عثمان رضى الله عنه فصاروا يقتتلون بعد أن كانوا إخوانا (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) أى رجاء الرحمة (لَا تَحْسَبَنَّ) بالفوقانية والتحتانية والفاعل الرسول (الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ) لنا (فِي الْأَرْضِ) بأن يفوتونا (وَمَأْوَاهُمُ) مرجعهم (النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ) المرجع هى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ) من العبيد والإماء (وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ) من الأحرار وعرفوا أمر النساء (ثَلَاثَ مَرَّاتٍ) فى ثلاثة أوقات (مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ) أى وقت الظهر (وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ) بالرفع خبر مبتدإ مقدر بعده مضاف وقام المضاف إليه مقامه ، أى هى أوقات ، وبالنصب بتقدير أوقات منصوبا بدلا من محل ما قبله قام المضاف إليه مقامه وهى لإلقاء الثياب تبدو فيها العورات (لَيْسَ عَلَيْكُمْ ،

عليه الباب فناداه ودخل فاستيقظ عمر فانكشف منه شىء ، فقال عمر وددت أن الله نهى أبناءنا ونساءنا وخدمنا أن لا يدخلوا علينا فى هذه الساعات إلا باذن ، ثم انطلق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد هذه الآية قد نزلت فخر ساجدا شكرا لله تعالى (قوله وعرفوا أمر النساء) أى ميزوا بين العورة وغيرها (قوله فى ثلاثة أوقات) أشار بذلك إلى أن قوله ثلاث مرات منصوب على الظرفية (قوله من قبل صلاة الفجر) أى لأنه وقت القيام من النوم ولبس ثياب اليقظة (قوله وحين تضعون ثيابكم) أى التى تلبس فى اليقظة تضعونها لأجل القيلولة (قوله من الظهيرة) أى من أجل الظهيرة وهى شدة الحر (قوله ومن بعد صلاة العشاء) أى لأنه وقت التجرد عن الثياب والنوم فى الفراش (قوله بالرفع) أى وعليه فالوقف على قوله العشاء (قوله أى هى أوقات الخ) أى فالأصل أوقات ثلاث عورات حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه (قوله وبالنصب) أى وعليه فالوقف على لكم والقراءتان سبعيتان (قوله وهى لالقاء الثياب) مبتدأ وقوله تبدو فيها العورات خبره (قوله ليس عليكم) أى فى تمكينكم إياهم من الدخول عليكم .

(قوله ولا عليهم) أى فى الدخول لعدم تكليفهم (قوله هم طوّافون) أشار بذلك إلى أن طوّافون خبر لمحذوف (قوله على بعض) الجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر عن قوله بعضكم قدره المفسر بقوله طائف (قوله والجملة مؤكدة لما قبلها) وقيل ليست مؤكدة ، لأن المعنى الأطفال والمماليك يطوفون عليكم للخدمة وأنتم تطوفون عليهم للاستخدام فلو كلفتم الاستئذان فى هذه الأوقات وغيرها لضاق الأمر عليكم فقوله بعضكم على بعض فيه زيادة على ماقبله (قوله وآية الاستئذان) أى قوله قوله يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين الخ (قوله قيل منسوخة) أى لما روى أن نفرا من العراق قالوا لابن عباس : كيف ترى فى هذه الآية التى أمرنا بها ولا يعمل بها أحد ، فقال ابن عباس : إن الله عليم رحيم بالمؤمنين يحب الستر ، وكان الناس ليس لبيوتهم ستور ولا حجاب ، فربما دخل الخادم أو الولد أو يتيم الرجل والرجل على أهله ، فأمر الله بالاستئذان فى تلك العورات فجاءهم الله بالستور والحجب فلم أر أحدا يعمل بذلك بعد (قوله وقيل لا) أى كما روى عن سعيد بن جبير حيث قال يقولون نسخت والله مانسخت ولكن مما تهاون بها الناس (قوله ولكن تهاون الناس فى ترك الاستئذان) أى لكثرة الغطاء والوطاء ، ومع ذلك فالمناسب

تعليم الاستئذان فى هذه الأوقات للصبيان والمماليك ليكونوا متخلقين بالأخلاق الجميلة (قوله وإذا بلغ الأطفال) مقابل لقوله - والذين لم يبلغوا الحلم - (قوله الذين من قبلهم) أى الذين ذكروا فى قوله - يا أيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم - الآية (قوله آياته) أى أحكامه (قوله والله عليم حكيم) أى بأمور الخلائق فالذى ينبغى التخلق بأخلاق الشرع ولا يعوّل الانسان على ما يعلمه من صيانة حريمه ويترك آداب الشرع (قوله والقواعد) جمع قاعد بغير تاء كحائض وطامث فإن هذا الوصف مخصوص بالنساء وكل وصف مخصوص بالنساء مقابليهم فلا يحتاج لتمييز بتاء وهو مبتدأ واللاتى صفته ، وقوله فليس عليهن جناح خبره وقرن بالفاء لعموم المبتدإ فإن أل فيه اسم موصول أو لكونه وصف بالاسم الموصول (قوله قعدن عن الحيض) أى انقطع حيضهن (قوله اللاتى لايرجون نكاحا) أى لايطمعن فيه لموت شهوتهن عن الرجال (قوله أن يضعن) أى ينزعن (قوله من الجلباب) أى وهى الملحفة التى يغطى بها جميع البدن كالملاءة والحبرة (قوله والقناع) أى الذى يلبس فوق الخمار لستر الوجه والعنق (قوله غير متبرّجات بزينة) أى متزينات خفية وبعد الشرط جاز لهن كشف الوجه واليدين بين الأجانب لعدم الفتنة وهو المفتى به عند مالك وأحد قولين عند الشافعى (قوله بأن لايضعنها) أى بأن يدمن الستر للوجه والكفين بين الأجانب (قوله خير لهن) أى لما فيه من سد الذرائع فالأفضل لهن الستر للوجه واليدين لأن كلّ ساقطة لها لاقطة (قوله ليس على الأعمى حرج الخ) اختلف العلماء فى سبب نزول هذه الآية ، فقال ابن عباس : لما نزل - يا أيها الذين آمنوا لاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل - تحرّج المسلمون عن مؤاكلة المرضى والزمنى والعمى والعرج ، وقالوا الطعام أفضل الأموال وقد نهانا الله تعالى عن أكل المال بالباطل والأعمى لا يبصر موضع الطعام الطيب والأعرج لايتمكن من الجلوس ولا يستطيع المزاحمة على الطعام والمريض يضعف عن

وَلَا عَلَيْهِمْ) أى المماليك والصبيان (جُنَاحٌ) فى الدخول عليكم بغير استئذان (بَعْدَهُنَّ) أى بعد الأوقات الثلاثة ، هم (طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ) للخدمة (بَعْضُكُمْ) طائف (عَلَى بَعْضٍ) والجملة مؤكدة لما قبلها (كَذَٰلِكَ) كما بيّن ماذكر (يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ) أى الأحكام (وَاللَّهُ عَلِيمٌ) بأمور خلقه (حَكِيمٌ) بما دبره لهم ، وآية الاستئذان قيل منسوخة ، وقيل لا ولكن تهاون الناس فى ترك الاستئذان (وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ) أيها الأحرار (الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا) فى جميع الأوقات (كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) أى الأحرار الكبار (كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ . وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ) قعدن عن الحيض والولد لكبرهن (اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا) لذلك (فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ) من الجلباب والرداء والقناع فوق الخمار (غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ) مظهرات (بِزِينَةٍ) خفية كقلادة وسوار وخلخال (وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ) بأن لايضعنها (خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ) لقولكم (عَلِيمٌ) بما فى قلوبكم (لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ) فى مؤاكلة ،

التناول ولا يستوفى حقه من الطعام فنزلت هذه الآية ، وعلى هذا فتكون على بمعنى فى : أى ليس عليكم فى مؤاكلة الأعمى والأعرج والمريض حرج . وقيل سبب نزولها أن هؤلاء الجماعة كانوا يتحرجون عن مؤاكلة الأصحاء خوف أن يستقذروهم وعلى هذا فعلى على بابها ، وقيل إن الآية نزلت فى الجهاد ، والمعنى ليس على هؤلاء حرج فى التخلف عن الجهاد ، وقيل كانت الصحابة إذا خرجوا للغزو دفعوا مفاتيح بيوتهم لهؤلاء الجماعة ويقولون لهم قد أحللنا لكم أن تأكلوا مما فى بيوتنا فكانوا يتحرجون من ذلك ويقولون لا ندخلها وأصحابها غائبون مخافة أن لا يكون إذنهم عن طيب نفس ، فنزلت هذه الآية رخصة لهم وكل صحيح إذا علمت ذلك فنفى الحرج عن هؤلاء فى أمور مخصوصة وليس ذلك على العموم فإن ما كلف به الصحيح كلف به غيره (قوله مقابليهم) أى السالمين من هذه الثلاثة (قوله ولا على أنفسكم) معطوف على الأعمى ، والمعنى ليس عليكم حرج فى الأكل من بيوتكم (قوله من بيوتكم) بضم الباء وكسرها قراءتان سبعيتان هنا وفى جميع ما يأتى (قوله أى بيوت أولادكم) أى ذكورا أو إناثا لأن بيت الولد كبيته لقوله عليه الصلاة والسلام « أنت ومالك لأبيك » وقوله عليه الصلاة والسلام « إن أطيب ما يأكل المرء من كسبه وإن ولده من كسبه » والحامل للمفسر على هذا التقدير عدم توهم حرمة الأكل من بيت نفسه وعدم ذكر الأولاد صراحة ، فدل ذلك على أن المراد ببيوتكم بيوت أولادكم (قوله أو بيوت آبائكم) أى وإن علوا (قوله إخوانكم) جمع أخ ويجمع على إخوة وهو المراد هنا ، لأن المراد بهم إخوة النسب وهم من شاركوك فى رحم أو صلب (قوله أو بيوت أخواتكم) جمع أخت أى مما تملكه أو من ملك زوجها إن كان صديقا له أو مأذونة فيه وكذا يقال فيما يأتى (قوله أو ما ملكتم) بالتخفيف وقرئ شذوذا بضم الميم وتشديد اللام مكسورة أى ملككم غيركم (قوله مفاتحه) جمع مفتح بكسر الميم فى قراءة العامة وقرئ مفاتيحه بالياء ومفتاحه بالإفراد

مقابليهم (وَلَا) حرج (عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِنۢ بُيُوتِكُمْ) أى بيوت أولادكم (أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُ) أى خزنتموه لغيركم (أَوْ صَدِيقِكُمْ) وهو من صدقكم فى مودته ، المعنى يجوز الأكل من بيوت من ذكر وإن لم يحضروا ، أى إذا علم رضاهم به (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا) مجتمعين (أَوْ أَشْتَاتًا) متفرقين جمع شت ، نزل فيمن تحرج أن يأكل وحده وإذا لم يجد من يؤاكله يترك الأكل (فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا) لكم لا أهل بها (فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ) أى قولوا : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فإن الملائكة ترد عليكم وإن كان بها أهل فسلموا عليهم (تَحِيَّةً) مصدر حيا (مِّنْ عِندِ اللَّهِ) ،

(قوله أى خزنتموه لغيركم) أى حفظتموه بأن تكونوا وكلاء عليه لقول ابن عباس عنى بذلك وكيل الرجل وقيمه فى ضيعته وماشيته فلا بأس عليه أن يأكل من ثمرته وثمرة ضيعته ويشرب من لبن ماشيته ولا يحمل ولا يدخر اهـ (قوله وهو من صدقكم فى مودته) أى من كان خالصا لكم فى المحبة (قوله من بيوت من ذكر) أى الأصناف الأحد عشر وخصوا بالذكر لأن الشأن التبسط بينهم (قوله أى إذا علم رضاهم به) أى ولو بقرينة وهذا أحد قولين للعلماء ، وقيل يجوز الأكل من بيوت من ذكر ولو لم يعلم رضاهم به ، لأن القرابة التى بينهم تقتضى العطف والسماح . فإن قلت على الأول حينئذ كان مشروطا بعلم رضاهم فلا فرق بينهم وبين غيرهم من الأجانب . وأجيب بأن هؤلاء يكفى فيهم أدنى قرينة بل الشرط فيهم أن لا يعلم عدم الرضا بخلاف غيرهم من الأجانب فلا بد من علم الرضا بصريح الإذن أو قرينة (قوله مجتمعين) أشار بذلك إلى أن قوله جميعا حال من فاعل تأكلوا وكذا قوله أشتاتا (قوله جمع شت) هو مصدر بمعنى التفرق (قوله نزل فيمن تحرج الخ) أى فهو كلام مستأنف بيان لحكم آخر وهم فريق من المؤمنين يقال لهم بنو ليث بن عمرو من بنى كنانة كان الرجل منهم لا يأكل ويمكث يومه حتى يجد ضيفا يأكل معه فإن لم يجد من يؤاكله لم يأكل شيئا . وقيل نزلت فى قوم تحرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الآكلين فى كثرة الأكل وقلته (قوله فإذا دخلتم بيوتا لكم) أى مساكنكم (قوله تحية) منصوب على المصدر من معنى فسلموا من باب جلست قعودا وقمت وقوفا (قوله من عند الله) أى ثابتة بأمره .

(قوله مباركة) أى لأنه يرجى بها زيادة الخير والثواب (قوله لكى تفهموا ذلك) أى معالم دينكم فهذا أمر إرشاد وأدب العباد (قوله إنما المؤمنون الخ) المقصود من هذه الآية مدح المؤمنين الخالصين والتعريض بذم المنافقين و إنما أداة حصر والمؤمنون مبتدأ وقوله الذين آمنوا خبره (قوله على أمر جامع) إسناد الجمع للأمر مجاز عقلى وحقه أن يسند للمؤمنين (قوله كخطبة الجمعة) أى والأعياد والحروب والحديث وغير ذلك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صعد المنبر يوم الجمعة وأراد الرجل أن يخرج من المسجد لحاجة أو عذر لم يخرج حتى يقوم تجاه النبي صلى الله عليه وسلم بحيث يراه فيعرف أنه إنما قام ليستأذن فيأذن لمن شاء منهم (قوله حتى يستأذنوه) أى يطلبوا منه الاذن فيأذن لهم (قوله إن الذين يستأذنونك الخ) هذا توكيد لما تقدم ذكر تفخيما وتعظيما للاستئذان (قوله فاذا استأذنوك لبعض شأنهم) أى كما وقع لسيدنا عمر بن الخطاب حين خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك حيث استأذن الرسول فى الرجوع إلى أهله فأذن له النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال ارجع فلست بمنافق وكتخلف عثمان لتجهيز زوجته بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ماتت والنبي صلى الله عليه وسلم متجهز لغزوة بدر (قوله فأذن لمن شئت منهم) فى ذلك تفويض الأمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه

مُبَارَكَةً طَيِّبَةً) يثاب عليها (كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَاتِ) أى يفصل لكم معالم دينكم (لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) لكى تفهموا ذلك (إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ) أى الرسول (عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ) كخطبة الجمعة (لَمْ يَذْهَبُوا) لعروض عذر لهم (حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا ٱسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ) أمرهم (فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ) بالانصراف (وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا) بأن تقولوا يا محمد ، بل قولوا يا نبي الله يارسول الله فى لين وتواضع وخفض صوت (قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا) أى يخرجون من المسجد فى الخطبة من غير استئذان خفية مستترين بشىء ، وقد للتحقيق (فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ) أى أمر الله أو رسوله (أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ) بلاء (أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) فى الآخرة (أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ) ملكا وخلقا وعبيدا (قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنتُمْ) أيها المكلفون (عَلَيْهِ) من الإيمان والنفاق ،

الواسطة العظمى بين الخلق وربهم فاذا أذن لأحد علم من ذلك أن رضا الله فى إذنه قال العارف: وخصك بالهدى فى كل أمر فلست تشاء إلا مايشاء (قوله واستغفر لهم الله) أى ليعوضهم بدل مافاتهم من مجالستك من أجل العذر الذى نزل بهم (قوله لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم) أى نداءه بمعنى لاتنادوه باسمه فتقولوا يامحمد ولا بكنيته فتقولوا يا أبا القاسم ، بل نادوه وخاطبوه بالتعظيم والتكريم والتوقير بأن تقولوا يارسول الله يانبي الله ياإمام المرسلين يارسول رب العالمين ياخاتم النبيين وغير ذلك واستفيد من الآية أنه لايجوز نداء النبي بغير مايفيد التعظيم لا فى حياته ولا بعد وفاته فبهذا يعلم أن من استخف بجنابه صلى الله عليه وسلم فهو كافر ملعون فى الدنيا والآخرة (قوله وخفض صوت) أى لقوله تعالى : يأيها الذين آمنوا لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لاتشعرون وهذه الآداب كما تكون فى حق النبي تكون فى حق حملة شريعته فينبغى لتلامذة الأشياخ أن يفعلوا معهم هذه الآداب و يتخلقوا بها ليحصل لهم الفتوح والفلاح (قوله الذين يتسللون) أى يذهبون واحدا بعد واحد لأن المنافقين كانوا يجتمعون مع الصحابة إذا رقى النبي المنبر فاذا كثر الناس نظروا يمينا وشمالا و يخرجون واحدا بعد واحد إلى أن يذهبوا جميعا (قوله لواذا) حال من الواو فى يتسللون من التلاوذ وهو الاستتار بأن يغمز بعضهم بعضا بالخروج (قوله فليحذر الذين يخالفون الخ) مرتب على ماقبله وضمن يخالفون معنى يعرضون فعداه بعن (قوله أن تصيبهم فتنة) أن وما دخلت عليه فى تأويل مصدر مفعول يحذر أى إصابة فتنة (قوله أو يصيبهم) أو مانعة خلو تجوز الجمع (قوله ألا إن لله الخ) كالدليل لما قبله (قوله قد يعلم ما أنتم عليه) قد للتحقيق . والمعنى أن الله يعلم الأمر الذى فى قلوب المنافقين من المخالفة والاعراض عن أوامر الله تعالى

(قوله و يوم يرجعون إليه) معطوف على ما : أى يردون إليه وهو يوم البعث (قوله فينبئهم بما عملوا) أى يخبرهم بأعمالهم فيثيبهم على الحسنات ويعاقبهم على السيئات .

[سورة الفرقان] سميت بذلك لأن بها الفرق بين الحق والباطل لاشتمالها على أحكام التوحيد وأدلته ومكارم الأخلاق وأحوال المعاد (قوله إلى قوله رحيما) أى وهو ثلاث آيات (قوله تعالى) أى تنزه فى ذاته وصفاته وأفعاله عن النقائص ومماثلة ماسواه له لأنه قديم وما سواه حادث أو معنى تبارك تعاظم أى اتصف بكل كمال ولا يوصف بهذا الوصف غيره تعالى فلا يقال تبارك النبى ولا تبارك السلطان مثلا وهو فعل ماض غير متصرف فلا يأتى منه مضارع ولا مصدر ولا اسم فاعل (قوله الفرقان) من الفرق وفعله فرق من باب قتل و بها قرئ قوله تعالى فافرق بيننا و بين القوم الفاسقين وقرئ شذوذا من باب ضرب وهو بالتخفيف فى المعانى و بالتشديد فى الأجسام يقال فرقت بين الكلامين وفرقت بين العبدين والصحيح أنهما بمعنى واحد فى المعانى والأجسام (قوله القرآن) أى و يسمى به البعض كما يسمى به الكل فالسورة الواحدة تسمى فرقانا والجميع يسمى فرقانا لأنه معجز للبشر وفارق بين الحق والباطل كلا أو بعضا و يصح أن يراد به جملة القرآن و يكون نزل مستعملا فى حقيقته بالنسبة لما نزل إذ ذاك و بمعنى المستقبل بالنسبة لما سينزل (قوله لأنه فرق بين الحق والباطل) أى ميز بينهما وقيل لأنه نزل مفرقا فى أوقات كثيرة (قوله على عبده) إنما وصفه بهذا الوصف لأنه أشرف الأوصاف وأعلاها (قوله ليكون) علة لقوله نزل والضمير عائد على النبى صلى الله عليه وسلم لأنه أقرب مذكور ويصح أن يكون عائدا على الفرقان أو المنزل وهو الله تعالى والأوضح الأول (قوله دون الملائكة) أشار بذلك إلى أن الانذار خاص بالانس والجن لأن

(وَ) يعلم (يَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ) فيه التفات عن الخطاب أى متى يكون (فَيُنَبِّئُهُمْ) فيه (بِمَا عَمِلُوا) من الخير والشر (وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ) من أعمالهم وغيرها (عَلِيمٌ) .

(سورة الفرقان)

مكية : إلا ، والذين لايدعون مع الله إلها آخر إلى قوله رحيما فمدنى

وهى سبع وسبعون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . تَبَارَكَ) تعالى (الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ) القرآن لأنه فرق بين الحق والباطل (عَلَىٰ عَبْدِهِ) محمد (لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ) أى الإنس والجن دون الملائكة (نَذِيرًا) مخوفا من عذاب الله (الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ) من شأنه أن يخلق (فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا) سوّاه تسوية (وَاتَّخَذُوا) ،

الملائكة لاتجوز عليهم المعاصى والمخالفة لعصمتهم من ذلك و إن كان النبى عليه الصلاة والسلام أرسل لهم إرسال تكليف بما يليق بهم على المعتمد . والحاصل أن إرسال النبى للثقلين إرسال تكليف وكذا للملائكة ، وأما للحيوانات التى لاتعقل والجمادات فارسال تشريف (قوله نذيرا) أى و بشيرا و إنما اقتصر على الانذار لأن السورة مكية ، وفى ذلك الوقت لم يصلحوا للتبشير (قوله الذى له ملك السموات والأرض) نعت للموصول الأول أو بيان أو بدل أو خبر لمحذوف : أى هو الذى أو منصوب على المدح وما بعده من تمام الصلة فلا يلزم عليه الفصل بأجنبى بين الموصول الأول والثانى على جعله تابعا له (قوله ولم يتخذ ولدا) رد على اليهود والنصارى (قوله ولم يكن له شريك فى الملك) رد على عباد الأصنام (قوله وخلق كل شئ) كالدليل لما قبله لأن الخالق لكل شئ لاشريك له ولم يتخذ ولدا (قوله من شأنه أن يخلق) دفع بذلك مايقال إنه دخل فى الشئ ذاته تعالى وصفاته . فأجاب بأن المراد بالشئ ماشأنه أن يتعلق به الخلق وهو المعدوم (قوله سوّاه تسوية) أى عدله تعديلا بأن جعله على شكل حسن ودفع بذلك ماقيل إن الآية فيها قلب لأن الخلق متأخر عن التقدير لأن التقدير أزلى لأنه تعلق العلم والارادة الأزلى والخلق حادث لأنه تعلق القدرة التنجيزى الحادث . فأجاب بأن التقدير معناه التصوير على شكل حسن ولا شك أن ذلك حاصل بعد إيجاده على طبق العلم والارادة ، وهذا سر قول الغزالى : ليس فى الامكان أبدع مما كان لأن ما أوجده الله من المخلوقات تعلق به العلم

والارادة أزلا فوجد على طبق ذلك فاذا كان كذلك كان التغيير لذلك مستحيلا لأنه حينئذ ينقلب علم الله جهلا وهو لاتتعلق به القدرة . إن قلت يشكل على هذا قوله تعالى : إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد ، وقوله تعالى : إنا لقادرون على أن نبدل خيرا منهم وما نحن بمسبوقين فانه يقتضى أن فى قدرة الله إذهاب هـذا العالم والاتيان بغيره . أجيب بأن مافى الآية باعتبار التعلق الصلاحى للقدرة والتجويز العقلى وماقاله الغزالى باعتبار التعلق التنجيزى الذى حصل متعلقه (قوله أى الكفار) أى المعلومون من قوله للعالمين (قوله آلهة) وصفهم بسبعة أوصاف أولها قوله لايخلقون شيئا وآخرها قوله نشورا (قوله وهم يخلقون) أى يصورون من حجارة وغيرها بنحت عبادها لها (قوله لأنفسهم) أى فضلا عن غيرهم (قوله ضرا) قدمه لأن دفعه أهم وقدم الموت لمناسبة الضر (قوله وقال الذين كفروا) شروع فى ذكر أباطيلهم المتعلقة بالقرآن إثر أكاذيبهم المتعلقة بالله سبحانه وتعالى (قوله افتراه) أى اختلقه (قوله وهم من أهل الكتاب) أرادوا بهم اليهود حيث قالوا إنهم يأتون له بالأخبار الماضية وهو يعبر عنها بعبارات من عنده فهذا معنى إعانتهم له (قوله قال تعالى) أى ردا لمقالتهم (قوله كفرا وكذبا) لف ونشر مرتب (قوله

أى الكفار (مِن دُونِهِ) أى الله أى غيره (آلِهَةً) هى الأصنام (لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلاَ يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا) أى دفعه (وَلاَ نَفْعًا) أى جرّه (وَلاَ يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلاَ حَيَاةً) أى إماتة لأحد وإحياء لأحد (وَلاَ نُشُوراً) أى بعثاً للأموات (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هٰذَا) أى ما القرآن (إِلاَّ إِفْكٌ) كذب (افْتَرَاهُ) محمد (وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ) وهم من أهل الكتاب قال تعالى (فَقَدْ جَاءُوا ظُلْماً وَزُوراً) كفراً وكذبا ، أى بهما (وَقَالُوا) أيضاً هو (أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ) أكاذيبهم جمع أسطورة بالضم (اكْتَتَبَهَا) انتسخها من ذلك القوم بغيره (فَهِىَ تُمْلَى) تقرأ (عَلَيْهِ) ليحفظها (بُكْرَةً وَأَصِيلاً) غدوة وعشيا ، قال تعالى رداً عليهم (قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِى يَعْلَمُ السِّرَّ) الغيب (فِى السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً) للمؤمنين (رَحِيماً) بهم (وَقَالُوا مَالِ هٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى الأَسْوَاقِ لَوْلاَ) هلا (أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً) يصدقه (أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ) من السماء ينفقه ولا يحتاج إلى المشى فى الأسواق لطلب المعاش (أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ) بستان (يَأْكُلُ مِنْهَا) أى من ثمارها فيكتفى بها ، وفى قراءة نأكل بالنون أى نحن فيكون له مزية علينا بها (وَقَالَ الظَّالِمُونَ) أى الكافرون للمؤمنين (إِنْ) ما (تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَسْحُوراً) مخدوعا مغلوبا على عقله قال تعالى (أُنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ) بالمسحور والمحتاج إلى ماينفقه وإلى ملك يقوم معه بالأمر

أى بهما) أشار بذلك إلى أن ظلما وزورا منصوبان بنزع الخافض ويصح نصبهما بجاء بتضمينه معنى فعل (قوله وقالوا أيضا) أى كما قالوا ماتقدم (قوله أساطير الأولين) خبر لمحذوف قدره بقوله هو (قوله اكتتبها) أى أمر بكتبها لأنهم يعلمون أنه أمى لايقرأ ولا يكتب (قوله من ذلك القوم) المناسب أن يقول من أولئك القوم (قوله تقرأ عليه) أى فليس المراد بالاملاء الالقاء على الكاتب ليكتبه (قوله بكرة وأصيلا) المراد دائما أبدا (قوله ردا عليهم) أى مقالاتهم الشنعة (قوله الغيب) اى ماغاب عنا (قوله للمؤمنين) كذا قال المفسر ويصح أن يكون المراد (من تابوا) الكفار فيكون تعليلا لمحذوف تقديره وأخر عقابكم ولم يعاجلكم به لأنه الخ ، وقوله كان أى ولم يزل (قوله وقالوا مال هذا الرسول الخ) شروع فى بعض قبائحهم التى قالوها فى حق الرسول عليه السلام . والمعنى أى شىء حصل لهذا الذى يدعى الرسالة حالة كونه يأكل الطعام كما نأكل ويمشى فى الأسواق لطلب الرزق كما نفعل فتسميتهم إياه رسولا بطريق الاستهزاء به (قوله هلا) أشار بذلك إلى أن لولا تحضيضية (قوله فيكون معه نذيرا) بالنصب فى قراءة العامة على جواب التحضيض وقرئ شذوذا بالرفع عطفا على أنزل (قوله يصدقه) أى يشهد له بالرسالة والصدق (قوله أو تكون له جنة) بالتاء فى قراءة العامة وقرئ شذوذا بالياء لأن تأنيث الجنة مجازى (قوله وقال الظالمون) إظهار فى موضع الاضمار للاشعار بوصف الظلم وتجاوز الحد فيما قالوا (قوله مخدوعا مغلوبا على عقله) أى فالمراد بالسحر الاختلال فى العقل من إطلاق الملزوم وإرادة اللازم (قوله انظر كيف ضربوا لك الأمثال) خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل الاستفهام التعجبى أى تعجب يامحمد من وصف هؤلاء لك بتلك الأوصاف التى كانت سببا فى ضلالهم

(قوله فضلوا بذلك) أى ضرب الأمثال (قوله عن الهدى) أى الحق (قوله فلايستطيعون سبيلا) أى لايقدرون على الوصول إلى الهدى لما طبع على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم (قوله تبارك) اعلم أن هذا الوصف جامع لكل كمال مستلزم لنفى كل نقص وحينئذ فيحسن تفسيره فى كل مقام بما يناسبه فلما كان ماتقدم مقام تنزيه فسره بتعالى ، ولما كان ماهنا مقام إعطاء فسره بتكاثر خيره ولما كان مايأتى فى آخر السورة مقام عظمة وكبرياء فسره بتعاظم وهكذا يقال فى كل مقام (قوله خيرا من ذلك) أى مما اقترحوا بأن يجعل لك أعظم من ذلك فى الدنيا (قوله جنات) بدل من خيرا (قوله لأنه شاء أن يعطيه إياها فى الآخرة) علة لقوله : أى فى الدنيا ، والمعنى تكاثر خير الله الذى إن شاء جعل لك خيرا مما تمنوه لك فى الدنيا وإنما لم تتعلق إرادة الله به لكونه فانيا ، والله سبحانه وتعالى لم يجعل الفانى جزاء لأحبابه لأن الدنيا دار ممر لامقر حلالها حساب وحرامها عقاب ، وحاشاه سبحانه وتعالى أن يوقع حبيبه ومن كان على قدمه فى الحساب أو العقاب (قوله بالجزم) أى عطفا على محل جعل لأنه جواب الشرط والمعطوف على الجواب جواب (قوله بالرفع استئنافا) أى أومعطوف على جواب الشرط بناء على أنه غير مجزوم لقول ابن مالك * وبعد ماض رفعك الجزا حسن * وإنما لم يجزم لضعف تأثير إن فى الشرط لكونه ماضيا فارتفع والقراءتان سبعيتان (قوله بل كذبوا بالساعة) إضراب انتقالى عن ذكر قبائحهم إلى بيان مالهم (١٤٣) فى الآخرة من أنواع العذاب

(فَضَلُّوا) بذلك عن الهدى (فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا) طريقا إليه (تَبَارَكَ) تكاثر خير الله (الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ) الذى قالوه من الكنز والبستان (جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) أى فى الدنيا لأنه شاء أن يعطيه إياها فى الآخرة (وَيَجْعَلْ) بالجزم (لَكَ قُصُورًا) أيضا وفى قراءة بالرفع استئنافا (بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ) القيامة (وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا) نارا مسعرة أى مشتدة (إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا) غليانا كالغضبان إذا غلى صدره من الغضب (وَزَفِيرًا) صوتا شديدا أو سماع التغيظ رؤيته وعلمه (وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا) بالتشديد والتخفيف بأن يضيق عليهم ومنها حال من مكانا لأنه فى الأصل صفة له (مُقَرَّنِينَ) مصفدين قد قرنت أى جمعت أيديهم إلى أعناقهم فى الأغلال والتشديد للتكثير (دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا) هلاكا فيقال لهم (لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا) ،

(قوله وأعتدنا) أى هيأنا وأحضرنا ، وفى هذا دليل على أن النار مخلوقة الآن كما أن الجنة كذلك لقوله تعالى ـ أعدت للمتقين ـ (قوله نارا مسعرة) بالتشديد والتخفيف (قوله إذا رأتهم) أى حقيقة بعينها لما فى الحديث «من كذب على متعمدا فليتبوأ بين عينى جهنم مقعدا قيل يارسول الله أولها عينان ؟ قال أما سمعتم الله عزوجل يقول : إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا ـ يخرج عنق من النار له عينان يبصران ولسان ينطق فيقول وكلت بمن جعل مع الله إلها آخر فلهو أبصر به من الطير بحب السمسم فيلتقطه» وفى رواية «يخرج عنق من النار يوم القيامة له عينان يبصران وأذنان يسمعان ولسان ينطق يقول : إنى وكلت بكل جبار عنيد وبكل من دعا مع الله إلها آخر وبالمصورين» انتهى ، وهذا مذهب أهل السنة ، وقالت المعتزلة : الكلام على حذف مضاف : أى رأت زبانيتها بناء منهم على أن الرؤية مشروطة بالحياة (قوله من مكان بعيد) قيل مسيرة سنة ، وقيل مائة سنة ، وقيل خمسمائة سنة (قوله أو سماع التغيظ رؤيته وعلمه) أشار بذلك إلى أن السماع ليس على حقيقته بل المراد منه الرؤية والعلم ، وأجيب أيضا بأن المراد سماع مايدل عليه وهو الغليان وقد أفاده أولا فتحصل أن للمفسر أجاب بجوابين (قوله وإذا ألقوا) أى طرحوا (قوله مكانا) منصوب على الظرفية : أى فى مكان (قوله بالتشديد والتخفيف) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله بأن يضيق عليهم) أى كضيق الحائط على الوتد الذى يدق فيه بعنف (قوله لأنه فى الأصل صفة له) أى وهو نكرة ومن المعلوم أن نعت النكرة إذا تقدم عليها يعرب حالا كقول الشاعر * لمية موحشا طلل * والأصل لمية طلل موحش (قوله مقرنين) حال من الواو فى ألقوا ، والتقرين تقييد الأرجل وجمع الأيدى والأعناق فى السلاسل (قوله مصفدين) من التصفيد وهو الشد والإيثاق بالقيود (قوله دعوا هنالك) أى فى ذلك المكان (قوله ثبورا) أى فيقولون ياثبوراه هذا أوانك فاحضر لأنه أخف مما هم فيه (قوله فيقال لهم) أى على سبيل التهكم والسخرية بهم (قوله ثبورا واحدا) أى مرة

كعذابكم (قُلْ أَذٰلِكَ) المذكور من الوعيد وصفة النار (خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِى وُعِدَ) ها (الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ) فى علمه تعالى (جَزَاءً) ثوابا (وَمَصِيراً) مرجعا (لَهُمْ فِيهَا مَايَشَاءُونَ خَالِدِينَ) حال لازمة (كَانَ) وعدهم ماذكر (عَلَى رَبِّكَ وَعْداً مَسْئُولاً) يسأله من وعد به : ربنا وآتنا ماوعدتنا على رسلك ، أوتسأله لهم الملائكة : ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم (وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ) بالنون والتحتانية (وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ) أى غيره من الملائكة وعيسى وعزير والجن (فَيَقُولُ) تعالى بالتحتانية والنون للمعبودين إثباتا للحجة على العابدين (أَأَنْتُمْ) بتحقيق الهمزتين و إبدال الثانية ألفا وتسهيلها و إدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه (أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هٰؤُلَاءِ) أوقعتموهم فى الضلال بأمركم إياهم بعبادتكم (أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ) طريق الحق بأنفسهم (قَالُوا سُبْحَانَكَ) تنزيها لك عما لايليق بك (مَا كَانَ يَنْبَغِى) يستقيم (لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ) أى غيرك (مِنْ أَوْلِيَاءَ) مفعول أول ومن زائدة لتأكيد النفى وما قبله الثانى فكيف نأمر بعبادتنا (وَلٰكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ) من قبلهم بإطالة العمر وسعة الرزق (حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ) تركوا الموعظة والإيمان بالقرآن ،

واحدة (قوله كعذابكم) تشبيه فى الكثرة وفى نسخة باللام : أى لأجل دوام عذابكم وكثرته فينبغى أن يكون دعاؤكم كذلك (قوله قل أذلك خير) الاستفهام للتوبيخ والتقريع و إلا فليس فى النار خير (قوله فى علمه تعالى) جواب عما يقال إنها لم تكن جزاء ومصيرا الآن ، فأجاب بأن المعنى قد سبق علم الله بأنها تكون لهم جزاء ومصيرا (قوله مرجعا) أى مستقرا (قوله لهم فيها مايشاءون) أى من النعم اللائقة بهم ، وأما مالايليق بهم فلايخطر ببالهم فكل إنسان يرضيه الله بما أعطاه ولايلتفت إلى عطاء من هو أشرف منه ولايخطر بباله سؤاله ، و بهذا اندفع ماقيل إن مقتضى الآية أن الانسان يتمنى مراتب الأنبياء فى الجنة و يعطاها (قوله حال) أى من الهاء فى لهم أومن الواو فى يشاءون (قوله كان وعدهم ماذكر) أشار بذلك إلى أن اسم كان يعود على الوعد المفهوم من قوله : وعد المتقون (قوله ربنا وآتنا) أى كما قال تعالى حكاية عن دعائهم لأنفسهم ، وقوله : ربنا وأدخلهم أى كما قال تعالى حكاية عن دعاء الملائكة للمؤمنين (قوله ويوم نحشرهم) ظرف معمول لمحذوف تقديره اذكر والضمير فى نحشرهم للعابدين لغير الله (قوله بالنون) أى مع النون فى نقول أو الياء ، وقوله والتحتانية : أى مع التحتانية فى يقول فالقراآت ثلاث سبعيات خلافا لما يوهمه المفسر

من أنها أربع (قوله وما يعبدون) معطوف على مفعول نحشرهم وأوقع ما على العقلاء وهو قليل وهذا ما يفيده المفسر بالتمثيل ويصح أن يراد من ما العاقل وغيره كالأصنام وغلب غير العاقل على العاقل لكثرته (قوله إثباتا للحجة على العابدين) أى وتبكيتا لهم وهو جواب عما يقال إن الله عالم فى الأزل بما ذكر فما فائدة هذا السؤال (قوله بتحقيق الهمزتين) أى مع إدخال ألف بينهما وتركه فالتحقيق فيه قراءتان والتسهيل كذلك والابدال واحدة فتكون خمسا خلافا لما يوهمه المفسر من أنها أربع وكلها سبعية . إن قلت على قراءة الابدال يلزم عليه التقاء الساكنين على غير حده وهو ممنوع . أجيب بأن محل منعه مالم يكن مسموعا وهذا مسموع من رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله هؤلاء) نعت لعبادى أوعطف بيان أو بدل منه (قوله قالوا) أى المعبودون وهو كلام مستأنف واقع فى جواب سؤال مقدر كأنه قيل ماذا قالوا فى الجواب (قوله من أولياء) أى أتباعا يعبدوننا ويصح أن يراد بالأولياء المتبوعون : أى معبودون لنا لأن الولى كما يطلق على المتبوع يطلق على التابع كالمولى يطلق على الأعلى والأسفل ، وكلام المفسر يفيد المعنى الثانى ، إذا علمت ذلك فالتبرى حاصل فى هذه الآية من الأولياء بمعنى المعبودين أوالعابدين لغير الله وأما بمعنى من تولوا خدمة الله أومن تولاهم الله فلم يكلهم لغيره فهذ اتخذهم الله وأمر بالتعلق بأذيالهم (قوله مفعول أول) أى لنتخذ (قوله وما قبله) أى وهو قوله من دونك (قوله فكيف نأمر بعبادتنا) أى بعبادتهم إيانا فنحن لم نضلهم (قوله ولكن متعتهم الخ) استدراك لرفع مايتوهم ثبوته ، والمعنى أنت أنعمت عليهم بنعم عظيمة فجعلوا ذلك سببا للضلال وليس لنا مدخل فى ذلك ، وفى هذا الاستدراك رجوع للحقيقة (قوله تركوا الموعظة) أى غفلوا عن التذكر فى آياتك فالنسيان معناه الترك .

(وكانوا

(قوله بورا) يحتمل أنه جمع بائر أو مصدر من البوار وهو الهلاك (قوله فقد كذبوكم) خطاب للعابدين فالواو واقعة على المعبودين والكاف على العابدين ، وقوله بما تقولون : أي فيما تقولون ، وقوله بالفوقانية : أي باتفاق العشرة ، وقوله إنهم آلهة مقول القول (قوله أي لاهم) راجع للتحتانية ، وقوله ولا أنتم راجع للفوقانية (قوله ومن يظلم منكم) أي أيها المكلفون من العابدين والمعبودين فظلم العابد بعبادته غير الله وظلم المعبود برضاه بذلك (قوله نذقه) بنون العظمة فى قراءة العامة (قوله وما أرسلنا قبلك الخ) المقصود من هذه الآية تسليته صلى الله عليه وسلم والرد على المشركين حيث قالوا — مال هذا الرسول يأكل الطعام — الخ (قوله إلا إنهم) الجملة حالية وإن مكسورة باتفاق القراء واللام للابتداء زحلقت للخبر ، والمعنى ما أرسلنا قبلك من المرسلين فى حال من الأحوال إلا فى حال أكلهم الطعام ومشيهم فى الأسواق : أى فهذه عادتهم ودأبهم فان هجوك بذلك فقد هجوا جميع الأنبياء فلا تحزن (قوله وجعلنا بعضكم لبعض فتنة) أى إن الدنيا دار بلاء وامتحان فجعل بعض العبيد فتنة لبعض ليظهر الصابر من غيره (قوله ابتلى الغنى بالفقير الخ) أى فالغنى ممتحن بالفقير يحسده والفقير ممتحن بالغنى يسخر به ويحتقر به والصحيح ممتحن بالمريض يقول لم لم نعاف ونصير مثل هذا والمريض ممتحن بالصحيح يتكبر عليه ويغتر بصحته والشريف كالأنبياء والعلماء والصلحاء ممتحن بالوضيع يحسده على ما أعطاه الله وهكذا (١٤٥) والمخلص من ذلك الصبر على أحكام الله والرضا بها لأن الواجب على الانسان أن ينظر فى أمور الدنيا إلى من هو دونه ولا ينظر إلى من هو فوقه لئلا يزدرى نعمة الله عليه وفى أمور الآخرة إلى من هو فوقه ليصرف نفسه فيرجع عليها باللوم والندم ومن هنا ينبغى صحبة الصالحين والمساكين ومرافقتهم ليقتدى بهم (قوله يقول الثانى) أى الفقير والمريض والوضيع ، وقوله فى كل

(وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا) هلكى ، قال تعالى (فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ) أى كذب المعبودون العابدين (بِمَا تَقُولُونَ) بالفوقانية إنهم آلهة (فَمَا يَسْتَطِيعُونَ) بالتحتانية والفوقانية أى لاهم ولا أنتم (صَرْفًا) دفعا للعذاب عنكم (وَلَا نَصْرًا) منعا لكم منه (وَمَنْ يَظْلِمْ) يشرك (مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا) شديداً فى الآخرة (وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ) فأنت مثلهم فى ذلك وقد قيل لهم مثل ما قيل لك (وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً) بلية ابتلى الغنى بالفقير والصحيح بالمريض والشريف بالوضيع يقول الثانى فى كل : مالى لا أكون كالأول فى كل (أَتَصْبِرُونَ) على ما تسمعون ممن ابتليتم بهم ؟ استفهام بمعنى الأمر أى اصبروا (وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا) بمن يصبر وبمن يجزع (وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا) لايخافون البعث (لَوْلَا) هلا (أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ) فكانوا رسلا إلينا (أَوْ نَرَى رَبَّنَا) فنخبر بأن محمداً رسوله ، قال تعالى (لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا) تكبروا (فِي) شأن (أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا) طغوا (عُتُوًّا كَبِيرًا) ،

ي من الأقسام الثلاثة ، وبالجملة فالفتنة أن يحسد المعافى المبتلى والصبر أن يحبس كل منهما نفسه هذا عن البطر وهذا عن الضجر ، عن أبى الدرداء أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ويل للعالم من الجاهل وويل للجاهل من العالم وويل للمالك من المملوك وويل للمملوك من المالك وويل للشديد من الضعيف وويل للضعيف من الشديد وويل للسلطان من الرعية وويل للرعية من السلطان بعضكم لبعض فتنة وهو قوله تعالى — وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون — » (قوله استفهام بمعنى الأمر) هذا أحد وجهين . والوجه الآخر أن الاستفهام على حقيقته : أى لينظر أيحصل منكم صبر أم لا فيجازيكم على ذلك (قوله وكان ربك بصيرا) فى ذلك تأنيس للعبد : أى إن الله بصير ومطلع على من يصبر ومن يجزع فلا تنبغى الشكوى للخلق ولا إظهار ما فى القلوب بل إن وجد الشخص فى نفسه صبرا فليشكر الله وإن وجد غير ذلك فعليه أن يرجع إلى ربه بالندم والتوبة (قوله لايخافون البعث) أى لأنهم منكرون له فهم يزعمون أنهم آمنون منه (قوله هلا) أشار بذلك إلى أن لولا تحضيضية (قوله فكانوا رسلا إلينا) أى بالشرائع ونحوها بدل محمد (قوله أو نرى ربنا) أى يكشف الحجاب لنا فنراه عيانا (قوله فنخبر) بالبناء للمفعول : أى يخبرنا هو بأن محمدا رسوله (قوله قال تعالى) أى ردا عليهم مقالتهم (قوله تكبروا) أى حيث لم يرضوا بأن يكون رسولهم من البشر بل طمعوا أن يكون من الملائكة (قوله فى شأن أنفسهم) أى أنهم عدوا أنفسهم كبيرة لأمر قام بها .

بطلبهم رؤية الله تعالى فى الدنيا ، وعتوا بالواو على أصله بخلاف عتيا بالابدال فى مريم (يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ) فى جملة الخلائق هو يوم القيامة ونصبه باذكر مقدراً (لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ) أى الكافرين بخلاف المؤمنين فلهم البشرى بالجنة (وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا) على عادتهم فى الدنيا إذا نزلت بهم شدة : أى عوذاً مُعاذاً يستعيذون من الملائكة قال تعالى (وَقَدِمْنَا) عمدنا (إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ) من الخير : كصدقة وصلة رحم وقرى ضيف و إغاثة ملهوف فى الدنيا (فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا) هو مايرى فى الكوى التى عليها الشمس كالغبار المفرق : أى مثله فى عدم النفع به إذ لاثواب فيه لعدم شرطه و يجازون عليه فى الدنيا (أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ) يوم القيامة (خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا) من الكافرين فى الدنيا (وَأَحْسَنُ مَقِيلًا) منهم أى موضع قائلة فيها ، وهى الاستراحة نصف النهار فى الحر وأخذ من ذلك انقضاء الحساب فى نصف نهار كما ورد فى حديث (وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ) أى كل سماء (بِالْغَمَامِ) أى معه وهو غيم أبيض (وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ) من كل سماء (تَنْزِيلًا) هو يوم القيامة ،

(قوله بطلبهم رؤية الله) متعلق بعتوا والباء السببية ولم يذكر متعلق استكبروا ولقد علمته ، وفى الآية لف ونشر مرتب فالاستكبار راجع لطلبهم نزول الملائكة والعتو راجع لطلبهم رؤية الله (قوله على أصله) أى من غير إبدال (قوله بالابدال فى مريم) أى لمناسبة رءوس الآى وأصله عتوو كسرت التاء فوقعت الواو ساكنة إثر كسرة قلبت ياء ثم اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون قلبت الواو ياء وأدغمت فى الياء (قوله يوم يرون الملائكة) أى المتولين عذابهم (قوله لا بشرى يومئذ) هذه الجملة مقولة لقول محذوف حال من الملائكة تقديره قائلين لهم لا بشرى (قوله فلهم البشرى بالجنة) أى لقوله تعالى : بشراكم اليوم جنات تجرى من تحتها الأنهار (قوله ويقولون) معطوف على يرون فالضمير للكفار (قوله حجرا محجورا) العامة على كسر الحاء وقرئ شذوذا بفتحها وضمها (قوله يستعيذون من الملائكة) أى يطلبون من الله إنقاذهم منهم بهذه العبارة (قوله عمدنا) أى تعلقت إرادتنا ودفع بذلك ماقيل إن القدوم من صفات الحوادث وهو محال على الله تعالى ففسره بلازمه وهو القصد والمراد من القصد فى حقه تعالى تعلق إرادته بالشئ (قوله وقرى ضيف) بكسر القاف مع القصر أو فتحها مع المد ومعناه الاحسان إليه (قوله فى الدنيا) متعلق بعملوا (قوله فى الكوى) جمع كوة وهى الطاقة فى الحائط بفتح الكاف وضمها (قوله لعدم شرطه) أى وهو الايمان (قوله و يجازون عليه فى الدنيا) أى باعطاء المال والولد والعافية وغير ذلك من ملاذ الدنيا فأعمال الكافر الحسنة التى لاتتوقف على نية يعطى جزاءها فى الدنيا ، وأما ماتتوقف على نية فلا يجد لها جزاء أصلا لعدم صحتها (قوله خير مستقرا من الكافرين) أى إن مستقر المؤمنين فى الجنة خير من مستقر الكافرين فى الدنيا فأفعل التفضيل على بابه وإلى هذا أشار المفسر بقوله فى الدنيا فهو جواب عما يقال إن مستقر أهل النار لاخير فيه ويصح أن يراد استقرار كل فى الآخرة والتفضيل ليس مرادا بل المقصود التقريع والتوبيخ للكفار ونصبه

(قوله من ذلك) أى من قوله وأحسن مقيلا (قوله كما ورد فى حديث) قال ابن مسعود «لا ينتصف النهار يوم القيامة حتى يقيل أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار ، والقيلولة الاستراحة نصف النهار و إن لم يكن مع ذلك نوم لأن الله تعالى قال : وأحسن مقيلا والجنة لانوم فيها و يروى « أن يوم القيامة يقصر على المؤمنين حتى يكون كما بين العصر إلى غروب الشمس » (قوله و يوم تشقق السماء) يوم ظرف معمول لمحذوف تقديره اذكر كما قاله المفسر (قوله أى كل سماء) أشار بذلك إلى أن أل فى السماء استغراقية (قوله أى معه) أشار بذلك إلى أن الباء بمعنى مع و يصح أن تكون للسببية أو للملابسة أو بمعنى عن (قوله وهو غيم أبيض) أى سحاب فوق السموات السبع ثخنه كثخن السموات السبع وثقله كثقلها فينزل على السماء السابعة فيخرقها بثقله وهكذا حتى ينزل إلى الأرض وفيه ملائكة كل سماء فينزل أولا ملائكة سماء الدنيا وهم مثل أهل الأرض عشر مرات ثم ملائكة السماء الثانية وهم مثلهم عشرين مرة وهكذا و إذا نزل ملائكة السماء الدنيا اصطفوا حول العالم المجموع فى الحشر صفا واذا نزل ملائكة السماء الثانية اصطفوا خلف هذا الصف صفا آخر وهكذا حتى تصير الصفوف سبعة كلهم يحرسون أهل المحشر من الفرار و يطردون عنهم النار وتقدم بسط ذلك فى سورة إبراهيم عند قوله تعالى : يوم تبدل الأرض غير الأرض الخ .

(قوله ونصبه باذكر مقدرا) أى وهو معطوف على: يوم يرون الملائكة، وكذا قوله: ويوم يعض الظالم (قوله فى الأصل) أى قبل قلبها شينا وتسكينها وإدغامها فى الشين (قوله وفى أخرى وننزل بنونين الخ) هذه القراءة إنما تأتى عند تشديد الشين فتحصل أن القراآت ثلاث سبعيات فعند تشديد الشين يجوز فى نزل القراءتان وعند التخفيف يجوز فى نزل قراءة واحدة وهى كونه ماضيا مبنيا للمفعول خلافا لما يوهمه المفسر من أنها أربع قراآت (قوله الملك) مبتدأ ويومئذ ظرف له والحق نعت له وللرحمن خبره، والمعنى أن الملك يوم القيامة لله وحده، وحكمة التقييد بهذا اليوم وإن كان الملك لله فى كل زمن أن ثبوت الملك له خاصة فى ذلك اليوم فليس لأحد ملك ظاهر أبدا، وأما فيما عداه من أيام الدنيا فيكون للخلق تصرف صورى وإلى هذا أشار المفسر بقوله لايشركه فيه أحد (قوله بخلاف المؤمنين) أى فليس عليهم عسيرا لما ورد «أنه يهوّن عليهم حتى يكون أخف من صلاة مكتوبة» (قوله ويوم) منصوب باذكر أو معطوف على يوم يرون كما تقدم (قوله يعض الظالم) هو من باب تعب ونفع، والمعنى أن الكافر حين يرى النار ويسمع تغيظها وزفيرها يعض على يديه. قال عطاء: يأكل الظالم يديه حتى يأكل مرفقيه ثم ينبتان ثم يأكلهما وهكذا كلما نبتت يداه يأكلهما (قوله عقبة بن أبى معيط) أشار المفسر بذلك إلى أن الآية نزلت فى ظالم خاص ويقاس عليه كل ظالم وهو أحد قولين، وقيل نزلت فى الظالمين عموما (قوله كان نطق بالشهادتين الخ) «وذلك أنه صنع طعاما ودعا الناس إليه ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قدم الطعام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنا بآكل طعامك حتى تشهد أن لا إله إلا الله وأنى محمد رسول الله ففعل فأكل رسول الله من طعامه وكان عقبة صديقا لأبى ابن خلف فلما أخبر بذلك قال له ياعقبة صبأت قال لا ولكن دخل على رجل فأبى أن يأكل طعامى إلا أن أشهد له فاستحييت أن يخرج من بيتى ولم يطعم فشهدت له فطعم فقال ما أنا راض عنك حتى تأتيه فتبزق فى وجهه ففعل عقبة فعاد بزاقه على وجهه حرقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أراك خارج مكة إلا علوت رأسك بالسيف فأسر يوم بدر فأمر عليا فقتله، وطعن النبى أبيا بأحد فى المبارزة فرجع إلى مكة ومات»، وحكم الآية عام فى كل صاحبين اجتمعا على معصية الله تعالى لما روى «يحشر المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل» (قوله يقول ياليتنى) الجملة حالية من فاعل يعض (قوله للتنبيه) أى وليست للنداء لأن المنادى شرطه أن يكون اسما وليت حرف تمن أو للنداء والمنادى محذوف أى ياقوم (قوله عوض عن ياء الإضافة) أى وأصله ويلتى بكسر التاء وفتح الياء فتحت التاء فتحركت الياء وانفتح ماقبلها قلبت ألفا فيقال فى إعرابه ويلتا مضاف والألف مضاف إليه فى محل جر وليس لنا ألف فى محل جر إلا ما كانت عوضا عن ياء المتكلم (قوله لم أتخذ فلانا خليلا) فلان كناية عن علم من يعقل من الذكور وفلانة كناية عن علم من يعقل من الاناث (قوله لقد أضلنى) علة لتمنيه وأكده باللام القسمية إظهارا لندمه وتحسره (قوله أى القرآن) أى وقيل كلمة الشهادة (قوله قال تعالى) أشار بذلك إلى أن قوله وكان الشيطان الخ جملة مستأنفة من كلامه تعالى وكلام الظالم تم عند قوله جاءنى (قوله وكان الشيطان) أى وهو كل عات متمرد صد عن سبيل الله من الجن والإنس (قوله بأن يتركه) أى يترك نصره (قوله وقال الرسول) عطف على قوله ـ وقال الذين لايرجون لقاءنا ـ ومابينهما اعتراض مسوق لاستعظام ماقالوه وبيان مايحيق بهم فى الآخرة من الأهوال، وهذا القول قيل صدر منه فى الدنيا، وعليه يحمل قول المفسر فاصبر كما صبروا، وقيل سيقع منه

ونصبه باذكر مقدراً، وفى قراءة بتشديد شين تشقق بادغام التاء الثانية فى الأصل فيها، وفى أخرى وننزل بنونين الثانية ساكنة وضم اللام ونصب الملائكة (الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ) لايشركه فيه أحد (وَكَانَ) اليوم (يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا) بخلاف المؤمنين (وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ) المشرك عقبة بن أبى معيط كان نطق بالشهادتين ثم رجع إرضاء لأبى بن خلف (عَلَىٰ يَدَيْهِ) ندما وتحسراً فى يوم القيامة (يَقُولُ يَا) للتنبيه (لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ) محمد (سَبِيلًا) طريقاً إلى الهدى (يَا وَيْلَتَىٰ) ألفه عوض عن ياء الاضافة: أى ويلتى، ومعناه هلكتى (لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا) أى أبيًا (خَلِيلًا. لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ) أى القرآن (بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي) بأن ردنى عن الايمان به قال تعالى (وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ) الكافر (خَذُولًا) بأن يتركه ويتبرأ منه عند البلاء (وَقَالَ الرَّسُولُ) محمد (يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي) قريشاً (اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْآنَ

مَهْجُوراً) متروكا قال تعالى (وَكَذَٰلِكَ) كما جعلنا لك عدوا من مشركى قومك (جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ) قبلك (عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ) المشركين فاصبر كما صبروا (وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا) لك (وَنَصِيرًا) ناصرا لك على أعدائك (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا) هلا (نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً) كالتوراة والإنجيل والزبور قال تعالى نزلناه (كَذَٰلِكَ) أى متفرقا (لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ) نقوى قلبك (وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا) أى أتينا به شيئا بعد شىء بتمهل وتؤدة لتيسر فهمه وحفظه (وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ) فى إبطال أمرك (إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ) الدافع له (وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا) بيانا ، هم (الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ) أى يساقون (إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَكَانًا) هو جهنم (وَأَضَلُّ سَبِيلًا) أخطأ طريقا من غيرهم وهو كفرهم (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ) التوراة ،

(وجعلنا

فى الآخرة حال إقامة الحجة عليهم ، ولذا ورد أنه يقول حين يشاهد نزول العذاب بهم سحقا سحقا (قوله مهجورا) أى فأعرضوا عنه ولم يؤمنوا به ، فهذه الآية وردت فى الكفار المعرضين عن القرآن الذين لم يؤمنوا به لا فيمن حفظه من المؤمنين ثم نسيه و إن كان يعاتب عليه فى الآخرة لما ورد « من تعلم القرآن وعلق مصحفه لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة متعلقا به يقول يارب عبدك هذا اتخذنى مهجورا اقض بينى و بينه » (قوله وكذلك جعلنا الخ) شروع فى تسليته صلى الله عليه وسلم ، والمعنى كما جاءنا قومك يعادونك و يكذبونك جعلنا لكل نبى عدوا (قوله بربك) الباء زائدة فى الفاعل (قوله هاديا) أى موصلا لك إلى الطريق القويم (قوله وقال الذين كفروا الخ) حكاية عن بعض قبائح كفار مكة وشبههم التى تتعلق بالقرآن ولما كانت تلك الشبهة ربما تدخل على بعض الضعفاء اعتنى الله بردها والتوبيخ لمن أبداها (قوله لولا نزل عليه القرآن) نزل بمعنى أنزل لأن نزل بالتشديد معناه الانزال مفرقا وأنزل معناه الانزال جملة فلو لم يجعل بمعنى أنزل لناقضه قوله جملة يؤيده قوله تعالى ـ إنا أنزلناه فى ليلة القدر ـ حيث عبر بأنزلنا دون نزلنا لأن المراد نزوله جملة فى سماء الدنيا (قوله قال تعالى) أى ردا لتلك الشبهة بأمور ثلاثة مقتضية لنزوله مفرقا : الأول تثبيت فؤاده صلى الله عليه وسلم . الثانى ترتيله ليسهل حفظه . الثالث قوله ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا (قوله نزلناه كذلك) أشار بذلك إلى أن قوله كذلك نعت لمصدر محذوف والمعنى نزلناه تنزيلا مثل ذلك التنزيل (قوله لنثبت به فؤادك) علة للمحذوف الذى قدره المفسر ، والمعنى أنزلناه مفرقا ليتقوى قلبك على تلقيه فلا يحصل لك منه ثقل لأن القرآن فى نفسه ثقيل سيما على من لم يقرأ ولم يكتب قال تعالى ـ إنا سنلقى عليك قولا ثقيلا ـ ولذلك لما نزل عليه صلى الله عليه وسلم اقرأ فتر الوحى ثلاث سنين ليشتاق للتلقى فان الشىء إذا جاء على شوق كان أثبت (قوله ورتلناه ترتيلا) أى فرقناه آية بعد آية وشيئا بعد شىء فى عشرين أو ثلاث وعشرين سنة (قوله لتيسر فهمه وحفظه) أى لك ولأمتك عن ظهر قلب وهذه عطية لهذه الأمة المحمدية لم يعطها غيرهم ولذا ورد « وجعلت من أمتك أقواما قلوبهم أناجيلهم » ومن هنا كان تعليم القرآن بالتدريج سيما للأطفال ليثبت فى قلوبهم واغتفر التنكيس فى تعليمه ليسهل حفظه فان الطفل إذا رأى السورة قصيرة قوى على حفظها و نشط لما بعدها (قوله ولا يأتونك بمثل) أى سؤال عجيب يريدون به القدح فى نبوتك (قوله إلا جئناك بالحق) استثناء مفرغ من عموم الأحوال كأنه قيل لا يأتونك بمثل فى حال من الأحوال إلا فى حال إتياننا إليك بالحق و بما هو أحسن بيانا له ، والمعنى كلما أوردوا شبهة أو أتوا بسؤال عجيب أجبناعنه بجواب حسن يرده و يدفعه من غير كلفة عليك فيه فلو نزل القرآن جملة لكان النبى هو الذى يبحث فى القرآن عن رد تلك الشبهة كالعالم الذى يكشف فى الكتب عن جواب المسائل التى يسئل عنها فيكون الأمر موكولا له فتكون الكلفة عليه وما كان موكولا إلى الله كان أتم مما هو موكول إلى العبد وفيه قمع للمعاندين (قوله وأحسن) معطوف على الحق فهو مجرور بالفتحة للوصفية ووزن الفعل (قوله الذين يحشرون) خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله هم (قوله أى يساقون) أى يسحبون مقلوبين يطئون الأرض برءوسهم ووجوههم وترتفع أقدامهم بقدرة الله تعالى (قوله من غيرهم) متعلق بكل من شر وأضل والمراد بغيرهم باقى الكفار ، والمعنى أن من عانده صلى الله عليه وسلم فهو فى أسوإ الأحوال وأشرها فى الآخرة (قوله وهو كفرهم) الضمير عائد على السبيل (قوله ولقد آتينا موسى الكتاب) شروع فى تسليته صلى الله عليه وسلم على مكائد قومه بذكر بعض قصص الأنبياء

على سبيل الاجمال ، والمعنى لاتحزن يامحمد فان من خالفك وعاندك يحل به الدمار كما حل بالمخالف من الأمم المتقدمة (قوله وجعلنا معه) معطوف على آتينا والواو لاتقتضي ترتيبا ولا تعقيبا فان إتيان موسى التوراة كان بعد رسالة هرون وهلاك فرعون وقومه ، ويمكن أن يجاب عن الآية بأن المراد بقوله آتينا موسى الكتاب قدرنا له أن يأتيه فى علمنا فهو إخبار عما سيحصل فالماضى بالنسبة لما سبق فى علم الله (قوله أخاه) مفعول أول لجعلنا وهرون بدل منه ووزيرا مفعول ثان لجعلنا ، والمعنى جعلنا هرون معينا لموسى يوحى منا له فى دعوى القوم إلى التوحيد و إعلاء الكلمة فهو نبي ورسول بما جاء به موسى ، بخلاف وزارة على للنبي صلى الله عليه وسلم المستفادة من قوله عليه الصلاة والسلام له «أنت منى بمنزلة هرون من موسى» فالمراد بها مطلق الاعانة لا المشاركة فى الاتصاف بالرسالة فان من أثبتها لعلى فقد كفر (قوله بآياتنا) أى أدلة توحيدنا لاخصوص التسع (قوله فدمرناهم تدميرا) عطف على محذوف قدره المفسر بقوله فذهبا الخ (قوله لما كذبوا الرسل) لما شرطية وجوابها قوله أغرقناهم كما قال المفسر (قوله لطول لبثه) دفع بذلك مايقال لم جمع الرسل مع أنه رسول واحد وهو نوح فأجاب بجوابين : الأول أنه جمعه لطول مدته فى قومه فكأنه رسل متعددة. الثانى أن من كذب رسولا فقد كذب باقى الرسل

(وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَرُونَ وَزِيراً) معينا (فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا) أى القبط فرعون وقومه فذهبا إليهم بالرسالة فكذبوهما (فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيراً) أهلكناهم إهلاكا (وَ) اذكر (قَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ) بتكذيبهم نوحا لطول لبثه فيهم فكأنه رسل، أو لأن تكذيبه تكذيب لباقى الرسل لاشتراكهم فى المجىء بالتوحيد (أَغْرَقْنَاهُمْ) جواب لما (وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ) بعدهم (آيَةً) عبرة (وَأَعْتَدْنَا) فى الآخرة (لِلظَّالِمِينَ) الكافرين (عَذَاباً أَلِيماً) مؤلما سوى مايحل بهم فى الدنيا (وَ) اذكر (عَاداً) قوم هود (وَثَمُودَاً) قوم صالح (وَأَصْحَابَ الرَّسِّ) اسم بئر، ونبيهم قيل شعيب ، وقيل غيره كانوا قعودا حولها فانهارت بهم و بمنازلهم (وَقُرُوناً) أقواما (بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيراً) أى بين عاد وأصحاب الرس (وَكُلاً ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ) فى إقامة الحجة عليهم فلم نهلكهم إلا بعد الانذار (وَكُلاً تَبَّرْنَا تَتْبِيراً) أهلكنا إهلاكا بتكذيبهم أنبياءهم (وَلَقَدْ أَتَوْا) أى مر كفار مكة (عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ) مصدر ساء أى بالحجارة وهى عظمى قرى قوم لوط فأهلك الله أهلها لفعلهم الفاحشة (أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا) فى سفرهم إلى الشام فيعتبرون ؟ والاستفهام للتقرير ،

(قوله وجعلناهم) أى جعلنا هلاكهم وما وقع منهم (قوله للظالمين) وضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا عليهم بوصف الظلم (قوله سوى مايحل) أى ينزل بهم وهو بهذا المعنى بضم الحاء وكسرها بخلاف سائر معانيه فهو بالكسر لاغير (قوله وثمودا) بالصرف على معنى الحى وتركه على معنى القبيلة قراءتان سبعيتان (قوله اسم بئر) اختلف هل هى اسم للبئر التى لم تطو أو للبئر مطلقا وما قاله المفسر أحد أقوال فى الرس ، وقيل هو قرية باليمن كان فيها بقايا ثمود فبعث إليهم نبي فقتلوه فهلكوا وقيل الأخدود ، وقيل هم أصحاب حنظلة بن صفوان النبي ابتلاهم الله بطير عظيم فيه من كل لون فسموه العنقاء لطول عنقها وكانت تسكن الجبال وتخطف صبيانهم فدعا عليها حنظلة فأصابتها الصاعقة ثم إنهم قتلوه فأهلكوا (قوله وقيل غيره) أى وهو حنظلة (قوله فانهارت) أى انخسفت بهم (قوله وكلا) منصوب بفعل محذوف يلاقى ضربنا فى معناه تقديره وخوفنا كلا ضربنا له الأمثال، والمعنى بينا لكل القصص العجيبة فلم يؤمنوا فتبرناهم تتبيرا : أى فتتناهم تفتيتا فجعلناهم كالتبر وهو قطع الذهب والفضة المفتتة (قوله مر) أشار بذلك إلى أنه ضمن أتوا معنى مروا فعدى بعلى و إلا فأتى يتعدى بنفسه أو بالى، والمعنى مروا عليهم فى أسفارهم إلى الشام (قوله مصدر ساء) أى بحسب الأصل والمراد فى الآية بالمطر السوء الرمى بالحجارة (قوله وهى عظمى قرى قوم لوط) أى واسمها سذوم وتقدم أن القرى خمسة ، وقيل إن أل فى القرية للجنس فيشمل جميعها لأن الخسف ونزول الأحجار عم جميعها وقيل نجت منها واحدة كانت لاتعمل الخبائث (قوله يرونها) أى يرون آثارها (قوله والاستفهام للتقرير) أى وهو حمل المخاطب على الاقرار بما يعرفه .

(قوله بل كانوا لايرجون نشورا) أى كانوا كفارا لايتوقعون نشورا ولاعاقبة فهو إضراب انتقالى من توبيخهم إلى ذكر بعض قبائحهم وهو عدم إيمانهم بالبعث وعدم خوفهم منه (قوله إن يتخذونك) جواب إذا (قوله إلا هزؤا) مفعول ثان ليتخذون وقوله مهزوءا به أشار به إلى أن المصدر مؤول باسم المفعول لأن المفعول الثانى فى الأصل خبر والمصدر لايصح الاخبار به إلا بتأويل (قوله أهذا الذى الخ) الجملة فى محل نصب مقول لقول محذوف قدره المفسر (قوله فى دعواه رسولا) قدر ذلك دفعا لما يقال هم لايعترفون برسالته فكيف يقولون ماذكر (قوله ليضلنا عن آلهتنا) أى بكثرة الأدلة والمعجزات (قوله لولا أن صبرنا عليها) أى ثبتنا واستمسكنا بعبادتها (قوله قال تعالى) أى ردا لقولهم إن كان ليضلنا (قوله من أضل سبيلا) من اسم استفهام مبتدأ وأضل خبره وسبيلا تمييز وقد أشار المفسر إلى ذلك بقوله أهم أم المؤمنون (قوله قدم المفعول الثانى) أى وقيل لاتقديم ولاتأخير لاستوائهما فى التعريف (قوله وجملة من الخ) أى بحسب الصورة وإلا فهى وصلتها فى قوة المفرد (قوله لا) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى (قوله أم تحسب) أم منقطعة تفسر ببل والهمزة والاستفهام فيها إنكارى (قوله أن أكثرهم) استفيد منه أن الأقل سمع وعقل فآمن (قوله إن هم إلا كالأنعام) أى فى عدم انتفاعهم بالآيات (قوله بل هم أضل سبيلا) أى لأن الأنعام تنقاد لمن يتعهدها وتميز من يحسن إليها ممن يسيء إليها وتطلب ما ينفعها وتهرب مما يضرّ بها وهولاء ليسوا كذلك (قوله ألم تر إلى ربك كيف مد الظل) أقام الله سبحانه وتعالى أدلة محسوسة على انفراده تعالى بالألوهية وذكر منها خمسة الأول هذا الثانى قوله ـ وهو الذى جعل لكم الليل لباسا ـ الثالث قوله ـ وهو الذى أرسل الرياح ـ الرابع قوله ـ وهو الذى مرج البحرين ـ الخامس قوله ـ وهو الذى خلق من الماء بشرا ـ وهذا الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم ولكل عاقل فان من تأمل فى تلك الأدلة حق التأمل عرف أن موجدها فاعل مختار منفرد بالكمال (قوله تنظر) أشار بذلك إلى أن الرؤية بصرية فقوله كيف منصوب بمد على الحال. والمعنى ألم تنظر إلى صنع ربك مد الظل كيف على أى حالة وقدر المفسر فعل إشارة إلى أن المراد رؤية المصنوعات لارؤية الذات لأن المقصود نصب الأدلة ليستدل بها على مؤثرها فان كل صنعة لابد لها من صانع وإن كان يلزم من التفكر فى تلك الأشياء رؤية الله بعين القلب لأنه لايغيب عن مخلوقه طرفة عين، ومن هنا قيل إن العارف يرى الله فى كل شىء فالآثار كالمرآة للناظر فمن تأمل فيها رأى مؤثرها ولا تحجب إلا من سبقت له الشقاوة (قوله من وقت الاسفار الخ) المناسب أن يقول من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس إذ هو أحد أقوال ثلاثة للمفسرين. ثانيها من غروب الشمس إلى طلوعها. ثالثها من طلوع الشمس إلى أن تزول ومن زوالها إلى غروبها، وأما ما قاله المفسر فلم يوافقه عليه أحد من المفسرين وهذا الوقت أعنى من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس أطيب الأوقات وأفضلها ولذا وصفت به الجنة قال تعالى ـ وظل ممدود ـ وفيه يجد المريض راحته والمسافر وكل ذى علة وفيه ترد أرواح الأموات منهم إلى الأجساد وتطيب نفوس الأحياء قال أبو العالية نهار الجنة هكذا وأشار إلى ساعة يصلون صلاة الفجر (قوله ولو شاء لجعله ساكنا) أى ثابتا مستقرا لايذهب عن وجه الأرض (قوله لايزول بطلوع الشمس) أى بأن لاتطلع فلا يزول بأن يستمر الليل مقيما أو تطلع من غير ضوء

(بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ) يخافون (نُشُورًا) بعثا فلا يؤمنون (وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ) ما (يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا) مهزوءا به يقولون (أَهَٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا) فى دعواه محتقرين له عن الرسالة (إِنْ) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف: أى إنه (كَادَ لَيُضِلُّنَا) يصرفنا (عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا) لصرفنا عنها، قال تعالى (وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ) عيانا فى الآخرة (مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا) أخطأ طريقا أهم أم المؤمنين (أَرَأَيْتَ) أخبرنى (مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ) أى مهويه قدم المفعول الثانى لأنه أهم وجملة من اتخذ مفعول أول لرأيت والثانى (أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا) حافظا تحفظه عن اتباع هواه؟ لا (أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ) سماع تفهم (أَوْ يَعْقِلُونَ) ماتقول لهم (إِنْ) ما (هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا) أخطأ طريقا منها لأنها تنقاد لمن يتعهدها وهم لايطيعون مولاهم المنعم عليهم (أَلَمْ تَرَ) تنظر (إِلَىٰ) فعل (رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ) من وقت الإسفار إلى وقت طلوع الشمس (وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا) مقيما لايزول بطلوع الشمس،

(قوله ثم جعلنا الشمس عليه دليلا) أى جعلنا الشمس دليلا على الظل ليلا ونهارا فالمراد بالظل ماقابل نور الشمس وكل من الظل، ونور الشمس عرض لقيامه بغيره ، وأما ذات الشمس فجوهر (قوله ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا) أى قليلا شيئا فشيئا ، وذلك أن الشمس إذا طلعت ظهر لكل شاخص ظل إلى جهة الغرب فكلما ارتفعت فى الأفق نقص الظل شيئا فشيئا إلى أن تصل الشمس وسط السماء فعند ذلك ينتهى نقص الظل فبعض البلاد لايبقى فيها ظل أبدا فى بعض أيام السنة كمكة وزبيد وما عداها تبقى له بقية وهذا على حسب الأشهر القبطية وضبط ذلك بعضهم بقوله «طزه جبا ابدوحى» فالطاء بتسعة لطوبة فظل الزوال فيه تسعة أقدام والزاى بسبعة لأمشير والهاء بخمسة لبرمهات والجيم بثلاثة لبرمودة والباء باثنين لبشنس والألف بواحد لبئونة والألف الثانية بواحد لأبيب والباء باثنين لمسرى والدال بأربعة لتوت والواو بستة لبابة والحاء بثمانية لهاتور والياء بعشرة لكيهك ، فاذا زالت الشمس زاد الظل جهة المشرق شيئا فشيئا حتى تغرب الشمس (قوله كاللباس) أشار بذلك إلى أنه من التشبيه البليغ بحذف الأداة والجامع بين المشبه والمشبه به الستر فى كل (قوله والنوم سباتا) من السبت وهو القطع لقطع الأعمال فيه كما قال المفسر (قوله بقطع الأعمال) الباء سببية والجار والمجرور متعلق براحة (قوله لابتغاء الرزق) أى طلبه (قوله وهو الذى أرسل الرياح) أى المبشرات وهى ثلاث الشمال وتأتى من جهة القطب والجنوب تقابلها والصبا وتأتى من مطلع الشمس والدبور وتأتى من المغرب وبها أهلكت قوم عاد (قوله وفى قراءة الريح) أى وهى سبعية أيضا وأل فيها للجنس (قوله وفى قراءة بسكون الشين الخ) حاصل ماذكره المفسر من القراآت أربع وكلها سبعية الأولى والثانية جمع نشور كرسول والثالثة مصدر نشر والرابعة جمع بشير (قوله ومفرد الأولى) أى والثانية

(ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ) أى الظل (دَلِيلاً) فلولا الشمس ما عرف الظل (ثُمَّ قَبَضْنَاهُ) أى الظل الممدود (إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيراً) خفيا بطلوع الشمس (وَهُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا) ساترا كاللباس (وَالنَّوْمَ سُبَاتًا) راحة للأبدان بقطع الأعمال (وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُوراً) منشورا فيه لابتغاء الرزق وغيره (وَهُوَ الَّذِى أَرْسَلَ الرِّيَاحَ) وفى قراءة الريح (نُشُراً بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ) أى متفرقة قدام المطر وفى قراءة بسكون الشين تخفيفا وفى أخرى بسكونها وفتح النون مصدرا وفى أخرى بسكونها وضم الموحدة بدل النون أى مبشرات ومفرد الأولى نشور كرسول والأخيرة بشير (وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً) مطهرا (لِنُحْيِىَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا) بالتخفيف يستوى فيه المذكر والمؤنث ذكره باعتبار المكان (وَنُسْقِيَهُ) أى الماء (مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا) إبلا وبقرا وغنما (وَأَنَاسِىَّ كَثِيراً) جمع إنسان وأصله أناسين فأبدلت النون ياء وأدغمت فيها الياء أو جمع إنسى (وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ) أى الماء (بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا) أصله يتذكروا ،

(قوله وأنزلنا من السماء) فيه التفات من الغيبة للتكلم (قوله طهورا) أى طاهرا فى نفسه مطهرا لغيره (قوله بلدة) أى أرضا (قوله بالتخفيف) أى لاغير لأن المخفف لما ليس ذا روح غالبا ولما بالتشديد لما كانت فيه الروح . قال تعالى - إنك ميت وإنهم ميتون - وقال بعضهم :

أيا سائلى تفسير ميت وميت ... فدونك قد فسرت ماعنه تسأل

فما كان ذا روح فذلك ميت ... وما الميت إلا من إلى القبر يحمل

(قوله يستوى فيه المذكر الخ) جواب عما يقال لم ذكر ميتا مع أنه نعت لبلدة وهى مؤنثة وقوله ذكره الخ جواب ثان فكان المناسب أن يأتى بأو (قوله أنعاما) خصها بالذكر لأنها عزيزة عند أهلها لكونها سببا لحياتهم ومعاشهم (قوله جمع إنسان) هو الراجح ، وقيل جمع إنسى وهو معترض بأن الياء فى إنسى للنسب وهو لايجمع على فعالى كما قال ابن مالك :

* واجعل فعالىّ لغير ذى نسب *

(قوله وأصله أناسين) أى كسرحان وسراحين (قوله ولقد صرفناه) أى فرقناه فى البلاد المختلفة والأوقات المتغايرة على حسب ماقدر فى سابق علمه . روى عن ابن مسعود أنه قال : « ليس من سنة بأمطر من أخرى ولكن الله عز وجل قسم هذه الأرزاق فجعلها فى السماء الدنيا فى هذا القطر ينزل منه كل سنة بكيل معلوم ، وإذا عمل قوم بالمعاصى حول الله ذلك إلى غيرهم ، وإذا عصوا جميعا صرف الله ذلك المطر إلى الفيافى والبحار » .

(قوله أدغمت التاء في الذال) أي بعد قلبها دالا فذالا (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضا (قوله أي نعمة الله به) أي فيقوموا بشكرها ليزدادوا خيرا (قوله جحودا للنعمة) أي حيث أضافوها لغير خالقها (قوله مطرنا بنوء كذا) النوء سقوط نجم من المنازل في المغرب وطلوع رقيبه من المشرق في ساعته في عدة أيام معلومة لهم وكانت العرب تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد إلى الساقط، وقيل إلى الطالع واعتقاد تأثير تلك الأشياء في المصنوعات كفر لأنه لا أثر لشيء في شيء بل المؤثر هو الله وحده وإنما تلك الأشياء من جملة الأسباب العادية التي توجد الأشياء عندها لا بها ويمكن تخلفها كالإحراق للنار والري للماء والشبع للأكل (قوله لبعثنا في كل قرية) أي في زمنك (قوله ليعظم أجرك) أي فالنبي صلى الله عليه وسلم له مثل أجر من آمن به من بعثته إلى يوم القيامة (قوله فلا تطع الكافرين) أي بل اصبر على أحكام ربك (قوله جهادا كبيرا) أي لأن مجاهدة السفهاء بالحجج أكبر من مجاهدة الأعداء بالسيف (قوله أرسلهما متجاورين) أي أجراهما متلاصقين لا يتمازجان ولا يبغي أحدهما على الآخر (قوله هذا عذب فرات) هذه الجملة يحتمل أن تكون مستأنفة جواب سؤال مقدر كأنه قيل كيف مرجهما ويحتمل أن تكون حالية بتقدير القول أي مقولا فيهما هذا عذب الخ وسمي الماء العذب فراتا لأنه يفرت العطش أي يشقه ويقطعه (قوله شديد الملوحة) أي وقيل شديد الحرارة وقيل

أدغمت التاء في الذال وفي قراءة ليذكروا بسكون الذال وضم الكاف أي نعمة الله به (فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا) جحوداً للنعمة حيث قالوا مطرنا بنوء كذا (وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا) يخوف أهلها ولكن بعثناك إلى أهل القرى كلها نذيرا ليعظم أجرك (فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ) في هواهم (وَجَاهِدْهُمْ بِهِ) أي القرآن (جِهَادًا كَبِيرًا. وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ) أرسلهما متجاورين (هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ) شديد العذوبة (وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ) شديد الملوحة (وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا) حاجزا لا يختلط أحدهما بالآخر (وَحِجْرًا مَحْجُورًا) أي سترا ممنوعا به اختلاطهما (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا) من المني إنسانا (فَجَعَلَهُ نَسَبًا) ذا نسب (وَصِهْرًا) ذا صهر بأن يتزوج ذكرا كان أو أنثى طلباً للتناسل (وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا) قادراً على ما يشاء (وَيَعْبُدُونَ) أي الكفار (مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ) بعبادته (وَلَا يَضُرُّهُمْ) بتركها وهو الأصنام (وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا) معيناً للشيطان بطاعته،

شديد المرارة وهذا من أحسن المقابلة حيث قال عذب فرات وملح أجاج (قوله حاجزا لا يختلط أحدهما بالآخر) أي فالماء العذب داخل في الملح وجار في خلاله ومع ذلك لا يتغير طعمه ولا يختلطان بل يبقى كل على ما هو عليه بسبب منع الله لكل منهما عن الآخر بحاجز معنوي لا يحس بل بمحض قدرته تعالى وهذا من أكبر الأدلة على انفراد الله تعالى بالألوهية (قوله وحجرا محجورا) تقدم أن معناه (وما تعوذنا تعوذا والمراد هنا الستر المانع فشبه البحران بطائفتين متعاديتين كل منهما تتحصن من الأخرى وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه وهو قوله حجرا محجورا على طريق الاستعارة المكنية (قوله بشرا) أي خلقا كاملا مركبا من لحم وعظم وعصب وعروق ودم على شكل حسن. قال تعالى ـ لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ـ (قوله ذا نسب الخ) أي فقسمه قسمين ذوي نسب أي ذكورا ينسب إليهم وذوات صهر أي إناثا يصاهر بهن وأخر الصهر لأنه لا يحصل إلا بعد الكبر والتزوج (قوله ذا صهر) صهر الرجل أقارب زوجته وصهر المرأة أقارب زوجها (قوله وكان ربك قديرا) أي حيث خلق من مادة واحدة إنسانا ذا أعضاء مختلفة وطباع متباعدة وأخلاق متعددة وجعله قسمين متقابلين فمن كان قادرا على ذلك وأمثاله فهو حقيق بأن لا يعبد غيره (قوله ويعبدون من دون الله) شروع في ذكر قبائح المشركين مع ظهور تلك الأدلة (قوله ما لا ينفعهم ولا يضرهم) قدم النفع في بعض الآيات وأخره في بعضها تفننا (قوله وكان الكافر على ربه ظهيرا) أي يعاون الشيطان ويتابعه بالعداوة والشرك وأل في الكافر للجنس فالمراد كل كافر، وقيل معنى ظهيرا مهينا لا يعبأ به فعلى بمعنى عند، والمعنى وكان الكافر عند ربه مهانا لا حرمة له مأخوذ من قولهم ظهرت به إذا نبذته خلف ظهرك (قوله بطاعته) أي الشيطان والباء سببية والمعنى صار الكافر معينا للشيطان على معصية الله بسبب طاعته إياه والخروج عن طاعة الله.

(قوله وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا) أى لم نرسلك فى حال من الأحوال إلا فى حال كونك مبشرا ونذيرا لمن آمن فقد تحقق بالبشارة ومن استمر على الكفر فله النذارة (قوله على تبليغ ما أرسلت به) أى المفهوم من قوله أرسلناك (قوله لكن من شاء الخ) أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع ، والمعنى لا أطلب من أموالكم جعلا لنفسى لكن من شاء أن ينفق أمواله لوجه الله تعالى طلبا لمرضاته فليفعل (قوله فى مرضاته تعالى) أى كالصدقة والنفقة فى سبيل الله تعالى (قوله وتوكل على الحى الذى لا يموت) لما قدم أن الكافر خارج عن طاعة ربه وعن طاعة رسوله وأمر الرسول أن لا يسألهم أجرا على تبليغه أمره بالاعتماد عليه تعالى ليكفيه شرورهم ويغنيه عن أجورهم فإنه الحقيق بأن يتوكل عليه دون الأحياء الذين يموتون فإنهم إذا ماتوا ضاع من توكل عليهم والتوكل هو وثوق القلب بالله تعالى فى جميع الأمور من غير اعتماد على الأسباب وإن تعاطاها (قوله الذى لا يموت) صفة كاشفة لأن معنى الحى فى حقه تعالى ذو الحياة الأبدية التى يستحيل عليها الموت والفناء ووصفه بالحياة بهذا المعنى مستلزم لاتصافه بوجوب الوجود والقدم والبقاء وجميع الصفات الوجودية والسلبية (قوله وسبح) أى نزهه عن كل نقص (قوله بحمده) الباء للملابسة كما قال المفسر أى صفه بالكمالات (قوله أى قل سبحان الله والحمد لله) أى فذلك مجمع التسبيح والتحميد لأن معنى سبحان الله تنزيه الله عن كل نقص ومعنى الحمد لله كل كمال ثابت لله فهاتان الكلمتان من جوامع الكلم التى أوتيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهما من جملة الباقيات الصالحات وغراس الجنة التى بقيتها لا إله إلا الله والله أكبر وحكمة تأخير لا إله إلا الله عن هاتين الجملتين ليكون النطق بها عن معرفة

(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا) بالجنة (وَنَذِيرًا) مخوفا من النار (قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ) أى على تبليغ ما أرسلت به (مِنْ أَجْرٍ إِلَّا) لكن (مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا) طريقا بإنفاق ماله فى مرضاته تعالى فلا أمنعه من ذلك (وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ) متلبسا (بِحَمْدِهِ) أى قل سبحان الله والحمد لله (وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا) عالما تعلق به بذنوب ، هو (الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ) من أيام الدنيا أى فى قدرها لأنه لم يكن ثم شمس ولو شاء لخلقهن فى لمحة والعدول عنه لتعليم خلقه التثبت (ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ) هو فى اللغة سرير الملك (الرَّحْمَٰنُ) بدل من ضمير استوى أى استواء يليق به ،

ويقين فهى نتيجة ما قبلها والله أكبر نتيجة الثلاث قبلها لأنه إذا تنزه عن النقائص واتصف بالكمالات وثبت أنه لا إله غيره فقد انفرد بالكبرياء والعظمة وحكمة الاقتصار هنا على التسبيح والتحميد لأنهما مستلزمان للجملتين بعدها (قوله وكفى به) الباء زائدة فى الفاعل (قوله عالما) أى بالمذنب والطائع (قوله تعلق به) أى بخبيرا (قوله بذنوب) أى لفظ بذنوب وقدم لرعاية الفاصلة ، والمعنى أن الله قادر على مجازاة الخلق فى كل وقت فلا ينظر الإنسان لعيوب الناس ولا طاعاتهم بل عليه بنفسه ويفوض أمرهم إليه (قوله هو الذى) أشار بذلك إلى أن الموصول خبر لمحذوف وهذه الجملة سيقت تحريضا للتوكل عليه تعالى فإن من كان قادرا على ذلك فهو حقيق بالتوكل عليه (قوله فى ستة أيام) أى فالأرض فى يومين الأحد والاثنين وما عليها فى يومين الثلاثاء والأربعاء والسموات فى يومين الخميس والجمعة وفرغ من آخر ساعة من يوم الجمعة (قوله أى فى قدرها) دفع بذلك ما يقال إن الأيام لم تكن موجودة إذ ذاك (قوله والعدول عنه) أى عن الخلق فى لمحة (قوله التثبت) أى التأنى والتؤدة فى الأمور وعدم العجلة فيها لما ورد «إن العجلة من الشيطان» واستثنى العلماء من ذلك مسائل : إقراء الضيف وتزويج البكر وتجهيز الميت والصلاة فى أول وقتها وقضاء الدين وتعجيل الأوبة للمسافر بعد قضاء حاجته والتوبة من الذنب (قوله هو فى اللغة سرير الملك) أى ومنه قوله تعالى - أيكم يأتينى بعرشها - والمراد هو جسم عظيم محيط بالعالم فوق السموات السبع (قوله بدل من ضمير استوى) ويصح أن يكون خبرا لمحذوف أو خبر الذى خلق (قوله أى استواء يليق به) هذا إشارة لمذهب السلف وهم من كانوا قبل الخمسمائة ومذهب الخلف تفسير الاستواء بالاستيلاء عليه والتصرف فيه وهو أحد معانى الاستواء واستدلوا لذلك بقول الشاعر :

قد استوى بشر على العراق ... من غير سيف ودم مهراق

وفى قوله الرحمن إشارة إلى أن الله تعالى استوى على العرش بوصف الرحمة فوسع العالمين ،

وكان سقف الجنة لابوصف الجلال و إلا الذاب ولم يبق له أثر (قوله فسئل به خبيرا) به متعلق بخبيرا قدم لرعاية الفاصلة . والمعنى اسأل يامحمد خبيرا بصفاته تعالى وليس خبيرا بصفاته إلا هوسبحانه وتعالى ، ويصح أن يكون الجار والمجرور متعلقا باسأل والباء بمعنى عن . والمعنى اسأل عنه خبيرا أى عالما بصفاته يطلعك على ماخفى عليك والخبير يختلف باختلاف السائل ، فإن كان السائل النبى عليه الصلاة والسلام فالخبيرهو الله ، و إن كان السائل أصحابه فالخبير النبى ، و إن كان السائل التابعين فالخبير الصحابة عن النبى عن الله وهكذا فآل الأمر إلى أن المشايخ العارفين يفيدون الطالب عن الله ، وفيه دليل على وجوب معرفة التوحيد (قوله و إذا قيل لهم) أى لكفار مكة (قوله قالوا وما الرحمن) أى ظنا منهم أن المراد به غيره تعالى لأنهم كانوا يطلقون الرحمن على مسيلمة الكذاب (قوله بالفوقانية والتحتانية) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله والآمر محمد) أى على كل من القراءتين (قوله ولا نعرفه) راجع لقوله لما تأمرنا فكان المناسب ذكره بلصقه (قوله لا) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى (قوله تعاظم) أى انفرد بالعظمة لأن من كانت هذه أوصافه فهومنفرد بالكبرياء والعظمة وتقدم أن لفظة تبارك من الصفات الجامعة تفسر فى كل مقام بما يناسبه (قوله بروجا) جمع برج وهو فى الأصل القصر العالى سميت هذه المنازل بروجا لأنها للكواكب السبعة السيارة كالمنازل الرفيعة التى هى كالقصور لسكانها فالمراد بالبروج الطرق والمنازل للكواكب السيارة

(فَسْئَلْ) أيها الإنسان (بِهِ) بالرحمن (خَبِيراً) يخبرك بصفاته (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ) لكفار مكة (اسْجُدُوا لِلرَّحْمٰنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا) بالفوقانية والتحتانية والآمر محمد ولا نعرفه ؟ لا (وَزَادَهُمْ) هذا القول لهم (نُفُوراً) عن الإيمان ، قال تعالى (تَبَارَكَ) تعاظم (الَّذِى جَعَلَ فِى السَّمَاءِ بُرُوجًا) اثنى عشر : الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت ، وهى منازل الكواكب السبعة السيارة ، المريخ وله الحمل والعقرب ، والزهرة ولها الثور والميزان ، وعطارد وله الجوزاء والسنبلة ، والقمر وله السرطان ، والشمس ولها الأسد ، والمشترى وله القوس والحوت ، وزحل وله الجدى والدلو (وَجَعَلَ فِيهَا) أيضا (سِرَاجًا) هو الشمس (وَقَمَراً مُنِيراً) وفى قراءة سرجا بالجمع أى نيرات وخص القمر منها بالذكر لنوع فضيلة (وَهُوَ الَّذِى جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً) أى يخلف كل منهما الآخر (لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ) بالتشديد والتخفيف كما تقدم ،

(قوله الحمل) أى ويسمى بالكبش (قوله والأسد) أى ويسمى بالليث أيضا وقوله والدلو يسمى الدالى أيضا (قوله المريخ) بكسر الميم (قوله وله) أى من البروج المذكورة . والحاصل أن خمسة من الكواكب السبعة أخذت عشرة بروج كل واحد اثنين واثنان من السبعة وهما الشمس والقمر كل واحد منهما أخذ واحدا من البروج وتقدم فى سورة الحجر نظم الكواكب والبروج وتقدم أن ما

زحل نجم فى السماء السابعة والمشترى فى السادسة والمريخ فى الخامسة والشمس فى الرابعة والزهرة فى الثالثة وعطارد فى الثانية والقمر فى الأولى وتخصيص الشمس بالأسد لكونه بيتها المنسوب لها فلا ينافى سيرها فى البروج كلها وكذا غيرها من بواقى الكواكب السبعة وذلك لأن البروج أصلها فى سماء الدنيا وتمتد للسماء السابعة ، فالبروج كلها طرق للكواكب السبعة كلها (قوله والزهرة) بفتح الهاء (قوله وعطارد) بضم العين ممنوع من الصرف لصيغة منتهى الجموع (قوله وزحل) ممنوع من الصرف للعلمية والعدل كعمر وقد جعل الله تعالى بهذه الكواكب النفع فى العالم السفلى كالأكل والشرب يوجد النفع عندها لابها فهى من جملة الأسباب العادية فمن اعتقد تأثيرها بطبعها فقد كفر ، أو بقوة جعلها الله فيها فقد فسق (قوله وجعل فيها) أى السماء (قوله أى نيرات) صفة لموصوف محذوف أى كواكب نيرات ودخل فيها القمر فلذلك قال وخص القمر الخ (قوله لنوع فضيلة) أى لأن مواقيت العبادة تبنى على الشهور القمرية قال تعالى : يسألونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج (قوله أى يخلف كل منهما الآخر) أى بأن يقوم مقامه فكل واحد من الليل والنهار يخلف صاحبه (قوله بالتشديد) أى فأصله يتذكر قلبت التاء دالا ثم ذالا وأدغمت فى الذال (قوله والتخفيف) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله كما تقدم) أى فى قوله : ولقد صرفناه بينهم ليذكروا .

(قوله مافاته فى أحدهما من خير الخ) أى فمن فاته شىء من الخير بالليل أدركه بالنهار ومن فاته بالنهار أدركه بالليل من فرائض وسنن وغيرهما (قوله أو أراد شكورا) أو مانعة خلو تجوز الجمع (قوله وعباد الرحمن الخ) لما ذكر أحوال المنافقين والكفار وما آل إليه أمرهم ذكر هنا أوصاف المؤمنين الكاملين ووصفهم بأوصاف ثمانية بها تنال المراتب العالية و إضافتهم إليه تعالى للتشريف و إلا فكل المخلوقات عباد الله أو يقال إضافتهم له من حيث كونه رحمانا لكونهم مظهر الرحمة وستخص بهم فى الآخرة (قوله وما بعده) أى من الموصولات الثمانية التى أولها قوله الذين يمشون وآخرها قوله والذين يقولون ربنا هب لنا (قوله إلى أولئك) أى وهو الخبر كما سيذكره هناك (قوله غير المعترض فيه) أى وهو قوله ومن يفعل ذلك يلق أثاما إلى قوله متابا وهو ثلاث آيات . وحاصل ماذكره من الأوصاف أن بعضها متعلق بالخلق و بعضها متعلق بالخالق (قوله هونا) هو مصدر هان كقال (قوله أى بسكينة) أى تؤدة وتأن (قوله الجاهلون) أى السفهاء (قوله قالوا سلاما) أى مع القدرة على الانتقام فالمراد الاغضاء عن السفهاء وترك مقابلتهم فى الكلام وهذا الخلق من أعظم الأخلاق لما فى الحديث « كاد الحليم أن يكون نبيا» وفى الحديث «يبلغ الحليم بحلمه مالا يبلغه الصائم القائم » الآثار فى ذلك كثيرة (قوله والذين يبيتون) شروع فى ذكر معاملتهم للخالق إثر معاملتهم للخلق وخص البيتوتة بالذكر لأن العبادة بالليل أبعد عن الرياء وفى الحديث لازال جبريل يوصينى بقيام الليل حتى علمت أن خيار أمتى لاينامون ، وأخر القيام مراعاة للفواصل (قوله أى يصلون بالليل) هذا صادق بصلاة العشاء والصبح فى جماعة ولكن كلما كثرت الصلاة بالليل كان خيرا (قوله والذين يقولون الخ) أى فهم

مافاته فى أحدهما من خير فيفعله فى الآخر (أَوْ أَرَادَ شُكُورًا) أى شكرا لنعمة ربه عليه فيهما (وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ) مبتدأ وما بعده صفات له إلى أولئك يجزون غير المعترض فيه (الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا) أى بسكينة وتواضع (وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ) بما يكرهونه (قَالُوا سَلَامًا) أى قولا يسلمون فيه من الإثم (وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا) جمع ساجد (وَقِيَامًا) بمعنى قائمين أى يصلون بالليل (وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا) أى لازما (إِنَّهَا سَاءَتْ) بئست (مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا) هى أى موضع استقرار و إقامة (وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا) على عيالهم (لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا) بفتح أوله وضمه أى يضيقوا (وَكَانَ) إنفاقهم (بَيْنَ ذَٰلِكَ) الاسراف والإقتار (قَوَامًا) وسطا (وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ) قتلها (إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ) أى واحدا من الثلاثة (يَلْقَ أَثَامًا) أى عقوبة (يُضَاعَفْ) وفى قراءة يضعف بالتشديد (لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ) بجزم الفعلين ،

مع حسن المعاملة للخالق وللخلق ليس عندهم غرور ولا أمن من مكر الله بل هم خائفون من عذابه وجلون من هيبته (قوله إن عذابها الخ) تعليل لقولهم ربنا اصرف عنا عذاب جهنم (قوله كان غراما) أى فى علمه تعالى (قوله أى لازما) أى لزوما كليا فى حق الكفار ولزوما بعده خروج فى حق عصاة المؤمنين (قوله إنها ساءت) الفاعل ضمير مستتر يفسره التمييز المذكور والمخصوص بالذم محذوف قدره بقوله هى (قوله مستقرا ومقاما) هما بمعنى واحد وهو الذى يشير إليه المفسر وقيل مستقرا لعصاة المؤمنين ومقاما للكافرين (قوله بفتح أوله) أى مع كسر التاء وضمها من باب ضرب ونصر وقوله وضمه أى مع كسر التاء لاغير فالقراآت ثلاث سبعيات (قوله أى يضيقوا) أى على عيالهم مع يسارهم (قوله وكان بين ذلك قواما) هو بمعنى قوله تعالى : ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط الآية (قوله والذين لايدعون مع الله الخ) شروع فى بيان اجتنابهم للمعاصى إثر بيان إتيانهم الطاعات (قوله إلا بالحق) أى لايقتلون النفس المحرمة بسبب من الأسباب إلا بسبب الحق بأن تكون مستحقة للقتل كالمرتد والزانى المحصن والقاتل (قوله أى واحدا من الثلاثة) فى بعض النسخ أى ماذكر وهو المناسب لقوله يضاعف لأن المشرك إذا ارتكب المعاصى مع الشرك تضاعف له العقوبة (قوله وفى قراءة يضعف) أى فهما قراءتان سبعيتان وكل منهما مع جزم الفعل ورفعه فالقراآت أربع سبعيات .

(قوله بدلا) أى من يلق بدل اشتمال (قوله مهانا) أى ذليلا حقيرا (قوله إلا من تاب) استثناء متصل من الضمير فى يلق (قوله فأولئك) اسم الاشارة راجع لقوله من تاب (قوله يبدّل الله سيئاتهم) أى يمحو ماسبق منهم من المعاصى بسبب التوبة و يثبت مكانها الطاعات أوثبتها . وفى القرطبى ولايبعد فى كلام الله تعالى إذا صحت توبة العبد أن يضع مكان كل سيئة حسنة (قوله ومن تاب) أى عن المعاصى بتركها والندم عليها (قوله وعمل صالحا) أى فعل الطاعات ولو بالنية كمن جاءه الموت عقب التوبة (قوله فيجازيه خيرا) دفع بذلك مايتوهم من اتحاد الشرط والجزاء كأنه قال : من تاب وعمل صالحا فانه يرجع إلى جزاء الله فى الآخرة الجزاء الحسن (قوله والذين لايشهدون الزور) أى لايحضرونه أو لايشهدون به (قوله و إذا مروا باللغو) أى من غير قصد منهم له (قوله وغيره) أى وهو الفعل القبيح (قوله مروا كراما) أى مكرمين أنفسهم بالغض عن الفواحش (قوله بل خروا سامعين الخ) أشار بذلك إلى أن النفى مسلط على القيد فقط وهو قوله صما وعميانا ، والمعنى إذا قرئ عليهم القرآن ذكروا آخرتهم ومعادهم ولم يتغافلوا حتى يكونوا بمنزلة من لا يسمع ولا يبصر (قوله من أزواجنا) من للبيان (قوله بالجمع والافراد) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله قرّة أعين) أى ما يحصل به سرورها (قوله واجعلنا للمتقين إماما) أى اجعلنا هداة يقتدى بنا فى مواسم الخيرات والطاعات بأن تصفى بواطننا من غيرك حتى يكون حالنا سببا فى هداية الخلق ولذا قيل : حال رجل فى ألف رجل أنفع من وعظ ألف رجل فى رجل ولفظ إمام يستوى فيه الجمع وغيره فالمطابقة حاصلة (قوله أولئك) اسم الاشارة عائد على المتصفين بالأوصاف الثمانية (قوله الغرفة) اسم جنس أريد به الجمع والغرفة أعلى منازل الجنة وأفضلها كما أن الغرفة أعلا مساكن الدنيا (قوله بالتشديد) أى ومعناه يعطون والفاعل الله وقوله والتخفيف

(١٥٦)

بدلا و برفعهما استئنافا (مُهَانًا) حال (إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا) منهم (فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ) المذكورة (حَسَنَاتٍ) فى الآخرة (وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) أى لم يزل متصفا بذلك (وَمَنْ تَابَ) من ذنوبه غير من ذكر (وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا) أى يرجع إليه رجوعا فيجازيه خيرا (وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ) أى الكذب والباطل (وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ) من الكلام القبيح وغيره (مَرُّوا كِرَامًا) معرضين عنه (وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا) وعظوا (بِآيَاتِ رَبِّهِمْ) أى القرآن (لَمْ يَخِرُّوا) يسقطوا (عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا) بل خروا سامعين ناظرين منتفعين (وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا) بالجمع والإفراد (قُرَّةَ أَعْيُنٍ) لنا بأن نراهم مطيعين لك (وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا) فى الخير (أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ) الدرجة العليا فى الجنة (بِمَا صَبَرُوا) على طاعة الله (وَيُلَقَّوْنَ) بالتشديد والتخفيف مع فتح الياء (فِيهَا) فى الغرفة (تَحِيَّةً وَسَلَامًا) من الملائكة (خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا) موضع إقامة لهم ، وأولئك وما بعده خبر عباد الرحمن المبتدأ (قُلْ) يا محمد لأهل مكة (مَا) نافية (يَعْبَأُ) يكترث (بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ) إياه فى الشدائد فيكشفها (فَقَدْ) أى فكيف يعبأ بكم وقد (كَذَّبْتُمْ) الرسول والقرآن ، (فسوف

أى فمعناه يجدون والقراءتان سبعيتان (قوله تحية وسلاما) جمع بينهما لأن المراد بالتحية الاكرام بالهدايا والتحف و بالسلام سلامه تعالى عليهم بالقول أو سلام الملائكة أو سلام بعضهم على بعض (قوله الملائكة) أى أو من الله أو من بعضهم لبعض ، والمعنى تحييهم الملائكة ويدعون لهم بطول الحياة والسلامة من الآفات فتحصل أن قوله تحية وسلاما قيل هما بمعنى واحد وجمع بينهما لاختلاف لفظهما وقيل متخالفان ، فالتحية الاكرام بالهدايا والتحف ، والسلام الدعاء إما من الملائكة أو من الله أو من بعضهم لبعض (قوله خالدين فيها) أى لايموتون ولا يخرجون (قوله وأولئك) أى الواقع مبتدأ وقوله وما بعده ؛ أى قوله يجزون الواقع خبره (قوله ما يعبأ بكم ربى الخ) لما ذكر أوصاف المؤمنين الكاملين أفاد أن المدار على تلك الأوصاف التى بها العبادة لله ، فلولا العبادة الواقعة من الخلق لم يكترث بهم ولم يعتدّ بهم عنده فان الانسان خلق ليعرف ربه و يعبده و إلا فهو شبيه بالبهائم قال تعالى ـ وما خلقت الجنّ والانس إلا ليعبدون ـ ففى العبادة يتنافس المتنافسون و بها يفوز الفائزون (قوله لولا دعاؤكم إياه) أشار بذلك إلى أن المصدر مضاف لفاعله

(قوله فسوف يكون العذاب) أى الذى دل عليه قوله فقد كذبتم (قوله لزاما) مصدر لازم كقاتل قتالا والمراد هنا اسم الفاعل وفى الآية تهديد لكفار مكة (قوله فقتل منهم يوم بدر سبعون الخ) روى الشيخان عن عبد الله بن مسعود قال : خمس قد مضين الدخان واللزام والروم والبطشة والقمر» وقوله خمس أى خمس علامات دالة على قيام الساعة قد وقعن بالفعل فالدخان هو قوله تعالى ـ يوم تأتى السماء بدخان مبين ـ والمراد به شئ يشبه الدخان وقد نزل بقريش من شدة الجوع صار الواحد يرى كأن بينه و بين السماء دخانا ، والقمر فى قوله تعالى ـ اقتربت الساعة وانشق القمر ـ والروم فى قوله تعالى ـ غلبت الروم فى أدنى الأرض ـ والبطشة فى قوله تعالى ـ يوم نبطش البطشة الكبرى ـ وهى القتل يوم بدر واللزام هو الأسر يومها (قوله دل عليه ماقبلها) أى وهو قوله قل مايعبأ بكم ربى والتقدير لولا دعاؤكم : أى طلبكم من الله رفع الشدائد وأنتم تتعلقون بأستار الكعبة ما يعبأ بكم أى ما يكترث بكم فلا يرفعها عنكم وقوله فقد كذبتم أى دمتم على تكذيبه بعد إخراجه من بينكم فسوف يكون العذاب لازما لكم لايرد عنكم ولا يقبل منكم دعاء فتدبر .

[سورة الشعراء] أى السورة التى ذكر فيها الشعراء سميت باسم بعضها على عادته تعالى ، وقد ورد فى فضل الطواسين أحاديث منها ماروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال «إن الله أعطانى السبع الطوال مكان التوراة وأعطانى المص مكان الانجيل وأعطانى الطواسين مكان الزبور وفضلنى بالحواميم والمفصل ماقرأهن نبى قبلى » (قوله إلا والشعراء إلى آخرها) أى وجملته أربع آيات (قوله طسم) هكذا كتبت متصلة بعضها ببعض وفى مصحف ابن مسعود ط س م مفصولة من بعضها وبها قرئ فيقف على كل حرف وقفة يميز بها كل حرف وقرئ هنا وفى القصص بكسر الميم على البناء وأمال

(فَسَوْفَ يَكُونُ) العذاب (لِزَامًا) ملازما لكم فى الآخرة بعد مايحل بكم فى الدنيا فقتل منهم يوم بدر سبعون ، وجواب لولا دل عليه ماقبلها .

(سورة الشعراء)

مكية إلا : والشعراء إلى آخرها فمدنى ، وهى مائتان وسبع وعشرون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . طسٓمٓ) الله أعلم بمراده بذلك (تِلْكَ) أى هذه الآيات (آيَاتُ الْكِتَابِ) القرآن ، والاضافة بمعنى من (الْمُبِينِ) المظهر الحق من الباطل (لَعَلَّكَ) يامحمد (بَاخِعٌ نَفْسَكَ) قاتلها غمّا من أجل (أ) نْ (لَا يَكُونُوا) أى أهل مكة (مُؤْمِنِينَ) ولعل هنا للاشفاق : أى أشفق عليها بتخفيف هذا الغم (إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ) بمعنى المضارع : أى تظل أى تدوم (أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ) فيؤمنون ، ولما وصفت الأعناق بالخضوع الذى هو لأربابها جمعت الصفة منه جمع العقلاء (وَمَا يَأْتِيهِمْ ،

الطاء بعض القراء (قوله الله أعلم بمراده بذلك) تقدم أن هذا القول أصح وأسلم (قوله تلك) مبتدأ وآيات الكتاب خبره واسم الاشارة عائد على آيات هذه السورة (قوله والاضافة بمعنى من) أى والمعنى آيات من الكتاب (قوله المظهر الحق من الباطل) أشار بذلك إلى أن المبين من أبان بمعنى أظهر ويصح أن يكون من بان اللازم بمعنى ظهر أى الظاهر إعجازه (قوله لعلك باخع نفسك) هذا تسلية له صلى الله عليه وسلم والباخع من بخع من باب نفع قتل نفسه من وجد أو غيظ (قوله ولعل هنا للاشفاق) أى فالترجى بمعنى الأمر والمعنى ارحم نفسك وارأف بها (قوله أى أشفق عليها) بقطع الهمزة من الرباعى و بوصلها من الثلاثى والأول إن تعدى بمن كان بمعنى الخوف و إن تعدى بعلى كان بمعنى الرحمة والرفق (قوله إن نشأ ننزل عليهم الخ) هذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ببيان حقيقة أمرهم ، والمعنى لاتحزن على عدم إيمانهم فاننا لوشئنا إيمانهم لأنزلنا عليهم معجزة تأخذ بقلوبهم فيؤمنون قهرا عليهم ولكن سبق فى علمنا شقاؤهم فعدم إيمانهم منا لامنهم فأرح نفسك من التعب القائم بها ، إن حرف شرط ونشأ فعل الشرط وننزل جوابه (قوله آية) أى معجزة تخوفهم كرفع الجبل فوق رءوسهم كما وقع لبنى إسرائيل (قوله بمعنى المضارع) أشار بذلك إلى أن قوله فظلت مستأنف ويصح أن يكون معطوفا على ننزل فهو فى محل جزم (قوله ولما وصفت الأعناق بالخضوع الخ) دفع بذلك مايقال كيف جمع الأعناق بجمع العقلاء ؟ فأجاب بأنه لما ناسب بالخضوع لما هو وصف العقلاء جمعها بالياء والنون

كقوله تعالى - رأيتهم لى ساجدين - قالتا أتينا طائعين - وإلا فكان مقتضى الظاهر أن يقول خاضعة وهناك أجوبة أخر : منها أن أن المراد بالأعناق الرؤساء ، ومنها أن لفظ الأعناق مقحم والأصل فظلوا لها خاضعين ، ومنها غير ذلك (قوله من ذكر) من زائدة وقوله من الرحمن من ابتدائية (قوله صفة كاشفة) أى لأنه فهم من قوله يأتيهم لأن التعبير بالفعل يفيد التجدد والحدوث (قوله إلا كانوا عنه معرضين) أى غير متأملين له (قوله عواقب) أى وعبر عنها بالأنباء لأن القرآن أخبر عنها والمراد تنزل بهم مثل منازل بمن قبلهم (قوله أو لم يروا إلى الأرض) أى إلى عجائبها والهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة عليه والتقدير أغفلوا ولم ينظروا إلى الأرض الخ وهذا بيان للأدلة التى تحدث فى الأرض وقتا بعد وقت تدل على أنه منفرد بالألوهية ومع ذلك استمر أكثرهم على الكفر (قوله كم أنبتنا فيها) كم فى محل نصب مفعول لأنبتنا ومن كل زوج تمييز لها (قوله نوع حسن) أى كثير النفع (قوله إن فى ذلك لآية الخ) قد كررت هذه الآية فى هذه السورة ثمان مرات (قوله فى علم الله) هذا مبنى على أصالة كان وقوله وكان قال سيبويه الخ توجيه ثان فكان المناسب أن يقول وقال سيبويه كان زائدة (قوله ذو العزة) أى الهيبة والجلال (قوله ينتقم من الكافرين) أى بمظهر عزته الذى هو القهر والغلبة وقوله يرحم المؤمنين أى بمظهر رحمته (قوله وإذ نادى ربك موسى الخ) ذكر الله سبحانه وتعالى فى هذه السورة سبع قصص : أولها قصة موسى وهرون . ثانيها قصة إبراهيم . ثالثها قصة نوح . رابعها قصة هود . خامسها قصة صالح . سادسها قصة لوط . سابعها قصة شعيب ، وتقدم حكمة ذكر تلك القصص أن بها تكون الحجة على الكافرين والزيادة فى علم المؤمنين ولذا كان المؤمن من هذه الأمة أسعد السعداء وكافرها أشقى الأشقياء وحكمة التكرار الزيادة فى إيمان المؤمن وقطع حجة الكافر والظرف معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله اذكر وليس المراد به ذكر وقت المناداة بل المراد ذكر القصة الواقعة فى ذلك الوقت

(مِنْ ذِكْرٍ) قرآن (مِنَ الرَّحْمٰنِ مُحْدَثٍ) صفة كاشفة (إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ . فَقَدْ كَذَّبُوا) به (فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ) عواقب (مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ . أَوَلَمْ يَرَوْا) ينظروا (إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا) أى كثيرا (مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ) نوع حسن (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً) دلالة على كمال قدرته تعالى (وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ) فى علم الله وكان قال سيبويه زائدة (وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ) ذو العزة ينتقم من الكافرين (الرَّحِيمُ) يرحم المؤمنين (وَ) اذكر يا محمد لقومك (إِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ) ليلة رأى النار والشجرة (أَنِ) أى بأن (ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) رسولا (قَوْمَ فِرْعَوْنَ) معه ظلموا أنفسهم بالكفر بالله وبنى إسرائيل باستعبادهم (أَلَا) الهمزة للاستفهام الانكارى (يَتَّقُونَ) الله بطاعته فيوحدونه (قَالَ) موسى (رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ . وَيَضِيقُ صَدْرِي) من تكذيبهم لى (وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي) بأداء الرسالة ،

(قوله ليلة رأى النار والشجرة) أى رأى النار موقدة فى الشجرة الخضراء وليس هذا مبدأ ما وقع فى المناداة وإنما هو ما فصل فى سورة طه من قوله تعالى - إذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا إنى آنست نارا ، إلى قوله : لنريك من آياتنا الكبرى - (قوله أن ائت القوم الظالمين) يصح أن تكون أن مصدرية كما مشى عليه المفسر أو مفسرة لتقدمها جملة فيها معنى القول دون حروفه وكان النداء بكلام نفسى سمعه من جميع جهاته بجميع أجزائه من غير واسطة (قوله رسولا) حال من فاعل ائت (قوله قوم فرعون) بدل من القوم الظالمين وقوله معه أى فرعون وهذا قد فهم بالأولى لأنه رأس الضلال (قوله وبنى إسرائيل) معطوف على أنفسهم والتقدير وظلموا بنى إسرائيل (قوله باستعبادهم) أى معاملتهم إياهم معاملة العبيد فى استخدامهم فى الأعمال الشاقة والصنائع الخسيسة نحو أربعمائة سنة ، وكانوا فى ذلك الوقت ستمائة ألف وثلاثين (قوله للاستفهام الانكارى) المناسب أن يقول للاستفهام التعجبى لأن المعنى على الانكار فاسد لأنه للنفى ومدخولها نفى ونفى النفى إثبات ، فيصير المعنى أنهم اتقوا الله وليس كذلك ، ويصح أن تكون ألا للعرض (قوله قال رب إنى أخاف الخ) اعتذار من موسى لاظهار العجز عن الأمر الذى كلفه وقد أتى بثلاثة أعذار كل واحد منها مرتب على ما قبله (قوله ويضيق صدرى ولا ينطلق لسانى) هما بالرفع على الاستئناف أو عطف على خبر إن عند السبع وقرئ شذوذا بنصبهما عطفا على مدخول إن والمقصود من هذا الاعتذار الاعانة على هذا الأمر المهم بشرح الصدر وطلق اللسان وإرسال أخيه والأمن من القتل وقد دل

على ذلك قوله فى سورة طه رب اشرح لى صدرى و يسر لى أمرى واحلل عقدة من لسانى الآيات (قوله للعقدة التى فيه) أى الثقل الحاصل بسبب وضع الجمرة عليه وهو صغير حين نتف لحية فرعون فاغتم لذلك وهم بقتله فأشارت عليه زوجته أن يمتحنه فقدم له تمرة وجمرة فأخذ الجمرة بتحويل جبريل يده فوضعها على لسانه فحصل فيه ثقل فى النطق (قوله فأرسل إلى هرون) أى وكان فى مصر فأتاه جبريل بالرسالة على حين غفلة فموسى جاءته الرسالة من ربه بلا واسطة جبريل و إن كان حاضرا وهرون جاءته الرسالة فى ذلك الوقت أيضا بواسطة جبريل (قوله معى) أى ليكون معينا لى وهو بمعنى قوله فى سورة القصص فأرسله معى ردءا يصدقنى (قوله ولهم على ذنب) أى فى زعمهم (قوله فأخاف أن يقتلون) أى فيفوت المقصود من الارسال (قوله فيه تغليب الحاضر على الغائب) أى بالنسبة لموسى و إلا فهما حاضران بالنسبة لله تعالى لكن سمع موسى الخطاب من الله بلاواسطة وهرون سمعه بواسطة جبريل (قوله بآياتنا) جمع الآيات مع أنهما اثنتان العصا واليد باعتبار ما اشتملت العصا عليه من الآيات (قوله إنا معكم) أى معية خاصة بالعون والنصر (قوله أجريا مجرى الجماعة) أى تعظيما لهما (قوله أى كلامنا) قدر ذلك لتحصل المطابقة بين اسم إن وخبرها الذى هوالرسول حيث أفرده (قوله أن أرسل معنا بنى إسرائيل) أى خلصهم وأطلقهم (قوله فأتياه الخ) أشار بذلك إلى أن قوله قال ألم نربك الخ مرتب على محذوف روى أنهما لما انطلقا إلى فرعون لم يؤذن لهما سنة فى الدخول عليه فدخل البواب على فرعون وقال له ههنا إنسان يزعم أنه رسول رب العالمين فقال له فرعون ائذن له لعلنا نضحك معه فدخلا عليه فوجداه قد أخرج سباعا من أسد ونمور وفهود يتفرج عليها فخاف خدامها أن تبطش بموسى وهرون

للعقدة التى فيه (فَأَرْسِلْ إِلَى) أخى (هٰرُونَ) معى (وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ) بقتل القبطى منهم (فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ) به (قَالَ) تعالى (كَلَّا) أى لايقتلونك (فَاذْهَبَا) أى أنت وأخوك ، فيه تغليب الحاضر على الغائب (بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ) ما تقولون وما يقال لكم أجريا مجرى الجماعة (فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا) أى كلا منا (رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ) إليك (أَنْ) أى بأن (أَرْسِلْ مَعَنَا) إلى الشام (بَنِي إِسْرَائِيلَ) فأتياه فقالا له ما ذكر (قَالَ) فرعون لموسى (أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا) فى منازلنا (وَلِيدًا) صغيرا قريبا من الولادة بعد فطامه (وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ) ثلاثين سنة يلبس من ملابس فرعون ويركب من مراكبه وكان يسمى ابنه (وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ) هى قتله القبطى (وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ) الجاحدين لنعمتى عليك بالتربية وعدم الاستعباد (قَالَ) موسى (فَعَلْتُهَا إِذًا) أى حينئذ (وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ) عما آتانى الله بعدها من العلم والرسالة (فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا) علما (وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ . وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ) أصله تمن بها على (أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ) بيان لتلك أى اتخذتهم عبيدا

فأسرعوا إليهما وأسرعت السباع إلى موسى وهرون فأقبلت تلحس أقدامهما وتلصق خدودها بفخذيهما فعجب فرعون من ذلك فقال ماأنتما قالا إنارسول رب العالمين فعرف موسى لأنه نشأ فى بيته فقال ألم نربك فينا وليدا الخ فامتن عليه أولا بنعمة التربية . وثانيا بعدم مؤاخذته بما وقع منه من قتل القبطى (قوله قريبا من الولادة) قصده بذلك دفع ماورد على الآية بأن الوليد يطلق على المولود حال ولادته وليس مرادا هنا فانه كان زمن الرضاع عند أمه ثم أخذه فرعون بعد الفطام والأولى إبقاء الآية على ظاهرها لأن موسى و إن كان عند أمه إلا أنه تحت نظر فرعون فهو فى تربيته من حين ولادته (قوله من عمرك) حال من سنين لأنه نعت نكرة قدم عليها (قوله وعدم الاستعباد) أى اتخاذك لى عبدا مثل بنى إسرائيل (قوله حينئذ) هذا حل معنى لاحل إعراب وهى حرف جواب فقط ، وقيل حرف جواب وجزاء (قوله عما آتانى الله بعدها الخ) أى فليس على فيما فعلته فى تلك الحالة لوم لعدم التكليف حينئذ ، أو المعنى من المخطئين لامن المتعمدين (قوله وجعلنى من المرسلين) فى ذلك رد لما وبخه به فرعون وهو القتل بغير حق فكأنه قال كيف تدعى الرسالة وقد حصل منك مايقدح فى تلك الدعوى فأجابه موسى بأنه قتله قبل أن تأتيه الرسالة ثم أتته بعد ذلك (قوله وتلك نعمة) مبتدأ وخبر وقوله تمنها صفة لنعمة وأن عبدت الخ عطف بيان موضح للمبتدا كما قاله المفسر (قوله أصله تمن بها على) أى بحذف الجار فاتصل الضمير فهو من باب الحذف والايصال

(قوله ولم تستعبدنى) أى فلا منة لك علىّ فى عدم استعبادك إياى لأن استعبادك غيرى ظلم وقد نجانى الله منه (قوله وقدر بعضهم) أى وهو الأخفش (قوله أول الكلام) أى والأصل أو تلك نعمة الخ (قوله للانكار) أى وهو بمعنى النفى (قوله أى أى شئ هو) أى وذلك لأن مايسئل بها عن الحقيقة . والمعنى أى جنس هو من أجناس الموجودات (قوله ومابينهما) أى جنس السموات والأرض ، فاندفع ما قيل لم ثنى الضمير مع أن مرجعه جمع (قوله إن كنتم موقنين) أى محققين أن الله تعالى هو الخالق لها (قوله من أشراف قومه) أى وكانوا خمسمائة لابسين الأساور ولم يكن يلبسها إلا السلاطين على عادة الملوك (قوله الذى لم يطابق السؤال) أى لأن مايسئل بها عن الحقيقة وقد أجابه بالصفات التى يسئل عنها بأى والعدول عن المطابقة لأن السؤال عن الحقيقة عبث وسفه لاستحالته (قوله قال ربكم ورب آبائكم الأولين) إنما ذكر ذلك

ولم تستعبدنى لانعمة لك بذلك لظلمك باستعبادهم ، وقدر بعضهم أول الكلام همزة استفهام للانكار (قَالَ فِرْعَوْنُ) لموسى (وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ) الذى قلت إنك رسوله : أى أىّ شىء هو ، ولما لم يكن سبيل للخلق إلى معرفة حقيقته تعالى وإنما يعرفونه بصفاته أجابه موسى عليه الصلاة والسلام ببعضها (قَالَ رَبُّ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا) أى خالق ذلك (إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ) بأنه تعالى خالقه فآمنوا به وحده (قَالَ) فرعون (لِمَنْ حَوْلَهُ) من أشراف قومه (أَلَا تَسْتَمِعُونَ) جوابه الذى لم يطابق السؤال (قَالَ) موسى (رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ) وهذا وإن كان داخلا فيما قبله يغيظ فرعون ولذلك (قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ . قَالَ) موسى (رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ) أنه كذلك فآمنوا به وحده (قَالَ) فرعون لموسى (لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ) كان سجنه شديدا يحبس الشخص فى مكان تحت الأرض وحده لايبصر ولا يسمع فيه أحدا (قَالَ) له موسى (أَوَلَوْ) أى أتفعل ذلك ولو (جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُبِينٍ) أى برهان بين على رسالتى (قَالَ) فرعون له (فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) فيه (فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ) حية عظيمة (وَنَزَعَ يَدَهُ) أخرجها من جيبه (فَإِذَا هِىَ بَيْضَاءُ) ذات شعاع (لِلنَّاظِرِينَ) خلاف ما كانت عليه من الأدمة (قَالَ) فرعون (لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ) فائق فى علم السحر (يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ) أخر أمرهما (وَابْعَثْ فِى الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ) جامعين (يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ) يفضل موسى فى علم السحر (فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ) وهو وقت الضحى

لأن نفوسهم أقرب الأشياء إليهم (قوله وهذا) أى الجواب (قوله ولذلك) أى لشدة غيظه (قوله قال إن رسولكم) سماه رسولا استهزاء وأضافه إلى المخاطبين استنكافا من نسبته له (قوله قال رب المشرق والمغرب وما بينهما) أى فتشاهدون فى كل يوم أنه يأتى بالشمس من المشرق ويذهب بها من المغرب (قوله إن كنتم تعقلون) أى إن كان لكم عقل ، وفيه ردّ لقوله إن رسولكم الذى أرسل إليكم لمجنون (قوله قال لئن اتخذت إلها غيرى الخ) عدول عن المحاجة إلى التهديد لتقصر حجته وجهله وعدم استقامته روى أنه فزع من موسى فزعا شديدا حتى كان من اللعين لايمسك بوله (قوله أى أتفعل ذلك) أشار إلى أن الهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة على ذلك المحذوف (قوله قال فأت به) إنما أمر فرعون بالاتيان به لظنه أنه يقدر على معارضته (قوله ونزع يده) أى من جيبه قيل لما رأى فرعون الآية الأولى قال هل لك غيرها ؟ فأخرج يده فأدخلها فى إبطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشى الأبصار ويسد الأفق (قوله من الأدمة) أى السمرة (قوله حوله) ظرف فى محل الحال (قوله يريد أن يخرجكم من أرضكم) لما رأى تلك الآيات الباهرة خاف على قومه أن يتبعوه فتنزل إلى مشاورتهم بعد أن كان مستقلا بالرأى والتدبير ، وأراد تنفيرهم عن موسى عليه السلام (قوله فماذا تأمرون) أى أى شئ تأمرونى به (قوله يأتوك) مجزوم فى جواب الأمر (قوله يفضل موسى) أى يفوقه ويزيد عليه .

من يوم الزينة (وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ . لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ) الاستفهام للحث على الاجتماع والترجي على تقدير غلبتهم ليستمروا على دينهم فلا يتبعوا موسى (فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين (لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ . قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا) أى حينئذ (لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ . قَالَ لَهُمْ مُوسَى) بعد ماقالوا له إما أن تلقى وإما أن نكون نحن الملقين (أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ) فالأمر فيه للاذن بتقديم إلقائهم توسلا به إلى إظهار الحق (فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ . فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ) بحذف إحدى التاءين من الأصل تبتلع (مَا يَأْفِكُونَ) يقلبونه بتمويههم فيخيلون حبالهم وعصيهم أنها حيات تسعى (فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ . قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ . رَبِّ مُوسَى وَهَرُونَ) لعلمهم بأن ماشاهدوه من العصا لايتأتى بالسحر (قَالَ) فرعون (أَآمَنْتُمْ) بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفا (لَهُ) لموسى (قَبْلَ أَنْ آذَنَ) أنا (لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ) فعلمكم شيئا منه وغلبكم بآخر (فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ) ماينالكم منى (لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ) أى يد كل واحد اليمنى ورجله اليسرى (وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ . قَالُوا لَا ضَيْرَ) لاضرر علينا فى ذلك (إِنَّا إِلَى رَبِّنَا) بعد موتنا بأى وجه كان (مُنْقَلِبُونَ) راجعون فى الآخرة (إِنَّا نَطْمَعُ) نرجو (أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ) أى بأن (كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ) فى زماننا (وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى) بعد سنين أقامها بينهم يدعوهم بآيات الله إلى الحق فلم يزيدوا إلا عتوا (أَنْ أَسْرِ ،

(قوله من يوم الزينة) كان يوم عيد لهم ، وقيل كان يوم سوق (قوله والترجي على تقدير غلبتهم) أى الترجي على فرض الغلبة المقتضية للاتباع (قوله على الوجهين) أى تحقيقهما وتسهيل الثانية وكان عليه أن يقول وتركه أى ترك الادخال على الوجهين فتكون القراءات أربعا (قوله لأجرا) أى أجرة وجعلا (قوله قال نعم) أى لكم الأجرة على عملكم السحر وزادهم بقوله وإنكم إذا الخ (قوله فالأمر فيه) جواب عما يقال كيف يأمرهم بعمل السحر مع أنه لايجوز الأمر به لأن الأمر به رضا والرضا بالكفر كفر . وحاصل الجواب أن الممتنع الأمر به فى حال كونه مستحسنا له ، وأما الأمر به للتوسل لابطاله فليس فيه استحسان ولارضا بل هو الممدوح شرعا (قوله وقالوا بعزة فرعون) أى نقسم ونحلف بعزة فرعون وأقسموا لفرط اعتقادهم فى أنفسهم أنهم غالبون (قوله من الأصل) أى أصل الصيغة (قوله يقلبونه) أى يغيرونه عن حاله الأول من الجمادية إلى كونه حية تسعى وقوله بتمويههم الباء سببية (قوله فألقى السحرة) أى خروا وسقطوا ساجدين لما رأوا من باهر المعجزة فلم يتمالكوا أنفسهم (قوله رب موسى وهرون) بدل مما قبله للتوضيح وللاشعار بأن سبب إيمانهم ما أجراه الله على يد موسى وهارون (قوله وإبدال الثانية ألفا) صوابه الثالثة لأنها هى المنقلبة ألفا وترك قراءة أخرى وهى حذف الأولى من الهمزتين وقلب الثالثة ألفا (قوله فعلمكم شيئا منه وغلبكم بآخر) أى أخفاه منكم وأراد فرعون بهذا الكلام التلبيس على قومه لئلا يعتقدوا أن السحرة آمنوا على بصيرة وظهور حق (قوله لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) حاصله أنهم لما آمنوا بأجمعهم اشتد خوف فرعون على باقى قومه من دخولهم فى الايمان فنفر الباقى بقوله لأقطعن الخ (قوله إنا إلى ربنا منقلبون) تعليل لنفى الضير وهل فعل بهم ما توعدهم به خلاف ولم يرد فى القرآن مايدل على أنه فعل (قوله فى زماننا) أى من أتباع فرعون فلا ينافى أن بنى إسرائيل سبقوهم بالايمان (قوله وأوحينا إلى موسى) يحتمل أن يكون الوحى بتكليم الله له أو على لسان جبريل (قوله بعد سنين) أى ثلاثين وذلك أن موسى مكث فى مصر أولا ثلاثين ، وفى مدين عشر سنين ثم لما رجع إلى مصر ثانيا مكث يدعوهم إلى الله ثلاثين سنة ثم أغرق الله فرعون وقومه وعاش بعد ذلك خمسين سنة فجملة عمره مائة وعشرون سنة (قوله بآيات الله) أى باقى التسع لأن موسى افتتحهم أولا بالعصا واليد فلم يؤمنوا فجاءهم بالسنين المجدبة ثم بالطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس على أموالهم فلم يفد فيهم ذلك وقد سبق ذلك مفصلا فى الأعراف .

(قوله بعبادى) الإضافة للتشريف ، والمعنى سر بعبادى المخلصين برحمتى و إلا فالكل من حيث الخلق عباده (قوله وفى قراءة)
أى وهى سبعية أيضا (قوله أى سر بهم ليلا) تفسير لكل من القراءتين (قوله إلى البحر) أى بحر القلزم فخرج موسى عليه
السلام ببنى إسرائيل فى آخر الليل فترك طريق الشام على يساره وتوجه جهة البحر فكان الرجل من بنى إسرائيل يراجعه فى
ذلك فيقول هكذا أمرنى ربى فلما أصبح فرعون وعلم بسير موسى ببنى إسرائيل خرج فى أثرهم و بعث إلى مدائن مصر لتلحقه
الجيوش (قوله إنكم متبعون) علة للأمر بالسير (قوله حين أخبر بسيرهم) روى أن قوم موسى قالوا لجماعة فرعون إن لنا فى
هذه الليلة عيدا ثم استعاروا منهم حليهم بهذا السبب ثم خرجوا بتلك الأموال فى الليل إلى جانب البحر فلما سمع فرعون ذلك جمع
قومه وتبعهم (قوله ومقدمة جيشه الخ) أى وجملة جيشه ألف ألف وستمائة (قوله فاعلون مايغيظنا) أى حيث خالفوا ديننا
وطمسوا على أموالنا وقتلوا أبكارنا لما روى : أن الله أمر الملائكة أن يقتلوا أبكار القبط وأوحى إلى موسى أن يجمع بنى إسرائيل
كل أربعة أبيات فى بيت ثم يذبحوا أولاد الضأن و يلطخوا أبوابهم بدمائهم لتميز الملائكة بيوت
بنى إسرائيل من بيوت القبط فدخلت الملائكة فقتلت أبكارهم فأصبحوا مشغولين بموتاهم وهذا هو سبب تأخر فرعون وقومه عن موسى وقومه (قوله وإنا لجميع حذرون) أى من عادتنا الحذر والحزم فى الأمور (قوله وفى قراءة الخ) أى وهى سبعية أيضا بمعنى الأولى ، وقيل الحذر المتيقظ والحاذر الخائف (قوله كانت على جانبى النيل) أى من أسوان إلى رشيد . قال كعب الأحبار : أربعة أنهار من الجنة وضعها الله تعالى فى الدنيا سيحان وجيحان والنيل
والفرات فسيحان نهر الماء فى الجنة وجيحان نهر اللبن فى الجنة
والنيل نهر العسل فى الجنة والفرات نهر الخمر فى الجنة (قوله أموال ظاهرة) هذا أحد قولين ، وقيل المراد بالكنوز الأموال التى
تحت الأرض وخصها بالذكر لأن ما فوق الأرض انطمس وحينئذ فتسميتها كنوزا ظاهر (قوله مجلس حسن للأمراء والوزراء)
قيل كان إذا قعد على سريره وضع بين يديه ثلثمائة كرسى من ذهب يجلس عليها الأشراف من قومه والأمراء وعليهم قبة
الديباج مرصعة بالذهب ، وقيل المقام الكريم المنابر وكانت ألف منبر لألف جبار يعظمون عليها فرعون وملكه (قوله أى إخراجنا
كما وصفنا) أشار بذلك إلى أن قوله كذلك خبر لمحذوف (قوله وأورثناها) أى الجنات والعيون والكنوز ، وقيل المراد أورثنا
بنى إسرائيل ما استعاروه من حلى آل فرعون ، والأحسن أن يراد ما هو أعم فإن بنى إسرائيل رجعوا إلى مصر بعد هلاك
فرعون وقومه وملكوا مشارق الأرض ومغاربها (قوله وقت شروق الشمس) أى يوم الملاقاة وليس المراد أنهم أدركوا
بنى إسرائيل يوم خروجهم لأنهم تأخروا عنهم حتى جمعوا جيوشهم ودفنوا موتاهم .

بِعِبَادِى) بنى إسرائيل ، وفى قراءة بكسر النون ووصل همزة أسرى من سرى لغة فى أسرى
أى سر بهم ليلا إلى البحر (إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ) يتبعكم فرعون وجنوده فيلجون وراءكم البحر
فأنجيكم وأغرقهم (فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ) حين أخبر بسيرهم (فِى الْمَدَائِنِ) قيل كان له ألف
مدينة واثنا عشر ألف قرية (حَاشِرِينَ) جامعين الجيش قائلا (إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ)
طائفة (قَلِيلُونَ) قيل كانوا ستمائة ألف وسبعين ألفا ومقدمة جيشه سبعمائة ألف فقللهم
بالنظر إلى كثرة جيشه (وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ) فاعلون مايغيظنا (وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَذِرُونَ)
متيقظون وفى قراءة حاذرون مستعدون قال تعالى (فَأَخْرَجْنَاهُمْ) أى فرعون وقومه من
مصر ليلحقوا موسى وقومه (مِنْ جَنَّاتٍ) بساتين كانت على جانبى النيل (وَعُيُونٍ) أنهار
جارية فى الدور من النيل (وَكُنُوزٍ) أموال ظاهرة من الذهب والفضة ، وسميت كنوزا لأنه
لم يعط حق الله تعالى منها (وَمَقَامٍ كَرِيمٍ) مجلس حسن للأمراء والوزراء يحفه أتباعهم
(كَذَٰلِكَ) أى إخراجنا كما وصفنا (وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِى إِسْرَائِيلَ) بعد إغراق فرعون وقومه
(فَأَتْبَعُوهُمْ) لحقوهم (مُشْرِقِينَ) وقت شروق الشمس (فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ) أى
رأى كل منهما الآخر (قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ) يدركنا جمع فرعون ولا طاقة لنا
به (قَالَ) موسى (كَلَّا) ،
أى

(قوله أى لن يدركونا) أشار بذلك إلى أن كلا للنفى ، والمعنى لاسبيل لهم علينا لأن الله وعدنا بالخلاص منهم (قوله فأوحينا إلى موسى الخ) قيل لما انتهى موسى ومن معه إلى البحر هاج فصار يرمى بموج كالجبال فصار بنو إسرائيل يقولون أين أمرت فرعون من خلفنا والبحر أمامنا وموسى يقول ههنا فأوحى الله إليه أن اضرب بعصاك البحر فاذا الرجل واقف على فرسه ولم يبتل سرجه ولالبده (قوله اثنى عشر فرقا) أى قطعة بعدد أسباط بنى إسرائيل (قوله بينها مسالك) أى بين لاثنى عشر فرقا (قوله على هيئته) أى وهى انفلاقه اثنتا عشرة فرقة (قوله وحزقيل) هو المذكور فى قوله تعالى : وقال رجل مؤمن من آل فرعون الخ وقوله ومريم بنت ناموسى أى وكانت عجوزا تعيش من العمر نحو سبعمائة سنة (قوله التى دلت على عظام يوسف عليه السلام) وسبب ذلك أن الله أمر موسى بأخذ يوسف معه إلى الشام حين خروجه من مصر فسأل على قبره فلم يعرف إذ ذاك فدلته عليه هذه العجوز بعد أن ضمن لها موسى على الله الجنة وكان يوسف قد دفن فى قعر بحر النيل فحفر عليه موسى وأخرجه وذهب به إلى الشام .

فائدة — قال قيس بن حجاج : لما فتحت مصر أتى أهلها إلى سيدنا عمرو بن العاص حين دخل بئونة من أشهر القبط فقالوا أيها الأمير إن لنيلنا هذا سنة وعادة لايجرى إلا بها فقال لهم وماذاك فقالوا إذا كان لثنتى عشرة ليلة تخلو من هذا الشهر عمدنا إلى جارية بكر بين أبويها أرضينا أبويها وجعلنا عليها من الحلى والثياب أفضل مايكون ثم ألقيناها فى هذا النيل فقال لهم عمرو هذا لايكون فى الاسلام وإن الاسلام ليهدم ماقبله ، فأقاموا بئونة وأبيب ومسرى لايجرى قليلا ولا كثيرا وهموا بالجلاء فلما رأى ذلك عمرو بن العاص كتب إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فأعلمه بالقصة ، فكتب إليه عمر ابن الخطاب : إنك قد أصبت بالذى فعلت وإنى قد بعثت إليك بطاقة فى داخل كتابى فألقها فى النيل إذا أتاك كتابى ، فلما قدم كتاب عمر إلى عمرو بن العاص أخذ البطاقة ففتحها فاذا فيها من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل مصر ، أما بعد فان كنت إنما تجرى من قبلك فلا تجر وإن كان الله الواحد القهار هو الذى يجريك فنسأل الله الواحد القهار أن يجريك فألقى البطاقة فى النيل قبل الصليب بيوم فأصبحوا وقد زاد فى تلك الليلة ستة عشر ذراعا وقطع الله تلك السيرة من تلك السنة (قوله واتل عليهم نبأ إبراهيم) عطف على اذكر العامل فى قوله : وإذ نادى ربك موسى الخ عطف قصة على قصة (قوله أى كفار مكة) خصهم بالذكر لأنهم الحاضرون وقت نزول الآية وإلا فهو خطاب لهم ولمن بعدهم إلى يوم القيامة (قوله ويبدل منه) أى بدل مفصل من مجمل (قوله ماتعبدون) ما اسم استفهام معمول لتعبدون ، والمعنى ماهذا الذى تعبدونه أى ماحقيقته (قوله صرحوا بالفعل الخ) جواب عما يقال كان القياس أن يقولوا أصناما كقوله : ويسئلونك ماذا ينفقون قل العفو . فأجاب بأنهم صرحوا بالفعل ليعطفوا عليه مافيه الافتخار (قوله أى تقيم نهارا على عبادتها) هذا معنى نظل الأصلى ولكن مقتضى الافتخار أن يكون معناها ندوم على عبادتها ليلا ونهارا (قوله زادوه) أى قوله فنظل الخ (قوله قال هل يسمعونكم) أتى بالمضارع إشارة إلى أن هذا الوصف مستمر وثابت فى الأصنام فى الماضى والحال والاستقبال ولابد من محذوف هنا دل عليه قوله : إذ تدعون تقديره هل يسمعون دعاءكم .

أى لن يدركونا (إِنَّ مَعِىَ رَبِّى) بنصره (سَيَهْدِينِ) طريق النجاة قال تعالى (فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ) فضرب به (فَانْفَلَقَ) فانشق اثنى عشر فرقا (فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ) الجبل الضخم بينها مسالك سلكوها لم يبتل منها سرج الراكب ولا لبده (وَأَزْلَفْنَا) قربنا (ثَمَّ) هناك (الْآخَرِينَ) فرعون وقومه حتى سلكوا مسالكهم (وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ) باخراجهم من البحر على هيئته المذكورة (ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ) فرعون وقومه باطباق البحر عليهم لما تم دخولهم فى البحر وخروج بنى إسرائيل منه (إِنَّ فِى ذَٰلِكَ) أى إغراق فرعون وقومه (لَآيَةً) عبرة لمن بعدهم (وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ) بالله لم يؤمن منهم غير آسية امرأة فرعون وحزقيل مؤمن آل فرعون ومريم بنت ناموسى التى دلت على عظام يوسف عليه السلام (وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ) فانتقم من الكافرين باغراقهم (الرَّحِيمُ) بالمؤمنين فأنجاهم من الغرق (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ) أى كفار مكة (نَبَأَ) خبر (إِبْرَاهِيمَ) ويبدل منه (إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ . قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا) صرحوا بالفعل ليعطفوا عليه (فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ) أى تقيم نهاراً على عبادتها زادوه فى الجواب افتخاراً به (قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ

(قوله إذ تدعون) إذ هنا بمعنى إذا استحضارا للحال الماضية وحكاية لما تبكيتا عليهم (قوله قالوا بل وجدنا الخ) هذا الجواب يفيد تسليم ماقاله إبراهيم و إنما اعتذروا عن ذلك بالتقليد فلما لم يجدوا مخلصا غيره احتجوا به (قوله قال أفرأيتم) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه ، والتقدير أتأملتم فعلمتم أو أبصرتم ما كنتم تعبدونه (قوله وآباؤكم) عطف على الضمير فى تعبدون وهو ضمير رفع متصل فلذا فصل بالضمير المنفصل . قال ابن مالك :

وإن على ضمير رفع متصل   عطفت فافصل بالضمير المنفصل

(قوله فانهم عدوّ لى) أسند العداوة لنفسه تعريضا بهم وهو أبلغ فى النصيحة من التصريح بأن يقول فانهم عدوّ لكم . إن قلت كيف وصف الأصنام بالعداوة وهى لاتعقل ؟ أجيب بأجوبة منها : أن المعنى عدوّ لى يوم القيامة إن عبدتهم فى الدنيا ، ومنها أن الكلام على حذف مضاف : أى فان أصحابهم عدوّ لى ، ومنها أن الكلام على القلب : أى فانى عدوّ لهم (قوله إلا رب العالمين) أشار المفسر بقوله لكن إلى أن الاستثناء منقطع ، والمعنى لكن رب العالمين ليس بعدوّ بل هو وليى فى الدنيا والآخرة (قوله الذى خلقنى) نعت لرب العالمين أو بدل أو عطف بيان أو خبر لمحذوف وما بعده عطف عليه (قوله فهو يهدين) أتى بالفاء هنا وفى قوله فهو يشفين لترتب الهداية على الخلق والشفاء على المرض بخلاف الاطعام والاسقاء فليس بينهما ترتب وأتى بثم فى جانب الإحياء لبعد زمنه عن زمن الموت لأن المراد به الاحياء فى الآخرة (قوله إلى الدين) أى وغيره من مصالح

إذ) حين (تَدْعُونَ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ) إن عبدتموهم (أَوْ يَضُرُّونَ) كم إن لم تعبدوهم (قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ) أى مثل فعلنا (قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ . أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ . فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي) لاأعبدهم (إلَّا) لكن (رَبَّ الْعَالَمِينَ) فإنى أعبده (الَّذِى خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ) إلى الدين (وَالَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ . وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ . وَالَّذِى يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ . وَالَّذِى أَطْمَعُ) أرجو (أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ) أى الجزاء (رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا) علما (وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ) النبيين (وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ) ثناء حسنا (فِي الْآخِرِينَ) الذين يأتون بعدى إلى يوم القيامة (وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ) أى ممن يعطاها (وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ) بأن تتوب عليه فتغفر له وهذا قبل أن يتبين له أنه عدو لله كما ذكر فى سورة براءة (وَلَا تُخْزِنِي) تفضحنى (يَوْمَ يُبْعَثُونَ) أى الناس ،

دنياى وآخرتى وإنما خص الدين لأن المقام للرد ولأنه أهم (قوله والذى هو يطعمنى ويسقين) أى فى الدنيا والآخرة (قوله وإذامرضت فهو يشفين) أسند المرض لنفسه وإن كان الكل من الله تأدبا كما قال تعالى — بيدك الخير — ولم يقل والشر ، وقال الخضر : فأردت أن أعيبها ، وقال فأراد ربك أن يبلغا أشدهما (قوله والذى أطمع) عبر بالطمع المفيد عدم الأخذ فى الأسباب مع أنها حاصلة منه لعدم اعتماده عليها (قوله أن يغفر لى) ذكر ذلك تواضعا وتعليما للأمة وإلا فهو معصوم من الخطايا (قوله رب هب لى حكما) لما ذكر تلك الأوصاف قوى رجاؤه فى ربه فطلب منه معالى الأمور وخير الدنيا والآخرة (قوله علما) أى زيادة فيه (قوله وألحقنى بالصالحين) أى فى العمل أو فى درجات الجنة (قوله واجعل لى لسان صدق) من إضافة الموصوف للصفة : أى ذكرا حسنا من باب تسمية الشئ باسم آلته (قوله الذين يأتون بعدى) وقد أجابه الله تعالى فما من أمة من الأمم إلا وهى تحبه وتثنى عليه بخير سيما فى هذه الأمة المحمدية خصوصا المؤمنين منهم فانهم يذكرونه بخير فى كل تشهد و إنما طلب ذلك لينتفع به وهو ينتفع به المثنى لكن بشرط الايمان ، وأما حديث « من أحب قوما حشر معهم و إن لم يعمل بعملهم » فمعناه إذا اشتركوا معهم فى الايمان و إن لم يصلوا لمقامهم (قوله من ورثة جنة النعيم) أى مندرجا فيهم ومن جملتهم و إضافة جنة للنعيم من إضافة المحل إلى الحال فيه فالمراد مطلق الجنة لاخصوص الدار المسماة بذلك ، وقد أجابه الله فى جميع دعواته سوى الدعاء بالغفران لأبيه (قوله بأن تتوب عليه الخ) ظاهره أن هذا الدعاء صدر من إبراهيم وأبوه حى ولكن ينافيه قوله — وهذا قبل أن يتبين له — فان التبين المذكور إنما حصل بموته كافرا وحينئذ فلا يصح جعله قيدا للدعاء له فى حياته بالتوفيق للايمان و إنما يصح لو كان المراد الدعاء له بمغفرة الذنوب على حالته التى هو عليها . وأجيب بأنه لامانع أن الله أعلم إبراهيم بموت أبيه كافرا وهو حى وحينئذ فقد صح ماقاله المفسر (قوله وهذا) أى الدعاء له بما ذكر (قوله كما ذكر فى سورة براءة) أى فى قوله — وما كان استغفار إبراهيم لأبيه — الآية (قوله تفضحنى)

قال

أى تكشف عيوبى بين خلقك وهذا تواضع منه أو بالنظر للتجويز العقلى فان تعذيب المطيع جائز عقلا لا شرعا (قوله قال تعالى) أشار بذلك إلى أن قوله ـ يوم لا ينفع مال ولا بنون ـ الخ من كلام الله تعالى و يصح أن يكون من كلام إبراهيم فيكون بدلا من يوم قبله (قوله لكن من أتى الله الخ) أشار المفسر بذلك إلى أن الاستثناء منقطع ولكن ينافيه تقديره أحدا فتحصل أن الاستثناء إما منقطع إن جعل من قوله مال ولا بنون و يكون المعنى لكن من أتى الله بقلب سليم فانه ينتفع أو متصل إن جعل من المفعول الذى قدره المفسر والتقدير لا ينفع المال والبنون أحدا إلا الذى أتى الله بقلب سليم فانه ينفعه المال والبنون (قوله وهو قلب المؤمن) أى فينتفع بالمال الذى أنفقه فى الخير والولد الصالح بدعائه له لما فى الحديث «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له» (قوله وأزلفت الجنة للمتقين) أى بحيث يشاهدونها فى الموقف و يعرفون مافيها فتحصل لهم البهجة والسرور وعبر بالماضى لتحقق الحصول (قوله و برزت الجحيم للغاوين) أى جعلت لهم بارزة ظاهرة بحيث يرونها مع مافيها من أنواع العذاب فتحصل لهم المساءة والأحزان و يوقنون بأنهم مواقعوها ولا يجدون عنها مصرفا (قوله وقيل لهم)

قال تعالى فيه (يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ) أحداً (إِلَّا) لكن (مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) من الشرك والنفاق وهو قلب المؤمن فانه ينفعه ذلك (وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ) قربت (لِلْمُتَّقِينَ) فيرونها (وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ) أظهرت (لِلْغَاوِينَ) الكافرين (وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ. مِنْ دُونِ اللَّهِ) أى غيره من الأصنام (هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ) بدفع العذاب عنكم (أَوْ يَنْتَصِرُونَ) بدفعه عن أنفسهم، لا (فَكُبْكِبُوا) ألقوا (فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ. وَجُنُودُ إِبْلِيسَ) أتباعه ومن أطاعه من الجن والإنس (أَجْمَعُونَ. قَالُوا) أى الغاوون (وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ) مع معبوديهم (تَاللَّهِ إِنْ) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف: أى إنه (كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) بين (إِذْ) حيث (نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ) فى العبادة (وَمَا أَضَلَّنَا) عن الهدى (إِلَّا الْمُجْرِمُونَ) أى الشياطين أو أولونا الذين اقتدينا بهم (فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ) كما للمؤمنين من الملائكة والنبيين والمؤمنين (وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ) أى يهمه أمرنا (فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً) رجعة إلى الدنيا (فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) لو هنا للتمنى ونكون جوابه (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ) المذكور من قصة إبراهيم وقومه (لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ. وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ. كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ) بتكذيبهم له لاشتراكهم فى المجىء بالتوحيد، أو لأنه لطول لبثه فيهم كأنه رسل، وتأنيث قوم باعتبار معناه،

أى على سبيل التوبيخ (قوله أين ما كنتم تعبدون) أين خبر مقدم وما مبتدأ مؤخر وكنتم تعبدون صلة ما والعائد محذوف تقديره تعبدونه وقوله من دون الله حال (قوله ألقوا) أى مرة بعد أخرى لأن الكبكبة تكرير الكب وهو الالقاء على الوجه كأن من ألقى فى النار ينكب مرة بعد أخرى حتى يستقر فى قعرها (قوله والغاوون) عطف على ضمير كبكبوا وسوغه الفصل بالجار والمجرور وضمير الفصل (قوله ومن أطاعه) عطف تفسير (قوله وهم فيها يختصمون) الجملة حالية ومقول القول تالله الخ (قوله واسمها محذوف الخ) قد يقال إنها فى الآية مهملة فلا اسم لها ولا خبر لوجود اللام. قال ابن مالك * وخففت إن فقل العمل * الخ (قوله إذ نسويكم) ظرف لكونهم فى ضلال مبين (قوله أو أولونا) أى السابقون علينا وهو جمع أول (قوله من الملائكة والنبيين الخ) أى فالشفعاء تكثر للمؤمنين لما ورد «لكل مؤمن شفاعة يوم القيامة» (قوله ولا صديق حميم) أفرد الصديق وجمع الشفعاء لكثرة الشفعاء فى العادة وقلة الصديق والحميم القريب من قولهم حامة فلان: أى خاصته أو الخاص و يؤيده قول المفسر: أى يهمه أمرنا، وقوله يهمه بضم أوله وكسر ثانيه و بفتح أوله وضم ثانيه (قوله ونكون جوابه) أى فهو منصوب فى جواب التمنى (قوله لآية) أى عظة لمن أراد أن يستبصر بها و يعتبر فانها على أحسن ترتيب (قوله وما كان أكثرهم مؤمنين) أى بل لم يؤمن منهم إلا لوط ابن أخيه وسارة زوجته كما تقدم فى سورة الأنبياء (قوله بتكذيبهم له) جواب عما يقال لم جمع المرسلين مع أنهم إنما كذبوا رسولا واحدا وهو نوح فأجاب بأن تكذيبهم له تكذيب للباقى فالجمع على حقيقته، وقوله أو لأنه الخ جواب ثان وعليه فالجمع مجاز (قوله وتأنيث قوم)

أى تأنيث الفعل للسند إليه وقوله باعتبار معناه أى وهو الأمة والجماعة (قوله وتذكيره) أى تذكير الضمير العائد عليه فى قوله : إذ قال لهم ولامفهوم لقوم بل كل اسم جمع أوجمع تكسير لمذكر أو لمؤنث كذلك (قوله نسبا) أى لافى الدين (قوله نوح) تقدم أن اسمه عبد الغفار أو يشكر ونوح لقبه (قوله ألاتتقون) ألا للعرض (قوله إنى لكم رسول أمين) إنما أخبر بذلك ليقبع وليس قصده الافتخار (قوله فاتقوا الله) أى امتثلوا أوامره واجتنبوا نواهيه (قوله من أجر) من زائدة فى المفعول أى أجرة وجعلا (قوله كرره تأكيدا) أى وحسن ذلك كون الأول مرتبا على الرسالة والأمانة والثانى على عدم سؤاله أجرا منهم (قوله قالوا أنؤمن لك الخ) هذا من سخافة عقولهم وفساد رأيهم حيث جعلوا اتباع الفقراء مانعا من إيمانهم وأشاروا بذلك إلى أن اتباعهم ليس خالصا لوجه الله بل هو طمع فى أن ينالهم شئ من الدنيا (قوله وفى قراءة) ظاهره أنها سبعية وليس كذلك بل هى عشرية والمعتمد جواز القراءة بها (قوله وأتباعك) مبتدأ وخبره الأرذلون ، وأما القراءة الأولى فهى جملة فعلية وهى حالية على كل حال (قوله الأرذلون) جمع أرذل كالأكبرون جمع أكبر (قوله السفلة) المراد بهم الفقراء والضعفاء وسبب مبادرتهم للإيمان قلة عوائقهم كالرياسة والغنى فإن ذلك موجب للأنفة عن الاتباع (قوله قال وماعلمى) يحتمل أن تكون ما استفهامية

وتذكيره باعتبار لفظه (إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ) نسباً (نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ) الله ، (إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ) على تبليغ ما أرسلت به (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ) فيما آمركم به من توحيد الله وطاعته (وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ) على تبليغه (مِنْ أَجْرٍ إِنْ) ما (أَجْرِيَ) أى ثوابى (إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ . فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ) كرره تأكيداً (قَالُوا أَنُؤْمِنُ) نصدق (لَكَ) لقولك (وَاتَّبَعَكَ) وفى قراءة وأتباعك جمع تابع مبتدأ (الْأَرْذَلُونَ) السفلة كالحاكة والأساكفة (قَالَ وَمَا عِلْمِي) أى علم لى (بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . إِنْ) ما (حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي) فيجازيهم (لَوْ تَشْعُرُونَ) تعلمون ذلك ما عبتموهم (وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ . إِنْ) ما (أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ) بين الانذار (قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ) عما تقول لنا (لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ) بالحجارة أو بالشتم (قَالَ) نوح (رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ . فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا) أى احكم (وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) قال تعالى (فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ) المملوء من الناس والحيوان والطير (ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ) أى بعد إنجائهم (الْبَاقِينَ) من قومه (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ . وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ . كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ

وإليه يشير المفسر بقوله أى علم لى ويحتمل أن تكون نافية (قوله بما كانوا يعملون) أى لم أكلف العلم بعقائدهم الباطنية وإنما كلفت أن أدعوهم إلى الإيمان (قوله إن حسابهم) أى حساب بواطنهم (قوله ما عبتموهم) قدره إشارة إلى أن لو شرطية حذف جوابها (قوله وما أنا بطارد المؤمنين) جواب لما فهمه من طلبهم طرد الضعفاء وهذا كما سألت قريش النبى صلى الله عليه وسلم أن يطرد الموالى والفقراء كما تقدم فى سبب نزول قوله تعالى : ولاتطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى (قوله إن أنا إلا نذير مبين) أى للمكلفين أعزاء وغيرهم فكيف يليق بى طرد الفقراء (قوله قالوا لئن لم تنته) أى تترك ما أنت عليه من معارضتنا (قوله قال رب إن قومى كذبون) إنما قال ذلك تمهيدا للدعاء عليهم كأنه قال إنهم أعرضوا عن دينك وتوحيدك فأنا أدعو عليهم لأجل ذلك ، والمعنى أنهم استمروا على تكذيبى وأصروا عليه بعد ما كررت عليهم الدعوة وسيأتى تفصيل ذلك فى سورة نوح فى قوله : قال رب إنى دعوت قومى ليلا ونهارا الخ (قوله فافتح بينى وبينهم فتحا) من الفتاحة بالضم والكسر وهى الحكومة أى احكم بيننا بما يستحقه كل منا (قوله ومن معى من المؤمنين) آثر الإيمان إشارة إلى أنهم خالصون فى الاتباع وكان من معه من المؤمنين ثمانين أو بعون من الرجال وأربعون من النساء على أحد أقوال تقدمت (قوله ثم أغرقنا بعد) أى بالطوفان حيث التقى ماء السماء على ماء الأرض (قوله الباقين من قومه) أى صغارا وكبارا فالهلاك الدنيوى عم الكبار والصغار والبهائم وأما فى الآخرة فالخلود فى النار مخصوص بمن مات كافرا بعد البلوغ ، وأما صبيانهم بل وصبيان المشركين من أول الدنيا إلى آخرها فيدخلون الجنة بشفاعة النبى صلى الله عليه وسلم (قوله كذبت عاد) اسم أبى قبيلة هود الأعلى سميت القبيلة باسمه فالمراد كذبت القبيلة المنسوبة لعاد وقوله المرسلين المراد هود وإنما جمع لأن من كذب رسولا واحدا فقد كذب الجميع لاشتراك الكل فى المجىء بالتوحيد .

(قوله أخوهم) أى من النسب لما تقدم أنه من ذرية عاد ، وكان هود تاجرا جميل الصورة يشبه آدم ، وعاش من العمر أربعمائة وأربعا وستين سنة (قوله ألا تتقون) ألا أداة عرض وهو الطلب بلين ورفق تأليفا للقلوب المجرمين لعلهم يهتدون (قوله إنى لكم رسول أمين) تعليل لعرضه التقوى عليهم . والمعنى إنى لكم رسول أبلغكم ما أرسلت به إليكم أمين لا أزيد ولا أنقص (قوله فاتقوا الله) تفريع على قوله إنى لكم رسول أمين : أى فحيث كنت رسولا أمينا فالواجب عليكم تقوى الله وطاعتى فطاعته من حيث كونه رسولا من عند الله لامن حيث ذاته ولذا لم يقل ألا تتقون وتطيعونى (قوله من أجر) أى جعل وأجرة على رسالتى (قوله إلا على رب العالمين) أى لأنه المرسل لى الغنى المغنى (قوله أتبنون) الاستفهام للتقريع والتوبيخ وهو شروع فى توبيخهم على أمور ثلاثة كل واحد منها مناف للتقوى البناء للعبث واتخاذ المصانع والتجبر (قوله بكل ريع) بكسر الراء ويقال بفتحها هو المكان المرتفع (قوله علما للمارة) أى كالعلم فى الارتفاع (قوله بمن يمر بكم الخ) هذا أحد أوجه فى تفسير متعلق العبث ، وقيل تعبثون بالبناء لظنهم أن المارة يحتاجون إلى البناء ليهتدوا به فى الأسفار مع أنهم يستغنون عنه بالنجوم ، وقيل المعنى تبنون بروج الحمام لتعبثوا بها ، وقيل المعنى تبنون بنيانا تجتمعون فيه للعبث وكل صحيح واقع منهم

(قوله مصانع) جمع مصنعة بفتح الميم مع فتح النون أو ضمها وهو الحوض أو البركة تجعل تحت الأرض كالصهاريج (قوله كأنكم) فسر لعل بكأن بدليل القراءة الشاذة كأنكم تخلدون والأولى إبقاء لعل على بابها من الترجى ويكون المعنى راجين أن تخلدوا فى الدنيا بسبب عملكم عمل من يرجو ذلك لأن مجىء لعل بمعنى كأن لم يرد (قوله وإذا بطشتم) أى فعلتم فعل الجبارين من الضرب بالسياط والقتل بالسيف (قوله فاتقوا الله

أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ . إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ . فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ . وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ) ما (أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ . أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ) مكان مرتفع (آيَةً) بناء عَلَمًا للمارة (تَعْبَثُونَ) بمن يمر بكم وتسخرون منهم ، والجملة حال من ضمير تبنون (وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ) للماء تحت الأرض (لَعَلَّكُمْ) كأنكم (تَخْلُدُونَ) فيها لا تموتون (وَإِذَا بَطَشْتُمْ) بضرب أو قتل (بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ) من غير رأفة (فَاتَّقُوا اللَّهَ) فى ذلك (وَأَطِيعُونِ) فيما أمرتكم به (وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ) أنعم عليكم (بِمَا تَعْلَمُونَ . أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ . وَجَنَّاتٍ) بساتين (وَعُيُونٍ) أنهار (إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) فى الدنيا وفى الآخرة إن عصيتمونى (قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا) مستو عندنا (أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ) أصلا : أى لا نرعوى لوعظك (إِنْ) ما (هَٰذَا) الذى خوفتنا به (إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ) أى اختلاقهم وكذبهم ، وفى قراءة بضم الخاء واللام : أى ماهذا الذى نحن عليه من أن لا بعث إلا خلق الأولين : أى طبيعتهم وعادتهم (وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ فَكَذَّبُوهُ) بالعذاب (فَأَهْلَكْنَاهُمْ) فى الدنيا بالريح (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ،

فى ذلك) أى فيما تقدم من الأمور الثلاثة (قوله الذى أمدكم) أى أعطاكم المدد وهو النعم (قوله أمدكم بأنعام) بدل مما قبله بدل مفصل من مجمل (قوله وبنين) أى ذرية (قوله وجنات) جمع جنة (قوله إنى أخاف عليكم) أى إن دمتم على مخالفتى ولم تشكروا على هذه النعم بعد بعثى (قوله فى الدنيا) أى بالريح العقيم وقوله وفى الآخرة أى بالخلود فى النار (قوله أم لم تكن من الواعظين) هذا أبلغ من أن يقولوا أم لم تعظ لأن المعنى سواء علينا أوعظت بأن كنت من أهل الوعظ أم لم تكن أصلا من أهله بأن كنت أميا مثلنا ولست نبيا (قوله أى لا نرعوى لوعظك) أى لا نرتدع ولا نتكفف له (قوله إلا خلق الأولين) أى من تقدموا قبلك كشيث ونوح فإنهم كانوا يختلقون أمورا فاقتديت بهم فاسم الاشارة على هذه القراءة راجع لما خوفهم به (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا وعليها فاسم الاشارة عائد على معتقدهم وهو عدم البعث (قوله أى طبيعتهم وعادتهم) أى عادة الأولين من قبلنا أنهم يعيشون ماعاشوا ثم يموتون ولا بعث ولا حساب (قوله وما نحن بمعذبين) أى على مافعلناه من الأعمال (قوله فكذبوه) أى استمروا على تكذيبه (قوله بالريح) أى الصرصر وكانت باردة شديدة الصوت لاماء فيها وسلطت عليهم سبع ليال وثمانية أيام أولها من صبح يوم الأربعاء لثمان بقين من شوال ، وكانت فى أواخر الشتاء وسيأتى بسطها فى سورة الحاقة .

(قوله وما كان أكثرهم مؤمنين) أى بل أكثرهم كانوا مع هود فى حظيرة تنسم عليهم ريح لينة حتى مضت تلك المدة، فأخذهم وهاجر من تلك الأرض إلى مكة (قوله العزيز) أى الغالب على أمره (قوله الرحيم) أى المنعم على عباده بدقائق النعم (قوله كذبت ثمود) اسم أبى قبيلة صالح الأعلى سميت القبيلة باسمه وتسمى أيضا عادا الثانية وهم ذرية من آمن من قوم هود (قوله المرسلين) المراد بهم صالح وتقدم وجه التعبير بالجمع (قوله أخوهم) أى فى النسب لاجتماعهم معه فى الأدب الأعلى وعاش صالح من العمر مائتين وثمانين سنة و بينه و بين هود مائة سنة (قوله ألا تتقون) تقدم أن ألا أداة عرض كما فى قول الشاعر :

يا ابن الكرام ألا تدنو فتبصر ما قد حدثوك فما راء كمن سمعا

وحكمة التعبير أولا بالعرض تأليف قلوبهم للتوحيد بالكلام اللين لقصر عقولهم وجهلهم (قوله أتتركون) الاستفهام إنكارى توبيخى وما اسم موصول بينها المفسر بقوله من الخيرات وهنا اسم إشارة للمكان القريب والمراد دار الدنيا، والمعنى أتظنون أنكم تتركون فى الدنيا متمتعين بأنواع النعم والشهوات آمنين من كل مكروه لا تمتحنون بأوامر ونواه ولا تحاسبون على شئ فيها لا تظنوا ذلك بل الواجب عليكم ترك الفانى والاشتغال بالباقى (قوله فى جنات) بدل من قوله ههنا باعادة الجار (قوله ونخل) هو اسم جنس جمعى واحده نخلة يذكر ويؤنث، وأما النخيل بالياء فمؤنثة اتفاقا (قوله طلعها) هو ثمرها فى أول ما يطلع كنصل السيف فى جوفه شماريخ القنو و بعده الاغريض ويسمى خلالا ثم البلح ثم الزهو ثم البسر ثم رطب ثم التمر يجمعهما قولك «طاب زبرت» فأطوار النخيل سبعة كأطوار الانسان وللواورد فى الحديث «أكرموا عماتكم النخل» وأفرد النخل بالذكر لفضله على سائر الأشجار (قوله وتنحتون من الجبال بيوتا) أى لطول أعمارهم فان السقوف والأبنية كانت تبلى قبل فناء أعمارهم لأن الواحد منهم كان يعيش ثلثمائة سنة إلى ألف (قوله بطرين) أى لنعم

وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ . وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ . كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ . إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ . فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ . وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ) ما (أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ . أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا) من الخيرات (آمِنِينَ . فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ . وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ) لطيف لين (وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ) بطرين، وفى قراءة فارهين حاذقين (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ) فيما أمرتكم به (وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ) بالمعاصى (وَلَا يُصْلِحُونَ) بطاعة الله (قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ) الذين سحروا كثيرا حتى غلب على عقلهم (مَا أَنْتَ) أيضا (إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) فى رسالتك (قَالَ هَٰذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ) نصيب من الماء (وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ . وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ) بعظم العذاب (فَعَقَرُوهَا) أى عقرها بعضهم برضاهم (فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ

ربكم (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله حاذقين) أى ماهرين فى العمل (قوله ولا تطيعوا أمر المسرفين) الاسناد مجازى فى النسبة، والأصل ولا تطيعوا المسرفين فى أمرهم (قوله الذين يفسدون فى الأرض) صفة للمسرفين (قوله ولا يصلحون) دفع بذلك مايتوهم أنه يقع منهم الاصلاح فى بعض الأوقات (قوله ما أنت إلا بشر مثلنا) أى فكيف تدعى أنك رسول إلينا (قوله قال هذه ناقة) الاشارة إليها بعد أن خرجت من الصخرة بدعائه كما طلبوا عن أبى موسى الأشعرى قال رأيت مبركها فاذا هو ستون ذراعا فى ستين ذراعا (قوله لها شرب الخ) أمرهم صالح بأمرين الأول قوله لها شرب. الثانى قوله ولا تمسوها بسوء (قوله نصيب من الماء) أى فهى تشرب منه يوما وأنتم تشربون منه يوما لاتزاحمكم ولاتزاحمونها وفى يومها تشربون من لبنها (قوله فعقروها) أى يوم الثلاثاء وأخذهم العذاب يوم السبت وقد جعل لهم علامة على نزول العذاب بهم وهو أنهم فى اليوم الأول تصفر وجوههم ثم تحمر فى اليوم الثانى ثم تسود فى اليوم الثالث (قوله أى عقرها بعضهم) أى وهو قدار وكان قصيرا أزرق وكان ابن زنا ضربها فى ساقيها بالسيف . قال السدى وغيره : أوحى الله إلى صالح أن قومك سيعقرون ناقتك فقال لهم ذلك، فقالوا ما كنا لنفعل فقال لهم صالح إنه سيولد فى شهركم هذا غلام يعقرها ويكون هلاككم على يديه فقالوا لايولد فى هذا الشهر ذكر إلاقتلناه فولد لتسعة منهم فى ذلك الشهر فذبحوا أبناءهم ثم للعاشر فأبى أن يذبح ابنه وكان لم يولد له قبل ذلك فكان

ابن العاشر أزرق أحمر فنبت نباتا سريعا فكان إذا مر بالتسعة فرأوه قالوا لو كان أبناؤنا أحياء لكانوا مثل هذا، وغضب التسعة على صالح لأنه كان سببا لقتلهم أبناءهم فتعصبوا وتقاسموا بالله لنبيتنه وأهله فقالوا نخرج إلى سفر فيرى الناس سفرنا فنكون في غار حتى إذا كان الليل وخرج صالح إلى مسجده أتيناه فقتلناه ثم قلنا ماشهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون فيصدقون ويعلمون أنا قد خرجنا إلى سفر وكان صالح لاينام في القرية بل كان ينام في المسجد فإذا أصبح أتاهم فوعظهم فلما دخلوا الغار أرادوا أن يخرجوا فسقط عليهم الغار فقتلهم، فرأى ذلك ناس ممن كان قد اطلع على ذلك فصاحوا في القرية ياعباد الله أما رضي صالح أنه أمر بقتل أولادهم حتى قتلهم فاجتمع أهل القرية على عقر الناقة (قوله نادمين على عقرها) إن قلت لم لم يرفع عنهم العذاب بسبب ندمهم. أجيب بأن ندمهم لخوف نزول العذاب فقط لاتوبة منهم (قوله العزيز الرحيم) حكمة ختم كل قصة في هذه السورة بهذين الاسمين الاشارة إلى أن العذاب النازل بالكفار لايغادر منهم أحدا والرحمة الحاصلة للمؤمنين لا تغادر منهم أحدا فكل من مظهر الاسمين ظهر في مستحقه (قوله أخوهم لوط) أي في البلد بسبب السكنى والمجاورة لافي النسب لأنه ابن أخي إبراهيم عليهما السلام وهما من بلاد المشرق من أرض بابل فنزل إبراهيم بالخليل من أرض الشام ولوط بسدوم وقراها (قوله الذكران) جمع ذكر أي أدبارهم (قوله أي من الناس) وكذا غيرهم من الحيوانات غير

العاقلة فهذه الخصلة القبيحة لم تكن في أحد قبل قوم لوط ثم لما خسف بهم تنوسيت حتى ظهرت في هذه الأمة المحمدية فانا لله وإنا إليه راجعون (قوله ماخلق لكم) أي أحل وأباح (قوله أي أقبالهن) أي لأنه محل نبات البذر قال تعالى: نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم (قوله عادون) أي متعدون (قوله من القالين) متعلق بمحذوف خبر إن أي لقال من القالين ومن القالين صفته ولعملكم متعلق بالخبر المحذوف ولايصح أن يجعل قوله من القالين خبر إن فيكون عاملا في لعملكم لئلا يلزم عليه تقديم معمول الصلة على الموصول وهو أل مع أنه لايجوز (قوله أي من عذابه) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف لأن بقاءه على ظاهره بعيد لعصمته منه فطلب النجاة منه تحصيل للحاصل (قوله وأهله) أي بنتيه وزوجته المؤمنة (قوله الباقين) أي في العذاب قيل تبعت لوطا ثم التفتت لقومها فنزل عليها حجر وقيل لم تتبعه بل بقيت فخسف بها مع قومها (قوله أهلكناهم) أي بقلب قراهم حتى جعل عاليها سافلها (قوله وأمطرنا عليهم) أي على من كان منهم خارج القرى لسفر أو غيره (قوله مطرهم) هذا هو المخصوص بالذم (قوله كذب أصحاب الأيكة) هذه آخر القصص التي ذكرت في هذه السورة على سبيل الاختصار وقد وقع لفظ الأيكة في أربع مواضع في القرآن في الحجر وق وهاوص فالأوليان بأل مع الجر لاغير والأخريان يقرآن بالوجهين (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضا (قوله بحذف الهمزة) أي الثانية وقوله على اللام أي لام التعريف، وأما الهمزة الأولى فقد حذفت للاستغناء عنها بتحريك اللام لأنها همزة وصل أتي بها للتوصل للنطق بالساكن، وفي كلام المفسر نظر لأنه يقتضي أن اللام الموجودة لام التعريف وحينئذ فلا يصح قوله وفتح الهاء لأن المقرون بأل يجر بالكسرة وقع فيه نقل أم لا. قال ابن مالك:

وجر بالفتحة مالا ينصرف ... مالم يضف أو يك بعد أل ردف

نَادِمِينَ) على عقرها (فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ) الموعود به فهلكوا (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ. وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ. كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ. إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ. إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ. فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ. وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ) ما (أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ. أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ) أي من الناس (وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم) أي أقبالهن (بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ) متجاوزون الحلال إلى الحرام (قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ) عن إنكارك علينا (لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ) من بلدتنا (قَالَ) لوط (إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ) المبغضين (رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ) أي من عذابه (فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ. إِلَّا عَجُوزًا) امرأته (فِي الْغَابِرِينَ) الباقين أهلكناها (ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ) أهلكناهم (وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا) حجارة من جملة الاهلاك (فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ) مطرهم (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ. وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ. كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ) وفي قراءة بحذف الهمزة،

فالمناسب أن يقول وفى قراءة بوزن ليلة ليفيد أن اللام من بنية الكلمة وحركتها أصلية وحينئذ فجره بالفتحة ظاهر للعلمية والتأنيث باعتبار البقعة إن كان هذا اللفظ عربيا والعلمية والعجمة إن كان أعجميا (قوله وفتح الهاء) فى بعض النسخ وفتح التاء وهى أوضح (قوله هى غيضة شجر) بفتح الغين و بالضاد المعجمة : أى مكان فيه شجر ملتف بعضه على بعض وكان شجرهم الدوم (قوله قرب مدين) هى قرية شعيب ، سميت باسم بانيها مدين بن إبراهيم ، و بينها وبين مصر مسيرة ثمانية أيام (قوله المرسلين) المراد به شعيب وفى جمعه ما علمت ، وقد أرسل شعيب أيضا لأهل مدين لكن أهل مدين أهلكوا بالصيحة وأصحاب الأيكة أهلكوا بعذاب يوم الظلة (قوله لأنه لم يكن منهم) أى بل كان من مدين . قال تعالى ـ و إلى مدين أخاهم شعيبا ـ (قوله الناقصين) أى لحقوق الناس (قوله ولا تبخسوا الناس أشياءهم) أى فكانوا إذا اكتالوا على الناس يستوفون و إذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ومن جملة بخسهم أنهم ينقصون الدراهم والدنانير (قوله وغيره) أى كقطع الطريق (قوله لمعنى عاملها) أى ولفظهما مختلف (قوله والجبلة) بكسر الجيم والباء وتشديد اللام : أى الجماعة والأمم المتقدمة الذين كانوا على خلقة وطبيعة عظيمة كأنها الجبال قوة وصلابة وهذه قراءة العامة

وقرىء شذوذا بضم الجيم والباء وتشديد اللام و بفتح الجيم أو كسرها مع سكون

و إلقاء حركتها على اللام وفتح الهاء : هى غيضة شجر قرب مدين (الْمُرْسَلِينَ . إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ) لم يقل أخوهم لأنه لم يكن منهم (أَلَا تَتَّقُونَ . إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ . فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ . وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ) ما (أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ . أَوْفُوا الْكَيْلَ) أتموه (وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ) الناقصين (وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ) الميزان السوى (وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ) لاتنقصوهم من حقهم شيئا (وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ) بالقتل وغيره من عثى بكسر المثلثة : أفسد ، ومفسدين حال مؤكدة لمعنى عاملها (وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ) الخليقة (الْأَوَّلِينَ . قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ . وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف : أى إنه (نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ . فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا) بسكون السين وفتحها قطعة (مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) فى رسالتك (قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ) فيجازيكم به (فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ) هى سحابة أظلتهم بعد حر شديد أصابهم فأمطرت عليهم نارا فاحترقوا (إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ . إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ . وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ . وَإِنَّهُ) أى القرآن (لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ . نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ) جبريل (عَلَى قَلْبِكَ ،

الباء (قوله وما أنت إلا بشر مثلنا) أتى بالواو هنا دون قصة صالح مبالغة فى تكذيبه لأنه عند دخول الواو يكون كل من الأمرين التسحير والبشرية مقصودا بخلاف تركها فلم يقصد إلا التسحير والثانى دليل له (قوله مخففة من الثقيلة) المناسب أن يقول مهملة لا عمل لها لأن المكسورة إذا خففت قل عملها والأولى حمل القرآن على الكثير (قوله بسكون السين وفتحها) قراءتان سبعيتان (قوله فكذبوه) أى استمروا على تكذيبه (قوله عذاب يوم الظلة) روى أن الله تعالى فتح عليهم بابا من أبواب جهنم وأرسل عليهم حرا شديدا فأخذ بأنفاسهم فدخلوا بيوتهم فلم ينفعهم ظل ولا ماء فأنضجهم الحر فخرجوا فأرسل الله تعالى سحابة فأظلتهم فوجدوا لها بردا وروحا وريحا طيبة ، فنادى بعضهم بعضا فلما اجتمعوا تحت السحابة ألهبها الله عليهم نارا ورجفت بهم الأرض فاحترقوا كما يحترق الجراد المقلى فصاروا رمادا ، وهذا العذاب الذى حل بهم هو الذى طلبوه تهكما بشعيب بقولهم ـ فأسقط علينا كسفا من السماء ـ (قوله أصابهم) أى سبعة أيام ثم لجئوا إلى السحابة بعد السبعة الأيام (قوله و إنه لتنزيل رب العالمين) شروع فى مدح القرآن ومن أنزله والمنزل عليه ، والمعنى أن هذا القرآن منزل من عند الله تعالى ليس بشعر ولا بسحر ولا كهانة كما يزعمون (قوله نزل به) الباء للملابسة والجار والمجرور متعلق بمحذوف حال كأنه قال نزل فى حال ملابسته له على حد خرج زيد بثيابه (قوله على قلبك) خصه بالذكر لأنه سلطان الأعضاء فكل شىء وصل للقلب وصل لسائر الأعضاء ، ففى الحديث « ألا و إن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله و إذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب » فحيث نزل على قلبه فقد تمكن من سائر بدنه فلا يطرأ عليه بعد ذلك نسيان ولما ورد أنه كان إذا نزل عليه جبريل بالآية يريد أن يقرأها بلسانه قبل أن

يتلوها جبريل عليه ظاهرا حتى أمر بعدم الاستعجال بالقراءة قال تعالى: لاتحرك به لسانك لتعجل به (قوله لتكون من المنذرين) أى ومن المبشرين (قوله بلسان) يصح أن يكون بدلا من قوله به بإعادة الجار، ويصح أن يكون متعلقا بالمنذرين. والمعنى لتكون من الذين أنذروا بهذا اللسان العربى وهم هود وصالح وشعيب وإسماعيل عليهم الصلاة والسلام (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية (قوله أى ذكر القرآن) دفع بذلك مايقال إن ظاهر الآية أن القرآن نفسه ثابت فى سائر الكتب مع أنه ليس كذلك، والمراد بذكره نعته والاخبار عنه بأنه ينزل على محمد وأنه صدق وحق (قوله أولم يكن لهم آية) الاستفهام للتوبيخ والتقريع (قوله وأصحابه) أى وكانوا أربعة غيره أسد وأسيد وثعلبة وابن يامين فالخمسة من علماء اليهود وقد حسن إسلامهم (قوله ويكن بالتحتانية ونصب آية) أى على أنه خبر يكن مقدم واسمها قوله أن يعلمه الخ (قوله ورفع آية) أى على أنه فاعل بتكن وقوله أن يعلمه بدل من آية (قوله جمع أعجم) أصله أعجمى بياء النسب خفف بحذفها وبه اندفع مايقال إن أفعل فعلاء لايجمع جمع المذكر السالم (قوله أنفة من اتباعه) أى تكبرا (قوله كذلك) معمول لسلكناه والضمير فى سلكناه للقرآن على حذف مضاف أفاده المفسر (قوله لايؤمنون به الخ) الجملة مستأنفة أو حال من الهاء فى سلكناه وقوله حتى يروا العذاب الأليم مقدم من تأخير وأصل الكلام حتى يأتيهم العذاب بغتة وهم لايشعرون فيرونه فيقولوا هل نحن منظرون أى مؤخرون عن الاهلاك ولو طرفة عين لنؤمن فيقال لهم لا: أى لاتأخير ولا إمهال (قوله أفبعذابنا يستعجلون) استفهام توبيخ وتهكم حيث استعجلوا مافيه هلاكهم والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام تقديره أيعقلون ماينزل بهم (قوله أفرأيت) معطوف على فيقولوا وما بينهما اعتراض

لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ) بين، وفى قراءة بتشديد نزل ونصب الروح والفاعل الله (وَإِنَّهُ) أى ذكر القرآن المنزل على محمد (لَفِي زُبُرِ) كتب (الْأَوَّلِينَ) كالتوراة والإنجيل (أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ) لكفار مكة (آيَةً) على ذلك (أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ) كعبدالله بن سلام وأصحابه ممن آمنوا فإنهم يخبرون بذلك، ويكن بالتحتانية ونصب آية وبالفوقانية ورفع آية (وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ) جمع أعجم (فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ) أى كفار مكة (مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ) أنفة من اتباعه (كَذَلِكَ) أى مثل إدخالنا التكذيب به بقراءة الأعجمى (سَلَكْنَاهُ) أدخلنا التكذيب به (فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ) أى كفار مكة بقراءة النبى (لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ. فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ. فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ) لنؤمن فيقال لهم لا قالوا متى هذا العذاب قال تعالى (أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ. أَفَرَأَيْتَ) أخبرنى (إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ. ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ) من العذاب (مَا) استفهامية بمعنى أى شىء (أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ) فى دفع العذاب أو تخفيفه: أى لم يغن (وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ) رسل تنذر أهلها (ذِكْرَى) عظة لهم (وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ) فى إهلاكهم بعد إنذارهم.

وقوله ما كانوا يوعدون تنازعه رأيت يطلبه مفعولا أول وجاءهم يطلبه فاعلا فأعملنا الأول وأضمرنا فى الثانى ضميرا يعود عليه أى ثم جاءهم هو أى الذى كانوا يوعدونه، وجملة ما أغنى عنهم الخ فى محل نصب سدت مسد المفعول الثانى لرأيت (قوله ماكانوا يوعدون) أى به وما اسم موصول (قوله استفهامية) أى استفهام إنكار كما أشار له بقوله أى لم يغن فهذا مساو فى المعنى، لقول بعضهم إنها نافية وهى على صنيع المفسر مفعول مقدم لأغنى، وقوله ما كانوا يمتعون فاعل بأغنى وما مصدرية (قوله وما أهلكنا من قرية الخ) أى أنه جرت عادته سبحانه وتعالى أنه لايهلك أهل قرية إلا بعد إرسال الرسول إليهم وعصيانهم وذلك تفضل منه سبحانه وتعالى وإلا فلو أهلكهم من أول الأمر لايعد ظالما لأنه متصرف فى ملكه يحكم لامعقب لحكمه ففعله دائر بين الفضل والعدل (قوله إلا لها منذرون) الجملة صفة لقرية. فإن قلت لم تركت الواو هنا، وذكرت فى قوله تعالى: وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم. أجيب بأن الأصل ترك الواو، وإذا زيدت كانت لتأكيد وصل الصفة بالموصوف كما فى قوله سبعة وثامنهم كلبهم (قوله ذكرى) مفعول لأجله أى لأجل تذكيرهم العواقب (قوله وما كنا ظالمين) أى لانفعل فعل الظالمين بأن نهلكهم قبل الانذار بل لانهلكهم إلا بعد إتيان الرسول وإمهالهم الزمن الطويل حتى يتبين لهم الحق من الباطل

(قوله ردا لقول المشركين) مقول القول محذوف تقديره إن الشياطين يلقون القرآن على لسانه فهو من جملة الكهنة (قوله ومايبغى لهم) أى لايمكنهم (قوله إنهم عن السمع الخ) علة لقوله ومايبغى لهم ومايستطيعون (قوله لكلام الملائكة) إن كان المراد كلامهم بالوحى الذى يبلغونه للأنبياء فالشياطين معزولون عنه لايصلون إليه أصلا ، و إن كان المراد به المغيبات التى ستقع فى العالم فكانوا أولا يسترقونها فلما ولد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات فلما بعث سلطت عليهم الشهب وحينئذ فقد انسد باب السماء على الشياطين وانقطع نزولهم على الكهنة فبطل قول المشركين أن القرآن تنزلت به الشياطين على رسول الله (قوله فلا تدع مع الله إلها آخر) نزل ردا لقول المشركين اعبد آلهتنا سنة ونحن نعبد إلهك سنة والخطاب له صلى الله عليه وسلم والمراد غيره (قوله رواه البخارى ومسلم) أى فقد ورد أنه صلى الله عليه وسلم قال فى إنذاره «يامعشر قريش اشتروا أنفسكم لا أغنى عنكم من الله شيئا يابنى عبد المطلب لاأغنى عنكم من الله شيئا ياعباس بن عبد المطلب لاأغنى عنك من الله شيئا ياصفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أغنى عنك من الله شيئا يافاطمة بنت رسول الله سلينى ماشئت من مالى لا أغنى عنك من الله شيئا» وفى رواية «أنه صلى الله عليه وسلم صعد على الصفا فجعل ينادى يابنى فهر يابنى عدى لبطون من قريش قد اجتمعوا فجعل الذى لايستطيع أن يخرج يرسل

رسولا لينظرماهو فجاء أبولهب وقريش فقال أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادى تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقى قالوا ماجربنا عليك كذبا قال فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد فقال أبولهب تبالك ألهذا جمعتنا فنزلت تبت يدا أبى لهب وتب إلى آخر السورة» (قوله واخفض جناحك) أى فبعد الانذار تواضع لمن آمن منهم وتبرأ عمن بقى على كفره ولاتخف من تحزبهم واجتماعهم وكثرتهم فان الله حافظك وناصرك عليهم فتوكل عليه (قوله بالواو والفاء) أى فهما قراءتان سبعيتان فعلى الواو هو معطوف على قوله وأنذر وغيره وعلى الفاء هو بدل من قوله فقل إنى برىء (قوله على العزيز) أى الغالب على أمره القاهر لكل معارض لأمره (قوله الرحيم) أى بالمؤمن الممتثل لأمره (قوله حين تقوم) أى منفردا وقوله وتقلبك فى الساجدين أى مع الجماعة (قوله إلى الصلاة) لامفهوم لها بل يراه حين يقوم للجهاد وللخطبة وللأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وغير ذلك من سائر تنقلاته و إنما خص الصلاة لأنها أعظم أركان الاسلام بعد الشهادتين ولأن قرة عينه فيها لما فى الحديث «وجعلت قرة عينى فى الصلاة» والمراد برؤيته إياه زيادة تجلى الرحمة عليه و إلافرؤية الله حاصلة لكل مخلوق (قوله وتقلبك فى الساجدين) فى على كلام المفسر بمعنى مع، وقيل إن فى على بابها والمراد بالساجدين المؤمنون . والمعنى يراك متقلبا فى أصلاب وأرحام المؤمنين من آدم إلى عبد الله فأصوله جميعا مؤمنون وأورد على هذا آزر أبو إبراهيم فانه كان كافرا . وأجيب بجوابين : الأول أنه كان عمه واسم أبيه تارخ . الثانى أنه كان أباه حقيقة وقولهم إن أصوله صلى الله عليه وسلم ليسوا كفارا محله مادام النور المحمدى فى الواحد منهم فاذا انتقل لمن بعده فلا مانع من أن يعبد غير الله ، وحينئذ فآزر ما كفر إلا بعد انتقال النور منه إلى إبراهيم ولده (قوله قل هل أنبئكم الخ) هذا رد لقولهم إنه كاهن (قوله على من تنزل الشياطين) الجار والمجرور متعلق بتنزل والجملة فى محل نصب سادة مسد المفعول الثانى والثالث

ونزل رداً لقول المشركين (وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ) بالقرآن (الشَّيَاطِينُ . وَمَا يَنْبَغِي) يصلح (لَهُمْ) أن ينزلوا به (وَمَا يَسْتَطِيعُونَ) ذلك (إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ) لكلام الملائكة (لَمَعْزُولُونَ) بالشهب (فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ) إن فعلت ذلك الذى دعوك إليه (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) وهم بنو هاشم وبنو المطلب وقد أنذرهم جهارا رواه البخارى ومسلم (وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ) ألن جانبك (لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) الموحدين (فَإِنْ عَصَوْكَ) أى عشيرتك (فَقُلْ) لهم (إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ) من عبادة غير الله (وَتَوَكَّلْ) بالواو والفاء (عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ) الله : أى فوض إليه جميع أمورك (الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ) إلى الصلاة (وَتَقَلُّبَكَ) فى أركان الصلاة قائما وقاعدا وراكعا وساجدا (فِي السَّاجِدِينَ) أى المصلين (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ . هَلْ أُنَبِّئُكُمْ) أى كفار مكة (عَلَىٰ مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ) بحذف إحدى التاءين من الأصل (تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ) كذاب (أَثِيمٍ) فاجر مثل مسيلمة

إن جعل أنبئكم متعديا لثلاثة، وسد الثانى فقط إن جعل متعديا لاثنين (قوله وغيره) أى كالسطيح (قوله من الكهنة) جمع كاهن، وهو الذى يخبر عن الأمور المستقبلة، والعراف هو الذى يخبر عن الأمور الماضية (قوله يلقون السمع) يحتمل أن الضمير عائد على الشياطين، والمعنى يلقون ماسمعوه إلى الكهنة، ويحتمل أنه عائد على كل أفاك أثيم، والمعنى يلقون ماسمعوه من الشياطين إلى عوام الخلق، أوالمعنى يصغون إلى الشياطين بكليتهم حين يسمعون منهم (قوله وأكثرهم كاذبون) الضمير إما عائد على الشياطين أو الكهنة والأكثرية باعتبار الأقوال أى أكثر أقوالهم كاذبون فيها والأقل فيها صدق وليس المراد أن الأقل فيهم صادق بل الكل طبعوا على الكذب وأكثر الكلمات كذب وأقلها صدق (قوله وكان هذا قبل أن حجبت الشياطين عن السماء) دفع بذلك التناقض بين ماهنا وماتقدم فى قوله: إنهم عن السمع لمعزولون. وحاصل ذلك أن هذه الآية إخبار من الله عن الشياطين قبل عزلهم عن السموات وتمثيله بمسيلمة باعتبار ما كان قبل وجوده صلى الله عليه وسلم وأما بعد وجوده فلم يصل لمسيلمة ولاغيره شئ من الشياطين (قوله والشعراء) أى الذين يستعملون الشعر وهو الكلام الموزون بأوزان عربية المقفى قصدا، والمراد شعراء الكفار الذين كانوا يهجون رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم عبد الله بن الزبعرى السهمى وهبيرة بن أبى وهب المخزومى ومسافع بن عبد مناف وأبو عزة عمرو بن عبد الله الجمحى وأمية بن أبى الصلت الثقفى تكلموا بالكذب والباطل وقالوا نحن نقول مثل مايقول محمد وقالوا الشعر واجتمع إليهم غواة قومهم يسمعون أشعارهم (قوله من أدوية الكلام وفنونه) أشار بذلك إلى أن الشعراء يخوضون فى كل كلام فهم مشبهون بالهائم فى الأودية

وغيره من الكهنة (يُلْقُونَ) أى الشياطين (السَّمْعَ) أى ماسمعوه من الملائكة إلى الكهنة (وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ) يضمون إلى المسموع كذبا كثيرا، وكان هذا قبل أن حجبت الشياطين عن السماء (وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ) فى شعرهم فيقولون به ويروونه عنهم فهم مذمومون (أَلَمْ تَرَ) تعلم (أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ) من أودية الكلام وفنونه (يَهِيمُونَ) يمضون فيجاوزون الحد مدحا وهجاء (وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ) فعلنا (مَالاَ يَفْعَلُونَ) أى يكذبون (إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) من الشعراء (وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً) أى لم يشغلهم الشعر عن الذكر (وَانْتَصَرُوا) بهجوهم الكفار (مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا) بهجو الكفار لهم فى جملة المؤمنين فليسوا مذمومين،

الذى لايدرى أين يتوجه (قوله يمضون) أى يخوضون (قوله أى يكذبون) أى لأنهم يمدحون الكرم والشجاعة ويحثون عليهما ولايفعلون ماذكر ويذمون ضدهما ويصرون عليه ويهجون الناس بأدنى شئ صدر منهم (قوله إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) سبب نزولها «أن كعب بن مالك قال للنبى صلى الله عليه وسلم قد أنزل فى الشعر، فقال النبى صلى الله عليه وسلم: إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه، والذى نفسى بيده لكأن ماترمونهم به نضح النبل» وقوله قد أنزل فى الشعر أى أنزل القرآن فى ذم الشعر وأهله (قوله من الشعراء) أى ومنهم حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك وغيرهم. واعلم أن الشعر منه مذموم وهو مدح من لايجوز مدحه وذم من لايجوز ذمه وعليه تتخرج الآية الأولى وقوله عليه الصلاة والسلام «لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا ودما خير له من أن يمتلئ شعرا» ومنه ممدوح وهو مدح من يجوز مدحه وذم من يجوز ذمه وعليه تتخرج الآية الثانية وقوله صلى الله عليه وسلم «إن من الشعر لحكمة» وقال الشعبى: كان أبو بكر يقول الشعر وكان عمر يقول الشعر وكان عثمان يقول الشعر وكان على أشعر الثلاثة، وروى عن ابن عباس أنه كان ينشد الشعر فى المسجد ويستنشده فروى أنه دعا عمر بن أبى ربيعة المخزومى فاستنشده قصيدة فأنشده إياها وهى قريب من تسعين بيتا ثم إن ابن عباس أعاد القصيدة جميعها وكان حفظها من مرة واحدة وروى «أنه عليه الصلاة السلام قال يوم قريظة لحسان اهج المشركين فان جبريل معك وكان يضع له منبرا فى المسجد يقوم عليه قائما يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وينافح ويقول رسول الله: إن الله يؤيد حسان بروح القدس مانافح أوفاخر عن رسول الله» وروى عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «اهجوا قريشا فانه أشد عليها من رشق النبل فأرسل إلى ابن رواحة فقال اهجهم فهجاهم فلم يرض وأرسل إلى كعب بن مالك ثم أرسل إلى حسان بن ثابت فلما دخل عليه حسان قال قد آن لكم أن ترسلوا إلى هذا الأسود الضارب بذنبه ثم أدلع بلسانه فجعل يحركه فقال والذى بعثك

بالحق لأفرينهم بلسانى فرى الأديم ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم لاتعجل فان أبا بكر أعلم قريش بأنسابها و إن لى فيهم نسبا حتى يخلص لك نسبى فأتاه حسان ثم رجع فقال والذى بعثك بالحق نبيا لأسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين قالت عائشة فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحسان إن الله يؤيدك بروح القدس لايزال يؤيدك مانافحت عن رسوله» قالت : وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «هجاهم حسان فشفى واشتفى» فقال حسان :

هجوت محمدا فأجبت عنه ... وعند الله فى ذاك الجزاء
هجوت محمدا برا تقيا ... رسول الله شيمته الوفاء
فان أبى ووالدتى وعرضى ... لعرض محمد منكم وقاء
ثكلت بنيتى إن لم تروها ... تثير النقع موعدها كداء
ينازعن الأعنة مصعدات ... على أكتافها الأسل الظماء
تظل جيادنا متمطرات ... تلطمهن بالخمر النساء
فان أعرضتمو عنا اعتمرنا ... وكان الفتح وانكشف الغطاء
و إلا فاصبروا لضراب يوم ... يعز الله فيه من يشاء
وقال الله قد أرسلت عبدا ... يقول الحق ليس به خفاء
وقال الله قد سيرت جندا ... هم الأنصار عرضتها اللقاء
تلاقى كل يوم من معد ... سباب أو قتال أو هجاء
فمن يهجو رسول الله منكم ... ويمدحه وينصره سواء
وجبريل رسول الله فينا ... وروح القدس ليس له خفاء

(قوله قال الله تعالى لايحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم) استدلال على جواز هجوهم للكفار فى مقابلة هجو الكفار لهم وقوله فمن اعتدى عليكم الخ استدلال على شرط المماثلة فى المقابلة فلا يجوز للمظلوم أن يزيد فى الذم على ماظلم به من الهجو (قوله أى منقلب) معمول لينقلبون الذى بعده لا لما قبله لأن الاستفهام له الصدر وهو مفعول مطلق : أى ينقلبون أى انقلاب والجملة سادة مسد مفعولى يعلم ، والمعنى يرجعون مرجعا سيئا لأن مصيرهم إلى النار وهو أقبح مرجع وأشره .

قال الله تعالى : لايحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم ؛ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل مااعتدى عليكم (وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا) من الشعراء وغيرهم (أَيَّ مُنْقَلَبٍ) مرجع (يَنْقَلِبُونَ) يرجعون بعد الموت ،

(سورة النمل)

وهى ثلاث أو أربع أو خمس وتسعون آية مكية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . طس) الله أعلم بمراده بذلك (تِلْكَ) أى هذه الآيات (آيَاتُ الْقُرْآنِ) آيات منه (وَكِتَابٍ مُبِينٍ) مظهر للحق من الباطل ، عطف بزيادة صفة هو (هُدًى) أى هاد من الضلالة (وَبُشْرَىٰ) للمؤمنين)

[سورة النمل مكية] أى كلها، وقد اشتملت هذه السورة على خمس قصص: الأولى قصة موسى مع فرعون الثانية قصة النملة الثالثة قصة بلقيس الرابعة قصة صالح مع قومه الخامسة قصة لوط مع قومه وما بقى منها حكم ومواعظ (قوله ثلاث أو أربع الخ) أى أنه اختلف فى النيف الزائد على التسعين على ثلاثة أقوال (قوله الله أعلم بمراده بذلك) تقدم أن هذا القول أسلم وعليه فليس لهذا اللفظ محل من الاعراب لأنه فرع معرفة المعنى والموضوع أنه لم يعرف (قوله تلك) مبتدأ وآيات القرآن خبره واسم الاشارة عائد على مافى هذه السورة (قوله آيات منه) أشار بذلك إلى أن الاضافة على معنى من كما تقول جلست مع زيد ساعة الليل تريد ساعة منه (قوله مظهر الحق من الباطل) أى فالحق صار بالقرآن ظاهرا واضحا والباطل كذلك (قوله عطف بزيادة صفة) جواب عما يقال لم عطف الكتاب على القرآن مع أنهما متحدان معنى فأجاب بأنه سوغ ذلك وصف الكتاب بصفة لم تكن فى القرآن (قوله هدى) خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله هو فالجملة مستأنفة واقعة فى جواب سؤال مقدر تقديره مافائدة الاتيان به وما الثمرة المترتبة عليه فأجاب بأنه هدى و بشرى للمؤمنين (قوله أى هاد من الضلالة) هذا أحد احتمالات فى تفسير الهدى ويحتمل أن المراد ذو هدى أو بولغ فيه حتى جعل نفس الهدى على حد ماقيل فى زيد عدل

(لِلْمُؤْمِنِينَ) المصدّقين به بالجنة (الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ) يأتون بها على وجهها (وَيُؤْتُونَ) يعطون (الزَّكَوٰةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ) يعلمونها بالاستدلال ، وأعيد هم لما فصل بينه و بين الخبر (إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ) القبيحة بتركيب الشهوة حتى رأوها حسنة (فَهُمْ يَعْمَهُونَ) يتحيرون فيها لقبحها عندنا (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ) أشده فى الدنيا القتل والأسر (وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ) لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم (وَإِنَّكَ) خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم (لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ) أى يلقى عليك بشدة (مِن لَّدُنْ) من عند (حَكِيمٍ عَلِيمٍ) فى ذلك . اذكر (إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ) زوجته عند مسيره من مدين إلى مصر (إِنِّي آنَسْتُ) أبصرت من بعيد (نَارًا سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ) عن حال الطريق وكان قد ضلها (أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ) بالاضافة للبيان وتركها : أى شعلة نار فى رأس فتيلة أو عود (لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ) والطاء بدل من تاء الافتعال من صلى بالنار بكسر اللام وفتحها تستدفئون من البرد (فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَن) أى بأن (بُورِكَ) أى بارك الله (مَن فِي النَّارِ) أى موسى (وَمَنْ حَوْلَهَا) أى الملائكة أو العكس ، و بارك يتعدى بنفسه و بالحرف

(قوله للمؤمنين) حذف من الأول لدلالة الثانى عليه فالقرآن هدى للمؤمنين و بشرى لهم لا للكافرين بدليل قوله تعالى : والذين لايؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى ، وخص المؤمنين بالذكر لأنهم المعتنى بهم المشرفون بخدمته تعالى (قوله يأتون بها على وجهها) أى بشروطها وأركانها وآدابها على الوجه الأكمل (قوله ويؤتون الزكوة) أى الواجبة للأصناف الثمانية (قوله وهم) مبتدأ و يوقنون خبره و بالآخرة متعلق بيوقنون (قوله يعلمونها بالاستدلال) أى من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية فمن شك فى ذلك فقد كفر (قوله لما فصل بينه و بين الخبر) أى بمتعلق الخبر وهو قوله بالآخرة (قوله إن الذين لايؤمنون بالآخرة) مقابل قوله هدى و بشرى للمؤمنين الخ على عادته سبحانه وتعالى متى ذكر وصف المؤمنين يعقبه بذكر ضدهم (قوله زينا لهم أعمالهم) أى حسناها لهم بأن جعلناها محبوبة لأنفسهم وهى فى الواقع ليست حسنة ، و إنما ذلك ليقضى الله أمرا كان مفعولا قال الشاعر :

يقضى على المرء فى أيام محنته حتى يرى حسنا ماليس بالحسن

(قوله يتحيرون فيها) أى لتعارض تزيين الشيطان و إخبار الرحمن ولم تكن لهم بصيرة يميزون بها الحسن من القبيح فأهل الكفر متحيرون فى كفرهم لكونهم فى ظلمات ، ومن المعلوم أن السائر فى الظلمات متحير بخلاف السائر فى النور ، فأهل الايمان مصدقون مصممون على اعتقادهم ، وأهل الكفر متشككون متحيرون (قوله هم الأخسرون) أى أن خسرانهم فى الآخرة أشد من خسرانهم فى الدنيا لدوام العذاب عليهم فى الآخرة (قوله بشدة) أخذ ذلك من تشديد الفعل (قوله من لدن حكيم عليم) أى من عند من يضع الشىء فى محله العالم بالكليات والجزئيات فذكر وصف العلم بعد الحكمة من ذكر العام بعد الخاص (قوله اذكر) قدره إشارة إلى أن قوله إذ قال ظرف لمحذوف . والمعنى اذكر يا محمد لقومك قصة موسى وما وقع له (قوله زوجته) أى بنت شعيب أى وولده وخادمه (قوله عند مسيره من مدين) أى ليجتمع بأمه وأخيه بمصر وكان فى ليلة مظلمة باردة مثلجة وقد ضل عن الطريق وأخذ زوجته الطلق (قوله وكان قد ضلها) أى تاه عنها (قوله أو آتيكم) أو مانعة خلو تجوز الجمع (قوله أى شعلة نار) أى شعلة مقتبسة من النار فالاضافة لبيان الجنس كما قال المفسر لأن الشهاب يكون من النار وغيرها كالكوكب (قوله بدل من تاء الافتعال) أى لأنها وقعت بعد الصاد وهى من حروف الاطباق فقلبت طاء على القاعدة المعلومة (قوله بكسر اللام) أى من باب تعب وقوله وفتحها أى من باب رمى (قوله نودى) أى ناداه الله (قوله أى بأن) أشار بذلك إلى أن أن مصدرية وما بعدها فى تأويل مصدر وحرف الجر مقدر قبلها أى نودى ببركة من فى النار الخ أى بتقديسه وتطهيره مما يشغل قلبه عن غير الله وتخليصه للنبوة والرسالة : أى ناداه الله بأنا قدسناك وطهرناك واخترناك للرسالة كما تقدم فى طه حيث قال وأنا اخترتك الخ (قوله من فى النار) هو نائب فاعل بورك وهذه تحية لموسى وتكرمة له (قوله أو العكس) أى فتفسر من الأولى بالملائكة والثانية بموسى ، وعلى هذا التفسير فلا يحتاج لتقدير مضاف (قوله يتعدى بنفسه) أى فيقال باركك الله (قوله و بالحرف) أى اللام وفى وعلى .

(قوله ويقدر بعد في مكان) أي على التفسير الأول فيقال أن بورك من في مكان النار ، وإنما احتيج لهذا التقدير لأن موسى إذ ذاك لم يكن في النار حقيقة بل كان في المكان القريب منها (قوله من جملة مانودي) أي أتى به وإنما أتى بالتنزيه هنا لدفع مايتوهم أن الكلام الذي سمعه في ذلك المكان بحرف وصوت أو كون الله في مكان أوجهة (قوله وألق عصاك) لم يقل هنا وأن كما في القصص لأنه هنا ذكر بعد أن فعل فحسن عطف ألق عليه وما يأتى لم يذكر فقصد عطف وأن ألق على قوله أن ياموسى إني أنا الله (قوله تهتز) حال من ضمير رآها (قوله حية خفيفة) أي في سرعة الحركة فلا ينافي عظم جثتها (قوله يرجع) أي لم يرجع على عقبه (قوله لاتخف منها) أي لأنك في حضرتي ومن كان فيها فهو آمن لايخطر بباله خوف من شيء (قوله لكن من ظلم الخ) أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع ومن ظلم مبتدأ وقوله فإني غفور خبره (قوله أتاه) أي عمله (قوله طوق القميص) إنما لم يأمره بادخالها في كمه لأنه كان عليه مدرعة صغيرة من صوف لا كم لها وقيل لها كم قصير (قوله تخرج بيضاء) جواب لقوله أدخل (قوله لها شعاع) أي لمعان وإشراق (قوله آية) أشار بذلك إلى أن في تسع آيات في محل نصب متعلق بمحذوف حال أخرى من ضمير تخرج ، وقد صرح بهذا المحذوف في سورة طه حيث قال هناك

ويقدر بعد في مكان (وَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) من جملة ما نودي ، ومعناه تنزيه الله من السوء (يَا مُوسَى إِنَّهُ) أي الشأن (أَنَا اللهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ . وَأَلْقِ عَصَاكَ) فألقاها (فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ) تتحرك (كَأَنَّهَا جَانٌّ) حية خفيفة (وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ) يرجع قال تعالى (يَا مُوسَى لَا تَخَفْ) منها (إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ) عندي (الْمُرْسَلُونَ) من حية وغيرها (إِلَّا) لكن (مَنْ ظَلَمَ) نفسه (ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا) أتاه (بَعْدَ سُوءٍ) أي تاب (فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ) أقبل التوبة وأغفر له (وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ) طوق القميص (تَخْرُجْ) خلاف لونها من الأدمة (بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ) برص لها شعاع يغشى البصر آية (فِي تِسْعِ آيَاتٍ) مرسلا بها (إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ . فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً) أي مضيئة واضحة (قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ) بين ظاهر (وَجَحَدُوا بِهَا) أي لم يقروا (وَ) قد (اسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ) أي تيقنوا أنها من عند الله (ظُلْمًا وَعُلُوًّا) تكبرا عن الإيمان بما جاء به موسى راجع إلى الجحد (فَانْظُرْ) يا محمد (كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ) التي علمتها من إهلاكهم (وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ) ابنه (عِلْمًا) بالقضاء بين الناس ومنطق الطير وغير ذلك (وَقَالَا) شكرا لله (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا) بالنبوة وتسخير الجن والإنس والشياطين (عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ .

تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى ، فالمعنى هنا حال كونها آية مندرجة في جملة الآيات التسع (قوله إلى فرعون) متعلق بما قدره المفسر وقوله إنهم كانوا الخ تعليل لذلك المقدر (قوله فلما جاءتهم آياتنا) أي جاءهم موسى بها وقوله مبصرة اسم فاعل والمراد به المفعول أطلق اسم الفاعل على المفعول إشعارا بأنها لفرط وضوحها وإنارتها كأنها تبصر نفسها (قوله أي مضيئة) أي إضاءة معنوية في جميعها وحسية في بعضها وهو اليد (قوله قالوا هذا) أي مانشاهده من الخوارق التي أتى بها موسى (قوله واستيقنتها أنفسهم) حال من الواو في جحدوا ، ولذا قدر فيه قد (قوله أي تيقنوا الخ) أشار به إلى أن السين زائدة (قوله راجع إلى الجحد) أي على أنه علة له (قوله كيف كان عاقبة المفسدين) كيف خبر مقدم لكان وعاقبة اسمها مؤخر والجملة في محل نصب على إسقاط الخافض (قوله من إهلاكهم) أي بالاغراق على الوجه الهائل الذي هو عبرة للعالمين (قوله ولقد آتينا داود وسليمان) هو بالمد بمعنى أعطينا وهو شروع في ذكر القصة الثانية وكان لداود تسعة عشر ولدا أجلهم سليمان ، وعاش داود مائة سنة وسليمان ابنه نيفا وخمسين سنة ، وبين داود وموسى خمسمائة سنة وتسع وستون سنة وبين سليمان ومحمد صلى الله عليه وسلم ألف وسبعمائة سنة (قوله بالقضاء بين الناس) أي وهو علم الشرائع (قوله ومنطق الطير) أي تصويته (قوله وغير ذلك) أي كتسبيح الجبال (قوله وقالا الحمد لله) أي شكر كل منهما ربه على ما أنعم عليه به (قوله الذي فضلنا) أي أعطانا هذا الفضل العظيم (قوله وتسخير الجن والانس الخ) ظاهره أن هذا كان لكل من داود وسليمان وهو كذلك إلا أن سليمان فاق أباه وكانت له السلطنة الظاهرة (قوله على كثير من عباده المؤمنين) أي الذين لم يؤتوا مثلنا

وورث

وهذه مزية وهى لاتقتضى الأفضلية ، فداود وسليمان وإن أعطيا تلك المزايا فألو العزم أفضل منهما لأن التفضيل من الله لا بالمزايا (قوله وورث سليمان داود) أى قام مقامه فى ذلك دون سائر بنيه التسعة عشر مع كون النبوّة والعطايا التى مع داود مستمرة معه وليس المراد أن نبوّة داود وعطاياه انتقلت منه لسليمان وصار داود بلا شئ (قوله وقال يأيها الناس) أى قال سليمان لبنى إسرائيل شكرا لله على نعمه (قوله علمنا منطق الطير) أى فهمنا الله أصوات الطير ، ولا مفهوم للطير ، بل كان الزرع والنبات يكلمه و يفهم كلامه ، ورد أن سليمان كان جالسا إذ مر به طائر يطوف فقال لجلسائه أتدرون مايقول هذا الطائر إنه قال لى السلام عليك أيها الملك المسلط والنبى لبنى إسرائيل أعطاك الله الكرامة وأظهرك على عدوك إنى منطلق إلى أفراخى ثم أمر بك الثانية ، إنه سيرجع إلينا الثانية ثم رجع فقال لهم يقول السلام عليك أيها الملك المسلط إن شئت أن تأذن لى كيما أكتسب على أفراخى حتى يشبوا ثم آتيك فافعل بى ماشئت فأخبرهم سليمان بما قال وأذن له فانطلق ، ومر سليمان على بلبل فوق شجرة يحرك رأسه و يميل ذنبه فقال لأصحابه أتدرون مايقول هذا البلبل قالوا لايانبى الله قال إنه يقول أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء ، ومر بهدهد فوق شجرة وقد نصب له صبى فخا فقال له سليمان احذر فقال الهدهد يانبى الله هذا صبى ولاعقل له فأنا أسخر به ثم رجع سليمان فوجده قد وقع فى حبالة الصبى وهو فى يده فقال له ماهذا قال مارأيتها حتى وقعت بها يانبى الله قال و يحك فأنت ترى الماء تحت الأرض أماترى الفخ فقال يانبى الله إذا نزل القضاء عمى البصر ، وصاح ورشان عند سليمان بن داود فقال سليمان أتدرون مايقول قالوا لا قال إنه يقول : لدوا للموت وابنوا للخراب ، وصاحت فاختة فقال أتدرون ماتقول قالوا لا قال إنها تقول ليت الخلق لم يخلقوا وليتهم إذ خلقوا علموا ماخلقوا له ، وصاح عنده طاوس فقال أتدرون مايقول قالوا لا قال إنه يقول كما تدين تدان ، وصاح عنده هدهد فقال أتدرون مايقول قالوا لا قال إنه يقول إن من لايرحم لايرحم ، وصاح عنده صرد فقال أتدرون

﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ ﴾ النبوة والعلم دون باقى أولاده ﴿ وَقَالَ يَـٰٓأَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ ﴾ أى فهم أصواته ﴿ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ﴾ تؤتاه الأنبياء والملوك ﴿ إِنَّ هَـٰذَا ﴾ المؤتى ﴿ لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴾ البين الظاهر ﴿ وَحُشِرَ ﴾ جمع ﴿ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُۥ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ ﴾ فى مسير له ﴿ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ :

مايقول قالوا لا قال إنه يقول استغفروا الله يامذنبون فمن ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتله ، وقيل إن الصرد هو الذى دل آدم على مكان البيت ، ولذلك يقال له الصرد الصرام ، وصاحت عنده طيطوى فقال أتدرون ماتقول قالوا لا قال إنها تقول كل حى ميت وكل جديد بال ، وصاحت عنده خطافة فقال أتدرون ماتقول قالوا لا قال إنها تقول قدموا خيرا تجدوه فمن ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتلها . وقيل إن آدم خرج من الجنة فاشتكى إلى الله تعالى الوحشة فآنسه الله بالخطاف وألزمها البيوت فهى لاتفارق بنى آدم أنسا لهم ، قال ومعها أربع آيات من كتاب الله لو أنزلنا هذا القرآن على جبل إلى آخرها وتمد صوتها بقوله العزيز الحكيم . وهدرت حمامة عند سليمان فقال أتدرون ماتقول قالوا لا قال إنها تقول سبحان ربى الأعلى عدد مافى السموات والأرض ، وصاح قمرى عند سليمان فقال أتدرون مايقول قالوا لا قال إنه يقول سبحان ربى العظيم المهيمن ، قال كعب وحدثهم سليمان فقال الغراب يقول اللهم العن العشار ، والحدأ يقول كل شئ هالك إلا وجهه ، والقطاة تقول من سكت سلم ، والببغاء تقول و يل لمن الدنيا همه ، والضفدع تقول سبحان ربى القدوس ، والبازى يقول سبحان ربى و بحمده ، والسرطان يقول سبحان المذكور بكل مكان ، وصاح دراج عند سليمان فقال أتدرون مايقول قالوا لا قال إنه يقول الرحمن على العرش استوى ، وقال النبى صلى الله عليه وسلم «الديك إذا صاح قال اذكروا الله ياغافلون» وقال النبى صلى الله عليه وسلم «النسر إذا صاح قال يا ابن آدم عش ماشئت فآخرك الموت» و إذا صاح العقاب قال فى البعد من الناس راحة ، و إذا صاح القنبر قال إلهى العن مبغض آل محمد ، وإذا صاح الخطاف قال الحمد لله رب العالمين إلى آخرها فيقول ولا الضالين فيمد بها صوته كما يمد القارئ (قوله وأوتينا من كل شئ) قال ذلك تحدثا بنعمة الله وشكرا على ما أعطاه (قوله وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس) أى من الأماكن البعيدة وكان له نقباء ترد أول العسكر على آخره لئلا يتقدموا فى السير قال محمد بن كعب القرظى كان عسكر سليمان عليه السلام مائة فرسخ فى مائة فرسخ خمسة وعشرون منها للانس وخمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للوحش وخمسة وعشرون للطير وقيل نسجت له الجن بساطا من ذهب وحرير فرسخا فى فرسخ وكان يوضع كرسيه

فى وسطه فيقعد وحوله كراسى من ذهب وفضة فيقعد الأنبياء على كراسى الذهب والعلماء على كراسى الفضة والناس حوله والجن والشياطين حول الناس والوحش حولهم وتظلله الطير بأجنحتها حتى لايقع عليه شمس وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلثمائة منكوحة يعنى حرة وسبعمائة سرية فيأمر الريح العاصف فترفعه ثم يأمر الرخاء فتسير به ، وروى عن كعب الأحبار أنه قال كان سليمان إذا ركب حمل أهله وخدمه وحشمه ، وقد اتخذ مطابخ ومخابز فيها تنانير الحديد والقدور العظام تسع كل قدر عشرة من الابل فتطبخ الطباخون وتخبز الخبازون وهو بين السماء والأرض ، واتخذ ميادين للدواب فتجرى بين يديه والريح تهوى فسار من إصطخر يريد اليمن فسلك على مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما وصل إليها قال سليمان : هذه دار هجرة نبى يكون آخر الزمان طوبى لمن آمن به وطوبى لمن اتبعه ، ولما وصل مكة رأى حول البيت أصناما تعبد فجاوزه سليمان فلما جاوزه بكى البيت فأوحى الله إليه مايبكيك قال يارب أبكانى أن هذا نبى من أنبيائك ومعه قوم من أوليائك مروا على ولم يصلوا عندى والأصنام تعبد حولى من دونك فأوحى الله إليه لاتبك فانى سوف أملؤك وجوها سجدا وأنزل فيك قرآنا جديدا وأبعث منك نبيا فى آخر الزمان أحب أنبيائى إلى وأجعل فيك عمارا من خلقى يعبدوننى أفرض عليهم فريضة يحنون إليك حنين الناقة إلى ولدها والحمامة إلى بيضها وأطهرك من الأوثان والأصنام وعبدة الشيطان، ثم مضى سليمان حتى مر بوادى النمل (قوله يجمعون ثم يساقون) أى يمنعون من التقدم حتى يجتمعوا ثم يؤمرون بالسير (قوله حتى إذا أتوا) غاية لمحذوف أى فساروا مشاة على الأرض وركبانا حتى إذا أتوا الخ (قوله نمله صغار) أى وهو المعروف وقوله أو كبار أى كالبخاتى أو الذئاب (قوله قالت نملة) قيل اسمها طاحية ، وقيل جرمى حكى الزمخشرى عن أبى حنيفة رضى الله عنه أنه وقف على قتادة وهو يقول سلونى فأمر أبو حنيفة شخصا سأل قتادة عن نملة سليمان هل كانت ذكرا أو أنثى فلم يجب فقيل لأبى حنيفة فى ذلك فقيل كانت أنثى واستدل بلحاق العلامة ، قال بعضهم : وفيه نظر لأن لحاق التاء فى قالت لايدل على أنها

مؤنثة لأن تاءه للوحدة لا للتأنيث وحينئذ فيصح أن يقال قال نملة وقالت نملة، وما استدل به أبو حنيفة يفيد الظن لا التحقيق (قوله وقد رأت جند سليمان) أى من ثلاثة أميال بدليل قوله لا الآتى وقد سمعه من ثلاثة أميال (قوله يأيها النمل الخ) اشتمل هذا القول على أحد عشر نوعا من البلاغة ، أولها النداء بيا ثانيها لفظ أى . ثالثها التنبيه . رابعها التسمية بقولها النمل . خامسها الأمر بقولها ادخلوها . سادسها التنصيص بقولها مساكنكم . سابعها التحذير بقولها لايحطمنكم . ثامنها التخصيص بقولها سليمان . تاسعها التعميم بقولها وجنوده . عاشرها الاشارة بقولها وهم . حادى عشرها العذر بقولها لايشعرون، وكانت تلك النملة عرجاء ذات جناحين ، وهى من جملة الحيوانات العشرة التى تدخل الجنة، وهى براق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهدهد بلقيس ونملة سليمان وعجل إبراهيم وكبش ولده و بقرة بنى إسرائيل وكلب أهل الكهف وحمار العزير وناقة صالح وحوت يونس روى أن سليمان قال لها لم حذرت النمل أخفت من ظلمى أما علمت أنى نبى عدل فلم قلت لايحطمنكم سليمان وجنوده فقالت النملة أما سمعت قولى وهم لايشعرون مع أنى لم أرد حطم النفوس و إنما أردت حطم القلوب خشية أن يتمنين مثل ما أعطيت و يفتتن بالدنيا ويشتغلن بالنظر إلى ملكك عن التسبيح والذكر ، فلما تكلمت مع سليمان مضت مسرعة إلى قومها فقالت هل عندكم من شىء نهديه إلى نبى الله قالوا وما قدر مانهدى له والله ماعندنا إلا نبقة واحدة فقالت حسنة ائتونى بها فأتوها بها فحملتها بفيها وانطلقت تجرها وأمر الريح فحملتها وأقبلت تشق الجن والانس والعلماء والأنبياء على البساط حتى وقفت بين يديه ووضعت تلك النبقة من فيها فى فيه وأنشأت تقول :

ألم ترنا نهدى إلى الله ماله	وإن كان عنه ذا غنى فهو قابله
ولو كان يهدى للجليل بقدره	لأقصر عنه البحر يوما وساحله
ولكننا نهدى إلى من نحبه	فيرضى بها عنا و يشكر فاعله
وما ذاك إلا من كريم فعاله	وإلا فما فى ملكنا من يشاكله

فقال لها : بارك الله فيكم ، فهم بتلك الدعوة أشكر خلق الله وأكثر خلق الله . والنمل حيوان معروف شديد

يجمعون ثم يساقون (حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ) هو بالطائف أو بالشام نمله صغار أو كبار (قَالَتْ نَمْلَةٌ) ملكة النمل وقد رأت جند سليمان (يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ ،

لَا يَحْطِمَنَّكُمْ) لا يكسرنكم (سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) نزل النمل منزلة العقلاء فى الخطاب بخطابهم (فَتَبَسَّمَ) سليمان ابتداء (ضَاحِكًا) انتهاء (مِنْ قَوْلِهَا) وقد سمعه من ثلاثة أميال حملته إليه الريح فحبس جنده حين أشرف على واديهم حتى دخلوا بيوتهم وكان جنده ركبانا ومشاة فى هذا السير (وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي) ألهمنى (أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ) بها (عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ) الأنبياء والأولياء (وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ) ليرى الهدهد الذى يرى الماء تحت الأرض ويدل عليه بنقره فيها فتستخرجه الشياطين لاحتياج سليمان إليه للصلاة فلم يره (فَقَالَ مَالِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ) أى أعرض لى مامنعنى من رؤيته ؟ (أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ) فلم أره لغيبته ، فلما تحققها قال (لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا) تعذيبا (شَدِيدًا) بنتف ريشه وذنبه ورميه فى الشمس فلا يمتنع من الهوام (أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ) بقطع حلقومه (أَوْ لَيَأْتِيَنِّي) بنون مشددة مكسورة أو مفتوحة يليها نون مكسورة (بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ) ببرهان بين ظاهر على عذره ،

الاحساس والشم حتى أنه يشم الشئ من بعيد ويدخر قوته ، ومن شدة إدراكه أنه يفلق الحبة فلقتين خوفا من الإنبات ويفلق حبة الكزبرة أربع فلق لأنها إذا فلقت فلقتين نبتت ، ويأكل فى عامه نصف ماجمع ويستبقى باقيه عدة (قوله لايحطمنكم) فيه وجهان أحدهما أنه نهى والثانى أنه جواب الأمر (قوله وهم لايشعرون) جملة حالية (قوله فتبسم ضاحكا) مفرع على محذوف تقديره فسمع قولها المذكور فتبسم ، وكان سبب ضحكه شيئين أحدهما مادل على ظهور رحمته ورحمة جنوده وشفقتهم من قولها وهم لايشعرون الثانى سروره بما آتاه الله مالم يؤت أحدا من إدراك سمعه ماقالته النملة (قوله ابتداء الخ) أى فالتبسم انفتاح الفم من غير صوت والضحك انفتاحه مع صوت خفيف والقهقهة انفتاحه مع صوت قوى وهى لاتكون من الأنبياء (قوله فى هذا السير) أى فى خصوص سيره على وادى النمل وكان هو وجنوده فى غير هذا المكان راكبين على البساط وتسير بهم الريح (قوله وعلى والدى) إنما ذكر نعمة والديه تكثيرا للنعمة ليزداد فى الشكر عليها (قوله فى عبادك الصالحين) على حذف مضاف أى فى جملة عبادك ، أو فى بمعنى مع والمراد الكاملون فى الصلاح لأن الصلاح مقول بالتشكيك فما من مقام إلا وفوقه أعلى منه والكامل يقبل الكمال (قوله وتفقد الطير) شروع فى القصة الثالثة والمعنى نظر فى الطير فلم ير الهدهد ، وكان سبب سؤاله عن الهدهد أنه كان دليل سليمان على الماء وكان يعرف موضع الماء ويرى الماء تحت الأرض كما يرى فى الزجاجة ويعرف قربه وبعده فينقر فى الأرض ثم تجيء الشياطين فيحفرونه ويستخرجون الماء فى ساعة يسيرة ، قيل لما ذكر ذلك ابن عباس قيل له إن الصبى يضع له فخا ويحثو عليه التراب فيجيء الهدهد وهو لا يبصر الفخ حتى يقع فى عنقه فقال ابن عباس إذا نزل القضاء والقدر ذهب اللب وعمى البصر قيل ولم يكن له فى مسيره إلا هدهد واحد (قوله فتستخرجه الشياطين) أى بأن تسلخ وجه الأرض عن الماء كما تسلخ الشاة (قوله مالى لاأرى الهدهد) استفهام استخبار (قوله أم كان من الغائبين) أم منقطعة تفسر ببل والهمزة كأنه لما لم يره ظن أنه حاضر ولايراه لساتر أو غيره فقال مالى لا أرى الهدهد ثم احتاط فظهر له أنه غائب فأضرب عن ذلك وهو إضراب انتقالى (قوله لأعذبنه عذابا شديدا) الحلف على أحد الأولين بتقدير عدم الثالث فأو بين الكلمتين الأولين للتخيير وفى الثالث للترديد بينه و بينهما فهى فى الأخير بمعنى إلا (قوله بنتف ريشه) هذا أحد أقوال فى معنى التعذيب ، وقيل هو أن يحشره مع غير أبناء جنسه ، وقيل هو أن يطلى بالقطران ويوضع فى الشمس (قوله بنون مشددة الخ) أى والقراءتان سبعيتان (قوله بسلطان مبين) أى حجة ظاهرة على غيبته ، والسبب فى غيبة الهدهد أن سليمان عليه السلام لما فرغ من بناء بيت المقدس عزم على الخروج إلى أرض الحرم فتجهز للسير واستصحب جنوده من الجن والانس والطير والوحش فحملتهم الريح ، فلما وافى الحرم أقام ماشاء الله أن يقيم أى من غير صلاة بالكعبة كراهة فى الأصنام ولم يكن مأمورا بتكسيرها فاندفع التعارض بين ماهنا وما تقدم ، وكان ينحر فى كل يوم طول مقامه خمسة آلاف ناقة ويذبح خمسة آلاف ثور وعشرين ألف شاة ، وقال لمن حضره من أشراف قومه إن هذا المكان يخرج منه نبى عربى صفته كذا وكذا ويعطى النصر على جميع من عاداه وتبلغ هيبته مسافة شهر القريب والبعيد عنده

فى الحق سواء لاتأخـذه فى الله لومة لائم قالوا فبأى دين يدين يانبى الله قال بدين الله الحنيفية فطوبى لمن أدركه وآمن به قالوا كم بيننا و بين خروجه يانبى الله ؟ قال مقدار ألف سنة فليبلغ الشاهد الغائب فانه سيد الأنبياء وخاتم الرسل قال فأقام بمكة حتى قضى نسكه ، ثم خرج من مكة صباحا وسار نحو اليمن فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى أرضا حسناء تزهو خضرتها فأحب النزول بها ليصلى و يتغدى ، فلما نزل قال الهدهد قد اشتغل سليمان بالنزول فارتفع نحو السماء ينظر إلى طول الدنيا وعرضها ففعل ذلك فبينما هو ينظر يمينا وشمالا رأى بستانا لبلقيس فنزل إليـه فاذا هو بهدهد آخر وكان اسم هدهد سليمان يعفور وهدهد اليمن عفير فقال عفير ليعفور من أين أقبلت ؟ قال أقبلت من الشام مع صاحبى سليمان بن داود قال ومن سليمان ؟ قال ملك الانس والجن والشياطين والطير والوحش والرياح فمن أين أنت قال عفير أنا من هذه البلاد قال ومن ملـكها قال امرأة يقال لها بلقيس و إن لصاحبك ملـكا عظيما ولـكن ليس ملك بلقيس دونه فانها تملك اليمن وتحت يدها أربعمائة ملك كل ملك على كورة مع كل ملك أربعة آلاف مقاتل ولها ثلثمائة وزير يدبرون ملـكها ولها اثنا عشر قائدا مع كل قائد اثنا عشر ألف مقاتل فهل أنت منطلق معى حتى تنظر إلى ملـكها قال أخاف أن يتفقدنى سليمان فى وقت الصلاة إذا احتاج الماء قال الهدهد اليمانى إن صاحبك يسره أن تأتيه بخبر هذه الملكة فانطلق معه ونظر إلى بلقيس وملـكها . وأما سليمان فانه نزل على غير ماء فسأل عن الماء الجن والانس فلم يعلموا فتفقد الهدهد فلم يره فدعا بعريف الطير وهو النسر فسأله عن الهدهد فقال أصلح الله الملك ماأدرى أين هو وما أرسلته إلى مكان ، فغضب سليمان وقال لأعذبنه عذابا شديدا الآية ، ثم دعا بالعقاب وهو أشد الطير طيرانا فقال له علىّ بالهدهد الساعة فارتفع العقاب فى الهواء حتى نظر إلى الدنيا كالقصعة بين يدى أحدكم ثم التفت يمينا وشمالا فرأى الهدهد (١٨٠) مقبلا من نحو اليمن فانقضّ العقاب يريده وعلم الهدهد أن العقاب يقصـــده بسوء ، فقال بحق الذى قواك وأقدرك على الامارحمتنى ولم تتعرض لى بســوء فتركه العقاب وقال ويلك ثكلتك أمك إن نبى الله قد حلف أن يعــذبك أو يذبحك فصارا متوجهين نحو سليمان عليه السلام ، فلما انتهيا إلى العسكر تلقاه النسر والطير وقالا له ويلك أين غبت فى يومك هـذا فلقد توعدك نبى الله وأخبراه بما قال سليمان ، فقال الهدهد أو مااستثنى نبى الله فقالوا بلى إنه قال أو ليأتينى بسلطان مبـين فقال نجوت إذا وكانت غيبته من الزوال ولم يرجع إلا بعـد العصر فانطلق به العقاب حتى أتيا سليمان وكان قاعدا على كرسيه فقال العقاب قد أتيتك به يانبى الله فلما قرب منه الهدهد رفع رأسه وأرخى ذنبه وجناحيه يجرهما على الأرض تواضعا لسليمان عليه الصلاة والسلام ، فلما دنا منـه أخذ برأسه فمده إليه وقال له أين كنت لأعذبنك عـذابا شديدا فقال يانبى الله اذكر وقوفك بين يدى الله عزّ وجلّ ، فلما سمع سليمان عليـه الصلاة والسلام ذلك ارتعد وعفا عنه ثم سأله ماالذى أبطأك عنى فقال الهدهد أحطت بما لم تحط به إلى آخره (قوله فمكث) أى الهدهد (قوله بضم الـكاف وفتحها) أى فهما قراءتان سبعيتان والأول من باب قرب والثانى من باب نصر (قوله أى يسيرا من الزمان) أى وهو من الزوال إلى العصر (قوله فعفا عنه) أى من أول الأمر قبل أن يذكر العذر (قوله وسأله عما لقى فى غيبته) قدره اشارة إلى أن قوله فقال أحطت الخ مفرع على محـذوف (قوله فقال أحطت بما لم تحط به) أى علمت مالم تعلمه أنت ولاجنودك ، وفى هذا تنبيه على أن الله تعالى أرى سليمان عجزه لـكونه لم يعلم ذلك مع كون المسافة قريبة وهى ثلاث مراحل (قوله بالصرف وتركه) أى فهما قراءتان سبعيتان فالصرف نظرا إلى أنه اسم رجل وتركه نظرا إلى أنه اسم القبيلة للعلمية والتأنيث (قوله اسمها بلقيس) بالـكسر بنت شراحيل من نسل يعرب بن قحطان وكان أبوها ملـكا عظيم الشأن قد ولد له أربعون ملـكا هى آخرهم وكان الملك يملك أرض اليمن كلها يقول لملوك الأطراف ليس أحد منـكم كفؤا لى وأبى أن يتزوج منهم فخطب إلى الجن فزوجوه امرأة منهـم يقال لها ريحانة بنت السكن ، قيل فى سبب وصوله إلى الجن حتى خطب إليهم انه

(فَمَكُثَ) بضم الكاف وفتحها (غَيْرَ بَعِيدٍ) أى يسيرا من الزمان وحضر لسليمان متواضعا برفع رأسه و إرخاء ذنبه وجناحيه فعفا عنه وسأله عما لقى فى غيبته (فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ) أى اطلعت على مالم تطلع عليه (وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ) بالصرف وتركه ، قبيلة باليمن سميت باسم جدّ لهم باعتباره صرف (بِنَبَإٍ) خبر (يَقِينٍ . إِنِّى وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ) أى هى ملكة لهم اسمها بلقيس ، (وأوتيت

كان كثير الصيد فربما اصطاد من الجن وهم على صورة الظباء فيخلى عنهم فظهر له ملك الجن وشكره على ذلك واتخذه صديقا فخطب ابنته فزوجه إياها (قوله وأوتيت من كل شئ) عطف على قوله تملكهم لأنه بمعنى ملكتهم . قال ابن عباس كان يخدمها سمائة امرأة (قوله يحتاج إليه الملوك) أشار بذلك إلى أن قوله من كل شئ عام أريد به الخصوص (قوله ولها عرش عظيم) أى تجلس عليه أو وصفه بالعظم بالنسبة إلى ملوك الدنيا ، وأما وصف عرش الله بالعظم فهو بالنسبة إلى جميع المخلوقات من السموات والأرض وما بينهما فحصل الفرق (قوله طوله ثمانون ذراعا الخ) وقيل طوله ثمانون وعرضه كذلك وارتفاعه فى الهواء كذلك (قوله عليه سبعة أبواب) صوابه أبيات بدليل قوله على كل بيت باب مغلق (قوله يسجدون للشمس) أى فهم مجوس (قوله فهم لا يهتدون أن لايسجدوا لله الخ) ذكر ذلك ردا على من يعبد الشمس وغيرها من دون الله لأنه لايستحق العبادة إلا من هو قادر على من فى السموات والأرض عالم بجميع المعلومات (قوله أى أن يسجدوا له) أشار بذلك إلى أنه على هذه القراءة تكون أن ناصبة ولا زائدة و يسجدوا فعل مضارع منصوب بأن وعلامة نصبه حذف النون والواو فاعل ، وعليها فلا يجوز الوقف على يهتدون لأنه من تمته كأنه

(وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ) يحتاج إليه الملوك من الآلة والعدة (وَلَهَا عَرْشٌ) سرير (عَظِيمٌ) طوله ثمانون ذراعا وعرضه أربعون ذراعا وارتفاعه ثلاثون ذراعا مضروب من الذهب والفضة مكلل بالدر والياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر والزمرد وقوائمه من الياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر والزمرد عليه سبعة أبواب على كل بيت باب مغلق (وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ) طريق الحق (فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ . أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ) أى أن يسجدوا له فزيدت لا وأدغم فيها نون أن كما فى قوله تعالى : لئلا يعلم أهل الكتاب ، والجملة فى محل مفعول يهتدون باسقاط إلى (الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ) مصدر بمعنى المخبوء من المطر والنبات (فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا يُخْفُونَ) فى قلوبهم (وَمَا يُعْلِنُونَ) بألسنتهم (اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ) استئناف جملة ثناء مشتمل على عرش الرحمن فى مقابلة عرش بلقيس و بينهما بون عظيم (قَالَ) سليمان للهدهد (سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ) فيما أخبرتنا به (أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ) أى من هذا النوع فهو أبلغ من أم كذبت فيه ثم دلهم على الماء فاستخرج وارتووا وتوضئوا وصلوا ثم كتب سليمان كتابا صورته : من عبد الله سليمان بن داود إلى بلقيس ملكة سبأ : بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من اتبع الهدى أما بعد ،

قال فهم لا يهتدون إلى أن يسجدوا الخ وقرأ الكسائى بتخفيف ألا ، وتوجيهها أن يقال إن ألا للافتتاح ويا حرف تنبيه واسجدوا فعل أمر لكن سقطت ألف يا وهمزة الوصل من اسجدوا خطا ووصلت الياء بسين اسجدوا فاتحدت القراءتان لفظا وخطا ، وهناك وجه آخر فى هذه القراءة وهو أن يا حرف نداء والمنادى محذوف والتقدير ألا ياهؤلاء وهو ضعيف لئلا يؤدى إلى حذف كثير من غير ما يدل على المحذوف (قوله من المطر والنبات) لف ونشر مرتب فالمطر هو المخبوء فى السموات والنبات هو المخبوء فى الأرض (قوله الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم) اعلم أن ماذكره الهدهد من قوله الذى يخرج الخبء إلى هنا إنما هو بيان لحقيقة عقيدته وعلومه التى اقتبسها من سليمان وليس داخلا تحت قوله أحطت بما لم تحط به ، وإنما ذكر الهدهد ذلك ليغرى سليمان على قتالهم وليبين أنه لم يكن عنده ميل لهم بل إنما غرضه وصف ملكها (قوله و بينهما بون) أى فضل ومزية (قوله قال سننظر) هذه الجملة مستأنفة واقعة فى جواب سؤال مقدر تقديره فماذا قال سليمان للهدهد حين أخبره بالخبر (قوله فهو أبلغ من أم كذبت) أى لأنه يفيد أنه إن كان كاذبا فى هذه الحادثة كان معدودا من الكاذبين ومحسوبا منهم ، والكذب له عادة ، وليست فلتة يعفى عنه فيها ، لأن الكذب على الأنبياء أمره عظيم (قوله من عبد الله) خص هذا الوصف لأنه أشرف الأوصاف وقدم اسمه على البسملة لأنها كانت فى ذلك الوقت كافرة فخاف أن تستخف باسم الله فجعل اسمه وقاية لاسم الله تعالى (قوله السلام على من اتبع الهدى) أى أمان الله على من اتبع طريق الحق وترك الضلال .

(قوله فلا تعلوا علىّ) أى لاتتكبروا (قوله مسلمين) أى منقادين لدين الله ، وفى هذا الخطاب إشعار بأنه رسول من عند الله يدعوهم إلى دين الله وليس مطلق سلطان وإلا لقال وائتونى طائعين (قوله ثم طبعه بالمسك) أى جعل عليه قطعة منه كالشمع (قوله فألقه إليهم) إما بسكون الهاء أوكسرها من غير إشباع أو باشباع ثلاث قراآت سبعيات (قوله ماذا يرجعون) إن جعل انظر بمعنى انتظر فماذا بمعنى الذى ويرجعون صلته والعائد محذوف ويكون مامفعول يرجعون ، والمعنى انتظر الذى يرجعونه وإن جعل بمعنى تأمل وتفكر كانت ما استفهامية وذا بمعنى الذى ويرجعون صلتها والعائد محذوف والتقدير أى شئ الذى يرجعونه والموصول هو خبر ما الاستفهامية أوماذا كلها اسم واحد مفعول ليرجعون تقديره أى شئ يرجعون (قوله من الجواب) بيان لما (قوله وأتاها وحولها جندها الخ) وقيل أتاها فوجدها نائمة وقد غلقت الأبواب ووضعت المفاتيح تحت رأسها وكذلك كانت تفعل إذا رقدت فألقى الكتاب على نحرها ، وقيل كانت لها كوّة مستقبلة الشمس تقع فيها حين تطلع فإذا نظرت إليها سجدت لها فجاء الهدهد فسد الكوّة بجناحيه فارتفعت الشمس ولم تعلم فلما استبطأت الشمس

فلا تعلوا علىّ وائتونى مسلمين ثم طبعه بالمسك وختمه بخاتمه ثم قال للهدهد (اذْهَبْ بِكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ) أى بلقيس وقومها (ثُمَّ تَوَلَّ) انصرف (عَنْهُمْ) وقف قريبا منهم (فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ) يردون من الجواب فأخذه وأتاها وحولها جندها وألقاه فى حجرها فلما رأته ارتعدت وخضعت خوفا ثم وقفت على مافيه ثم (قَالَتْ) لأشراف قومها (يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بقلبها واوا مكسورة (أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ) مختوم (إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ) أى مضمونه (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . أ) ن (لَا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ . قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بقلبها واوا : أى أشيروا علىّ (فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا) قاضيته (حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ) تحضرون (قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ) أى أصحاب شدة فى الحرب (وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ) نا نطعك (قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا) بالتخريب (وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ) أى مرسلو الكتاب (وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ) من قبول الهدية أو ردّها إن كان ملكا قبلها أو نبيا لم يقبلها فأرسلت خدما ذكورا وإناثا ألفا بالسوية وخمسمائة لبنة من الذهب وتاجا مكللا بالجواهر ومسكا وعنبرا وغير ذلك مع رسول بكتاب ، فأسرع الهدهد إلى سليمان يخبره الخبر .

فأمر

قامت تنظر فرمى بالصحيفة إليها (قوله فلما رأته ارتعدت) أى حين وجدت الكتاب مختوما ارتعدت لأن ملك سليمان كان فى خاتمه وعرفت أن الذى أرسل الكتاب أعظم ملكا منها فقرأت الكتاب وتأخر الهدهد غير بعيد وجاءت حتى قعدت على سرير ملكها وجمعت أشراف قومها (قوله بقلبها واوا مكسورة) المناسب أن يقول وتسهيل الثانية بين الهمزة والياء أوقلبها واوا الخ فالقراآت ثلاث سبعيات (قوله إنى ألقى إلىّ الخ) لم تذكر صورة الكتاب بل اقتصرت على مافيه الفائدة لشدة معرفتها و بلاغة لفظها

(قوله كريم) أى مكرّم معظم (قوله مختوم) أى لأن الكتاب المختوم يشعر بالاعتناء بالمرسل إليه لما ورد « من كتب إلى أخيه كتابا ولم يختمه فقد استخفّ به » (قوله إنه من سليمان) جملة مستأنفة وقعت جوابا لسؤال مقدّر تقديره ماذا مضمونه (قوله قالت يأيها الملأ) أى الأشراف ، سموا بذلك لأنهم يملئون العين بمهابتهم وكانوا ثلثمائة واثنى عشر لكل واحد منهم عشرة آلاف من الأتباع (قوله ما كنت قاطعة أمرا) أى إن عادتى معكم لاأفعل أمرا حتى أشاوركم (قوله نحن أولوا قوّة الخ) استفيد من ذلك أنهم أشاروا عليها بالقتال أولا ثم ردّوا الأمر إليها (قوله نطعك) مجزوم فى جواب الأمر (قوله قالت إن الملوك الخ) أى فلم ترض بالحرب الذى أشاروا عليها به بل اختارت الصلح وبينت سببه (قوله إذا دخلوا قرية) أى عنوة (قوله بم يرجع المرسلون) أى منتظرة رجوع الرسل وعودهم إلىّ (قوله إن كان ملكا قبلها) أى وقاتلناه (قوله أو نبيا لم يقبلها) أى واتبعناه ، لأنها كانت لبيبة عاقلة تعرف سياسة الأمور (قوله ألفا بالسوية) أى خمسمائة ذكر وخمسمائة أنثى .

(قوله فأمر أن تضرب لبنات الذهب والفضة) أى كما يضرب الطين (قوله وأن تبسط من موضعه) أى توضع فى الأرض كالبلاط (قوله إلى تسعة فراسخ) أى وهو مسيرة يوم وثمن يوم (قوله وأن يبنوا) أى الجن (قوله عن يمين الميدان وشماله) أى وقصد بذلك إظهار البأس والشدة . وحاصل تفصيل تلك القصة أن بلقيس عمدت إلى خمسمائة غلام وخمسمائة جارية فألبست الجوارى لباس الغلمان الأقبية والمناطق وألبست الغلمان لباس الجوارى وجعلت فى أيديهم أساور الذهب وفى أعناقهم أطواق الذهب وفى آذانهم أقرطة وشنوفا مرصعات بأنواع الجواهر وحملت الجوارى على خمسمائة فرس والغلمان على خمسمائة برذون على كل فرس سرج من ذهب مرصع بالجواهر وأغشية الديباج ، وبعثت إليه لبنات من ذهب ولبنات من فضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت وأرسلت بالمسك والعنبر والعود ، وعمدت إلى حقة جعلت فيها درة ثمينة غير مثقوبة وخرزة جزع معوجة الثقب ودعت رجلا من أشراف قومها يقال له المنذر بن عمرو وضمت إليه رجالا من قومها أصحاب عقل ورأى سديد وكتبت مع المنذر كتابا تذكر فيه الهدية وقالت إن كنت نبيا فميز الوصفاء والوصائف وأخبرنا بما فى الحقة قبل أن تفتحها واثقب الدرة ثقبا مستويا وأدخل فى الخرز خيطا من غير علاج إنس ولا جن ، وأمرت بلقيس الغلمان فقالت إذا كلمكم سليمان فكلموه بكلام فيه تأنيث وتخنيث يشبه كلام النساء ، وأمرت الجوارى أن يكلمنه بكلام فيه غلظة يشبه كلام الرجال ، ثم قالت للرسول انظر إلى الرجل إذا دخلت عليه فان نظر إليك نظرا فيه غضب فاعلم أنه ملك فلا يهولنك منظره فأنا أعز منه وإن رأيت الرجل هاشا باشا لطيفا فاعلم أنه نبى فتفهم قوله ورد الجواب ، فانطلق الرسول بالهدايا وأقبل الهدهد مسرعا إلى سليمان عليه السلام فأخبره الخبر ، فأمر سليمان الجن أن يضربوا لبنا من الذهب والفضة ، ففعلوا وأمرهم بعمل ميدان مقدار تسعة فراسخ وأن يفرش فيه لبن الذهب والفضة وأن يخلوا قدر تلك اللبنات التى معهم وأن يعملوا حول الميدان حائطا مشرفا من الذهب والفضة ففعلوا ثم قال سليمان عليه السلام أى دواب البر والبحر أحسن ؟ فقالوا يانبى الله رأينا فى بحر كذا دواب مختلفة ألوانها لها أجنحة وأعراف ونواص قال على بها فأتوه بها قال شدوها عن يمين الميدان وشماله وقال للجن على بأولادكم فاجتمع منهم خلق كثير فأقامهم على يمين الميدان وشماله ثم قعد سليمان فى مجلسه على سريره ووضع أربعة آلاف كرسى على يمينه وعلى شماله وأمر الجن والانس والشياطين والوحوش والسباع والطير فاصطفوا فراسخ عن يمينه وشماله ، فلما دنا القوم من الميدان ونظروا إلى ملك سليمان ورأوا الدواب التى لم يروا مثلها تروث على لبن الذهب والفضة تقاصرت إليهم أنفسهم ووضعوا مامعهم من الهدايا ، وقيل إن سليمان لما فرش الميدان بلبنات الذهب والفضة ترك من طريقهم موضعا على قدر مامعهم من اللبنات ، فلما رأى الرسل موضع اللبنات خاليا خافوا أن يتهموا بذلك فوضعوا مامعهم من اللبن فى ذلك الموضع ، ولما نظروا إلى الشياطين هالهم مارأوا وفزعوا فقالت لهم الشياطين جوزوا لا بأس عليكم وكانوا يمرون على كراديس الانس والجن والوحش والطير حتى وقفوا بين يدى سليمان فأقبل عليهم بوجه طلق وتلقاهم ملقى حسنا وسألهم عن حالهم فأخبره رئيس القوم بما جاءوا به وأعطاه كتاب الملكة فنظر فيه وقال أين الحقة فأتى بها وحركها فجاءه جبريل عليه السلام فأخبره بما فيها فقال لهم إن فيها درة ثمينة غير مثقوبة وجزعة فقال الرسول صدقت فاثقب الدرة وأدخل الخيط فى الجزعة فقال سليمان من لى بثقبها وسأل الانس والجن فلم يكن عندهم علم ذلك ثم سأل الشياطين فقالوا ترسل إلى الأرضة فلما جاءت الأرضة أخذت شعرة فى فمها ودخلت فيها حتى خرجت من الجانب الآخر فقال لها سليمان عليه السلام: ماحاجتك ؟ قالت تصير رزقى فى الشجر فقال لها لك ذلك ثم قال من لهذه الخرزة ؟ فقالت دودة بيضاء أنا لها يانبى الله فأخذت الدودة خيطا فى فمها ودخلت الثقب حتى خرجت من الجانب الآخر ، فقال لها سليمان عليه السلام ماحاجتك ؟ قالت يكون رزقى فى الفواكه فقال لك ذلك ، ثم ميز بين الغلمان والجوارى بأن أمرهم أن يغسلوا وجوههم وأيديهم ، فجعلت الجارية تأخذ الماء بيدها وتضرب بها الأخرى وتغسل وجهها والغلام يأخذ الماء بيديه ويضرب به وجهه وكانت الجارية تصب الماء على باطن ساعدها والغلام يصبه على ظاهره فميز بين الغلمان والجوارى

فأمر أن تضرب لبنات الذهب والفضة وأن تبسط من موضعه إلى تسعة فراسخ ميدانًا وأن يبنوا حوله حائطًا مشرفًا من الذهب والفضة وأن يؤتى بأحسن دواب البر والبحر مع أولاد الجن عن يمين الميدان وشماله (فَلَمَّا جَاءَ) الرسول بالهدية ومعه أتباعه (سُلَيْمَانَ ،

ثم ردّ سليمان الهدية كما أخبر الله عنه بقوله ـ فلما جاء سليمان ـ الخ (قوله قال أتمدونن الخ) استفهام إنكار وتوبيخ : أى لاينبغى لكم ذلك (قوله وهم صاغرون) حال ثانية مؤكدة للأولى (قوله أى إن لم يأتونى مسلمين) أفاد بذلك أن يمين سليمان معلق على عدم إتيانهم مسلمين (قوله داخل سبعة أبواب) صوابه أبيات وتقدم أنه داخل سبعة أبيات فيكون حينئذ فى داخل أربعة عشر بيتا (قوله حرسا) بفتحتين جمع حارس (قوله قيل) بفتح القاف : أى ملك ، سمى بذلك لأنه ينفذ مايقول (قوله إلى أن قربت منه) أى من سليمان (قوله شعر بها) أى علم وذلك أنه خرج يوما فجلس على سريره فسمع رهجا قريبا منه فقال ماهذا ؟ قالوا بلقيس قد نزلت هنا بهذا المكان وكانت على مسيرة فرسخ من سليمان (قوله قال يا أيها الملأ) الخطاب لكل من عنده من الجن والإنس وغيرهما (قوله ماتقدم) أى من التحقيق أو قلب الثانية واوا (قوله أيكم يأتينى بعرشها) أى وكان سليمان إذ ذاك فى بيت المقدس وعرشها فى سبأ وبينها وبين بيت المقدس مسيرة شهرين (قوله فلى أخذه قبل ذلك) أى قبل إتيانهم مسلمين لأنهم حربيون حينئذ (قوله لابعده) أى لأن إسلامهم يعصم مالهم وهذا بحسب الظاهر وأما باطن الأمر فقصده أن يبهر عقلها بالأمور المستغربة لتزيد إيمانا (قوله عفريت) بكسر العين وقرئ شذوذا بفتحها (قوله وهو القوى) أى وكان مثل الجبل يضع قدمه عند منتهى طرفه وكان اسمه ذكوان وقيل صخر (قوله أنا آتيك به) يحتمل أنه فعل مضارع أصله أأتى بهمزتين أبدلت الثانية ألفا، ويحتمل أنه اسم فاعل كضارب وقائم (قوله من مقامك) أى مجلسك (قوله أسرع من ذلك) أى لأن المقصود الاتيان به قبل أن تقدم هى والحال أن بين قدومها مسيرة (من ساعة ونصف ومجلسه من الغداة إلى نصف النهار (قوله علم من الكتاب) أى وهو التوراة (قوله وهو آصف بن برخيا) بالمد والقصر ، وكان وزير سليمان ، وقيل كاتبه وكان من أولياء الله تعالى ، وقيل الذى عنده علم من الكتاب هو جبريل ، وقيل الخضر ، وقيل ملك آخر ، وقيل سليمان نفسه وعلى هذا فالخطاب فى قوله : أنا آتيك للعفريت ، وماشى عليه المفسر هو المشهور (قوله كان صديقا) أى مبالغا فى الصدق مع الله ومع عباده (قوله طرفك) هو بالسكون البصر (قوله قال) أى آصف ، وقوله له : أى لسليمان (قوله دعا بالاسم الأعظم) قيل كان الدعاء الذى دعا به ياذا الجلال والاكرام ، وقيل ياحى ياقيوم، وقيل ياإلهنا وإله كل شئ إلها واحدا لاإله إلا أنت ائتنى بعرشها (قوله بأن جرى تحت الأرض) أى بحمل الملائكة له لأمر الله لهم بذلك (قوله أى ساكنا) أى غير متحرك كأنه وضع من قبل بزمن متسع، وليس المراد مطلق الاستقرار والحصول وإلا كان واجب

(قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ) من النبوة والملك (خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ) من الدنيا (بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ) لفخركم بزخارف الدنيا (ارْجِعْ إِلَيْهِمْ) بما أتيت به من الهدية (فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ) لاطاقة (لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا) من بلدهم سبأ ، سميت باسم أبى قبيلتهم (أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ) أى إن لم يأتونى مسلمين ، فلما رجع إليها الرسول بالهدية جعلت سريرها داخل سبعة أبواب داخل قصرها وقصرها داخل سبعة قصور وأغلقت الأبواب وجعلت عليها حرسا وتجهزت إلى المسير إلى سليمان لتنظر مايأمرها به فارتحلت فى اثنى عشر ألف قيل مع كل قيل ألوف كثيرة إلى أن قربت منه على فرسخ شعر بها (قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ) فى الهمزتين ماتقدم (يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ) منقادين طائعين فلى أخذه قبل ذلك لابعده (قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ) هو القوى الشديد (أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ) الذى تجلس فيه للقضاء وهو من الغداة إلى نصف النهار (وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ) أى على حمله (أَمِينٌ) أى على مافيه من الجواهر وغيرها ، قال سليمان أريد أسرع من ذلك (قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ) المنزل وهو آصف بن برخيا ، كان صديقا يعلم اسم الله الأعظم الذى إذا دعا به أجيب (أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ) إذا نظرت به إلى شئ ، فقال له انظر إلى السماء فنظر إليها ثم رد بطرفه فوجده موضوعا بين يديه ففى نظره إلى السماء دعا آصف بالاسم الأعظم أن يأتى الله به فحصل بأن جرى تحت الأرض حتى نبع تحت كرسى سليمان (فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا) أى ساكنا (عِنْدَهُ قَالَ هَذَا) أى الاتيان لى به

الحذف لأن الظرف يكون مستقرا وعلى ماذكره المفسر فالظرف لغو عامله خاص مذكور فتدبر (قوله من فضل ربى) أى إحسانه إلىّ (قوله و إدخال ألف الخ) أى فالقراآت أربع سبعيات و بقيت خامسة وهى إدخال ألف بين المحققتين (قوله لأن ثواب شكره له) أى لأن الشكر سبب فى زيادة النعم ، قال تعالى ـ لئن شكرتم لأزيدنكم ـ (قوله بالافضال على من يكفرها) أى فلا يقطع نعمه بسبب إعراضه عن الشكر وكفران النعمة (قوله قال نكروا لها عرشها) معطوف فى المعنى على قوله ـ قال هذا من فضل ربى ـ وكلاهما مرتب على قوله ـ فلما رآه مستقرا عنده ـ (قوله إلى حالة تنكره إذا رأته) أى فالتنكير إبهام الشئ بحيث لايعرف ضدّ التعريف ومنه النكرة والمعرفة فى اصطلاح النحويين (قوله ننظر) هو جواب الأمر (قوله قصد بذلك الخ) أشار بذلك إلى حكمة التغيير (قوله لما قيل له إن فيه شيئا) أى نقصا والقائل له ماذكر الجن وقالوا له أيضا إن رجليها كرجلى حمار وقالوا له أيضا إن فى ساقيها شعرا لأنهم ظنوا أنه يتزوجها فكرهوا ذلك لئلا تفشى له أسرار الجن ولئلا يأتى له منها أولاد فيخلفوه فى استخدام الجن فيدوم عليهم الذل (قوله قيل لها) القائل لها سليمان أو مأموره (قوله أهكذا عرشك) الهمزة للاستفهام والهاء للتنبيه والكاف حرف جر وذا اسم إشارة مجرور بها والجار والمجرور خبر

مقدم وعرشك مبتدأ مؤخر وفصل بين ها التنبيه واسم الاشارة بحرف الجر وهو الكاف اعتناء بالتنبيه وكان مقتضاه أن يقال أ كهذا عرشك (قوله أى أمثل هذا) أشار بذلك إلى أن الكاف اسم بمعنى مثل وقولهم لايفصل بين ها التنبيه واسم الاشارة بشئ من حروف الجر إلا بالكاف معناه ولو صورة و إن كانت فى المعنى اسما بمعنى مثل (قوله وشبهت عليهم الخ) أى فأتت بهذه العبارة مشاكلة لكلام سليمان والمشاكلة الاتيان بمثل الكلام السابق و إن لم يتحد الكلامان كقوله تعالى ـ ومكروا ومكر الله ـ (قوله قال سليمان) أى تحدثا بنعمة الله (قوله وأوتينا العلم من قبلها) أى العلم بالله وصفاته من قبل أن تؤتى هى العلم بما ذكر ، وكنا مسلمين من قبل أن تسلم فنحن أسبق منها علما و إسلاما (قوله وصدها) أى منعها ، وقوله ما كانت فاعل صد ، والمعنى منعها عن عبادة الله التى كانت تعبده من دون الله وهو الشمس (قوله إنها كانت من قوم كافرين) بكسر إن فى قراءة العامة استئناف وقرئ شذوذا بفتحها على إسقاط حرف التعليل (قوله قيل لها أيضا) أى كما قيل نكروا لها عرشها (قوله هو سطح) وقيل الصرح القصر أو صحن الدار (قوله من زجاج أبيض) أى وهو المسمى بالبلور (قوله اصطنعه سليمان) أى أمر الشياطين به فحفروا حفيرة كالصهريج وأجروا فيها الماء ووضعوا فيها سمكا وضفدعا وغيرهما من حيوانات البحر وجعلوا سقفها زجاجا شفافا فصار الماء ومافيه يرى من هذا الزجاج فمن لم يكن عالما به يظن أنه ماء مكشوف يخاض فيه مع أنه ليس كذلك (قوله لما قيل له) القائل ذلك الجن (قوله فلما رأته) أى أبصرته (قوله وكشفت عن ساقيها) أى على عادة من أراد خوض الماء قيل لما رأت اللجة فزعت وظنت أنه قصد بها الغرق فلما لم يكن لها بدّ من امتثال الأمر سلمت وكشفت عن ساقيها (قوله لتخوضه)

(مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي) ليختبرنى (ءَأَشْكُرُ) بتحقيق الهمزتين و إبدال الثانية ألفا وتسهيلها و إدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه (أَمْ أَكْفُرُ) النعمة (وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ) أى لأجلها لأن ثواب شكره له (وَمَنْ كَفَرَ) النعمة (فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ) عن شكره (كَرِيمٌ) بالإفضال على من يكفرها (قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا) أى غيروه إلى حال تنكره إذا رأته (نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي) إلى معرفته (أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ) إلى معرفة مايغير عليهم ، قصد بذلك اختبار عقلها لما قيل له إن فيه شيئا فغيروه بزيادة أو نقص أوغير ذلك (فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ) لها (أَهَكَذَا عَرْشُكِ) أى أمثل هذا عرشك (قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ) أى فعرفته وشبهت عليهم كما شبهوا عليها إذ لم يقل أهذا عرشك ولو قيل هذا قالت نعم قال سليمان لما رأى لها معرفة وعلما (وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ . وَصَدَّهَا) عن عبادة الله (مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ) أى غيره (إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ . قِيلَ لَهَا) أيضا (ادْخُلِي الصَّرْحَ) هو سطح من زجاج أبيض شفاف تحته ماء عذب جار فيه سمك اصطنعه سليمان لما قيل له إن ساقيها وقدميها كقدمى الحمار (فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً) من الماء (وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا) لتخوضه وكان سليمان على سريره فى صدر الصرح

أى لأجل أن تصل إلى سليمان (قوله فرأى ساقيها الخ) أى فلما علم ذلك صرف بصره عنها (قوله ممرد) صفة أولى لصرح ، وقوله من قوارير صفة ثانية جمع قارورة (قوله مملس) ومنه الأمرد لملاسة وجهه : أى نعومته لعدم الشعر به (قوله بعبادة غيرك) أى وهو الشمس (قوله مع سليمان) حال من التاء فى أسلمت كما أشار لذلك بقوله كائنة ، والمعنى أسلمت حالة كونى مصاحبة له فى الدين ولا يصح أن يكون متعلقا بأسلمت لأنه يوهم أنها متحدة معه فى الاسلام فى زمن واحد (قوله فعملت له الشياطين النورة) أن بعد أن سأل الانس عما يزيل الشعر فقالوا له يحلق بالموسى ، فقالت لم يمس الحديد جسمى فكره سليمان الموسى وقال إنها تقطع ساقيها فسأل الجن فقالوا لا ندرى ، فسأل الشياطين فقالوا نحتال لك حتى يكون جسدها كالفضة البيضاء فاتخذوا النورة والحمام فكانت النورة والحمام من يومئذ (قوله فتزوجها) أى وولدت منه ولدا وسمته داود ومات فى حياة أبيه و بقيت معه إلى أن مات وهذا أحد قولين ، وقيل إنها لما أسلمت قال لها سليمان اختارى رجلا من قومك حتى أزوجك إياه ، فقالت ومثلى يانبى الله ينكح الرجال وقد كان لى من قومى الملك والسلطان ؟ قال نعم إنه لايكون فى الاسلام إلا ذلك ولا ينبغى لك أن تحرمى ما أحل الله . قالت إن كان ولا بد فزوجنى ذا تبع ملك همدان فزوجها إياه وذهب بها إلى اليمن وملك زوجها ذا تبع على اليمن ، ودعا سليمان زو بعة ملك الجن وقال له اعمل لذى تبع ما استعملك فيه فلم يزل يعمل له ما أراد إلى أن مات سليمان وحال الحول ولم يعلم الجن موته ، فأقبل رجل منهم حتى بلغ جوف اليمن وقال بأعلى صوته يامعشر الجن إن سليمان قد مات فارفعوا أيديكم فرفعوا أيديهم

(١٨٦)

فرأى ساقيها وقدميها حسانا (قَالَ) لها (إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ) مملس (مِنْ قَوَارِيرَ) أى زجاج ودعاها إلى الإسلام (قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي) بعبادة غيرك (وَأَسْلَمْتُ) كائنة (مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) وأراد تزوجها فكره شعر ساقيها فعملت له الشياطين النورة فأزالته بها فتزوجها وأحبها وأقرها على ملكها وكان يزورها فى كل شهر مرة و يقيم عندها ثلاثة أيام وانقضى ملكها بانقضاء ملك سليمان . روى أنه ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة ومات وهو ابن ثلاث وخمسين سنة ، فسبحان من لا انقضاء لدوام ملكه (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ) من القبيلة (صَالِحًا أَنِ) أى بأن (اعْبُدُوا اللَّهَ) وحدوه (فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ) فى الدين فريق مؤمنون من حين إرساله إليهم وفريق كافرون (قَالَ) للمكذبين (يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ) أى بالعذاب قبل الرحمة حيث قلتم إن كان ما أتيتنا به حقا فائتنا بالعذاب (لَوْلَا) ،

وتفرقوا (قوله وأقرها على ملكها) أى وأمر الجن فبنوا لها بأرض اليمن ثلاثة حصون لم ير الناس مثلها فى الارتفاع والحسن (قوله ويقيم عندها ثلاثة أيام) أى وكان يبكر من الشام إلى اليمن ومن اليمن إلى الشام (قوله روى أنه ملك) أى أعطى الملك (قوله فسبحان من لا انقضاء لدوام ملكه) أى فما سواه يفنى وهو الباقى بلا زوال .

قال العارف : ما آدم فى الكون وما إبليس ما ملك سليمان وما بلقيس
هلا الكل إشارة وأنت المعنى يامن هو للقلوب مغناطيس

فالأكوان جميعها إشارات دالة على المقصود بالذات وهو الله الواحد القهار (قوله ولقد أرسلنا إلى ثمود) شروع فى القصة الرابعة من هذه السورة ، وثمود اسم لقبيلة صالح سميت باسم أبى القبيلة فهو ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث وتسمى عاد الثانية ، وأما عاد الأولى فهم قوم هود (قوله أخاهم صالحا) أى فى النسب لأنه من أولاد ثمود الذى هو أبو القبيلة ، وعاش صالح مائتين وثمانين سنة (قوله أى بأن اعبدوا الله) أشار بذلك إلى أن أن مصدرية وحرف الجر محذوف و يصح أن تكون مفسرة لوجود ضابطها وهو تقدم جملة فيها معنى القول دون حروفه (قوله وحدوه) أى اعتقدوا أنه واحد فى ذاته وصفاته وأفعاله لاشريك له فى شئ منها (قوله فإذاهم) إذا فجائيه ، والمعنى ففاجأ إرساله تفرقهم واختصامهم فآمن فريق وكفر فريق ، وتقدم حكاية اختصام الفريقين فى سورة الأعراف فى قوله تعالى ــ قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم ــ الخ (قوله فريق مؤمنون) جمع وصف الفريق مراعاة لمعناه (قوله من حين إرساله) أى و بعد ظهور المعجزات (قوله لم تستعجلون بالسيئة) أى لأى شئ تستعجلون العذاب وتطلبونه لأنفسكم ولا تطلبون الرحمة ، و يصح أن يراد بالسيئة والحسنة أسباب العذاب وأسباب الرحمة ، والمعنى لم تؤخرون الايمان الذى هو سبب فى الرحمة وتقدمون الكفر الذى هو سبب العذاب .

(قوله هلا) أشار بذلك إلى أن لولا تحضيضية (قوله من الشرك) أى بأن تتركوا الشرك وتؤمنوا (قوله لعلكم ترحمون) الترجى فى كلام الله بمنزلة التحقيق لأنه صادر من قادر عالم بالعواقب لايخلف وعده (قوله أدغمت التاء فى الطاء) أى بعد قلبها طاء (قوله واجتلبت همزة الوصل) أى للتوصل للنطق بالساكن (قوله أى تشاءمنا) أى أصابنا الشؤم وهو الضيق والشدة (قوله حيث قحطوا المطر) أى حبس عنهم (قوله قال طائركم عند الله) أى جزاء عملكم من عند الله عاملكم به فالشؤم وصفكم لاوصفى وسمى طائرا لأنه يأتى الظالم بغتة وسرعة كنزول الطائر (قوله تفتنون) أتى بالخطاب مراعاة لتقدم الضمير وهو الراجح ويجوز مراعاة الاسم الظاهر فيؤتى بالغيبة فيقال مثلا نحن قوم نقرأ ويقرءون (قوله تختبرون بالخير والشر) أى لتعلموا أن ماأصابكم من خير فمن الله وما أصابكم من شر فبما كسبت أيديكم (قوله مدينة ثمود) أى وهى الحجر وتقدم أنه واد بين الشام والمدينة (قوله تسعة رهط) الرهط مادون العشرة من الرجال، والنفر مادون السبعة إلى الثلاثة (قوله أى رجال) دفع بذلك ما يقال إن تمييز التسعة جمع مجرور فكيف يؤتى به مفردا؟ فأجاب بأنه وإن كان مفردا فى اللفظ فهو جمع فى المعنى، وهؤلاء التسعة هم الذين قتلوا أولادهم حين أخبرهم صالح أن مولودا يولد فى شهرهم هذا يكون عقر الناقة على يديه، فقتل التسعة أولادهم وأبى العاشر أن يقتل ابنه، فعاش ذلك الولد ونبت نباتا سريعا فكان إذا مر بالتسعة حزنوا

هلا (تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ) من الشرك (لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) فلا تعذبون (قَالُوا اطَّيَّرْنَا) أصله تطيرنا أدغمت التاء فى الطاء واجتلبت همزة الوصل أى تشاءمنا (بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ) أى المؤمنين حيث قحطوا المطر وجاعوا (قَالَ طَائِرُكُمْ) شؤمكم (عِنْدَ اللَّهِ) أتاكم به (بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ) تختبرون بالخير والشر (وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ) مدينة ثمود (تِسْعَةُ رَهْطٍ) أى رجال (يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ) بالمعاصى، منها قرضهم الدنانير والدراهم (وَلَا يُصْلِحُونَ) بالطاعة (قَالُوا) أى قال بعضهم لبعض (تَقَاسَمُوا) أى احلفوا (بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ) بالنون والتاء وضم التاء الثانية (وَأَهْلَهُ) أى من آمن به أى نقتلهم ليلا (ثُمَّ لَنَقُولَنَّ) بالنون والتاء وضم اللام الثانية (لِوَلِيِّهِ) أى ولى دمه (مَا شَهِدْنَا) حضرنا (مُهْلَكَ أَهْلِهِ) بضم الميم وفتحها أى إهلاكهم أو هلاكهم فلا ندرى من قتلهم (وَإِنَّا لَصَادِقُونَ . وَمَكَرُوا) فى ذلك (مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا) أى جازيناهم بتعجيل عقوبتهم (وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ . فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ إِنَّا دَمَّرْنَاهُمْ) أهلكناهم (وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ) بصيحة جبريل ،

على قتل أولادهم فسوّل لهم الشيطان أن يجتمعوا فى غار فإذا جاء الليل خرجوا إلى صالح وقتلوه وتقدم أنهم اجتمعوا فى الغار فأرادوا أن يخرجوا منه فسقط عليهم الغار فقتلهم وعقر الناقة ولد العاشر وهو قدار بن سالف. وقيل إنهم جاءوا ليلا لقتله شاهرين سيوفهم فرمتهم الملائكة بالأحجار كما أفاده المفسر (قوله أى احلفوا) أشار بذلك إلى أن قوله تقاسموا فعل أمر أى قال بعضهم لبعض احلفوا على كذا (قوله بالنون) أى مع فتح التاء وقوله والتاء كان المناسب أن يقول وبالتاء لأن ضم التاء لا يكون إلا على قراءة التاء فهما قراءتان سبعيتان (قوله أى من آمن به) وسيأتى أنهم أربعة آلاف (قوله بالنون) أى مع فتح اللام وقوله والتاء أى فقراءة النون هنا مع قراءة النون فى الذى قبله وقراءة التاء مع التاء فهما قراءتان فقط (قوله أى ولى دمه) أى دم من قتل من صالح ومن معه (قوله مهلك أهله) أى أهل ولى الدم الذى يقوم عند موت صالح وأقاربه المؤمنين به (قوله بضم الميم) أى مع فتح اللام وقوله وفتحها أى مع فتح اللام وكسرها فالقراءات ثلاث سبعيات (قوله أى إهلاكهم) راجع للضم لأنه من الرباعى (قوله وهلاكهم) راجع للفتح بوجهيه لأنه من الثلاثى (قوله وإنا لصادقون) أى ونحلف إنا لصادقون أو المعنى والحال إنا لصادقون فيما قلنا (قوله ومكروا مكرا) أى أرادوا إخفاء مابيتوا عليه من قتل صالح وأهله (قوله ومكرنا مكرا) أى أهلكناهم من حيث لايشعرون وهو من باب المشاكلة نظير قول الشاعر :

قالوا اقترح شيئا نجد لك طبخه ... قلت اطبخوا لى جبة وقميصا

وإلا فحقيقة المكر مستحيلة على الله تعالى لأنه التحيل على الغدر وهو من صفات العاجز والعجز على الله محال (قوله فانظر) أى تأمل وتفكر (قوله إنا دمرناهم) بكسر إن على الاستئناف وفتحها على أنه خبر لمحذوف أى وهى تدميرنا إياهم والقراءتان سبعيتان

(قوله أو برمى الملائكة) أو للتنويع أى أن عذابهم نوعان موزعان عليهم رمى الحجارة على النسمة بسبب تبيتهم على قتل صالح وأهله، والصيحة على غيرهم بسبب عقر الناقة، ولو قال المفسر أهلكناهم برمى الملائكة الحجارة وقومهم أجمعين بصيحة جبريل لكان أوضح (قوله فتلك بيوتهم) مبتدأ وخبر أى ديارهم (قوله بظلمهم) أشار بذلك إلى أن ما مصدرية والباء سببية (قوله إن فى ذلك) أى المذكور من إهلاكهم (قوله وأنجينا الذين آمنوا) أى من الهلاك، فخرج صالح بهم إلى حضرموت، فلما دخلها مات صالح فسميت تلك البلدة بذلك، ثم بنى الأربعة آلاف مدينة يقال لها حاضوراء (قوله وكانوا يتقون) أى يدومون على اتقاء الشرك بأن لم يرتدوا (قوله ويبدل منه) أى بدل اشتمال، والمراد ذكر القول لاذكر وقته (قوله لقومه) أى من حيث إرساله إليهم وإقامته عندهم وإلا فهو فى الأصل من أرض بابل، فلما قدم مع عمه إبراهيم إلى الشام نزل إبراهيم بفلسطين ونزل لوط بسذوم (قوله يبصر بعضكم بعضا) أشار بذلك إلى أن المراد الابصار بالعين. وقيل المراد إبصار القلب ويكون المعنى وتعلمون أنها قبيحة (قوله وإدخال ألف بينهما) أى وتركه فالقراءات أربع سبعيات (قوله لتأتون الرجال شهوة من دون النساء) أشار بذلك إلى أنهم أساءوا من الطرفين فى الفعل والترك وقوله شهوة

مفعول لأجله (قوله عاقبة فعلكم) أى وهى العذاب الذى نزل بهم (قوله فما كان جواب قومه) خبر كان مقدم، وقوله إلا أن قالوا اسمها مؤخر (قوله آل لوط) المراد هو وأهله وهم بنتاه وزوجته المؤمنة (قوله من قريتكم) الاضافة للجنس لأنه تقدم أن قراهم كانت خمسة وأعظمها سذوم (قوله يتطهرون) أى يتنزهون وقالوا ذلك على سبيل الاستهزاء (قوله فأنجيناه وأهله) أى خرج لوط بأهله من أرضهم، طوى الله له الارض حتى نجا ووصل إلى إبراهيم (خير)

أو برمى الملائكة بحجارة يرونها ولا يرونهم (فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً) أى خالية ونصبه على الحال والعامل فيها معنى الإشارة (بِمَا ظَلَمُوا) بظلمهم أى كفرهم (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً) لعبرة (لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) قدرتنا فيتعظون (وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا) بصالح وهم أربعة آلاف (وَكَانُوا يَتَّقُونَ) الشرك (وَلُوطًا) منصوبا باذكر مقدراً قبله ويبدل منه (إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ) أى اللواط (وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ) أى يبصر بعضكم بعضاً انهماكا فى المعصية (أَئِنَّكُمْ) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين (لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ) عاقبة فعلكم (فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ) أهله (مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ) من أدبار الرجال (فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا) جعلناها بتقديرنا (مِنَ الْغَابِرِينَ) الباقين فى العذاب (وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا) هو الحجارة السجيل أهلكتهم (فَسَاءَ) بئس (مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ) بالعذاب مطرهم (قُلِ) يا محمد (الْحَمْدُ لِلَّهِ) على هلاك كفار الأمم الخالية (وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ) هم (آللَّهُ) بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفا وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه،

(قوله الباقين فى العذاب) أى الذى حل بهم وهو أن جبريل اقتلع مدائنهم ثم قلبها فهلك جميع من فيها قيل كان فيها أربعة آلاف ألف (قوله وأمطرنا عليهم) أى على من كان فى ذلك الوقت خارجا عن المدائن لسفر أو غيره (قوله هو حجارة السجيل) أى الطين المحروق (قوله مطرهم) هو المخصوص بالذم (قوله قل الحمد لله) لما تم سبحانه وتعالى القصص أمر رسوله بحمده والسلام على المصطفين شكرا له على نصرة أهل الحق والايمان وقطع دابر أهل الكفر والطغيان وتمهيدا لما يذكر من أدلة التوحيد التى أقامها ردّا على المشركين، والسرّ فى ذلك إنصات العاقل وإصغاؤه ليدخل فى زمرة من سلم الله عليهم (قوله وسلام) أى أمان (قوله الذين اصطفى) قيل هم الأنبياء والرسل، وقيل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقيل مؤمنو هذه الأمة، وقيل كل مؤمن من مبدإ الدنيا إلى منتهاها، ومعنى اصطفى اختارهم أزلا لخدمته وطاعته فى الدنيا ولجنته ونعيمه فى الآخرة، فالأصل اصطفاء الله للعبد فلولا اصطفاؤه له ماوفق العبد لخدمة ربه، ومن هذا قولهم: لولا السابقة ما كانت اللاحقة (قوله بتحقيق الهمزتين الخ) ظاهر المفسر أن القراءات أربع وهو سبق قلم، والصواب أن هنا قراءتين فقط تسهيل الثانية مقصورة وإبدالها ألفا ممدودة مدا لازما وتقدم أن هذين الوجهين يجريان فى خمسة مواضع فى القرآن غير هذا اثنان فى الأنعام

آلذكرين فى الموضعين ، وثلاثة فى يونس آلله أذن لكم ، آلآن فى موضعين (قوله خير) خبر لفظ الجلالة وهو ما اسم تفضيل باعتبار زعم الكفار أو صفة لا تفضيل فيها والكلام على حذف مضاف والتقدير أتوحيد الله خير لمن عبده أم الأصنام خير لمن عبدها فهو تهكم بالمشركين لأنهم اختاروا عبادة الأصنام على عبادة الله والاختيار للشئ لا يكون إلا لخير ومنفعة ولا خير فى عبادتها وكان صلى الله عليه وسلم إذا قرأها يقول بل الله خير وأبقى وأجل وأكرم (قوله أم مايشركون) أم هذه متصلة عاطفة على لفظ الجلالة لوجود المعادل وهو تقدم همزة الاستفهام بخلاف أم الآتية فهى منقطعة تفسر ببل وهمزة الاستفهام الانكارى (قوله بالياء والتاء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله أى أهل مكة) تفسير للواو فى يشركون (قوله أى الآلهة) تفسير لما والمعنى أم الآلهة التى يشركونها به خير لعابديها (قوله أمن خلق السموات والأرض) القراءة السبعية بإدغام إحدى الميمين فى الأخرى وأم منقطعة ومن خلق مبتدأ خبره محذوف تقديره خير أم مايشركون وقرئ شذوذا بتخفيف الميم فتكون من موصولة دخلت عليها همزة الاستفهام (قوله فيه الالتفات) أى وحكمته اختصاصه سبحانه وتعالى بهذا الفعل إشارة إلى أن الله تعالى هو المنبت

(خَيْرٌ) لمن يعبده (أَمْ مَا يُشْرِكُونَ) بالتاء والياء ، أى أهل مكة به ، أى الآلهة خير لعابديها (أَمَّنْ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا) فيه التفات من الغيبة إلى التكلم (بِهِ حَدَائِقَ) جمع حديقة وهو البستان المحوط (ذَاتَ بَهْجَةٍ) حسن (مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا) لعدم قدرتكم عليه (أَإِلٰهٌ) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية و إدخال ألف بينهما على الوجهين فى مواضعه السبعة (مَعَ اللّٰهِ) أعانه على ذلك ، أى ليس معه إله (بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ) يشركون بالله غيره (أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا) لاتميد بأهلها (وَجَعَلَ خِلَالَهَا) فيما بينها (أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ) جبالا أثبت بها الأرض (وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا) بين العذب والملح لايختلط أحدهما بالآخر (أَإِلٰهٌ مَعَ اللّٰهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) توحيده (أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ) المكروب الذى مسه الضر (إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ) عنه وعن غيره (وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ) الإضافة بمعنى فى ، أى يخلف كل قرن القرن الذى قبله (أَإِلٰهٌ مَعَ اللّٰهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ) تتعظون بالفوقانية والتحتانية وفيه إدغام التاء فى الذال ، وما زائدة لتقليل القليل (أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ) يرشدكم إلى مقاصدكم (فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ) وبالنجوم ليلا ، وبعلامات الأرض نهارا (وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ) ،

للأشجار والزرع لاغيره وخلقها مختلفة الألوان والطعوم مع كونها تسق بماء واحد (قوله وهو البستان المحوط) أى المجعول عليه حائط لعزته (قوله ذات بهجة) صفة لحدائق وأفرد لكونه جمع كثرة لما لايعقل (قوله ما كان لكم) أى لاينبغى لأنكم عاجزون عن إخراج النبات وان كنتم قادرين على السقى والغرس ظاهرا (قوله أن تنبتوا شجرها) أى فضلا عن ثمارها وأشكالها (قوله و إدخال ألف بينهما) أى وتركه فالقراءات أربع سبعيات (قوله فى مواضعه السبعة) أى موضع اجتماع الهمزتين المفتوحة ثم المكسورة وهى لفظ أإله خمس مرات وأئذا وأئنا (قوله أى ليس معه إله) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى وكذا يقال فيما بعده (قوله بل هم قوم يعدلون) إضراب انتقالى من تبكيتهم إلى بيان سوء حالهم (قوله أم من جعل الأرض قرارا) أى مستقرا للانسان والدواب لاتتحرك بما على ظهرها (قوله فيما بينها) أشار بذلك إلى أن قوله خلالها ظرف لجعل وتكون بمعنى خلق و يصح أن تكون بمعنى صير وخلالها مفعول ثان (قوله حاجزا) أى معنويا غير مشاهد (قوله بل أكثرهم لايعلمون) أى وكفرهم تقليد والأقل يعلم الأدلة وكفرهم عناد (قوله المضطر) هو اسم مفعول وهذه الطاء أصلها تاء الافتعال قلبت طاء لوقوعها إثر حرف الاطباق وهو الضاد (قوله إذا دعاه) أشار بذلك إلى أن إجابة المضطر متوقفة على دعائه ، فلا ينبغى لمن كان مضطرا ترك الدعاء بل يدعو والله يجيبه على حسب ما أراد سبحانه وتعالى لأن الله أرأف على العبد من نفسه ، فالعاقل إذا دعا الله يسلم فى الاجابة لمراد الله (قوله الاضافة بمعنى فى) أى فالمعنى يجعلكم خلفاء فى الأرض (قوله وفيه إدغام التاء فى الذال) أى بعد قلبها دالا فذالا وهذا على كل من القراءتين (قوله وما زائدة لتقليل القليل) أى فالمراد تأكيد القلة (قوله و بعلامات الأرض) أى كالجبال

(قوله أى قدّام المطر) أى أمامه (قوله و إن لم يعترفوا بالاعادة) أشار بذلك إلى سؤال وارد حاصله كيف يقال لهم : أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ، مع أنهم منكرون للاعادة ؟ وأشار إلى جوابه بقوله لقيام البراهين عليها . و إيضاحه أن يقال إنهم معترفون بالابتداء ودلالة الابتداء على الاعادة ظاهرة قوية وحينئذ فصاروا كأنهم لم يبق لهم عذر فى إنكار الاعادة بل ذلك محض جحود (قوله قل هاتوا برهانكم) أمره صلى الله عليه وسلم بتبكيتهم إثر قيام الأدلة على أنه لايستحق العبادة غيره (قوله أن معى إلها) الأوضح أن يقول إن مع الله إلها لأن النبيّ مأمور بهذا القول وهو لايقول لهم إن كنتم صادقين أن معى إلها (قوله وسألوه) أى المشركون (قوله من فى السموات والأرض) من فاعل يعلم والجار و المجرور صلتها والغيب مفعول به وإلا أداة استثناء ولفظ الجلالة مبتدأ خبره محذوف قدره المفسر بقوله يعلمه والتقدير لايعلم الذى ثبت فى السموات كالملائكة والأرض كالانس الغيب لكن الله هو الذى يعلمه (قوله من الملائكة والناس) بيان لمن فى السموات والأرض على سبيل

أى قدّام المطر (أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) به غيره (أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ) فى الأرحام من نطفة (ثُمَّ يُعِيدُهُ) بعد الموت و إن لم يعترفوا بالإعادة لقيام البراهين عليها (وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ) بالمطر (وَالْأَرْضِ) بالنبات (أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ) أى لا يفعل شيئا مما ذكر إلا الله ولا إله معه (قُلْ) يامحمد (هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ) حجتكم (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) أن معى إلها فعل شيئا مما ذكر . وسألوه عن وقت قيام الساعة فنزل (قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) من الملائكة والناس (الْغَيْبَ) أى ماغاب عنهم (إِلَّا) لكن (اللَّهُ) يعلمه (وَمَا يَشْعُرُونَ) أى كفار مكة كغيرهم (أَيَّانَ) وقت (يُبْعَثُونَ . بَلِ) بمعنى هل (أَدْرَكَ) بوزن أكرم فى قراءة وفى أخرى ادّارك بتشديد الدال وأصله تدارك أبدلت التاء دالا وأدغمت فى الدال واجتلبت همزة الوصل أى بلغ ولحق أوتتابع وتلاحق (عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ) أى بها حتى سألوه عن وقت مجيئها ليس الأمر كذلك (بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ) من عمى القلب وهو أبلغ مما قبله والأصل عميون استثقلت الضمة عن الياء فنقلت إلى الميم بعد حذف كسرتها (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا) أيضا فى إنكار البعث (أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ) من القبور (لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ) ما (هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ) جمع أسطورة بالضم أى ماسطر من الكذب (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ) بانكارهم وهى هلاكهم بالعذاب ،

اللف والنشر المرتب (قوله لكن الله الخ) أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع ولايصح جعله متصلا لايهامه أن الله من جملة من فى السموات والأرض وهو محال (قوله وقت يبعثون) تفسير لأيان ، والمناسب تفسيرها بمتى لأن أيان ظرف متضمن معنى همزة الاستفهام ومتى كذلك بخلاف لفظ وقت (قوله بمعنى هل) أى التى للاستفهام الانكارى (قوله أى بلغ ولحق) راجع للقراءة الأولى وقوله أوتتابع راجع للثانية ، والمعنى هل بلغ علمهم بالآخرة أو تتابع علمهم الآخرة حتى سألوا عن وقت مجىء الساعة ليس عندهم علم بذلك (ولا بل ولا إثبات حتى يسألوا عن وقت الساعة فسؤالهم محض تعنت وعناد (قوله فى شك منها) أى الآخرة (قوله بل هم منها عمون) أى عندهم جزم بعدمها لعدم إدراكهم دلائلها (قوله بعد حذف كسرتها) أى وسقطت الياء لوقوعها ساكنة إثر ضمة (قوله أيضا) أى كما قالوا ماتقدم (قوله أئذا كنا ترابا) كان فعل ماض ناقص ونا اسمها وترابا خبرها وآباؤنا معطوف على اسم كان وسوّغه الفصل بخبرها (قوله لقد وعدنا هذا) وعد فعل ماض ونا نائب الفاعل مفعول أوّل وهذا مفعول ثان ونحن تأكيد لنا وآباؤنا عطف على المفعول الأول وسوّغه الفصل بالمفعول الثانى والضمير المنفصل ، والمعنى لقد وعدنا محمد بالبعث كما وعد من قبله آباءنا به فلو كان حقا لحصل (قوله قل سيروا فى الأرض) أمر تهديد لهم إشارة إلى أنهم إن لم يرجعوا نزل بهم مانزل بمن قبلهم (قوله فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين) أى لتعتبروا بهم فتنزجروا عن قبائحكم (قوله بانكارهم) أى المجرمين (قوله بالعذاب) أى الدنيوى لأنه هو المشاهد آثاره

(قوله ولا تحزن عليهم) أى لاتهتم على عدم إيمانهم فيما مضى ولا تخف من مكرهم فى المستقبل ، فالحزن غم لما مضى والخوف غم لما يستقبل (قوله ولا تكن) بثبوت النون هنا وهو الأصل وقد حذفت من هذا المضارع فى القرآن فى عشرين موضعا سبعة مبدوءة بالتاء وثمانية بالياء واثنان بالنون وواحد بالهمزة وهو حذف غير لازم . قال ابن مالك :

ومن مضارع لكان منجزم تحذف نون وهو حذف ما التزم (قوله فى ضيق) بفتح الضاد وكسرها قراءتان سبعيتان أى حرج (قوله إن كنتم صادقين) خطاب للنبى ومن معه من المؤمنين (قوله قل عسى الخ) الترجى فى القرآن بمنزلة التحقيق (قوله القتل ببدر) أى وغيره وهذا هو العذاب العجل (قوله و باقى العذاب الخ) أى وهو العذاب المؤجل (قوله

(وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ) تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم أى لا تهتم بمكرهم عليك فأنا ناصرك عليهم (وَيَقُولُونَ مَتَى هَٰذَا الْوَعْدُ) بالعذاب (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) فيه (قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ رَدِفَ) قرب (لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ) فحصل لهم القتل ببدر و باقى العذاب يأتيهم بعد الموت (وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ) ومنه تأخير العذاب عن الكفار (وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ) فالكفار لايشكرون تأخير العذاب لإنكارهم وقوعه (وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ) تخفيه (وَمَا يُعْلِنُونَ) بألسنتهم (وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) الهاء للمبالغة : أى شىء فى غاية الخفاء على الناس (إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) بيّن هو اللوح المحفوظ ومكنون علمه تعالى ومنه تعذيب الكفار (إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ) الموجودين فى زمان نبينا (أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) أى ببيان ماذكر على وجهه الرافع للاختلاف بينهم لو أخذوا به وأسلموا (وَإِنَّهُ لَهُدًى) من الضلالة (وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ) من العذاب (إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ) كغيرهم يوم القيامة (بِحُكْمِهِ) أى عدله (وَهُوَ الْعَزِيزُ) الغالب (الْعَلِيمُ) بما يحكم به فلا يمكن أحداً مخالفته كما خالف الكفار فى الدنيا أنبياءه (فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ) ثق به (إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ) أى الدين البين فالعاقبة لك بالنصر على الكفار ، ثم ضرب أمثالاً لهم بالموتى وبالصم وبالعمى فقال (إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بينها و بين الياء (وَلَّوْا مُدْبِرِينَ . وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ) ما (تُسْمِعُ) سماع إفهام وقبول (إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا) القرآن (فَهُمْ مُسْلِمُونَ) مخلصون بتوحيد الله .

منه) أى الفضل (قوله ليعلم ماتكن صدورهم) أى فالتأخير ليس لخفاء حالهم عليه (قوله الهاء للمبالغة) أى كراوية وعلامة وسماها هاء باعتبار الوقف ولو قال التاء لكان أسهل ، وقيل إنها كالتاء الداخلة على المصادر نحو العاقبة والعافية ونظيرها الذبيحة والنطيحة فى أنها أسماء غير صفات (قوله ومكنون علمه) الواو بمعنى أو لأنه تفسير ثان فتسميته كتابا على سبيل الاستعارة التصريحية حيث شبه بالكتاب كالسجل الذى يضبط الحوادث ويحصيها ولايشذ عنه شىء منها (قوله أكثر الذى هم فيه يختلفون) أى فقد نص بالتصريح على الأكثر فلا ينافى قوله : مافرطنا فى الكتاب من شىء ، من جملته اختلافهم فى شأن المسيح وتفرقهم فيه فرقا كثيرة فوقع بينهم التباغض حتى لعن بعضهم بعضا (قوله أى عدله) دفع بذلك مايقال إن القضاء مرادف للحكم فينحل المعنى يقضى بقضائه أو يحكم بحكمه . فأجاب بأن المراد بالحكم العدل (قوله فلا يمكن أحداً مخالفته الخ) تفريع على العزيز فكان المناسب تقديمه بلصقه (قوله فتوكل على الله الخ) تفريع على كونه عزيزا عليما أى فاذا ثبتت له هذه الأوصاف فالواجب على كل شخص تفويض الأمور إليه تعالى والثقة به (قوله إنك على الحق المبين) علة للتوكل وكذا قوله إنك لاتسمع الموتى (قوله بينها و بين الياء) أى فتقرأ متوسطة بين الهمزة والياء والقراءتان سبعيتان (قوله مدبرين) أى معرضين (قوله بهادى العمى) ضمنه معنى الصرف فعداه بعن (قوله إلا من يؤمن بآياتنا) أى من سبق فى علم الله أنه يكون مؤمنا ومن هنا قولهم : لولا السابقة ما كانت اللاحقة .

(قوله و إذا وقع القول) أى قرب وقوعه و إنما عبر بالماضى لحصوله فى علم الله لأن الماضى والحال والاستقبال فى علم الله واحد لاحاطته بها ، والمراد بالقول مواعيد القرآن بالفضائح والخزى والعذاب الدائم وغير ذلك للكفار (قوله حق العذاب) تفسير لوقع ، والمعنى قرب نزوله بهم (قوله أخرجنا لهم دابة من الأرض) أى وهى الجساسة ، ورد فى الحديث « أن طولها ستون ذراعا بذراع آدم عليه السلام لايدركها طالب ولايفوتها هارب » . وروى « أن لها أربع قوائم ولها زغب وريش وجناحان » وعن ابن جريج فى وصفها : رأس ثور وعين خنزير وأذن فيل وقرن إيل وعنق نعامة وصدر أسد ولون نمر وخاصرة هرة وذنب كبش وخف بعير ومابين المفصلين اثناعشر ذراعا بذراع آدم عليه السلام ، وعن أبى هريرة رضى الله عنه «فيها كل لون مابين قرنيها فرسخ للراكب » وعن علىّ رضى الله عنه «أنها تخرج بعد ثلاثة أيام والناس ينظرون فلايخرج كل يوم إلا ثلثها» وعن النبىّ صلى الله عليه وسلم « أنه سئل من أين تخرج الدابة ؟ فقال من أعظم المساجد حرمة على الله تعالى » يعنى المسجد الحرام ، وروى « أنها تخرج ثلاث خرجات تخرج بأقصى اليمن ثم تكمن ثم تخرج بالبادية ثم تكمن دهرا طويلا ، فبينما الناس فى أعظم المساجد حرمة على الله تعالى وأكرمها فما يهولهم إلا خروجها من بين الركن حذاء دار بنى مخزوم عن يمين الخارج من المسجد » وقيل تخرج من الصفا لما روى « بينما عيسى عليه السلام يطوف بالبيت ومعه المسلمون إذ تضطرب الأرض تحتهم أى تتحرك تحرك القنديل وتنشق الصفا مما يلى المسعى فتخرج الدابة من الصفا ومعها عصا موسى وخاتم سليمان عليهما الصلاة والسلام فتضرب المؤمن فى مسجده بالعصا فتنكت نكتة بيضاء فتفشو حتى يضىء بها وجهه وتكتب بين عينيه مؤمن وتنكت الكافر بالخاتم فى أنفه فتفشو النكتة حتى يسود بها وجهه وتكتب بين عينيه كافر ثم تقول لهم أنت يافلان من أهل الجنة وأنت يافلان من أهل النار » وروى « أن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى وأيتهما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على أثرها »

(وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ) حق العذاب أن ينزل بهم فى جملة الكفار (أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ) أى تكلم الموجودين حين خروجها بالعربية تقول لهم من جملة كلامها عنا (إِنَّ النَّاسَ) أى كفار مكة وعلى قراءة فتح همزة أنّ تقدر الباء بعد تكلمهم (كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ) أى لا يؤمنون بالقرآن المشتمل على البعث والحساب والعقاب ، و بخروجها ينقطع الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ولا يؤمن كافر كما أوحى الله إلى نوح : أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن (وَ) اذكر (يَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا) جماعة (مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا) وهم رؤساؤهم المتبوعون (فَهُمْ يُوزَعُونَ) أى يجمعون يرد آخرهم إلى أولهم ثم يساقون (حَتَّى إِذَا جَاءُوا) مكان الحساب (قَالَ) تعالى لهم : (أكذبتم)

واختلف أيضا فى تعيين هذه الدابة فقيل هى فصيل ناقة صالح وهو أصح الأقوال فإنه لما عقرت أمه هرب فانفتح له حجر فدخل فى جوفه ثم انطبق عليه الحجر فهو فيه حتى يخرج باذن الله عزوجل وقيل غير ذلك (قوله تقول لهم) تفسير لتكلمهم (قوله عنا) متعلق بمحذوف أى حال كونها حاكية وناقلة لما تقوله عنا بأن تقول قال الله إن الناس الخ (قوله أى كفار مكة) الناسب حمل الناس على الموجودين وقت خروجها من الكفار (قوله وعلى قراءة فتح همزة أن تقدر الباء) أى للتعدية أوللسببية ، وأما على قراءة الكسر فهو مستأنف من كلامه تعالى تقوله الدابة على سبيل الحكاية والنقل والقراءتان سبعيتان (قوله ينقطع الأمر بالمعروف الخ) أى لعدم إفادة ذلك لأنه فى ذلك الوقت يظهر المؤمن والكافر عيانا بوسم الدابة لمن وسمته بالكفر لايمكن تغييره ، فحينئذ لاينفع أمر بمعروف ولا نهى عن منكر ، ووجد فى بعض النسخ ولايبقى منيب ولا تائب ولايؤمن كافر : أى لايوجد فى هذا الوقت من ينوب إلى الله أى يرجع إليه ولا تقبل توبة تائب من العصاة ولاإيمان كافر (قوله ويوم نحشر) أى الحشر الخاص بهم للعذاب بعد انقضاض الحشر العام لجميع الخلق (قوله من كل أمة) من تبعيضية وقوله ممن يكذب بيانية للفوج (قوله فوجا) الفوج فى الأصل الجماعة المارّة المسرعة ثم أطلق على الجماعة مطلقا (قوله وهم رؤساؤهم) أى كأبى جهل وأبىّ بن خلف وفرعون وقارون والنمروذ وغيرهم من رؤساء الضلال فكل رؤساء زمن نحشرهم على حدة (قوله يردّ آخرهم إلى أولهم) المناسب أن يقول يرد أولهم على آخرهم أى يحبس أولهم و يوقف حتى يأتى آخرهم و يجتمعون ثم يساقون .

(أَكَذَّبْتُمْ) أنبيائى (بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا) من جهة تكذيبكم (بِهَا عِلْمًا أَمَّا) فيه إدغام ما الاستفهامية (ذَا) موصول : أى ما الذى (كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) بمـا أمرتم به (وَوَقَعَ الْقَوْلُ) حق العذاب (عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا) أى أشركوا (فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ) إذ لا حجة لهم (أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا) خلقنا (اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ) كغيرهم (وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا) بمعنى يبصر فيه ليتصرفوا فيه (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ) دلالات على قدرته تعالى (لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) خصوا بالذكر لانتفاعهم بها فى الإيمان بخلاف الكافرين (وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ) القرن النفخة الأولى من إسرافيل (فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ) أى خافوا الخوف المفضى إلى الموت كما فى آية أخرى : فصعق ، والتعبير فيه بالماضى لتحقق وقوعه (إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ) أى جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت ، وعن ابن عباس : هم الشهداء ، إذ هم أحياء عند ربهم يرزقون (وَكُلٌّ) تنوينه عوض عن المضاف إليه : أى وكلهم بعد إحيائهم يوم القيامة (أَتَوْهُ) بصيغة الفعل واسم الفاعل (دَاخِرِينَ) صاغرين والتعبير فى الإتيان بالماضى لتحقق وقوعه (وَتَرَى الْجِبَالَ) تبصرها ،

(قوله أكذبتم بآياتى) الاستفهام للتوبيخ والتقريع ، والمعنى أنكرتموها وجحدتموها (قوله ولم تحيطوا بها علما) الجملة حالية مؤكدة للانكار والتوبيخ ، والمعنى أنكرتموها من غير فهمها وتأملها فهم مؤخذون بالجهل والكفر (قوله أم ماذا) أم منقطعة بمعنى بل وما اسم استفهام أدغمت ميم أم فى ما فقوله فيه إدغام ما الاستفهامية أى الادغام فيها (قوله حق العذاب) أى نزل بهم وهو كبهم فى النار (قوله فهم لا ينطقون) أى بحجة واعتذار (قوله ألم يروا) أى يعلموا (قوله أنا جعلنا الليل) أى مظلما بدلالة قوله والنهار مبصرا عليه كما حذف ليتصرفوا فيه من قوله والنهار مبصرا بدلالة قوله ليسكنوا فيه عليه ففى الآية احتباك (قوله بمعنى يبصر فيه) أى فالاسناد مجازى من الاسناد إلى الزمان (قوله ليتصرفوا فيه) أى بالسعى فى مصالحهم (قوله إن فى ذلك) أى الجعل المذكور (قوله دلالات على قدرته تعالى) أى من حيث اختلاف الليل والنهار بالنور والظلمة (قوله ويوم ينفخ فى الصور) معطوف على قوله ويوم نحشر من كل أمة فوجا (قوله النفخة الأولى) أى وتسمى نفخة الصعق ونفخة الفزع فعبر عنها هنا بالفزع وفى سورة الزمر بالصعق قال تعالى - ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض - الخ فعند حصولها يموت كل حى ماعدا ما استثنى ، أما النفخة الثانية فعندها يحيا من كان ميتا فالنفخة اثنان وبينهما أربعون سنة ، وقيل إنها ثلاث : نفخة الزلزلة ، وذلك حين تسير الجبال وترتج الأرض بأهلها ونفخة الموت ونفخة الإحياء ، والقول الأول هو المشهور ، والصحيح فى الصور أنه قرن من نور خلقه الله وأعطاه إسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص ببصره إلى العرش ينتظر متى يؤمر بالنفخة وعظم كل دائرة فيه كعرض السماء والأرض ويسمى بالبوق فى لغة اليمن (قوله من إسرافيل) أى وهو أحد الرؤساء الأربعة جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل (قوله من فى السموات ومن فى الأرض) أى من كل من كان حيا فى ذلك الوقت (قوله أى خافوا الخوف المفضى إلى الموت) أى استمر بهم الخوف إلى أن ماتوا به (قوله والتعبير بالماضى الخ) جواب عما يقال إن الفزع مستقبل فلم عبر بالماضى . فأجيب بأنه لتحققه نزل منزلة الواقع ، لأن الماضى والحال والاستقبال بالنسبة لعلمه تعالى واحد لتعلق العلم به (قوله أى جبريل الخ) أى فهؤلاء الأربعة لا يموتون عند النفخة الأولى بخلاف باقى الملائكة وإنما يموتون بين النفختين ويحيون قبل الثانية (قوله وعن ابن عباس هم الشهداء) وقيل هم حملة العرش وقيل أهل الجنة من الحور العين والولدان وخزنة الجنة والنار ، وقيل موسى ، وقيل جميع الأنبياء (قوله إذ هم أحياء) أى حياة برزخية لا تزول ولا تحول ولكن ليست كحياة الدنيا (قوله أى كلهم) أى المخلوقات من صعق ومن لم يصعق (قوله بصيغة الفعل) أى الماضى فيقرأ بفتح الهمزة مقصورة وتاء مفتوحة وواو ساكنة (قوله واسم الفاعل) أى فيقرأ بمد الهمزة وضم التاء وسكون الواو وأصله آتون له حذفت اللام للتخفيف والنون للاضافة والقراءتان سبعيتان (قوله صاغرين) أى أذلاء لهيبة الله تعالى فيشمل الطائع والعاصى وليس المراد ذل المعاصى ، والمعنى أن إسرافيل حين ينفخ فى الصور النفخة الثانية التى بها يكون إحياء الخلق يأتى كل إنسان ذليلا لهيبة الله تعالى (قوله وترى الجبال) عطف على قوله ينفخ .

(قوله وقت النفخة) أى الثانية لأن تبديل الأرض وتسيير الجبال وتسوية الأرض إنما يكون بعد النفخة الثانية كما يشهد به قوله تعالى ـ ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا ـ الآية وقوله تعالى ـ يوم تبدل الأرض غير الأرض ـ الآية (قوله لعظمها) أى وذلك لأن الأجرام الكبار إذا تحركت مرة واحدة لاتكاد تبصر حركتها (قوله المطر) الصواب إبقاء اللفظ على ظاهره لأن تفسير السحاب بالمطر لم يقله أحد ولعل الباء سقطت من قلم المصنف، والأصل مر السحاب بالمطر (قوله حتى تقع) أى الجبال على الأرض (قوله مبسوسة) أى مفتتة كالرمل السائل (قوله كالعهن) أى الصوف المنفوش (قوله مؤكد لمضمون الجملة قبله) أى لأن ما تقدم من نفخ الصور وتسيير الجبال وغير ذلك إنما هو من صنع الله لاغير (قوله الذى أتقن كل شئ) أى وضعه فى محله على أكمل حالاته (قوله بالياء والتاء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله أى لا إله إلا الله) إنما حمله على هذا التفسير ذكر المقابل لأن الكب فى النار ليس بمطلق سيئة بل إنما يكون بالكفر وهو يقابل الإيمان وحينئذ فأل فى الحسنة للعهد أى الحسنة المعهودة وهى كلمة التوحيد وقيل الحسنة كل عمل خير من صلاة وزكاة وصدقة وغير ذلك من وجوه البر (قوله فله خير منها) أى وهو الخلود فى الجنة (قوله أى بسببها) أشار بذلك إلى أن من للسببية وتصح أن تكون للتعليل أى من أجل مجيئه بها (قوله وليس للتفضيل) أى ليس خير أفعل تفضيل لأنه ليس عبادة أفضل من لا إله إلا الله ويؤيد ماقاله المفسر ماروى عن ابن عباس أنه قال له من تلك الحسنة خير يوم القيامة وهو الثواب والأمن من العذاب أما من يكون له شئ خير من الإيمان فلا لأنه لاشئ خير من لا إله إلا الله (قوله بالإضافة) أى إضافة فزع لليوم (قوله وكسر الميم) أى للإعراب وقوله وفتحها أى فتحة بناء وهى قراءة ثانية فى الإضافة وقوله وفزع منونا معطوف على قوله بالإضافة فتكون القراءات ثلاثا سبعيات فكان الأوضح أن يعبر بأو بدل الواو فى الأخير (قوله آمنون) أى لايصيبهم منه شئ والمراد بالفزع هنا الخوف من العذاب والفزع المتقدم الهيبة والانزعاج من الشدة الحاصلة فى ذلك اليوم فلا تنافى بين إثباته فيما تقدم ونفيه هنا (قوله فكبت وجوههم) أى ألقوا عليها فى النار (قوله ويقال لهم) أى وقت كبهم على وجوههم فى النار، والقائل لهم خزنتها (قوله أى ما تجزون الخ) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفى (قوله قل لهم إنما أمرت الخ) أمر صلى الله عليه وسلم بأن يقول لهم ماذكر بعد بيان مايحصل فى المعاد إشارة إلى أن عبادة الله هى المقصودة بالذات له آمنوا أو كفروا فيتسبب عن ذلك اهتمامهم بأمر أنفسهم ورجوعهم عما يوجب نقصانهم (قوله الذى حرمها) صفة للرب، ولايعارضه قوله صلى الله عليه وسلم «إن إبراهيم حرم مكة و إنى حرمت المدينة» لأن إسناد التحريم لله باعتبار حكمه وقضائه و إسناد التحريم لإبراهيم باعتبار إخباره بذلك و إظهاره (قوله ولا يختلى خلاها) أى لايقطع حشيشها الرطب

وقت النفخة (تَحْسَبُهَا) تظنها (جَامِدَةً) واقفة مكانها لعظمها (وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ) المطر إذا ضربته الريح أى تسير سيره حتى تقع على الأرض فتستوى بها مبسوسة ثم تصير كالعهن ثم تصير هباء منثورا (صُنْعَ اللَّهِ) مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله أضيف إلى فاعله بعد حذف عامله أى صنع الله ذلك صنعا (الَّذِي أَتْقَنَ) أحكم (كُلَّ شَيْءٍ) صنعه (إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا يَفْعَلُونَ) بالياء والتاء أى أعداؤه من المعصية وأولياؤه من الطاعة (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ) أى لا إله إلا الله يوم القيامة (فَلَهُ خَيْرٌ) ثواب (مِنْهَا) أى بسببها وليس للتفضيل إذلا فعل خير منها وفى آية أخرى عشر أمثالها (وَهُمْ) أى الجاءون بها (مِنْ فَزَعِ يَوْمَئِذٍ) بالإضافة وكسر الميم وفتحها وفزع منونا وفتح الميم (آمِنُونَ. وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ) أى الشرك (فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ) بأن وليتها وذكرت الوجوه لأنها موضع الشرف من الحواس فغيرها من باب أولى ويقال لهم تبكيتا (هَلْ) أى ما (تُجْزَوْنَ إِلَّا) جزاء (مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) من الشرك والمعاصى قل لهم (إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ الْبَلْدَةِ) أى مكة (الَّذِي حَرَّمَهَا) أى جعلها حرما آمنا لايسفك فيها دم إنسان، ولا يظلم فيها أحد، ولا يصطاد صيدها، ولا يختلى خلاها، وذلك من النعم على قريش أهلها فى رفع الله عن بلدهم العذاب والفتن الشائعة فى جميع بلاد العرب (وَلَهُ) تعالى (كُلُّ شَيْءٍ) فهو ربه وخالقه ومالكه،

(وأمرت

(قوله وأمرت أن أكون من المسلمين) أي أثبت على ما كنت عليه (قوله وأن أتلو القرآن) أى أواظب عليه لتنكشف لي حقائقه ورقائقه لأن علوم القرآن كثيرة فبتكرار التلاوة أزداد علوما ومعارف ، وفي هذه الآية إشعار بأن تلاوة القرآن أعظم العبادات قدرا عند الله (قوله فمن اهتدى له) أى للإيمان (قوله فقل إنما أنا من المنذرين) هوجواب الشرط والرابط محذوف قدره المفسر بقوله له (قوله وهذا قبل الأمر بالقتال) أى فهو منسوخ (قوله وقل الحمد لله) أى على ما أعطانى من النعم العظيمة التي أجلها النبوة التي بها إرشاد الخلق لصلاحهم (قوله سيريكم آياته) أى في الدنيا (قوله وضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم) أى وجوه الذين قتلوا وأدبارهم (قوله بالياء والتاء) أى فهما قراءتان سبعيتان فعلى الأولى ، وعيد محض وعلى الثانية فيه وعد للطائعين ووعيد للعاصين. [سورة القصص] سميت بذلك لاشتمالها على الحكايات والأخبار المروية عن الله لأن القصص مصدر بمعنى الاخبار وتسمى أيضا سورة موسى (قوله نزلت بالجحفة) أى حين خرج رسول الله

صلى الله عليه وسلم من الغار ليلا مهاجرا في غير الطريق مخافة الطلب فلما رجع إلى الطريق ونزل بالجحفة عرف الطريق إلى مكة فاشتاق إليها فنزلت تلك الآية تسلية وتبشيرا له بأنه يرجع إلى مكان عوده وهو مكة أحسن مرجع ومن هنا صح استعمال هذه الآية للعارفين عند توديع المسافر وقيل المعاد الموت وقيل الآخرة وكل صحيح وهذه الآية ليست مكية ولا مدنية لأنها لم تنزل قبل الهجرة ولم تنزل بعد استقرارها بل نزلت بالطريق (قوله إلى قوله لا نبتغي الجاهلين) أى وهو أربع آيات (قوله أى هذه الآيات) أى آيات هذه

(وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ) لله بتوحيده (وَأَنْ أَتْلُوَا الْقُرْآنَ) عليكم تلاوة الدعوة إلى الإيمان (فَمَنِ اهْتَدَى) له (فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ) أى لأجلها فإن ثواب اهتدائه له (وَمَنْ ضَلَّ) عن الإيمان وأخطأ طريق الهدى (فَقُلْ) له (إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ) المخوّفين فليس عليّ إلا التبليغ، وهذا قبل الأمر بالقتال (وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا) فأراهم الله يوم بدر القتل والسبي وضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم وعجلهم الله إلى النار (وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ) بالياء والتاء، وإنما يمهلهم لوقتهم .

(سورة القصص)

مكية إلا ـ إن الذي فرض ـ الآية، نزلت بالجحفة وإلا «الذين آتيناهم الكتاب ـ إلى قوله ـ لا نبتغي الجاهلين» وهي سبع أو ثمان وثمانون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. طسم) الله أعلم بمراده بذلك (تِلْكَ) أى هذه الآيات (آيَاتُ الْكِتَابِ) الإضافة بمعنى من (الْمُبِينِ) المظهر الحق من الباطل (نَتْلُوا) نقص (عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ) خبر (مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ) الصدق (لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) لأجلهم لأنهم المنتفعون به (إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا) تعظم (فِي الْأَرْضِ) أرض مصر (وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا) فرقا في خدمته (يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ) هم بنو إسرائيل (يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ) المولودين (وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ) يستبقيهن أحياء لقول بعض الكهنة له إن مولودا يولد في بني إسرائيل يكون سبب زوال ملكك .

السورة والاشارة لمحقق حاضر في علم الله تعالى (قوله نتلوا عليك) مفعوله محذوف أى شيئا وقوله من نبأ صفة لذلك المحذوف ويصح أن تكون من اسم بمعنى بعض هي المفعول أو زائدة على مذهب الأخفش ونبأ هو المفعول (قوله بالحق) حال إما من فاعل نتلوا أو من مفعوله والمعنى حال كوننا ملتبسين بالصدق أو كون الخبر ملتبسا بالصدق (قوله لأجلهم) أشار بذلك إلى أن اللام للتعليل أى أن المقصود بالذكر المؤمنون لأنهم هم المنتفعون بذلك قال تعالى ـ ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ـ (قوله إن فرعون) كلام مستأنف بيان للنبأ (قوله تعظم) أى تكبر وافتخر (قوله وجعل أهلها شيعا) أى أصنافا فجعل الصنائع الشريفة والامارة للقبط وجعل الصنائع الخسيسة لبني إسرائيل من بناء وحرث وحفر وغير ذلك ومن لم يستعمله ضرب عليه الجزية (قوله يذبح أبناءهم) بدل اشتمال من قوله يستضعف الخ وذلك أن بني إسرائيل لما كثروا بمصر استطالوا على الناس وعملوا المعاصي فسلط الله عليهم القبط فاستضعفوهم وذبحوا أبناءهم بأمر فرعون . قيل إنه ذبح سبعين ألفا إلى أن أنجاهم الله على يد موسى عليه السلام

(قوله إنه كان من المفسدين) أى الراسخين فى الفساد (قوله بالقتل وغيره) أى كدعوى الألوهية (قوله ونريد أن نمن) أى نتفضل عليهم بإنجائهم من بأسه (قوله يقتدى بهم) أى بعد أن كانوا أذلاء مسخرين (قوله ونمكن لهم فى الأرض) أى نملكهم مصر والشام يتصرفون فيهما كيف يشاءون (قوله ونرى فرعون) أى نبصره وفرعون وما عطف عليه مفعول أول وما كانوا يحذرون مفعول ثان (قوله وفى قراءة) أى وعليها فلها مفعول واحد فقط وهوقوله : ما كانوا يحذرون ، وعلى هذه فتجب إمالة الراء إمالة محضة (قوله ورفع الأسماء الثلاثة) أى على الفاعلية (قوله منهم) أى المستضعفين (قوله يخافون من المولود الخ) أى وقد حصل ماخافوه حين أتتهم معجزات موسى عليه السلام وحين أدركهم الغرق (قوله وحى إلهام أومنام) هذان قولان للمفسرين وقيل كان بملك تمثل لها واعترض بأنها ليست بنبية . وأجيب بأن الممنوع نزول الملائكة على غير الأنبياء بالشرائع وأما بغيرها فجائز كنزول الملك على البارّ بأمه التى تقدمت قصته فى البقرة (قوله إلى أم موسى) أى واسمها يوحانذ بضم الياء وكسر النون وبالذال المعجمة ، وقيل لوخا بنت هائد بن لاوى بن يعقوب ، وقد اشتملت هذه الآية على أمرين وهما أرضعيه وألقيه ونهيين وهما لا تخافى ولا تحزنى وخبرين و بشارتين وهما إنا رادّوه إليك وجاعلوه من المرسلين فهما خبران تضمنا بشارتين (قوله أن أرضعيه) يصح أن تكون أن مفسرة أومصدرية (قوله فإذا خفت عليه) أى من الذبح (قوله ولاتخافى غرقه) دفع بذلك التناقض بين إثبات الخوف ونفيه

فالمثبت هو خوف الذبح والمنفى هو خوف الغرق (قوله إنا رادّوه إليك) أى لتأمنى عليه وهو علة للنهى عن الخوف والحزن (قوله فوضعته فى تابوت) أى وكان طوله خمسة أشبار وعرضه كذلك وجعلت المفتاح فى التابوت (قوله مطلى بالقار) أى الزفت (قوله ممهد) أى مفروش له فيه ففرشت فيه قطنا محلوجا (قوله وأغلقته) أى وقيرت رأسه . وحاصله أن أم موسى لما تقاربت ولادتها وكانت قابلة من القوابل التى وكلهن فرعون بحبالى بنى إسرائيل مصافية لأم موسى ومصاحبة لها فلما ضربها الطلق أرسلت إليها ، فقالت قد نزل بى ما نزل فليسعفنى حبك إياى اليوم فعالجتها ، فلما أن وقع موسى بالأرض هالها نور بين عينى موسى فارتعش كل مفصل فيها ودخل حب موسى قلبها، ثم قالت القابلة لها ياهذه ماجئت إليك حين دعوتنى إلا ومرادى قتل مولودك ولكن وجدت لابنك هذا حبا ماوجدت حب شىء مثل حبه فاحفظى ابنك فلما خرجت القابلة من عندها أبصرها بعض العيون فجاءوا على بابها ليدخلوا على أم موسى ، فقالت أخته يا أماه هذا الحرس بالباب فلفت موسى بخرقة وألقته فى التنور وهومسجور وطاش عقلها فلم تعقل ماتصنع. قال فدخلوا فإذا التنورمسجور ورأوا أم موسى ولم يتغير لها لون ولم يظهر لها لبن ، فقالوا ما أدخل عليك القابلة ؟ فقالت هى مصافية لى فدخلت علىّ زائرة فخرجوا من عندها فرجع لها عقلها فقالت لأخت موسى فأين الصبى ؟ فقالت لا أدرى فسمعت بكاء الصبى من التنور فانطلقت إليه وقد جعل الله عليه النار بردا وسلاما فاحتملته . ثم إن أم موسى لما رأت إلحاح فرعون فى طلب الولدان خافت على ابنها وقذف الله فى نفسها أن تتخذ تابوتا ثم تقذف التابوت فى النيل ، فانطلقت إلى رجل نجار من قوم فرعون فاشترت منه تابوتا صغيرا ، فقال النجار ماتصنعين بهذا التابوت ؟ فقالت لى ابن أخبئه فى التابوت وكرهت الكذب ولم تقل أخشى عليه كيد فرعون ، فلما اشترت التابوت وحملته وانطلقت به انطلق النجار إلى الذباحين ليخبرهم بأمر أم موسى ، فلما هم بالكلام أمسك الله لسانه فلم يطق الكلام وجعل يشير بيده فلم يدر الأمناء مايقول فأعياهم أمره قال كبيرهم اضربوه فضربوه وأخرجوه ، فلما انتهى النجار إلى موضعه

(إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ) بالقتل وغيره (وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً) بتحقيق الهمزتين و إبدال الثانية ياء : يقتدى بهم فى الخير (وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ) ملك فرعون (وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ) أرض مصر والشام (وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا) وفى قراءة ويرى بفتح التحتانية والراء ورفع الأسماء الثلاثة (مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ) يخافون من المولود الذى يذهب ملكهم على يديه (وَأَوْحَيْنَا) وحى إلهام أومنام (إِلَى أُمِّ مُوسَى) وهو المولود المذكور ولم يشعر بولادته غير أخته (أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ) البحر أى النيل (وَلَا تَخَافِي) غرقه (وَلَا تَحْزَنِي) لفراقه (إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ) فأرضعته ثلاثة أشهر لايبكى وخافت عليه فوضعته فى تابوت مطلى بالقار من داخل ممهد له فيه وأغلقته وألقته فى بحر النيل ليلا ،

(فالتقطه)

ردّ الله عليه لسانه فتكلم فانطلق أيضا يريد الأمناء فأتاهم ليخبرهم فأخذ لسانه و بصره فلم يطق الكلام ولم يبصر شيئا فضربوه وأخرجوه ، فبقى حيران فجعل لله عليه إن ردّ لسانه وبصره أن لايدل عليه وأن يكون معه ويحفظه حيث ما كانوا وعرف الله منه الصدق فردّ عليه لسانه و بصره فخرّ لله ساجدا وقال يارب دلنى على هذا العبد الصالح فدله الله عليه فآمن به وصدّقه . وقيل لما حملت أم موسى به كتمت أمرها عن جميع الناس فلم يطلع على حبلها أحد من خلق الله وذلك شئ ستره الله تعالى لما أراد أن يمنّ به على بنى إسرائيل ، فلما كانت السنة التى ولد فيها بعث فرعون القوابل إليهنّ ففتشن النساء تفتيشا لم يفتشن قبل ذلك مثله وحملت أم موسى فلم يتغير لونها ولم تكبر بطنها وكانت القوابل لايتعرضن لها ، فلما كانت الليلة التى ولد فيها ولدته ولارقيب لها ولا قابلة ولم يطلع عليها أحد إلا أخته مريم ، وأوحى الله إليها أن أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه فى اليم وهو البحر ليلا ، وكان لفرعون يومئذ بنت لم يكن له ولد غيرها وكانت من أكرم الناس عليه وكان لها كل يوم ثلاث حاجات ترفعها إليه وكان بها برص شديد وكان فرعون قد جمع له الأطباء والسحرة فنظروا فى أمرها فقالوا : أيها الملك لاتبرأ إلا من قبل البحر فيوجد فيه شبه الانسان فيؤخذ من ريقه فيلطخ به برصها فتبرأ من ذلك وذلك فى يوم كذا فى ساعة كذا فى شهر كذا حين تشرق الشمس ، فلما كان ذلك اليوم غدا فرعون إلى مجلس له كان على شفير النيل وكان معه امرأته آسية بنت مزاحم وأقبلت بنت فرعون فى جواريها حتى جلست على شاطئ النيل مع جواريها تلاعبهنّ وتنضح الماء على وجوههنّ إذ أقبل النيل بالتابوت تضربه الأمواج ، فقال فرعون إن هذا لشئ فى البحر قد تعلق بشجرة ائتونى به فابتدروه بالسفن من كل ناحية حتى وضعوه بين يديه فعالجوا فتح الباب فلم يقدروا عليه وعالجوا كسره فلم يقدروا عليه ، فدنت آسية فرأت فى جوف التابوت

نورا لم يره غيرها فعالجته ففتحت

(فَالْتَقَطَهُ) بالتابوت صبيحة الليل (آلُ) أعوان (فِرْعَوْنَ) فوضعوه بين يديه وفتح وأخرج موسى منه وهو يمص من إبهامه لبناً (لِيَكُونَ لَهُمْ) فى عاقبة الأمر (عَدُوًّا) يقتل رجالهم (وَحَزَنًا) يستعبد نساءهم ، وفى قراءة بضم الحاء وسكون الزاى لغتان فى المصدر ، وهو هنا بمعنى اسم الفاعل من حزنه كأحزنه (إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ) وزيره (وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ) من الخطيئة : أى عاصين فعوقبوا على يديه (وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ) وقد همّ مع أعوانه بقتله :

الباب فاذا هى بصبى صغير فى التابوت وإذا النور بين عينيه وقد جعل الله رزقه فى إبهامه يمص منها لبنا فألقى الله محبته فى قلب آسية وأحبه فرعون وعطف عليه وأقبلت بنت فرعون فلما أخرجوا الصبى من التابوت عمدت إلى مايسيل من ريقه فلطخت به برصها فبرئت فى الحال باذن الله تعالى فقبلته وضمته إلى صدرها ، فقال الغواة من قوم فرعون أيها الملك إنا نظنّ أن ذلك المولود الذى تحذر منه من بنى إسرائيل هو هذا رمى به فى البحر خوفا منك فهم فرعون بقتله ، فقالت آسية ـ قرة عين لى ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا ـ أى فنصيب منه خيرا أو نتخذه ولدا وكانت آسية لا تلد فاستوهبت موسى من فرعون فوهبه لها ، وقال فرعون أما أنا فلاحاجة لى فيه . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو قال فرعون يومئذ قرة عين لى كما هو لك لهداه الله كما هداها » فقيل لآسية سميه فقالت سميته موسى لأنا وجدناه فى الماء والشجر لأن مو هو الماء وشا هو الشجر فأصل موسى بالمهملة موشى بالمعجمة (قوله فالتقطه آل فرعون) عطف على ما قدره المفسر بقوله فأرضعته الخ (قوله صبيحة الليل) أى وكان يوم الاثنين (قوله وفتح) أى فتحته آسية بعد أن عالجوه بالفتح والكسر فلم يقدروا (قوله فى عاقبة الأمر) أشار بذلك إلى أن اللام للعاقبة والصيرورة لا للعلة لأن علة التقاطهم أن يكون حبيبا وابنا ، ففى الآية استعارة تبعية فى متعلق معنى الحرف يقدر تشبيه ترتب نحو العداوة والحزن على نحو الالتقاط بترتب العلة الغائية فى المحبة والتبنى بجامع مطلق الترتب الأعم من الطرفين فالترتب الثانى متعلق معنى اللام فقدر استعارة الترتب الكلى المشبه به بالترتب الكلى المشبه فسرى التشبيه لمعنى اللام الذى هو الترتب الجزئى فاستعير لفظ اللام واستعمل فى الترتب الجزئى والعداوة والحزن قرينة أفاده الملوى (قوله وفى قراءة الخ) أى وهى سبعية أيضا (قوله من حزنه) هو من باب ضرب ونصر (قوله فعوقبوا على يديه) أى مع أنه تربى على أيديهم فهو أبلغ فى إذلالهم (قوله وقالت امرأة فرعون) أى وهى آسية بنت مزاحم وكانت من خيار النساء ، قيل كانت من ذرية الريان بن الوليد الذى كان فى زمن يوسف الصديق عليه السلام ، وقيل من بنات الأنبياء من بنى إسرائيل من سبط موسى عليه السلام ، وقيل كانت عمته فقالت لفرعون وهى قاعدة إلى جنبه هذا الولد أكبر من ابن

سنة وأنت تذبح ولدان هذه السنة فدعه يكون عندى، وقيل إنها قالت له إنه أتى من أرض أخرى وليس هو من بنى إسرائيل (قوله هو قرت عين) أشار المفسر إلى أنه خبر لمحذوف (قوله عسى أن ينفعنا الخ) أى لما رأت فيه من العلامات الدالة على النجابة والبركة (قوله فأطاعوها) أى على عادة أمراء مصر من كونهم يطيعون النساء فيما يقلنه (قوله وهم لايشعرون) حال من آل فرعون (قوله وأصبح فؤاد أم موسى) يصح أن يبقى أصبح على ظاهره إن ثبت أنها ألقته ليلا أو يجعل بمعنى صار إن كانت ألقته نهارا (قوله فارغا مما سواه) أى من التفكر فى غيره لما ورد: أنه أتاها الشيطان وقال كرهت أن يقتل فرعون ابنك فيكون لك أجره وثوابه وتوليت أنت قتله فأغرقتيه فى البحر فحزنت لذلك وانحصرت فكرتها فيه ونسيت ما أوحى به إليها (قوله لتبدى به) ضمنه معنى تصرح فعداه بالباء ويصح أن يبقى على ظاهره وتكون الباء زائدة: أى تظهره (قوله لولا أن ربطنا على قلبها) جوابها محذوف: أى لأبدت به كما أشار له المفسر (قوله بوعد الله) أى المدلول عليه بقوله - إنا رادّوه إليك - الخ (قوله لأخته) أى شقيقته (قوله مريم) هو أحد أقوال، وقيل اسمها كلثمة، وقيل كلثوم (قوله عن

جنب) حال إما من الفاعل أو من الضمير المجرور بالباء أى أبصرته مستخفية كائنة عن جنب أو أبصرته أى اختفاء (قوله اختلاسا) أى اختفاء (قوله وأنها ترقبه) أى تنظره (قوله وحرمنا عليه) أى على موسى (قوله من قبل) هو ظرف مبنى على الضم لحذف المضاف إليه ونية معناه (قوله أى منعناه) أشار بذلك إلى أن المراد من التحريم لازمه وهو المنع لأن الصبى ليس من أهل التكليف (قوله من المراضع المحضرة) أى التى أحضرها فرعون (قوله وهم له ناصحون) أى مخلصون فى العمل من شوائب الفساد (قوله حنوهم عليه) أى عطفهم وميلهم إليه (قوله وغيره) أى كالتربية وإصلاح الحال (قوله فقبل ثديها) أى بعد أن مكث عندهم ثمانية أيام لايقبل ثدى مرضعة أصلا، قيل إن هامان لما سمع قولها وهم له ناصحون قال إنها لتعرفه وأهله فخذوها واحبسوها حتى تخبر بحاله، فقالت إنما أردت وهم له: أى للملك ناصحون فأمرها فرعون بأن تأتى بمن يكفله فأتت بأم موسى وهو على يد فرعون يبكى طالبا للرضاع وهو يعلله شفقة عليه فلما وجد ريحها استأنس والتقم ثديها، فقال لها من أنت منه فقد أبى كل ثدى إلا ثديك؟ فقالت إنى امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا أكاد أوتى بصبى إلا قبلنى فدفعه إليها وقال لها أقيمى عندنا لإرضاعه فقالت لا أقدر على فراق بيتى فإن رضيتم أرضعته فى بيتى وإلا فلا حاجة لى فيه وأظهرت الزهد فيه نفيا للتهمة عنها فرضوا بذلك فرجعت به إلى بيتها من يومها ولم يبق أحد من آل فرعون إلا أهدى إليها وأتحفها بالذهب والجواهر (قوله كى تقر عينها) أى تبرد وتسكن من ألم الفراق (قوله ولا تحزن) عطف على تقر منصوب بأن مضمرة بعد كى (قوله فمكث عندها إلى أن فطمته) أى وهو سنتان.

هو (قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لاَ تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً) فأطاعوها (وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ) بعاقبة أمرهم معه (وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى) لما علمت بالتقاطه (فَارِغاً) مما سواه (إِنْ) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف. أى إنها (كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ) أى بأنه ابنها (لَوْلاَ أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا) بالصبر أى سكناه (لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) المصدقين بوعد الله وجواب لولا دل عليه ماقبلها (وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ) مريم (قُصِّيهِ) أى اتبعى أثره حتى تعلمى خبره (فَبَصُرَتْ بِهِ) أبصرته (عَنْ جُنُبٍ) من مكان بعيد اختلاسا (وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ) أنها أخته وأنها ترقبه (وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ) أى قبل رده إلى أمه أى منعناه من قبول ثدى مرضعة غير أمه فلم يقبل ثدى واحدة من المراضع المحضرة له (فَقَالَتْ) أخته (هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ) لما رأت حنوهم عليه (يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ) بالارضاع وغيره (وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ) وفسرت ضمير له بالملك جوابا لهم فأجيبت فجاءت بأمه فقبل ثديها وأجابتهم عن قبوله بأنها طيبة الريح طيبة اللبن فأذن لها فى إرضاعه فى بيتها فرجعت به كما قال تعالى (فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا) بلقائه (وَلاَ تَحْزَنَ) حينئذ (وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللهِ) برده إليها (حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ) أى الناس (لاَ يَعْلَمُونَ) بهذا الوعد ولا بأن هذه أخته وهذه أمه فمكث عندها إلى أن فطمته وأجرى عليها أجرتها لكل يوم دينار وأخذتها

(قوله وأخذتها لأنها مال حربى) جواب عما يقال كيف جاز لها أن تأخذ أجرة منه على إرضاع ولدها (قوله أو ثلاث) أو لتنويع الخلاف (قوله أى بلغ أربعين سنة) المناسب أن يقول أى كمل عقله وانتهى شبابه لأن موسى أقام فى مصر ثلاثين سنة ثم ذهب إلى مدين وأقام فيها عشر سنين ووقعة قتل القبطى كانت قبل ذهابه لمدين فهى السبب فيه (قوله كما جزيناه) أى مثل ذلك الذى فعلناه بموسى وأمه نجزى المحسنين على إحسانهم (قوله منف) بضم فسكون ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث أو العجمة، وهى من أعمال مصر، وقيل هى قرية يقال لها أم خنان على فرسخين من مصر، وقيل هى مدينة عين الشمس، وقيل هى مصر (قوله وقت القيلولة) وقيل بين المغرب والعشاء. وسبب دخوله المدينة فى ذلك الوقت أن موسى كان يسمى ابن فرعون وكان يركب مراكبه ويلبس لباسه فركب فرعون يوما وكان موسى غائبا فلما قدم قيل له إن فرعون قد ركب فركب موسى فى أثره فأدركه المقيل فى أرض منف فدخلها وليس فى طرقها أحد (قوله وهذا من عدوه) أى

وأخذتها لأنها مال حربى فأتت به فرعون فتربى عنده كما قال تعالى حكاية عنه فى سورة الشعراء - ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين - (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ) وهو ثلاثون سنة أو وثلاث (وَاسْتَوَى) أى بلغ أربعين سنة (آتَيْنَاهُ حُكْماً) حكمة (وَعِلْماً) فقها فى الدين قبل أن يبعث نبيا (وَكَذَٰلِكَ) كما جزيناه (نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) لأنفسهم (وَدَخَلَ) موسى (الْمَدِينَةَ) مدينة فرعون، وهى منف بعد أن غاب عنه مدة (عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا) وقت القيلولة (فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِنْ شِيعَتِهِ) أى إسرائيلى (وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ) أى قبطى يسخر الإسرائيلى ليحمل حطبا إلى مطبخ فرعون (فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ) فقال له موسى خلّ سبيله فقيل إنه قال لموسى لقد هممت أن أحمله عليك (فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ) أى ضربه بجمع كفه وكان شديد القوة والبطش (فَقَضَىٰ عَلَيْهِ) أى قتله ولم يكن قصد قتله ودفنه فى الرمل (قَالَ هَٰذَا) أى قتله (مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ) المهيج غضبى (إِنَّهُ عَدُوٌّ) لابن آدم (مُضِلٌّ) له (مُبِينٌ) بيّن الإضلال (قَالَ) نادما (رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي) بقتله (فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) أى المتصف بهما أزلا وأبدا (قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ) بحق إنعامك (عَلَيَّ) بالمغفرة اعصمنى (فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا) عونا (لِلْمُجْرِمِينَ) الكافرين بعد هذه إن عصمتنى (فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ) ينتظر ما يناله من جهة القتيل (فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ) يستغيث به على قبطى آخر (قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ) بيّن الغواية،

وكان طباخا لفرعون واسمه فليثون أراد أن يسخر الاسرائيلى لحمل الحطب (قوله فاستغاثه) أى طلب غوثه ونصره (قوله أن أحمله) أى الحطب (قوله فوكزه موسى) أى دفعه بجمع كفه، وأما اللكز فهو الضرب بأطراف الأصابع (قوله بجمع كفه) أى بكفه مجموعة فهو من إضافة الصفة للموصوف (قوله فقضى عليه) أى أوقع عليه القضاء وهو الموت (قوله ولم يكن قتله) جواب عما يقال كيف تجرأ على قتل القبطى وحاصل إيضاح الجواب أن قتله كان خطأ، وقد يقال قتله من باب دفع الصائل وهو واجب، والاستغفار من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين (قوله قال هذا من عمل الشيطان) نسبته للشيطان من حيث إنه لم يؤمر بقتل القبطى وظهر له أن قتله خلاف الأولى لما يترتب عليه من الفتن والشيطان تفرحه الفتن (قوله إنى ظلمت نفسى) الحق أن هذا تواضع منه وحسنات الأبرار سيئات المقربين (قوله بحق إنعامك علىّ) أشار بهذا إلى أن ما مصدرية والكلام على حذف مضاف وأشار بقوله أعصمنى إلى أن الباء متعلقة بمقدر هو هذا وقوله فلن أكون جواب شرط قدره بقوله أن عصمتنى وأراد بمظاهرة المجرمين صحبة فرعون وانتظامه فى جماعته وتكثير سواده (قوله فإذا الذى) إذا الفجائية والذى مبتدأ نعت لمحذوف أى فإذا الاسرائيلى الذى واستنصره صلته ويستصرخه خبر المبتدإ (قوله على قبطى آخر) أى يريد أن يستخدمه والاستصراخ الاستغاثة وسميت بذلك لأن المستغيث يصوت ويصرخ فى طلب الغوث (قوله قال له موسى) قال ابن عباس إن القبط قالوا لفرعون إن بنى إسرائيل قتلوا منا رجلا فخذلنا بحقنا فقال اطلبوا قاتله ومن يشهد عليه فبينما هم يطوفون لا يجدون بينة

الأمر موسى من الندم فرأى ذلك الاسرائيلى يقاتل فرعونيا آخر فاستغاثه على الفرعونى وكان موسى قد ندم على ما كان منه بالأمس من قتل القبطى فقال للإسرائيلى إنك لغوى مبين (قوله لما فعلته أمس واليوم) أى حيث قاتلت بالأمس رجلا فقتلته بسببك وتقاتل اليوم آخر وتستغيثنى عليه (قوله فلما أن أراد أن يبطش الخ) وذلك أن موسى أخذته الغيرة والرقة على الاسرائيلى فمد يده ليبطش بالقبطى فظن الاسرائيلى أنه يريد أن يبطش به هو لما رأى من غضبه وسمع من قوله إنك لغوى مبين فقال ياموسى أتريد الخ (قوله جبارا فى الأرض) الجبار هو الذى يقتل و يضرب و يتعاظم ولا ينظر فى العواقب (قوله من المصلحين) أى بين الناس (قوله هو مؤمن آل فرعون) هو ابن عم فرعون واسمه حزقيل وقيل شمعون وقيل سمعان وهو الذى ذكر فى قوله تعالى - وقال رجل مؤمن من آل فرعون - (قوله يسعى) صفة لرجل أو حال منه لوجود المخصص قبله (قوله يتشاورون فيك) أى يأمر بعضهم بعضا بقتلك (قوله أو غوث الله إياه) أو مانعة خلو تجوز الجمع (قوله قال رب نجنى الخ) أى خلصنى منهم واحفظنى من لحوقهم (قوله ولما توجه تلقاء مدين) أى بإلهام من الله لعلمه بأن أرض مدين لا تسلط لفرعون عليها وأن بينه و بين أهل مدين قرابة لكونهم من ذرية إبراهيم وهو كذلك (قوله ابن إبراهيم) أى الخليل عليه السلام وله ولد آخر اسمه مداين فأولاده أربعة إسمعيل و إسحق ومدين ومداين ، و إنما يصرح فى القرآن بمدين ومداين لأنهما لم يكونا نبيين (قوله ولم يكن يعرف طريقها) وخرج بلا زاد ولا رفيق ولم يكن له طعام إلا ورق الشجر ونبات الأرض حتى رئيت خضرته فى باطنه من خارج وما وصل إلى مدين حتى وقع جمع

لما فعلته أمس واليوم (فَلَمَّا أَنْ) زائدة (أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا) لموسى والمستغيث به (قَالَ) المستغيث ظانا أنه يبطش به لما قال له (يَامُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ) ما (تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِى الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ) فسمع القبطى ذلك فعلم أن القاتل موسى فانطلق إلى فرعون فأخبره بذلك فأمر فرعون الذباحين بقتل موسى فأخذوا فى الطريق إليه (وَجَاءَ رَجُلٌ) هو مؤمن آل فرعون (مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ) آخرها (يَسْعَى) يسرع فى مشيه من طريق أقرب من طريقهم (قَالَ يَامُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ) من قوم فرعون (يَأْتَمِرُونَ بِكَ) يتشاورون فيك (لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ) من المدينة (إِنِّى لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ) فى الأمر بالخروج (فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ) لحوق طالب أو غوث الله إياه (قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) قوم فرعون (وَلَمَّا تَوَجَّهَ) قصد بوجهه (تِلْقَاءَ مَدْيَنَ) جهتها وهى قرية شعيب مسيرة ثمانية أيام من مصر سميت بمدين بن إبراهيم ولم يكن يعرف طريقها (قَالَ عَسَى رَبِّى أَنْ يَهْدِيَنِى سَوَاءَ السَّبِيلِ) أى قصد الطريق أى الطريق الوسط إليها ، فأرسل الله له ملكا بيده عنزة فانطلق به إليها (وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ) بئر فيها أى وصل إليها (وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً) جماعة (مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ) مواشيهم (وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ) أى سواهم (امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ) تمنعان أغنامهما عن الماء (قَالَ) موسى لهما (مَا خَطْبُكُمَا) أى ما شأنكما لا تسقيان (قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ) ،

خف قدميه وهو أول ابتلاء من الله لموسى (قوله سواء السبيل) من إضافة الصفة للموصوف أى السبيل السوى (قوله أى الطريق الوسط) أى وكان لها ثلاث طرق فأخذ موسى يمشى فى الوسطى وجاء الطلاب فى أثره فساروا فى الأخريين ولم يعرفوا محله (قوله ملكا) أى وكان راكبا على فرس قيل هو جبريل (قوله بيده عنزة) هى فوق العصا ودون الرمح فى طرفها حربة كحربة الرمح (قوله بئر فيها) أشار بذلك إلى أنه أطلق الحال وأراد المحل فأطلق الماء وأريد البئر (قوله أى وصل إليها) أشار بذلك إلى أن المراد بالورود هنا الوصول لأن الورود يطلق على الدخول فى الشئ وعلى الاطلاع على الشئ والوصول إليه ومنه قوله تعالى - و إن منكم إلا واردها - على مشهور التفاسير - (قوله جماعة) أى كثيرة (قوله يسقون) الجملة حال من فاعل وجد لأنها بمعنى لقى فتنصب مفعولا واحدا (قوله مواشيهم) هو معمول يسقون وقد حذف فى هذه الآية معمول يسقون وتذودان ولا نسقى لأن المقصود الفعل لا المفعول

جمع راع ، أى يرجعون عن سقيهم خوف الزحام فنسق وفى قراءة يصدر من الرباعى أى يصرفون مواشيهم عن الماء (وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ) لايقدر أن يسق (فَسَقَى لَهُمَا) من بئر أخرى بقربها رفع حجراً عنها لايرفعه إلا عشرة أنفس (ثُمَّ تَوَلَّى) انصرف (إِلَى الظِّلِّ) لسمرة من شدة حر الشمس وهو جائع (فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ) طعام (فَقِيرٌ) محتاج ، فرجعتا إلى أبيهما فى زمن أقل مما كانتا ترجعان فيه فسألهما عن ذلك فأخبرتاه بمن سقى لهما فقال لإحداهما ادعيه لى ، قال تعالى (فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِى عَلَى اسْتِحْيَاءٍ) أى واضعة كم درعها على وجهها حياء منه (قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَاسَقَيْتَ لَنَا) فأجابها منكراً فى نفسه أخذ الأجرة كأنها قصدت المكافأة إن كان ممن يريدها فمشت بين يديه فجعلت الريح تضرب ثوبها فتكشف ساقيها فقال لها امشى خلفى ودلينى على الطريق ففعلت إلى أن جاء أباها وهو شعيب عليه السلام وعنده عَشاء فقال له اجلس فتعش قال أخاف أن يكون عوضا مما سقيت لهما وإنا أهل بيت لانطلب على عمل خير عوضاً ، قال : لا ، عادتى وعادة آبائى نقرى الضيف ونطعم الطعام فأكل وأخبره بحاله ، قال تعالى (فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ) مصدر بمعنى المقصوص من قتله القبطى وقصدهم قتله وخوفه من فرعون (قَالَ لَاتَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) إذ لاسلطان لفرعون على مدين (قَالَتْ إِحْدَاهُمَا) وهى المرسلة الكبرى أو الصغرى (يَاأَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ) اتخذه أجيراً يرعى غنمنا أى بدلنا (إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ) أى استأجره لقوته وأمانته ، فسألها عنهما فأخبرته بما تقدم : من رفعه حجر البئر ، ومن قوله لها امشى خلفى وزيادة أنها لما جاءته وعلم بها صوّب رأسه فلم يرفعه فرغب فى إنكاحه (قَالَ إِنِّى أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ) وهى الكبرى أو الصغرى ،

(قوله جمع راع) أى على غير قياس وقياسه بضم الراء كقاض وقضاة (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله وأبونا شيخ كبير) أى فهذا وجه مباشرتنا للسقى بأنفسنا قال الأجهورى فى شرح خطبة الشيخ خليل : [تتمة] عاش شعيب نبى الله ثلاثة آلاف سنة ذكره الشيخ زروق ، وفى رواية وكان فى غنمه اثنا عشر ألف كلب ، وفى رواية أنه عاش ثلاثة آلاف سنة وستمائة سنة اهـ ملخصا من حاشية شيخنا الشيخ سليمان الجمل على فضائل رمضان للأجهورى (قوله لايقدر أن يسقى) أى فيرسلنا اضطرارا (قوله فسقى لهما) أى سقى أغنامهما لأجلهما (قوله إلا عشرة أنفس) وقيل سبعة ، وقيل ثلاثون ، وقيل أربعون ، وقيل مائة (قوله لسمرة) بضم الميم ، وهى شجرة عظيمة من شجر الطلح وهى التى أمر صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء بالنزول والصلاة عندها (قوله إنى لما أنزلت إلىّ) إن حرف توكيد والياء اسمها ولما أنزلت متعلق بفقير وهو خبر إن وأنزلت بمعنى تنزل والمعنى إنى فقير ومحتاج لما تنزله إلى من أى شىء كان قليلا أوكثيرا (قوله ادعيه لى) أى اطلبيه ليحضر عندى (قوله فجاءته الخ) عطف على ما قدره المفسر بقوله فرجعتا الخ (قوله تمشى) حال من فاعل جاء وقوله على استحياء حال من الضمير فى تمشى والاستحياء هو الحياء بالمد ، وهو حالة تعترى الشخص تحمله على تجنب الرذائل (قوله كم درعها) أى قميصها (قوله منكرا فى نفسه أخذ الأجرة) أى فلم يكن قصده بالاجابة أخذ الأجرة بل التبرك بأبيها (قوله وهو شعيب) هذا هو الصحيح ، وقيل هو يثرون ابن أخى شعيب وكان شعيب قد مات ، وقيل هو رجل ممن آمن بشعيب وشعيب هو ابن متبعون بن عنقاش بن مدين بن إبراهيم عليه السلام (قوله وهى المرسلة) أى وهى التى تزوجها موسى عليه السلام (قوله إن خير من استأجرت) تعليل للأمر بالاستئجار (قوله فسألها عنهما) أى بأن قال لها وما أعلمك قوته وأمانته (قوله وزيادة) أى على ماذكرته من القوة والأمانة ، وقد يقال إن هذا من جملة الأمانة فلا زيادة (قوله صوّب رأسه) أى خفضه (قوله فرغب فى إنكاحه) أى رغب شعيب فى إنكاحه ابنته (قوله هاتين) استفيد منه أنه كان له غيرهما قيل كان له سبع بنات .

(قوله على أن تأجرني) حال من الفاعل أو المفعول ومفعول تأجرني محذوف . والمعنى تأجرني نفسك ، وقوله ثماني حجج ظرف له (قوله فمن عندك التمام) قدره إشارة إلى أن قوله فمن عندك خبر لمحذوف والتقدير فالتمام من عندك تفضلا لا إلزاما (قوله للتبرك) أي فالاستثناء للتبرك والتفويض إلى توفيقه تعالى لا التعليق لأن صلاحه محقق (قوله ذلك) اسم الاشارة مبتدأ و بيني و بينك خبره ، والمعنى ذلك الذي وقع منك وعاهدتني عليه ثابت بيننا جميعا لايخرج عنه واحد منا و يصح أن يكون ذلك مفعولا لمحذوف أي قبلت ذلك ، وقوله بيني و بينك الخ حال من اسم الاشارة . والمعنى قبلت ذلك العقد حال كونه كائنا بيني و بينك لم يكن علينا شهيد إلا الله (قوله أيما الأجلين) أي شرطية وجوابها فلاعدوان علي وما زائدة كما قال المفسر (قوله (قوله الثمان أو العشر) بالنصب تفسير لأي (قوله فتم العقد) أي عقد النكاح والاجارة . إن قلت إن الذي وقع من شعيب وعد والنكاح لايكون إلا بصيغة إبرام وأيضا لم يبين المنكوحة وأيضا الصداق ليست ثمرته عائدة عليها . أجيب بجوابين : الأول أن هذا كان في شرعه جائزا . الثاني أن يمكن تنزيله على شرعنا بأنه قصد بالوعد إنشاء الصيغة ، وقد وقع من موسى القبول بقوله ذلك ، و بأنه يمكن أنه بين المنكوحة باشارة مثلا و بأن الغنم يمكن أن يكون بعضها مملوكا لها

(عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي) تكون أجيرا لي في رعي غنمي (ثَمَانِيَ حِجَجٍ) أي سنين (فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا) أي رعي عشر سنين (فَمِنْ عِنْدِكَ) التمام (وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ) باشتراط العشر (سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ) للتبرك (مِنَ الصَّالِحِينَ) الوافين بالعهد (قَالَ) موسى (ذَلِكَ) الذي قلته (بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ) الثمان أو العشر وما زائدة أي رعيه (قَضَيْتُ) به أي فرغت منه (فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ) بطلب الزيادة عليه (وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ) أنا وأنت (وَكِيلٌ) حفيظ أو شهيد فتم العقد بذلك ، وأمر شعيب ابنته أن تعطي موسى عصا يدفع بها السباع عن غنمه ، وكانت عصي الأنبياء عنده فوقع في يدها عصا آدم من آس الجنة فأخذها موسى بعلم شعيب (فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ) أي رعيه وهو ثمان أو عشر سنين وهو المظنون به (وَسَارَ بِأَهْلِهِ) زوجته بإذن أبيها نحو مصر (آنَسَ) أبصر من بعيد (مِنْ جَانِبِ الطُّورِ) اسم جبل (نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا) هنا (إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ) عن الطريق، وكان قد أخطأها (أَوْ جَذْوَةٍ) بتثليث الجيم: قطعة وشعلة (مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ) تستدفئون والطاء بدل من تاء الافتعال من صلي بالنار بكسر اللام وفتحها ،

فثمرة الرعي عائدة عليها (قوله فوقع في يدها عصا آدم) قيل إنه أودعها ملك في صورة رجل عند شعيب فأمر ابنته أن تأتيه بعصا فأتته بها فردها سبع مرات فلم يقع في يدها غيرها فدفعها إليه ثم ندم لأنها وديعة عنده فتبعه فاختصما فيها ورضيا أن يحكم بينهما أول طالع فأتاهما الملك فقال ألقياها فمن رفعها فهي له فعالجها الشيخ فلم يطقها فرفعها موسى عليه السلام فكانت له (قوله من آس الجنة) أي وتوارثها الأنبياء بعد آدم فصارت منه إلى نوح ثم إلى إبراهيم حتى وصلت لشعيب وكان لايأخذها غير نبي إلا أكلته (قوله وهو المظنون به) أي و إن لم يصرح القرآن به لكمال مروءته فالمعول عليه أنه وفى العشر (قوله بأهله) أي زوجته وولده وخادمه (قوله نحو مصر) أي لصلة رحمه وزيارة أمه وأخيه . ورد أنه لما عزم على السير قال لزوجته اطلبي من أبيك أن يعطينا بعض الغنم فطلبت من أبيها ذلك فقال لكما كل ما ولدت هذا العام على غير شبهها من كل أبلق و بلقاء فأوحى الله إلى موسى أن اضرب بعصاك الماء واسق منه الغنم ففعل ذلك فما أخطأت واحدة إلا وضعت حملها مابين أبلق و بلقاء فعلم شعيب أن ذلك رزق ساقه الله إلى موسى وابنته فوفى له بشرطه وأعطاه الأغنام (قوله من جانب الطور) أي الأيمن بدليل ما يأتي (قوله عن الطريق) أي لنستدل عليها (قوله بتثليث الجيم) أي وكلها سبعية فالكسر قراءة الجمهور والضم قراءة حمزة والفتح قراءة عاصم (قوله قطعة وشعلة) أي عود غليظ كان في رأسه نار أولا، وقيل هو ما في رأسه نار فقوله من النار وصف مخصص على الأول وكاشف على الثاني (قوله والطاء بدل من تاء الافتعال) أي فأصله تصتلون وقعت التاء بعد أحد حروف الاطباق فقلبت طاء (قوله بكسر اللام) أي من باب رضي وقوله وفتحها أي من باب رمى

(فلما

(قوله نودي من شاطئ الواد الخ) قيل إن موسى لما رأى النار مشتعلة فى الشجرة الخضراء علم أن ذلك لا يقدر عليه إلا الله فلما نودى علم أن الله هو المتكلم بذلك النداء (قوله الأيمن) صفة للشاطئ أو للوادى ، من اليمن وهو البركة أو اليمين مقابل اليسار ، والمعنى الشاطئ الذى يلى يمين موسى (قوله فى البقعة) متعلق بنودى (قوله المباركة لموسى) أى لأنه فى ذلك المحل حصلت له البركة التامة فتلك الليلة أسعد لياليه كليلة الإسراء لرسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله من الشجرة) حال من الضمير فى نودى والتقدير نودى موسى والحال أنه كائن فى جهة الشجرة ، وليس المراد أنه سمع الكلام من جهة الشجرة فقط بل المحققون على أنه سمع الكلام بجميع أجزائه بلا حرف ولا صوت من جميع جهاته كما يكون لنا فى الآخرة عند رؤية ذاته جل شأنه بلا كيف ولا انحصار (قوله بدل) أى بدل اشتمال (قوله أو عوسج) أى شوك (قوله مفسرة) أى لأنه تقدمها جملة فيها معنى القول دون حروفه (قوله لا مخففة) أى لعدم إفادتها المعنى المقصود (قوله إنى أنا الله رب العالمين) هكذا قال هنا ، وفى سورة طه : إنى أنا ربك ، وقال فى النمل : نودى أن بورك من فى النار ومن حولها ولا تنافى بل الكل قاله الله له (قوله وأن ألق) عطف على قوله أن ياموسى (قوله من سرعة حركتها) أى فهو وجه شبهها بالجان وقوله فى الآية الأخرى : فإذا هى ثعبان مبين ، أى فى عظم الجثة فتحصل أنها باعتبار الجثة كالثعبان العظيم وباعتبار الخفة وسرعة الحركة كالحية الصغيرة (قوله ولى مدبرا) أى باعتبار الطبع البشرى حين رآها بهذه الصفة . ورد أنها لم تدع شجرة ولا صخرة إلا ابتلعتها حتى إن موسى عليه السلام سمع صرير أسنانها وقعقعة الشجر والصخر فى جوفها

(فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ) جانب (الْوَادِ الْأَيْمَنِ) لموسى (فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ) لموسى لسماعه كلام الله فيها (مِنَ الشَّجَرَةِ) بدل من شاطئ بإعادة الجار لنباتها فيه ، وهى شجرة عناب أو عليق أو عوسج (أَنْ) مفسرة لا مخففة (يَامُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ . وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ) فألقاها (فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ) تتحرك (كَأَنَّهَا جَانٌّ) وهى الحية الصغيرة من سرعة حركتها (وَلَّى مُدْبِرًا) هاربا منها (وَلَمْ يُعَقِّبْ) أى يرجع فنودى (يَامُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ . اسْلُكْ) أدخل (يَدَكَ) اليمنى بمعنى الكف (فِي جَيْبِكَ) هو طوق القميص وأخرجها (تَخْرُجْ) خلاف ما كانت عليه من الأدمة (بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ) أى برص ، فأدخلها وأخرجها تضىء كشعاع الشمس تغشى البصر (وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهَبِ) بفتح الحرفين وسكون الثانى مع فتح الأول وضمه : أى الخوف الحاصل من إضاءة اليد بأن تدخلها فى جيبك فتعود إلى حالتها الأولى ، وعبر عنها بالجناح لأنها للانسان كالجناح للطائر (فَذَانِكَ) بالتشديد والتخفيف أى العصا واليد وهما مؤنثان وإنما ذكر المشار به إليهما المبتدأ لتذكير خبره (بُرْهَانَانِ) مرسلان (مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ . قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا) هو القبطى السابق (فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ) به (وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا) أبين (فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا) معينا وفى قراءة بفتح الدال بلا همزة

فحينئذ ولى مدبرا (قوله من الأدمة) أى الحمرة (قوله تغشى البصر) أى تغطيه (قوله واضمم إليك جناحك) جعل الجناح هنا مضموما وفى آية طه مضموما إليه حيث قال : واضمم يدك إلى جناحك ، لأن المراد بالجناح المضموم اليد اليمنى وبالجناح المضموم إليه اليد اليسرى وكل من اليدين جناح (قوله من الرهب) متعلق باضمم (قوله بفتح الحرفين الخ) أى فالقراءة ثلاث سبعيات (قوله بأن تدخلها) أى تدخل اليد اليمنى التى حصل فيها البياض فى جيبك فتعود لحالتها الأولى فيزول عنك الخوف والفزع الذى حصل لك (قوله كالجناح للطائر) أى لأن الطائر إذا خاف نشر جناحيه وإذا أمن واطمأن ضمهما إليه (قوله بالتشديد والتخفيف) أى فهما قراءتان سبعيتان فالمشددة تثنية ذلك بلام البعد والمخفف تثنية ذاك فالتشديد عوض عن اللام فى المفرد (قوله وإنما ذكر المشار به الخ) جواب عما يقال إن العصا واليد مؤنثان فكان اللائق الاشارة إليهما بتان . فأجاب بأنه روعى الخبر (قوله مرسلان) أشار بذلك إلى أن قوله : من ربك متعلق بمحذوف صفة لبرهانان (قوله وملائه) أى جماعته (قوله لسانا) أى كلاما (قوله ردءا) حال من ضمير أرسله (قوله بفتح الدال) أى مع التنوين وهى سبعية أيضا .

(قوله يصدقنى) أى يقوينى فى الصدق عند الخصم بتوضيح الحجج والبراهين (قوله جواب الدعاء) أى الذى هو قوله فأرسله معى لأن طلب الأدنى من الأعلى دعاء (قوله أن يكذبون) أى بسبب العقدة التى كانت فى فيه بسبب الجمرة التى وضعها وهو صغير فى فيه (قوله نقويك) أى فشد العضد كناية عن التقوية من إطلاق السبب و إرادة المسبب لأن شد العضد يستلزم شد اليد وشد اليد مستلزم للقوة (قوله بسوء) متعلق يصلون وقوله بآياتنا متعلق بمحذوف قدره بقوله اذهبا بدليل الآية الأخرى : اذهبا إلى فرعون ، وجمعهما فى ضمير واحد مع أن هرون لم يكن حاضرا مجلس المناجاة بل كان فى ذلك الوقت بمصر لأن الله أرسل جبريل إلى هرون بالرسالة وهو بمصر فى ذلك الوقت ، فموسى سمع الخطاب من الله بلا واسطة وهرون سمعه بواسطة جبريل (قوله فلما جاءهم موسى بآياتنا) المراد بها العصا واليد وجمعهما لأن كل واحدة اشتملت على آيات متعددة وتقدم ذلك فى سورة طه (قوله قالوا) أى فرعون وقومه (قوله مختلق) أى مخترع من قبل نفسه (قوله وماسمعنا بهذا الخ) هذا محض عناد وكذب إذ هم يعرفون أن قبله الرسل كإبراهيم وإسحق و يعقوب وغيرهم (قوله بواو و بدونها) أى فهما قراءتان سبعيتان فعلى الواو يكون تابعا لما قبله وعلى حذفها يكون الكلام مستأنفا فى جواب سؤال (قوله أى عالم) أشار بذلك إلى أنه لامفاضلة فى أوصاف الله تعالى لأن التفاضل من مقتضيات الحدوث وهو مستحيل عليه فلا تفاضل بين صفاته

(يُصَدِّقْنِي) بالجزم جواب الدعاء وفى قراءة بالرفع وجملته صفة ردءاً (إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ) نقويك (بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا) غلبة (فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا) بسوء ، اذهبا (بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ) لهم (فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ) واضحات حال (قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى) مختلق (وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا) كائنا (فِي) أيام (آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ . وَقَالَ) بواو و بدونها (مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ) أى عالم (بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ) الضمير للرب (وَمَنْ) عطف على من قبلها (تَكُونُ) بالفوقانية والتحتانية (لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ) أى العاقبة المحمودة فى الدار الآخرة ، أى وهو أنا فى الشقين فأنا محق فيما جئت به (إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ) الكافرون (وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ) فاطبخ لى الآجر (فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا) قصراً عالياً ،

مع بعضها ولا مع صفات خلقه (قوله عطف على من قبلها) أى فهى فى محل جر والعلم مسلط عليها (قوله بالفوقانية والتحتانية) أى فهما قراءتان سبعيتان فله خبر تكون مقدم وعاقبة اسمها مؤخر على كلا الوجهين ، وذكر الفعل على قراءة التحتانية للفصل ولأنه مجازى التأنيث (قوله أى العاقبة المحمودة الخ) أشار بذلك إلى أن المراد بالدار الدار الآخرة وأن الإضافة على معنى فى و يصح أن المراد بالدار دار الدنيا والمراد بالعاقبة المحمودة الجنة إذ العاقبة قسمان مذمومة ومحمودة فالجنة عاقبة محمودة والنار عاقبة مذمومة (قوله وهو أنا فى الشقين) تفسير للموصول كأنه قال إن لم تشهدوا لى بالصدق و بأن العاقبة المحمودة لى فالله عالم بأنى جئت بالهدى و بأن العاقبة المحمودة لى (قوله إنه لايفلح الظالمون) تعليل لقوله ربى أعلم الخ (قوله وقال فرعون الخ) أى بعد أن شاهد إيمان السحرة وماوقع منهم (قوله ماعلمت لكم من إله غيرى) أى ليس لى علم بوجود إله غيرى وليس مراده بإلهية نفسه كونه خالقا للسموات والأرض ومافيهما إذ لايشك عاقل فى أن الله هو الخالق لكل شىء وكان اعتقاده أن العالم العلوى أثر فى العالم السفلى فلاحاجة للصانع (قوله على الطين) أى بعد اتخاذه لبنا ، قيل إنه أول من اتخذ الآجر و بنى به وهو الذى علم صنعته لهامان ولما أمر وزيره هامان ببناء الصرح جمع هامان العمال والفعلة حتى اجتمع عنده خمسون ألف بناء سوى الأتباع والأجراء فطبخ الآجر والجبس ونشر الخشب وسبك المسامير فبنوه ورفعوه حتى ارتفع ارتفاعا لم يبلغه بناء أحد من الخلق ، فلما فرغوا ارتقى فرعون فوقه وأمر بنشابة فضرب بها نحو السماء فردت إليه وهى ملطخة دما فقال قد قتلت إله موسى ، وكان فرعون يصعد هذا الصرح راكبا على البراذين فبعث الله جبريل عليه السلام عند غروب الشمس فضربه بجناحه فقطعه ثلاث قطع قطعة وقعت على عسكر فرعون فقتلت منهم ألف ألف وقطعة وقعت فى البحر وقطعة وقعت فى المغرب ولم يبق أحد عمل فى الصرح عملا إلا هلك .

(لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ) أنظر إليه وأقف عليه (وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ) فى ادعائه إلهاً آخر وأنه رسوله (وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ) أرض مصر (بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ) بالبناء للفاعل والمفعول (فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ) طرحناهم (فِي الْيَمِّ) البحر المالح فغرقوا (فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ) حين صاروا إلى الهلاك (وَجَعَلْنَاهُمْ) فى الدنيا (أَئِمَّةً) بتحقيق الهمزتين و إبدال الثانية ياء: رؤساء فى الشرك (يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ) بدعائهم إلى الشرك (وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ) بدفع العذاب عنهم (وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً) خزيا (وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ) المبعدين (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ) التوراة (مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ) قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم (بَصَائِرَ لِلنَّاسِ) حال من الكتاب جمع بصيرة وهى نور القلب أى أنواراً للقلوب (وَهُدًى) من الضلالة لمن عمل به (وَرَحْمَةً) لمن آمن به (لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) يتعظون بما فيه من المواعظ (وَمَا كُنْتَ) يا محمد (بِجَانِبِ) الجبل أو الوادى أو المكان (الْغَرْبِيِّ) من موسى حين المناجاة (إِذْ قَضَيْنَا) أوحينا (إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ) بالرسالة إلى فرعون وقومه (وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ) لذلك فتعلمه فتخبر به (وَلَٰكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا) أمماً بعد موسى (فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ) أى طالت أعمارهم فنسوا العهود واندرست العلوم وانقطع الوحى فجئنا بك رسولا وأوحينا إليك خبر موسى وغيره (وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا) :

(قوله لعلى أطلع) كأنه من قبحه توهم أن إله موسى فى السماء يمكن الرقى إليه (قوله وأنه رسوله) أى أن موسى رسول الإله (قوله واستكبر) أى تكبر (قوله فى الأرض) أى أرض مصر (قوله بالبناء للفاعل والمفعول) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله فأخذناه) أى عقب تكبره وعناده (قوله فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبر به المشركين فيرجعوا عن كفرهم وعنادهم (قوله و إبدال الثانية ياء) أى فهما قراءتان سبعيتان لكن قراءة الابدال من طريق الطيبة لامن طريق الشاطبية (قوله بدعائهم إلى الشرك) أى المؤدى للنار (قوله ويوم القيامة هم من المقبوحين) أى المطرودين أو الموسومين بعلامة منكرة كزرقة العيون وسواد الوجه (قوله ولقد آتينا موسى الكتاب) إخبار من الله لقريش بامتنانه على بنى إسرائيل حين أهلك الأمم الماضية لما عاندوا وكذبوا رسلهم وساروا فى زمن فترة بإنزال التوراة ليتعبدوا بها والمقصود من ذلك تعداد النعم على هذه الأمة المحمدية ، والمعنى كما أنزل على موسى التوراة وقومه فى فترة وجهل أنزل على محمد القرآن وقومه فى فترة وجهل ليهتدوا به (قوله وعاد وثمود) عطف على قوم نوح ولم ينونه لأنه علم على القبيلة وهو بهذا الاعتبار ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث (قوله وغيرهم) أى كفرعون (قوله حال من الكتاب) أى إما على حذف مضاف أى ذا بصائر أو مبالغة على حد ما قيل فى زيد عدل وكذا يقال فى قوله هدى ورحمة (قوله أى أنوارا للقلوب) أى تبصر به القلوب كما أن إنسان العين تبصر به العين (قوله لعلهم يتذكرون) أى فالعاقل إذا علم أن كتاب الله من أوصافه أنه منور للقلب وهاد من الضلالة ورحمة لمن صدق به بادر إلى امتثال أوامره واجتناب نواهيه ولا يرضى لنفسه بالتوانى والكسل والعناد (قوله وما كنت بجانب الغربى الخ) المقصود من ذلك إقامة الحجة على من كذبه صلى الله عليه وسلم يعنى كيف تكذبونه بعد إتيانه بتفاصيل ما حصل للأمم السابقة وأنبيائهم والحال أنكم تعلمون أنه لم يكن حاضرا ذلك ولا مشاهدا له (قوله وما كنت من الشاهدين) إن قلت إن هذا معلوم نفيه من قوله وما كنت بجانب الغربى فما ثمرة ذكره عقبه . أجيب بأنه لايلزم من كونه هناك على فرض حصول مشاهدته لذلك ، ولذلك قال ابن عباس لم تحضر ذلك الموضع ولو حضرته ماشاهدت ما وقع فيه (قوله بعد موسى) أى لأن أنبياء بنى إسرائيل الذين يتعبدون بالتوراة كداود وسليمان وزكريا ويحيى وذى الكفل كائنون بعد موسى (قوله واندرست العلوم) أى فكيف يأتيك الخبر من غير وحى (قوله وأوحينا إليك خبر موسى وغيره) أى ليكون معجزة لك وتذكيرا لقومك (قوله وما كنت ثاويا) إن قلت إن قصة مدين متقدمة على قصة الارسال ، فكان مقتضى الترتيب ذكرها قبلها . أجيب بأن المقصود تعداد العجائب من غير نظر للترتيب إشارة إلى أن أى واحدة تكفى

فى إثبات صدقه فيما يخبر به عن ربه (قوله مقيما) أى إقامة طويلة تشعر بمعرفتك قصتهم (قوله فى أهل مدين) متعلق بثاويا (قوله ولكنا كنا مرسلين) أى وأنزلنا عليك كتابا فيه هذه الأخبار تتلوها عليهم ولولا ذلك ما علمتها ولم تخبرهم بها (قوله وما كنت بجانب الطور إذ نادينا) أى كما لم تحضر يا محمد جانب المكان الغربى إذ أرسل الله موسى إلى فرعون ، فكذلك لم تحضر جانب الطور إذ نادينا موسى لما أتى الميقات مع السبعين لأخذ التوراة ، و بين الارسال و إيتاء التوراة نحو ثلاثين سنة وهذا بالنظر للعالم الجسمانى لاقامة الحجة على الخصم ، وأما بالنظر للعالم الروحانى فهو حاضر رسالة كل رسول وما وقع له من لدن آدم إلى أن ظهر بجسمه الشريف ولكن لايخاطب به أهل العناد (قوله ما أتاهم من نذير من قبلك) أى لوجودهم فى فترة بينك و بين عيسى وهى ستمائة سنة (قوله ولولا أن تصيبهم الخ) لولا حرف امتناع لوجود وأن ومابعدها فى تأويل مصدر مبتدأ وخبره محذوف وجوبا تقديره موجود كما قال المفسر (قوله فيقولوا) عطف على تصيبهم والفاء للسببية

مقيما (فِى أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا) خبر ثان فتعرف قصتهم فتخبر بها (وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ) لك و إليك بأخبار المتقدمين (وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ) الجبل (إِذْ) حين (نَادَيْنَا) موسى أن خذ الكتاب بقوة (وَلَٰكِنْ) أرسلناك (رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ) وهم أهل مكة (لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) يتعظون (وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ) عقوبة (بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ) من الكفر وغيره (فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا) هلا (أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ) المرسل بها (وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) وجواب لولا محذوف وما بعدها مبتدأ ، والمعنى لولا الإصابة المسبب عنها قولهم ، أو لولا قولهم المسبب عنها أى لعاجلناهم بالعقوبة ولما أرسلناك إليهم رسولا (فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ) محمد (مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا) هلا (أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ) من الآيات كاليد البيضاء والعصا وغيرهما أو الكتاب جملة واحدة ، قال تعالى (أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ) حيث (قَالُوا) فيه وفى محمد (سَاحِرَانِ) وفى قراءة سحران أى القرآن والتوراة (تَظَاهَرَا) تعاونا (وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ) من النبيين والكتابين (كَافِرُونَ . قُلْ) لهم (فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا) من الكتابين (أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) فى قولكم (فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ) دعاءك بالإتيان بكتاب (فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ) فى كفرهم (وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ) ،

(قوله وجواب لولا) أى الأولى وأما الثانية فهى تحضيضية (قوله أو لولا قولهم الخ) أى فالمعنى الأول فيه انتفاء الجواب وهو عدم الارسال بثبوت ضده وهو الارسال لوجود السبب والمسبب معا ، والمعنى الثانى لوجود المسبب الناشئ عن السبب فتدبر (قوله لما أرسلناك إليهم رسولا) أى فالحامل على إرسالك تعللهم بهذا القول فالمعنى امتنع عدم إرسالنا لك لوجود المصائب المسبب عنها قولهم ربنا لولا أرسلت الخ . إن قلت إن الآية تقتضى وجود إصابتهم بالمصائب وقولهم المذكور والواقع أنهم حين نزول تلك الآيات لم يصابوا ولم يقولوا . أجيب بأن الآية على سبيل الفرض والتقدير ، أى فالمعنى لولا إصابة المصائب لهم واحتجاجهم على سبيل الفرض والتقدير لما أرسلناك إليهم فهو بمعنى قوله تعالى - ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا - الآية (قوله قالوا) أى تعنتا (قوله أو الكتاب جملة) أشار بذلك إلى قول آخر فى تفسير المثل (قوله من قبل) أى قبل ظهورك (قوله ساحران) خبر لمحذوف أى هما (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله تعاونا) أى بتصديق كل منهما الآخر وذلك أن كفار مكة بعثوا رهطا منهم إلى رؤساء اليهود بالمدينة فى عيد لهم فسألوهم عن شأنه عليه السلام فقالوا إنا نجده فى التوراة بنعته وصفته فلما رجع الرهط وأخبروهم بما قالت اليهود قالوا ماذكر (قوله والكتابين) الواو بمعنى أو (قوله قل فأتوا بكتاب الخ) أى إذا لم تؤمنوا بهذين الكتابين فأتوا بكتاب من عند الله واضح فى هداية الخلق فان أتيتم به اتبعته ، وهذا تنزل للخصم وزيادة فى إقامة الحجة عليهم (قوله أتبعه) مجزوم فى جواب شرط مقدر تقديره إن أتيتم به أتبعه (قوله فان لم يستجيبوا لك) أى لم يفعلوا ما أمرتهم به (قوله أنما يتبعون أهواءهم) أى ليس لهم

مستند لاتباع هواهم الفاسد (قوله أى لاأضل منه) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفى (قوله ولقد وصلنا) العامة على تشديد الصاد وهو مأخوذ إما من وصل الشىء بالشىء بمعنى جعله تابعا له لأن القرآن تابع بعضه بعضا قال تعالى ـ ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا ، أو من وصل الحبل جعله أوصالا أى أنواعا لأن القرآن أنواع كالوعد والوعيد والقصص والعبر والمواعظ (قوله الذين آتيناهم الكتاب) الاسم الموصول مبتدأ وآتيناهم صلته وهم مبتدأ ثان وبه متعلق بيؤمنون ويؤمنون خبر الثانى وهو وخبره خبر الأول (قوله أيضا) أى كما آمنوا بكتابهم (قوله نزلت فى جماعة أسلموا من اليهود الخ) قال ابن عباس نزلت فى ثمانين من أهل الكتاب أربعون من نجران واثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية من أهل الشام ، وقيل إنها نزلت فى أربعين رجلا قدموا مع جعفر بن أبى طالب من الحبشة آمنوا بالنبى صلى الله عليه وسلم ، فلما رأوا ما بالمسلمين من الحاجة والخصاصة قالوا يارسول الله : إن لنا أموالا فان أذنت لنا انصرفنا فجئنا بأموالنا فواسينا بها المسلمين فأذن لهم ، فانصرفوا فأتوا بأموالهم فواسوا بها المسلمين ، والمقصود من قصد هؤلاء الثناء عليهم والفخر بهم على المشركين (قوله إنا كنا من قبله مسلمين) أى فاسلامنا ليس بمتجدد بل هو موافق لما عندنا لأن فى كتبهم صفة النبى ونعته فتمسكوا بكتابهم ولم يغيروا ولم يبدلوا إلى أن بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظروا فى صفاته وأحواله ، فلما وجدوها مطابقة لما عندهم أظهروا ما كان عندهم من الاسلام (قوله بصبرهم) أشار بذلك إلى أن ما مصدرية وقوله على العمل بهما أى أو على أذى المشركين ومن عاداهم من أهل دينهم (قوله ويدرءون بالحسنة السيئة) أى يدفعون الكلام القبيح كالسب والشتم الحاصل لهم من أعدائهم بالحسنة : أى الكلمة الطيبة الجميلة ، أو المعنى إذا وقعت منهم معصية أتبعوها بطاعة كالتوبة (قوله وإذا سمعوا اللغو الخ) وذلك أن المشركين كانوا يسبون مؤمنى أهل الكتاب ويقولون تبا لكم أعرضتم عن دينكم وتركتموه فيعرضون عنهم ويقولون لنا أعمالنا ولكم أعمالكم (قوله سلام متاركة) أى إعراض وفراق لاسلام تحية (قوله لانصحبهم) الأوضح أن يقول لا نطلب صحبتهم (قوله ونزل فى حرصه الخ) وذلك أنه لما احتضرته الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ياعم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله ، فقال يا ابن أخى قد علمت إنك لصادق ولكنى أكره أن يقال جزع عند الموت ، ولولا أن يكون عليك وعلى بنى أبيك غضاضة بعدى لقلتها ولأقررت بها عينك عند الفراق لما أرى من شدة وجدك ونصيحتك ، ثم أنشد :

ولقد علمت بأن دين محمد ... من خير أديان البرية دينا

لولا الملامة أو حذار مسبة ... لوجدتنى سمحا بذاك مبينا

ولكنى سوف أموت على ملة الأشياخ عبد المطلب وهاشم وبنى عبدمناف ، ثم مات فأتى على ابنه للنبى صلى الله عليه وسلم وقال له عمك الضال قد مات ، فقال له اذهب فواره وما تقدم من أنه لم يؤمن حتى مات هو الصحيح ، وقيل إنه أحيى وأسلم ثم مات ونقل هذا القول عن بعض الصوفية (قوله إنك لاتهدى من أحببت) أى لاتقدر على هدايته . إن قلت إن بين هذه الآية وآية وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم تنافيا أجيب بأن المنفى هنا خلق الاهتداء والمثبت هناك الدلالة على الدين القويم (قوله ولكن الله يهدى من يشاء) أى فسلم أمرك لله فانه أعلم بأهل السعادة وأهل الشقاوة ولا يبالى بأحد .

أى لا أضل منه (إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) الكافرين (وَلَقَدْ وَصَّلْنَا) بينا (لَهُمُ الْقَوْلَ) القرآن (لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) يتعظون فيؤمنون (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ) أى القرآن (هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ) أيضا نزلت فى جماعة أسلموا من اليهود كعبدالله بن سلام وغيره ومن النصارى قدموا من الحبشة ومن الشام (وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ) القرآن (قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ) موحدين (أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ) بإيمانهم بالكتابين (بِمَا صَبَرُوا) بصبرهم على العمل بهما (وَيَدْرَءُونَ) يدفعون (بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ) منهم (وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) يتصدقون (وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ) الشتم والأذى من الكفار (أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ) سلام متاركة أى سلمتم منا من الشتم وغيره (لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ) لانصحبهم. ونزل فى حرصه صلى الله عليه وسلم على إيمان عمه أبى طالب (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ) هدايته (وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ) أى عالم (بِالْمُهْتَدِينَ).

(قوله أى قومه) أى وهم بعض أهل مكة كالحرث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف فانه أتى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال له إنا نعلم أنك على الحق ولكنا نخاف إن اتبعناك وخالفنا العرب أن يتخطفونا من أرضنا (قوله الهدى) أى وهو دين الاسلام (قوله أو لم نمكن لهم حرما آمنا) أى نجعل مكانهم حرما ذا أمن وعدى بنفسه لأنه بمعنى جعل يدل عليه الآية الأخرى وهى أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا (قوله يأمنون فيه) أشار بذلك الى أن فى الكلام مجازا عقليا (قوله تجبى) أى تحمل وتساق (قوله بالفوقانية والتحتانية) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله ثمرات كل شئ) مجاز عن الكثرة كقوله وأوتيت من كل شئ قال بعض العارفين من يتعلق ببيت الله الحرام ويسعى إليه فهو من خيار الخلق لقوله فى الآية يجبى إليه ثمرات كل شئ (قوله من كل أوب) أى ناحية وطريق وجهة (قوله رزقا) إما بمعنى مرزوقا فيكون منصوبا على الحال من ثمرات أو باق على مصدريته فيكون مفعولا مطلقا مؤكدا لمعنى يجبى أى نرزقهم رزقا (قوله أن ما نقوله حق) قدره إشارة إلى أن مفعول يعلمون محذوف (قوله وكم أهلكنا من قرية) رد بذلك على الكفار وبين لهم أن العبارة بالعكس وأن خوف التخطف يكون بالكفر لا بالايمان وأنهم ماداموا مصرين على كفرهم يحل بهم وبال بطرهم كما حصل لمن قبلهم (قوله بطرت معيشتها) أى كفرت نعمة ربها فى زمن معيشتها أى حياتها (قوله فتلك مساكنهم) أى خربة بسبب ظلمهم والاشارة إلى قوم لوط وصالح وشعيب وهود فان السفار تمر على تلك المساكن وتنزل بها فى بعض الأوقات (قوله للمارة يوما أو بعضه) أى لأن المار فى الطريق إذا

وَقَالُوا) أى قومه (إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا) أى ننتزع منها بسرعة، قال تعالى (أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا) يأمنون فيه من الإغارة والقتل الواقعين من بعض العرب على بعض (تُجْبَى) بالفوقانية والتحتانية (إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ) من كل أوب (رِزْقًا) لهم (مِنْ لَدُنَّا) أى عندنا (وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) أن ما نقوله حق (وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا) أى عيشها وأريد بالقرية أهلها (فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا) للمارة يوما أو بعضه (وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ) منهم (وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى) بظلم منها (حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا) أى أعظمها (رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ) بتكذيب الرسل (وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا) أى تتمتعون وتتزينون به أيام حياتكم ثم يفنى (وَمَا عِنْدَ اللَّهِ) أى ثوابه (خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ)

نزل للاستراحة إنما يستمر فى الغالب يوما أو بعضه (قوله وما كان ربك مهلك القرى الخ) بيان للحكمة الالهية التى سبقت بها مشيئته تعالى والمعنى ما ثبت فى حكمه أن يهلك قرية قبل الانذار (قوله أى أعظمها) أى وهى المدن بالنسبة لما حواليها لجرت عادة الله أن يبعث الرسول من أهل المدائن لأنهم أعقل وأفطن ويتبعهم غيرهم؛ ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم مبعوثا لجميع الخلق بالتاء
كانت بلده أفضل البلاد على الاطلاق وقبيلته أشرف القبائل على الاطلاق (قوله يتلوا عليهم آياتنا) أى لقطع الحجج والمعاذير (قوله إلا وأهلها ظالمون) استثناء من عموم الأحوال كأنه قال ما كنا نهلكهم فى حال من الأحوال إلا فى حال كونهم ظالمين (قوله وما أوتيتم من شئ الخ) ما اسم موصول مبتدأ وأوتيتم صلته ومن شئ بيان لما وقوله فمتاع الحياة الدنيا خبره وقرن بالفاء لما فى المبتدإ من معنى العموم ويصح أن تكون ما شرطية وقوله فمتاع الحياة الدنيا خبر مبتدإ محذوف والجملة جواب الشرط (قوله ثم يفنى) أى يذهب بفنائكم لجميع ما فى الدنيا عرض زائل يذهب بذهاب أهله ولا يبقى إلا اجزاؤه فحلال الدنيا حساب وحرامها عقاب (قوله وهو ثوابه) أى ثواب الأعمال التى قصد بها وجهه سبحانه وتعالى (قوله خير وأبقى) أى دائم بدوام الله (قوله أفلا تعقلون) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير أتركتم التدبر فى أحوالكم فلا تعقلون لمن آثر الفانى على الباقى فلا عقل عنده لما فى الحديث «الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له» ولله در الامام الشافعى حيث قال:

إن لله عبادا فطنا طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا نظروا فيها فلما علموا أنها ليست لحى وطنا

جعلوها لجة واتخذوا صالح الأعمال فيها سفنا وليس المراد من ترك الدنيا رأسا والخروج عنها بالمرة بل المراد لا يجعلها أكبر همه ولا مبلغ علمه وإنما يطلب الدنيا ليستعين بها على خدمة ربه لتكون مزرعة لآخرته لما فى الحديث «نعم المال الصالح فى يد الرجل الصالح» فالمضر شغل القلب والنية السوء.

(قوله بالتاء والياء) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله أن الباقي خير من الفاني) قدره إشارة إلى أن مفعول يعقلون محذوف واستفيد منه أن أعقل الناس المشتغلون بطاعة الله الذين اختاروا الباقي على الفاني ، ومن هنا قال الامام الشافعي رضي الله عنه: من أوصى بثلث ماله لأعقل الناس صرف إلى المشتغلين بطاعة الله تعالى (قوله أفمن وعدناه الخ) من مبتدأ وجملة وعدناه صلتها وقوله كمن وعدناه الخ خبر المبتدإ ، والمعنى أيستوى من وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه بمن انهمك في طلب الفاني حتى صار يوم القيامة من المحضرين للعذاب فهو نظير قوله تعالى — أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون — (قوله مصيبه) أي مدركه لامحالة لأن وعده لايتخلف (قوله متاع الحياة الدنيا) أي المشوب بالأكدار (قوله الأول) أي وهو من وعدناه والثاني وهو من متعناه (قوله أي لاتساوى بينهما) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي (قوله ويوم يناديهم) أي المشركين الذين عبدوا غير الله على لسان ملائكة العذاب أو النداء من الله لهم، والمنفي في آية ولا يكلمهم الله يوم القيامة كلام الرضا والرحمة فلاينافي أنه يكلمهم كلام غضب وسخط (قوله فيقول أين شركائي) تفسير للنداء (قوله تزعمونهم شركائي) أشار بذلك إلى أن مفعولي تزعمون محذوفان (قوله قال الذين حق عليهم القول) كلام مستأنف واقع في جواب سؤال مقدر تقديره ماذا قالوا ، وجواب هذا السؤال أنه حصل التنازع والتخاصم بين الرؤساء والأتباع ، فقال الأتباع إنهم أضلونا وقال الرؤساء ربنا هؤلاء الخ فهو بمعنى قوله تعالى — وبرزوا لله جميعا — الخ ، وبمعنى وإذ يتحاجون في النار الخ (قوله حق عليهم القول) أي ثبت وتحقق وهو قوله لأملأن جهنم من الجنة

بالتاء والياء أن الباقي خير من الفاني (أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لَاقِيهِ) مصيبه وهو الجنة (كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) فيزول عن قريب (ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ) النار ، الأول المؤمن ، والثاني الكافر ، أي لاتساوى بينهما (وَ) اذكر (يَوْمَ يُنَادِيهِمْ) الله (فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ) هم شركائي (قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ) بدخول النار ، وهم رؤساء الضلالة (رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا) هم مبتدأ وصفة (أَغْوَيْنَاهُمْ) خبره فغووا (كَمَا غَوَيْنَا) لم نكرههم على الغي (تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ) منهم (مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ) مانافية وقدم المفعول للفاصلة (وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ) أي الأصنام الذين كنتم تزعمون أنهم شركاء الله (فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ) دعاءهم (وَرَأَوُا) هم (الْعَذَابَ) أبصروه (لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ) في الدنيا لما رأوه في الآخرة (وَ) اذكر (يَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ) إليكم (فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ) الأخبار المنجية في الجواب (يَوْمَئِذٍ) أي لم يجدوا خبرا لهم فيه نجاة (فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ) عنه فيسكتون (فَأَمَّا مَنْ تَابَ) من الشرك (وَآمَنَ) صدق بتوحيد الله (وَعَمِلَ صَالِحًا) أدى الفرائض

والناس أجمعين (قوله وهم رؤساء الضلال) اى الذين أطاعوهم في كل ما امروهم به ونهوهم عنه (قوله ربنا هؤلاء الذين أغوينا الخ) اسم الاشارة مبتدأ والموصول نعته وأغوينا صلته والعائد محذوف قدره المفسر ، وأغويناهم خبر وصح الاخبار به لتقييده بقوله كما غوينا ففيه زيادة فائدة على الصلة والمعنى تسببنا لهم في الغي فقبلوا منا ولم يتبعوا الرسل وما أنزل عليهم من الكتب التي فيها المواعظ والأوامر والنواهي فلم نجبرهم عن أنفسنا بل اخترنا لهم ما اخترناه لأنفسنا فاتبعونا بهواهم (قوله تبرأنا إليك منهم) هذا تقرير لما قبله (قوله وقدم المفعول) أي وهو قوله إيانا (قوله وقيل ادعوا شركاءكم) أي استغيثوا بآلهتكم التي عبدتموها لتنصركم وتدفع عنكم مانزل بكم وهذا القول للتهكم والتبكيت لهم (قوله ورأوا العذاب) أي نازلا بهم (قوله مارأوه) هو جواب لو (قوله ويوم يناديهم) معطوف على ماقبله فتحصل أنهم يسئلون عن إشراكهم وجوابهم للرسل (قوله فعميت عليهم الأنباء) أي خفيت عليهم فلم يهتدوا للجواب فيه راحة لهم، أو الكلام على القلب والأصل فعموا عن الأنباء : أي ضلوا وتحيروا في ذلك فلم يهتدوا إلى جواب به نجاتهم (قوله فهم لايتساءلون عنه) أي عن الخبر المنجي لحصول الدهشة لهم ولقنوطهم من رحمة الله حينئذ (قوله فأما من تاب الخ) أي رجع عن كفره في حال الحياة .

(قوله فعسى أن يكون من المفلحين) الترجي فى القرآن بمنزلة التحقق لأنه وعد كريم ومن شأنه لايخلف وعده (قوله وربك يخلق مايشاء ويختار) سبب نزولها أن الوليد بن المغيرة استعظم النبوة ونزول القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال - لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم - فنزلت هذه الآية ردا عليه . واختلف المفسرون فى تفسير هذه الآية على أقوال كثيرة فقيل يخلق مايشاء من خلقه ويختار مايشاء منهم لطاعته وقيل يخلق مايشاء من خلقه ويختار مايشاء لنبوته وقيل يخلق مايشاء محمدا ويختار الأنصار لدينه ، وقيل يخلق مايشاء محمدا ويختار مايشاء أصحابه وأمته لما روى «إن الله اختار أصحابى على العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار من أصحابى أربعة يعنى أبا بكر وعمر وعثمان وعليا فجعلهم أصحابى وفى أصحابى كلهم خير واختار أمتى على سائر الأمم واختار لى من أمتى أربعة قرون» اهـ فقد اختار محمدا على سائر المخلوقات واختار أمته على سائر الأمم فكما هو أفضل الخلق على الاطلاق أمته أفضل الأمم على الاطلاق (قوله ما كان لهم الخيرة) بالتحريك والاسكان معناهما واحد وهو الاختيار ومانافية وكان فعل ناقص والجار والمجرور خبرها مقدم والخيرة اسمها مؤخر والجملة مستأنفة فالوقف على يختار ، والمعنى ليس للخلق جميعا الاختيار فى شىء لاظاهرا ولا باطنا بل الخيرة لله تعالى فى أفعاله لما فى الحديث القدسى «ياعبدى أنت تريد وأنا أريد ولا يكون إلا ما أريد فان سلمت لى ما أريد أعطيتك ماتريد وإن لم تسلم لى ما أريد أتعبتك فيما تريد ولا يكون إلا ما أريد» وإنما خص المفسر المشركين بذلك مراعاة لسبب النزول ويصح أن تكون مامصدرية وما بعدها مؤول بمصدر ، والمعنى ويختار اختيارهم فيه ويصح أن تكون موصولة والعائد محذوف والتقدير . يختار الذى لهم فيه الاختيار وحينئذ فلا يصح الوقف على يختار والأول أظهر فالواجب على الانسان أن يعتقد أنه لا تأثير لشىء من الكائنات فى شىء أبدا وإنما الذى يظهر على أيدى الخلق أسباب عادية يمكن تخلفها (قوله سبحان الله) أى تنزيها له عما لايليق به (قوله من الكفر وغيره) أى كالايمان فيجازى الكافر بالخلود فى النار والمؤمن بالخلود فى الجنة

(فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ) الناجين بوعد الله (وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ) ما يشاء (مَا كَانَ لَهُمُ) للمشركين (الْخِيَرَةُ) الاختيار فى شىء (سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) عن إشراكهم (وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ) تسر قلوبهم من الكفر وغيره (وَمَا يُعْلِنُونَ) بألسنتهم من ذلك (وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى) الدنيا (وَالْآخِرَةِ) الجنة (وَلَهُ الْحُكْمُ) القضاء النافذ فى كل شىء (وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) بالنشور (قُلْ) لأهل مكة (أَرَأَيْتُمْ) أى أخبرونى (إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا) دائما (إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ) بزعمكم (يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ) نهار تطلبون فيه المعيشة (أَفَلَا تَسْمَعُونَ) ذلك سماع تفهم فترجعون عن الاشراك ،

(قل)

(قوله له الحمد فى الأولى والآخرة) أى هو مستحق للثناء بالجميل فى الدنيا والجنة لأنه لامعطى للنعم فيهما إلا هو سبحانه وتعالى فالمؤمنون يحمدونه فى الجنة بقولهم الحمد لله الذى صدقنا وعده الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن كما حمدوه فى الدنيا لكن الحمد فى الدنيا مكلفون به وأما فى الآخرة فهو تلذذ لانقطاع التكليف بالموت قال العلماء لاينبغى لأحد أن يقدم على أمر من أمور الدنيا والآخرة حتى يسأل الله تعالى الخيرة فى ذلك وذلك بأن يصلى ركعتين صلاة الاستخارة يقرأ فى الركعة الأولى بعد أم القرآن وربك يخلق مايشاء ويختار الآية وفى الثانية وما كان لمؤمن ولامؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن تكون لهم الخيرة من أمرهم الآية ثم يدعو بالدعاء الوارد فى صحيح البخارى، عن جابر بن عبد الله قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة فى الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن يقول إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل اللهم أنى أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فانك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم أن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى أو قال فى عاجل أمرى وآجله فاقدره لى ويسره لى وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى أو قال فى عاجل أمرى وآجله فاصرفه عنى واصرفنى عنه واقدر لى الخير حيث كان ، ثم رضنى به قال ويسمى حاجته ، وروى عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال له «يا أنس إذا هممت بأمر فاستخر ربك فيه سبع مرات ثم انظر إلى مايسبق إلى قلبك واعمله فان الخير فيه» انتهى فان لم يكن يحفظ الشخص هاتين الآيتين فليقرأ

(قُلْ) لهم (أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ) بزعمكم (يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ) تستريحون (فِيهِ) من التعب (أَفَلَا تُبْصِرُونَ) ما أنتم عليه من الخطإ فى الاشراك فترجعون عنه (وَمِنْ رَحْمَتِهِ) تعالى (جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ) فى الليل (وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ) فى النهار بالكسب (وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) النعمة فيهما (وَ) اذكر (يَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ) ذكرثانيا ليبنى عليه (وَنَزَعْنَا) أخرجنا (مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا) وهونبيهم يشهد عليهم بما قالوا (فَقُلْنَا) لهم (هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ) على ما قلتم من الاشراك (فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ) فى الإلهية (لِلَّهِ) لا يشاركه فيه أحد (وَضَلَّ) غاب (عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ) فى الدنيا من أن معه شريكاً، تعالى عن ذلك (إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ) ابن عمه وابن خالته وآمن به (فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ) بالكبر والعلو وكثرة المال (وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ) تثقل (بِالْعُصْبَةِ) الجماعة (أُولِي) أصحاب (الْقُوَّةِ) أى تثقلهم فالباء للتعدية ، وعدتهم قيل سبعون ، وقيل أربعون

قل يا أيها الكافرون والإخلاص فلن لم يكن يحفظ هذا الدعاء فليقرأ اللهم خرلى واخترلى كاروى عن عائشة عن أبى بكر رضى الله عنهما . واعلم أن هذه الكيفية هى الواردة فى الحديث الصحيح ، وأما الاستخارة بالمنام أو للمصحف أو السبحة فليس واردا عن النبى صلى الله عليه وسلم ولذا كرهه العلماء وقالوا إنه نوع من الطيرة (قوله قل أرأيتم إن جعل الله الخ) أرأيتم وجعل تنازعا فى الليل أعمل الثانى وأضمر فى الأول وحذف وهومفعوله الأول ومفعوله الثانى جملة الاستفهام بعده و إن حرف شرط وجعل فعل الشرط والله فاعله والليل مفعول أول وسرمدا مفعول ثان وجواب الشرط محذوف تقديره ماذا تفعلون وتقدم الكلام على نظيره فى الأنعام (قوله سرمدا) من السرد وهو المتابعة والاطراد (قوله دائماً) أى بأن يسكن الشمس تحت الأرض (قوله إلى يوم القيامة) متعلق بجعل (قوله من إله غيرالله بزعمكم) دفع بذلك مايقال إن المقام لهل لأنها لطلب التصديق لامن التى لطلب التعيين لأنه يوهم وجود آلهة غيره تعالى ، فأجاب بأنه مجاراة للمشركين فى زعمهم وجود آلهة معه (قوله سماع تفهم) أى تدبر واعتبار لأن مجرد الإبصار لايفيد (قوله إن جعل الله عليكم النهار سرمدا) أى بأن يسكن الشمس فى وسط السماء (قوله ومن رحمته) أى تفضله و إحسانه (قوله جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه الخ) أى لأن المرء فى الدنيا لابد وأن يحصل له التعب ليحصل ما يحتاج إليه فى معاشه فجعل الله له محل تكسب وهوالنهار ومحل راحة وسكون ليستريح من ذلك التعب وهو الليل (قوله ولتبتغوا من فضله) استفيد من الآية مدح السعى فى طلب الرزق لما ورد « الكاسب حبيب الله » (قوله ذكرثانيا ليبنى عليه ونزعنا الخ) أى و إشارة إلى أن الشرك أمره عظيم لاشئ أجلب منه لغضب الله كما أن التوحيد عظيم لاشئ أجلب منه لرضا الله (قوله يشهد عليهم بما قالوا) أى وأمة محمد يشهدون للأنبياء بالتبليغ وعلى الأمم بالتكذيب (قوله أن الحق لله) أى التوحيد لله خاصة لا لغيره (قوله من أن معه شريكا) بيان لما (قوله إن قارون كان من قوم موسى) هو اسم أعجمى ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة (قوله ابن عمه) أى واسم ذلك العم يصهر بياء تحتية مفتوحة وصاد مهملة ساكنة وهاء مضمومة ابن قاهث بقاف وهاء مفتوحة وثاء مثلثة ، ويصهر أبو قارون وعمران أبو موسى أخوان ولدا قاهث ابن لاوى بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم عليهم السلام ، وقيل إن قارون عم موسى (قوله وآمن به) أى وكان من السبعين الذين اختارهم موسى للمناجاة فسمع كلام الله ثم حسد موسى على رسالته وهرون على إمامته (قوله بالكبر) أى احتقار ماسواه ومن جملة تكبره أن زاد فى ثيابه شبرا ، ومن جملة بغيه بالكبر حسده لموسى عليه السلام على النبوة وكان يسمى المنور لحسن صورته (قوله من الكنوز) سميت كنوزا لما قيل إنه وجد كنزا من كنوز يوسف عليه السلام وقيل لامتناعه من أداء الزكاة (قوله ما إن مفاتحه الخ) ما اسم موصول صفة لموصوف محذوف وإن حرف توكيد ونصب ومفاتحه اسمها وجملة لتنوء خبرها والجملة صلة الموصول والتقدير وآتيناه من الكنوز الشئ مفاتحه تثقل العصبة أولى القوة ، وكانت مفاتحه أولا من جديد فلما كثرت جعلها من خشب فثقلت فجعلها من جلود البقر ؛ وقيل من جلود الابل كل مفتاح على قدر الأصبع وكانت تحمل معه على أربعين وقيل على ستين بغلا (قوله لتنوء بالعصبة) الباء للتعدية ، والمعنى لتثقل المفاتيح العصبة .

وقيل عشرة ، وقيل غير ذلك ، اذكر (إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ) المؤمنون من بنى إسرائيل (لَا تَفْرَحْ) بكثرة المال فرح بطر (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ) بذلك (وَابْتَغِ) اطلب (فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ) من المال (الدَّارَ الْآخِرَةَ) بأن تنفقه فى طاعة الله (وَلَا تَنْسَ) تترك (نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا) أى أن تعمل فيها للآخرة (وَأَحْسِنْ) للناس بالصدقة (كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ) تطلب (الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ) بعمل المعاصى (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ) بمعنى أنه يعاقبهم (قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ) أى المال (عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي) أى فى مقابلته وكان أعلم بنى إسرائيل بالتوراة بعد موسى وهرون قال تعالى (أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ) الأمم (مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا) للمال ، أى هو عالم بذلك ويهلكهم الله (وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ) لعلمه تعالى بها فيدخلون النار بلا حساب (فَخَرَجَ) قارون (عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ) بأتباعه الكثيرين ركبانا متحلين بملابس الذهب والحرير على خيول وبغال متحلية (قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا : يَا) للتنبيه (لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ) فى الدنيا (إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ) نصيب (عَظِيمٍ) وافٍ فيها (وَقَالَ) لهم (الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ) بما وعد الله فى الآخرة (وَيْلَكُمْ) كلمة زجر (ثَوَابُ اللَّهِ) فى الآخرة بالجنة (خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا) ،

(قوله فرح بطر) أى لأنه هو المذموم ، وأما الفرح بالدنيا من حيث إنها تعينه على أمور الآخرة كقضاء الدين والصدقة وإطعام الجائع وغير ذلك فلا بأس به (قوله بأن تنفقه فى طاعة الله) أى كصلة الرحم والصدقة وغير ذلك (قوله ولا تنس نصيبك من الدنيا) أى بأن تصرف عمرك فى مرضاة ربك ولا تدع نفسك من غير خير فتصير يوم القيامة مفلسا لما فى الحديث «اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وفراغك قبل شغلك وغناك قبل فقرك وحياتك قبل موتك» وقيل المراد بالنصيب الكفن ومؤن التجهيز . قال الشاعر :

نصيبك مما تجمع الدهر كله ... رداآن تدرج فيهما وحنوط

(قوله وأحسن للناس بالصدقة) المناسب حمله على العموم ويكون تفسيرا لقوله ـ ولا تنس نصيبك من الدنيا ـ وقوله ـ كما أحسن الله إليك ـ الكاف للتشبيه وما مصدرية ، والمعنى وأحسن إحسانا كاحسان الله إليك أو للتعليل (قوله قال إنما أوتيته على علم عندى) جواب لما قالوه من الجمل الخمس كأنه ينكر محض الفضل ، والمعنى إنما أوتيته حال كونى متصفا بالعلم الذى عندى فأعطانى الله تلك الأموال لكونى مستحقا لما لفضلى وعلمى (قوله وكان أعلم بنى إسرائيل بالتوراة) وقيل العلم الذى

فضل به هو علم الكيمياء فان موسى علمه ثلثه ويوشع ثلثه وكالب ثلثه فخدعهما قارون حتى أضاف ما عندهما إلى ما عنده فكان يأخذ من الرصاص فيجعله فضة ومن النحاس فيجعله ذهبا فكثر بذلك ماله وتكبر وعلى هذا فقوله على علم عندى المراد به علم الكيمياء ويكون المعنى اكتسبته بعلمى الذى عندى لا من فضل الله كما تقولون (قوله أولم يعلم) الهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة عليه ، والتقدير أيدعى ولم يعلم أن الله الخ والاستفهام للتوبيخ ، والمعنى أنه إذا أراد إهلاكه لم ينفعه ذلك (قوله ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون) أى لا يسألهم الله عن ذنوبهم إذا أراد عقابهم . إن قلت كيف الجمع بين هذا وبين قوله تعالى ـ فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون ـ أجيب بأن السؤال قسمان سؤال استعتاب وسؤال توبيخ وتقريع فالمنفى سؤال الاستعتاب الذى يعقبه العفو والغفران كسؤال المسلم العاصى والمثبت سؤال التوبيخ الذى لا يعقبه إلا النار (قوله فخرج على قومه) عطف على قوله إنما أوتيته على علم وما بينهما اعتراض، وكان خروجه يوم السبت ، وقوله بأتباعه قيل كانوا أربعة آلاف ، وقيل تسعين ألفا عليهم المعصفرات، وهو أول يوم رئى فيه المعصفرات وكان عن يمينه ثلثمائة غلام وعن يساره ثلثمائة جارية بيض عليهن الحلى والديباج وكانت خيولهم وبغالهم متحلية بالديباج الأحمر وكانت بغلته شهباء بياضها أكثر من سوادها سرجها من ذهب وكان على سرجها الأرجوان بضم الهمزة والجيم وهو قطيفة حمراء (قوله قال الذين يريدون الحياة الدنيا) أى وكانوا مؤمنين غير أنهم محجوبون (قوله كلمة زجر) أى وهى منصوبة بمقدر : إى ألزمكم الله ويلكم والأصل فى الويل الدعاء بالهلاك ثم استعمل فى الزجر والردع .

(قوله مما أوتي قارون في الدنيا) أي لأن الثواب منافعه عظيمة (قوله ولا يلقاها) أي يوفق للعمل بها (قوله على الطاعة وعن المعصية) أي وعلى الرضا بأحكامه تعالى (قوله فخسفنا به وبداره الأرض). قال أهل العلم بالأخبار والسير: كان قارون أعلم بني إسرائيل بعد موسى وهرون وأقرأهم للتوراة وأجملهم وأغناهم وكان حسن الصوت فبغى وطغى واعتزل بأتباعه وجعل موسى يداريه للقرابة التي بينهما وهو يؤذيه في كل وقت ولا يزيد إلا عتوّا وتجبرا ومعاداة لموسى حتى بنى دارا وجعل بابها من الذهب وضرب على جدرانها صفائح الذهب، وكان الملأ من بني إسرائيل يغدون إليه ويروحون ويطعمهم الطعام ويحدثونه ويضاحكونه. قال ابن عباس: فلما نزلت الزكاة على موسى أتاه قارون فصالحه على دينار واحد عن كل ألف دينار وعلى درهم عن كل ألف درهم وعلى شاة عن كل ألف شاة وكذلك سائر الأشياء ثم رجع إلى بيته فحسبه فوجده شيئا كثيرا فلم تسمح نفسه بذلك، فجمع بني إسرائيل وقال لهم إن موسى قد أمركم بكل شيء فأطعتموه وهو يريد أن يأخذ أموالكم، قالت بنو إسرائيل أنت كبيرنا فمرنا بما شئت، قال آمركم أن تأتونا بفلانة الزانية فنجعل لها جعلا على أن تقذف موسى بنفسها فإذا فعلت ذلك خرج عليه بنو إسرائيل ورفضوه فدعوها فجعل لها قارون ألف دينار وألف درهم، وقيل جعل لها طشتا من ذهب، وقيل قال لها قارون أمولك وأخلطك بنسائي على أن تقذفي موسى بنفسك غدا إذا حضر بنو إسرائيل، فلما كان من الغد جمع قارون بني إسرائيل ثم أتى إلى موسى فقال له إن بني إسرائيل ينتظرون خروجك لتأمرهم وتنهاهم، فخرج إليهم موسى وهم في براح من الأرض فقام فيهم فقال يابني إسرائيل من سرق قطعنا يده ومن افترى جلدناه ثمانين ومن زنى وليست له امرأة جلدناه مائة ومن زنى وله امرأة رجمناه حتى يموت. قال قارون وإن كنت أنت؟ قال وإن كنت أنا. قال قارون فإن بني إسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة الزانية. قال موسى ادعوها فلما جاءت قال لها موسى يافلانة أنا فعلت بك مايقول هؤلاء

وعظم عليها وسألها بالذي فلق البحر لبني إسرائيل وأنزل التوراة إلا صدقت؟ فتداركها الله بالتوفيق، فقالت في نفسها: أحدث توبة أفضل من أن أوذي رسول الله فقالت لا والله ولكن جعل لي قارون جعلا على أن تقذفك بنفسي، فخر موسى ساجدا يبكي وقال اللهم إن كنت رسولك فاغضب لي فأوحى الله إليه إني أمرت الأرض أن تطيعك فمرها بما شئت، فقال موسى يابني إسرائيل إن الله بعثني إلى قارون كما بعثني إلى فرعون فمن كان معه فليثبت مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا فلم يبق مع قارون إلا رجلان، ثم قال موسى يا أرض خذيهم فأخذتهم الأرض بأقدامهم، ثم قال يا أرض خذيهم فأخذتهم إلى الركب، ثم قال يا أرض خذيهم فأخذتهم الأرض إلى أوساطهم، ثم قال يا أرض خذيهم فأخذتهم إلى الأعناق وأصحابه في كل ذلك يتضرعون إلى موسى ويناشده قارون الله والرحم حتى قيل إنه ناشده سبعين مرة وموسى في ذلك لا يلتفت إليه لشدة غضبه. ثم قال يا أرض خذيهم فانطبقت عليهم، قال قتادة: خسفت به فهو يتجلجل في الأرض كل يوم قامة رجل لا يبلغ قعرها إلى يوم القيامة، وفي الخبر: إذا وصل قارون إلى قرار الأرض السابعة نفخ إسرافيل في الصور، وأصبح بنو إسرائيل يتحدثون فيما بينهم أن موسى إنما دعا على قارون ليستبد بداره وكنوزه وأمواله فدعا الله موسى حتى خسف بداره وكنوزه وأمواله الأرض. قال بعضهم. مقتضى هذا الحديث أن الأرض لا تأكل جسمه فيمكن أن يلغز ويقال لنا كافر لا يبلى جسده بعد الموت وهو قارون (قوله من فئة) من زائدة وفئة اسم كان إن كانت ناقصة والجار والمجرور خبرها أو فاعل بها إن كانت تامة (قوله من المنتصرين) أي الممتنعين بأنفسهم (قوله أي من قريب) أشار بذلك إلى أن المراد بالأمس الوقت الماضي القريب لا اليوم الذي قبل يومك (قوله ويكأن الله الخ) ويكأن فيها خمسة مذاهب: الأول أن وي كلمة برأسها اسم فعل بمعنى أعجب والكاف للتعليل وأن وما دخلت عليه مجرور بها: أي أعجب لأن الله يبسط الرزق الخ فالوقف على وي وهو قراءة الكسائي. الثاني أن كأن للتشبيه غير أنه ذهب معناه منها وصارت لليقين وحينئذ فالوقف على وي كالذي قبله. الثالث أن ويك كلمة برأسها والكاف حرف خطاب وأن معمولة لمحذوف: أي أعلم أن الله يبسط الرزق الخ وحينئذ فالوقف على ويك وهو قراءة أبي عمرو. الرابع

مما أوتي قارون في الدنيا (وَلَا يُلَقَّاهَا) أي الجنة المثاب بها (إِلَّا الصَّابِرُونَ) على الطاعة وعن المعصية (فَخَسَفْنَا بِهِ) بقارون (وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ) أي غيره بأن يمنعوا عنه الهلاك (وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ) منه (وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ) أي من قريب (يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ) يوسع (الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ) يضيق على من يشاء ووي اسم فعل بمعنى أعجب أي أنا والكاف بمعنى اللام

أنّ أصلها و يلك حذفت اللام وحينئذ فالوقف على الكاف أيضا . الخامس أنّ و يكأن كلها كلمة بسيطة ومعناها ألم تر أن الله يبسط الرزق الخ وحينئذ فالوقف على النون (قوله لولا أن منّ الله علينا) أى بالايمان والرحمة (قوله بالبناء للفاعل وللفعول) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله و يكأنه) تأكيد لما قبله و يجرى فيها مايجرى فى التى قبلها (قوله تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لايريدون علوا فى الأرض ولا فسادا) مناسبة هذه الآية لما قبلها ظاهرة فان فرعون وقارون تكبرا وتجبرا واختارا العلوّ فآل أمرهما للخسران والو بال والدمار وموسى وهرون اختارا التواضع فآل أمرهما للعزّ الدائم الذى لايزول ولا يحول (قوله أى الجنة) أى وما فيها من النعيم الدائم ورؤية وجه الله الكريم وسماع كلامه القديم (قوله لايريدون علوا) التعبير بالارادة أبلغ فى النفى لأنه نفى الفعل وزيادة (قوله نجعلها) أى نصيرها (قوله بالبغى) أى الظلم والكبر كما وقع لفرعون وقارون وجنودهما (قوله بعمل المعاصى) أى كالقتل والزنا والسرقة وغير ذلك من الأمور التى تخالف أوامره تعالى (قوله للمتقين) أظهر فى مقام الاضمار إظهارا لشأنهم ومدحا لهم بنسبتهم للتقوى وتسجيلا على ضدهم (قوله من جاء بالحسنة) تقدم أنه إن أريد بالحسنة لاإله إلا الله فالمراد بالخير الجنة ومن للتعليل وليس فى الصيغة تفضيل ، وإن أريد بها مطلق طاعة فالمراد بالخير منها عشر أمثالها كما جاء مفسرا به فى الآية الأخرى : من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها، فقول المفسر ثواب بسببها الخ إشارة للمعنى الثانى (قوله وهو عشر أمثالها) هذا أقل المضاعفة وتضاعف لسبعين ولسبعمائة والله يضاعف لمن يشاء ،وهذا فى الحسنة التى فعلها بنفسه أو فعلت من أجله كالقراءة والذكر إذا فعل وأهدى ثوابه لميت مثلا ، وأما الحسنة التى تؤخذ فى نظير الظلامة فلا تضاعف بل تؤخذ الحسنة للظلوم ، وأما المضاعفة فتكتب للظالم لأنها محض فضل من الله تعالى ليس للعبد فيه فعل والمضاعفة مخصوصة بهذه الأمة ، وأما غيرهم فلا مضاعفة له (قوله فلا يجزى الذين عملوا السيئات الخ) اظهر فى مقام الاضمار تسجيلا وتقبيحا على فاعل السيئات ليزجر عن فعلها (قوله أى مثله) أشار بذلك أن الكلام على حذف مضاف (قوله أنزله) أى أوفرضه بمعنى أوجب عليك تبليغه للعباد والتمسك به (قوله إلى مكة وكان قد اشتاقها) تقدم أن سبب نزول هذه الآية أنه صلى الله عليه وسلم لما أذن له فى الهجرة إلى المدينة وخرج من الغار مع أبى بكر ليلا سار فى غير الطريق فلما نزل بالجحفة بين مكة والمدينة وعرف طريق مكة اشتاق إليها وذكر مولده ومولد أبيه فنزل عليه جبريل وقال له أتشتاق إلى بلدك ومولدك فقال عليه السلام نعم فقال جبريل إن الله تعالى يقول إن الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد يعنى إلى مكة ظاهرا عليهم سميت البلد معادا [illegible]ن شأن الانسان أن ينصرف من بلده و يعود إليها وتقدم أن هذه الآية ينبغى قراءتها للمسافر تفاؤلا بعوده لوطنه ،ولا يقال [illegible] الآية قيات للنبي صلى الله عليه وسلم فكيف تقال لغيره لأنه يقال إن القرآن نزل للتعبد والاقتداء به فكأنه قال كما صدقت [illegible] ذلك فاصدق وعدى (قوله جوابا لقول كفار مكة الخ) أى كما قالت بنو إسرائيل لموسى مثل ذلك فرد الله عليهم بقوله : وقال موسى ربى أعلم من جاء بالهدى ومن تكون له عاقبة الدار (قوله وأعلم بمعنى عالم) إنما احتيج إلى تحويله لتعديته للمفعول بنفسه وإلا فكان مقتضى الظاهر تعديته بمن (قوله وما كنت ترجوا) أى قبل مجىء الرسالة إليك (قوله أن يلقى إليك الكتاب) أى بنزاله عليك لبس عن ميعاد ولاتطلب منك ،ومن هنا قال العلماء إن النبوّة ليست مكتسبة لأحد قال فى الجوهره :

ولم تكن نبوّة مكتسبه ... ولو رقى فى الخير أعلى عقبه

لكن

الخ

(لَوْلاَ أَنْ مَنَّ اللّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا) بالبناء للفاعل والمفعول (وَيْكَأَنَّهُ لاَيُفْلِحُ الْكَافِرُونَ) لنعمة الله كقارون (تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ) أى الجنة (نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَيُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى الأَرْضِ) بالبغى (وَلاَ فَسَاداً) بعمل المعاصى (وَالْعَاقِبَةُ) المحمودة (لِلْمُتَّقِينَ) عقاب الله بعمل الطاعات (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا) ثواب بسببها وهو عشر أمثالها (وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إلاَّ) جزاء (مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) أى مثله (إِنَّ الَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ) أنزله (لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ) إلى مكة وكان قد اشتاقها (قُلْ رَبِّى أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِى ضَلاَلٍ مُبِينٍ) نزل جوابا لقول كفار مكة له إنك فى ضلال أى فهو الجائى بالهدى وهم فى الضلال وأعلم بمعنى عالم (وَمَا كُنْتَ تَرْجُوا أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ) القرآن (إلاَّ) ،

(قوله لكن ألقى إليك الخ) أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع (قوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين) الخطاب له والمراد غيره لاستحالة ذلك عليه (قوله حذفت نون الرفع للجازم) اى وهو لا الناهية (قوله لالتقائها مع النون الساكنة) أى ووجود دليل يدل عليها وهو الضمة وما مشى عليه المفسر فى تصريف الفعل إنما يأتى على ندور وهو تأكيد الفعل الخالى عن الطلب فالأولى أن يقول وأصله يصدوننك دخل الجازم لحذف النون ثم أكد فالتقى ساكنان حذفت الواو لالتقائهما ووجود الضمة دليلا عليها (قوله بعد إذ أنزلت إليك) أى بعد وقت إنزالها عليك (قوله أى لاترجع إليهم) أى لاتركن إلى أقوالهم (قوله ولا تكونن من المشركين) الخطاب له والمراد غيره (قوله ولم يؤثر الجازم فى الفعل) أى لفظا و إن كان مؤثرا محلا (قوله لبنائه) أى بسبب مباشرة نون التوكيد له بخلاف قوله ولا يصدنك فتأثر بالجازم و إن كان مؤكدا بالنون لعدم مباشرتها للفعل فانه فصل بينهما بواو الجماعة قال ابن مالك : وأعربوا مضارعا إن عريا * من نون توكيد مباشر (قوله تعبد) أشار بذلك إلى أن المراد بالدعاء العبادة وحينئذ فليس فى الآية دليل على مازعمه الخوارج من أن الطلب من الغير حيا أوميتا شرك فانه جهل مركب لأن سؤال الغير من حيث إجراء الله النفع أو الضر على يده قد يكون واجبا لأنه من التمسك بالأسباب

لكن ألقى إليك (رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا) معينا (لِلْكَافِرِينَ) على دينهم الذى دعوك إليه (وَلَا يَصُدُّنَّكَ) أصله يصدوننك حذفت نون الرفع للجازم والواو الفاعل لالتقائها مع النون الساكنة (عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ) أى لا ترجع إليهم فى ذلك (وَادْعُ) الناس (إِلَى رَبِّكَ) بتوحيده وعبادته (وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) بإعانتهم ولم يؤثر الجازم فى الفعل لبنائه (وَلَا تَدْعُ) تعبد (مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ) إلا إياه (لَهُ الْحُكْمُ) القضاء النافذ (وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) بالنشور من قبوركم .

(سورة العنكبوت)

مكية ، وهى تسع وستون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. الم) الله أعلم بمراده به (أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا) أى بقولهم (آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ) يختبرون ،

ولا ينكر الأسباب إلا جحود أو جهول (قوله كل شىء هالك إلا وجهه) أى كل ماسوى الله تعالى قابل للهلاك وجائز عليه لأن وجوده ليس ذاتيا له قال بعض العارفين :

الله قل وذر الوجود وما حوى
إن كنت مرتادا بلوغ كمال
فالكل دون الله إن حققته
عدم على التفصيل والاجمال
من لا وجود لذاته من ذاته
فوجوده لولاه عين محال
والعارفون فنوا به لم يشهدوا
شيئا سوى المتكبر المتعالى
ورأوا سواه على الحقيقة هالكا
فى الحال والماضى والاستقبال

وقيل المراد بالهلاك الانعدام بالفعل ، و يستثنى منه ثمانية أشياء نظمها السيوطى فى قوله :

ثمانية حكم البقاء يعمها ... من الخلق والباقون فى حيز العدم
هى العرش والكرسى ونار وجنة ... وعجب وأرواح كذا اللوح والقلم

وهومعنى قول صاحب الجوهرة : وكل شىء هالك قد خصصوا ... عمومه فاطلب لما قد لخصوا

ولا مفهوم لماعده السيوطى بل منها أجساد الأنبياء والشهداء ومن فى حكمهم والحور والولدان (قوله إلا إياه) أشار بذلك إلى أن المراد بالوجه الذات ويصح أن المراد به ماعمل لأجله سبحانه وتعالى فان ثوابه باق (قوله و إليه ترجعون) أى فى جميع أحوالكم .
[سورة العنكبوت مكية] مبتدأ وخبر وفى بعض النسخ سورة العنكبوت وهى تسع وستون آية مكية ففيه الفصل بين المبتدإ والخبر بالجملة الحالية ، وسميت بذلك لذكر العنكبوت فيها من باب تسمية الكل باسم الجزء وتقدم أن أسماء السور توقيفى وقوله مكية أى كلها وقيل مدنية كلها وقيل مكية إلا عشر آيات من أولها إلى قوله ولقد أرسلنا نوحا الخ فانها مدنية (قوله الله أعلم بمراده) تقدم غير مرة أن هذا القول أسلم لأنه من المتشابه الذى يفوض علمه لله تعالى (قوله أحسب الناس) الاستفهام يصح أن يكون للتقرير

وحينئذ فيكون المعنى يجب على الناس أن يعترفوا بأنهم لايتركون سدى، بل يمتحنون و يبتلون لأن الدنيا دار بلاء وامتحان أو التوبيخ، وعليه فالمعنى لايليق منهم هذا الحسبان أى الظن والتخمين بل الواجب عليهم علمهم بأنهم لايتركون وحسب فعل ماض والناس فاعله وأن وما دخلت عليه فى تأويل مصدر سدت مسد مفعولى حسب وأن يقولوا علة للحسبان ، وقوله وهم لايفتنون الجملة حالية مقيدة لقوله أحسب الناس و يكون المعنى أحسب الناس أن يتركوا من غير افتتان بمجرد نطقهم بالشهادتين أومن أجل نطقهم بالشهادتين بل لابد من امتحانهم بعد النطق بالشهادتين ليتميز الراسخ من غيره (قوله بما يتبين به حقيقة إيمانهم) أى من المشاق كالهجرة والجهاد وأنواع المصائب فى الأنفس والأموال (قوله نزل فى جماعة) أى كعمار بن ياسر وعياش ابن أبى ربيعة والوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وكانوا يعذبون بمكة والمقصود من الآية تسلية هؤلاء وتعليم من يأتى بعدهم (قوله ولقد فتنا الذين من قبلهم الخ) إما حال من الناس وحينئذ فالمعنى أحسبوا ذلك والحال أنهم علموا أن ذلك ليس سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا أومن فاعل يفتنون . والمعنى أحسبوا أن لا يكونوا كغيرهم ولا يسلك بهم مسالك الأمم السابقة روى البخارى عن خباب بن الأرت قال « شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له فى ظل الكعبة فقلنا ألا تستنصر ألا تدعو لنا فقال : قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له فى الأرض فيجعل فيها فيؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين و يمشط بأمشاط الحديد مادون لحمه وعظمه فما يصرفه ذلك عن دينه والله ليتمنّ هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لايخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم كنتم تستعجلون» (قوله الذين صدقوا الخ) عبر فى جانب الصدق بالفعل الماضى وفى جانب الكذب باسم الفاعل إشارة إلى أن الكاذبين وصفهم مستمر لم يظهر منهم إلا ما كان مخبأ، وأما الصادقون فقد زال وصف الكذب عنهم وتجدد لهم الصدق فناسبه التعبير بالفعل (قوله علم مشاهدة) جواب عما يقال إن علم الله لاتجدد فيه والجواب أن المراد ليظهر متعلق علم الله للناس ببيان الصادق من الكاذب (قوله أم حسب الذين الخ) انتقال من توبيخ إلى توبيخ (إن

بما يتبين به حقيقة إيمانهم، نزل فى جماعة آمنوا فآذاهم المشركون (وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا) فى إيمانهم علم مشاهدة (وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ) فيه (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّآتِ) الشرك والمعاصى (أَنْ يَسْبِقُونَا) يفوتونا فلا ننتقم منهم (سَاءَ) بئس (مَا) الذى (يَحْكُمُونَ)ـهُ حكمهم هذا (مَنْ كَانَ يَرْجُوا) يخاف (لِقَاءَ اللهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللهِ) به (لَآتٍ) فليستعد له (وَهُوَ السَّمِيعُ) لأقوال العباد (الْعَلِيمُ) بأفعالهم (وَمَنْ جَاهَدَ) جهاد حرب أو نفس (فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ) فإن منفعة جهاده له لا لله ،

فالأول توبيخ للناس على ظنهم بلوغ الدرجات بمجرد الايمان من غير مشقة ولاتعب . والثانى أشد منه وهو توبيخهم على ظنهم أنهم يفوتون عذاب الله و يفرون منه مع دوامهم على الكفر (قوله الذى يحكمونه الخ) أشار بذلك إلى أن ما اسم موصول فاعل ساء و يحكمون صلته والعائد محذوف والمخصوص بالذم محذوف قدره بقوله حكمهم هذا و يصح أن تكون ما مميزا والفاعل ضمير مفسر بما ، قال ابن مالك : وما مميز وقيل فاعل فى نحو نعم مايقول الفاضل

(قوله من كان يرجوا لقاء الله) أى يعتقد و يجزم بأنه يلاقى الله فيرجو رحمته و يخاف عقابه وهذا التفسير أتم مما قاله المفسر لأن للمؤمن المصدق بلقاء الله لابد له من الرجاء والخوف معا و يؤيد ماقلناه جواب الشرط الذى قدره بقوله فليستعد له أى يتهيأ و يستحضر الرحمة والنجاة من العذاب (قوله فان أجل الله لآت) ليس هذا هو جواب الشرط و إلا لزم أن من لا يرجو لقاء الله لا يكون أجل الله آتيا له بل الجواب ماقدره المفسر (قوله بأفعالهم) أى وعقائدهم (قوله جهاد حرب) أى وهو الجهاد الأصغر وقوله أو نفس أى وهو الجهاد الأكبر وذلك لأن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم والنفس أخته ولا تغيب عن الانسان أبدا وهى خفية تظهر المحبة لصاحبها بخلاف العدو من الكفار وأيضا إذا قتله الكافر مات شهيدا ، وأما إذا قتلته نفسه فمات عاص أو كافر فلا شك أن جهاد النفس أكبر من جهاد الكفار ولذا ورد فى الحديث أنه قال بعد رجوعه من الجهاد «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر قيل يارسول الله وأى جهاد أكبر من هذا قال جهاد النفس والشيطان» (قوله فإنما يجاهد لنفسه) أى فلا تمنوا بطاعتكم وخدمتكم على ربكم فالفضل له فى توفيقكم لعبادته فالحصر إضافى فلا ينافى أنه ينتفع غيره بجهاده كما ينتفع الآباء بصلاح الأولاد فالمقصود نفى النفع عن الله

لاستحالته عليه (قوله إن الله لغنى عن العالمين) أى فلا يصل له منهم نفع ولا ضر لما في الحديث القدسي « ياعبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم مازاد ذلك في ملكي شيئا ، ياعبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم مانقص ذلك فى ملكي شيئا » (قوله والذين آمنوا الخ) مبتدأ خبره الجملة القسمية وهذا وعد حسن للمتصفين بالايمان (قوله لنكفرن عنهم سيآتهم) أى لانؤاخذهم بها وهذا ظاهر فى غير المعصومين ، وأما المعصومون فلا سيئات لهم فما معنى تكفيرها ؟ أجيب بأن الكلام على الفرض والتقدير يعنى أنه لو وجدت منهم سيئات تكفر أو المراد بالسيئات خلاف الأولى على حسب مقامهم ومن هنا قيل : حسنات الأبرار سيئات المقربين (قوله بمعنى حسن) أى فاسم التفضيل ليس على بابه لأنه يوهم أنهم يجازون على الأحسن لاعلى الحسن ، وقد يقال المراد بالأحسن الثواب الواقع فى مقابلة الأعمال الصالحة فالمعنى عليه حينئذ نضاعف لهم الثواب فى نظير أعمالهم الصالحة فتأمل (قوله ووصينا الانسان بوالديه حسنا) سبب نزولها هى وآية لقمان والأحقاف أن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه أحد العشرة المبشرين بالجنة والسابقين إلى الاسلام لما أسلم آلت أمه حمنة بنت أبى سفيان أن لاتأكل ولاتشرب ولاتستظل بسقف حتى تموت أو يكفر سعد بمحمد فأبى سعد أن يطيعها فصبرت ثلاثة أيام لاتأكل ولاتشرب ولاتستظل حتى غشى عليها فأتاها وقال لها والله لوكان لك مائة نفس فخرجت نفسا نفسا ما كفرت بمحمد صلى الله عليه وسلم فان شئت فكلى و إن شئت فلا تأكلى ، فلما رأت ذلك أكلت فنزلت الآية بالوصية عليها و إنما أمر الله الأولاد ببر والديهم دون العكس لأن الأولاد جبلوا على القسوة وعدم طاعة الوالدين

(إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَالَمِينَ) الإنس والجن والملائكة وعن عبادتهم (وَٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ) بعمل الصالحات (وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ) بمعنى حسن ونصبه بنزع الخافض الباء (ٱلَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ) وهو الصالحات (وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا) أى إيصاء ذا حسن بأن يبرهما (وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ) بإشراكه (عِلْمٌ) موافقة للواقع فلا مفهوم له (فَلَا تُطِعْهُمَا) فى الاشراك (إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) فأجازيكم به (وَٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي ٱلصَّالِحِينَ) الأنبياء والأولياء ، بأن نحشرهم معهم (وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ) أى أذاهم له (كَعَذَابِ ٱللَّهِ) فى الخوف منه ،

فكلفهم الله بما يخالف طبعهم ، والآباء مجبولون على الرحمة والشفقة بالأولاد فوكلهم الله لما جبلوا عليه (قوله أى إيصاء ذا حسن) أشار بذلك إلى أن حسنا صفة لمصدر محذوف على حذف مضاف ويصح أن يبقى على مصدريته مبالغة على حد زيد عدل (قوله بأن يبرهما) أى يحسن إليهما وأوجه البر كثيرة جدا : منها لين الجانب والخدمة وبذل المال لهما وطاعتهما فى غير معاصى الله وغير ذلك (قوله و إن جاهداك لتشرك بى) أتى هنا باللام وفى لقمان بعلى حيث قال ـ وإن جاهداك على أن تشرك بى ـ لأن ماهنا موافق لما قبله فى قوله : ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ومافى لقمان ضمن جاهداك معنى حملاك (قوله ماليس لك به علم) مامفعول تشرك أى إلها لاعلم لك به (قوله موافقة للواقع) علة لمحذوف تقديره ذكر هذا القيد موافقة للواقع أى إن الواقع أن الإله واحد فليس إله لك به علم و إله لاعلم لك به ، وأما الأصنام فاشراكها مع الله فى العبادة هزؤ وسخافة عقل إذ لو تأمل الكافر أدنى تأمل ماعلم إلها غير الله ولا ظنه ولاتوهمه (قوله إلى مرجعكم) فيه وعد حسن لمن بر بوالديه واتبع الهدى ووعيد لمن عق والديه واتبع سبيل الردى (قوله بما كنتم تعملون) أى بالصالح والسىء فيترتب على كل جزاؤه (قوله والذين آمنوا الخ) الذين اسم موصول مبتدأ وآمنوا صلته وقوله لندخلنهم الخ خبره (قوله بأن نحشرهم معهم) أى يوم القيامة بل و يجتمعون بهم فى البرزخ فاذا مات المؤمن الصالح اجتمعت روحه بمن أحب من الأنبياء والأولياء حتى تقوم القيامة فحينئذ يكون مرافقا لهم فى الدرجات العالية قال تعالى : إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيآتكم وندخلكم مدخلا كريما (قوله ومن الناس من يقول آمنا بالله الخ) لما بين حال المؤمنين والكافرين فيما تقدم بين هنا حال المنافقين وهم من أظهروا الاسلام وأخفوا الكفر ومن الناس خبر مقدم ومن يقول مبتدأ مؤخر وقوله آمنا بالله الخ مقول القول (قوله فاذا أوذى فى الله) أى آذاه الكفار على إظهار الايمان (قوله جعل فتنة الناس كعذاب الله) أى لم يصبر على الأذى بل ترك لدين الحق والتشبيه من حيث إن عذاب الله مانع للمؤمنين من الكفر فكذلك المنافقون جعلوا أذاهم مانعا لهم من الايمان وكان يمكنهم الصبر على الأذى إلى حد الاكراه وتكون قلوبهم مطمئنة بالايمان

(قوله فيطيعهم) أى ظاهرا و باطنا ، وأما المكره فقد أطاع ظاهرا لا باطنا والمؤاخذة مرجعها القلب (قوله والواو الخ) عطف على نون الرفع مسلط عليه قوله حذف منه (قوله لالتقاء الساكنين) أى ولوجود الضمة دليلا عليها (قوله إنا كنا معكم فى الإيمان) أى و إن الذى وقع منا إنما هو على سبيل الإكراه (قوله أى بعالم) أشار بذلك إلى أن التفضيل فى صفات الله وأسمائه ليس مرادا (قوله وليعلمن الله الذين آمنوا الخ) أى ليظهر متعلق علمه للناس فيفتضح المنافق و يظهر شرف المؤمن الخالص (قوله إن كانت) أى على فرض حصولها و إلا فهم ليسوا مسلمين أن فى اتباعهم خطايا (قوله والأمر بمعنى الخبر) أى فالمعنى ليكون منكم الاتباع ومنا الحمل (قوله وأثقالا مع أثقالهم) أى لأن الدال على الشر كفاعله من غير أن ينقص من وزر الأتباع شىء (قوله عما كانوا يفترون) أى يختلقون من الأباطيل التى من جملتها قولهم اتبعوا سبيلنا الخ (قوله ولقد أرسلنا نوحا الخ) لما قدم سبحانه وتعالى تكاليف هذه الأمة و بين أن من أطاع فله الجنة ومن عصى فله النار بين هنا أن هذه التكاليف ليست مختصة بهذه الأمة بل من قبلهم كانوا كذلك وتقدم أن نوحا اسمه عبد الغفار، وقيل يشكر وكان يسمى السكن لأن الناس بعد آدم سكنوا إليه فهو أبوهم ، ولقب بنوح لكثرة نوحه على قومه وقيل على خطيئته لما روى أنه مر بكلب فقال فى نفسه ما أقبحه فأوحى الله إليه أعبتنى أم عبت الكلب اخلق أنت أحسن منه ، ونوح هو ابن لمك بن متوشلخ ابن إدريس بن برد بن أهاليل بن قبنان بن نوش ابن شيث بن آدم عليه السلام (قوله وعمره أربعون سنة أو أكثر) تقدم أنه اختلف فى الأكثر فقيل بعث على رأس خمسين وقيل مائتين وخمسين ، وقيل مائة سنة ، وقيل غير ذلك (قوله فلبث فيهم ألف سنة الخ) الحكمة فى ذكر لبثه هذه المدة تسليته صلى الله عليه وسلم على عدم دخول الكفار فى الاسلام فكأن الله يقول لنبيه لا تحزن فان نوحا لبث هذا العدد الكثير ولم يؤمن من قومه إلا القليل فصبر وما ضجر فأنت أولى بالصبر لقلة مدة مكثك وكثرة من آمن من قومك ، والحكمة فى المغايرة بين العام والسنة التفنن وخص لفظ العام بالخمسين إشارة إلى أن نوحا لما غرقوا استراح و بقى فى زمن حسن والعرب تعبر عن الخصب بالعام وعن الجدب بالسنة (قوله طاف بهم وعلاهم) أى أحاط بهم وارتفع فوق أعلى جبل أربعين ذراعا (قوله الذين كانوا معه فيها) قيل كانوا أربعين رجلا وأربعين امرأة ، وقيل تسعة أولاده الثلاثة وستة من غيرهم ، وقيل غير ذلك (قوله ستين أو أكثر) قيل عاش بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة (قوله و إبراهيم) قرأ العامة بالنصب عطف على نوحا أو معمول لمحذوف كما درج عليه المفسر حيث قدر اذكر وقرئ شذوذا بالرفع على أنه مبتدأ والخبر محذوف تقديره ومن المرسلين إبراهيم .

فيطيعهم فينافق (وَلَئِنْ) لام قسم (جَاءَ نَصْرٌ) للمؤمنين (مِنْ رَبِّكَ) فغنموا (لَيَقُولُنَّ) حذف منه نون الرفع لتوالى النونات والواو ضمير الجمع لالتقاء الساكنين (إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ) فى الإيمان فأشركونا فى الغنيمة قال تعالى (أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ) أى بعالم (بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ) قلوبهم من الإيمان والنفاق ؟ بلى (وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا) بقلوبهم (وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ) فيجازى الفريقين واللام فى الفعلين لام قسم (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا) ديننا (وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ) فى اتباعنا إن كانت والأمر بمعنى الخبر قال تعالى (وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) فى ذلك (وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ) أوزارهم (وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ) بقولهم للمؤمنين اتبعوا سبيلنا و إضلالهم مقلديهم (وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ) يكذبون على الله سؤال توبيخ واللام فى الفعلين لام قسم وحذف فاعلهما الواو ونون الرفع (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ) وعمره أربعون سنة أو أكثر (فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا) يدعوهم إلى توحيد الله فكذبوه (فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ) أى الماء الكثير طاف بهم وعلاهم فغرقوا (وَهُمْ ظَالِمُونَ) مشركون (فَأَنْجَيْنَاهُ) أى نوحا (وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ) أى الذين كانوا معه فيها (وَجَعَلْنَاهَا آيَةً) عبرة (لِلْعَالَمِينَ) لمن بعدهم من الناس إن عصوا رسلهم ، وعاش نوح بعد الطوفان ستين سنة أو أكثر حتى كثر الناس . (وَ) اذكر (إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ

(قوله اعبدوا الله) أى امتثلوا ما يأمركم به على لسان نبيكم (قوله واتقوه) أى اجتنبوا نواهيه (قوله ذلكم) أى ماذكر من العبادة والتقوى (قوله خير لكم مما أنتم عليه الخ) أى فى زعمكم أن فيه خيرا والأحسن أن يقال ذلكم خير لكم من جميع الحظوظات المعجلة (قوله الخير) أى وهو عبادة الله وقوله من غيره أى وهو عبادة غيره (قوله أوثانا) جمع وثن وهو مايصنع من حجر وغيره ليتخذ معبوداً (قوله وتخلقون إفكا) أى تختلقونه وتخترعونه (قوله لايملكون لكم رزقا) أى لايستطيعون ذلك لعجزهم وعدم قدرتهم عليه (قوله فاطلبوه منه) أى ولا تطلبوه من غيره لأنه تكفل لكل دابة برزقها قال تعالى ـ وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ـ (قوله واعبدوه واشكروا له) أى لأن بالشكر تزداد النعم قال تعالى ـ لئن شكرتم لأزيدنكم ـ (قوله إليه ترجعون) أى تردون فيثيب الطائع ويعذب العاصى (قوله وإن تكذبوا)

اعْبُدُوا اللهَ وَاتَّقُوهُ) خافوا عقابه (ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ) مما أنتم عليه من عبادة الأصنام (إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) الخير من غيره (إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ) أى غيره (أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا) تقولون كذبا إن الأوثان شركاء لله (إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا) لا يقدرون أن يرزقوكم (فَابْتَغُوا عِنْدَ اللهِ الرِّزْقَ) اطلبوه منه (وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ. وَإِنْ تُكَذِّبُوا) أى تكذبونى يا أهل مكة (فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ) من قبلى (وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ) الإبلاغ البين فى هاتين القصتين تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم، وقال تعالى فى قومه (أَوَلَمْ يَرَوْا) بالياء والتاء ينظروا (كَيْفَ يُبْدِئُ اللهُ الْخَلْقَ) هو بضم أوله وقرئ بفتحه من بدأ وأبدأ بمعنى، أى يخلقهم ابتداء (ثُمَّ) هو (يُعِيدُهُ) أى الخلق كما بدأهم (إِنَّ ذَٰلِكَ) المذكور من الخلق الأول والثانى (عَلَى اللهِ يَسِيرٌ) فكيف ينكرون الثانى (قُلْ سِيرُوا فِى الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ) لمن كان قبلكم وأماتهم (ثُمَّ اللهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ) مدًّا وقصراً مع سكون الشين (إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ) ومنه البدء والإعادة (يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ) تعذيبه (وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ) رحمته (وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ) تردُّون (وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ) ربكم عن إدراككم (فِى الْأَرْضِ وَلَا فِى السَّمَاءِ) لو كنتم فيها، أى لا تفوتونه (وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ) أى غيره (مِنْ وَلِيٍّ) يمنعكم منه (وَلَا نَصِيرٍ) ينصركم من عذابه (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللهِ وَلِقَائِهِ) أى القرآن والبعث (أُولَٰئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِى) أى جنتى (وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم، قال تعالى فى قصة إبراهيم:

شرط حذف جوابه تقديره فلا يضرّنى تكذيبكم وإنما تضرون أنفسكم وقوله فقد كذب أمم من قبلكم دليل الجواب ومن هنا إلى قوله فما كان جواب قومه جمل معترضة بين كلام إبراهيم وجواب قومه له إشارة إلى أن المقصود بالخطاب أمة محمد صلى الله عليه وسلم (قوله من قبلى) من اسم موصول مفعول كذب، والمعنى فلم يضرّ الرسل تكذيب قومهم لهم (قوله فى هاتين القصتين) أى قصة نوح وإبراهيم (قوله وقد قال تعالى) أى ردّا على منكرى البعث (قوله بالياء والتاء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله كيف يبدئ الله الخلق) لما تقدم ذكر التوحيد والرسالة ذكر الحشر، وهذه الأصول الثلاثة يجب الايمان بها ولا ينفك بعضها عن بعض (قوله وقرئ بفتحه) أى شذوذا (قوله من بدأ وأبدأ) لف ونشر مشوّش (قوله ثم هو يعيده) قدر الضمير إشارة إلى أن الجملة ليست معطوفة على ماقبلها بل هى مستأنفة (قوله قل سيروا فى الأرض) أمر من الله لمحمد صلى الله عليه وسلم بأن يقول لمنكرى البعث ما ذكر ليشاهدوا كيف أنشأ الله جميع الكائنات ومن قدر على إنشائها بدءا يقدر على إعادتها (قوله مع سكون الشين) راجع للقصر والقراءتان سبعيتان (قوله يعذّب من يشاء) أى فى الدنيا والآخرة وقوله ويرحم من يشاء أى فيهما فلا يسأل عما يفعل (قوله لو كنتم فيها) أشار بذلك إلى أن المراد بالأرض والسماء حقيقتهما ويصح أن يراد بهما جهة السفل والعلو (قوله أى القرآن والبعث) لف ونشر مرتب فالأول راجع للآيات والثانى راجع للقاء (قوله أولئك يئسوا من رحمتى) أى يوم القيامة وعبر بالماضى لتحقق وقوعه

(فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَيهُ اللهُ مِنَ النَّارِ) التى قذفوه فيها بأن جعلها عليه برداً وسلاما (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ) أى إنجائه منها (لَآيَاتٍ) هى عدم تأثيرها فيه مع عظمها و إخمادها و إنشاء روض مكانها فى زمن يسير (لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) يصدقون بتوحيد الله وقدرته لأنهم المنتفعون بها (وَقَالَ) إبراهيم (إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ أَوْثَانًا) تعبدونها وما مصدرية (مَوَدَّةُ بَيْنِكُمْ) خبر إن وعلى قراءة النصب مفعول له وما كافة ، المعنى تواددتم على عبادتها (فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ) يتبرأ القادة من الأتباع (وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا) يلعن الأتباع القادة (وَمَأْوَيكُمُ) مصيركم جميعاً (النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ) ما نعين منها (فَآمَنَ لَهُ) صدق بإبراهيم (لُوطٌ) وهو ابن أخيه هاران (وَقَالَ) إبراهيم (إِنِّي مُهَاجِرٌ) من قومى (إِلَىٰ رَبِّي) أى إلى حيث أمرنى ربى وهجر قومه وهاجر من سواد العراق إلى الشام (إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ) فى ملكه (الْحَكِيمُ) فى صنعه (وَوَهَبْنَا لَهُ) بعد إسماعيل (إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ) بعد إسحق (وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ) فكل الأنبياء بعد إبراهيم من ذريته (وَالْكِتَابَ) بمعنى الكتب أى التوراة والإنجيل والزبور والفرقان (وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا) وهو الثناء الحسن فى كل أهل الأديان (وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ) الذين لهم الدرجات العلا .

(قوله فما كان جواب قومه إلا أن قالوا اقتلوه الخ) أى لم يكن جواب قوم إبراهيم له حين أمرهم بعبادة الله وترك ما هم عليه من عبادة الأوثان جزاء لما صدر منه من النصيحة إلا ذلك ، فان النفس الخبيثة أبت أن لاتخرج من الدنيا حتى تسيء إلى من أحسن إليها ، وهذا الكلام واقع من كبارهم لصغارهم لأن الشأن أن الأمر بالقتل أو التحريق يكون من الكبار والذى يتولى ذلك الصغار و إنما أجابوا بذلك عنادا بعد ظهور الحجة منه (قوله أو حرقوه) أتى هنا بالترديد واقتصر فى الأنبياء على أحد الأمرين وهو الذى فعلوه إشارة إلى أن ماهنا حكاية عن أصل تشاورهم وما فى الأنبياء عن عزمهم وتصميمهم على مافعلوه (قوله فأنجاه الله من النار) فى الكلام حذف والتقدير فقذفوه فى النار فأنجاه الله الخ و إلى هذا أشار المفسر بقوله التى قذفوه فيها (قوله هى) أى الآيات (قوله و إخمادها) أى سكون لهبها مع بقاء جمرها وأما الاهماد فهو طفء النار بالمرة (قوله فى زمن يسير) أى مقدار طرفة عين (قوله لأنهم المنتفعون) علة لمحذوف والتقدير خصوا بالذكر لأنهم الخ (قوله وقال إبراهيم) عطف على قوله فأنجاه الله من النار (قوله إنما اتخذتم من دون الله أوثانا) إن حرف توكيد ونصب وما مصدرية واتخذتم صلتها مسبوكة بمصدر اسم إن وأوثانا مفعول أول والمفعول الثانى محذوف قدره المفسر بقوله تعبدونها ومودة خبر إن ومن دون الله حال من أوثانا وهذا على قراءة الرفع وقوله على قراءة النصب مفعول له وما كافة أى سواء قرىء بتنوين مودة ونصب بينكم أو بعدم التنوين وخفض بينكم واتخذ إما متعد لواحد أو لاثنين والثانى هو قوله من دون الله ويصح أن تكون ما اسما موصولا واتخذتم صلته والعائد محذوف والتقدير إن الذى اتخذتموه من دون الله أوثانا تعبدونها لأجل المودة بينكم ونقل عن عاصم أنه رفع مودة غير منونة ونصب بينكم وخرجت على إضافة مودة للظرف وبنى لاضافته لغير متمكن كقراءة لقد تقطع بينكم بالفتح إذا جعل بينكم فاعلا فتحصل أن القراءات أربع الرفع مع جر بين وفتحها والنصب مع جر بين وفتحها وكلها سبعى (قوله المعنى) أى الحاصل من تلك القراءات (قوله يتبرأ القادة) أى ينكرونهم و يقولون لهم لانعرفكم (قوله صدق بإبراهيم) أى بنبوته و إن كان مؤمنا قبل ذلك ، ويجب الوقف على لوط لأن قوله وقال إنى مهاجر من كلام إبراهيم فلو وصل لتوهم أنه من كلام لوط (قوله أى إلى حيث أمرنى ربى) دفع بذلك مايتوهم من ظاهر اللفظ إثبات الجهة له سبحانه وتعالى (قوله وهاجر من سواد العراق) أى فنزل بحران هو وزوجته سارة ولوط ابن أخيه ، ثم انتقل منها فنزل بفلسطين ونزل لوط بسذوم وكان عمر إبراهيم إذ ذاك خمسا وسبعين سنة (قوله ووهبنا له) أى بعد هجرته (قوله بعد إسمعيل) أى بأربع عشرة سنة (قوله فى ذريته) أى إبراهيم (قوله فكل الأنبياء بعد إبراهيم من ذريته) أى لانحصار الأنبياء فى إسمعيل و إسحق ومدين جد شعيب (قوله وهو الثناء الحسن فى كل أهل الأديان) أى فجميع أهل الأديان يحبونه ويذكرونه بخير و ينتمون إليه (قوله لمن الصالحين) أى الكاملين فى الصلاح .

(قوله ولوطا) معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله اذكر (قوله لقومه) أى أهل سذوم وتوابعها (قوله و إدخال ألف بينهما) أى وعدمه. فالقراءات أربع سبعيات (قوله الانس والجن) أى من عهد آدم الى قوم لوط (قوله بفعلكم الفاحشة بمن يمر بكم). قيل إنهم كانوا يجلسون فى مجالسهم وعند كل رجل منهم قصعة فيها حصى ، فاذا مرّ بهم عابر سبيل حذفوه فأيهم أصابه كان أولى به فيأخذ ماممه وينكحه ويغرمه ثلاثة دراهم ولهم قاض بذلك (قوله فعل الفاحشة) أى والضراط وكشف العورات وغير ذلك من القبائح (قوله إلا أن قالوا ائتنا الخ) أى على سبيل الاستهزاء (قوله باتيان الرجال) أى وفعل بقية الفواحش (قوله فاستجاب الله دعاءه) أى فأمر الملائكة باهلاكهم وأرسلهم مبشرين ومنذرين ، فبشروا إبراهيم بالذرية الطيبة وأنذروا قوم لوط بالعذاب (قوله باسحق ويعقوب) أى وبهلاك قوم لوط (قوله قال إن فيها

(وَ) اذكر (لُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَئِنَّكُمْ) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية و إدخال ألف بينهما على الوجهين فى الموضعين (لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ) أى أدبار الرجال (مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ) الإنس والجن (أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ) طريق المارة بفعلكم الفاحشة بمن يمر بكم فترك الناس الممرّ بكم (وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ) أى متحدثكم (الْمُنْكَرَ) فعل الفاحشة بعضكم ببعض (فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) فى استقباح ذلك وأن العذاب نازل بفاعليه (قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي) بتحقيق قولى فى إنزال العذاب (عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ) العاصين باتيان الرجال فاستجاب الله دعاءه (وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى) باسحق ويعقوب بعده (قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ) أى قرية لوط (إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ) كافرين (قَالَ) إبراهيم (إِنَّ فِيهَا لُوطًا، قَالُوا) أى الرسل (نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ) بالتخفيف والتشديد (وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ) الباقين فى العذاب (وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ) حزن بسببهم (وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا) صدرا لأنهم حسان الوجوه فى صورة أضياف فخاف عليهم قومه فأعلموه أنهم رسل ربه (وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ) بالتشديد والتخفيف (وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ) ونصب أهلك عطف على محلّ الكاف (إِنَّا مُنْزِلُونَ) بالتخفيف والتشديد (عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا) عذابا (مِنَ السَّمَاءِ بِمَا) بالفعل الذى (كَانُوا يَفْسُقُونَ) به أى بسبب فسقهم (وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً) ظاهرة هى آثار خرابها (لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) يتدبرون (وَ) أرسلنا (إِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ) اخشوه هو يوم القيامة

لوطا) هذا بعد المجادلة التى تقدمت فى قوله : يجادلنا فى قوم لوط حيث قال لهم أتهلكون قرية فيها ثلاثمائة مؤمن قالوا لا إلى أن قال أفرأيتم إن كان فيها مؤمن واحد قالوا لا قال إن فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله الباقين فى العذاب) أى الذين لم يخلصوا منه لأن الدال على الشرّ كفاعله وهى قد دلت القوم على أضياف لوط فصارت واحدة منهم بسبب ذلك (قوله ولما أن جاءت) أن زائدة للتوكيد (قوله حزن بسببهم) أشار بذلك إلى أن الباء فى بهم سببية (قوله ذرعا) تمييز محول عن الفاعل أى ضاق ذرعه وقوله صدرا تفسير لحاصل المعنى و إلا فالذرع معناه الطاقة والقوة (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله على محلّ الكاف) أى وهو النصب على أنها مفعول منجو (قوله عذابا) قيل هو حجارة وقيل نار وقيل خسف ، وعليه فالمراد بكونه من السماء أن الحكم به من السماء (قوله هى آثار خرابها) وقيل هى الحجارة التى أهلكوا بها أبقاها الله عز وجلّ حتى أدركتها أوائل هذه الأمة ، وقيل هى ظهور الماء الأسود على وجه الأرض (قوله لقوم يعقلون) متعلق بتركنا أو ببينة وخصهم لأنهم المنتفعون بالاتعاظ بها (قوله و إلى مدين) متعلق بمحذوف معطوف على أرسلنا فى قصة نوح (قوله أخاهم شعيبا) أى لأنه من ذرّية مدين بن إبراهيم الذى هو أبو القبيلة فكما هو منسوب لمدين هم كذلك (قوله اعبدوا الله) أى وحدوه (قوله وارجوا اليوم) يصح أن يبقى الرجاء على معناه ويكون المعنى ارجوا رحمة الله فى اليوم الآخر و يصح أن يكون بمعنى خافوا ؛ والمعنى خافوا عقاب الله فى اليوم الآخر واليه يشير المفسر بقوله اخشوه .

(وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ) حال مؤكدة لعاملها من عثى بكسر المثلثة: أفسد (فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ) الزلزلة الشديدة (فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ) باركين على الركب ميتين (وَ) أهلكنا (عَادًا وَثَمُودَا) بالصرف وتركه بمعنى الحى والقبيلة (وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ) إهلاكهم (مِنْ مَسَاكِنِهِمْ) بالحجر واليمن (وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ) من الكفر والمعاصى (فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ) سبيل الحق (وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ) ذوى بصائر (وَ) أهلكنا (قَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ) من قبل (مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ) الحجج الظاهرات (فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ) فائتين عذابنا (فَكُلًّا) من المذكورين (أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا) ريحا عاصفة فيها حصباء كقوم لوط (وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ) كثمود (وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ) كقارون (وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا) كقوم نوح وفرعون وقومه (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ) فيعذبهم بغير ذنب (وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) بارتكاب الذنب (مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ) أى أصناما يرجون نفعها (كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا) لنفسها تأوى إليه (وَإِنَّ أَوْهَنَ) أضعف (الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ) لايدفع عنها حرا ولا بردا كذلك الأصنام لاتنفع عابديها (لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) ذلك ماعبدوها (إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ

ما)

(قوله من عثى بكسر المثلثة) أى من باب تعب ويصح أن يكون من باب قال (قوله فكذبوه) إن قلت مقتضى الظاهر أن يقال فلم يمتثلوا أوامره لأن التكذيب إنما يكون فى الأخبار. أجيب بأن ماذكره من الأمر والنهى متضمن للخبر كأنه قيل الله واحد فاعبدوه والحشر كائن فارجوه والفساد محرم فاجتنبوه فالتكذيب راجع إلى الأخبار (قوله فأخذتهم الرجفة) أى الزلزلة التى نشأت من صيحة جبريل عليهم وتقدم فى هود فأخذتهم الصيحة ولا منافاة بين الموضعين فان سبب الرجفة الصيحة والرجفة سبب فى هلاكهم فتارة يضاف الأخذ للسبب وتارة لسبب السبب (قوله بالصرف وتركه) راجع لثمود فقط وقوله بمعنى الحى والقبيلة لف ونشر مرتب فكونه بمعنى الحى يكون اسم جنس لم توجد فيه العلمية التى هى إحدى علتى منع الصرف وكونه بمعنى القبيلة يكون علم شخص على أبى القبيلة فقد وجدت فيه العلتان (قوله إهلاكهم) أشار بذلك إلى أن فاعل تبين ضمير عائد على الاهلاك (قوله بالحجر) راجع لثمود وهو واد بين الشام والمدينة وقوله واليمن راجع لعاد (قوله وكانوا مستبصرين) أى بواسطة الرسل فلم يكن لهم عذر فى ذلك لأن الرسل بينوا طريق الحق بالحجج الواضحة (قوله ذوى بصائر) أى عقلاء متمكنين من النظر والاستبصار لكنهم لم يفعلوا تكبرا وعنادا (قوله وقارون) قدمه على فرعون لشرفه عليه لكونه ابن عم موسى (قوله وهامان) هو وزير فرعون (قوله فاستكبروا) أى تكبروا عن عبادة الله (قوله بذنبه) الباء سببية أى بسبب ذنبه (قوله وما كان الله ليظلمهم) أى يعاملهم معاملة ملك ظالم فى رعيته وعلى فرض لو عذبهم بغير ذنب لايكون ظالما لأنه الخالق المتصرف فى ملكه على مايريد (قوله يرجون نفعها) هذا هو وجه الشبه أى فمثل الذين اتخذوا من دون الله أصناما يعبدونها فى اعتمادهم عليها ورجائهم نفعها كمثل العنكبوت فى اتخاذها بيتا لايغنى عنها فى حر ولا برد ولا مطر ولا أذى وحمل المفسر الأولياء على الأصنام مخرج للأولياء بمعنى المتولين فى خدمة ربهم فان اتخاذهم بمعنى التبرك بهم والالتجاء لهم والتعلق بأذيالهم مأمور به وهم أسباب عادية تنزل الرحمات والبركات عندهم لابهم خلافا لمن جهل وعاند وزعم أن التبرك بهم شرك (قوله كمثل العنكبوت) هو حيوان معروف له ثمانية أرجل وستة أعين يقال إنه أقنع الحيوانات جعل الله رزقه أحرص الحيوان وهو الذباب والبق ونونه أصلية والواو والتاء زائدتان بدليل قولهم فى الجمع عناكب وفى التصغير عنيكيب (قوله وإن أوهن البيوت) الجملة حالية (قوله كذلك الأصنام لاتنفع عابديها) أى فمن التجأ لغير الله فلا ينفعه شئ ومن التجأ لله وقاه بغير سبب وبسبب ضعيف ومن هنا وقاية رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكفار حين نزل الغار بالعنكبوت وبيض الحمام مع كونهما أضعف الأشياء (قوله ماعبدوها) قدره إشارة إلى أن جواب لو محذوف.

(قوله بمعنى الذى) أشار بذلك إلى أن ما اسم موصول وجملة يدعون صلتها والموصول وصلته معمول ليعلم (قوله أى يفهمها) أى يفهم صحتها وفائدتها (قوله إلا العالمون) خصهم لأنهم المنتفعون بذلك وأما الكافرون فيزدادون طغيانا وعتوا (قوله محقا) أشار بذلك إلى أن الباء فى بالحق للملابسة. والجار والمجرور حال (قوله خصوا بالذكر) جواب عما يقال إنّ فى خلق السموات والأرض آية لكل عاقل (قوله اتل ما أوحى إليك) أى ما أوحاه الله إليك بنزول جبريل به، والمعنى تقرب إلى الله بتلاوته وترداده أنت وأمتك لأن فيه محاسن الآداب ومكارم الأخلاق (قوله من الكتاب) بيان لما (قوله وأقم الصلاة) أى دم على إقامتها بأركانها وشروطها وآدابها فانها عماد الدين من أقامها فقد أقام الدين ومن هدمها فقد هدم الدين والخطاب للنبى والمراد هو وأمته بدليل مدحهم فى آية إنّ الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور الآية (قوله إنّ الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) أى المواظبة عليها تكون سببا فى تطهيره من الفحشاء والمنكر إذا استوفيت شروطها وآدابها لأن الواجب حين الاقبال على الصلاة التطهر من الحدث الحسى والمعنوى وتجديد التوبة فاذا وقف بين يدى الله وخشع وتذكر أنه واقف بين يدى مولاه وأنه مطلع عليه يراه فحينئذ يظهر على جوارحه هيئتها وقوله مادام المرء فيها هذا أحد قولين والقول الصحيح أنها تنهى عنها فى سائر الأوقات لما روى أن فتى من الأنصار كان يصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لايدع شيئا من الفواحش إلا ارتكبه فوصف للنبى

صلى الله عليه وسلم حاله فقال إن صلاته ستنهاه فلم يلبث أن تاب وحسن حاله، وروى عن بعض السلف أنه كان إذا قام إلى الصلاة ارتعد واصفر لونه فكلم فى ذلك فقال إنى واقف بين يدى الله تعالى وحق لى هذا مع ملوك الدنيا فكيف مع ملك الملوك. وأما من كانت صلاته بخلاف ذلك بأن كانت لاخشوع فيها ولا تذكر

ما) بمعنى الذى (يَدْعُونَ) يعبدون بالياء والتاء (مِنْ دُونِهِ) غيره (مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ) فى ملكه (الْحَكِيمُ) فى صنعه (وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ) فى القرآن (نَضْرِبُهَا) نجعلها (لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا) أى يفهمها (إِلَّا الْعَالِمُونَ) المتدبرون (خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ) أى محقا (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً) دلالة على قدرته تعالى (لِلْمُؤْمِنِينَ) خصوا بالذكر لأنهم المنتفعون بها فى الايمان بخلاف الكافرين (اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ) القرآن (وَأَقِمِ الصَّلَوٰةَ إِنَّ الصَّلَوٰةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ) شرعا: أى من شأنها ذلك مادام المرء فيها (وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ) من غيره من الطاعات (وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ) فيجازيكم به (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي) أى المجادلة التى (هِيَ أَحْسَنُ) كالدعاء إلى الله بآياته والتنبيه على حججه (إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ) بأن حاربوا وأبوا أن يقروا بالجزية فجادلوهم بالسيف حتى يسلموا

فانها لاتكون سببا فى نهيه عن الفحشاء والمنكر بل يستمر على ماهو عليه من البعد لما ورد «من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم تزده من الله إلا بعدا» (قوله ولذكر الله) أى بسائر أنواعه أكبر أى أفضل الطاعات على الاطلاق لما روى عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم وخير لكم من إعطاء الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا بلى يارسول الله قال ذكر الله» وروى «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل أى العباد أفضل درجة عند الله يوم القيامة قال الذاكرون الله كثيرا قالوا يارسول الله ومن الغازى فى سبيل الله فقال لوضرب بسيفه الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب دما لكان الذاكرون الله كثيرا أفضل منه درجة» فالذكر أفضل الأعمال وهو المقصود من تلاوة القرآن ومن الصلاة ولذا ورد عن الجنيد أنه كان يأتيه العصاة يريدون التوبة على يديه فيلقنهم الذكر ويأمرهم بالاكثار منه فتتنور قلوبهم (قوله والله يعلم ماتصنعون) أى من خير وشر فيجازيكم عليه (قوله ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن) أى لاتدعوهم إلى دين الله إلا بالكلام اللين والمعروف والاحسان لعلهم يهتدون، وقوله إلا الذين ظلموا أى فادعوهم إلى دين الله بالاغلاظ والشدة وقاتلوهم حتى يسلموا أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون فهذه الآية بمعنى قوله تعالى قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الآية وعلى هذا التقرير فالآية محكمة وهو التحقيق (قوله بأن حاربوا الخ) أشار بذلك إلى أن المراد بالظلم الامتناع مما يلزمهم شرعا فلا يقال إن الكل ظالمون لأنهم كفار.

(قوله أو يعطوا الجزية) أي يلتزموا بعطائها (قوله وقولوا امنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم) أي لما روى «أنه كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم» الآية، وفى رواية «وقولوا آمنا بالله وبكتبه وبرسله فإن قالوا باطلا لم تصدقوهم وإن قالوا حقا لم تكذبوهم» ومحل ذلك مالم يتعرضوا لأمور توجب نقض عهدهم كأن يظهروا أن شرعهم غير منسوخ وأن نبينا غير صادق فيما جاء به وغير ذلك فحينئذ نقاتلهم، ومحله أيضا مالم يخبرونا بخبر موافق لما فى كتابنا وإلا فيجب تصديقهم من حيث إن الله أخبرنا به (قوله فالذين آتيناهم الكتاب) أى نفعناهم به بأن أعطيناهم نوره وظهرت ثمرته عليهم هم الذين يؤمنون به وإلا فجميع علمائهم أوتوا الكتاب ولم يسلم منهم إلا القليل ويصح أن يكون المراد فريق من أهل الكتاب الخ (قوله وما يجحد بآياتنا) أى ينكرها بعد معرفتها (قوله أى اليهود) لامفهوم له بل النصارى والمشركون كذلك فالمناسب أن يقول إلا الكافرون كاليهود (قوله وما كنت تتلوا من قبله من كتاب) شروع فى إثبات الدليل على أن القرآن من عند الله وأنه معجز للبشر كأن الله يقول لأهل الكتاب أنتم لاعذر لكم فى إنكار القرآن ولا فى تكذيب النبى صلى الله عليه وسلم لأن من جملة صفاته فى كتبهم أنه أمى لايقرأ ولا يكتب ووجد بهذه الصفة فلو فرض أنه كان يكتب أو يقرأ لحصل لهم الشك فى نبوته وفى القرآن لوجوده على خلاف الصفة التى فى كتبهم (قوله من كتاب) مفعول تتلوا ومن زائدة (قوله أى لو كنت قارئا كاتبا) لف ونشر مرتب (قوله اليهود) لا مفهوم له بل الكافرون كذلك

أو يعطوا الجزية (وَقُولُوا) لمن قبل الاقرار بالجزية إذا أخبروكم بشىء مما فى كتبهم (آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ) ولا تصدقوهم ولا تكذبوهم فى ذلك (وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) مطيعون (وَكَذَٰلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ) القرآن كما أنزلنا إليهم التوراة وغيرها (فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ) التوراة كعبد الله بن سلام وغيره (يُؤْمِنُونَ بِهِ) بالقرآن (وَمِنْ هَٰؤُلَاءِ) أى أهل مكة (مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا) بعد ظهورها (إِلَّا الْكَافِرُونَ) أى اليهود وظهر لهم أن القرآن حق والجائى به محق وجحدوا ذلك (وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ) أى القرآن (مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا) أى لو كنت قارئا كاتبا (لَارْتَابَ) شك (الْمُبْطِلُونَ) اليهود فيك وقالوا الذى فى التوراة أنه أمى لايقرأ ولا يكتب (بَلْ هُوَ) أى القرآن الذى جئت به (آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ) أى المؤمنون يحفظونه (وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ) أى اليهود وجحدوها بعد ظهورها لهم (وَقَالُوا) أى كفار مكة (لَوْلَا) هلا (أُنْزِلَ عَلَيْهِ) أى محمد (آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ) وفى قراءة آيات كناقة صالح وعصا موسى ومائدة عيسى (قُلْ) لهم (إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ) ينزلها كيف يشاء (وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ) مظهر إنذارى بالنار أهل المعصية (أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ) فيما طلبوا (أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ) القرآن (يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ) فهو آية مستمرة لا انقضاء لها بخلاف ماذكر من الآيات (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ) الكتاب (لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ) عظة (لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ. قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا)

بصدقى (قوله بل هو آيات بينات) إضراب عما تقدم من الارتياب (قوله أى المؤمنين يحفظونه) أى لفظا ومعنى لما ورد «وجعلت من أمتك أقواما قلوبهم أناجيلهم» أى كالأناجيل، والمعنى أن القرآن محفوظ فى صدورهم وثابت فيها كما كان كتاب النصارى ثابتا فى أناجيلهم (قوله وما يجحد بآياتنا) أى القرآن (قوله اليهود) تقدم مافيه (قوله وفى قراءة آيات) أى وهما سبعيتان (قوله ينزلها كيف يشاء) أى على ما يريد ولا دخل لأحد فى ذلك لأن المعجزة أمر خارق للعادة يأتى بفضل الله (قوله أولم يكفهم) الهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة عليه، التقدير أجهلوا ولم يكفهم الخ والاستفهام للتوبيخ (قوله أنا أنزلنا) أن وما دخلت عليه فى تأويل مصدر فاعل يكف، والتقدير أولم يكفهم إنزالنا (قوله مستمرة لا انقضاء لها) أخذ ذلك من قوله يتلى عليهم (قوله بخلاف ماذكر من الآيات) أى فانقضت بموت الرسل (قوله لقوم يؤمنون) خصوا بالذكر لأنهم هم المنتفعون بذلك

(قوله ومنه حالى وحالكم) أى من جملة ما فى السموات والأرض (قوله والذين آمنوا بالباطل) أى خضعوا له وعبدوه (قوله حيث اشتروا الكفر بالإيمان) أى أخذوا الكفر وتركوا الايمان (قوله ولولا أجل مسمى له) أى للعذاب (قوله وليأتينهم بغتة) أى كوقعة بدر فانها أتتهم على حين غفلة (قوله وهم لايشعرون) أى لايظنون أن العذاب يأتيهم أصلا (قوله و يستعجلونك بالعذاب) تعجب من قلة فطنتهم ومن تعنتهم، والمعنى كيف يستعجلون العذاب والحال أن جهنم محيطة بهم يوم القيامة لامفرّ لهم منها (قوله يوم يغشاهم العذاب) ظرف لقوله محيطة والمعنى على الاستقبال: أى ستحيط بهم فى ذلك اليوم (قوله من فوقهم ومن تحت أرجلهم) تفسير للاحاطة وهو بمعنى قوله تعالى - لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش - (قوله أى نأمر بالقول) إنما أوّله جمعا بين ماهنا و بين قوله فى الأخرى لا يكلمهم الله يوم القيامة (قوله أى جزاءه) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله ياعبادى الذين آمنوا) خطاب لفقراء الصحابة الذين كانوا يخافون من إظهار الإسلام فى مكة كما قال المفسر والإضافة لتشريف المضاف (قوله فإياى فاعبدون) (٢٢٥) إياى منصوب بفعل محذوف دل

بصدق (يَعْلَمُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ) ومنه حالى وحالكم (وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ) وهو ما يعبد من دون الله (وَكَفَرُوا بِاللهِ) منكم (أُولٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) فى صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالإيمان (وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى) له (لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ) عاجلا (وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) بوقت إتيانه (يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ) فى الدنيا (وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ. يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَنَقُولُ) فيه بالنون، أى نأمر بالقول، وبالياء، أى يقول الموكل بالعذاب (ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) أى جزاءه فلاتفوتوننا (يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ) فى أىّ أرض تيسرت فيها العبادة بأن تهاجروا إليها من أرض لم تتيسر فيها. نزل فى ضعفاء مسلمى مكة كانوا فى ضيق من إظهار الإسلام بها (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ) بالتاء والياء بعد البعث (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ) ننزلهم وفى قراءة بالمثلثة بعد النون من الثواء: الاقامة وتعديته إلى غرفا بحذف فى (مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ) مقدرين الخلود (فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ) هذا الأجر، هم (الَّذِينَ صَبَرُوا) أى على أذى المشركين والهجرة لإظهار الدين (وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) فيرزقهم من حيث لا يحتسبون (وَكَأَيِّنْ) كم (مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا) لضعفها،

عليه المذكور (قوله كانوا فى ضيق الخ) أى فوسع الله لهم الأمر والعبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب فمن تعسرت عليه العبادة فى بلد فعليه أن يهاجر منها البلد تتيسر له فيها لقوله تعالى - وما خلقت الجنّ والانس إلا ليعبدون - فالمهم العبادة فى أى مكان تيسر ولا يعوّل على مكان فى الدنيا لأنها دار ممر لامقرّ والمار فى طريق لايعول على مسكن ولا قرار فى طريقه (قوله كل نفس ذائقة الموت) أى لاتقيموا بدار الشرك خوفا من الموت فان كل نفس ذائقة الموت فالحكمة فى تخويفهم من الموت لون مفارقة الاوطان تهون عليهم فان من أيقن بالموت هان عليه كل شئ فى الدنيا (قوله والذين آمنوا وعملوا الصالحات) لما ذكر أحوال الكفار وما آل إليه أمرهم أتبعه بذكر أحوال المؤمنين وما آل إليه أمرهم (قوله وفى قراءة بالمثلثة) أى الساكنة بعد النون و بعدها واو مكسورة ثم ياء مفتوحة وغرفا على هذه القراءة إما منصوب بنزع الخافض كما قال المفسر أو مفعول به بتضمين مثوى معنى ننزل فيتعدّى لاثنين (قوله تجرى من تحتها) أى الغرف (قوله مقدرين الخلود فيها) أشار بذلك إلى أن قوله: خالدين فيها حال مقدرة، أى أنهم حين الدخول يقدرون الخلود لأنه أتم فى النعيم لسماعهم النداء من قبل الله: يا أهل الجنة خلود بلا موت (قوله هذا الأجر) أشار بذلك إلى أن المخصوص بالمدح محذوف (قوله الذين صبروا) نعت للعاملين أو خبر لمحذوف كما قال المفسر (قوله لإظهار الدين) متعلق بالهجرة (قوله وكأين من دابة لا تحمل رزقها) سبب نزولها أنه صلى الله عليه وسلم لما أمر المؤمنين بالهجرة قالوا: كيف نخرج إلى المدينة وليس لنا بها دار ولا مال فمن يطعمنا بها و يسقينا، وقوله لا تحمل رزقها: أى لا تدخره لغد كالبهائم والطير. قال سفيان بن عيينة: ليس شئ من الخلق

يخبأ إلا الإنسان والفأرة والنملة (قوله الله يرزقها وإياكم) أى فلا فرق بين الحريص والمتوكل والضعيف والقوى فى أمر الرزق بل ذلك بتقديره سبحانه وتعالى. قال تعالى - ومامن دابة فى الأرض إلاعلى الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل فى كتاب مبين - فينبغى للانسان أن يفوض أمر الرزق له تعالى ولاينافى هذا أخذه فى الأسباب لأن الله تعالى أوجد الأشياء عند أسبابها لا بها فالأسباب لاتنكر ومن أنكرها فقد ضل وخسر (قوله ولئن سألتهم) أى كفارمكة (قوله من خلق السموات والأرض الخ) أتى لى جانب السموات والأرض بالخلق وفى جانب الشمس والقمر بالتسخير إشارة إلى أن الحكمة فى خلقهما التسخير الذى ينشأ عنه الليل والنهار اللذان بهما قوام العالم بخلاف السموات والأرض فالنفع فى مجرد خلقهما (قوله فأنى يؤفكون) الاستفهام للتوبيخ (قوله الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له) أى فلا تركن لغيره فليس مالكا لضر ولانفع (قوله فأحيا به) أى بالنبات الناشئ عن الماء (قوله من بعد موتها) أى جدبها وقحط أهلها (قوله فكيف يشركون به) أى بعد إقرارهم (قوله بل أكثرهم لايعقلون) أى والأقل يعقل ومن عقل منهم اهتدى وآمن (قوله وماهذه الحياة الدنيا) أشار

(اللهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ) أيها المهاجرون وإن لم يكن معكم زاد ولا نفقة (وَهُوَ السَّمِيعُ) لأقوالكم (الْعَلِيمُ) بضمائركم (وَلَئِنْ) لام قسم (سَأَلْتَهُمْ) أى الكفار (مَنْ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ) يصرفون عن توحيده بعد إقرارهم بذلك (اللهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ) يوسعه (لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) امتحاناً (وَيَقْدِرُ) يضيق (لَهُ) بعد البسط أى لمن يشاء ابتلاء (إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) ومنه محل البسط والتضييق (وَلَئِنْ) لام قسم (سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللهُ) فكيف يشركون به (قُلِ) لهم (الْحَمْدُ لِلّٰهِ) على ثبوت الحجة عليكم (بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) تناقضهم فى ذلك (وَمَا هٰذِهِ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ) وأما القرب فمن أمور الآخرة لظهور ثمرتها فيها (وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ) بمعنى الحياة (لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) ذلك ما آثروا الدنيا عليها (فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) أى الدعاء أى لايدعون معه غيره لأنهم فى شدة لا يكشفها إلا هو (فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ) به (لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ) من النعمة (وَلِيَتَمَتَّعُوا) باجتماعهم على عبادة الأصنام وفى قراءة بسكون اللام أمر تهديد (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) عاقبة ذلك (أَوَلَمْ يَرَوْا) يعلموا (أَنَّا جَعَلْنَا) بلدهم مكة (حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ) قتلاً وسبياً دونهم ،

بذلك إلى أن الدنيا حقيرة لاتزن جناح بعوضة فينبغى للعاقل التجافى عنها ويأخذ منها بقدر مايوصله للآخرة . قال بعض العارفين :

تأمل فى الوجود بعين فكر
تر الدنيا الدنية كالخيال
ومن فيها جميعا سوف يفنى
ويبقى وجه ربك ذو الجلال

(قوله إلا لهو ولعب) اللهو الاشتغال بمافيه نفع عاجل واللعب الاشتغال بمالانفع فيه أصلا (قوله وأما القرب) أى كالتوحيد والذكر والعبادة (قوله بمعنى الحياة) أى الدائمة الخالدة التى لا زوال فيها (قوله ما آثروا الدنيا عليها) جواب لو : أى ماقدموا لذة الدنيا على الآخرة (قوله فاذا ركبوا فى الفلك الخ) أى وذلك أن الكفار كانوا إذا ركبوا البحر حملوا معهم الأصنام فاذا اشتدت الريح ألقوها فى البحر وقالوا يارب يارب ودعوا الله مخلصين حالة الكرب (قوله إذا هم يشركون) جواب لما ، والمعنى عادوا إلى شركهم لأجل كفرهم بما أعطاهم الله وتلذذهم بأعراض الدنيا فلم يقابلوا النعم بالشكر بخلاف المؤمنين (قوله ليكفروا) اللام لام العاقبة والصيرورة ، وقوله وليتمتعوا عطف عليه (قوله وفى قراءة بسكون اللام) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله أمر تهديد) أى فى الفعلين بدليل الوعيد المرتب عليهما بقوله : فسوف يعلمون ، فالحاصل أنه إذا سكنت اللام فى الثانى تعين كونها للأمر فى الفعلين وإن لم تسكن كانت فى الفعلين للعاقبة والصيرورة (قوله أولم يروا) الهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة عليه ، والتقدير أعموا ولم يروا الخ (قوله ويتخطف الناس) الجملة حالية على تقدير المبتدإ : أى وهم يتخطف الخ .

(أفبالباطل)

(قوله أي لا أحد) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي (قوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) قال المفسرون إن هذه الآية نزلت قبل الأمر بالجهاد لكونها مكية، وحينئذ فالمراد بالجهاد فيها جهاد النفس. قال الحسن: الجهاد مخالفة الهوى. وقال الفضيل بن عياض: والذين جاهدوا في طلب العلم لنهدينهم سبل العمل به. وقال سهل بن عبد الله: والذين جاهدوا في طاعتنا لنهدينهم سبل ثوابنا، وقيل والذين جاهدوا فيما علموا لنهدينهم إلى مالم يعلموا لما في الحديث «من عمل بما علم علمه الله علم مالم يعلم» (قوله لنهدينهم سبلنا) أي طرق الوصول إلى مرضاتنا فالطريق هي العمل بالأحكام الشرعية وثمرتها الحقيقة وهي العلوم والمعارف المشار إليها بقوله تعالى ـ وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا ـ (قوله لمع المحسنين) فيه إقامة الظاهر مقام المضمر لإظهار شرفهم بوصف الإحسان، والمعنى وإن الله لمعهم بالعون والنصر والمحبة فهي معية خاصة، وإليها الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي «فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به» الحديث

[سورة الروم] مبتدأ وستون خبر أول ومكية خبر ثان، وظاهر المفسر أن كلها مكي وقيل إلا قوله تعالى ـ فسبحان الله حين تمسون ـ الآية (قوله الله أعلم بمراده بذلك) تقدم أن هذا أصح التفاسير (قوله غلبت الروم) الروم اسم قبيلة سميت باسم جدها وهو روم بن عيصو بن إسحق بن إبراهيم وسمي عيصو لأنه كان مع يعقوب في بطن فعند خروجهما تزاحما وأراد كل أن يخرج قبل الآخر، فقال عيصو ليعقوب إن لم أخرج قبلك وإلا خرجت من جنبها فتأخر يعقوب شفقة منه،

(أفبالباطل) الصنم (يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ) بإشراكهم (وَمَنْ) أي لا أحد (أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا) بأن أشرك به (أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ) النبي أو الكتاب (لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى) مأوى (لِلْكَافِرِينَ) أي فيها ذلك وهو منهم (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا) في حقنا (لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا) أي طرق السير إلينا (وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ) المؤمنين بالنصر والعون.

(سورة الروم)

مكية، وهي ستون أو تسع وخمسون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. الم) الله أعلم بمراده بذلك (غُلِبَتِ الرُّومُ)،

فلهذا كان أبا الأنبياء وعيصو أبا الجبارين وسبب نزول هذه الآية أنه كان بين فارس والروم قتال وكان المشركون يودون أن تغلب فارس الروم لأن فارس كانوا مجوسا أميين والمسلمون يودون غلبة الروم على فارس لكونهم أهل كتاب فبعث كسرى جيشا إلى الروم واستعمل عليهم رجلا يقال له شهر يزان وبعث قيصر جيشا وأمر عليهم رجلا يدعى بخنس، فالتقيا بأذرعات وبصرى وهي أدنى الشام إلى أرض العرب والعجم فغلبت فارس الروم، فبلغ ذلك المسلمين بمكة فشق عليهم وفرح به كفار مكة وقالوا للمسلمين إنكم أهل كتاب والنصارى أهل كتاب ونحن أميون وفارس أميون وقد ظهر إخواننا من أهل فارس على إخوانكم من الروم، وإنكم إن قاتلتمونا لنظهرن عليكم فأنزل الله هذه الآيات، فخرج أبو بكر الصديق إلى كفار مكة فقال: فرحتم بظهور إخوانكم فلا تفرحوا فوالله لتظهرن الروم على فارس أخبرنا بذلك نبينا صلى الله عليه وسلم، فقام إليه أبي بن خلف الجمحي وقال كذبت، فقال له الصديق أنت أكذب ياعدو الله، فقال اجعل أجلا أناحبك: أي أقامرك وأراهنك عليه فراهنه على عشر قلائص منه وعشر قلائص من الآخر، فقال أبي إن ظهرت الروم على فارس غرمت ذلك وإن ظهرت فارس على الروم غرمت لي فنعلوا وجعلوا الأجل ثلاث سنين، فجاء أبو بكر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك وكان ذلك قبل تحريم القمار، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ماهكذا ذكرت إنما البضع مابين الثلاث إلى التسع فزايده في الخطر وماده في الأجل، فخرج أبو بكر فلقي أبيا، فقال لعلك ندمت؟ فقال لا. قال فتعال أزايدك في الخطر وأماددك في الأجل فأجعلها مائة قلوص ومائة قلوص إلى تسع سنين، وقيل إلى سبع سنين، فقال قد فعلت، فلما خشي أبي بن خلف أن يخرج أبو بكر من مكة أتاه ولزمه وقال إني أخاف أن تخرج من مكة فأقم لي كفيلا، فكفله ابنه عبد الله بن أبي بكر، فلما أراد أبي بن خلف أن يخرج إلى أحد أتاه عبد الله بن أبي بكر فلزمه وقال لا والله لا أدعك حتى تعطيني كفيلا

فأعطاه كفيلا ثم خرج إلى أحد ثم رجع أبي بن خلف إلى مكة ومات بها من جراحته التي جرحه النبي صلى الله عليه وسلم إياها حين بارزه وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية وذلك على رأس سبع سنين من مناحبتهم ، وقيل كان يوم بدر وربطت الروم خيولهم بالمدائن و بنوا بالعراق مدينة وسموها رومية فأخذ أبو بكر مال الخطر من ورثته وجاء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم وذلك قبل أن يحرم القمار فقال له النبي صلى الله عليه وسلم تصدق به (قوله وهم أهل كتاب) أي نصارى فنصرتهم علامة على نصرة النبي وأصحابه وقوله وليسوا أهل كتاب أي بل هم مجوس فنصرتهم علامة على نصر كفار مكة فكل حزب بما لديهم فرحون (قوله بل يعبدون الأوثان) أي التي من جملتها النار (قوله وقالوا للمسلمين الخ) هذا هو حكمة ذكر تلك الواقعة (قوله أقرب أرض الروم) أي فأدنى أفعل تفضيل وأل عوض عن المضاف إليه (قوله بالجزيرة) المراد بها ما بين دجلة والفرات وليس المراد بها جزيرة العرب (قوله وهم) مبتدأ وجملة سيغلبون خبره (قوله في بضع سنين) متعلق بيغلبون وهو على حذف مضاف أي في انتهاء بضع سنين ، وأبهم البضع لإدخال الرعب

وهم أهل كتاب غلبتها فارس وليسوا أهل كتاب بل يعبدون الأوثان ففرح كفار مكة بذلك وقالوا للمسلمين نحن نغلبكم كما غلبت فارس الروم (فِي أَدْنَى الْأَرْضِ) أي أقرب أرض الروم إلى فارس بالجزيرة التقى فيها الجيشان والبادي بالغزو الفرس (وَهُمْ) أي الروم (مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ) أضيف المصدر إلى المفعول أي غلبة فارس إياهم (سَيَغْلِبُونَ) فارس (فِي بِضْعِ سِنِينَ) هو ما بين الثلاث إلى التسع أو العشر فالتقى الجيشان في السنة السابعة من الالتقاء الأول وغلبت الروم فارس (لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ) أي من قبل غلب الروم ومن بعده . المعنى أن غلبة فارس أولا وغلبة الروم ثانيا بأمر الله أي إرادته (وَيَوْمَئِذٍ) أي يوم تغلب الروم (يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ) إياهم على فارس وقد فرحوا بذلك وعلموا به يوم وقوعه يوم بدر بنزول جبريل بذلك فيه مع فرحهم بنصرهم على المشركين فيه (يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ) الغالب (الرَّحِيمُ) بالمؤمنين (وَعْدَ اللَّهِ) مصدر بدل من اللفظ بفعله والأصل وعدهم الله النصر (لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ) به (وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ) أي كفار مكة (لَا يَعْلَمُونَ) وعده تعالى بنصرهم (يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) أي معايشها من التجارة والزراعة والبناء والغراس وغير ذلك (وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ) إعادة هم تأكيد ،

والخوف عليهم في كل وقت (قوله فالتقى الجيشان في السنة السابعة من الالتقاء الأول) أي يوم بدر إن كانت الواقعة الأولى قبل الهجرة بخمس سنين أو يوم الحديبية إن كانت الأولى قبل الهجرة بسنة والمراد بالجيشين جيش كسرى وجيش قيصر ملك الروم فأقبل في خمسمائة ألف رومي إلى الفرس وغلبوهم ومات كسرى ملك الفرس (قوله لله الأمر) أي لا لغيره (قوله من قبل ومن بعد) القراءة المشهورة ببناء قبل و بعد على الضم لحذف المضاف إليه ونية معناه (قوله أي من قبل غلب الروم) أي من قبل كونهم غالبين وقوله ومن بعده أي من بعد كونهم مغلوبين (قوله المعنى أن غلبة فارس الخ) جواب عما يقال ما فائدة قوله غلبهم بعد قوله غلبت الروم . وحاصل الجواب أن فائدته إظهار أن ذلك بأمر الله لأن شأن من غلب بعد كونه مغلوبا أن يكون ضعيفا فلو كانت الغلبة بحولهم وقوتهم لما غلبوا أولا (قوله أي يوم تغلب الروم) أشار بذلك إلى أن تنوين يومئذ عوض عن جملة (قوله يفرح المؤمنون بنصر الله) أي فاستبشر المؤمنون بنصر الروم على فارس وعلموا أن الغلبة لهم على كفار مكة (قوله يوم بدر) هذا أحد قولين وهو مبني على أن الواقعة الأولى كانت قبل الهجرة بخمس سنين ، وقيل يوم الحديبية بناء على أن الأولى قبل الهجرة بسنه (قوله مصدر) أي مؤكد لمضمون الجملة التي تقدمت وعامله محذوف أي وعدهم الله وعدا (قوله به) أي النصر (قوله لا يعلمون) أي لجهلهم وعدم تفكرهم واعتبارهم (قوله يعلمون) أي الأكثر (قوله ظاهرا من الحياة الدنيا) أي وأما باطنها منها وهو كونها مجازا إلى الآخرة يتزود فيها بالأعمال الصالحة فليس لهم به علم (قوله إعادة) أي لفظ هم .

(أولم)

(قوله أولم يتفكروا) الهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة عليه والتقدير أعموا ولم يتفكروا (قوله إلا بالحق) أى بالحكمة لاعبثا (قوله تفنى عند انتهائه) أى تنعدم السموات والأرض وما بينهما عند انقضاء ذلك الأجل (قوله بلقاء ربهم) متعلق بكافرون واللام غير مانعة من ذلك لوقوعها فى غير محلها وهو خبر إن (قوله أولم يسيروا فى الأرض) الهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة عليه والتقدير أقعدوا ولم يسيروا والاستفهام للتوبيخ والجملة معطوفة على جملة أولم يتفكروا عطف سبب على مسبب لأن السير سبب للتفكر (قوله وأثاروا الأرض) بالقصر لعامة القراء وقرئ شذوذا وآثاروا بألف بعد الهمزة (قوله أكثر مما عمروها) نعت لمصدر محذوف أى عمارة أكثر من عمارتهم (قوله وجاءتهم رسلهم بالبينات) أى فلم يذعنوا لها بل كذبوا بها (قوله فما كان الله ليظلمهم) أى يعاملهم معاملة ملك ظالم جبار بل معاملة ملك عدل رحيم ، وعلى فرض أخذهم من غير جرم لايكون ظالما إذ لا مشارك له فى خلقه ولكن من فضله تعالى ألزم نفسه مالا يلزمه (قوله ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوآى) بيان لعاقبة أمرهم إثر بيان حالهم فى الدنيا (قوله خبر كان على رفع عاقبة) أى وعاقبة اسمها وهى مضافة للموصول وأساءوا صلته والسوآى صفة لموصوف محذوف أى المجازاة السوآى وهى جهنم خبر كان وقوله واسم كان على نصب عاقبة أى فالسوآى اسم كان مؤخر وعاقبة خبر كان مقدم وعلى كل فقوله أن كذبوا خبر لمحذوف تقديره و إساءتهم ان كذبوا فهى جملة مستأنفة بيان لصلة الموصول فيصح الوقف على السوآى ، وهذا مااختاره المفسر من أوجه شتى وهو أنورها وذكر الفعل لأن الاسم كان على كل مجازى التأنيث (قوله والمراد بها) أى السوآى (قوله أى بأن كذبوا) أشار بذلك إلى أن الكلام على تقدير الباء وهى للسببية (قوله الله يبدؤا الخلق) عبر بالمضارع إشارة إلى أن البدء متجدد شيئا فشيئا مادامت الدنيا (قوله أى ينشئ خلق الناس) أى يظهرهم من العدم (قوله بالتاء والياء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله و يوم تقوم الساعة) أى وهو يوم الإعادة (قوله يسكت المشركون) أى عن جواب يدفع عنهم العذاب (قوله أى لا يكون) أشار بذلك إلى أن الماضى بمعنى المضارع لأن المنفى بلم ماضى المعنى (قوله بشركائهم) متعلق بكافرين (قوله تأكيد) أى لفظى (قوله أى المؤمنون والكافرون) أخذ هذا التعميم من قوله أولا ــ الله يبدؤا الخلق ثم يعيده ــ (قوله فهم فى روضة) الروضة كل أرض ذات نبات وماء ورونق ونضارة .

(أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ) ليرجعوا عن غفلتهم (مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى) لذلك تفنى عند انتهائه و بعده البعث (وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ) أى كفار مكة (بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ) أى لا يؤمنون بالبعث بعد الموت (أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) من الأمم وهى إهلاكهم بتكذيبهم رسلهم (كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً) كعاد وثمود (وَأَثَارُوا الْأَرْضَ) حرثوها وقلبوها للزرع والغرس (وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا) أى كفار مكة (وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ) بالحجج الظاهرات (فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ) باهلاكهم بغير جرم (وَلَٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) بتكذيبهم رسلهم (ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَىٰ) تأنيث الأسوإ الأقبح خبر كان على رفع عاقبة واسم كان على نصب عاقبة والمراد بها جهنم و إساءتهم (أَنْ) أى بأن (كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ) القرآن (وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ . اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ) أى ينشئ خلق الناس (ثُمَّ يُعِيدُهُ) أى خلقهم بعد موتهم (ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) بالتاء والياء (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ) يسكت المشركون لانقطاع حجتهم (وَلَمْ يَكُنْ) أى لا يكون (لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ) ممن أشركوهم بالله وهم الأصنام ليشفعوا لهم (شُفَعَاءُ وَكَانُوا) أى يكونون (بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ) أى متبرئين منهم (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ) تأكيد (يَتَفَرَّقُونَ) أى المؤمنون والكافرون (فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ) جنة ،

(قوله يحبرون) أى يكرمون وينعمون بما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين . روى « أن فى الجنة أشجارا عليها أجراس من فضة فاذا أراد أهل الجنة السماع بعث الله ريحا من تحت العرش فتقع فى تلك الأشجار فتحرك تلك الأجراس بأصوات لو سمعها أهل الدنيا لماتوا طربا » (قوله وأما الذين كفروا) مقابل قوله : فأما الذين آمنوا (قوله وغيره) أى كالجنة والنار (قوله محضرون) أى حاضرون (قوله فسبحان الله الخ) وجه مناسبة هذه الآية لما قبلها أنه لما ذكر أوّلا أنه يبدؤا الخلق ويعيده وأن الخلق يكونون فريقين فريق فى الجنة وفريق فى السعير ذكر هنا أنه منزه عن النقائص إشارة إلى أن تسبيحه وتحميده وسيلتان للنجاة من العذاب وحلول دار الثواب (قوله بمعنى صلوا) إنما فسر التسبيح بالصلاة لأن التنزيه يكون باللسان والجنان والأركان ولاشىء أجمع لذلك كله من الصلاة (قوله أى تدخلون فى المساء) أشار بذلك إلى أن تمسون وتصبحون فعلان تامان (قوله وفيه صلاتان الخ) أشار بذلك إلى أن هذه الآية جمعت الصلوات الخمس ، وخصها بالذكر دون سائر العبادات لأنها عماد الدين من أقامها فقد أقام الدين (قوله اعتراض) أى بين المعطوف والمعطوف عليه ، والحكمة فى ذلك الاشارة إلى أن التوفيق للعبادة نعمة ينبغى أن يحمد عليها

(٢٣٠)

(يُحْبَرُونَ) يسرون (وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا) القرآن (وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ) البعث وغيره (فَأُولَٰئِكَ فِى الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ . فَسُبْحَانَ اللَّهِ) أى سبحوا الله بمعنى صلوا (حِينَ تُمْسُونَ) أى تدخلون فى المساء وفيه صلاتان المغرب والعشاء (وَحِينَ تُصْبِحُونَ) تدخلون فى الصباح وفيه صلاة الصبح (وَلَهُ الْحَمْدُ فِى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) اعتراض ومعناه يحمده أهلهما (وَعَشِيًّا) عطف على حين وفيه صلاة العصر (وَحِينَ تُظْهِرُونَ) تدخلون فى الظهيرة وفيه صلاة الظهر (يُخْرِجُ الْحَىَّ مِنَ الْمَيِّتِ) كالإنسان من النطفة والطائر من البيضة (وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ) النطفة والبيضة (مِنَ الْحَىِّ وَيُحْيِى الْأَرْضَ) بالنبات (بَعْدَ مَوْتِهَا) أى يبسها (وَكَذَٰلِكَ) الإخراج (تُخْرَجُونَ) من القبور بالبناء للفاعل والمفعول (وَمِنْ آيَاتِهِ) تعالى الدالة على قدرته (أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ) أى أصلكم آدم (ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ) من دم ولحم (تَنْتَشِرُونَ) فى الأرض (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا) فخلقت حواء من ضلع آدم وسائر النساء من نطف الرجال والنساء (لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا) وتألفوها (وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ) جميعا (مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ) المذكور (لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) فى صنع الله تعالى.

(قوله وكذلك تخرجون) أى فالقادر على إخراج الحىّ من الميت وعكسه وإحياء الأرض قادر على إحياء الخلق بعد موتهم ففى ذلك ردّ على منكرى البعث (قوله للفاعل والمفعول) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله ومن آياته أن خلقكم من تراب) شروع فى ذكر جملة من الآيات الدالة على وحدانيته سبحانه وتعالى وذكر لفظ : ومن آياته ست مرات تنتهى عند قوله : إذا أنتم تخرجون وابتدأه بذكر خلق الانسان ثم بخلق العالم علويا وسفليا إشارة إلى أن الانسان هو المنتفع بها ، والحكمة فى ذكر تلك الآيات ليهتدى بها من أراد الله هدايته وتقوم الحجة على من لم يهتد (قوله أى أصلكم آدم) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف ويصح أن يبقى الكلام على ظاهره لأن النطفة ناشئة من الغذاء وهو ناشىء من التراب (قوله ثم إذا أنتم بشر) عبر بثم إشارة إلى تراخى أطواره لكونه أولا نطفة ثم علقة ثم مضغة إلى آخر أطواره وأتى بعدها باذا الفجائية إشارة إلى أنه لم يفصل بين تلك الأطوار وبين البشرية فاصل وإن كان الكثير الاتيان بها بعد الفاء (قوله أزواجا) أى زوجات (قوله من ضلع آدم) أى الأيسر القصير وهو نائم فلما استيقظ ورآها مال إليها فقالت له الملائكة مه يا آدم حتى تؤدى مهرها فقال وما مهرها فقيل له أن تصلى على محمد صلى الله عليه وسلم (قوله وسائر النساء) أى باقيهن (قوله مودة ورحمة) قيل المراد بالمودّة الجماع والرحمة الولد ، وقيل المودة المحبة والرحمة الشفقة فاذا تخلف هذا الأمر بأن لم توجد بينهما صحبة ولا مودّة فالمناسب المفارقة (قوله إن فى ذلك) أى فيما ذكر من خلقهم من تراب وخلق أزواجهم من أنفسهم وإلقاء المودة والرحمة بينهم (قوله لقوم يتفكرون) أى يتأملون فى تلك الأشياء ليحصل لهم الاعتبار وزيادة الايمان سيما إذا تأمل فى خلق الله إياه من نطفة ثم جعله بشرا سويا ثم جعل له زوجة من جنسه ولم تكن جنية ولا بهيمة وأسكن بينهما المحبة والشفقة ، فاذا أراد جماعها زينها له وجعل بينهما اللذة فاذا نزلت النطفة منه جعلها راحة له وخلق منها بشرا سويا وغير ذلك من أنواع التفكرات

فاذا تأمل الانسان فى ذلك كان سببا فى زيادة معارفه وأدبه مع ربه ولذا قال بعض العارفين لذة الجماع ربما كانت من أبواب الوصول إلى الله تعالى ومنه ماروى «حبب إلى من دنياكم ثلاث النساء والطيب وجعلت قرة عينى فى الصلاة» (قوله ومن آياته خلق السموات والأرض) أى إنشاؤها من العدم إلى الوجود (قوله أى لغاتكم) أى بأن خلق فيكم علما ضروريا تفهمون به لغاتكم ولغات بعضكم على اختلافها (قوله وألوانكم) أى لجعلكم ألوانا مختلفة منكم الأبيض والأسود والمتوسط وغاير بين أشكالكم حتى إن التوأمين مع توافق موادهما وأسبابهما يختلفان فى شىء من ذلك وإن كانا فى غاية التشابه وإنما قرن هذا بخلق السموات والأرض وإن كان من جملة خلق الانسان إشارة إلى أنه آية مستقلة دالة على وحدانية الصانع (قوله بفتح اللام وكسرها) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله أى ذوى العقول وأولى العلم) أى وهم أهل المعرفة الذين لاتحجبهم المصنوعات عن صانعها بل يشهدون الصانع فى المصنوعات . قال العارف :

وفى كل شىء له آية ... تدل على أنه الواحد

(وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ) أى لغاتكم من عربية وعجمية وغيرها (وَأَلْوَانِكُمْ) من بياض وسواد وغيرهما وأنتم أولاد رجل واحد وامرأة واحدة (إِنَّ فِى ذٰلِكَ لَآيَاتٍ) دلالات على قدرته تعالى (لِلْعَالِمِينَ) بفتح اللام وكسرها: أى ذوى العقول وأولى العلم (وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ) بإرادته راحة لكم (وَابْتِغَاؤُكُمْ) بالنهار (مِنْ فَضْلِهِ) أى تصرفكم فى طلب المعيشة بإرادته (إِنَّ فِى ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ) سماع تدبر واعتبار (وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ) أى إراءتكم (الْبَرْقَ خَوْفًا) للمسافر من الصواعق (وَطَمَعًا) للمقيم فى المطر (وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا) أى يبسها بأن تنبت (إِنَّ فِى ذٰلِكَ) المذكور (لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) يتدبرون (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ) بإرادته من غير عمد (ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ) بأن ينفخ إسرافيل فى الصور للبعث من القبور (إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ) منها أحياء فخروجكم منها بدعوة من آياته تعالى (وَلَهُ مَنْ فِى السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ) ملكا وخلقا وعبيدا (كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ) مطيعون (وَهُوَ الَّذِى يَبْدَأُ الْخَلْقَ) للناس (ثُمَّ يُعِيدُهُ) بعد هلاكهم (وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ) من البدء بالنظر إلى ماعند المخاطبين من أن إعادة الشىء أسهل من ابتدائه وإلا فهما عند الله تعالى سواء فى السهولة (وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِى السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ

(قوله منامكم بالليل والنهار) قيل فى الآية تقديم وتأخير والتقدير ومن آياته منامكم بالليل وابتغاؤكم من فضله بالنهار حذف حرف الجر لاتصاله بالليل والأحسن أن يبقى على حاله والنوم بالنهار من جملة النعم لاسيما فى أوقات القيلولة فى البلاد الحارة (قوله بإرادته) أى فلا قدرة لأحد على اجتلابه (قوله راحة لكم) أى من آثار التعب الحاصل لكم (قوله لقوم يسمعون) غاير بين رءوس الآى تفننا فان أهل العقل هم أهل الفكر والسمع (قوله ومن آياته يريكم البرق) الجار والمجرور خبر مقدم ويريكم مؤول بمصدر مبتدأ مؤخر وحذفت أن من الفعل لدلالة ماقبله ومابعده عليه وهكذا يقال فيما تقدم ومايأتى (قوله أن تقوم السماء والأرض) أى تثبت وتستقر (قوله من غير عمد) بفتحتين اسم جمع لعمود وقيل جمع له أو ضمتين جمع عمود كرسل ورسول (قوله من الأرض) متعلق بدعاكم (قوله فى الصور) أى نفخة البعث فتخرج منه الأرواح إلى أجسادها لأن فيه طاقات بعدد الأرواح فتجتمع فيه ثم تخرج بالنفخة دفعة واحدة فلا تخطئ روح جسدها (قوله إذا أنتم تخرجون) عبر فى ابتداء خلق الانسان بثم حيث قال ثم إذا أنتم بشر تنتشرون وتركها هنا لأنه من ابتداء الخلق تحصل المهلة والتراخى لكونه على أطوار مختلفة بخلاف الاعادة فلا تدريج فيها بل تحصل دفعة واحدة (قوله مطيعون) أى لأفعاله طاعة انقياد لاطاعة عبادة وقيل المعنى قائمون للحساب وقيل مقرون بالعبودية إما باللسان أو الحال (قوله وهو أهون عليه) الضمير عائد على الاعادة المفهومة من قوله يعيده وذكر الضمير مراعاة للخبر (قوله بالنظر إلى ماعند المخاطبين) أى فهو مبنى على مايقتضيه عقولهم لأن من أعاد منهم شيئا كان أهون عليه وأسهل من إنشائه وهو جواب عما يقال إن أفعال الله كلها متساوية بالنسبة إلى قدرته تعالى وأجيب أيضا بأن اسم التفضيل ليس على بابه فأهون بمعنى هين .

(قوله أى الصفة العليا) أشار بذلك إلى أن المثل بمعنى الصفة والأعلى بمعنى العليا أى المرتفعة المنزهة عن كل نقص (قوله وهى أنه لا إله إلا الله) أى فالمراد بها الوصف بالوحدانية ولوازمها من كل كمال والتنزيه عن كل نقص (قوله ضرب لكم مثلا) أى صفة وشكلا تقيسون عليه (قوله كائنا من أنفسكم) أشار بذلك إلى أن من ابتدائية متعلقة بمحذوف صفة لمثلا (قوله هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء الخ) هل حرف استفهام ولكم خبر مقدم وشركاء مبتدأ مؤخر ومن زائدة ومما ملكت أيمانكم حال من شركاء لكونه نعت نكرة قدم عليها ومن تبعيضية فتحصل أن من الأولى ابتدائية والثانية تبعيضية والثالثة زائدة (قوله فيما رزقناكم) أى ملكناكم وأشار بذلك إلى أن الرزق حقيقة لله تعالى، و إيضاح هذا المثل أن يقال إذا لم يصح أن تكون مماليككم شركاء فيما بأيديكم من رزق الله فلا يصح بالأولى جعل بعض مماليك الله شركاء فيما هو له حقيقة (قوله فأنتم فيه سواء) أى مستوون معهم فى التصرف على حكم عادة الشركاء (قوله تخافونهم كخيفتكم أنفسكم) من جملة المنفى فهو مرتب عليه فالمراد نفى الثلاثة الشركة والاستواء مع العبيد وخوفهم كخوف أنفسكم، والمعنى أنتم تنفون عنهم تلك الأوصاف الثلاثة من أجل كونهم مماليك لكم فكيف تثبتون تلك الأوصاف لبعض مماليك الله (قوله بمعنى النفى) أى فهو استفهام انكارى (قوله لقوم يعقلون) أى فهذا المثل إنما ينفع العاقل الذى يتدبر الأمور (قوله بل اتبع الذين ظلموا الخ) اضراب

عما ذكر أولا إشارة إلى أنهم لاحجة لهم فى الاشراك ولا دليل لهم سوى اتباع هواهم (قوله لاهادى له) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفى (قوله فأقم وجهك) شروع فى تسليته صلى الله عليه وسلم والمراد باقامة الوجه بذل الهمة ظاهرا وباطنا فى الدين (قوله أنت ومن تبعك) أشار بذلك إلى أن الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد هو وأمته (قوله

أى الصفة العليا وهى أنه لا إله إلا الله (وَهُوَ الْعَزِيزُ) فى ملكه (الْحَكِيمُ) فى خلقه (ضَرَبَ) جعل (لَكُمْ) أيها المشركون (مَثَلًا) كائنا (مِنْ أَنْفُسِكُمْ) وهو (هَلْ لَكُمْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ) أى من مماليككم (مِنْ شُرَكَاءَ) لكم (فِيمَا رَزَقْنَاكُمْ) من الأموال وغيرها (فَأَنْتُمْ) وهم (فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ) أى أمثالكم من الأحرار والاستفهام بمعنى النفى، المعنى ليس مماليككم شركاء لكم إلى آخره عندكم فكيف تجعلون بعض مماليك الله شركاء له (كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ) نبينها مثل ذلك التفصيل (لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) يتدبرون (بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا) بالاشراك (أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ) أى لاهادى له (وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ) مانعين من عذاب الله (فَأَقِمْ) يا محمد (وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا) مائلا إليه أى أخلص دينك لله أنت ومن تبعك (فِطْرَتَ اللَّهِ) خلقته (الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا) وهى دينه أى الزموها (لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ) لدينه أى لاتبدلوه بأن تشركوا (ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ) المستقيم توحيد الله (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ) أى كفار مكة ،

(لايعلمون)

فطرت الله) منصوب بفعل محذوف قدره المفسر بقوله الزموها وهى ترسم بالتاء المجرورة وليس فى القرآن غيرها وقوله وهى دينه أى دين الاسلام، وعلى هذا فالخلق جميعا مجبولون على توحيد يوم ألست بربكم ولذا قال صلى الله عليه وسلم «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه و ينصرانه» وهذا غير ماسبق فى علم الله وأما هو فعلم أن قوما يكفرون وقوما يؤمنون فمن سبق فى علم الله إيمانه فقد استمر على فطرته الأصلية ومن سبق فى علم الله كفره فقد رجع عن فطرته و إن كان سبق منه التوحيد وحينئذ يكون معنى الآية الزم أنت ومن تبعك الفطرة التى فطرك ربك عليها وهى التوحيد وهذا أحد أقوال ثلاثة فى معنى الفطرة وقيل المراد بها الخلقة الأصلية التى ابتدأهم الله عليها من سعادة وشقاوة و إلى مايصيرون إليه عند البلوغ فمن ابتدأ الله خلقه للضلالة صيره إلى الضلالة و إن عمل بأعمال الهدى ومن ابتدأ الله خلقه للهدى صيره إلى الهدى و إن عمل بأعمال أهل الضلالة، وقيل إنها الخلقة والطبيعة التى فى نفس الطفل يكون بها مهيأ لمعرفة ربه ليس بين قلوبهم ومعرفة ربهم حجاب كما خلق أسماعهم وأبصارهم قابلة للمسموعات والمبصرات فمادامت باقية على تلك الهيئة أدركت الحق ودين الاسلام ولايحجبها عنه إلا وساوس الشياطين بعد البلوغ ولذا كان كل من مات من آدم قبل بلوغه فى الجنة و إن كان من أولاد المشركين وهذا القول قريب من معنى القول الأول (قوله أى لاتبدلوه) أشار بذلك إلى أن قوله لاتبديل لخلق الله خبر والمراد منه الأمر (قوله توحيد الله) تفسير لقوله ذلك .

(قوله لايعلمون توحيد الله) أى بل جهلوا ذلك فعبدوا غير الله (قوله حال من فاعل أقم) أى وما بينهما اعتراض (قوله وما أريد به) أى بالخطاب فانه أريد به محمد ومن تبعه (قوله أى أقيموا) أشار بذلك إلى أن قوله واتقوه عطف على محذوف مأخوذ من الحال قبله (قوله كل حزب بما لديهم فرحون) أى فأهل السعادة فرحون بسعادتهم وأهل الشقاوة فرحون بما زينه لهم الشيطان لظنهم أنهم على حق (قوله وفى قراءة فارقوا) أى وهى سبعية أيضا (قوله وإذا مس الناس) إذا شرطية وجوابها قوله : دعوا ربهم، وقوله أى كفار مكة خص ذلك بهم لأنه سبب النزول وإلا فالعبرة بعموم اللفظ (قوله إذا فريق) إذا فجائية قائمة مقام الفاء فهى رابطة للشرط (قوله أريد به التهديد) أى فاللام لام الأمر للتوبيخ والتقريع على حد : اعملوا ماشئتم (قوله عاقبة تمتعكم) قدره إشارة إلى أن مفعول تعلمون محذوف (قوله فيه التفات عن الغيبة) أى إلى الخطاب لأجل المبالغة

(لَا يَعْلَمُونَ) توحيد الله (مُنِيبِينَ) راجعين (إِلَيْهِ) تعالى فيما أمر به ونهى عنه حال من فاعل أقم وما أريد به أى أقيموا (وَاتَّقُوهُ) خافوه (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ. مِنَ الَّذِينَ) بدل باعادة الجار (فَرَّقُوا دِينَهُمْ) باختلافهم فيما يعبدونه (وَكَانُوا شِيَعًا) فرقا فى ذلك (كُلُّ حِزْبٍ) منهم (بِمَا لَدَيْهِمْ) عندهم (فَرِحُونَ) مسرورون وفى قراءة فارقوا أى تركوا دينهم الذى أمروا به (وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ) أى كفار مكة (ضُرٌّ) شدة (دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ) راجعين (إِلَيْهِ) دون غيره (ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً) بالمطر (إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ. لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ) أريد به التهديد (فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ) عاقبة تمتعكم، فيه التفات عن الغيبة (أَمْ) بمعنى همزة الانكار (أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا) حجة وكتابا (فَهُوَ يَتَكَلَّمُ) تكلم دلالة (بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ) أى يأمرهم بالاشراك؟ لا (وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ) كفار مكة وغيرهم (رَحْمَةً) نعمة (فَرِحُوا بِهَا) فرح بطر (وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ) شدة (بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ) ييأسون من الرحمة، ومن شأن المؤمن أن يشكر عند النعمة ويرجو ربه عند الشدة (أَوَلَمْ يَرَوْا) يعلموا (أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ) يوسعه (لِمَنْ يَشَاءُ) امتحانا (وَيَقْدِرُ) يضيقه لمن يشاء ابتلاء (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) بها (فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ) القرابة (حَقَّهُ) من البر والصلة (وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ) المسافر من الصدقة، وأمة النبى تبع له فى ذلك (ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ) أى ثوابه بما يعملون (وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) الفائزون (وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا) بأن يعطى شيئا هبة أو هدية ليطلب أكثر منه،

فى زجرهم (قوله بمعنى همزة الإنكار) أى فهى منقطعة تفسر تارة بالهمزة وحدها وتارة بالهمزة و بل (قوله فهو يتكلم) داخل فى حيز النفى (قوله أى يأمرهم بالاشراك) أشار بذلك إلى أن ما مصدرية والأحسن أن يجعلها موصولة أى بالأمر الذى كانوا يشركون بسببه (قوله فرح بطر) أى عجب وكبر فيصرفونها فيما يغضبه تعالى ولو فرحوا بها فرح سرور لصرفوها فيما يرضيه (قوله يقنطون) بفتح النون وكسرها سبعيتان (قوله ومن شأن المؤمن) أى من خصلته وهيئته (قوله ويرجو ربه عند الشدة) أى لأنه يشهد أنه لا كاشف لها غيره ولا رحيم سواه (قوله امتحانا) أى اختبارا لينظر أيشكر أم يطغى (قوله ابتلاء) أى فينظر هل يصبر ويرضى أم يضجر ويشكو (قوله فآت ذا القربى حقه) هذه الآية فى صدقة التطوع لا فى الزكاة الواجبة لأن السورة مكية والزكاة فرضت فى السنة الثانية من الهجرة بالمدينة (قوله القرابة) أخذ أبو حنيفة من الآية أن النفقة على الأرحام عموما واجبة على القادر وعند مالك والشافعى النفقة على الأصول والفروع واجبة وماعدا ذلك مندوب (قوله وأمة النبى الخ) أشار بذلك إلى أن الأمر وإن كان للنبى صلى الله عليه وسلم فالمراد هو وأمته (قوله وأولئك هم المفلحون) أى الظافرون بمقصودهم (قوله وما آتيتم) بالمد والقصر قراءتان سبعيتان (قوله بأن يعطى شيئا الخ) أشار بذلك إلى أن هذه الآية نزلت فى هبة الثواب وهى أن يريد الرجل بهديته أكثر منها وهى مكروهة فى حقنا، وأما فى حقه صلى الله عليه وسلم فمحرمة لقوله تعالى: ولا تمنن تستكثر، والحكم فيها إذا وقعت أنه إذا شرط عليه الثواب لزمه الدفع وإن لم يشترط عليه فلا يلزمه إلا دفع قيمتها إن كان مثله

ممن يطلب الثواب من الموهوب له لامن نحو غنى الفقير (قوله فسمى) أى المعطى وهو الهدية (قوله باسم المطلوب) أى الذى يأخذ من المهدى إليه فى مقابلة ما أعطاه (قوله فى أموال الناس) أى فى تحصيلها (قوله المعطين) أى الآخذين للهبة والهدية (قوله أى لاثواب فيه للمعطين) أى الدافعين لما ذكر فالأول اسم مفعول والثانى اسم فاعل (قوله صدقة) أى صدقة تطوع وعبر عنها بالزكاة إشارة إلى أنها مطهرة للأموال والأبدان والأخلاق (قوله هم المضعفون) أى الذين تضاعف لهم الحسنات (قوله فيه التفت عن الخطاب) أى تعظيما لحالهم أوقصدا للعموم كأنه قيل من فعل ذلك فأولئك هم المضعفون (قوله الله الذى خلقكم) جملة من مبتدأ وخبر وهى تفيد الحصر لكونها معرفة الطرفين (قوله هل من شركائكم الخ) خبر مقدم ومن التبعيض ومن يفعل مبتدأ مؤخر وقوله من ذلكم جار ومجرور متعلق بمحذوف حال من شىء لكونه نعت نكرة تقدم عليها ومن شىء مفعول يفعل ومن زائدة والتقدير من الذى يفعل شيئا من ذلكم من شركائكم واسم الاشارة يعود على ماذكر من الأمور الأربعة وهى الخلق والرزق والإماتة والاحياء (قوله لا) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى (قوله سبحانه وتعالى) هذا نتيجة ماقبله أى فاذا ثبت أنه تعالى هو الفاعل لذلك كله ولاشريك له فى شىء منها فالواجب تسبيحه وتنزيهه عن كل نقص (قوله أى القفار) بكسر القاف جمع قفر وهى الأرض التى لاماء بها ولا نبات ، وأما القفار بفتح القاف فهو الخبز الذى لا أدم معه (قوله بقحط المطر) أى منعه من النزول (قوله أى البلاد التى على الأنهار) وقيل إن قلة المطر كما تؤثر فى البر تؤثر فى البحر فتخلو أجواف الأصداف وتعمى دوابه فاذا أمطرت السماء تفتحت الأصداف فى البحر فماوقع فيها من السماء فهو لؤلؤ وتكثر دواب البحر (قوله بما كسبت) الباء سببية ومامصدرية أى بسبب كسبهم (قوله من المعاصى) أى ومبدؤها قتل قابيل هابيل لأن الأرض كانت قبل ذلك نضرة مثمرة لايأتى ابن آدم شجرة إلا وجد عليها الثمر وكان البحر عذبا وكان الأسد لايصول على الغنم ونحوها فلما قتله اقشعرت الأرض ونبت الشوك فى الأشجار وصار ماء البحر مالحا وتسلطت الحيوانات بعضها على بعض (قوله ليذيقهم بعض الذى عملوا) اللام للعاقبة والصيرورة متعلق بقوله ظهر الفساد الخ وهذا فيمن أظهر الفساد وتكبر وتجبر وكفر وإلا فالمصائب للصالحين رفع درجات ولعصاة المؤمنين تكفير سيئات (قوله أى عقوبته) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله كيف كان عاقبة الذين من قبل) أى وهى الدمار والهلاك إن لم يتوبوا وكذلك يحل بكفار مكة إن لم يتوبوا ، قال تعالى : كذلك نجزى الظالمين (قوله فأقم وجهك للدين القيم) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم ، والمراد هو وأمته ، والمعنى ابذل همتك فى دين الاسلام واشتغل به ولاتحزن عليهم (قوله من قبل أن يأتى يوم لامرد له) أى وأما بعد مجيئه فلاينفع العامل عمله بل كل إنسان يلقى جزاء ماعمله قبل ذلك ، قال تعالى : وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة (قوله من الله) متعلق بيأتى (قوله يومئذ يصدعون) التنوين عوض عن جملة أى يوم إذ يأتى هذا اليوم (قوله فيه إدغام التاء الأصلى فى الصاد) أى فأصله يتصدعون أبدلت التاء صادا وأدغمت فى الصاد .

فسمى باسم المطلوب من الزيادة فى المعاملة (لِيَرْبُوَا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ) المعطين أى يزيد (فَلَا يَرْبُوا) يزكو (عِنْدَ اللَّهِ) أى لاثواب فيه للمعطين (وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَوٰةٍ) صدقة (تُرِيدُونَ) بها (وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ) ثوابهم بما أرادوه ، فيه التفات عن الخطاب (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ) ممن أشركتم بالله (مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَٰلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ) ؟ لا (سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ) به (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ) أى القفار بقحط المطر وقلة النبات (وَالْبَحْرِ) أى البلاد التى على الأنهار بقلة مائها (بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ) من المعاصى (لِيُذِيقَهُمْ) بالياء والنون (بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا) أى عقوبته (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) يتوبون (قُلْ) لكفار مكة (سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ) فأهلكوا بإشراكهم ومساكنهم ومنازلهم خاوية (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ) دين الإسلام (مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ) هو يوم القيامة (يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ) فيه إدغام التاء فى الأصل فى الصاد يتفرقون

(قوله يتفرقون بعد الحساب) أى عند سماع قوله تعالى ـ وامتازوا اليوم أيها المجرمون ـ (قوله وبال كفره) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله يوطئون منازلهم) أى فالأعمال الصالحة فى الدنيا بها تهيأ المنازل فى الجنة (قوله متعلق بيصدعون) أى والتقدير يتفرقون ليجزى الذين آمنوا من فضله والذين كفروا بعدله (قوله الرياح) أى الشمال والصبا والجنوب فانها رياح الرحمة ، وأما الدبور فهى ريح العذاب يدل على ذلك قوله عليه الصلاة والسلام « اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا » (قوله وليذيقكم) عطف على مبشرات كأنه قال لتبشركم وليذيقكم (قوله من رحمته) من تبعيضية : أى بعض رحمته (قوله يا أهل مكة) خصهم لأنهم سبب نزول الآية وإلا فالعبرة بعموم اللفظ (قوله ولقد أرسلنا من قبلك رسلا) هذه الآية معترضة بين الآيات المفصلة والمفصلة لأن قوله ـ الله الذى يرسل الرياح ـ تفصيل لقوله ومن آياته أن يرسل الرياح

يتفرقون بعد الحساب إلى الجنة والنار (مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ) وبال كفره وهو النار (وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ) يوطئون منازلهم فى الجنة (لِيَجْزِيَ) متعلق بيصدعون (الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ) يثيبهم (إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ) أى يعاقبهم (وَمِنْ آيَاتِهِ) تعالى (أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ) بمعنى لتبشركم بالمطر (وَلِيُذِيقَكُمْ) بها (مِنْ رَحْمَتِهِ) المطر والخصب (وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ) السفن بها (بِأَمْرِهِ) بإرادته (وَلِتَبْتَغُوا) تطلبوا (مِنْ فَضْلِهِ) الرزق بالتجارة فى البحر (وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) هذه النعم يا أهل مكة فتوحدونه (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ) بالحجج الواضحات على صدقهم فى رسالتهم إليهم فكذبوهم (فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا) أهلكنا الذين كذبوهم (وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ) على الكافرين بإهلاكهم وإنجاء المؤمنين (اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا) تزعجه (فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ) من قلة وكثرة (وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا) بفتح السين وسكونها : قطعا متفرقة (فَتَرَى الْوَدْقَ) المطر (يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ) أى وسطه (فَإِذَا أَصَابَ بِهِ) بالودق (مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ) يفرحون بالمطر (وَإِنْ) وقد (كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ) تأكيد (لَمُبْلِسِينَ) آيسين من إنزاله (فَانْظُرْ إِلَى أَثَرِ) وفى قراءة آثار (رَحْمَتِ اللَّهِ) أى نعمته بالمطر (كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا) أى يبسها بأن تنبت (إِنَّ ذَلِكَ) المحيى الأرض (لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . وَلَئِنْ) لام قسم (أَرْسَلْنَا رِيحًا) مضرة على نبات (فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا) صاروا جواب القسم (مِنْ بَعْدِهِ) أى بعد اصفراره (يَكْفُرُونَ) يجحدون النعمة بالمطر

وحكمة ذلك تسليته صلى الله عليه وسلم وتأنيسه حيث وعده بنصر المؤمنين عموما (قوله فانتقمنا من الذين أجرموا) عطف على محذوف قدره بقوله فكذبوهم (قوله وكان حقا علينا نصر المؤمنين) كان فعل ماض ناقص ونصر اسمها مؤخر وحقا خبرها مقدم وعلينا متعلق بحقا أو بمحذوف صفة وهذا وعد حسن من الله للمؤمنين بنصرهم على أعدائهم فى الدنيا والآخرة وهو لا يتخلف (قوله الله الذى يرسل الرياح) مبتدأ وخبر وهو تفصيل لما أجمل أولا كما تقدم التنبيه عليه (قوله تزعجه) أى تهيجه وتحركه (قوله فيبسطه فى السماء) أى ينشره فى جهتها متصلا بعضه ببعض (قوله بفتح السين وسكونها) أى فهما قراءتان سبعيتان فالمفتوح جمع كسفة والمسكن مخفف المفتوح فقوله قطعا تفسير للوجهين (قوله إذا هم يستبشرون) إذا فجائية ، والمعنى فاجأهم الفرح (قوله وإن كانوا) فسر إن بقد تبعا لغيره فالواو للحال وقد للتحقيق وبعضهم جعلها مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن والجملة خبرها بدليل اللام فى لمبلسين فإنها اللام الفارقة وكل صحيح (قوله تأكيد) أى إشارة إلى أنه أتاهم الفرج بعد تمادى يأسهم (قوله فانظر إلى أثر رحمة الله) أى ما ينشأ عن المطر من خضرة الأشجار وأثمارها وبهجتها ونضارتها (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله مضرة) أى وهى ريح الدبور (قوله فرأوه مصفرا) أى بعد خضرته (قوله جواب القسم) أى وقد سد مسد جواب الشرط للقاعدة المعلومة من أنه عند اجتماع الشرط والقسم يحذف جواب المتأخر منهما (قوله يجحدون النعمة) أى فشأنهم يفرحون عند الخصب فإذا جاءتهم مصيبة فى زرعهم جحدوا سابق نعمة الله عليهم

(قوله فانك لاتسمع الموتى) تعليل لمحذوف ، والمعنى لا تحزن على عدم إيمانهم فهم موتى صم عمى وأنت لاتسمع من كان كذلك (قوله بتحقيق الهمزتين الخ) أى وهما قراءتان سبعيتان (قوله إلامن يؤمن بآياتنا) أى يصدق بها (قوله من ضعف) أى أصل ضعيف (قوله ماء مهين) أى حقير ضعيف قليل (قوله وشيبة) أى وهو بياض الشعر الأسود ويحصل أوله غالبا فى السنة الثالثة والأربعين وهو أول سن الكهولة والأخذ فى النقص بعد الخمسين لثلاث وستين فيزيد وهو أول سن الشيخوخة فيزيد الضعف فى الجسم والعقل إلى آخر العمر وهذا فى غير أهل التقوى والصلاح ، وأماهم فيزيد عقلهم لآخرعمرهم (قوله بضم أوله وفتحه) أى فهماقراءتان سبعيتان (قوله تقوم الساعة) أى تحصل وتوجد ، والمراد بها القيامة سميت

(فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بينها و بين الياء (وَلَّوْا مُدْبِرِينَ . وَمَا أَنْتَ بِهَادِ الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ) ما (تُسْمِعُ) سماع إفهام وقبول (إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا) القرآن (فَهُمْ مُسْلِمُونَ) مخلصون بتوحيد الله (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضُعْفٍ) ماء مهين (ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضُعْفٍ) آخر وهو ضعف الطفولية (قُوَّةً) أى قوة الشباب (ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضُعْفًا وَشَيْبَةً) ضعف الكبر وشيب الهرم ، والضعف فى الثلاثة بضم أوله وفتحه (يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ) من الضعف والقوة والشباب والشيبة (وَهُوَ الْعَلِيمُ) بتدبير خلقه (الْقَدِيرُ) على ما يشاء (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ) يحلف (الْمُجْرِمُونَ) الكافرون (مَا لَبِثُوا) مكثوا فى القبور (غَيْرَ سَاعَةٍ) قال تعالى (كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ) يصرفون عن الحق : البعث ، كما صرفوا عن الحق الصدق فى مدة اللبث (وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ) من الملائكة وغيرهم (لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ) فيما كتبه فى سابق علمه (إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ) الذى أنكرتموه (وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) وقوعه (فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ) بالياء والتاء (الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ) فى إنكارهم له (وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ) لايطلب منهم العتبى أى الرجوع إلى ما يرضى الله (وَلَقَدْ ضَرَبْنَا) جعلنا (لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ) تنبيها لهم (وَلَئِنْ) لام قسم (جِئْتَهُمْ) يامحمد (بِآيَةٍ) مثل العصا واليد لموسى (لَيَقُولَنَّ) حذف منه نون الرفع لتوالى النونات والواو ضمير الجمع لالتقاء الساكنين (الَّذِينَ كَفَرُوا) منهم (إِنْ) ما (أَنْتُمْ) أى محمد وأصحابه (إِلَّا مُبْطِلُونَ) أصحاب أباطيل (كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) التوحيد كما طبع على قلوب هؤلاء (فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ) بنصرك عليهم (حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ) بالبعث . أى لايحملنك على الخفة والطيش ،

بذلك لحصولها فى آخر ساعة من ساعات الدنيا (قوله الكافرون) أى المنكرون للبعث (قوله مكثوا فى القبور) إنما استقلوا تلك المدة لأن عذاب القبرخفيف بالنسبة لما شاهدوه من عذاب النار ، وقيل المراد مكثوا فى الدنيا فاستقلوا أجل الدنيا لما عاينوا الآخرة (قوله يصرفون عن الحق) أى الاقرار والاعتراف به فى الدنيا (قوله وقال الذين أوتوا العلم) أى ردا عليهم وتكذيبا لهم (قوله وغيرهم) أى كالأنبياء والمؤمنين (قوله أنكرتموه) أى فى الدنيا (قوله فيومئذ) التنوين عوض عن جمل محذوفة : أى يوم إذ قامت الساعة وحلف المشركون كاذبين وردعليهم الملائكة وغيرهم و بينوا كذبهم لا تنفع الخ (قوله بالياء والتاء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله معذرتهم) أى اعتذارهم (قوله العتبى) كالرجعى وزنا ومعنى ، والمعنى لا يجابون لما طلبوه من الرجوع إلى الدنيا (قوله من كل مثل) من للتبعيض: أى بعض كل صفة لأجل إرشادهم (قوله ولئن جئتهم بآية) أى مما اقترحوا (قوله حذف منه نون الرفع الخ) هذا سبق قلم من المفسر ، فالصواب أن يقول هوفعل مبنى على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة والذين فاعله لأن اللام مفتوحة باتفاق القراء (قوله منهم) حال من الكافرين (قوله فاصبر) أى إذا علمت حالهم وأنهم لايؤمنون لوجود الطبع على قلوبهم فاصبر الخ (قوله إن وعد الله حق) تعليل للأمر بالصبر (قوله والطيش) عطف مرادف على الخفة .

(قوله أى لا تتركنه) أى لا تترك الصبر بسبب تكذيبهم و إيذائهم [سورة لقمان مكية] مبتدأ وخبر سميت بذلك لذكر قصة لقمان فيها (قوله إلا ولو أن ما فى الأرض الخ) هذا أحد أقوال ثلاثة، وقيل مكية كلها ، وقيل إلا ثلاث آيات من قوله - ولو أن مافى الأرض إلى خبير - وهذا القول الثالث للبيضاوى (قوله أى هذه الآيات) أى آيات السورة وأشير إليها بإشارة البعيد لعلو رتبتها ورفعة قدرها عند الله و إن كانت قريبة من الأذهان (قوله ذى الحكمة) أى المشتمل على الحكمة وهى العلم النافع ويصح أن يراد بالحكيم المحكم : أى المتقن الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه ، ويصح أن يراد الحكيم قائله حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه وهو الضمير المجرور فبانقلابه مرفوعا استكن فى الصفة المشبهة (قوله بالرفع) أى لحمزة على أنه خبر لمحذوف قدره بقوله هو (قوله وفى قراءة العامة) أى وهم السبعة ماعدا حمزة (قوله

بترك الصبر : أى لاتتركنه ،

(ســـورة لقمان)

مكية إلا « ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام » الآيتان فمدنيتان وهى أربع وثلاثون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . الٓمٓ) الله أعلم بمراده به (تِلْكَ) أى هذه الآيات (آيَاتُ الْكِتَابِ) القرآن (الْحَكِيمِ) ذى الحكمة والإضافة بمعنى من ، هو (هُدًى وَرَحْمَةٌ) بالرفع (لِلْمُحْسِنِينَ) وفى قراءة العامة بالنصب حالاً من الآيات العامل فيها مافى تلك من معنى الإشارة (الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ) بيان المحسنين (وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ) هم الثانى تأكيد (أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) الفائزون (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ) أى مايلهى منه عما يعنى (لِيُضِلَّ) بفتح الياء وضمها (عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) طريق الإسلام (بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا) بالنصب عطفاً على يضل وبالرفع عطفا على يشترى (هُزُوًا) مهزوءاً بها (أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ) ذو إهانة (وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا) أى القرآن (وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا) متكبرا (كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا) صمماً ، وجملتا التشبيه حالان من ضمير ولَّى أو الثانية بيان للأولى (فَبَشِّرْهُ) أعلمه (بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) مؤلم ، وذكر البشارة تهكم به ، وهو النضر بن الحرث كان يأتى الحيرة يتجر فيشترى كتب أخبار الأعاجم ويحدث بها أهل مكة ويقول إن محمداً يحدثكم أحاديث عاد وثمود ، وأنا أحدثكم أحاديث فارس والروم فيستملحون حديثه ويتركون استماع القرآن ،

حالا من الآيات) أى حال كون كل منهما حالا (قوله من معنى الاشارة) أى كأنه قال أشير إلى تلك الآيات حال كونها هدى ورحمة (قوله الذين يقيمون الصلاة) أى يؤدونها بأركانها وآدابها (قوله ويؤتون الزكاة) أى يعطونها لمستحقيها (قوله وهم بالآخرة هم يوقنون) أى يؤمنون بلقاء الله والبعث (قوله الفائزون) أى بما أعد لهم من النعيم المقيم (قوله ومن الناس من يشترى الخ) شروع فى ذكر مقابل الفريق الأول على حكم عادته تعالى فى كتابه والجار والمجرور خبر مقدم والاسم الموصول مبتدأ مؤخر. واعلم أن من لفظها مفرد ومعناها جمع فروعى لفظها فى جميع الضمائر الآتية وروعى معناها فى قوله ولئك لهم عذاب مهين (قوله لهو الحديث) إما من إضافة الصفة للموصوف: أى الحديث اللهو : أى المشغل عما يعنى أو الإضافة على معنى من و إليه يشير المفسر بقوله: أى مايلهى منه (قوله بفتح الياء) أى ليستمر على الضلال، وقوله وضمها: أى ليوقع غيره فى الضلال فهو ضال مضل والقراءتان سبعيتان (قوله طريق الإسلام) أى الأمور الموصلة للاسلام فاللهو كل مايشغل عن عبادة الله وذكره من الأضاحيك والخرافات والمغانى والمزامير وغيرها من الأمور الباطلة (قوله بغير علم) حال من فاعل يشترى : أى حالة كونه جاهل القلب و إن كان عالم اللسان (قوله ويتخذها) أى الآيات (قوله بالنصب الخ) أى والقراءتان سبعيتان (قوله مهزوءا بها) أى لها كاته لها بالخرافات (قوله أعلمه) أشار بذلك إلى أن المراد بالبشارة مطلق الاعلام بالخبر و إن لم يكن فيه بشارة ودفع بذلك مايقال إن الاخبار بالعذاب الأليم ليس بشارة بل هو نذارة ، وقوله وذكر البشارة الخ جواب آخر فكان المناسب أن يذكره بأو (قوله النضر بن الحرث) أى ابن كلدة كان صديقا لقريش (قوله فيستملحون حديثه) أى يعدونه

مليحا فيصفون له (قوله إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات) بيان لحال المؤمنين بالقرآن بعد بيان حال الكافرين به (قوله جنات النعيم) المراد بها جميع الجنان لاخصوص المسماة بهذا الاسم (قوله أي مقدرا خلودهم) أي فهم عند دخولهم يقدرون الخلود لسماعهم النداء من قبل الله: يا أهل الجنة خلود بلاموت (قوله وعد الله حقا) مصدران مؤكدان لمضمون الجملة الأولى والعامل مختلف والتقدير وعد ذلك وعدا وحقه حقا (قوله الذي لايغلبه شيء) أي لايقهره أحد. (قوله خلق السموات الخ) هذا دليل على أنه عزيز حكيم لايمنعه أحد عن إنجاز وعده ووعيده (قوله أي العمد) أشار بذلك إلى ان جملة ترونها صفة لعمد (قوله جمع عماد) أي كأهب جمع إهاب (قوله الاسطوانة) بضم الهمزة وهي السارية (قوله وهو صادق الخ) أي لأن السالبة تصدق بنفي الموضوع وهو المراد هنا، ويصح أن يراد الشق الثاني وهو أن يكون لها عمد لا ترى وهي قدرة الله تعالى (قوله رواسي) أي ثوابت (قوله جبالا مرتفعة) قال ابن عباس: هي سبعة عشر جبلا منها ق وأبوقبيس والجودي ولبنان وطورسينين (قوله أن تميد بكم) قدر المفسر لام التعليل ولا النافية إشارة إلى أن حكمة تثبيت الأرض بالجبال عدم تحركها بأهلها (قوله و بث فيها) أي نشر، وقوله: من كل دابة من زائدة

(قوله فيه التفات) أي من الغيبة إلى التكلم زيادة في التبكيت و إلزام الحجة (قوله هذا خلق الله) أي ماذكر من السموات والأرض وما فيهما (قوله استفهام إنكار) وتوبيخ وتقريع (قوله معلق عن العمل) أي في اللفظ وأما في المحل فهو عامل النصب (قوله سد مسد المفعولين) ظاهره أن أروني تنصب ثلاثة مفاعيل الياء وجملة الاستفهام التي سدت مسد الثاني والثالث وهذا غير ما ذكروه من أن أرى إن كان بمعنى أخبر فإنها تتعدى لمفعولين الأول مفرد صريح والثاني جملة الاستفهام، فالمناسب للمفسر أن يقول سدت منها مسد الثاني (قوله للانتقال) أي من تبكيتهم إلى الاخبار بتقبيح الظالمين عموما (قوله ولقد آتينا لقمان الحكمة) اختلف في لقمان فقيل اسم أعجمي ممنوع من الصرف للعلمية والعجمية، وقيل عربي ومنع من الصرف للعلمية وزيادة الألف والنون، واختلف فيه أيضا فقيل هو لقمان بن فاغور بن ناخور بن تارخ وهو آزر، فعلى هذا هو ابن ابن أخي إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام، وقيل كان ابن أخت أيوب، وقيل كان ابن خالته، يقال إنه عاش ألف سنة حتى أدرك داود واتفق العلماء على أنه كان حكيما ولم يكن نبيا إلا عكرمة والشعبي فقالا بنبوته، وقيل خير بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة، وروى أنه كان نائما في وسط النهار فنودي يالقمان هل لك أن نجعلك خليفة في الأرض فتحكم بين الناس بالحق فأجاب الصوت فقال إن خيرني ربي قبلت العافية ولم أقبل البلاء وإن عزم علي فسمعا وطاعة فإني أعلم أن الله تعالى إن فعل بي ذلك أعانني وعصمني فقالت الملائكة بصوت لايراهم: لم يالقمان؟ قال إن الحاكم بأشد المنازل وأكدرها يغشاه المظلوم من كل مكان إن عدل نجا وإن أخطأ أخطأ طريق الجنة ومن يكن في الدنيا ذليلا خير من أن يكون شريفا ومن يختر الدنيا على الآخرة تفتنه الدنيا ولم يصب الآخرة فعجبت الملائكة من حسن منطقه فنام نومة فأعطي الحكمة فانتبه وهو يتكلم بها ثم نودي بها داود بعده فقبلها، وكان لقمان يوازر داود لحكمته، وقيل

(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ. خَالِدِينَ فِيهَا) حال مقدرة: أي مقدرا خلودهم فيها إذا دخلوها (وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا) أي وعدهم الله ذلك وحقه حقا (وَهُوَ الْعَزِيزُ) الذي لايغلبه شيء فيمنعه من إنجاز وعده ووعيده (الْحَكِيمُ) الذي لايضع شيئا إلا في محله (خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا) أي العمد جمع عماد وهو الأسطوانة وهو صادق بأن لاعمد أصلا (وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ) جبالا مرتفعة لـ(أَنْ) لا (تَمِيدَ) تتحرك (بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ، وَأَنْزَلْنَا) فيه التفات عن الغيبة (مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ) صنف حسن (هَذَا خَلْقُ اللَّهِ) أي مخلوقه (فَأَرُونِي) أخبروني ياأهل مكة (مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ) غيره أي آلهتكم حتى أشركتموها به تعالى وما استفهام إنكار مبتدأ وذا بمعنى الذي بصلته خبره وأروني معلق عن العمل وما بعده سد مسد المفعولين (بَلِ) للانتقال (الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) بين بإشراكهم وأنتم منهم (وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ)،

منها العلم والديانة والإصابة فى القول، وحكمه كثيرة مأثورة، كان يفتى قبل بعثة داود وأدرك بعثته وأخذ عنه العلم وترك الفتيا وقال فى ذلك ألا أكتفى إذا كفيت، وقيل له أىّ الناس شر؟ قال الذى لا يبالى إن رآه الناس مسيئا (أَنِ) أى وقلنا له أن (أَشْكُرْ لِلَّهِ) على ما أعطاك من الحكمة (وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ) لأن ثواب شكره له (وَمَنْ كَفَرَ) النعمة (فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ) عن خلقه (حَمِيدٌ) محمود فى صنعه (وَ) اذكر (إِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ) تصغير إشفاق (لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ) بالله (لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) فرجع إليه وأسلم،

كان خياطا وقيل كان راعى غنم فروى أنه لقيه رجل وهو يتكلم بالحكمة، فقال ألست فلانا الراعى؟ قال بلى، قال فيم بلغت مابلغت؟ قال بصدق الحديث وأداء الأمانة وترك ما لايعنينى (قوله منها العلم والديانة) أى فالحكمة هى العلم والعمل ولا يسمى الرجل حكيما حتى يجمعهما، وقيل الحكمة المعرفة والأمانة، وقيل هى نور فى القلب يدرك به الأشياء كما تدرك بالبصر (قوله وحكمه كثيرة) قال وهب تكلم لقمان باثنى عشر ألف باب من الحكمة أدخلها الناس فى كلامهم (قوله وقال فى ذلك) أى فى شأن الاعتذار عن ترك الفتيا (قوله وقلنا له أن اشكر الخ) أشار بذلك إلى أنّ أن زائدة وجملة اشكر مقول القول والأنسب أنّ أن تفسيرية لتقدم جملة فيها معنى القول دون حروفه (قوله على ما أعطاك من الحكمة) أى فهى نعمة يجب الشكر عليها بصرفها فى مصارفها (قوله ومن يشكر الخ) تعليل للأمر بالشكر (قوله محمود فى صنعه) أى فهو حقيق بأن يحمد من دون المخلوقات (قوله وإذ قال لقمان لابنه) أى واسمه ثاران وقيل مشكم وقيل أنم. قيل كان ابنه وامرأته كافرين فما زال يعظهما حتى أسلما. قيل وضع لقمان جرابا من خردل إلى جنبه وجعل يعظ ابنه موعظة موعظة ويخرج خردلة خردلة فنفذ الخردل، فقال يابنى وعظتك موعظة لو وعظتها جبلا لتفطر، فتفطر ابنه ومات (قوله وهو يعظه) الجملة حالية (قوله يابنى) بكسر الياء وفتحها قراءتان سبعيتان (قوله إشفاق) أى محبة (قوله فرجع إليه) أى إلى دين أبيه وهو الاسلام، وقال له أيضا: يا بنى اتخذ تقوى الله تعالى تجارة يأتك الربح من غير بضاعة، يابنى احضر الجنائز ولا تحضر العرس فان الجنائز تذكرك الآخرة والعرس يشهيك الدنيا، يابنى لاتكن أعجز من هذا الديك الذى يصوت بالأسحار وأنت نائم على فراشك، يابنى لا تؤخر التوبة فان الموت يأتى بغتة يابنى لاترغب فى ودّ الجاهل فيرى أنك ترضى عمله، يابنى اتق الله ولا تر الناس أنك تخشى ليكرموك بذلك وقلبك فاجر يابنى ماندمت على الصمت قط فان الكلام إذا كان من فضة كان السكوت من ذهب يابنى اعتزل الشرّ كما يعتزلك فان الشر للشر خلق، يابنىّ عليك بمجالس العلماء واستمع كلام الحكماء فان الله تعالى يحيى القلب الميت بنور الحكمة كما يحيى الأرض الميتة بوابل المطر فان من كذب ذهب ماء وجهه ومن ساء خلقه كثر غمه، ونقل الصخور من موضعها أيسر من إفهام من لايفهم، يابنى لاترسل رسولا جاهلا، فان لم تجد حكيما فكن رسول نفسك، يابنى لاتنكح أمة غيرك فتورث بنيك حزنا طويلا، يابنى يأتى على الناس زمان لاتقر فيه عين حليم، يابنى اختر المجالس على عينك فاذا رأيت المجالس يذكر فيه الله عز وجل فاجلس معهم فانك إن تك عالما ينفعك علمك وإن تك غبيا يعلموك وإن يطلع الله عزّ وجلّ عليهم برحمة تصبك معهم، يابنى لاتجلس فى المجلس الذى لايذكر فيه الله عز وجل فانك إن تكن عالما لاينفعك علمك وإن تك غبيا يزيدوك غباوة وإن يطلع الله عليهم بعد ذلك بسخط يصبك معهم، يابنى لايأكل طعامك إلا الأتقياء وشاور فى أمرك العلماء، يابنى إن الدنيا بحر عميق وقد غرق فيه ناس كثير، فاجعل سفينتك فيها تقوى الله وحشوها الايمان بها وشراعها التوكل على الله لعلك أن تنجو، يابنى إنى حملت الجندل والحديد فلم أحمل شيئا أثقل من جار السوء وذقت المرارة كلها فلم أذق أشد من الفقر، يابنى إن الحكمة أجلست المساكين مجالس الملوك، يابنى لاتتعلم مالاتعلم حتى تعمل بما تعلم، يابنى إذا أردت أن تواخى رجلا فأغضبه قبل ذلك فان أنصفك عند غضبه وإلا فاحذره، يا بنىّ إنك منذ نزلت إلى الدنيا استدبرتها واستقبلت الآخرة، فدار أنت إليها تسير أقرب من دار أنت عنها ترحل، يابنى عوّد لسانك أن يقول اللهمّ اغفر لى فان لله ساعات لاترد، يابنى إياك والدين فانه ذل النهار وهمّ الليل، يابنى ارج الله رجاء لايجرئك على معصيته وخف الله خوفا لايؤيسك من رحمته إلى غير ذلك من المواعظ المأثورة عنه عليه السلام.

(قوله ووصينا الانسان الخ) هاتان الآيتان نزلتا فى شأن سعد بن أبى وقاص كما تقدم فهما معترضتان بين كلامى لقمان والعبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب فأل فى الانسان للجنس (قوله أن يبرهما) أى يحسن إليهما (قوله فوهنت) قدر الفعل إشارة إلى أن وهنا مفعول مطلق والأحسن جعله حالا من أمه أى ذات وهن (قوله على وهن) صفة لوهنا أى ضعفا كائنا على ضعف، والمراد التوالى لاخصوص وهنين بدليل قول المفسر أى ضعفت للحمل الخ (قوله أى فطامه) أى ترك رضاعه (قوله فى عامين) أى فى انقضائهما (قوله أن اشكر لى) أن يحتمل أنها مفسرة لجملة وصينا أو مصدرية (قوله أى المرجع) أى فأجازى المحسن على إحسانه والمسىء على إساءته (قوله موافقة للواقع) أى فلا مفهوم له وهو جواب عما يقال إن الشريك مستحيل على الله تعالى فربما يتوهم وجود شريك له به علم (قوله وصاحبهما فى الدنيا) أى أمورها التى لاتتعلق بالدين (قوله أى بالمعروف) أشار بذلك إلى أنه منصوب بنزع الخافض (قوله واتبع سبيل من أناب إلىّ) قيل إن الخطاب للمكلفين عموماً ويراد بمن أناب النبى وأصحابه ومن على قدمهم، وقيل الخطاب لسعد بن أبى وقاص، والمراد بمن أناب أبو بكر الصديق رضى الله عنه، وذلك أنه حين أسلم أتاه عثمان وطلحة والزبير وسعد بن أبى وقاص وعبد الرحمن بن عوف فقالوا له قد صدقت هذا الرجل وآمنت به قال نعم هو صادق فآمنوا ثم جاءبهم إلى النبى صلى الله عليه وسلم حتى أسلموا فهؤلاء سابقون للاسلام بارشاد أبى بكر رضى الله

(﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾) أمرنا أن يبرهما (﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ﴾) فوهنت (﴿وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ﴾) أى ضعفت للحمل وضعفت للطلق وضعفت للولادة (﴿وَفِصَالُهُ﴾) أى فطامه (﴿فِي عَامَيْنِ﴾) وقلنا له (﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾) أى المرجع (﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾) موافقة للواقع (﴿فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾) أى بالمعروف البر والصلة (﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ﴾) طريق (﴿مَنْ أَنَابَ﴾) رجع (﴿إِلَيَّ﴾) بالطاعة (﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾) فأجازيكم عليه، وجملة الوصية وما بعدها اعتراض (﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا﴾) أى الخصلة السيئة (﴿إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ﴾) أى فى أخفى مكان من ذلك (﴿يَأْتِ بِهَا اللَّهُ﴾) فيحاسب عليها (﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ﴾) باستخراجها (﴿خَبِيرٌ﴾) بمكانها (﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾)،

عنه (قوله فأجازيكم عليه) أى على العمل الحسن والسىء (قوله وجملة الوصية) أى وهى قوله: ووصينا الانسان الخ وقوله وما بعدها أى وهو قوله وإن جاهداك الخ وقوله اعتراض أى بين كلامى لقمان (قوله يابنى إنها إن تك مثقال حبة الخ) رجوع لذكر وصايا لقمان لولده، وسبب تلك المقالة أنه قال له ولده: ياأبت إن عملت الخطيئة حيث لايرانى أحد كيف يعلمها الله؟ فقال له تلك المقالة، وهذا السؤال ليس عن اعتقاد لمضمونه بسبب إذ هو مسلم لايعتقد أن الله تخفى عليه خافية وإنما مقصوده الانتقال من العلم بالدليل إلى المعرفة والمشاهدة ولدوامات من استيلاء الهيبة على قلبه (قوله من خردل) هو حب الكبر وهو أصغر حب، والمراد أصغر شىء بدليل ضرب المثل بالذرة فى الآية (قوله فى صخرة) قيل المراد بها التى تحت الأرضين السبع وهى التى يكتب فيها أعمال الفجار وخضرة السماء منها لما قيل خلق الله الأرض على حوت والحوت فى الماء والماء على ظهر صفاة والصفاة على ظهر ملك، وقيل على ظهر ثور وهو على الصخرة وهى التى ذكرها لقمان فليست فى السماء ولا فى الأرض (قوله أى فى أخفى مكان من ذلك) أى من الصخرة والسموات والأرض فأخفى الصخرة باطنها وأخفى السموات أعلاها وأخفى الأرض أسفلها (قوله يأت بها الله) جواب الشرط (قوله إن الله لطيف) أى عالم بخفيات الأمور (قوله خبير) أى عالم ببواطن الأشياء كظواهرها، قيل إن هذه الكلمة آخر كلمة تكلم بها لقمان فانشقت مرارة ابنه من هيبتها وعظمها، فمات مسلما شهيدا رضى الله عنه (قوله يابنى أقم الصلاة) أى بشروطها وأركانها وآدابها لكونها عماد الدين ومناجاة الله تعالى (قوله وأمر بالمعروف) أى بكل ماعرف شرعا لأن الدال على الخير كفاعله (قوله وانه عن المنكر) أى باليد أو اللسان أو القلب على حسب الطاقة فان لم يجد فالهجر أولى بالمعروف.

(قوله بسبب الأمر والنهى) المناسب حمله على العموم ، فالصبر على المصائب سواء كانت من الخلق أو الخالق أمره عظيم لأن الكل فى الحقيقة من الله ، والمراد بالصبر التسليم لأحكام الله والرجوع إليه قال تعالى ـ و بشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله و إنا إليه راجعون ـ (قوله التى يعزم عليها لوجوبها) أى تحتمها على المكلفين فلا ترخيص فى تركها (قوله ولا تصعر خدك للناس) الصعر بفتحتين فى الأصل : داء يصيب البعير يلوى عنقه ، ثم استعمل فى ميل العنق وانقلاب الوجه إلى أحد الشدقين لأجل الفخر على الناس ، والمراد لا تتكبر فتحتقر الناس ولا تعرض عنهم بوجهك إذا كلموك (قوله وفى قراءة تصاعر) أى وهما سبعيتان ومعناهما واحد (قوله أى خيلاء) أى معجبا وتكبرا قال تعالى ـ إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا ـ (قوله فخور على الناس) أى لظنه أن نعمة الله أسبغت عليه لاستحقاقه إياها فتكبر بها على الناس (قوله واقصد فى مشيك) لما أمره أولا بحسن الباطن أمره ثانيا بحسن الظاهر ليجمع له فى وصيته بين كمال الظاهر والباطن (قوله بين الدبيب) أى وهو ضعف المشى جدا ، قال الشاعر :

زعمتنى شيخا ولست بشيخ إنما الشيخ من يدب دبيبا

(قوله والاسراع) أى وهى قوة المشى وهى مذمومة لما ورد «سرعة المشى تذهب بهاء المؤمن» . إن قلت ورد فى الحديث «كنا نجهد أنفسنا خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم» فيقتضى أنه كان يسرع فى مشيه . أجيب بأنه صلى الله عليه وسلم فى نفسه مشيه متوسط وبالنسبة للصحابة هو أعلى مشيا منهم لما فى الحديث المتقدم «وهو غير مكترث كأن الأرض تطوى له» (قوله من صوتك) يحتمل أن من تبعيضية أو الجار والمجرور متعلق بمحذوف صفة لمحذوف أى شيئا من صوتك (قوله لصوت الحمير) أى هذا الجنس لما فيه من العلو المفرط من غير حاجة فان كل حيوان يصيح من ثقل أو تعب أو غير ذلك والحمار يصيح لغير سبب ، وصياح كل شىء تسبيح لله تعالى إلا الحمار . إن قلت إن دق النحاس بالحديد أشد صوتا من الحمير . أجيب بأن الصوت الشديد لحاجة يتحمله العقلاء بخلاف الصوت الخالى عن الثمرة والفائدة وهو صوت الحمار (قوله أوله زفير) أى صوت قوى ، وقوله وآخره شهيق : أى صوت ضعيف وهما صفة صوت أهل النار (قوله ألم تروا أن الله سخر لكم الخ) رجوع لما سبق من خطاب المشركين والرد عليهم (قوله يامخاطبين) القياس بالواو لأنه منادى مفرد وهو مبنى على مايرفع به إلا أن يقال إنه نكرة غير مقصودة فهو منصوب (قوله نعمه) إما بالجمع فظاهرة و باطنة حالان أو الإفراد بتاء التأنيث نكرة فهما نعتان لها وهما قراءتان سبعيتان (قوله هى حسن الصورة الخ) وقيل الظاهرة نعمة الدنيا والباطنة نعمة العقبى . وقيل الظاهرة ما ترى بالأبصار كالمال والجاه والجمال فى الناس ، والباطنة مايجده الانسان فى نفسه من حسن اليقين والعلم بالله تعالى وكل صحيح (قوله وتسوية الأعضاء) أى تناسبها (قوله ومن الناس) نزلت فى النضر بن الحرث وأبى بن خلف ومن حذا حذوهم كانوا يجادلون النبى صلى الله عليه وسلم فى الله وصفاته من غير علم (قوله بغير علم) أى بل بالجهل وعدم المعرفة (قوله ولا هدى) أى من رسول جاءهم به (قوله ولا كتاب منير) أى نير واضح الدلالة (قوله وإذا قيل لهم) الجمع باعتبار المعنى .

بسبب الأمر والنهى (إِنَّ ذَٰلِكَ) المذكور (مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) أى معزوماتها التى يعزم عليها لوجوبها (وَلَا تُصَعِّرْ) وفى قراءة تصاعر (خَدَّكَ لِلنَّاسِ) لاتمل وجهك عنهم تكبرا (وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا) أى خيلاء (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ) متبختر فى مشيه (فَخُورٍ) على الناس (وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ) توسط فيه بين الدبيب والاسراع وعليك السكينة والوقار (وَاغْضُضْ) اخفض (مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ) أقبحها (لَصَوْتُ الْحَمِيرِ) أوله زفير وآخره شهيق (أَلَمْ تَرَوْا) تعلموا يامخاطبين (أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ) من الشمس والقمر والنجوم لتنتفعوا بها (وَمَا فِي الْأَرْضِ) من الثمار والأنهار والدواب (وَأَسْبَغَ) أوسع وأتم (عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً) هى حسن الصورة وتسوية الأعضاء وغير ذلك (وَبَاطِنَةً) هى المعرفة وغيرها (وَمِنَ النَّاسِ) أى أهل مكة (مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى) من رسول (وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ) أنزله الله بل بالتقليد (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا) قال تعالى

(قوله أيتبعونه) أشار بذلك إلى أن هذا الشرط للحال والتقدير أيتبعونه والحال أن الشيطان يدعوهم إلى العذاب وحينئذ فلا جواب للو (قوله يدعوهم إلى عذاب السعير) أى يدعو آباءهم لأن مدار إنكار الأتباع كون الرؤساء تابعين للشيطان (قوله لا) أى لايليق منهم ذلك (قوله أى يقبل على طاعته) أشار بذلك إلى أن المراد بالوجه الذات ، والمعنى من يبذل ذاته فى طاعة ربه والحال أنه موحد فقد استمسك الخ وهذا هو حقيقة الشكر فالاقبال على الله ظاهرا و باطنا موجب للأمن من عذاب الله ، ومن زوال تلك النعمة وهذه الآية معنى قوله تعالى ـ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ـ (قوله موحد) إنما فسره بذلك ليشمل الاسلام فى حق العامة وهو التوحيد و إلا فالاحسان الكامل أن تعبد الله كأنك تراه (قوله بالطرف الأوثق) أى الموصل إلى الله بلا انقطاع فقد مثل المؤمن المتمسك بطاعة الله بمن أراد أن يرقى إلى شاهق جبل فتمسك بأوثق حبل فهو تشبيه تمثيلى بذكر طرفى التشبيه (قوله مرجعها) أى فيجازى عليها (قوله ومن كفر الخ) هذا مقابل الفريق الأول (قوله فلا يحزنك كفره) بفتح الياء وضم الزاى و بضم الياء وكسر الزاى قراءتان سبعيتان أى فتسل ولا تغتم على ذلك (قوله فننبئهم بما عملوا) أى نخبرهم بأعمالهم التى عملوها فى الدنيا (قوله ثم نضطرهم) أتى بثم اشارة إلى أن العذاب الغليظ إنما يكون لهم فى الآخرة لافى الدنيا كما أن المؤمن إذا نعم فى الدنيا بأنواع النعم فليس ذلك جزاء لأعماله الصالحة (قوله لايجدون عنها محيصا) أى ملجأ (قوله ليقولن الله) الجملة جواب القسم وحذف جواب الشرط للقاعدة ولفظ الجلالة مرفوع إما على أنه فاعل بفعل محذوف تقديره خلقهن الله بدليل آية خلقهن العزيز العليم أو خبر لمحذوف تقديره الخالق لهن (قوله واو الضمير) أى لالتقائها ساكنة مع نون التوكيد و بقيت الضمة دليلا عليها (قوله بل أكثرهم لايعلمون وجوبه عليهم) أى بل يعتقدون أن الاشراك يقرب إلى الله مع كونهم ينسبون الخلق لله وحده (قوله لله مافى السموات والأرض) هذا نتيجة ماقبله : أى حيث ثبت أنه الخالق لما تحقق أنه المالك لما (قوله المحمود فى صنعه) أى المتصف بالكمالات أزلا وأبدا لايستحق الحمد غيره (قوله ولو أن مافى الأرض) أن حرف توكيد ونصب وما اسم موصول فى محل نصب اسمها وجملة الجار والمجرور مع متعلقه صلة الموصول ومن شجرة بيان لما وتوحيد شجرة إشارة إلى استغراق الأفراد كأنه قال لو أن كل شجرة تجعل أقلاما الخ وقوله أقلام خبر أنّ (قوله والبحر) أى المحيط لأن الحقيقة إذا أطلقت تنصرف للفرد الكامل (قوله عطف على اسم أن) أشار بذلك إلى توجيه قراءة النصب وترك توجيه قراءة الرفع وتوجيهها أن يقال إما عطف على جملة أن واسمها وخبرها لأن موضعها رفع على الفاعلية لفعل محذوف والتقدير لو ثبت أن مافى الأرض الخ أو مبتدأ خبره يمده والجملة حالية (قوله مداد) خبر لمحذوف تقديره والجميع مداد وهو جملة مستأنفة واقعة فى جواب سؤال مقدر تقديره ماتجعل تلك الأبحر فأجاب بقوله مداد يدل على ذلك قوله فى الآية الأخرى : قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى الخ .

(أ) يتبعونه (وَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ) أى موجباته ؟ لا (وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ) أى يقبل على طاعته (وَهُوَ مُحْسِنٌ) موحد (فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى) بالطرف الأوثق الذى لايخاف انقطاعه (وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ) مرجعها (وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنْكَ) يامحمد (كُفْرُهُ) لاتهتم بكفره (إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) أى بما فيها كغيره فمجاز عليه (نُمَتِّعُهُمْ) فى الدنيا (قَلِيلًا) أيام حياتهم (ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ) فى الآخرة (إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ) وهو عذاب النار لايجدون عنه محيصا (وَلَئِنْ) لام قسم (سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ) حذف منه نون الرفع لتوالى الأمثال وواو الضمير لالتقاء الساكنين (قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ) على ظهور الحجة عليهم بالتوحيد (بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) وجوبه عليهم (لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) مُلكا وخلقاً وعبيداً فلا يستحق العبادة فيهما غيره (إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ) عن خلقه (الْحَمِيدُ) المحمود فى صنعه (وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ) عطف على اسم أن (يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ) مداد ،

(قوله كلمات الله) أي مدلولات كلامه النفسي القديم القائم بذاته تعالى بدليل قوله المعبر بها فان مدلول الكلام القديم هو ماأحاط به العلم القديم، وأما الكلام المنزل للقراءة والتعبد به كالكتب السماوية فهو دالّ على بعض مدلول الكلام القديم فلذلك كان له مبدأ وغاية (قوله ماخلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة) سبب نزولها أن أبيّ بن خلف وجماعة قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم إن الله خلقنا أطوارا نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما ثم تقول إنا نبعث خلقا جديداً جميعا في ساعة واحدة فنزلت. والمعنى أن الله لايصعب عليه شيء بل خلق العالم و بعثه برمته كخلق نفس واحدة و بعثها (قوله خلقا و بعثا) لف ونشر مرتب (قوله ياخاطبا) نصبه لكونه قصد أنه نكرة غير مقصودة (قوله بما نقص) أي بالجزء الذي نقص من الآخر وهو أربع ساعات دائرة بين الليل والنهار زائدة على الاثنى عشر فتارة يزيدها الليل وتارة يزيدها النهار (قوله وسخر الشمس والقمر) عطف على يولج وعبر في الأول بالمضارع لأن الايلاج متجدد بخلاف التسخير **(٢٤٣)** (قوله إلى أجل مسمى)

(مانفدت كلمات الله) المعبر بها عن معلوماته بكتبها بتلك الأقلام بذلك المداد ولا بأكثر من ذلك لأن معلوماته تعالى غير متناهية (إنّ الله عزيزٌ) لا يعجزه شيء (حكيمٌ) لا يخرج شيء عن علمه وحكمته (ما خلقكم ولا بعثكم إلاّ كنفسٍ واحدةٍ) خلقاً و بعثاً لأنه بكلمة كن فيكون (إنّ الله سميعٌ) يسمع كل مسموع (بصيرٌ) يبصر كل مبصر لايشغله شيء عن شيء (ألمْ تر) تعلم ياخاطبا (أنّ الله يولجُ) يدخل (الليل في النّهار ويولجُ النّهار) يدخله (في الليل) فيزيد كل منهما بما نقص من الآخر (وسخّر الشمس والقمر كلٌّ) منهما (يجري) في فلكه (إلى أجلٍ مسمّى) هو يوم القيامة (وأنّ الله بما تعملون خبيرٌ. ذلك) المذكور (بأنّ الله هو الحقّ) الثابت (وأنّ ما يدعون) بالياء والتاء: يعبدون (من دونه الباطلُ) الزائل (وأنّ الله هو العليّ) على خلقه بالقهر (الكبيرُ) العظيم (ألمْ تر أنّ الفلك) السفن (تجري في البحر بنعمت الله ليريكم) يا مخاطبين بذلك (من آياته إنّ في ذلك لآياتٍ) عبراً (لكلّ صبّارٍ) عن معاصي الله (شكورٍ) لنعمته (وإذا غشيهم) أي علا الكفار (موجٌ كالظّلل) كالجبال التي تظل من تحتها (دعوا الله مخلصين له الدّين) أي الدعاء بأن ينجيهم أي لايدعون معه غيره (فلمّا نجّاهم إلى البرّ فمنهم مقتصدٌ) متوسط بين الكفر والإيمان، ومنهم باق على كفره (وما يجحدُ بآياتنا) ومنها الإنجاء من الموج (إلاّ كلُّ ختّارٍ) غدّار (كفورٍ) لنعم الله تعالى (يأيّها النّاسُ) أي أهل مكة (اتّقوا ربّكم واخشوا يوماً لا يجزي) يغني (والدٌ عن ولده) فيه شيئاً،

عبر هنا بالى وفي فاطر والزمر باللام تفننا لأن اللام و إلى للانتهاء (قوله ذلك المذكور) أي من الآيات الكريمة وهو مبتدأ خبره قوله بأن الله هو الحق (قوله الثابت) أي الذي لايقبل الزوال أزلا ولا أبدا (قوله بالياء والتاء) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله ألم تر أن الفلك الخ) هذا دليل آخر على إثبات الألوهية لله وحده (قوله بنعمت الله) أي إحسانه (قوله أي علا الكفار) أي أحاط بهم، فعلا فعل ماض لاحرف جر (قوله أي لايدعون معه غيره) أي كالأصنام لأنهم في ذلك الوقت في غاية الشدة والهول فلايجدون ملجأ لكشف مانزل بهم غيره تعالى (قوله متوسط بين الكفر والايمان) المناسب تفسير المقتصد بالعدل الموفي بما عاهد الله عليه من التوحيد ليكون موافقا لسبب النزول فانها نزلت في عكرمة بن أبي جهل وذلك أنه هرب عام الفتح إلى البحر فجاءتهم ريح عاصف فقال عكرمة لئن أنجانا الله من هذا لأرجعن إلى محمد صلى الله عليه وسلم ولأضعن يدي في يده فسكن الريح فرجع عكرمة إلى مكة فأسلم وحسن إسلامه (قوله ومنهم باق على كفره) أي وهو المشار إليه بقوله ومايجحد بآياتنا الخ (قوله غدار) أي لأنه نقض العهد ورجع إلى ما كان عليه (قوله اتقوا ربكم) أي امتثلوا أوامره واجتنبوا نواهيه (قوله لايجزى والد عن ولده الخ) كل من الجملتين نعت ليوما، والمعنى أن يوم القيامة يقول كل إنسان نفسي نفسي لاأملك غيرها ولايهتم بقريب ولا بعيد وهذه الآية مخصوصة بالكفار، وأما المسلمون فينتفعون من بعضهم فالأولاد تنفع الآباء والآباء تنفع الأولاد قال تعالى ـ والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم ـ وأما ما ورد من قوله عليه الصلاة والسلام لفاطمة ابنته «أنا لاأغني عنك من الله شيئا» فهو

(وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ) فيه (شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللّٰهِ حَقٌّ) بالبعث (فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا) عن الاسلام (وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللّٰهِ) فى حلمه و إمهاله (الْغَرُورُ) الشيطان (إِنَّ اللّٰهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ) متى تقوم (وَيُنَزِّلُ) بالتخفيف والتشديد (الْغَيْثَ) بوقت يعلمه (وَيَعْلَمُ مَا فِى الْأَرْحَامِ) أذكر أم أنثى ولا يعلم واحداً من الثلاثة غير الله تعالى (وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا) من خير أو شر ويعلمه الله تعالى (وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ) و يعلمه الله تعالى (إِنَّ اللّٰهَ عَلِيمٌ) بكل شىء (خَبِيرٌ) بباطنه كظاهره روى البخارى عن ابن عمر حديث « مفاتح الغيب خمسة إن الله عنده علم الساعة ـ إلى آخر السورة » .

(سورة السجدة)

مكية ، وهى ثلاثون آية

(بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ . الٓمٓ) الله أعلم بمراده به (تَنْزِيلُ الْكِتَابِ) القرآن مبتدأ (لَا رَيْبَ) شك (فِيهِ) خبر أول ،

تحذير لما من الكفر الذى به تنقطع الأنساب (قوله ولا مولود) مبتدأ وهو مبتدأ ثان وجاز خبر الثانى وهو خبره خبر الأول أومعطوف على والد (قوله فى حلمه و إمهاله) أشار بذلك إلى أن الباء سببية والكلام على حذف مضاف والأصل ولا يغرنكم بسبب حلم الله و إمهاله الغرور (قوله إن الله عنده علم الساعة الخ) نزلت لما قال الحرث بن عمرو للنبى صلى الله عليه وسلم متى الساعة وأنا قد ألقيت الحب فى الأرض فمتى السماء تمطر وامرأتى حامل فهل حملها ذكر أم أنثى وأى شىء أعمله غدا ولقد علمت بأى أرض ولدت فبأى أرض أموت (قوله متى تقوم) أى وقت قيامها (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله بوقت يعلمه) أى وفى أى مكان ينزله (قوله ومانذرى نفس ماذا تكسب غدا) أى من حيث ذاتها وأما بإعلام الله للعبد فلا مانع منه كالأنبياء و بعض الأولياء قال تعالى ـ ولا يحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء ـ وقال تعالى ـ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول ـ قال العلماء وكذا ولىّ فلا مانع من كون الله يطلع بعض عباده الصالحين على بعض هذه المغيبات فتكون معجزة للنبى وكرامة للولى ولذلك قال العلماء : الحق أنه لم يخرج نبينا من الدنيا حتى أطلعه على تلك الخمس ولكنه أمر بكتمها والحكمة فى كونه تعالى أضاف العلم إلى نفسه فى الثلاثة الأول ونفى العلم عن العباد فى الأخيرتين منها مع أن الخمسة سواء فى اختصاص الله تعالى بعلمها ونفى علم العباد بها أن الثلاثة الأول أمرها عظيم لايتوهم فى الخلق علمها بخلاف الأخيرتين فهما من صفات العباد فربما يتوهمون علمهما فاذا انتفى عنهم علمهما كان انتفاء علمهم بغيرهما أولى (قوله بأى أرض تموت) لم يقل بأى وقت تموت فيه لأن انتقال الانسان من مكان إلى آخر فى وسعه واختياره فتوهمه علم مكان موته أقرب بخلاف الزمان ففيه تنبيه على انتفاء علم الأقرب ليفهم منه علم الأبعد بالأولى (قوله إن الله عليم خبير) أشار بذلك إلى أن علمه تعالى ليس مختصا بهذه الأشياء المتقدمة بل هو عليم ببواطن الأشياء كظواهرها .

[سورة السجدة] أى التى ذكرت فيها السجدة (قوله مكية) ظاهره أن جميعها مكى وقال غيره إلا ثلاث آيات وقيل إلا خمس آيات أولها قوله : تتجافى جنوبهم وآخرها قوله الذى كنتم به تكذبون ، وورد فى فضلها أحاديث : منها ما فى الصحيح عن ابن عباس « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ فى صلاة الفجر يوم الجمعة الٓمٓ تنزيل الكتاب السجدة وهل أتى على الانسان حين من الدهر » وقد أخذ بهذا الحديث الامام الشافعى رضى الله عنه ولم يأخذ به مالك لعدم استمرار العمل عليه ومنها « أنه صلى الله عليه وسلم كان لاينام حتى يقرأ الٓمٓ تنزيل السجدة وتبارك الذى بيده الملك » وتسمى أيضا المنجية لأنها أحد المنجيات السبع وهى هذه السورة ويسٓ والدخان والواقعة وهل أتى والملك والبروج ، ولما ورد عن خالد بن معدان أنه قال : اقرءوا المنجية وهى الٓمٓ تنزيل فانه بلغنى أن رجلا كان يقرؤها مايقرأ شيئا غيرها وكان كثير الخطايا فنشرت جناحها عليه وقالت رب اغفرله فانه كان يكثر قراءتى فشفعها الرب فيه وقال اكتبوا له بكل خطيئة حسنة وارفعوا له درجة ، (قوله تنزيل الكتاب) أى نزوله ومجيئه

(قوله من رب العالمين) أى لفظا ومعنى (قوله خبر ثان) هذا أحسن الأعاريب فى هذا الموضع ويصح أن يكون حالا من ضمير الخبر (قوله أم يقولون افتراه) أم منقطعة تفسر ببل والهمزة عند البصريين والمفسر قدرها ببل فقط وهو غير مناسب بدليل قوله : لا ، فانه إشارة إلى أن الاستفهام إنكارى مع أنه لم يذكر الهمزة ولعلها سقطت من قلم ناسخ المبيضة (قوله بل هو الحق) إضراب انتقالى من نفى الافتراء عنه إلى إثبات حقيته ويصح أن يكون إبطاليا لقولهم كأنه قيل ليس هو كما قالوا بل هو الحق وقولهم كل ما فى القرآن من الاضراب انتقالى يحمل على غير هذا ، والمعنى أن القرآن محصور فى الحق لا يخرج عنه لغيره واستفيد الحصر من الجملة المعرّفة الطرفين (قوله لتنذر قوما) هو فعل ينصب مفعولين الأول قوما ، والثانى محذوف قدره المفسر بقوله به وقدره غيره العقاب (قوله ما أتاهم من نذير من قبلك) جعل المفسر الجملة منفية صفة لقوما ، واختلف فى القوم فقيل المراد بهم العرب لأنهم أمة لم يأتهم نذير قبل محمد وتكون هذه الآية بمعنى قوله تعالى : لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم ، وقيل المراد بهم أهل الفترة الذين كانوا بين عيسى ومحمد عليهما السلام فيشمل بنى آدم برمتهم (قوله لعلهم يهتدون) الترجى بالنسبة له صلى الله عليه وسلم ، والمعنى لتنذر قوما راجيا لاهتدائهم لا آيسا منه (قوله الله الذى خلق السموات والأرض) مبتدأ وخبر وهو شروع فى ذكر أدلة توحيده سبحانه وتعالى (قوله أولها الأحد وآخرها الجمعة) أى على سبيل التوزيع فخلق الأرض أولا فى الأحد والاثنين وخلق ما فيها فى الثلاثاء والأربعاء وخلق السموات فى الخميس والجمعة ، وفى ذلك إشكال وهو أن الأيام لم تكن معروفة إذ ذاك فضلا عن تسميتها لعدم وجود الشمس والأفلاك التى بها تعرف الأيام . وأجيب بأن المراد فى مقدار ستة أيام كائنة فى علمه تعالى بحيث تكون عند ظهورها لنا أولها الأحد وآخرها الجمعة ومقتضى هذا أنها كأيام الدنيا وبه قال الحسن ، وقال ابن عباس والضحاك اليوم منها مقداره ألف سنة (قوله سرير الملك) أى ومنه : قال نكروا لها عرشها ، والمراد به هنا الجسم

(مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ) خبر ثان (أَمْ) بل (يَقُولُونَ افْتَرَاهُ) محمد ؟ لا (بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ) به (قَوْمًا ، مَا) نافية (أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ) بإنذارك (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ) أولها الأحد وآخرها الجمعة (ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ) وهو فى اللغة سرير الملك استواء يليق به (مَا لَكُمْ) يا كفار مكة (مِنْ دُونِهِ) أى غيره (مِنْ وَلِيٍّ) اسم ما بزيادة من ، أى ناصر (وَلَا شَفِيعٍ) يدفع عذابه عنكم (أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ) هذا فتؤمنون (يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ)

النورانى المحيط بالعالم كله (قوله استواء يليق به) هذه إشارة لطريق السلف الذين يؤمنون بالمتشابه ويفوضون علمه لله تعالى وهو أسلم ولذا سلكه المفسر ، وطريقة الخلف يؤولون الاستواء بالاستيلاء والقهر إذ هو أحد معنى الاستواء . ومنه قول الشاعر :

قد استوى بشر على العراق ... من غير سيف ودم مهراق

وتقدم الكلام فى هذا غير مرة (قوله ما لكم من دونه من ولى) هذا نتيجة ما قبله أى فحيث ثبت أنه الخالق للسموات والأرض وما بينهما وهو المالك للعرش وما حوى فلا ولى ولا شفيع غيره (قوله يا كفار مكة) خصهم لأنهم سبب نزول الآية وإلا فالعبرة بعموم اللفظ (قوله اسم ما) أشار بذلك إلى أن ما حجازية وولى اسمها مؤخر ومن دونه خبرها مقدم وفيه أن شرط إعمالها الترتيب وهو مفقود هنا إلا أن يقال إنه مشى على قول ضعيف للنحويين من عدم اشتراطه فى عملها والأحسن جعلها تميمية ومن دونه خبر مقدم وولى مبتدأ مؤخر لأن القرآن لا ينبغى حمله على ضعيف (قوله أفلا تتذكرون) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه والتقدير أغفلتم فلا تتذكرون (قوله يدبر الأمر) أى الشأن والحال ، والمعنى يتصرف فى الخلق على طبق علمه وإرادته وهو القضاء والقدر المشار إليهما بقول الأجهورى :

إرادة الله مع التعلق ... فى أزل قضاؤه فحقق
والقدر الايجاد للأشياء على ... وجه معين أراده علا
وبعضهم قد قال معنى الأول ... العلم مع تعلق فى الأزل
والقدر الايجاد للأمور ... على وفاق علمه المذكور

وهذه الآية بمعنى قوله تعالى : كل يوم هو فى شأن فالتصرف الذى يظهر فى الخلق من حيث وجوده على طبق العلم والارادة قدر ومن حيث تعلق علم الله وإرادته به قضاء فكل شئ بقضاء وقدر (قوله من السماء إلى الأرض) قال ابن عباس معناه ينزل القضاء والقدر ، وقيل ينزل الوحى مع جبريل وروى «أنه يدبر أمر الدنيا أربعة جبريل وميكائيل وملك الموت وإسرافيل صلوات الله عليهم أجمعين ، فأما جبريل فموكل بالأرياح والجنود ، وأما ميكائيل فموكل بالقطر والماء ، وأما ملك الموت فموكل بقبض الأرواح

وأما إسرافيل فهو ينزل بالأمر عليهم ، وقد قيل إن العرش موضع التدبير كما أن مادون العرش موضع التفصيل قال تعالى – ثم استوى على العرش يدبر الأمر يفصل الآيات ، ومادون السموات موضع التصريف (قوله مدة الدنيا) أى وهى كما ورد سبعة آلاف سنة بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الألف السادس ومدة أمته تزيد على الألف سنة ولا تبلغ الزيادة عليها خمسمائة سنة كما ذكره السيوطى فى [الكشف عن مجاوزة هذه الأمة الألف] وهذا أحد أقوال تقدمت (قوله يرجع الأمر والتدبير إليه) أى ينتقل التصريف الظاهرى من أيدى العبيد يوم القيامة ويكون لله وحده ظاهرا وباطنا قال تعالى – لمن الملك اليوم لله الواحد القهار – (قوله لشدة أهواله الخ) هذا إشارة لوجه الجمع بين الآيتين : أى فالمراد من ذكر الألف وذكر الخمسين التنبيه على طوله والتخويف منه لا العدد المذكور بخصوصه ، وجمع أيضا بأن موقف القيامة خمسون موقفا كل موقف ألف ، فهذه الآية بينت أحد المواقف وآية سأل بينت المواقف كلها ، وهذا هو الأقرب ، وجمع أيضا بأن العذاب مختلف فيعذب الكافر بجنس من العذاب ألف سنة ثم ينتقل إلى جنس آخر مدته خمسون ألف سنة (قوله من صلاة مكتوبة) صادق بصلاة الصبح فهو فى حق المؤمن قصير جدا (قوله ذلك) مبتدأ وعالم خبر أول والعزيز خبر ثان والرحيم خبر ثالث والذى أحسن خبر رابع وهذه قراءة العامة وقرئ شذوذا برفع عالم وخفض العزيز الرحيم على أنهما بدلان من الهاء فى إليه وقرئ أيضا بجر عالم وما بعده وخرجت على جعل اسم الاشارة فاعلا ليعرج وعالم وما بعده بدل من الضمير فى إليه (قوله الذى أحسن) أى أحكم وأتقن (قوله صفة) أى لكل أو لشئ (قوله وبسكونها) أى وهما قراءتان سبعيتان (قوله بدل اشتمال) أى من كل شئ (قوله ذريته) سميت نسلا لأنها تنسل أى تنفصل (قوله أى خلق آدم) أشار بذلك إلى أن الضمير فى سواه عائد على آدم ويصح أن يكون عائدا على النسل ويكون المعنى سوى أعضاءه فى الرحم وصورها بعد أن كان يشبه الجماد حيث كان نطفة ثم علقة ثم مضغة (قوله من روحه) الاضافة للتشريف (قوله أى الذرية) فيه التفات من الغيبة إلى الخطاب والنكتة أن الخطاب إنما يكون مع الحى فلما نفخ فيه الروح حسن خطابه (قوله وقالوا أئذا ضللنا) حكاية لبعض قبائحهم وأباطيلهم وقرأ العامة ضللنا بضاد معجمة ولام مفتوحة بمعنى ذهبنا وقرئ شذوذا بكسر اللام وبضم الضاد وكسر اللام مشددة (قوله وإدخال ألف بينهما) أى وتركه فتكون القراءات أربعا سبعيات (قوله فى الموضعين) أى وهما أئذا ضللنا أئنا (قوله بل هم بلقاء ربهم كافرون) انتقال من جحدهم البعث إلى جحدهم لقاء الله بالمرة (قوله قل لهم) أى للكفار وخصهم بالذكر لوجود التشنيع بعد ذلك (قوله يتوفاكم ملك الموت) أسند التوفى فى هذه الآية لملك الموت وفى آية الأنعام للرسل وفى الزمر لله تعالى ولا منافاة بينها فما هنا محمول على مباشرة أخذها حتى تصل للحلقوم

مدة الدنيا (ثُمَّ يَعْرُجُ) يرجع الأمر والتدبير (إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ) فى الدنيا ، وفى سورة سأل خمسين ألف سنة وهو يوم القيامة لشدة أهواله بالنسبة إلى الكافر ، وأما المؤمن فيكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها فى الدنيا كما جاء فى الحديث (ذَٰلِكَ) الخالق المدبر (عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) أى ماغاب عن الخلق وما حضر (الْعَزِيزُ) المنيع فى ملكه (الرَّحِيمُ) بأهل طاعته (الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ) بفتح اللام فعلا ماضياً صفة وبسكونها بدل اشتمال (وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ) آدم (مِنْ طِينٍ . ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ) ذريته (مِنْ سُلَالَةٍ) علقة (مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ) ضعيف هو النطفة (ثُمَّ سَوَّاهُ) أى خلق آدم (وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ) أى جعله حياً حساساً بعد أن كان جماداً (وَجَعَلَ لَكُمُ) أى لذريته (السَّمْعَ) بمعنى الإسماع (وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ) القلوب (قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ) مازائدة مؤكدة للقلة (وَقَالُوا) أى منكرو البعث (أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ) غبنا فيها بأن صرنا ترابا مختلطا بترابها (أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ) استفهام إنكارى بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين فى الموضعين قال تعالى (بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ) بالبعث (كَافِرُونَ . قُلْ) لهم (يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ) أى بقبض أرواحكم (ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ) أحياء ، فيجازيكم .

فيجازيكم بأعمالكم (وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ) الكافرون (نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ) مطأطئوها حياء يقولون (رَبَّنَا أَبْصَرْنَا) ما أنكرنا من البعث (وَسَمِعْنَا) منك تصديق الرسل فيما كذبناهم فيه (فَارْجِعْنَا) إلى الدنيا (نَعْمَلْ صَالِحًا) فيها (إِنَّا مُوقِنُونَ) الآن فما ينفعهم ذلك ولا يرجعون، وجواب لو لرأيت أمراً فظيعاً، قال تعالى (وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا) فتهتدى بالايمان والطاعة باختيار منها (وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي) وهو (لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ) الجن (وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) وتقول لهم الخزنة إذا دخلوها (فَذُوقُوا) العذاب (بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا) أى بترككم الايمان به (إِنَّا نَسِينَاكُمْ) تركناكم فى العذاب (وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ) الدائم (بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) من الكفر والتكذيب (إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا) القرآن (الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا) وعظوا (بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا) ملتبسين (بِحَمْدِ رَبِّهِمْ) أى قالوا سبحان الله وبحمده (وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ) عن الايمان والطاعة (تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ) ترتفع (عَنِ الْمَضَاجِعِ) مواضع الاضطجاع بفرشها،

وما فى الأنعام محمول على معالجة أعوان عزرائيل لمن أمر بقبض روحه فهم المباشرون لاخراجها من الظفر إلى الحلقوم أعوانه وما فى الزمر محمول على الحقيقة فان التوفى حقيقة هو الله تعالى روى «إن الدنيا جعلت لملك الموت مثل راحة اليد فيأخذ منها من شاء أخذه من غير مشقة» فهو يقبض أرواح الخلق من مشارق الأرض ومغاربها، وله أعوان من ملائكة الرحمة وملائكة العذاب وروى «أن خطوته ما بين المشرق والمغرب» وروى «أنه جعلت له الأرض مثل الطشت يتناول منه حيث يشاء» وقيل إنه على معراج بين السماء والأرض، وقيل إن له حربة تبلغ ما بين المشرق والمغرب وهو يتصفح وجوه الناس فما من أهل بيت إلا وملك الموت يتصفحهم فى كل يوم مرتين فاذا رأى إنسانا قد انقضى أجله ضرب رأسه بتلك الحربة، وقال له الآن يزل بك عسكر الموت (قوله فيجازيكم بأعمالكم) أى عليها من خير وشر (قوله ولو ترى) الخطاب لكل أحد ممن يصلح له (قوله ناكسوا رءوسهم) أى خافضوها (قوله وسمعنا منك تصديق الرسل) أى فيما أخبرونا به من الوعد والوعيد (قوله إنا موقنون الآن) أى آمنا فى الحال، ويحتمل أن المعنى لم يقع منا الشرك كقولهم: والله ربنا ما كنا مشركين (قوله لرأيت أمرا فظيعا) أى شنيعا عجيبا (قوله هداها) أى إيمانها. والمعنى لو أردنا خلق كل نفس على الايمان والطاعة لفعلنا ذلك (قوله ولكن حق القول منى) أى ثبت وتقرر وعيدى (قوله من الجنة) قدمهم لأن دخول الجن النار أكثر من الانس (قوله أى بترككم الايمان) أشار بذلك إلى أن المراد بالنسيان الترك (قوله وذوقوا عذاب الخلد) كرره لبيان مفعول ذوقوا الأول (قوله بما كنتم تعملون) أى بسبب عملكم (قوله إنما يؤمن بآياتنا الخ) هذا تسلية له صلى الله عليه وسلم على بقاء من كفر على كفره كأن الله يقول لنبيه لا تحزن فان أهل الايمان مجبولون على الاتعاظ بالقرآن وأهل الكفر مجبولون على عدم الاتعاظ به فالخلق فريقان فى علم الله (قوله القرآن) استشكل ظاهر تلك الآية بأنه يقتضى مدح كل من سمع القرآن واتعظ به ويسجد لله وإن لم يكن له موضع سجود. وأجيب بأن السنة بينت مواضع السجود فى القرآن فمدح المتعظين بالقرآن فى كل آية الساجدين فى مواضع السجود (قوله خروا سجدا) أى على وجوههم تعظيما لآياته وامتثالا لأمره وخص السجود بالذكر لأنه غاية الذل والخضوع وهو لا يكون إلا لله وفعله لغيره كفر ولأنه روح الصلاة وأعظم أركانها ولأنه يقرب العبد من الله تعالى لما فى الحديث «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد» (قوله ملتبسين بحمد ربهم) أى جمعوا فى سجودهم بين التنزيه والحمد فالتنزيه حاصل بوضع الأعضاء على الأرض وبقولهم سبحان الله، والحمد لله حاصل بقولهم وبحمده فالسجود يطلب فيه التسبيح والتحميد ويطلب فيه أيضا الدعاء، ومما ورد فيما يقال فى سجدات القرآن: اللهم اكتب لى بها أجرا وضع عنى بها وزرا واجعلها لى عندك ذخرا وتقبلها منى كما تقبلتها من عبدك داود عليه السلام (قوله وهم لا يستكبرون) أى لا يتكبرون ولا يأنفون (قوله تتجافى جنوبهم) أسند التجافى للجنوب لأن الواعظ الذى يكون سببا فى القيام للصلاة ونحوها من جهة الجنوب وهو القلب فالانسان إذا كان مشغولا بربه سلط عليه واعظ فى قلبه يقلقه فيكون قليل النوم والهجوع. قال تعالى - كانوا قليلا من الليل ما يهجعون - فاذا اضطجع قصد بذلك التقوى على القيام والخدمة

وبالجملة فتكون جميع أفعاله دائرة بين الواجب والمندوب (قوله لصلاتهم بالليل) أى لما فيها من نور القلب ورضا الرب لما فى الحديث « مازال جبريل يوصينى بقيام الليل حتى علمت أن خيار أمتى لاينامون » (قوله فلا تعلم نفس) أى لاملك مقرّب ولانبىّ مرسل فضلا عن غيرهم ، والمعنى لاتعلم ذلك تفصيلا و إلا فنحن نعلمه إجمالا كالأشجار والأنهار والغرف والحور والولدان وغير ذلك لأن عطاء الجنة لاتحيط به العقول ففى الحديث « لموضع سوط فى الجنة خير من الدنيا ومافيها » (قوله من قرّة أعين) أى سرورها وفرحها فلايلتفتون لغيره (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله مضارع) أى والفاعل مستتر تقديره أنا ففى الحديث « أعددت لعبادى الصالحين ما لاعين رأت ولاأذن سمعت ولاخطر على قلب بشر » (قوله جزاء) مفعول مطلق أومفعول لأجله (قوله أفمن كان مؤمنا الخ) سبب نزولها أنه كان بين علىّ بن أبى طالب وعقبة بن أبى معيط تنازع فقال الوليد بن عقبة لعلىّ اسكت فانك صبى وأنا والله أبسط منك لسانا وأشجع منك جنانا وأملأ منك حشوا فى الكتيبة فقال علىّ اسكت فانك فاسق ، وهذه الآية بمعنى قوله تعالى : أفنجعل المسلمين كالمجرمين ، أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات (قوله كمن كان فاسقا) أى كافرا (قوله لايستوون) أى فى المآل ، وقد راعى للمعنى فجمع لأن المراد الفريق فى كل ، وروى أنه صلى الله عليه وسلم كان يتعمد الوقف على قوله فاسقا ويبتدئ بقوله لايستوون (قوله أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات) تفصيل لما أجمل أولا (قوله نزلا) أى مهيأة ومعدة لاكرامهم كما تهيأ التحف للضيف النازل بالكرام (قوله بما كانوا يعملون) أى بسبب كونهم يعملون الصالحات (قوله وأما الذين فسقوا) لم يقل وعملوا السيئات إشارة إلى ان مجرد الكفر كاف فى الخلود فى النار فلاالتفات إلى الاعمال معه وأما العمل الصالح فله مع الايمان تأثير فلذا قرنه به (قوله فمأواهم النار) أى مسكنهم ومنزلهم (قوله كلما أرادوا الخ) بيان لكون النار مأواهم . روى « أن النار تضربهم فيرتفعون إلى طبقاتها حتى إذا قربوا من بابها وأرادوا أن يخرجوا منها يضربهم لهبها فيهوون إلى قعرها وهكذا يفعل بهم أبدا » (قوله وقيل لهم) عطف على أعيدوا والقائل لهم الخزنة (قوله الذى كنتم به تكذبون) صفة لعذاب وعبر هنا بالتذكير نظرا للمضاف وهو العذاب وفى سبأ بالتأنيث نظرا للمضاف إليه وهو النار (قوله والجدب سنين) أى بمكة سبع سنين حتى أكلوا فيها الجيف والعظام والكلاب (قوله أى من بقى منهم) أى بعد القحط و بعد يوم بدر والترجى فى القرآن بمنزلة التحقيق وقد تحقق ذلك عند الفتح (قوله ومن أظلم الخ) هذا بيان إجمالى لحال المكذب إثر بيانه تفصيلا (قوله ثم أعرض عنها) أى ترك الايمان بها (قوله أى لاأحد الخ) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى (قوله ولقد آتينا موسى الكتاب) الحكمة فى ذكر موسى قربه من النبى ووجود من كان على دينه لتقوم الحجة عليهم (قوله وقد التقيا ليلة الاسراء) أى فى الأرض عند الكثيب الأحمر وهو قائم يصلى فى قبره وفى السماء السادسة كما ورد بذلك الحديث ، وفى كلامه إشارة إلى أن الضمير فى لقائه عائد على موسى والمصدر مضاف لمفعوله أى من لقائك موسى ليلة الاسراء وهو أقوى الاحتمالات فى هذا الموضع .

لصلاتهم بالليل تهجداً (يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا) من عقابه (وَطَمَعًا) فى رحمته (وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) يتصدقون (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ) خبئ (لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ) ما تقرّ به أعينهم وفى قراءة بسكون الياء مضارع (جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ) أى المؤمنون والفاسقون (أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا) هو ما يعدّ للضيف (بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا) بالكفر والتكذيب (فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ . وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى) عذاب الدنيا بالقتل والأسر والجدب سنين والأمراض (دُونَ) قبل (الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ) عذاب الآخرة (لَعَلَّهُمْ) أى من بقى منهم (يَرْجِعُونَ) إلى الإيمان (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ) القرآن (ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا) أى لا أحد أظلم منه (إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ) أى المشركين (مُنْتَقِمُونَ . وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ) التوراة (فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ) شك (مِنْ لِقَائِهِ) وقد التقيا ليلة الإسراء (وَجَعَلْنَاهُ) أى موسى أو الكتاب (هُدًى) هاديا (لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ؛

وجعلنا

(قوله وجعلنا منهم أئمة) أي وهم الأنبياء الذين كانوا في بني إسرائيل أو أتباع الأنبياء (قوله و إبدال الثانية ياء) تقدم أنها سبعية لكن من طريق الطيبة لا من طريق الشاطبية (قوله لما صبروا) أي تحملوا المشاق فالصبر عواقبه خير كما قيل :

الصبر كالصبر مرّ في مذاقته　　لكن عواقبه أحلى من العسل

والمعنى جعلنا منهم أئمة حين صبروا (قوله وكانوا) عطف على صبروا (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضا وخرجت على جعل اللام للتعليل وما مصدرية أي جعلناهم أئمة لأجل صبرهم (قوله بينهم) أي المؤمنين والمشركين أو بين الأنبياء وأممهم (قوله أولم يهد لهم) الهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة عليه والتقدير أغفلوا ولم يتبين لهم الخ (قوله من القرون) من بيانية لكم ومن قبلهم حال من القرون (قوله إن في ذلك) أي المذكور من كثرة إهلاك الأمم الخالية (قوله اليابسة التي لانبات فيها) أي التي (٢٤٩) قطع وأزيل بالمرة فالجرز معناه القطع ، سميت الأرض اليابسة بذلك لقطع النبات منها ، وقيل المراد بالجرز موضع باليمن (قوله تأكل منه أنعامهم وأنفسهم) قدم الأنعام لأن أكلها مقدم لكونها تأكله قبل أن يثمر (قوله ويقولون متى هذا الفتح) سبب نزولها أن المسلمين كانوا يقولون إن الله سيفتح لنا على المشركين ويفصل بيننا وبينهم وكان أهل مكة إذا سمعوهم يقولون بطريق الاستعجال تكذيبا واستهزاء متى هذا الفتح (قوله قل يوم الفتح) المراد به يوم القيامة لأنه يوم الفصل بين المؤمنين والكافرين (قوله لاينفع الذين كفروا إيمانهم) أي لأن الإيمان المقبول هو الذي يكون في الدنيا ولايقبل بعد خروجهم منها (قوله ولاهم ينظرون) أي يؤخرون وقوله أو معذرة أي اعتذارا (قوله فأعرض عنهم) أي اتركهم ولاتتعرض لهم (قوله وهذا قبل الأمر بقتالهم) أي فهو منسوخ بآية الجهاد ، ويحتمل أن الآية محكمة ، ومعنى فأعرض عنهم أي اقبل عذر من أسلم منهم واترك ماهو عليه ، وقد وقع منه ذلك فقد عفا عن وحشي حين أسلم بعد قتله حمزة عمه صلى الله عليه وسلم وعن جميع من دخل عليهم مكة عام الفتح .

[سورة الأحزاب] أي التي ذكر فيها قصة الأحزاب ، وهذه السورة اشتملت على مدح النبي والصادقين من أصحابه والتشنيع على المنافقين وذمهم ، وكانت هذه السورة قدر سورة البقرة وكانت فيها آية الرجم الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألبتة نكالا من الله والله عزيز حكيم فأبقى الله منها ماهو بأيدينا ورفع الزائد خلافا للروافض حيث كانوا زعموا أن تلك الزيادة كانت في صحيفة في بيت عائشة فأكلها الداجن (قوله مدنية) أي بإجماع .

وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً) بتحقيق الهمزتين و إبدال الثانية ياء : قادة (يَهْدُونَ) الناس (بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا) على دينهم وعلى البلاء من عدوهم (وَكَانُوا بِآيَاتِنَا) الدالة على قدرتنا ووحدانيتنا (يُوقِنُونَ) وفي قراءة بكسر اللام وتخفيف الميم (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) من أمر الدين (أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ) أي يتبين لكفار مكة إهلاكنا كثيرا (مِنَ الْقُرُونِ) الأمم بكفرهم (يَمْشُونَ) حال من ضمير لهم (فِي مَسَاكِنِهِمْ) في أسفارهم إلى الشام وغيرها فيعتبروا (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ) دلالات على قدرتنا (أَفَلَا يَسْمَعُونَ) سماع تدبر واتعاظ (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ) اليابسة التي لانبات فيها (فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ) هذا فيعلمون أنا نقدر على إعادتهم (وَيَقُولُونَ) للمؤمنين (مَتَىٰ هَٰذَا الْفَتْحُ) بيننا و بينكم (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ) بإنزال العذاب بهم (لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ) يمهلون لتوبة أو معذرة (فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ) إنزال العذاب بهم (إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ) بك حادث موت أو قتل فيستريحون منك وهذا قبل الأمر بقتالهم ،

(سورة الأحزاب)

مدنية ، ثلاث وسبعون آية

(قوله يا أيها النبي) لم يخاطبه الله كما خاطب غيره من الأنبياء حيث قال ياموسى ياعيسى ياداود لكونه صلى الله عليه وسلم أفضل الخلق على الاطلاق فخاطبه بما يشعر بالتعظيم والاجلال حيث قال ياأيها النبي ياأيها الرسول وإن ذكر اسمه صريحا أردفه بما يشعر بالتعظيم حيث قال : محمد رسول الله ، وما محمد إلا رسول إلى غير ذلك (قوله أي دم على تقواه) دفع بذلك مايقال إن في الآية تحصيل الحاصل ، وسبب نزول هذه الآية أن أبا سفيان بن حرب وعكرمة بن أبي جهل وأبا الأعور عمرو بن سفيان السلمي قدموا المدينة فنزلوا على عبد الله بن أبي رأس المنافقين بعد قتال أحد وقد أعطاهم النبي صلى الله عليه وسلم الأمان على أن يكلموه فقام معهم عبدالله بن سعد بن أبي سرح وطعمة بن أبيرق فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم وعنده عمر بن الخطاب رضي الله عنه ارفض ذكر آلهتنا اللات والعزى ومناة وقل إن لها شفاعة لمن عبدها وندعك وربك فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فقال عمر يارسول الله إئذن لنا في قتلهم فقال إني أعطيتهم الأمان فقال عمر اخرجوا في لعنة الله وغضبه فأمر النبي عمر أن يخرجهم من المدينة (قوله إن الله كان عليما حكيما) تعليل للأمر والنهي (قوله إن الله كان بما يعملون خبيرا) الواو ضمير الكفرة والمنافقين على قراءة التحتانية وضمير النبي وأمته على قراءة الفوقانية وهما قراءتان سبعيتان (قوله وتوكل على الله) أي اعتمد عليه وفوض أمورك إليه

(بسم الله الرحمن الرحيم . يا أيها النبي اتق الله) دم على تقواه (ولا تطع الكافرين والمنافقين) فيما يخالف شريعتك (إن الله كان عليما) بما يكون قبل كونه (حكيما) فيما يخلقه (واتبع ما يوحى إليك من ربك) أي القرآن (إن الله كان بما يعملون خبيرا) وفي قراءة بالفوقانية (وتوكل على الله) في أمرك (وكفى بالله وكيلا) حافظا لك ، وأمته تبع له في ذلك كله (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه) ردا على من قال من الكفار إن له قلبين يعقل بكل منهما أفضل من عقل محمد (وما جعل أزواجكم اللائي) بهمزة وياء وبلا ياء (تظهرون) بلا ألف قبل الهاء وبها ، والتاء الثانية في الأصل مدغمة في الظاء (منهن) بقول الواحد مثلا لزوجته : أنت علي كظهر أمي (أمهاتكم) أي كالأمهات في تحريمها بذلك المعد ذلك في الجاهلية طلاقا ، وإنما تجب به الكفارة بشرطه كما ذكر في سورة المجادلة (وما جعل أدعياءكم) ،

(قوله وكفى بالله وكيلا) الباء زائدة في فاعل كفى ووكيلا حال (قوله تبع له في ذلك) أي فيما ذكر من قوله : اتق الله إلى هنا (قوله من قلبين في جوفه) أي لأن القلب عليه مدار قوى الجسد فيمتنع تعدده لأنه يؤدي للتناقض وهو أن يكون كل منهما أصلا لكل قوى الجسد وغير أصل له (قوله ردا على من قال الخ) أي وهو أبومعمر جميل بن معمر الفهري كان رجلا لبيبا حافظا لما يسمع فقالت قريش ماحفظ أبو معمر هذه الأشياء إلا من أجل أن له قلبين ، وكان هو يقول : لي قلبان أعقل بكل منهما أفضل من عقل محمد ، فلما هزم الله المشركين يوم بدر انهزم أبومعمر فلقيه أبوسفيان وإحدى نعليه بيده والأخرى برجله فقال له يا أبا معمر ماحال الناس ؟ قال انهزموا فقال مابال إحدى نعليك في يدك والأخرى في رجلك ؟ فقال أبومعمر ماشعرت إلا أنهما في رجلي ، فعلموا يومئذ أنه لوكان له قلبان لما نسي نعله في يده (قوله بهمزة وياء وبلا ياء) أي فهما قراءتان سبعيتان وهو جمع التي ، قال ابن مالك * باللات واللاء التي قد جمعا * (قوله بلا ألف قبل الهاء) أي فأصله تتظهرون بتاءين سكنت الثانية وقلبت ظاء وأدغمت في الظاء (قوله وبها والتاء الثانية في الأصل مدغمة في الظاء) أي فهاتان قراءتان سبعيتان وبقي قراءتان سبعيتان أيضا وهما فتح التاء والهاء مع تخفيف الظاء وأصلها بتاءين حذفت إحداهما وضم التاء وكسر الهاء مع تخفيف الظاء أيضا مضارع ظاهر ، وهذه القراآت واردة في قد سمع أيضا غير فتح التاء والهاء مع تخفيف الظاء لأن المضارع هناك مبدوء بالياء فلاتتأتى فيه ، وفي الماضي ثلاث لغات تظهر كتكلم وتظاهر كتقاتل وظاهر كقاتل (قوله بقول الواحد مثلا لزوجته الخ) أي وضابطه أن يشبه زوجته كلا أو بعضا بظهر مؤبدة التحريم (قوله أمهاتكم) مفعول ثان لجعل (قوله بشرطه) أي وهو العزم على العود فإن لم يعزم على العود فلاتجب عليه الكفارة مالم يمسها وإلا تحتمت عليه ولوطلقها بعد ذلك (قوله وما جعل أدعياءكم) نزلت في حق زيد بن حارثة ، وهو كما روى كان من سبايا الشام فاشتراه حكيم بن حزام بن خويلد

فوهبه لعمته خديجة بنت خويلد فوهبته خديجة للنبي صلى الله عليه وسلم فأعتقه وتبناه فأقام عنده مدة ثم جاء عنده أبوه وعمه فى فدائه فقال لهما النبي صلى الله عليه وسلم: خيراه فاختار الرق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على حريته وقومه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم عند ذلك : يامعشر قريش اشهدوا أنه ابنى يرثنى وأرثه ، وكان يطوف على حلق قريش يشهدهم على ذلك فرضى ذلك عمه وأبوه وانصرفا فزوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش فمكثت معه مدة ثم أخبر الله نبيه أنه زوجه زينب فلما طلقها زيد تزوجها رسول الله فتكلم المنافقون وقالوا تزوج محمد حليلة ابنه وهو يحرمها فنزلت هذه الآية ردا عليهم ، وستأتى هذه القصة فى أثناء السورة (قوله جمع دعى) أى بمعنى مدعو وأصله دعيو اجتمعت الواو والياء وسبقت احداهما بالسكون قلبت الواو ياء وأدغمت فى الياء (قوله أى اليهود) تفسير للكاف فى أفواهكم (قوله ادعوهم لآبائهم) روى أن عمر بن الخطاب قال : ما كنا ندعو زيد بن حارثة إلا زيد ابن محمد حتى نزلت ـ ادعوهم لآبائهم ـ (قوله هو أقسط) أى دعاؤهم لآبائهم أبلغ فى العدل والصدق (قوله فاخوانكم فى الدين) أى فادعوهم بمادة الأخوة بأن تقولوا له يا أخى مثلا (قوله بنو عمكم) تفسير للموالى فانه يطلق على معان من جملتها ابن العم ، والمعنى إذا لم تعرفوا نسب شخص وأردتم خطابه فقولوا له يا ابن عمى مثلا (قوله وليس عليكم جناح) أى إثم (قوله ولكن ماتعمدت) أى ولكن الجناح فيما تعمدته قلوبكم

جمع دعى وهو من يدعى لغير أبيه ابنا له (أَبْنَاءَكُمْ) حقيقة (ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ) أى اليهود والمنافقين قالوا لما تزوج النبي صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش التى كانت امرأة زيد بن حارثة الذى تبناه النبي صلى الله عليه وسلم قالوا تزوج محمد امرأة ابنه فأكذبهم الله تعالى فى ذلك (وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ) فى ذلك (وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ) سبيل الحق ، لكن (ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ) أعدل (عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ) بنو عمكم (وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ) فى ذلك (وَلَٰكِنْ) فى (مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ) فيه وهو بعد النهى (وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا) لما كان من قولكم قبل النهى (رَحِيمًا) بكم فى ذلك (النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ) فيما دعاهم إليه ودعتهم أنفسهم إلى خلافه (وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ) فى حرمة نكاحهن عليهم (وَأُولُو الْأَرْحَامِ) ذوو القرابات (بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ) فى الإرث (فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ) أى من الارث بالايمان والهجرة الذى كان أول الاسلام فنسخ (إِلَّا) لكن (أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا)

(قوله النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) أى أنه صلى الله عليه وسلم أحق بكل مؤمن من نفسه كان فى زمنه أولا فطاعة النبي مقدمة على طاعة النفس فى كل شىء من أمور الدين والدنيا لأنها طاعة الله . قال تعالى ـ من يطع الرسول فقد أطاع الله ـ وإذا كان أولى بهم من أنفسهم فهو أولى بمالهم وأولادهم وأزواجهم من أنفسهم بالأولى فحقه صلى الله عليه وسلم على أمته أعظم من حق السيد على عبده ، وهذه الآية أعظم دليل على أنه صلى الله عليه وسلم هو الواسطة العظمى فى كل نعمة وصلت للخلق (قوله فيما دعاهم إليه) أى من أمور الدين أو الدنيا أو الآخرة فاذا طلب النبي شيئا من أمر الدنيا أو الدين وطلبت النفس خلافه فالحق فى الطاعة للنبي وحينئذ فلا يتأتى من النبي الغصب ولا السرقة ولكن من كمال أخلاقه أنه كان يتداين من اليهود ويشترى الشىء بالثمن ، وإنما جعله الله أولى بالمؤمنين لأنه صلى الله عليه وسلم لا يفعل شيئا عن هوى نفسه بل عن وحى لجميع أفعاله وأقواله عن ربه (قوله وأزواجه أمهاتهم) أى من عقد عليهن سواء دخل بهن أولا مات عنهن أو طلقهن وسراريه اللاتى تمتع بهن كذلك (قوله فى حرمة نكاحهن عليهم) أى والتعظيم والاحترام والبر لا فى غير ذلك من النظر والخلوة فانهن فى ذلك كالأجانب (قوله وأولوا الأرحام) مبتدأ وبعضهم بدل أو مبتدأ ثان وأولى خبر (قوله فى الارث) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف . والتقدير الأقارب أولى بارث بعضهم من أن يرثهم المؤمنون والمهاجرون الأجانب (قوله أى من الارث بالايمان والهجرة) أشار بذلك إلى أن قوله من المؤمنين متعلق بأولى ، يعنى أن الأقارب أولى بارث بعضهم من الارث بسبب الايمان والهجرة الذى كان فى صدر الإسلام ، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يؤاخى بين الرجلين فاذا مات أحدهما ورثه الآخر دون عصبته حتى نزلت وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض (قوله إلا أن تفعلوا) استثناء منقطع ولذا فسره بلكن (قوله إلى أوليائكم) أى من

لوارثه من الأجانب (قوله بوصية) أى فلما نسخ الارث بالايمان والهجرة توصل إلى نفع الأجانب بالوصية وهى خارجة من ثلث المال (قوله مسطورا) أى مكتوبا (قوله وإذ أخذنا) ظرف لمحذوف قدّره بقوله اذكر (قوله وهى أصغر النمل) أى فكل أربعين منها أصغر من جناح بعوضة (قوله بأن يعبدوا الله) أى يوحدوه وهو تفسير للميثاق (قوله ويدعوا إلى عبادته) أى يبلغوا شرائعه للخلق فعهد الأنبياء ليس كعهد مطلق الخلق (قوله من عطف الخاص على العام) أى والنكتة كونهم أولى العزم ومشاهير الرسل وقدّمه صلى الله عليه وسلم لمزيد شرفه وتعظيمه (قوله بما حملوه) أى وهو عبادة الله والدعاء إليها (قوله وهو اليمين) أى الحلف بالله على أن يعبدوا الله ويدعوا إلى عبادته فالميثاق الثانى غير الأول لأن الأول إيصاء على التوحيد والدعوة إليه من غير يمين والثانى مغلظ باليمين والشىء مع غيره غيره فى نفسه (قوله ليسأل الصادقين) متعلق بأخذنا وفى الكلام التفات من التكلم للغيبة كما أشار له المفسر بقوله ثم أخذ الميثاق والمراد بالصادقين الرسل (قوله تبكيتا للكافرين) أى تقبيحا عليهم: أى فالحكمة فى سؤال الرسل عن صدقهم وهو تبليغهم ما أمروا به مع علمه تعالى أنهم صادقون التقبيح على الكفار يوم القيامة (قوله هو عطف على أخذنا) ويصح أن يكون فى الكلام احتباك وهو الحذف من الثانى نظير ما أثبت فى الأول، والتقدير ليسأل الصادقين عن صدقهم فأعد لهم نعيما مقيما ويسأل الكافرين عما أجابوا به رسلهم وأعدّ لهم عذابا أليما (قوله يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم) هذا شروع فى ذكر قصة غزوة الأحزاب

وكانت فى شوّال سنة أربع وقيل خمس. وسببها أنه لما وقع إجلاء بنى النضير من اماكنهم سار منهم جمع من أكابرهم منهم حيى بن أخطب وكنانة ابن الربيع وأبو عمار الوائلى فى نفر من بنى النضير إلى أن قدموا مكة على قريش فحرضوهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله، فقال أبو سفيان مرحبا وأهلا وأحب الناس إلينا من أعاننا على عداوة محمد، ثم قالت قريش لأولئك اليهود يامعشر اليهود إنكم أهل الكتاب الأول فأخبرونا أنحن على الحق أم محمد؟ فقالوا بل أنتم على الحق فأنزل الله ـ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب ـ إلى قوله ـ وكفى بجهنم سعيرا ـ فلما قالوا ذلك لقريش سرّهم ونشطوا لحرب محمد. ثم خرج أولئك اليهود حتى جاءوا غطفان وقيس غيلان فاجتمعوا على ذلك وخرجت قريش وقائدهم أبو سفيان وخرجت غطفان وقائدهم عيينة بن حصن ولما تهيأ الكل للخروج أتى ركب من خزاعة فى أربع ليال حتى أخبروا محمدا بما اجتمعوا عليه فشرع فى حفر الخندق باشارة سلمان الفارسى، فقال له يارسول الله إنا كنا بفارس إذا حاصرونا خندقنا علينا فعمل فيه النبى والمسلمون حتى أحكموه وكان النبى يقطع لكل عشرة أربعين ذراعا ومكثوا فى حفره ستة أيام، وقيل خمسة عشر، وقيل أربعة وعشرين، وقيل شهرا. قال عمرو بن عوف كنت أنا وسلمان وحذيفة والنعمان بن مقرن المزنى وستة من الأنصار فى أربعين ذراعا فحفرنا وإذا ببطن الخندق صخرة كسرت حديدنا وشقت علينا، فقلنا ياسلمان ارق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره بخبر هذه الصخرة فأتى سلمان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال يارسول الله خرجت لنا صخرة بيضاء مروة من بطن الخندق فكسرت حديدنا وشقت علينا فمرنا فيها بأمرك فإنا لا نحب أن نجاوز خطتك فهبط رسول الله صلى الله عليه وسلم مع سلمان إلى الخندق وأخذ المعول من سلمان وضربها به ضربة صدعها وبرق منها برق أضاء مابين لابتيها: يعنى المدينة حتى كأن مصباحا فى جوف بيت مظلم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكبر المسلمون معه ثم ضربها الثانية فبرق منها برق مثل الأول فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكبر المسلمون معه ثم

بوصية فجائز (كَانَ ذَٰلِكَ) أى نسخ الارث بالايمان والهجرة بارث ذوى الأرحام (فِى الْكِتَابِ مَسْطُورًا) وأريد بالكتاب فى الموضعين اللوح المحفوظ (وَ) اذكر (إِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ) حين أخرجوا من صلب آدم كالذر جمع ذرة وهى أصغر النمل (وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ) بأن يعبدوا الله ويدعوا إلى عبادته، وذكر الخمسة من عطف الخاص على العام (وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا) شديدا بالوفاء بما حملوه وهو اليمين بالله تعالى ثم أخذ الميثاق (لِيَسْأَلَ) الله (الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ) فى تبليغ الرسالة تبكيتا للكافرين بهم (وَأَعَدَّ) تعالى (لِلْكَافِرِينَ) بهم (عَذَابًا أَلِيمًا) مؤلما هو عطف على أخذنا (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ،

ضربها

ضربها الثالثة فكسرها فبرق منها برق مثل الأول وأخذ بيد سلمان ورقى فقال بأبى أنت وأمى يارسول الله لقد رأيت شيئا ما رأيت مثله قط ، فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى القوم وقال أرأيتم ما يقول سلمان؟ قالوا نعم . قال ضربت ضربتى الأولى فبرق البرق الذى رأيتم فأضاء لى منها قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب وأخبرنى جبريل أن أمتى ظاهرة عليها ، ثم ضربت الثانية فبرق لى الذى رأيتم أضاءت لى منها قصور قيصر من أرض الروم كأنها أنياب الكلاب وأخبرنى جبريل أن أمتى ظاهرة عليها ثم ضربت الثالثة فبرق الذى رأيتم أضاءت لى منها قصور صنعاء كأنها أنياب الكلاب وأخبرنى جبريل أن أمتى ظاهرة عليها فأبشروا فاستبشر المسلمون وقالوا الحمد لله موعد صدق وعدنا النصر بعد الحصر ، فقال المنافقون ألا تعجبون يمنيكم و يعدكم الباطل ويخبر أنه ينظر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم وأنتم إنما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون أن تبرزوا فنزل قوله تعالى ـ و إذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا ـ وقوله تعالى ـ قل اللهم مالك الملك ـ الآية ، فلما فرغوا من حفره أقبلت قريش والقبائل وجلتهم اثنا عشر ألفا فنزلوا حول المدينة والخندق بينهم و بين المسلمين ، فلما رأته قريش قالوا هذه مكيدة لم تكن العرب تعرفها ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع فى ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب هنالك عسكره والخندق بينهم و بين القوم وخرج عدوّ الله حيى بن أخطب رئيس بنى النضير حتى أتى كعب بن أسد القرظى سيد بنى قريظة ، فلما سمع كعب حييا أغلق دونه حصنه فاستأذن عليه فأبى أن يفتح له وقال له ويحك ياحيى إنك امرؤ ميشوم إنى عاهدت محمدا فلست بناقض فانى لم أر منه إلا وفاء وصدقا فما زال حيى به ويقول له جئتك بعز الدهر حتى فتح له ونقض عهد رسول الله ، فلما انتهى الخبر إلى رسول الله بعث لهم سعد ابن معاذ سيد الأوس وسعد بن عبادة سيد الخزرج وعبد الله بن رواحة فوجدوهم نقضوا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فشاتموهم وقالوا لهم لا عهد بيننا و بينكم ورجعوا وأخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر أبشروا يامعشر المسلمين فشرعوا يترامون مع المسلمين بالنبل ومكثوا فى ذلك الحصار خمسة عشر يوما ، وقيل أربعة وعشرين يوما فاشتدّ على المسلمين الخوف . ثم إن نعيم بن مسعود الأشجعى (٢٥٣) من غطفان جاء إلى رسول الله

صلى الله عليه وسلم فقال له إنى أسلمت و إن قومى لم يعلموا باسلامى فمرنى بما شئت ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خذل عنا إن استطعت فان الحرب خدعة ، فخرج نعيم حتى أتى بنى قريظة وكان نديمالهم فى الجاهلية فقال لهم قد عرفتم ودّى إياكم وخاصة ما بينى و بينكم . قالوا صدقت لست عندنا بمتهم ، فقال لهم إن قريشا وغطفان جاءوا لحرب محمد وقد ظاهرتموهم عليه و إن قريشا وغطفان ليسوا كهيئتكم البلد بلدكم به أموالكم وأولادكم ونساؤكم لا تقدرون على أن تتحوّلوا منه إلى غيره و إن قريشا وغطفان أموالهم وأبناؤهم ونساؤهم بغيره و إن رأوا نهزة وغنيمة أصابوا و إن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم و بين هذا الرجل ولا طاقة لكم عليه إن خلا بكم فلا تقاتلوه مع القوم حتى تأخذوا رهنا من أشرافهم يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن يقاتلوا معكم محمدا حتى لا يتأخروا ، قالوا لقد أشرت برأى ونصح . ثم خرج حتى أتى قريشا فقال لأبى سفيان بن حرب ومن معه قد عرفتم ودّى إياكم وفراقى محمدا فقد بلغنى أمر رأيت حقا علىّ أن أبلغكم نصحا لكم فاكتموا علىّ قالوا نفعل ، قال تعلمون أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم و بين محمد وقد أرسلوا إليه أن قد ندمنا على مافعلنا فهل يرضيك منا أن نأخذ من قريش وغطفان رجالا من أشرافهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقى منهم؟ فأرسل إليهم أن نعم فان بعثت إليكم يهود يلتمسون رهنا من رجالكم فلا تدفعوا اليهم منكم رجلا واحدا ، ثم خرج حتى أتى غطفان فقال يامعشر غطفان أنتم أهلى وعشيرتى وأحب الناس إلىّ ولا أراكم تتهمونى قالوا صدقت . قال فاكتموا على . قالوا نفعل فقال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم مثل ما حذرهم ، فلما كانت ليلة السبت من شوّال سنة خمس ، وكان مما صنع الله لرسوله صلى الله عليه وسلم أرسل أبو سفيان ورءوس غطفان إلى بنى قريظة فقالوا لهم إنا لسنا بدار مقام قد هلك الخف والحافر فاغدوا للقتال حتى تناجز محمدا ونفرغ مما بيننا و بينه فأرسلوا اليهم إن اليوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيئا وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثا فأصابهم مالم يخف عليكم ولسنا من الذين نقاتل معكم (١) حتى تعطونا رهنا من رجالكم يكون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز معكم محمدا فانا نخشى إن ضرستكم الحرب واشتدّ عليكم القتال أن تسيروا إلى بلادكم وتتركونا والرجل فى بلادنا ولا طاقة لنا بذلك من محمد فلما رجعت اليهم الرسل بالذى قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان تعلمون والله أن الذى حدثكم به نعيم بن مسعود

(١) قوله : ولسنا من الذين نقاتل معكم ، هكذا فى النسخ ، والذى فى الزرقانى على المواهب : ولسنا مع ذلك بمقاتلين معكم .

إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ) من الكفار متحزبون أيام حفر الخندق (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا) من الملائكة (وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ) بالتاء من حفر الخندق ، وبالياء من تحزيب المشركين (بَصِيرًا . إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ) من أعلى الوادى وأسفله من المشرق والمغرب (وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ) مالت عن كل شيء إلى عدوها من كل جانب (وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ) جمع حنجرة وهى منتهى الحلقوم من شدة الخوف (وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا) المختلفة بالنصر واليأس (هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ) اختبروا ليتبين المخلص من غيره (وَزُلْزِلُوا) حركوا (زِلْزَالًا شَدِيدًا) من شدة الفزع ،

لحق فأرسلوا إلى بنى قريظة إنا والله لاندفع إليكم رجلا واحدا من رجالنا فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا ، فقالت بنو قريظة حين انتهت إليهم الرسل بهذا : إن الذى ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق مايريد القوم إلا أن يقاتلوا فإن وجدوا فرصة انتهزوها ، وإن كان غير ذلك انتهزوا إلى بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل فى بلادكم فأرسلوا إلى قريش وغطفان إنا والله لانقاتل معكم حتى تعطونا رهنا ، فأبوا عليهم وخذل الله عز وجل بينهم و بعث الله عليهم ريحا عاصفا وهى ريح الصبا فى ليلة شديدة البرد والظلمة ، فقلعت بيوتهم وقطعت أطنابهم وكفأت قدورهم وصارت تلقى الرجل على الأرض ، وأرسل الله الملائكة فزلزلتهم ولم تقاتل بل نفثت فى قلوبهم الرعب ، ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من يقوم فيذهب إلى هؤلاء القوم فيأتينا بخبرهم أدخله الله الجنة فما قام منا رجل ، ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هويا من الليل ثم التفت إلينا فقال مثله فسكت القوم وماقام منا أحد ، ثم صلى هويا من الليل ثم التفت إلينا فقال مثله فسكت القوم وماقام أحد منا من شدة الخوف والجوع والبرد ، ثم قال ياحذيفة فقلت لبيك يارسول الله وقمت حتى أتيته ، فأخذ بيدى ومسح رأسى ووجهى ثم قال : ائت هؤلاء القوم حتى تأتينى بخبرهم ولا تحدثن شيئا حتى ترجع إلىّ ، ثم قال : اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته ، فأخذت سهمى ثم انطلقت أمشى نحوهم كأنما أمشى فى حمام فذهبت فدخلت فى القوم وقد أرسل الله عليهم ريحا وجنود الله تفعل بهم ماتفعل لاتقر لهم قدرا ولا نارا ولا بناء وأبوسفيان قاعد يصطلى ، فأخذت سهما فوضعته فى كبد قوسى فأردت أن أرميه ولو رميته لأصبته فذكرت قول رسول الله صلى الله (٢٥٤) عليه وسلم لاتحدثن حدثا حتى ترجع فرددت سهمى فى كنانتى ، فلما رأى أبو سفيان ما تفعل الريح وجنود الله بهم لاتقرّ لهم قدرا ولا نارا ولا بناء قام فقال : يا معشر قريش ليأخذ كلّ منكم بيد جليسه فلينظر من هو فأخذت بيد جليسى فقلت من أنت ؟ فقال سبحان الله أماتعرفنى أنا فلان بن فلان رجل من هوازن فقال أبو سفيان يا معشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام فقد هلك الكراع والخف وأخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذى نكره ولقينا من هذه الريح ماترون فارتحلوا فانى مرتحل ، ثم قام إلى جمله وهومعقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب على ثلاث فما أطلق عقاله إلا وهو قائم ، وسمعت غطفان بما فعلت قريش فاستمرّوا راجعين إلى بلادهم . قال فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنى أمشى فى حمام فأتيته وهو قائم يصلى ، فلما سلم أخبرته فضحك حتى بدت أنيابه فى سواد الليل ، فلما أخبرته وفرغت قررت وذهب عنى الدفء ، فأدنانى النبى صلى الله عليه وسلم فأنامنى عند رجليه وألقى علىّ طرف ثوبه وألصق صدرى ببطن قدميه ، فلم أزل نائما حتى أصبحت فلما أصبحت قال قم يانومان (قوله إذ جاءتكم) بدل من نعمة والعامل اذكروا (قوله متحزبون) أى مجتمعون ، وتقدم أنهم كانوا اثنى عشر ألفا وكان المسلمون إذ ذاك ثلاثة آلاف والمنافقون من جملتهم (قوله ريحا) أى وهى الصبا التى تهب من المشرق ولم تجاوزهم (قوله ملائكة) أى وكانوا ألفا ولم يقاتلوا وإنما ألقوا الرعب فى قلوبهم (قوله وبالياء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله إذ جاءوكم) بدل من إذ جاءتكم (قوله من أعلى الوادى) أى وهم أسد وغطفان (قوله وأسفله) أى وهم قريش وكنانة (قوله من المشرق والمغرب) لف ونشر مرتب (قوله من كل جانب) أى المحيط من كل جانب (قوله وهى منتهى الحلقوم) أى من أسفله (قوله الظنونا) بألف بعد النون وصلا ووقفا وبدونها فى الحالين وباثباتها وقفا وحذفها وصلا ثلاث قراءات سبعيات وتجرى فى قوله أيضا السبيلا والرسولا فى آخر السورة (قوله بالنصر) أى من المؤمنين وقوله واليأس أى من المنافقين و بعض الضعفاء (قوله هنالك) ظرف مكان أى فى ذلك المكان وهو الخندق (قوله زلزالا) بكسر الزاى فى قراءة العامة وقرئ شذوذا بفتح الزاى وهما لغتان فى مصدر الفعل المضعف إذا جاء على فعلال كصلصال

وقتال (قوله وإذ يقول المنافقون الخ) القائل معتب بن بشير ، وقال أيضا بعدنا محمد بفتح فارس والروم وأحدنا لايقدر أن يتبرز فرقا وخوفا ماهذا إلا وعد غرور (قوله وإذ قالت طائفة منهم) القائل هو أوس بن قيظى بكسر الظاء المعجمة من رؤساء المنافقين (قوله هى أرض المدينة) أى فسميت باسم رجل من العمالقة كان نزلها قديما ، وقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن تسميتها بذلك وسماها طيبة وطابة وقبة الاسلام ودار الهجرة (قوله ووزن الفعل) أى فهى على وزن يضرب (قوله بضم الميم وفتحها) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله ولا مكانة) أى تمكنا فهو بمعنى الاقامة (قوله جبل خارج المدينة) أى بينها و بين الخندق فجعل المسلمون ظهورهم إليه ووجوههم للعدو (قوله ويستأذن) عطف على قالت طائفة وعبر بالمضارع استحضارا للصورة (قوله يخشى عليها) أى من السراق لكونها قصيرة البناء (قوله قال تعالى) أى تكذيبا لهم (قوله ولودخلت عليهم) أى دخلها الأحزاب (قوله الشرك) أى ومقاتلة المسلمين

(قوله بالمد والقصر) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله أى أعطوها وفعلوها) لف ونشر مرتب (قوله وما تلبثوا بها إلا يسيرا) أى ما أقاموا بالمدينة بعد نقض العهد وإظهار الكفر وقتال المسلمين إلا زمنا قليلا ويهلكون فالعزة لله ورسوله والمسلمين، فالمعنى لو دخل الكفار المدينة وارتد هؤلاء المنافقون وقاتلوكم مع الكفار لأخذ الله بأيديكم سريعا بقطع دابرهم فلا تخشوا منهم داخل المدينة أو خارجها (قوله من قبل) أى قبل غزوة الخندق (قوله لايولون الأدبار) أى بل يثبتون على القتال حتى يموتوا شهداء (قوله مسئولا عن الوفاء به) أى مسئولا صاحبه هل وفى به أم لا (قوله إن فررتم من الموت أو القتل) أى لأنه مصيبكم لامحالة (قوله وإذا لاتمتعون إلا قليلا) أى وإن نفعكم الفرار وتمتعتم بالتأخير لم يكن ذلك التمتع إلا زمنا قليلا (قوله أو أراد بكم رحمة) قدر له المفسر عاملا يناسبه وهو قوله أو يصيبكم بسوء لأنه لايصلح لتسلط العامل السابق وهو يعصمكم على حد * علفتها تبنا وماء باردا * (قوله المثبطين) أى المكسلين غيرهم عن القتال فى سبيل الله وهم المنافقون (قوله والقائلين) عطف على المعوقين وقوله لاخوانهم : أى فى الكفر والعداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمراد بالقائلين اليهود من بنى قريظة (قوله هلم إلينا) اسم فعل ويلزم صيغة واحدة للواحد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث وهذه لغة أهل الحجاز وعند تميم هو فعل أمر تلحقه العلامات الدالة على التثنية والجمع والتأنيث ومقتضى عبارة المفسر أنه لازم حيث فسره بتعالوا ويصح جعله متعديا بمعنى قربوا ومفعوله محذوف والتقدير أنفسكم إلينا (قوله رياء وسمعة) أى لأن شأن من يكسل غيره عن الحرب لايفعله إلا قليلا لغرض خبيث (قوله أشحة عليكم) أى مانعين للخير عنكم .

(وَ) اذكر (إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) ضعف اعتقاد (مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ) بالنصر (إِلَّا غُرُورًا) باطلا (وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ) أى المنافقين (يَا أَهْلَ يَثْرِبَ) هى أرض المدينة ولم تصرف للعلمية ووزن الفعل (لَا مُقَامَ لَكُمْ) بضم الميم وفتحها أى لا إقامة ولا مكانة (فَارْجِعُوا) إلى منازلكم من المدينة، وكانوا خرجوا مع النبى صلى الله عليه وسلم إلى سلع: جبل خارج المدينة للقتال (وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ) فى الرجوع (يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ) غير حصينة يخشى عليها ، قال تعالى (وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ) ما (يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا) من القتال (وَلَوْ دُخِلَتْ) أى المدينة (عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا) نواحيها (ثُمَّ سُئِلُوا) أى سألهم الداخلون (الْفِتْنَةَ) الشرك (لَآتَوْهَا) بالمد والقصر أى أعطوها وفعلوها (وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا . وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا) عن الوفاء به (قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا) إن فررتم (لَا تُمَتَّعُونَ) فى الدنيا بعد فراركم (إِلَّا قَلِيلًا) بقية آجالكم (قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ) يجيركم (مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا) هلاكا وهزيمة (أَوْ) يصيبكم بسوء إن (أَرَادَ) الله (بِكُمْ رَحْمَةً) خيرا (وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ) أى غيره (وَلِيًّا) ينفعهم (وَلَا نَصِيرًا) يدفع الضر عنهم (قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ) المثبطين (مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ) تعالوا (إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ) القتال (إِلَّا قَلِيلًا) رياء وسمعة (أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ) بالمعاونة

(قوله جمع شحيح) هذا هو المسموع فيه وقياسه أفعلاء كخليل وأخلاء، والشح البخل (قوله رأيتهم ينظرون إليك الخ) هذا وصف لهم بالجبن لأن شأن الجبان الخائف ينظر يمينا وشمالا شاخصا ببصره (قوله كنظر أو كدوران) أشار بذلك إلى أن قوله كالذى يغشى عليه نعت لمصدر محذوف من ينظرون أو من تدور (قوله كالذى يغشى عليه من الموت) أى لأنه يشخص ببصره ويذهب عقله (قوله سلقوكم) السلق بسط العضو ومدّه للقهر كان يدا أو لسانا، ففى الآية استعارة بالكناية حيث شبه اللسان بالسيف وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشىء من لوازمه وهو السلق بمعنى الضرب فاثباته تخييل والحداد ترشيح (قوله أشحة على الخير) أى مانعين له فلا نفع فى أنفسهم ولا فى مالهم (قوله لم يؤمنوا حقيقة) أى بقلوبهم وإن أسلموا ظاهرا (قوله فأحبط الله أعمالهم) أى أظهر بطلانها (قوله يحسبون) أى المنافقون لشدة جبنهم (قوله الأحزاب) أى قريشا وغطفان واليهود (قوله لو أنهم بادون فى الأعراب) أى ساكنون فى البادية خارج المدينة ليكونوا فى بعد عن الأحزاب (قوله يسألون عن أنبائكم) يصح أن يكون حالا من الواو فى بادون أو جملة مستأنفة، والمعنى يسألون كل قادم من جانب المدينة عما جرى بينكم وبين الكفار قائلين فيما بينهم إن غلب المسلمون قاسمناهم فى الغنيمة وإن غلب الكفار فنحن معهم

جمع شحيح وهو حال من ضمير يأتون (فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِى) كنظر أو كدوران الذى (يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ) أى سكراته (فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ) وحيزت الغنائم (سَلَقُوكُمْ) آذوكم أوضربوكم (بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ) أى الغنيمة يطلبونها (أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا) حقيقة (فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ) الإحباط (عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا) بإرادته (يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ) من الكفار (لَمْ يَذْهَبُوا) إلى مكة لخوفهم منهم (وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابُ) كرة أخرى (يَوَدُّوا) يتمنوا (لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى الْأَعْرَابِ) أى كائنون فى البادية (يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبَائِكُمْ) أخباركم مع الكفار (وَلَوْ كَانُوا فِيكُم) هذه الكرة (مَّا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا) رياء وخوفا من التعيير (لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ اللَّهِ إِسْوَةٌ) بكسر الهمزة وضمها (حَسَنَةٌ) اقتداء به فى القتال والثبات فى مواطنه (لِّمَن) بدل من لكم (كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ) يخافه (وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) بخلاف من ليس كذلك (وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ) من الكفار (قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ) من الابتلاء والنصر (وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ) فى الوعد

(قوله لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة) هذه الآية وما بعدها إلى قوله — وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب — من تمام قصة الأحزاب وفيها عتاب للمتخلفين عن القتال مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المؤمنين والمنافقين (قوله بكسر الهمزة وضمها) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله اقتداء) أشار بذلك إلى أن الأسوة اسم بمعنى المصدر وهو الائتساء يقال ائتسى فلان بفلان أى اقتدى به (قوله فى القتال) لامفهوم له بل الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم واجب فى الأقوال والأفعال والأحوال، لأنه لا ينطق ولا يفعل عن هوى بل جميع أفعاله وأقواله وأحواله عن ربه، ولذا قال العارف:

وخصك بالهدى فى كل أمر فلست تشاء إلا ما يشاء

وإنما خص القتال بالذكر لأنه معرض السبب (قوله لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر) أى فالمتصف بهذه الأوصاف ثبتت له الأسوة الحسنة فى رسول الله وأما من لم يكن متصفا بتلك الأوصاف فليس كذلك (قوله وذكر الله كثيرا) أى بلسانه أوجنانه أو ماهو أعم (قوله ولما رأى المؤمنون الأحزاب) أى أبصروهم محدقين حول المدينة (قوله قالوا هذا ما وعدنا الله) أى بقوله: أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب — وقوله ورسوله أى بقوله إن الأحزاب سائرون إليكم بعد تسع ليال أو عشر والعاقبة لكم عليهم (قوله وصدق الله ورسوله) أى ظهر صدق خبر الله ورسوله فى الوعد بالنصر فاستبشروا بالنصر قبل حصوله، وأظهر فى محل الاضمار زيادة فى تعظيم اسم الله ولأنه لو أضمر لجمع بين اسم الله واسم رسوله فى ضمير واحد مع أن النبى صلى الله عليه وسلم عاب على من قال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى فقال له بئس خطيب القوم أنت قل ومن يعص الله ورسوله

(قوله وما زادهم ذلك) أي الوعد أو الصدق (قوله من المؤمنين رجال صدقوا الخ) هم جماعة من الصحابة نذروا أنهم إذا أدركوا حربا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا (قوله فمنهم من قضى نحبه) أي وفى نذره بموته فى القتال يقال نحب ينحب من باب قتل : نذر ، ومن باب ضرب : بكى (قوله ومنهم من ينتظر ذلك) أي قضاء النحب بالموت فى سبيل الله (قوله بخلاف حال المنافقين) أي فقد بدلوا وغيروا فكان الواحد منهم إذا أراد القتال إنما يقاتل خوفا على نفسه وماله لا طمعا فى رضا الله (قوله ليجزى الله الصادقين) متعلق بمحذوف تقديره خلق المؤمنين والمنافقين وفرق بين نياتهم ليجزى الله الخ (قوله بأن يميتهم على نفاقهم) أشار بذلك إلى أن مفعول شاء محذوف ودفع بذلك مايقال إن عذابهم متحتم فكيف علق على المشيئة فالتعليق بحسب علمنا ، وأما فى علم الله فالأمر محتم إما بالسعادة أو الشقاوة وسيظهر ذلك للعباد (قوله بغيظهم) الجملة حالية أي ملتبسين بالغيظ (قوله لم ينالوا خيرا) حال ثانية (قوله وكفى الله المؤمنين القتال) أي لم يحصل بينهم اختلاط فى الحرب بل إنما كان بينهم ضرب بالسهام والخندق بينهم (قوله بالريح) أي فكفأت قدورهم وقطعت خيامهم (قوله والملائكة) أي بالقاء الرعب فى قلوبهم وتقدم بسط ذلك فى القصة (قوله وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب الخ) شروع فى ذكر قصة بنى قريظة وذكرت عقب الأحزاب لكون بنى قريظة كانوا من جملة الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ونقضوا عهده وحاربوه . قال العلماء بالسير : لما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليلة التى انصرف

(وَمَا زَادَهُمْ) ذلك (إِلَّا إِيمَانًا) تصديقاً بوعد الله (وَتَسْلِيماً) لأمره (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ) من الثبات مع النبى صلى الله عليه وسلم (فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ) مات أو قتل فى سبيل الله (وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ) ذلك (وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً) فى العهد وهم بخلاف حال المنافقين (لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ) بأن يميتهم على نفاقهم (أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً) لمن تاب (رَحِيماً) به (وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا) أى الأحزاب (بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً) مرادهم من الظفر بالمؤمنين (وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ) بالريح والملائكة (وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا) على إيجاد مايريده (عَزِيزاً) غالباً على أمره (وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ) أى قريظة (مِنْ صَيَاصِيهِمْ) حصونهم جمع صيصية : وهو مايتحصن به (وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ) الخوف

فيها الأحزاب راجعين إلى بلادهم انصرف هو والمؤمنون إلى المدينة ووضعوا السلاح فلما كان الظهر أتى جبريل وعليه عمامة من إستبرق راكبا على بغلة بيضاء عليها قطيفة من ديباج ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند زينب بنت جحش وهى تغسل رأسه وقد غسلت شقه الأيمن فقال يارسول الله قد وضعت السلاح قال نعم قال جبريل عفا الله عنك ماوضعت الملائكة السلاح منذ أربعين ليلة وما رجعت الآن إلا من طلب القوم فقال إن الله يأمرك بالسير إلى بنى قريظة فانهض إليهم فانى قد قطعت أوتارهم وفتحت أبوابهم وتركتهم فى زلزال وألقيت الرعب فى قلوبهم فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مناديا ينادى إن من كان مطيعا فلا يصلين العصر إلا فى بنى قريظة فحاصرهم المسلمون خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار وقذف الله فى قلوبهم الرعب ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أتنزلون على حكمى فأبوا فقال أتنزلون على حكم سعد بن معاذ سيد الأوس فرضوا به فحكمه فيهم فقال سعد إنى أحكم فيهم أن تقتل الرجال وتقسم الأموال وتسبى الذرارى والنساء فقال صلى الله عليه وسلم لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سموات فحبسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دار بنت الحرث من نساء بنى النجار ثم خرج إلى سوق المدينة الذى هو سوقها اليوم فخندق فيه خندقا ثم بعث إليهم فأتى بهم إليه وفيهم حيي بن أخطب رئيس بنى النضير وكعب بن أسد رئيس بنى قريظة وكانوا ستمائة أو سبعمائة فأمر عليا والزبير بضرب أعناقهم وطرحهم فى ذلك الخندق ، فلما فرغ من قتلهم وانقضى شأنهم توفى سعد المذكور بالجرح الذى أصابه فى وقعة الأحزاب وحضره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر قالت عائشة فوالذى نفس محمد بيده إنى لأعرف بكاء عمر من بكاء أبى بكر وأنا فى حجرتى قالت وكانوا كما قال الله تعالى رحماء بينهم (قوله وهو مايتحصن به) أى سواء كان من الحصون أولا حتى الشوكة والقرن و باب الدار ونحو ذلك تسمى صيصية

(قوله فريقا تقتلون) بيان لما فعل بهم (قوله وهم المقاتلة) أى وكانوا ستمائة ، وقيل سبعمائة (قوله أى الذرارى) أى وكانوا سبعمائة وقيل وخمسين (قوله بعد) أى الآن وعبر بالماضى لتحقق الحصول (قوله وهى خيبر) أى وغيرها من كل أرض ظهر عليها المسلمون بعد ذلك إلى يوم القيامة (قوله أخذت بعد قريظة) أى بسنتين أو ثلاث على الخلاف المتقدم فى قريظة هل هى فى الرابعة أو الخامسة وخيبر كانت فى السابعة فى أول المحرم وهى مدينـة كبيرة ذات حصون ثمانية وذات مزارع ونخل كثير بينها و بين المدينة الشريفة أربع مراحل فأقبل عليها صبيحة النهار وفى تلك الليلة لم يصح لهم ديك ولم يتحركوا وكان فيها عشرة آلاف مقاتل فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها وحاصرها و بنى هناك مسجدا صلى به طول مقامه عندها وقطع من نخلها أربعمائة نخلة وسبى أهلها وأصاب من سبيها صفية بنت حيي بن أخطب رئيس بنى النضير وكانت وقعت فى سهم دحية الكلبى فتنازع بعض الصحابة فى شأن ذلك فأخذها رسول الله وأرضاه وكانت من سبط هرون أخى موسى فأسلمت ثم أعتقها وتزوجها وجعل عتقها صداقها (قوله يأيها النبي قل لأزواجك) اختلف المفسرون فى هذا التخيير هل كان تفويضا فى الطلاق إليهن فيقع بنفس الاختيار أم لا فذهب الحسن وقتادة وأكثر أهل العلم إلى أنه لم يكن تفويضا فى الطلاق و إنما خيرهن على أنهن إن اخترن الدنيا فارقهن لقوله تعالى : فتعالين أمتعكن وأسرحكن ، وذهب قوم إلى أنه كان تفويضا وأنهن لو اخترن الدنيا لكان طلاقا فلا يحتاج لانشاء صيغة من رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله وهن تسع) أى وهن اللاتى مات عنهن وقد جمعهن بعض العلماء بقوله :

توفى رسول الله عن تسع نسوة ، إليهن تعزى المكرمات وتنسب

فعائشة ميمونة وصفية * وحفصة تتلوهن هند وزينب

جويرية مع رملة ثم سودة ثلاث وست نظمهن مهذب

فعائشة هى بنت أبى بكر وحفصة بنت عمر بن الخطاب ، وميمونة بنت الحرث الهلالية وصفية بنت حيى بن أخطب من بنى النضير وهند هى أم سلمة بنت أبى أمية وزينب بنت جحش وجويرية بنت الحرث الخزاعية المصطلقية ورملة هى أم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب وسودة هى بنت زمعة (قوله إن كنتن تردن الحياة الدنيا) أى التنعم فيها (قوله وزينتها) أى زخارفها ، روى أن أبا بكر جاء ليستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد الناس جلوسا ببابه لم يؤذن لأحد منهم قال فأذن لأبى بكر فدخل ثم جاء عمر فاستأذن فأذن له فدخل فوجد النبي صلى الله عليه وسلم جالسا واجما ساكتا وحوله نساؤه قال عمر فقلت والله لأقولن شيئا أضحك به النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله لو رأيت بنت خارجة سألتنى النفقة فقمت إليها فوجأت عنقها فضحك النبي صلى الله عليه وسلم وقال هن حولى كما ترى يسألننى النفقة فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عنقها وقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها كلاهما يقول تسألن رسول الله ماليس عنده فقلن والله لانسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا أبدا ماليس عنده ثم اعتزلهن شهرا ثم نزلت هذه الآية : يأيها النبي قل لأزواجك حتى بلغ للمحسنات منكن أجرا عظيما قال فبدأ بعائشة فقال ياعائشة : إنى أريد أن أعرض عليك أمرا أحب أن لا تعجلى فيه حتى تستشيرى أبويك ؟ قالت وماهو يارسول الله فتلا عليها الآية قالت أفيك يارسول الله أستشير أبوى بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة وكلهن قلن كما قالت عائشة فشكرلهن ذلك فأنزل الله : لايحل لك النساء من بعد ، ثم رفع ذلك الحرج بقوله تعالى ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له وبقوله ترجى من تشاء منهن وتؤوى إليك من تشاء (قوله فتعالين) فعل أمر مبنى على السكون ونون النسوة فاعل (قوله أمتعكن) جواب الشرط وما بينهما اعتراض و يصح أن يكون مجزوما فى جواب الأمر والمجواب هو قوله فتعالين (قوله أطلقكن من غير ضرار) أى من غير تعب ولا مشقة .

(فَرِيقًا تَقْتُلُونَ) منهم وهم المقاتلة (وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا) منهم أى الذرارى (وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا) بعد وهى خيبر أخذت بعد قريظة (وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا . يَٰأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ) وهنّ تسع وطلبن منه من زينة الدنيا ماليس عنده (إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ) أى متعة الطلاق (وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا) أطلقكن من غير ضرار (وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ) أى الجنة (فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ) بإرادة الآخرة (أَجْرًا عَظِيمًا) أى الجنة :

فاخترن

(قوله فاخترن الآخرة على الدنيا) أى ودمن على ذلك فكن زاهدات فى الدنيا حتى ورد أن عائشة دخل عليها ثمانون ألف درهم من بيت المال فأمرت جاريتها بتفرقتها ففرقتها فى مجلس واحد ، فلما فرغت طلبت عائشة منها شيئا تفطر به وكانت صائمة فلم تجد منها شيئا (قوله يانساء النبى من يأت منكن بفاحشة الخ) هذه الآيات خطاب من الله لأزواج النبى إظهارا لفضلهن وعظم قدرهن عند الله تعالى لأن العتاب والتشديد فى الخطاب مشعر برفعة رتبتهن لشدة قربهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنهن ضجيعاته فى الجنة فبقدر القرب من رسول الله يكون القرب من الله خلافا لمن شذ وزعم أن حب النبى والقرب منه والتعلق به شرك (قوله بفاحشة) قيل المراد بها الزنا ، والمعنى لو وقع من واحدة منكن هذا الفعل لحقت حدين لعظم قدرها كالحرة بالنسبة للأمة ، وعلى هذا القول فلا خصوصية لنساء النبى بل جميع نساء الأنبياء مصونات من الزنا ، ولذا قال ابن عباس مابغت امرأة نبي قط ، وإنما خانت امرأة نوح ولوط فى الايمان والطاعة ، وقيل المراد به النشوز وسوء الخلق ، وقيل الفاحشة إذا وردت معرفة فهى الزنا واللواط وإن وردت منكرة فهى سائر المعاصى وإن وردت منعوتة كما هنا فهى عقوق الزوج وسوء عشرته ، وقيل المراد بها جميع المعاصى وهو الأظهر وهذا على سبيل الفرض والتقدير على حد : لئن أشركت ليحبطن عملك وإلا فنساء النبى مطهرات مصونات من الفواحش (قوله بفتح الياء وكسرها) أى فيهما قراءتان سبعيتان (قوله أى بينت الخ) لف ونشر مرتب (قوله وفى قراءة يضعف) أى والثلاث سبعيات

(قوله العذاب) أى عذاب الدنيا

فاخترن الآخرة على الدنيا (يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ) بفتح الياء وكسرها : أى بينت أو هى بينة (يُضَاعَفْ) وفى قراءة يضعف بالتشديد ، وفى أخرى نضعف بالنون معه ونصب العذاب (لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ) ضعفى عذاب غيرهن أى مثليه (وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيراً . وَمَنْ يَقْنُتْ) يطع (مِنْكُنَّ لِلهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ) أى مثلى ثواب غيرهن من النساء ، وفى قراءة بالتحتية فى تعمل ونؤتها (وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا) فى الجنة زيادة (يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ) كجماعة (مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ) الله فإنكن أعظم (فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ) للرجال (فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ) نفاق (وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا) من غير خضوع (وَقِرْنَ) بكسر القاف وفتحها (فِي بُيُوتِكُنَّ) من القرار ، وأصله اقررن بكسر الراء وفتحها من قررت بفتح الراء وكسرها ،

وعذاب الآخرة (قوله أى مثليه) أى فضعف الشىء مثله وضعفاه مثلاه وأضعافه أمثاله (قوله وكان ذلك على الله يسيرا) أى سهلا فلا يبالى الله بأحد وإن عظمت رتبته فليس أمر الله كأمر الخلق يترك تعذيب الأعزة حيث أذنبوا لكثرة أوليائهم وأعوانهم بل المكرم عند الله هو التقى (قوله وتعمل صالحا) أى تدم عليه وفيه مراعاة معنى من على قراءة التاء ومراعاة لفظها على قراءة الياء (قوله مرتين) أى مرة على الطاعة والتقوى ومرة أخرى على خدمة رسول الله الخدمة الباطنية التى لاتتيسر من غيرهن (قوله يانساء النبى لستن كأحد من النساء) تقدم أن حكمة التشديد عليهن شدة قربهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو دليل على رفعة قدرهن وعظم رتبتهن فلايليق منهن التوغل فى الشهوات وتطلب زينة الدنيا لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لست من الدنيا وليست الدنيا منى» والمقربون منه كذلك ، والمعنى ليست الواحدة منكن كالواحدة من آحاد النساء فالتفاضل فى الأفراد (قوله إن اتقيتن) شرط حذف جوابه لدلالة ماقبله عليه كما يشير له المفسر بقوله فإنكن أعظم ، والمعنى إن اتقيتن الله فلا يقاس بالواحدة منكن واحدة من سائر النساء (قوله فلا تخضعن) كلام مستأنف مفرع على التقوى (قوله بالقول) أى بأن تتكلمن بكلام رقيق يميل قلوب الرجال إليكن إذ لايليق منكن ذلك لكونكن أعظم النساء (قوله فيطمع الذى فى قلبه مرض) فى ذلك احتراس عما يقال إنهن أمهات المؤمنين والانسان لايطمع فى أمه ، فأجاب بأن الذى يقع منه الطمع إنما هو المنافق لأن شهوته حاصلة معه وهو منزوع الخشية والخوف من الله ولكن نهين عموما سدا للذريعة (قوله قولا معروفا) أى حسنا فيه تعظيم الكبير ورحمة الصغير لاريبة فيه (قوله بكسر القاف وفتحها) أى فيهما قراءتان سبعيتان (قوله من القرار) أى الثبات بيان لمعنى القراءتين (قوله وأصله اقررن بكسر الراء) أى من باب ضرب وقوله وفتحها أى من باب علم فماضى الأول مفتوح والأمر مكسور والثانى بالعكس .

(قوله نقلت حركة الراء) أى الأولى وحركتها إما كسرة على الأول أو فتحة على الثانى (قوله مع همزة الوصل) أى للاستغناء عنها بتحريك القاف ، والمعنى اثبتن فى بيوتكن ولاتخرجن إلا لضرورة (قوله تبرج الجاهلية الأولى) اختلف فى زمنها فقيل هى ماقبل بعثة إبراهيم وقيل مابين آدم ونوح وقيل مابين نوح و إدريس وقيل مابين نوح و إبراهيم وقيل مابين موسى وعيسى وقيل مابين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وقيل هى ماقبل الاسلام مطلقا وعليه اقتصر المفسر وجعلها أولى بالنسبة إلى ما كن عليه وليس المعنى أن ثم جاهلية أخرى (قوله من إظهار محاسنهن للرجال) أى فكانت المرأة تلبس القميص من الدر غير مخيط الجانبين وكانت النساء يظهرن مايقبح إظهاره حتى كانت المرأة تجلس مع زوجها وخلها فينفرد خلها بما فوق الازار وينفرد زوجها بما دون الازار إلى أسفل وربما سأل أحدهما صاحبه البدل (قوله والاظهار بعد الاسلام الخ) جواب عما يقال إن إظهار الزينة واقع من فسقة النساء بعد الاسلام فلا حاجة لذكر الجاهلية الأولى فأجاب بأنه تقدم النهى عنه فى قوله ولا يبدين زينتهن الخ (قوله وأقمن الصلاة) أى بشروطها وآدابها (قوله وآتين الزكاة) أى لمستحقيها (قوله وأطعن الله ورسوله) أى فى جميع الأوامر والنواهى فلا تليق منكن المخالفة فيما أمر الله ورسوله به (قوله الرجس) أى الذنب المدنس

نقلت حركة الراء إلى القاف وحذفت مع همزة الوصل (وَلَا تَبَرَّجْنَ) بترك إحدى التاءين من أصله (تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى) أى ما قبل الإسلام من إظهار النساء محاسنهن للرجال والاظهار بعد الاسلام مذكور فى آية « ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها » (وَأَقِمْنَ الصَّلَوٰةَ وَآتِينَ الزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ) الإثم يا (أَهْلَ الْبَيْتِ) أى نساء النبى صلى الله عليه وسلم (وَيُطَهِّرَكُمْ) منه (تَطْهِيرًا . وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ) القرآن (وَالْحِكْمَةِ) السنة (إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا) بأوليائه (خَبِيرًا) بجميع خلقه (إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ) المطيعات (وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ) فى الإيمان (وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ) على الطاعات (وَالْخَاشِعِينَ) المتواضعين (وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ) عن الحرام (وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً) للمعاصى (وَأَجْرًا عَظِيمًا) على الطاعات ،

لعرضكن (قوله أهل البيت) منصوب على أنه منادى وحرف النداء محذوف قدره المفسر (قوله أى نساء النبى) قصره عليهن لمراعاة السياق و إلا فقد قيل الآية عامة فى أهل بيت سكنه وهن أزواجه وأهل بيت نسبه وهن ذريته (قوله ويطهركم تطهيرا) أكده إشارة إلى الزيادة فى التطهير بسبب التكاليف فالعبادة والتقوى سبب للطهارة وهى الخلوص من دنس المعاصى فمن ادعى الطهارة مع ارتكابه المعاصى فهو ضال كذاب (قوله واذكرن مايتلى فى بيوتكن) (وما أى لتذكرن به أنفسكن أو غيركن وفيه تذكير لهن بهذه النعمة العظيمة حيث جعلهن من أهل بيت النبوة وشاهدن نزول الوحى وكل ذلك موجب للزوم التقوى (قوله من آيات الله) بيان لما (قوله لطيفا) أى عالما بخفيات الأمور (قوله خبيرا) أى مطلعا على كل شىء (قوله إن المسلمين والمسلمات الخ) سبب نزولها أن أزواج النبى صلى الله عليه وسلم جلسن يتذاكرن فيما بينهن ويقلن إن الله ذكر الرجال فى القرآن ولم يذكر النساء بخير لما فينا خير نذكر به إنا نخاف أن لاتقبل منا طاعة فسألت أم سلمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت كثيرة السؤال له فقالت يارسول الله مابال ربنا يذكر الرجال فى كتابه ولا يذكر النساء فنخشى أن لا يكون فيهن خير فنزلت جبر الخاطرهن (قوله والمؤمنين والمؤمنات) إنما عطف وصفهما بالايمان على وصفهما بالاسلام و إن كانا متحدين شرعا نظرا إلى أنهما مختلفان مفهوما إذ الاسلام التلفظ بالشهادتين بشرط تصديق القلب بما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم والايمان الاذعان القلبى بشرط النطق باللسان ويكفى فى العطف أدنى تغاير (قوله والحافظات) حذف المفعول له لدلالة ماقبله عليه والتقدير والحافظات فروجهن (قوله والذاكرين الله كثيرا) أى بأى ذكر كان من تسبيح أو تهليل أو تحميد أو صلاة على النبى صلى الله عليه وسلم والكثرة مختلفة باختلاف الأشخاص فالكثرة فى حق العامة أقلها

ثلاثة ، وفى حق المريدين اثنا عشر ألفا ، وفى حق العارفين عدم خطور الغير على قلوبهم ومنه قول العارف ابن الفارض :

ولو خطرت لى فى سواك إرادة ... على خاطرى يوما حكمت بردتى

(قوله وما كان لمؤمن ولا مؤمنة) أى لاينبغى ولايصلح ولايليق وهذا اللفظ يستعمل تارة فى الحظر والمنع كما هنا وتارة فى الامتناع عقلا كما فى قوله تعالى ـ ما كان لكم أن تنبتوا شجرها وتارة فى الامتناع شرعا ـ كقوله تعالى ـ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا ـ (قوله إذا قضى الله ورسوله أمرا) ذكر اسم الله للتعظيم و إشارة إلى أن قضاء رسول الله هو قضاء الله لكونه لاينطق عن الهوى و إذا يصح أن تكون ظرفا معمولا لما تعلق به خبر كان والتقدير وما كان مستقرا لمؤمن ولا مؤمنة وقت قضاء الله ورسوله أمرا كون الخيرة لهم و يصح أن تكون شرطية وجوابها محذوف دل عليه ماقبله (قوله أن تكون) اسم كان مؤخر والجار والمجرور خبر مقدم (قوله بالتاء والياء) أى فهما قراءتان سبعيتان فالتاء ظاهرة والياء نظرا إلى أن الخيرة مجازى التأنيث أو للفصل بين العامل والمعمول (قوله الخيرة) بفتح الياء وقرئ شذوذا باسكانها ومعناهما واحد وهو الاختيار (قوله أى الاختيار) أشار بذلك إلى أن الخيرة مصدر (قوله من أمرهم) حال من الخيرة (قوله وأخته زينب) أى بنت جحش وأمها أميمة بنت عبدالمطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله خطبها النبى وعنى لزيد) أى بعد أن كان زوجه أولا أم أيمن بركة الحبشية بنت ثعلبة بن حصن كانت لعبد الله أبى النبى صلى الله عليه وسلم فأعتقها وقيل أعتقها النبى صلى الله عليه وسلم وعاشت بعده صلى الله عليه وسلم خمسة أشهر وقيل سنة وولدت لزيد أسامة وكانت ولادته بعد البعثة بثلاث سنين وقيل بخمس (قوله فكرها ذلك) أى كون الخطبة لزيد وقالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنا بنت عمتك فلا

(وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن تَكُونَ) بالتاء والياء (لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ) أى الاختيار (مِنْ أَمْرِهِمْ) خلاف أمر الله ورسوله ؛ نزلت فى عبد الله بن جحش وأخته زينب خطبها النبى صلى الله عليه وسلم وعنى لزيد بن حارثة فكرها ذلك حين علما لظنهما قبل أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم خطبها لنفسه ثم رضيا للآية (وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا) بيِّنا فزوجها النبى صلى الله عليه وسلم لزيد ثم وقع بصره عليها بعد حين فوقع فى نفسه حبها ، وفى نفس زيد كراهتها ثم قال للنبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أريد فراقها فقال أمسك عليك زوجك كما قال تعالى (وَإِذْ) منصوب باذكر (تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ) بالإسلام (وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ) بالاعتاق وهو زيد بن حارثة كان من سبى الجاهلية اشتراه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وأعتقه وتبناه (أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ) فى أمر طلاقها (وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ) مظهره ،

أرضاه لنفسى وكانت بيضاء جميلة وزيد أسود (قوله ثم رضيا للآية) أى حين نزلت الآية توبيخا لهما (قوله ومن يعص الله ورسوله الخ) هذا من تمام مانزل فى شأنهما فكان المناسب للمفسر تأخير ذكر سبب النزول عن هذه الآية (قوله فقد ضل) أى أخطأ طريق الصواب (قوله فزوجها النبى لزيد) أى وأعطاها رسول الله عشرة دنانير وستين درهما وخمارا ودرعا وملحفة وخمسين مدا من طعام وثلاثين صاعا من تمر (قوله ثم وقع بصره عليها) هذا بناء على أن معنى قوله تعالى ـ وتخفى فى نفسك ماالله مبديه هو حبها الذى درج عليه المفسر تبعا لغيره وهذا التفسير غير لائق بمنصب النبوة لاسيما بجنابه الشريف وأيضا يبعد أن النبى يخفى عليه حالها مع كونها بنت عمته وفى حجره (قوله فقال أمسك عليك زوجك) أى لاتفارقها (قوله منصوب باذكر) أى فهو معمول لمحذوف (قوله اشتراه رسول الله) فيه تسمح بل الذى فى السير أن خديجة اشترته بأربعمائة درهم ثم وهبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا الشراء صورى و إلا فهو كان حرا لأنه لم يكن الرق بالسبى مشروعا لكونهم أهل فترة وهم ناجون ليس فيهم حربى والعلماء عرفوا الرق بأنه عجز حكمى سببه الكفر ، روى أن عمه لقيه يوما بمكة فعرفه وضمه إلى صدره وقال له لمن أنت قال لمحمد بن عبدالله فأتوه وقالوا هذا ابننا فرده علينا فقال اعرضوا عليه فان اختاركم فخذوه فبعث إلى زيد وخيره فقال يارسول الله مااختار عليك أحدا فجذبه عمه وقال يازيد اخترت العبودية على أبيك وعمك قال نعم هى أحب إلىّ من أن أكون عندكم فتبناه رسول الله صلى الله عليه وسلم

(قوله من محبتها) بيان لما أبداه، وهذا القول مردود لما تقدم أنه ينزه عنه رسول الله، والصواب أن يقول: إن الذى أخفاه فى نفسه هو ما أخبره الله به من أنها ستصير إحدى زوجاته بعد طلاق زيد لها، لما روى عن على بن الحسين رضى الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد أوحى الله إليه أن زيدا يطلق زينب وأنه يتزوجها بتزويج الله إياها فلما شكا زيد للنبى خلق زينب وأنها لا تطيعه وأعلمه بأنه يريد طلاقها قال له رسول الله على جهة الأدب والوصية اتق الله فى قولك وأمسك عليك زوجك وهذا هو الذى أخفى فى نفسه وخشى رسول الله أن يلحقه قول الناس فى أن يتزوج زينب بعد زيد وهو متبنيه فعاتبه الله على الكتم لأجل هذا العذر والحكمة فى تزوج رسول الله بزينب إبطال حكم التبنى والتفرقة بين ولد الصلب وولد التبنى من حيث إن ولد الصلب يحرم التزوج بزوجته وولد التبنى لا يحرم (قوله وتزوجها) هكذا فى بعض النسخ بصيغة الأمر وفى نسخة و يزوجكها فعل مضارع (قوله فلما قضى زيد منها وطرا) أى بأن لم يبق له فيها أرب وطلقها وانقضت عدتها، وفى ذكر اسمه صريحا دون غيره من الصحابة جبر وتأنيس له وعوض من الفخر بأبوة محمد صلى الله عليه وسلم فكان اسمه قرآنا يتلى فى الدنيا والآخرة على ألسنة البشر والملائكة وزاد فى الآية أن قال و إذ تقول للذى

أنعم الله عليه أى بالإيمان فدل على أنه من أهل الجنة فعلم ذلك قبل موته فهذه فضيلة أخرى (قوله فدخل عليها النبى صلى الله عليه وسلم بغير إذن) أى ولا عقد ولا صداق وهذا من خصوصياته التى لم يشاركه فيها أحد بالاجماع وكان تزوجه بها سنة خمس من الهجرة وقيل سنة ثلاث وهى أول من مات بعده من زوجاته ماتت بعده بعشر سنين ولها من العمر ثلاث وخمسون سنة وكانت تفتخر على أزواج النبى وتقول زوجكن أهاليكن وزوجنى الله من فوق سبع سموات وكانت تقول للنبى جدى وجدك واحد وليس من نسائك من هى كذلك غيرى وقد أنكحنيك الله فلا

من محبتها وأن لو فارقها زيد تزوجتها (وَتَخْشَى النَّاسَ) أن يقولوا تزوج زوجة ابنه (وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ) فى كل شىء وتزوجها ولا عليك من قول الناس، ثم طلقها زيد وانقضت عدتها قال تعالى (فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا) حاجة (زَوَّجْنَاكَهَا) فدخل عليها النبى صلى الله عليه وسلم بغير إذن وأشبع المسلمين خبزا ولحما (لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِى أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ) مقضيه (مَفْعُولًا. مَا كَانَ عَلَى النَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ) أحل (اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ) أى كسنة الله فنصب بنزع الخافض (فِى الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ) من الأنبياء أن لا حرج عليهم فى ذلك توسعة لهم فى النكاح (وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ) فعله (قَدَرًا مَقْدُورًا) مقضيا (الَّذِينَ) نعت للذين قبله (يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ) فلا يخشون مقالة الناس فيما أحل الله لهم (وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا) حافظا لأعمال خلقه ومحاسبتهم (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ) فليس أبا زيد أى والده فلا يحرم عليه التزوج بزوجته زينب (وَلَكِنْ) كان (رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ)،

والسفير فى ذلك جبريل (قوله وأشبع المسلمين خبزا ولحما) أى فذبح شاة وأطعم الناس خبزا ولحما حتى تركوه ولم يولم النبى على أحد من نسائه كما أولم على زينب (قوله لكيلا يكون على المؤمنين حرج الخ) أى فهو دليل على أن هذا الأمر ليس مخصوصا به صلى الله عليه وسلم (قوله وكان أمر الله مفعولا) أى موجودا لا محالة (قوله من حرج) أى إثم (قوله فنصب بنزع الخافض) ويصح نصبه على المصدرية وفى هذه الآية رد على اليهود حيث عابوا على النبى صلى الله عليه وسلم كثرة النساء (قوله توسعة لهم فى النكاح) أى فقد كان لداود مائة امرأة ولسليمان ولده سبعمائة امرأة وثلثمائة سرية (قوله قدرا مقدورا) هو من التأكيد كظل ظليل وليل أليل (قوله ما كان محمد أبا أحد من رجالكم) أى أبوة حقيقية فلا ينافى أنه أبوهم من حيث إنه شفيق عليهم وناصح لهم يجب عليهم تعظيمه وتوقيره (قوله ولكن رسول الله) العامة على تخفيف لكن ونصب رسول على أنه خبر لكان المحذوفة وقرئ شذوذا بتشديد لكن ورسول اسمها وخبرها محذوف تقديره أب من غير وراثة إذ لم يعش له ولد ذكر وقرئ أيضا بتخفيفها ورفع رسول على الابتداء والخبر مقدر أى هو أو بالعكس ووجه الاستدراك رفع ما يتوهم من نفى الأبوة عنه أن حقه ليس أكيدا فأفاد أن حقه آكد من حق الأب الحقيقى بوصف الرسالة .

(قوله فلا يكون له ابن رجل بعده يكون نبيا) النفى فى الحقيقة متوجه للوصف أعى كون ابنه رجلا وكونه نبيا بعده وإلا فقد كان له من الذكور أولاد ثلاثة إبراهيم والقاسم والطيب ولكنهم ماتوا قبل البلوغ فلم يبلغوا مبلغ الرجال فكونه خاتم النبيين يلزم منه عدم وجود ولد بالغ له ، وأورد عليه بمنع اللازمة إذ كثير من الأنبياء وجد لهم أولاد بالغون وليسوا بأنبياء . وأجيب بأن الملازمة ليست عقلية بل هى على مقتضى الحكمة الالهية وهى أن الله أكرم بعض الرسل بجعل أولادهم أنبياء كالخليل ونبينا أكرمهم وأفضلهم فلو عاش أولاده اقتضى تشريف الله له جعلهم أنبياء لجمعه المزايا المتفرقة فى غيره فتدبر (قوله و إذا نزل السيد عيسى الخ) جواب عما يقال كيف قال تعالى ــ وخاتم النبيين ــ وعيسى ينزل بعده وهو نبى ؟ ولا يرد على هذا وضع الجزية وعدم قبول غير الاسلام ونحو ذلك مما جاء فى الأحاديث مما يخالف شرعنا لأن ذلك شرع نبينا عند نزول عيسى عليه الصلاة والسلام (قوله ياأيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا) فى هذا إشارة إلى تشريف المؤمنين عموما حيث ناداهم وأمرهم بذكره وتسبيحه وصلى عليهم هو وملائكته وأفاض عليهم الأنوار وحياهم ، والمقصود من ذكر العباد ربهم كون الله يذكرهم قال تعالى ــ فاذكرونى أذكركم ــ وليس المقصود منه انتفاعه تعالى بذلك تنزه الله عن أن يصل له من عباده نفع أو ضر قال تعالى ــ إن تكفروا فان الله غنى عنكم ــ ، فذكرنا لأنفسنا لأنه لاغنى لنا عن ربنا طرفة عين ، واذا كان كذلك فلا تليق الغفلة عنه أبدا بل المطلوب ذكره دائما وأبدا . واعلم أن الله تعالى لم يفرض فريضة على عباده إلاجعل لها حدا معلوما وعذر أهلها فى حال العذر غير الذكر فلم يجعل له حدا ولم يعذر أحدا فى تركه إلا من كان مغلوبا على عقله ولذا أمرهم

فلا يكون له ابن رجل بعده يكون نبيًا وفى قراءة بفتح التاء كآلة الختم : أى به ختموا (وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً) منه بأن لا نبى بعده و إذا نزل السيد عيسى يحكم بشريعته (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً . وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً) أول النهار وآخره (هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ) أى يرحمكم (وَمَلَائِكَتُهُ) أى يستغفرون لكم (لِيُخْرِجَكُمْ) ليديم إخراجه إياكم (مِنَ الظُّلُمَاتِ) أى الكفر (إِلَى النُّورِ) أى الإيمان (وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً . تَحِيَّتُهُمْ) منه تعالى (يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ) بلسان الملائكة (وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْراً كَرِيماً) هو الجنة (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً) على من أرسلت إليهم (وَمُبَشِّراً) من صدقك بالجنة (وَنَذِيراً) منذراً من كذبك بالنار (وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ) إلى طاعته (بِإِذْنِهِ)

به فى جميع الأحوال قال تعالى : فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم ففيه إشارة إلى أن الذكر أمره عظيم وفضله جسيم (قوله وسبحوه بكرة وأصيلا) خص التسبيح بالذكر و إن كان داخلا فيه لكونه أعلى مراتبه ، وحكمة تخصيص التسبيح بهذين الوقتين لكونهما أشرف الأوقات بسبب تنزل الملائكة فيهما (قوله هو الذى يصلى عليكم) استئناف فى معنى التعليل للأمر بالذكر والتسبيح (قوله وملائكته) عطف على الضمير المستتر فى يصلى والفاصل موجود (قوله أى يستغفرون لكم) أى يطلبون لكم من الله المغفرة ، قال تعالى : و يستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شىء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك الآيات (قوله ليديم إخراجه إياكم) جواب عما يقال إن إخراجه إيانا من الظلمات حاصل بمجرد الايمان . و إيضاح الجواب أن المراد دوام هذا الاخراج لأن الغفلة عن الخالق إذا دامت ربما أخرجت العبد من النور والعياذ بالله تعالى (قوله من الظلمات إلى النور) جمع الأول لتعدد أنواع الكفر وأفرد الثانى لأن الايمان شىء واحد لاتعدد فيه فمن ادعى الايمان وأثبت التعدد والمخالفة فهو ضال مضل خارج عن السنة والجماعة (قوله وكان بالمؤمنين رحيما) أى يقبل القليل من أعمالهم و يعفو عن الكثير من ذنوبهم حيث أخلصوا فى إيمانهم (قوله تحيتهم منه تعالى) أى التحية الصادرة منه تعالى زيادة فى الاعتناء بهم وتعظيما لقدرهم (قوله يوم يلقونه) اختلف فى وقت اللقى فقيل عند الموت ، وقيل عند الخروج من القبور ، وقيل عند دخول الجنة (قوله بلسان الملائكة) أى لما ورد « إذا جاء ملك الموت يقبض روح المؤمن يقول له ربك يقرئك السلام » وفى الحقيقة هم يسمعون السلام من الله ومن الملائكة ومن الخلق غيرهم قال تعالى ــ سلام قولا من رب رحيم ــ وقال تعالى ــ والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم ــ وقال تعالى : لايسمعون فيها لغوا ولا تأثيما إلا قيلا سلاما سلاما (قوله هو الجنة) أى ومافيها من النعيم المقيم (قوله على من أرسلت إليهم) أى لتترقب أحوالهم وتكون مشاهدا لما صدر منهم من الأعمال

الحسنة والقبيحة فالأعمال تعرض عليه حيا وميتا ، ويصح أن يكون المراد شاهدا يوم القيامة للمؤمنين وعلى الكافرين فهو مقبول الدعوى لايحتاج فى دعواه إلى شهادة أحد فيشهد للأنبياء بالتبليغ وعلى الأمم إمابالتصديق أوالتكذيب (قوله بأمره) دفع بذلك مايقال إن الإذن حاصل بقوله أرسلناك . فأجاب بأن المراد بالاذن الأمر ، والحكمة فى الإذن تسهيل الأمر وتيسيره لأن الدخول فى الشيء من غير إذن متعذر فاذا حصل الاذن سهل وتيسر ، ومن هنا أخذ الأشياخ استعمال الاجازة للمريدين فمن أجازه أشياخه بشىء من العلم والارشاد فقد سهلت له الطريق وتيسرت ومن لم تحصل له الاجازة وتصدّر بنفسه فقد عطل نفسه وغيره وانسدت عليه الطرق (قوله وسراجا منيرا) يحتمل أن المراد بالسراج الشمس وهوظاهر ويحتمل أن المراد به المصباح وحينئذ فيقال إنما شبه بالسراج ولم يشبه بالشمس مع أن نورها أتم لأن السراج يسهل اقتباس الأنوار منه وهو صلى الله عليه وسلم تقتبس منه الأنوار الحسية والمعنوية (قوله وبشر المؤمنين) أى حيث كنت متصفا بالصفات الحسنة فبشر المؤمنين (قوله ولاتطع الكافرين) أى لاتدار الكفار ولا تلن لهم جانبك فى أمر الدين بل اثبت على ماأوحى إليك وبلغه ولا تكتم منه شيئا (قوله ودع أذاهم) إما من إضافة المصدر لفاعله أى أذيتهم إياك فلاتقاتلهم جزاء على ماصدر منهم أولمفعوله أى اترك أذيتك لهم فى نظير كفرهم واصفح عنهم واصبر ولاتعاجلهم بالعقوبة ، وهذا منسوخ بآية القتال (قوله وتوكل على الله) أى ثق به فى أمورك واعتمد عليه يكفك أمور الدين والدنيا (قوله وكفى بالله وكيلا) الباء زائدة

بأمره (وَسِرَاجًا مُنِيرًا) أى مثله فى الاهتداء به (وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا) هو الجنة (وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ) فيما يخالف شريعتك (وَدَعْ) اترك (أَذَاهُمْ) لا تجازهم عليه إلى أن تؤمر فيهم بأمر (وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ) فهو كافيك (وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا) مفوّضا إليه (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ) وفى قراءة تماسوهن أى تجامعوهن (فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا) تحصونها بالأقراء وغيرها (فَمَتِّعُوهُنَّ) أعطوهن ما يستمتعن به ، أى إن لم يسم لهن أصدقة وإلا فلهن نصف المسمى فقط قاله ابن عباس وعليه الشافعى (وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا) خلوا سبيلهن من غير إضرار (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ) مهورهن (وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ)

فى الفاعل أى أن الله تعالى كاف من توكل عليه أمور الدنيا والآخرة وفى الآية إشارة إلى أن التوكل أمره عظيم فاذا عجز الانسان عن أمر فعليه بالتوكل على الله والتفويض إليه فان الله يكفيه ما أهمه من أمور الدنيا والآخرة (قوله إذا نكحتم المؤمنات) المراد بالنكاح العقد بدليل قوله : ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن ، وذكر المؤمنات خرج مخرج الغالب مما إذ الكتابيات كذلك وإنما خص المؤمنات بالذكر إشارة إلى أن الأولى للمؤمن أن ينكح المؤمنات ، وأما نكاح الكتابيات فمكروه أوخلاف الأولى (قوله ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن) أى ولوطال زمن العقد (قوله وفى قراءة) أى وهما سبعيتان (قوله أى تجامعوهن) تفسير لكل من القراءتين (قوله تعتدونها) إما من العد أومن الاعتداد أى تحسبونها أو تستوفون عددها من قولهم عدّ الدراهم فاعتدها أى استوفى عددها (قوله وعليه الشافعى) أى ومالك فالمطلقة قبل الدخول إن سمى لها صداق فلامتعة لها ولاعدة عليها وإن لم يسم لها صداق بأن نكحت تفويضا فلاعدة عليها ولها المتعة إما وجوبا كما هو عند الشافعى أوندبا كما هوعند مالك (قوله خلوا سبيلهن) أى اتركوهن (قوله من غير إضرار) أى بأن تمسكوهن تعنتا حتى يفتدين منكم أوتؤذوهن وتتكلموا فى أعراضهن (قوله ياأيها النبى إنا أحللنا لك الخ) اختلف المفسرون فى المراد بهذه الآية فقيل المعنى أن الله أحل له أن يتزوج بكل امرأة دفع مهرها الخ فعلى هذا تكون الآية ناسخة للتحريم الكائن بعد التخيير المدلول عليه بقوله ـ لايحل لك النساء من بعد ـ ، فهذه الآية وإن كانت متقدمة فى التلاوة فهى متأخرة فى النزول عن الآية المنسوخة بها كآية الوفاة فى البقرة ، وقيل المراد أحللنا لك أزواجك الكائنات عندك لأنهن اخترنك على الدنيا ، ويؤيده قول ابن عباس : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتزوج من أى النساء شاء وكان يشق على نسائه فلما نزلت هذه الآية وحرم عليه بها النساء إلا من سمى سر نساؤه بذلك ، والقول الأول أصح (قوله اللاتى آتيت أجورهن) بيان لما كان عليه من مكارم الأخلاق

و إلا فالله أحل له أن يتزوج بلا مهر (قوله مما أفاء الله عليك) بيان لما ملكت يمينك وهذا القيد خرج مخرج الغالب بل الملك بالشراء كذلك (قوله كصفية) هى بنت حيى بن أخطب من نسل هرون أخى موسى وتقدم أنها كانت من سبى خيبر أذن النبى صلى الله عليه وسلم لدحية الكلبى فى أخذ جارية فأخذها فقيل للنبى صلى الله عليه وسلم أعطيته سيدة بنى قريظة والنضير وهى لاتصلح إلا لك فخشى عليهم الفتنة فأعطاه غيرها ثم أعتقها وتزوجها و بنى بها وهو راجع إلى المدينة ، وفى رواية « أنه صلى الله عليه وسلم قال لها هل لك فىّ ؟ قالت نعم يارسول الله إنى كنت أتمنى ذلك فى الشرك وكان بعينها خضرة فسألها عنها فقالت إنها كانت نائمة ورأس زوجها ملكهم فى حجرها فرأت قمرا وقع فى حجرها فلما استيقظ أخبرته فلطمها وقال تتمنين ملك يثرب» ماتت فى رمضان سنة خمسين ودفنت فى البقيع (قوله وجويرية) أى وهى بنت الحارث الخزاعية وكانت وقعت فى سهم ثابت بن قيس بن شماس الأنصارى فكاتبها فجاءت تسأل النبى صلى الله عليه وسلم وعرفته بنفسها فقال هل لك إلى ماهو خير من ذلك أؤدّى عنك كتابتك وأتزوجك فقالت نعم فسمع الناس بذلك فأعتقوا ما بأيديهم من قومها وقالوا أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت عائشة فما رأينا امرأة كانت أعظم فى قومها بركة منها أعتق بسببها مائة أهل بيت من بنى المصطلق وقسم لها النبىّ صلى الله عليه وسلم وكانت بنت عشرين سنة وتوفيت سنة خمسين (قوله و بنات عمك و بنات عماتك) أى نساء قريش المنسوبات لأبيك وقوله و بنات خالك و بنات خالاتك أى نساء بنى زهرة المنسوبات لأمك ، (٢٦٥) وحكمة إفراد العم والخال دون العمة والخالة

مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ) من الكفار بالسبى كصفية وجويرية (وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ) بخلاف من لم يهاجرن (وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا) يطلب نكاحها بغير صداق (خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ) النكاح بلفظ الهبة من غير صداق (قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ) أى المؤمنين (فِي أَزْوَاجِهِمْ) من الأحكام بألا يزيدوا على أربع نسوة ولا يتزوجوا إلا بولىّ وشهود ومهر (وَ) فى (مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ) من الإماء بشراء وغيره بأن تكون الأمة ممن تحل لمالكها كالكتابية بخلاف المجوسية والوثنية وأن تستبرأ قبل الوطء (لِكَيْلَا) متعلق بما قبل ذلك (يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ) ضيق فى النكاح (وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا) لما يعسر التحرز عنه (رَحِيمًا) بالتوسعة فى ذلك ،

أن العم والخال يعمان إذا أضيفا لكونهما مفردين خاليين من تاء الوحدة والعمة والخالة لايعمان لوجود التاء (قوله بخلاف من لم يهاجرن) أى فلا يحللن له وهذا الحكم كان قبل الفتح حين كانت الهجرة شرطا فى الاسلام فلما نسخ حكم الهجرة نسخ هذا الحكم (قوله وامرأة مؤمنة) معطوف على مفعول أحللنا أى وأما غير المؤمنة فلا تحل له وظاهر الآية أن النكاح ينعقد فى حقه صلى الله عليه وسلم بالهبة وحينئذ فيكون من خصوصياته ، والنساء اللاتى وهبن أنفسهن أربع ميمونة بنت الحرث وزينب بنت خزيمة أم المساكين الأنصارية وأم شريك بنت جابر وخولة بنت حكيم . واعلم أنه يحرم على النبىّ تزوج الحرة الكتابية لما فى الحديث « سألت ربى أن لا أزوج إلا من كان معى فى الجنة فأعطانى » ولقوله تعالى : وأزواجه أمهاتهم ، ولايليق أن تكون المشركة أم المؤمنين ويحرم عليه أيضا نكاح الأمة ولو مسلمة لأن نكاحها مشروط بأمرين خوف العنت وعدم وجود مهر الحرة وكلا الأمرين مفقود عنه صلى الله عليه وسلم وأما تسريه بالأمة الكتابية ففيه خلاف (قوله إن وهبت نفسها للنبىّ) أظهر فى محل الاضمار تشريفا لهذا الوصف وإظهارا لعظمة قدره عنده (قوله إن أراد النبى أن يستنكحها) هذا الشرط قيد فى الشرط الأول فإن هبتها نفسها لاتوجب حلها إلا إذا أراد نكاحها بأن يحصل منه القبول بعد الهبة أو يسألها فى ذلك قبل الهبة فتدبر (قوله خالصة) مصدر معمول لمحذوف أى خلصت لك خالصة ومجىء المصدر على هذا الوزن كثير كالعاقبة والعافية والكاذبة (قوله من غير صداق) أى ومن غير ولى وشهود (قوله وغيره) أى كهبة (قوله بخلاف المجوسية الخ) أى فلا تحل لمالكها إلا إذا استسلمها وذلك كجوارى السودان والحبشة والمغرب لأنهن يجبرن على الاسلام ولذا لايجوز للكفار شراؤهن كما هو مقرر فى الفقه (قوله وأن تستبرأ قبل الوطء) أى كتابية كانت أو مجوسية (قوله متعلق بما قبل ذلك) أى وهو قوله : إنا أحللنا لك ، والمعنى أحللنا لك أزواجك وماملكت يمينك والموهوبة لك لئلا يكون عليك ضيق (قوله لما يعسر التحرز عنه) أى لقولهم إذا ضاق الأمر اتسع .

(قوله ترجى من تشاء منهن الخ) اتفق المفسرون على أن المقصود من هذه الآية التوسعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى معاشرته لنسائه واختلفوا فى تأويلها، وأصح ماقيل فيها التوسعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ترك القسم فكان لا يجب عليه القسم بين زوجاته لما روى عن عائشة رضى الله عنها قالت: كنت أغار على النبى صلى الله عليه وسلم على اللائى وهبن أنفسهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأقول أو تهب المرأة نفسها لرجل فلما أنزل الله عز وجل ترجى: من تشاء منهن وتؤوى إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت قالت قلت والله ما أرى ربك إلا يسارع فى هواك، وقيل إن ذلك فى الواهبات أنفسهن وحينئذ فيكون المعنى تأخذ من شئت منهن وتترك من شئت، وقيل إن ذلك فى الطلاق، فالمعنى لك طلاق من شئت منهن وإمساك من شئت وعلى كل حال فالآية معناها التوسعة عليه فى أمر النساء (قوله والياء بدله) أى بدل الهمزة وحينئذ فهو مرفوع بضمة مقدرة على الياء منع من ظهورها الثقل (قوله عن نوبتها) أى من القسم (قوله ومن ابتغيت الخ) أى التى طلبت ردّها إلى فراشك بعد أن عزلتها وأسقطتها من القسمة فلا جناح عليك (قوله بعد أن كان القسم واجبا عليه) هذا أحد قولين، وقيل كان مخيرا من أول الأمر ولم يكن واجبا عليه ابتداء (قوله ذلك أدنى أن تقر أعينهن) هذا إشارة إلى حكمة تخييره فى القسم وعدم وجوبه عليه، والمعنى لم يجب عليه القسم بين نسائه مع أنه عدل لأن التخيير أقرب إلى سكون أعينهن وعدم حزنهن وأقرب إلى رضاهن بما حصل لهن لأنهن إذا علمن أن الله لم يوجب على النبيّ شيئا من القسم وحصل منه القسم سررن بذلك وقنعن به (قوله تأكيد للفاعل) أى فهو بالرفع وهذه قراءة العامة وقرئ شذوذا بالنصب توكيدا للمفعول (قوله والله يعلم مافى قلوبكم) خطاب للنبيّ على جهة التعظيم ويحتمل أن يراد العموم (قوله والميل إلى بعضهن) أى بالطبع فكان يميل إلى بعضهن أكثر وكان يقول «اللهمّ إن هذا حظى فيما أملك فلا تؤاخذنى فيما لا أملك»، واتفق العلماء على أنه صلى الله عليه وسلم كان يعدل بينهن فى القسمة حتى مات غير سودة رضى الله عنها فانها وهبت ليلتها لعائشة رضى الله عنها (قوله حليما عن عقابهم) أى يعلم العيب ويستره فينبغى للانسان أن لايفرّط فى حقوقه لأن انتقام الحليم وغضبه أمر عظيم لما فى الحديث «اتقوا غيظ الحليم» ففى الآية ترغيب وترهيب (قوله بالتاء والياء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله بعد التسع) أى بعد اجتماعهن فى عصمتك فهن بمنزلة الأربع لآحاد الأمة، فقد قصر الله نبيه عليهن جزاء لهن على اختيارهن الله ورسوله وهن التسع اللاتى توفى عنهن، وهن عائشة بنت أبى بكر الصدّيق وحفصة بنت عمر بن الخطاب وأم حبيبة بنت أبى سفيان وسودة بنت زمعة وأم سلمة بنت أبى أمية وصفية بنت حيى وميمونة بنت الحرث الهلالية وزينب بنت جحش وجويرية بنت الحرث المصطلقية، وقيل المراد بعد التخيير (قوله ولا أن تبدل بهن من أزواج) البدل فى الجاهلية أن يقول الرجل للرجل: تنزل لى عن امرأتك وأنزل لك عن امرأتى وأزيدك، والمراد هنا نهيه عن المفارقة والابدال بأىّ وجه (قوله من أزواج) من زائدة فى المفعول (قوله ولو أعجبك حسنهن) حال من فاعل تبدل (قوله إلا ماملكت يمينك) استثناء متصل من النساء لأنه يتناول الأزواج والاماء، وقيل منقطع لاخراجه من الأزواج (قوله وقد ملك بعدهن مارية) أى القبطية أهداها المقوقس ملك القبط، وهم أهل مصر والاسكندرية، وذلك أنه صلى الله عليه وسلم بعث له حاطب بن أبى بلتعة بكتاب يدعوه فيه إلى الاسلام، صورته: بسم الله

(تُرْجِى) بالهمز والياء بدله: تؤخر (مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ) أى أزواجك عن نوبتها (وَتُؤْوِى) تضمّ (إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ) منهن فتأتيها (وَمَنِ ابْتَغَيْتَ) طلبت (مِمَّنْ عَزَلْتَ) من القسمة (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ) فى طلبها وضمها إليك، خُيِّرَ فى ذلك بعد أن كان القسم واجباً عليه (ذَٰلِكَ) التخيير (أَدْنَىٰ) أقرب إلى (أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ) ماذكر المخير فيه (كُلُّهُنَّ) تأكيد للفاعل فى يرضين (وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ) من أمر النساء والميل إلى بعضهن، وإنما خيرناك فيهن تيسيراً عليك فى كل ما أردت (وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً) بخلقه (حَلِيماً) عن عقابهم (لَا تَحِلُّ) بالتاء والياء (لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ) بعد التسع اللاتى اخترنك (وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ) بترك إحدى التاءين فى الأصل (بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ) بأن تطلقهن أو بعضهن وتنكح بدل من طلقت (وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَامَلَكَتْ يَمِينُكَ) من الاماء فتحل لك، وقد ملك صلى الله عليه وسلم بعدهن مارية، وولدت

الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله إلى المقوقس عظيم القبط ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد : فانى أدعوك بدعاية الاسلام أسلم تسلم وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فان توليت فانما عليك إثم القبط - ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم - الآية فلما جاء حاطب بالكتاب إلى المقوقس وجده فى الاسكندرية ، فدفعه إليه فقرأه ثم جعله فى حق من عاج وختم عليه ودفعه إلى جارية ، ثم كتب جوابه فى كتاب صورته : بسم الله الرحمن الرحيم لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط سلام عليك . أما بعد : فقد قرأت كتابك وفهمت ماذكرت فيه وماتدعو إليه وعلمت أن نبيا قد بقى وما كنت أظن إلا أنه يخرج بالشام ، وقد أكرمت رسولك : أى فانه قد دفع له مائة دينار وخمسة أثواب ، وبعثت لك بجاريتين لهما مكان فى القبط عظيم أى وهما مارية وسيرين وعشرين ثوبا من قباطى مصر وطيبا وعودا وندا ومسكا مع ألف مثقال من الذهب ومع قدح من قوارير وبغلة للركوب وأهدى إليه جارية أخرى زيادة على الجاريتين وخصيا يقال له مأبور والبغلة هى دلدل وكانت شهباء وفرسا وهو اللزاز ، فانه سأل حاطبا ما الذى يحب صاحبك من الخيل ؟ فقال له الأشقر ، وقد تركت عنده فرسا يقال لها المرتجز فانتخب له فرسا من خيل مصر الموصوفة فأسرج وألجم وهو فرسه الميمون ، وأهدى إليه عسلا من عسل بنها قرية من قرى مصر ، فأعجب به صلى الله عليه وسلم وقال : إن كان هذا عسلكم فهذا أحلى ثم دعا فيه بالبركة (قوله وولدت له إبراهيم) أى فى ذى الحجة سنة ثمان وعاش سبعين يوما ، وقيل سنة وعشرة أشهر، وقوله ومات فى حياته : أى ولم يصل عليه بنفسه بل أمرهم فصلوا عليه (قوله يا أيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النبى الخ) هذه الآية نزلت فى شأن وليمة زينب بنت جحش حين بنى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن أنس بن مالك قال « كنت أعلم الناس بشأن الحجاب حين

ولدت له إبراهيم ومات فى حياته (وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ رَقِيباً) حفيظا (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ) فى الدخول بالدعاء (إِلَى طَعَامٍ) فتدخلوا (غَيْرَ نَاظِرِينَ) منتظرين (إِنَاهُ) نضجه مصدر أنى يأنى (وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا ، وَلَا) تمكثوا (مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ) من بعضكم لبعض (إِنَّ ذَلِكُمْ) المكث (كَانَ يُؤْذِى النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ) أن يخرجكم (وَاللهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ) أن يخرجكم : أى لا يترك بيانه وقرئ يستحى ،

أنزل وكان أول ما أنزل فى بناء رسول الله صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش حين أصبح النبى صلى الله عليه وسلم بها عروسا فدعا القوم ، فأصابوا من الطعام ثم خرجوا وبقى رهط عند النبى صلى الله عليه وسلم فأطالوا المكث فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج وخرجت معه لكى يخرجوا فمشى النبى صلى الله عليه وسلم ومشيت حتى جاء عتبة حجرة عائشة ، ثم ظن أنهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه حتى إذا دخل على زينب فاذا هم جلوس لم يقوموا فرجع النبى صلى الله عليه وسلم ورجعت حتى إذا بلغ حجرة عائشة وظن أنهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه فاذا هم قد خرجوا ، فضرب النبى صلى الله عليه وسلم بينى وبينه الستر وأنزل الحجاب» (قوله إلا أن يؤذن لكم) أى إلا بسبب الاذن لكم (قوله إلى طعام) متعلق بيؤذن لتضمينه معنى يدعى كما قدره المفسر (قوله فتدخلوا غير ناظرين إناه) هذا التقدير غير مناسب لأنه يقتضى أن الدخول مع الاذن لا يجوز معه انتظار نضج الطعام مع أنه يجوز فالمناسب حذف هذا التقدير إذ هذه الآية نزلت فى قوم كانوا يدخلون من غير إذن وينتظرون نضج الطعام فنهاهم الله عن كل من الأمرين . والحاصل أن أسباب النزول فى هذه الآيات تعددت: منها أن قوما كانوا يدخلون بيوت النبى بغير دعوة وينظرون نضج الطعام ، ومنها أن قوما كانوا يدخلون باذن ويتخلفون بعد ما طعموا مستأنسين لحديث ، ومنها موآكلة الأجانب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بحضور زوجاته فنزلت آية الحجاب ونهى عن ذلك كله ، وآيات الحجاب هذه لحضور أمهات المؤمنين ، وأما لعموم الأمة فقد تقدم فى سورة النور تأمل (قوله مصدر أنى يأنى) أى من باب رمى وقياس مصدره أنى لكنه لم يسمع وإنما المسموع إنى بالكسر والقصر (قوله فاذا طعمتم) أى أكلتم الطعام (قوله فانتشروا) أى اذهبوا حيث شئتم فى الحال ولاتمكثوا بعد الأكل والشرب (قوله ولاتمكثوا مستأنسين) أشار بذلك إلى أن مستأنسين حال من محذوف وذلك المحذوف معطوف على انتشروا (قوله كان يؤذى النبى) أى لتضييقه عليه (قوله فيستحيي منكم) أى من إخراجكم (قوله والله لايستحيي من الحق) المراد بالحق إخراجكم من منزله وأطلق الاستحياء فى حق الله وأريد لازمه وهو ترك البيان .

(قوله بياء واحدة) أي قراءة شاذة في الثاني (قوله فسئلوهن من وراء حجاب) روى أن عمر قال يارسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فنزلت . وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأكل ومعه بعض أصحابه فأصابت يد رجل منهم يد عائشة وهي تأكل معهم فكره النبي ذلك فنزلت هذه الآية (قوله ذلكم) أي ماذكر من عدم الدخول بغير إذن وعدم الاستئناس للحديث وسؤال المتاع من وراء الحجاب (قوله من الخواطر المريبة) أي أنقى وأبعد لدفع الريبة والتهمة وهو يدل على أنه لاينبغي لأحد أن يثق بنفسه في الخلوة مع من لاتحل له فإن مجانبة ذلك أحسن لحاله وأحصن لنفسه (قوله وما كان لكم) أي ماصح وما استقام لكم وقوله أن تؤذوا هو اسم كان ولكم خبرها وأن تنكحوا عطف على اسم كان نزلت هذه الآية في رجل من الصحابة يقال له طلحة بن عبيد الله قال في سره : إذا قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم نكحت عائشة ثم ندم هذا الرجل ومشى إلى مكة على رجليه وحمل على عشرة أفراس في سبيل الله وأعتق رقيقا فكفر الله عنه (قوله من بعده) أي بعد وفاته أو فراقه ولو قبل الدخول بها لأن كل من عقد عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم يتأبد تحريمها على أمته وأما إماؤه فلا يحرمن على غيره إلا بمسه لهن (قوله إن ذلكم) أي ما ذكر من إيذائه ونكاح أزواجه من بعده (قوله إن تبدوا شيئا) أي تظهروه على ألسنتكم وقوله أو تخفوه : أي في صدوركم وقوله فيجازيكم عليه جواب الشرط وقوله فإن الله كان بكل شيء عليما تعليل للجواب

وهو بمعنى قوله تعالى - إن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله -

بياء واحدة (وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ) أي أزواج النبي صلى الله عليه وسلم (مَتَاعاً فَسْئَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ) ستر (ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ) من الخواطر المريبة (وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ) بشيء (وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللهِ) ذنبا (عَظِيماً . إِنْ تُبْدُوا شَيْئاً أَوْ تُخْفُوهُ) من نكاحهن بعده (فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً) فيجازيكم عليه (لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ) أي المؤمنات (وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ) من الإماء والعبيد أن يروهن ويكلموهن من غير حجاب (وَاتَّقِينَ اللهَ) فيما أمرتن به (إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا) لا يخفى عليه شيء (إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ) محمد صلى الله عليه وسلم (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ) وسلموا

(قوله لا جناح عليهن في آبائهن الخ) هذا في المعنى مستثنى من قوله - وإذا سألتموهن متاعا - الآية . روى أنه لما نزلت آية الحجاب قال آباؤهن وأبناؤهن يارسول الله : أو نكلمهن أيضا من وراء حجاب فنزلت هذه الآية . وقوله في آبائهن : أي أصولهن وإن علون وقوله ولا أبنائهن المراد فروعهن وإن سفلوا (قوله ولا نسائهن) الاضافة من حيث المشاركة في الوصف وهو الاسلام فقول المفسر أي المؤمنات تفسير للمضاف ومفهومه أن النساء الكافرات لايجوز لهن النظر لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم وهو كذلك ولا مفهوم لأزواج النبي بل جميع النساء المسلمات كذلك فلا يحل للمسلمة أن تبدي شيئا منها للكافرة لئلا تصفها لزوجها الكافر (قوله واتقين الله) عطف على محذوف والتقدير امتثلن ماأمرتن به واتقين الله ، وحكمة تخصيص الحجاب هنا بأمهات المؤمنين وإن تقدم في سورة النور عموما دفع توهم أن أزواج النبي كالأمهات من كل وجه فأفاد هنا أنهن كالأمهات في التعظيم والتوقير لا في الخلوة والنظر فإنهن كالأجانب بل هن أشد فذكر لهن حجابا مخصوصا فلا يقال إنه مكرر مع ماتقدم في النور (قوله لايخفى عليه شيء) أي من الطاعات والمعاصي الظاهرة والخفية (قوله إن الله وملائكته يصلون على النبي الخ) هذه الآية فيها أعظم دليل على أنه صلى الله عليه وسلم مهبط الرحمات وأفضل الخلق على الاطلاق إذ الصلاة من الله على نبيه رحمته المقرونة بالتعظيم ، ومن الله على غير النبي مطلق الرحمة كقوله تعالى - هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور - فانظر الفرق بين الصلاتين والفضل بين المقامين (قوله وملائكته) بالنصب معطوف على اسم إن ، وقوله يصلون خبر عن الملائكة وخبر لفظ الجلالة محذوف تقديره إن الله يصلي وملائكته يصلون وهذا هو الأتم لتغاير الصلاتين ، والمراد بالملائكة جميعهم والصلاة من الملائكة الدعاء تنبئ بما يليق به وهو الرحمة المقرونة بالتعظيم وحينئذ فقد وسعت رحمة النبي كل شيء تبعا لرحمة الله فصار بذلك مهبط الرحمات ومنبع التجليات (قوله ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه) أي ادعوا له بما يليق به وحكمة صلاة الملائكة والمؤمنين على النبي تشريفهم بذلك

وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) أى قولوا : اللهم صل على محمد وسلم (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) وهم الكفار يصفون الله بما هو منزه عنه من الولد والشريك ويكذبون رسوله (لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) أبعدهم (وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا) ذا إهانة وهو النار (وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا) يرمونهم بغير ما عملوا (فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا) تحملوا كذبا (وَإِثْمًا مُبِينًا) بينا (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ) جمع جلباب ، وهى الملاءة التى تشتمل بها المرأة أى يرخين بعضها على الوجوه إذا خرجن لحاجتهن إلا عينا واحدة (ذَلِكَ أَدْنَى) أقرب إلى (أَنْ يُعْرَفْنَ) بأنهن حرائر (فَلَا يُؤْذَيْنَ) بالتعرض لهن ، بخلاف الإماء فلا يغطين وجوههن فكان المنافقون يتعرضون لهن (وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا) لما سلف منهن من ترك الستر (رَحِيمًا) بهن إذ سترهن (لَئِنْ) لام قسم (لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ) عن نفاقهم ،

حيث اقتدوا بالله فى مطلق الصلاة وإظهار تعظيمه صلى الله عليه وسلم ومكافأة لبعض حقوقه على الخلق لأنه الواسطة العظمى فى كل نعمة وصلت لهم وحق على من وصل له نعمة من شخص أن يكافئه فصلاة جميع الخلق عليه مكافأة لبعض ما يجب عليهم من حقوقه . إن قلت إن صلاتهم طلب من الله أن يصلى عليه وهو مصلّ عليه مطلقا طلبوا أولا . أجيب بأن الخلق لما كانوا عاجزين عن مكافأته صلى الله عليه وسلم طلبوا من القادر المالك أن يكافئه ، ولاشك أن الصلاة الواصلة للنبى صلى الله عليه وسلم من الله لاتقف عند حد فكلما طلبت من الله زادت على نبيه فهى دائمة بدوام الله (قوله وسلموا تسليما) إن قلت خص السلام بالمؤمنين دون الله والملائكة . أجيب بأن هذه الآية لما ذكرت عقب ذكر ما يؤذى النبى والأذية إنما هى من البشر فناسب التخصيص بهم لأن فى السلام سلامة من الآفات ، وأكد السلام دون الصلاة لأنها لما أسندت لله وملائكته كانت غنية عن التأكيد . واعلم أن العلماء اتفقوا على وجوب الصلاة والسلام على النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم اختلفوا فى تعيين الواجب فعند مالك تجب الصلاة والسلام فى العمر مرة ، وعند الشافعى تجب فى التشهد الأخير من كل فرض وعند غيرهما تجب فى كل مجلس مرة ، وقيل تجب عند ذكره ، وقيل يجب الاكثار منها من غير تقييد بعدد ، وبالجملة فالصلاة على النبى أمرها عظيم وفضلها جسيم وهى من أفضل الطاعات وأجل القربات حتى قال بعض العارفين : إنها توصل إلى الله تعالى من غير شيخ لأن الشيخ والسند فيها صاحبها لأنها تعرض عليه ويصلى على المصلى بخلاف غيرها من الأذكار فلابد فيها من الشيخ العارف وإلا دخلها الشيطان ولم ينتفع صاحبها بها (قوله أى قولوا اللهم صلّ على محمد وسلم) أى اجمعوا بين الصلاة والسلام وصيغ الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم كثيرة لاتحصى وأفضلها ما ذكر فيه لفظ الآل والصحب فمن تمسك بأى صيغة منها حصل له الخير العظيم (قوله إن الذين يؤذون الله ورسوله) الايذاء فى حق الله معناه تعدى حدوده وفى حق الرسول ظاهر (قوله وهم الكفار) أى اليهود والنصارى والمشركون (قوله لعنهم الله فى الدنيا) أى حجبهم عن الطاعة والتوحيد ، وقوله والآخرة : أى بتخليدهم فى العذاب الدائم (قوله أبعدهم) أى عن رحمته (قوله ذا إهانة) أى هوان واستخفاف (قوله والذين يؤذون المؤمنين الخ) قيل نزلت فى علىّ بن أبى طالب كانوا يؤذونه ويسمعونه ، وقيل نزلت فى شأن عائشة رضى الله عنها ، وقيل نزلت فى شأن المنافقين الذين كانوا يمشون فى طرق المدينة يطلبون النساء إذا برزن بالليل لقضاء حوائجهن فان سكتت المرأة اتبعوها وإن زجرتهم انتهوا عنها ، وفى هذه الآية زجر لمن يسىء الظن بالمؤمنين والمؤمنات ويتكلم فيهم من غير علم وهى بمعنى قوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم - (قوله يا أيها النبى قل لأزواجك الخ) سبب نزولها أن المنافقين كانوا يتعرضون للنساء بالأذية يريدون منهن الزنا ولم يكونوا يطلبون إلا الاماء ولكن كانوا لا يعرفون الحرة من الأمة لأن زىّ الكل واحد تخرج الحرة والأمة فى درع وخمار فشكون ذلك لأزواجهن فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت (قوله يدنين) أى يرخين ويغطين (قوله التى تشتمل بها) أى تتغطى وتستتر بها المرأة من فوق الدرع والخمار (قوله فلا يغطين وجوههن) أى فكن لا يغطين وجوههن ، وهذا فيما مضى وأما الآن فالواجب على الحرة والأمة الستر بثياب غير مزينة خوف الفتنة (قوله لما سلف منهن من ترك الستر) ورد أن عمر بن الخطاب مرّ بجارية متقنعة فعلاها بالدرة وقال لها أتتشبهين بالحرائر يالكاع ألقى القناع (قوله لئن لم ينته المنافقون) أى كعبد الله بن أبىّ وأصحابه .

(قوله والذين فى قلوبهم مرض) أى فجور ، وهم الزناة وهم من جملة المنافقين (قوله والمرجفون فى المدينة) أى بالكذب ، وذلك أن ناسا منهم كانوا إذا خرجت سراياه صلى الله عليه وسلم يوقعون فى الناس أنهم قد قتلوا وهزموا و يقولون قد أتاكم العدو (قوله لنسلطنك عليهم) أى فتخرجهم من مجلسك وتقتلهم ، وقد فعل بهم صلى الله عليه وسلم ذلك فانه لما نزلت سورة براءة جمعهم وصعد على المنبر فقال النبى صلى الله عليه وسلم « يافلان قم فاخرج فانك منافق و يافلان قم » فقام إخوانهم من المسلمين وتولوا إخراجهم من المسجد (قوله ملعونين) حال من محذوف قدره المفسر بقوله ثم يخرجون (قوله أى الحكم فيهم هذا) أى الأخذ والقتل (قوله على جهة الأمر به) أى أن الآية خبر بمعنى الأمر (قوله أى سن الله ذلك) أشار بذلك إلى أن سنة مصدر مؤكد وفيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم : أى فلا تحزن على وجود المنافقين فى قومك فانه سنة قديمة كما كان فى قوم موسى منهم موسى السامرى وأتباعه وقارون وأتباعه (قوله ولن تجد لسنة الله تبديلا) أى تغييرا ونسخا لكونها بنيت على أساس متين فليست مثل الأحكام التى تتبدل وتنسخ (قوله يسئلك الناس) أى على سبيل الاستهزاء والسخرية لأنهم ينكرونها . واعلم أن السائل للنبى عن الساعة أهل مكة واليهود فسؤال أهل مكة استهزاء وسؤال اليهود امتحان لأن الله أخفى علمها فى التوراة فان أجابهم بالتعيين ثبت عندهم كذبه و إن أجابهم بقوله علمها عند ربى مثلا ثبتت نبوته وصدقه، فقول المفسر أى أهل مكة : أى واليهود (قوله عن الساعة) أى عن أصل نبوتها وعن وقت قيامها (قوله قل إنما علمها عند الله) أى لم يطلع عليها أحدا وهذا إنما هو وقت السؤال و إلا فلم يخرج نبينا صلى الله عليه وسلم من الدنيا حتى أطلعه الله على جميع المغيبات ومن جملتها الساعة لكن أمر بكتم ذلك (قوله

(وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) بالزنا (وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ) المؤمنين بقولهم : قد أتاكم العدو وسراياكم قتلوا أو هزموا (لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ) لنسلطنك عليهم (ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ) يساكنونك (فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا) ثم يخرجون (مَلْعُونِينَ) مبعدين عن الرحمة (أَيْنَمَا ثُقِفُوا) وجدوا (أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا) أى الحكم فيهم هذا على جهة الأمر به (سُنَّةَ اللَّهِ) أى سن الله ذلك (فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ) من الأمم الماضية فى منافقيهم المرجفين المؤمنين (وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا) منه (يَسْأَلُكَ النَّاسُ) أى أهل مكة (عَنِ السَّاعَةِ) متى تكون (قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ) يعلمك بها : أى أنت لاتعلمها (لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ) توجد (قَرِيبًا . إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ) أبعدهم (وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا) ناراً شديدة يدخلونها (خَالِدِينَ) مقدراً خلودهم (فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا) يحفظهم عنها (وَلَا نَصِيرًا) يدفعها عنهم (يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ : يَا) للتنبيه (لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا . وَقَالُوا) أى الأتباع منهم (رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا) وفى قراءة ساداتنا جمع الجمع (وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا) طريق الهدى (رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ) أى مثلى عذابنا (وَالْعَنْهُمْ) عذبهم ،

وما يدريك) ما استفهامية مبتدأ وجملة يدريك خبره والاستفهام إنكارى (قوله لعل الساعة تكون قريبا) لعل حرف ترج ونصب والساعة اسمها وجملة تكون خبرها وقريبا حال وتكون تامة ولذا فسرها بتوجد ، والمعنى قل أترجى وجود الساعة عن قريب فكل منهما جملة مستقلة لما ورد « إن الدنيا سبعة آلاف سنة بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الألف السابع فلم يبق من الدنيا إلا القليل» (قوله أبعدهم) أى عن رحمته (قوله مقدرا خلودهم) أشار بذلك إلى أن قوله خالدين حال مقدرة (قوله فيها) أى فى السعير وأنثه مراعاة لمعناه (قوله أبدا) تأكيد لما استفيد من قوله : خالدين (قوله يوم تقلب) إما ظرف لخالدين أو ليقولون مقدم عليه ، والمعنى تصرف من جهة إلى جهة كاللحم يشوى بالنار (قوم يقولون ياليتنا) كلام مستأنف واقع فى جواب سؤال مقدر كأنه قيل ماذا صنعوا عند ذلك فقيل يقولون متحسرين على مافاتهم ياليتنا الخ (قوله وأطعنا الرسولا) بألف بعد اللام ودونها هنا ، وفى قوله السبيلا قراءتان سبعيتان وتقدم التنبيه على ذلك (قوله سادتنا) جمع إما لسيد أو لسائد على غير قياس (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله جمع الجمع) أى جمع تصحيح بالألف والتاء لسادة الذى مفرده إما سيد أوسائد (قوله أى مثلى عذابنا) أى لأنهم ضلوا وأضلوا .

(قوله وفى قراءة بالموحدة) أى وهما سبعيتان (قوله مايمنعه أن يغتسل معنا الخ) أى لما روى «أن بنى إسرائيل كانوا يغتسلون عراة ينظر بعضهم إلى سوءة بعض وكان موسى يغتسل وحده، فقالوا والله مايمنع موسى أن يغتسل معنا إلا أنه آدر فذهب يوما يغتسل فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه فجعل موسى عليه السلام يعدو أثره يقول: ثوبى حجر ثوبى حجر حتى نظرت بنو إسرائيل سوءة موسى، فقالوا والله مابموسى من بأس، فقام الحجر حتى نظروا إليه فأخذ ثوبه فاستتر به وطفق بالحجر ضربا قال أبوهريرة: والله إن به ندبا: أى آثارا ستة أو سبعة من ضرب موسى» (قوله فبرأه الله) أى أظهر براءته لهم (قوله وهى نفخة فى الخصية) أى بسبب انصباب مادّة أو ريح غليظ فيها (قوله وكان عند الله وجيها) المراد عندية مكانة وقدر لا مكان (قوله فغضب النبى من ذلك) أى وقال كما فى رواية «إن لم أعدل من يعدل خسرت وندمت إن لم أعدل» (قوله قولا سديدا) المراد قولا فيه رضا الله بأن يكون مما يعنى الإنسان فدخل فى ذلك جميع الطاعات القولية وهذا التفسير أتمّ من غيره (قوله يتقبلها) أى يثبكم عليها (قوله ويغفر لكم ذنوبكم) أى يمحها من الصحف أو يسترها عن الملائكة (قوله إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال) اختلف فى المراد بالأمانة، فأحسن ماقيل فيها أنها التكاليف الشرعية، وقيل إنها قواعد

(لعنا كثيرا) عدده وفى قراءة بالموحدة: أى عظيما (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا) مع نبيكم (كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ) بقولهم مثلا: ما يمنعه أن يغتسل معنا إلا أنه آدر (فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا) بأن وضع ثوبه على حجر ليغتسل ففرّ الحجر به حتى وقف بين ملإ من بنى إسرائيل فأدركه موسى فأخذ ثوبه فاستتر به فرأوه لا أدرة به، وهى نفخة فى الخصية (وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا) ذا جاه. ومما أوذى به نبينا صلى الله عليه وسلم أنه قسم قسما فقال رجل هذه قسمة ما أريد بها وجه الله تعالى فغضب النبى صلى الله عليه وسلم من ذلك وقال «يرحم الله موسى لقد أوذى بأكثر من هذا فصبر» رواه البخارى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا) صوابا (يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ) يتقبلها (وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) نال غاية مطلوبه (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ) الصلوات وغيرها مما فى فعلها من الثواب وتركها من العقاب (عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ) بأن خلق فيها فهما ونطقا (فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ) خفن (مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ) آدم بعد عرضها عليه (إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا) لنفسه بما حمله (جَهُولًا) به،

لدين الخمس، وقيل هى الودائع، وقيل الفرج، وقيل غير ذلك روى «أن الله تعالى قال للسموات والأرض والجبال أتحملن هذه الأمانة بما فيها قلن وما فيها؟ قال إن أحسنتن جوزيتن وإن عصيتن عوقبتن. قلن لا ياربّ نحن مسخرات لأمرك لانريد ثوابا ولا عقابا» وقلن ذلك خوفا وخشية وتعظيما لدين الله لئلا يقمن بها لامعصية ولا مخالفة لأمره وكان العرض عليهن تخييرا لا إلزاما ولو ألزمهن لم يمتنعن من حملها (قوله من الثواب) بيان لما: أى عرضناها مع الثواب والعقاب على السموات الخ (قوله بأن خلق فيها فهما) أى حتى عقلت الخطاب، وقوله ونطقا: أى حتى ردّت الجواب (قوله فأبين أن يحملنها) أى استصغارا وخوفا من عدم الوفاء بها فليس إباؤهن كإباء إبليس من السجود لآدم لأن السجود كان فرضا والأمانة كانت عرضا وإباؤه استكبارا وإباؤهنّ استصغارا (قوله وأشفقن منها) أى خفن من عدم القيام بها وعدم أدائها (قوله وحملها الإنسان) عطف على محذوف تقديره فعرضناها على الإنسان فحملها (قوله بعد عرضها عليه) روى أن الله عزوجل قال لآدم «إنى عرضت الأمانة على السموات والأرض والجبال فلم تطقها فهل أنت آخذ بما فيها؟ قال يارب وما فيها؟ قال إن أحسنت جوزيت وإن أسأت عوقبت، فحملها آدم فقال بين أذنى وعاتقى. قال الله تعالى أما إذ تحملت فسأعينك وأجعل لبصرك حجابا فإذا خشيت أن تنظر إلى مالا يحلّ فأرخ عليه حجابه وأجعل للسانك لحيين وغلاقا فإذا خشيت فأغلق عليه وأجعل لفرجك لباسا فلا تكشفه على ماحرمت عليك» قال مجاهد: فما كان بين أن تحملها وبين أن أخرج من الجنة إلا مقدار مابين الظهر إلى العصر (قوله إنه كان ظلوما لنفسه) أى حيث حملها مالا تطيقه، وقوله جهولا به: أى بما حمله، وقيل جهولا بقدر ربه لأنه لايعلم قدره غيره، وهذا يناسب تفسير الانسان بآدم وعود الضمير عليه وإن أريد بالضمير مايشمله وأولاده فيكون فى الكلام استخدام فيقال فى الأنبياء والصالحين منهم كذلك وفى غيرهم الظلم والجهل

من حيث خيانته فى الأمانة ومجاوزته حد الشرع (قوله ليعذب الله المنافقين) اللام للعاقبة والصيرورة على حد - وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون - (قوله وكان الله غفورا للمؤمنين) أى حيث عفا عما سلف منهم (قوله رحيما بهم) أى حيث أثابهم وأكرمهم بأنواع الكرامات ، وحكمة إخبار الأمة بما حصل من تحمل آدم الأمانة ليكونوا على أهبة ويعرفوا أنهم متحملون أمرا عظيما لم تقدر على حمله الأرض والسموات والجبال ، وقيل فى حق المعصوم إنه كان ظلوما جهولا .

[سورة سبأ] بالصرف وتركه كما سيأتى ، سميت بذلك لذكر قصة سبأ فيها من باب تسمية الشئ باسم بعضه (قوله حمد تعالى) من باب فهم (قوله المراد به) بالجر نعت لاسم الإشارة (قوله الثناء بمضمونه) أى إنشاء الثناء بمضمونه وهو الوصف بالجميل وليس المراد إنشاء المضمون لأن اتصافه بالجميل أزلى ثابت له سبحانه وتعالى وإنما تعبدنا الله تعالى بتجديد حمد موافق للحمد الأزلى ، وهذا يؤيد قول بعض العلماء إن أل فى الحمد عهدية لأن الله سبحانه لما علم عجز خلقه عن كنه حمده حمد نفسه بنفسه أزلا وأمرهم أن

يحمدوه بحمد موافق لحمده فتحصل أن الوصف بالجميل ثابت لله أزلا وإنشاء الثناء به حادث فقول الله تعالى الحمد لله اللفظ والتلفظ حادثان دالان على معنى قديم وهو اتصاف الله بالجميل . إن قلت الحمد مدح ومدح النفس مذموم بين الخلق فما وجه ذلك ؟ . أجيب بأن أوصاف الرب لاتقاس على أوصاف العبيد ألاترى الاتصاف بالعظمة والكبرياء فانها نقص فى الخلق كمال فى الخالق وبهذا انهدم قول المعتزلة إن كل ماحسنه العقل يوصف به الرب وكل ماقبحه العقل ينزه عنه وبنوا على ذلك أمورا فاسدة منها وجوب الصلاح والأصلح وغير ذلك (قوله ملكا وخلقا) لا أى أن كل مافى السموات ومافى الأرض مملوك ومخلوق له سبحانه وتعالى (قوله وله الحمد فى الآخرة) أى فى نظير النعم التى تعطى لأهل الإيمان فالحمد فى الآخرة مخصوص بمن آمن ، وأما الكفار فليسوا من أهله (قوله كالدنيا) أشار بذلك إلى أن فى الآية اكتفاء (قوله يحمده أولياؤه) المراد بهم المؤمنون (قوله إذا دخلوا الجنة) أى فيقولون : الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن ، الحمد لله الذى صدقنا وعده (قوله وهو الحكيم الخبير) أى فلا اعتراض عليه فى فعل من الأفعال (قوله يعلم مايلج فى الأرض) تفصيل لبعض معلوماته التى تعلق بها مصالح الدين والدنيا (قوله كماء وغيره) أى كالكنوز والأموات (قوله كنبات وغيره) أى كالكنوز والأموات إذا أخرجت من القبور (قوله من رزق وغيره) أى كالبركات والملائكة والصواعق (قوله ومايعرج فيها) ضمن العروج معنى الاستقرار فعداه بفى دون إلى (قوله من عمل وغيره) أى كالملائكة فهو سبحانه وتعالى محيط بجميع ذلك (قوله الغفور لهم) أى إذا عصوه أوفرطوا فى بعض حقوقه ، وفى ذلك إشارة إلى أن رحمة الله وغفرانه مختصان بمن يدخل الجنة وهذا فى الآخرة ، وأما فى الدنيا فرحمته وسعت كل شئ

(لِيُعَذِّبَ اللَّهُ) اللام متعلقة بعرضنا المترتب عليه حمل آدم (الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ) المضيعين الأمانة (وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ) المؤدين الأمانة (وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا) للمؤمنين (رَحِيمًا) بهم .

(سورة سبأ)

مكية إلا : ويرى الذين أوتوا العلم الآية ، وهى أربع أو خمس وخمسون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . الْحَمْدُ لِلَّهِ) حمد تعالى نفسه بذلك المراد به الثناء بمضمونه من ثبوت الحمد ، وهو الوصف بالجميل لله تعالى (الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) ملكا وخلقا (وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ) كالدنيا يحمده أولياؤه إذا دخلوا الجنة (وَهُوَ الْحَكِيمُ) فى فعله (الْخَبِيرُ) بخلقه (يَعْلَمُ مَا يَلِجُ) يدخل (فِي الْأَرْضِ) كماء وغيره (وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا) كنبات وغيره (وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ) من رزق وغيره (وَمَا يَعْرُجُ) يصعد (فِيهَا) من عمل وغيره (وَهُوَ الرَّحِيمُ) بأوليائه (الْغَفُورُ) لهم (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا :

(قوله لا تأتينا الساعة) أراد الكفار بضمير المتكلم جميع الخلق لاخصوص أنفسهم وأرادوا أيضا بنفي إتيانها نفي وجودها لاعدم حضورها مع كونها موجودة في نفس الأمر (قوله قل بلى) رد لكلامهم لأن كلامهم نفي، فأجيب بالنفي ونفي النفي إثبات (قوله وربي) أتى بالقسم تأكيدا للرد وقوله - عالم الغيب - تقوية للتأكيد، والحكمة في وصفه تعالى بهذا الوصف الاهتمام بشأن المقسم عليه (قوله بالجر الخ) أي فالقراآت الثلاث سبعيات وجهان في صيغة اسم الفاعل ووجه واحد في صيغة المبالغة (قوله لايعزب) بضم الزاي في قراءة الجمهور وكسرها في قراءة الكسائي (قوله ولا أصغر من ذلك الخ) قرأ العامة بضم الراء في أصغر وأكبر على أنه مبتدأ وخبره قوله إلا في كتاب مبين، وقرئ بفتح الراء على أن لا نافية للجنس وأصغر اسمها وقوله: إلا في كتاب مبين خبرها، والمعنى على كل من القراءتين واحد وهو أن كل ما كان وما يكون وما هو كائن من سائر المخلوقات ثابت في اللوح المحفوظ ومبين فيه زيادة على تعلق علم الله به و إثباتها في اللوح لا لاحتياج، تنزه الله عنه. إن قلت أي حاجة إلى ذكر الأكبر بعد الأصغر إذ هو مفهوم بالأولى. أجيب بأنه لدفع توهم أن إثبات الأصغر خوف توهم النسيان، وأما الأكبر فلا ينسى فلا حاجة إلى إثباته فأفاد أن كلا مرسوم في اللوح المحفوظ لا لاحتياج (قوله ليجزي الذين آمنوا الخ) علة لقوله لتأتينكم كأنه قال لتأتينكم لأجل جزاء المؤمنين والكافرين واللام للعاقبة والصيرورة (قوله حسن في الجنة) أي محمود العاقبة وأعظمه رؤية الله تعالى (قوله والذين سعوا) عطف على قوله: الذين آمنوا وما بينهما اعتراض سيق لبيان جزاء المؤمنين وهذا أحسن من جعله مبتدأ خبره أولئك لهم عذاب الخ (قوله في إبطال آياتنا) أي بالطعن فيها ونسبتها إلى الأكاذيب (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضا (قوله

لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ) القيامة (قُلْ) لهم (بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ) بالجر صفة والرفع خبر مبتدإ، وعلام بالجر (لَا يَعْزُبُ) يغيب (عَنْهُ مِثْقَالُ) وزن (ذَرَّةٍ) أصغر نملة (فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) بين هو اللوح المحفوظ (لِيَجْزِيَ) فيها (الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) حسن في الجنة (وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي) إبطال (آيَاتِنَا) القرآن (مُعَاجِزِينَ) وفي قراءة هنا وفيما يأتي معاجزين أي مقدرين عجزنا أو مسابقين لنا فيفوتونا لظنهم أن لا بعث ولا عقاب (أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ) سيئ العذاب (أَلِيمٌ) مؤلم بالجر والرفع صفة لرجز أو عذاب (وَيَرَى) يعلم (الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ) مؤمنو أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه (الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ) أي القرآن (هُوَ) فصل (الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ) طريق (الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ) أي الله ذي العزة المحمودة (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا) أي قال بعضهم على جهة التعجيب لبعض (هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ) هو محمد (يُنَبِّئُكُمْ) يخبركم أنكم

مقدرين عجزنا الخ) لف ونشر مرتب، والمعنى مؤمنين أنهم يعجزون رسولنا بسبب سعيهم في إبطال القرآن (قوله أو مسابقين لنا) أي مغالبين لنا بسبب طعنهم في القرآن ظانين أن مغالبتهم تمنع عنهم العذاب وذلك أن القرآن يثبت البعث والعذاب لمن كفر فيطعنون فيه ويريدون إبطاله لظنهم أن ذلك الابطال ينفعهم فيفرون من البعث والعذاب لاعتقادهم بطلانه (قوله لظنهم أن لا بعث الخ) علة لقوله سعوا (قوله بالجر والرفع) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله ويرى) إما بالرفع بضمة مقدرة على الاستئناف أو بالنصب على أنه معطوف على يجزي فقول المفسر يعلم يصح قراءته بالوجهين والذين فاعل والذي أنزل مفعول أول وهو ضمير فصل والحق مفعول ثان، وقوله ويهدي إما عطف على الحق من باب عطف الفعل على الاسم الخالص كأنه قيل ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك الحق وهاديا، أو مستأنف أو حال بتقدير وهو يهدي (قوله مؤمنو أهل الكتاب) هذا أحد أقوال، وقيل المراد بهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقيل جميع المسلمين (قوله العزيز) أي عديم النظير والشبيه والمثيل أو من عز بمعنى قهر وغلب (قوله الحميد) فعيل بمعنى مفعول أي محمود في ذاته وصفاته وأفعاله (قوله هو محمد) نكروه تجاهلا وسخرية كأنهم لم يعرفوا منه إلا أنه رجل مع أنه عندهم أشهر من الشمس في رابعة النهار.

(قوله إذا مزقتم) يتعين أن عامل الظرف محذوف تقديره تبعثون ومحصرون إذا مزقتم الخ يدل عليه قوله : إنكم لفي خلق جديد ولا يصح أن يكون عامله ينبئكم لأن الاخبار لم يقع في ذلك الوقت ولا قوله مزقتم لأنه مضاف إليه والمضاف إليه لا يعمل في المضاف ولا خلق جديد لأن ما بعد أن لا يعمل فيما قبلها وعبارة المفسر غير وافية بالمراد فلو قال يخبركم أنكم تبعثون إذا مزقتم لوفى بالمقصود (قوله بمعنى تمزيق) أشار بذلك إلى أن ممزق اسم مصدر لأن كل ما زاد على الثلاث يجيء اسم مصدره وزمانه ومكانه على زنة اسم المفعول (قوله إنكم لفي خلق جديد) أي تنشئون خلقا جديدا بعد تمزيق أجسامكم (قوله أفترى على الله كذبا) يحتمل أن يكون من تمام قول الكافرين هل ندلكم الخ ويحتمل أن يكون من كلام السامع جوابا للقائل (قوله واستغنى بها) أي بهمزة الاستفهام لأنها كافية في التوصل للنطق بالساكن (قوله في ذلك) أي الإخبار بالبعث (قوله جنون) أي خبل في عقله (قوله قال تعالى) أشار بذلك إلى أن هذا إنشاء كلام من الله ردا عليهم وما تقدم وإن كان كلامه إلا أنه حكاية عنهم (قوله العذاب) أي في الآخرة وذكره إشارة إلى أنه متحتم الوقوع فنزل المتوقع منزلة الواقع وقدمه على الضلال وإن كان الضلال حاصلا لهم بالفعل لأن التسلية بحصول العذاب لهم أتم من الاخبار بكونهم في الضلال (قوله أفلم يروا) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه والتقدير أعموا فلم يروا الخ (قوله ما بين أيديهم) المراد به ما ينظر له من غير التفات وقوله وما خلفهم المراد به ما ينظر له بالتفات ، فالمراد جميع الجهات (قوله من السماء والأرض) بيان لما ، والمعنى أفلم يتفكروا في أحوال السماء والأرض فيستدلوا على باهر قدرته تعالى وقد علمنا الله كيفية النظر بقوله : أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج الآية (قوله إن نشأ) هذا تحذير للكفار كأنه قيل لم يبق من أسباب وقوع العذاب بكم إلا تعلق مشيئتنا به

(إِذَا مُزِّقْتُمْ) قطعتم (كُلَّ مُمَزَّقٍ) بمعنى تمزيق (إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ . أَفْتَرَى) بفتح الهمزة للاستفهام واستغنى بها عن همزة الوصل (عَلَى اللَّهِ كَذِبًا) في ذلك (أَمْ بِهِ جِنَّةٌ) جنون تخيل به ذلك . قال تعالى (بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ) المشتملة على البعث والعذاب (فِي الْعَذَابِ) فيها (وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ) عن الحق في الدنيا (أَفَلَمْ يَرَوْا) ينظروا (إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ) ما فوقهم وما تحتهم (مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا) بسكون السين وفتحها قطعة (مِنَ السَّمَاءِ) وفي قراءة في الأفعال الثلاثة بالياء (إِنَّ فِي ذَلِكَ) المرئي (لَآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ) راجع إلى ربه تدل على قدرة الله على البعث وما يشاء (وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا) نبوة وكتابا وقلنا (يَا جِبَالُ أَوِّبِي) رجعي (مَعَهُ) بالتسبيح (وَالطَّيْرَ) بالنصب عطفا على محل الجبال : أي ودعوناها تسبح معه (وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ) ،

(قوله نخسف بهم الأرض) أي كما خسفناها بقارون (قوله أو نسقط عليهم كسفا) أي كما أسقطناها على أصحاب الأيكة (قوله بسكون السين وفتحها) أي فهما قراءتان سبعيتان وكل منهما جمع كسفة فقول المفسر قطعة المناسب قطعا (قوله في الأفعال الثلاثة) أي نشأ ونخسف ونسقط (قوله إن في ذلك المرئي) أي من السماء والأرض (قوله ولقد آتينا) اللام موطئة لقسم محذوف تقديره وعزتنا وجلالنا (قوله وكتابا) أي وهو الزبور (قوله وقلنا) قدره إشارة إلى أن قوله ياجبال مقول لقول محذوف معطوف على قوله آتينا فهو زيادة على الفضل (قوله أوبي) بفتح الهمزة وتشديد الواو أمر من التأويب وهو الترجيع وهو قراءة العامة وقرئ شذوذا أوبي بضم الهمزة وسكون الواو أمر من آب بمعنى رجع أي ارجعي وعودي معه في التسبيح كلما سبح فكان داود إذا سبح أجابته الجبال وعطفت عليه الطير من فوقه ، وقيل كان إذا أدركه فتور أسمعه الله تسبيح الجبال فينشط له (قوله عطفا على محل الجبال) أي لأن محله نصب لكونه منادى مفردا أو مفعولا معه وقرئ بالرفع عطف على لفظ الجبال تشبيها للحركة البنائية بالحركة الإعرابية قال ابن مالك :

وإن يكن مصحوب أل ما نسقا ... ففيه وجهان ورفع ينتقى

(قوله وألنا له الحديد) سبب ذلك أن الله تعالى أرسل له ملكا في صورة رجل فسأله داود عن حال نفسه فقال له ما تقول في داود ؟ فقال نعم هو لولا خصلة فيه ، فقال داود ما هي ؟ قال إنه يأكل ويطعم عياله من بيت المال ، فسأل داود عليه السلام ربه أن يسبب له سببا يستغني به عن بيت المال

وكان

فالان الله له الحديد وعلمه صنعة الدروع فهو أول من اتخذها وكانت قبل ذلك صفائح ، قيل كان يعمل كل يوم درعا و يبيعها بأربعة آلاف درهم و ينفق و يتصدق منها فلذا قال صلى الله عليه وسلم « كان داود لا يأكل إلا من عمل يده » (قوله فكان فى يده كالعجين) أى من غير نار ولا آلة (قوله دروعا كوامل) أشار بذلك إلى أن سابغات صفة لموصوف محذوف (قوله وقدر فى السرد) اختلف فى معنى الآية ، فقيل اجعله على سبيل الحاجة ولا تنهمك فيه بل اشتغل بعبادة ربك ، وقيل قدر المسامير فى حلق الدروع لا غلاظا ولا دقاقا ، وردّ ذلك بأنه لم يكن فى حلقها مسامير لعدم الحاجة إليها بسبب إلانة الحديد وحينئذ فالأظهر ماقاله المفسر من أن السرد الدروع والتقدير اجعل كل حلقة مساوية لأختها ضيقة لا ينفذ منها السهم فى الغلظ لا تقبل الكسر ولا تثقل حاملها والكل نسبة واحدة (قوله بحيث تتناسب حلقه) بفتحتين أو بكسر ففتح جمع حلقة بفتح فسكون أو بفتحتين (قوله أى آل داود) تفسير للواو فى اعملوا (قوله صالحا) أى عملا صالحا ولا تتكلوا على عز أبيكم وجاهه (قوله فأجازيكم عليه) أى إن خيرا فخير و إن شرا فشر (قوله ولسليمان الريح) الجار والمجرور متعلق بمحذوف قدره المفسر بقوله سخرنا بدليل التصريح به فى قوله تعالى ـ وسخرنا له الريح تجرى بأمره ـ (قوله بتقدير تسخير) أى فالجار والمجرور خبر مقدم والريح مبتدأ مؤخر على حذف مضاف والأصل وتسخير الريح كائن لسليمان فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه (قوله غدوها شهر) مبتدأ وخبر ، والمعنى سيرها من الغداة إلى الزوال مسيرة شهر

فكان فى يده كالعجين ، وقلنا (أَنِ اعْمَلْ) منه (سَابِغَاتٍ) دروعا كوامل يجرها لابسها على الأرض (وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ) أى نسج الدروع ، قيل لصانعها سرّاد : أى اجعله بحيث تتناسب حلقه (وَاعْمَلُوا) أى آل داود معه (صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) فأجازيكم به (وَ) سخرنا (لِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ) وقراءة الرفع بتقدير تسخير (غُدُوُّهَا) سيرها من الغدوة بمعنى الصباح إلى الزوال (شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا) سيرها من الزوال إلى الغروب (شَهْرٌ) أى مسيرته (وَأَسَلْنَا) أذبنا (لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ) أى النحاس فأجريت ثلاثة أيام بلياليهن كجرى الماء ، وعمل الناس إلى اليوم مما أعطى سليمان (وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ) بأمر (رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ) يعدل (مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا) له بطاعته (نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ) النار فى الآخرة ، وقيل فى الدنيا بأن يضربه ملك بسوط منها ضربة تحرقه (يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ) أبنية مرتفعة يصعد إليها بدرج (وَتَمَاثِيلَ) جمع تمثال ، وهو كل شىء مثلته بشىء : أى صور من نحاس وزجاج ورخام

للسائر المجد ومن الزوال للغروب مسيرة شهر ، عن الحسن كان سليمان يغدو من دمشق فيقيل فى إصطخر و بينهما مسيرة شهر ثم يروح من إصطخر فيبيت ببابل و بينهما مسيرة شهر للراكب المسرع وتقدم أن الريح كانت تحمل البساط بجيوشه لأى جهة توجه إليها فالعاصف تقلع البساط والرخاء تسيره (قوله وأسلنا له عين القطر) أى جعلنا النحاس فى معدنه جاريا كالعين النابعة من الأرض وكانت تلك العين باليمن (قوله فأجريت ثلاثة أيام) قيل مرة واحدة ، وقيل كان يسيل فى كل شهر ثلاثة أيام (قوله وعمل الناس الخ) مبتدأ خبره قوله مما أعطى سليمان : أى صنع الناس النحاس و إذابته بالنار من آثار كرامة سليمان لأنه قبل ذلك لم يكن يلين بنار ولا غيرها (قوله من يعمل بين يديه) يصح أن يكون مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله و يصح أن يكون مفعولا لمحذوف تقديره وسخرنا من الجن من يعمل ومن على كل حال واقعة على فريق (قوله بطاعته) أى بطاعة سليمان (قوله بأن يضربه ملك الخ) أى فقد وكل الله ملكا بالجن المسخرين لسليمان وجعل فى يده سوطا من نار ، فمن زاغ منهم عن طاعة سليمان ضربه بذلك السوط ضربة أحرقته (قوله أبنية مرتفعة) أى مساجد وغيرها ، وسميت بذلك لأن صاحبها يحارب فيها غيره لحمايتها ، وقيل المراد بالمحاريب خصوص المساجد والأقرب ماقاله المفسر وليس المراد بها الطاقات التى تقف فيها الأئمة فى المساجد إذ هى حادثة فى المساجد بعد زمن النبى صلى الله عليه وسلم ، وسميت بالمحاريب تشبيها لها بالأبنية المرتفعة لأنها رفيعة القدر ولذا خصوها بالأئمة (قوله وتماثيل) قال بعضهم إنها صور الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والعلماء كانت تصور فى المساجد ليراها الناس فيزدادوا عبادة واجتهادا يدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم « إن أولئك كان إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور » أى ليذكروا عبادتهم فيجتهدوا فى العبادة

(قوله ولم يكن اتخاذ الصور حراما الخ) جواب عما يقال إن اتخاذ الصور حرام فكيف يليق اتخاذها من سليمان . واعلم أن اتخاذ الصور أولا كان لمقصد حسن فلما ساء القصد بسبب اتخاذها آلهة تعبد من دون الله حرم الله اتخاذها على العباد (قوله وهى حوض كبير) ى وسمى جابية لأن الماء يجبى فيه أى يجمع (قوله آل داود) المراد سليمان وأهل بيته (قوله شكرا) مفعول لأجله أى اعملوا لأجل الشكر لله على ما أعطاكم من تلك النعم العظيمة التى لاتضاهى وهذا أعظم المقاصد وهو العمل لأجل شكر الله على نعمه فالواجب على العباد خدمة الله وطاعته لذاته وسابق نعمه عليهم حيث أوجدهم من العدم وجعل لهم السمع والبصر والأفئدة والعافية وغير ذلك من أنواع النعم التى لاتحصى (قوله وقليل من عبادى الشكور) أى لكون هذا القصد عزيزا لم يوفق له إلا القليل من الناس ، وغالب الناس عبادتهم وطاعتهم إما لأجل طلب الدنيا أو خوفا من النار وطمعا فى الجنة . [فائدة] من جملة عمل الجن لسليمان بيت المقدس . وذلك أن داود ابتدأ بناءه فى موضع فسطاط موسى التى كان ينزل فيها فرفعه قدر قامة فأوحى الله إليه لم يكن تمامه على يديك بل على يد ابن لك اسمه سليمان ، فلما قضى على داود واستخلف سليمان وأحب إتمامه جمع الجن والشياطين وقسم عليهم الأعمال فأرسل بعضهم فى تحصيل الرخام و بعضهم فى تحصيل البلور من معادنه وأمر ببناء المدينة بالرخام والصفائح فلما فرغ منها ابتدأ فى بناء المسجد فوجه الشياطين فرقا منهم من يستخرج الجواهر واليواقيت والدر الصافى من أماكنها ومنهم من يأتيه بالمسك والطيب والعنبر من أماكنه فأتى من ذلك بشىء كثير ثم أحضر الصناع لنحت تلك الأحجار و إصلاح تلك الجواهر وثقب تلك اليواقيت واللآلىء فبناه بالرخام الأبيض والأصفر والأخضر وجعل عمده من البلور الصافى وسقفه بأنواع الجواهر و بسط أرضه بالعنبر فلم يكن على وجه الأرض يومئذ بيت أبهى ولا أنور منه فكان يضىء فى الظلمة كالقمر ليلة البدر فلم يزل على هذا البناء حتى غزاه بختنصر فخرب المدينة وهدمه وأخذ مافيه من الذهب والفضة وسائر أنواع الجواهر وحمله إلى ملكه بالعراق حين بطرت بنو إسرائيل النعم وقتلوا زكريا ويحيى ، وكان ابتداء بناء بيت المقدس

ولم يكن اتخاذ الصور حراما فى شريعته (وَجِفَانٍ) جمع جفنة (كَالْجَوَابِ) ى جمع جابية ، وهى حوض كبير يجتمع على الجفنة ألف رجل يأكلون منها (وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ) ثابتات لها قوائم لاتتحرك عن أماكنها تتخذ من الجبال باليمن يصعد إليها بالسلالم ، وقلنا (اعْمَلُوا) يا (آلَ دَاوُدَ) بطاعة الله (شُكْرًا) له على ما آتاكم (وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ) العامل بطاعتى شكرا لنعمتى (فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ) على سليمان (الْمَوْتَ) أى مات ، ومكث قائما على عصاه حولا ميتا والجن تعمل تلك الأعمال الشاقة على عادتها لاتشعر بموته ، حتى

فى السنة الرابعة من ملك سليمان وكان عمره سبعا وستين سنة وملك وهو ابن سبع عشرة وكان ملكه خمسين سنة وقرب بعد فراغه منه اثنى عشر ألف ثور ومائة وعشرين ألف شاة واتخذ اليوم الذى فرغ فيه من بنائه عيدا وقام على الصخرة رافعا يديه إلى الله تعالى بالدعاء ، وقال اللهم أنت وهبت لى هذا السلطان وقويتنى على بناء هذا المسجد اللهم فأوزعنى شكرك على ما أنعمت على وتوفنى على ملتك ولا تزغ قلبى بعد إذ هديتنى ، اللهم إنى أسألك لمن دخل هذا المسجد خمس خصال لايدخله مذنب دخل للتوبة إلا غفرت له وتبت عليه ولاخائف إلا أمنته ولاسقيم إلا شفيته ولا فقير إلا أغنيته والخامسة ألا تصرف نظرك عمن دخله حتى يخرج منه إلا من أراد إلحادا أو ظلما يارب العالمين. وروى أن سليمان لما بنى بيت المقدس سأل الله تعالى خلالا ثلاثا حكما يصادف حكمه فأوتيه وسأل الله تعالى ملكا لاينبغى لأحد من بعده فأوتيه وسأل الله حين فرغ من بنائه أن لايأتيه أحد لاينهزه إلا الصلاة فيه إلا خرج من خطيئته كيوم ولدته أمه. إذا علمت ذلك فبيت المقدس تم بناؤه وهو حى وهو الصحيح (قوله فلما قضينا عليه الموت الخ) روى أن سليمان كان يتجرد للعبادة فى بيت المقدس السنة والسنتين والشهر والشهرين فيدخل فيه ومعه طعامه وشرابه فلما أعلمه الله بوقت موته قال اللهم أخف على الجن موتى حتى تعلم الانس أن الجن لايعلمون الغيب، وكانت الجن تخبر الانس أنهم يعلمون من الغيب أشياء وأنهم يعلمون مافى غد ثم لبس كفنه وتحنط ودخل المحراب وقام يصلى واتكأ على عصاه على كرسيه فمات فكان الجن ينظرون إليه ويحسبون أنه حى ولاينكرون احتباسه عن الخروج إلى الناس لتكرره منه قبل ذلك فالحكمة فى إخفاء موته ظهور أن الجن لايعلمون الغيب لاتتميم بناء بيت المقدس كما قيل فان الصحيح أنه تم قبل موته بالزمن الطويل .

(قوله حتى أكلت الأرضة عصاه) فلما أكلتها أحبها الجن وشكروا لها فهم يأتونها بالماء والطين فى خروق الخشب وقالوا لها لو كنت تأكلين الطعام والشراب لأتيناك بهما (قوله مصدر أرضت الخشبة) أى أكلت، فمعنى دابة الأرض دابة الأكل وهذا أحد وجهين. والوجه الآخر أن المراد بالأرض المعرفة ونسبت لها لخروجها منها (قوله بالهمز) أى الساكن أو المفتوح فتكون القراآت ثلاثا سبعيات (قوله الشاق لهم) اللام بمعنى على، وفى نسخة له أى لسليمان (قوله لظنهم حياته) علة لقوله مالبثوا (قوله وعلم كونه الخ) إما بالبناء للمفعول أومصدر مبتدأ خبره قوله بحساب الخ فتحصل أن الجن أرادوا أن يعرفوا وقت موته فوضعوا الأرضة على العصا فأكلت فى يوم وليلة مقدارا فحسبوا على ذلك فوجدوه قد مات من منذ سنة (قوله لقد كان لسبأ) اللام موطئة لقسم محذوف أى والله لقد كان الخ ولسبأ خبر كان مقدم وآية اسمها مؤخر وفى مساكنهم حال (قوله بالصرف وعدمه) أى وفى عدم الصرف قراءتان فتح الهمزة وسكونها فالقراآت ثلاث (قوله سميت باسم جد لهم) أى وهو سبأ بن يشجب بجيم مضمومة ابن يعرب بن قحطان، روى أن رجلا قال يارسول الله «وماسبأ أرض أوامرأة قال ليس بأرض ولاامرأة ولكنه رجل ولد عشرا من العرب فتيامن منهم ستة أى سكنوا اليمن وتشاءم منهم

أربعة أى سكنوا الشام فأما الذين تشاءموا فلخم وجذام وغسان وعاملة وأما الذين تيامنوا فالأزد والأشعريون وحمير وكندة ومذحج وأنمار فقال رجل يارسول الله وما أنمار قال الذين منهم خثعم وبجيلة» والمقصود من تلك القصة اتعاظ هذه الأمة المحمدية ليعتبروا ويشكروا نعمة الله عليهم وإلا يحل بهم ماحل بمن قبلهم (قوله فى مساكنهم) بالجمع كمساجد والإفراد إما بكسر الكاف أوفتحها ففيه ثلاث قراآت سبعيات

حتى أكلت الأرضة عصاه فخر ميتا (مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ) مصدر أرضت الخشبة بالبناء للمفعول أكلتها الأرضة (تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ) بالهمز وتركه بألف: عصاه، لأنها ينسأ ويطرد ويزجر بها (فَلَمَّا خَرَّ) ميتا (تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ) انكشف لهم (أَنْ) مخففة: أى أنهم (لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ) ومنه ماغاب عنهم من موت سليمان (مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ) العمل الشاق لهم لظنهم حياته خلاف ظنهم علم الغيب، وعلم كونه سنة بحساب ما أكلته الأرضة من العصا بعد موته يوما وليلة مثلا (لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ) بالصرف وعدمه قبيلة سميت باسم جد لهم من العرب (فِي مَسَاكِنِهِمْ) باليمن (آيَةٌ) دالة على قدرة الله تعالى (جَنَّتَانِ) بدل (عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ) عن يمين واديهم وشماله، وقيل لهم (كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ) على مارزقكم من النعمة فى أرض سبإ (بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ) ليس فيها سباخ ولا بعوضة ولا ذبابة ولا برغوث ولا عقرب ولاحية، ويمر الغريب فيها وفى ثيابه قمل فيموت لطيب هوائها (وَ) الله (رَبٌّ غَفُورٌ. فَأَعْرَضُوا) عن شكره وكفروا (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ) جمع عرمة،

(قوله باليمن) أى وكان بينها وبين صنعاء ثلاثة أيام (قوله دالة على قدرة الله) أى فاذا تأمل العاقل فيها استدل على باهر قدرته وأنه الخالق لجميع المخلوقات (قوله بدل) أى من آية التى هى اسم كان وصح إبدال المثنى من المفرد لأنه فى قوة المتعدد وذلك أن الجنتين لما كانتا متماثلتين وكانت كل واحدة دالة على قدرة الله من غير انضمام غيرها لها صح جعلهما آية واحدة نظير قوله تعالى ــ وجعلنا ابن مريم وأمه آية ــ (قوله عن يمين واديهم وشماله) هذا أحد قولين وقيل عن يمين الذاهب وشماله (قوله وقيل لهم) أى على لسان أنبيائهم لأنه بعث لهم ثلاثة عشر نبيا فدعوهم إلى الله وذكروهم بنعمه وهذا الأمر للاذن والاباحة (قوله واشكروا له) أى اصرفوا نعمه فى مصارفها (قوله أرض سبأ الخ) أشار بذلك إلى أن قوله بلدة طيبة خبر لمحذوف فهو كلام مستأنف (قوله ليس بها سباخ) جمع سبخة وهى الأرض ذات الملح (قوله ولا بعوضة) البعوض البق وقوله ولا برغوث بضم الباء (قوله فيموت) أى القمل ومثله باقى الهوام (قوله ورب غفور) أى يستر ذنوبكم (قوله فأعرضوا عن شكره) أى عن أمره واتباع رسله، لما روى أنه أرسل لهم ثلاثة عشر نبيا فدعوهم إلى الله وذكروهم بنعمه وأنذروهم عقابه فكذبوهم وقالوا مانعرف لله علينا نعمة فقولوا له فليحبس عنا هذه النعم إن استطاع وكان لهم رئيس يلقب بالحمار كان له ولد فمات فرفع رأسه إلى السماء فبزق وكفر فلا يمر بأرضه أحد إلا دعاه للكفر فان أجابه وإلا قتله.

(قوله وهو مايمسك الماء من بناء وغيره) أى فكان واديهم أرضا متسعة بين جبال شاهقة فبنت بلقيس سدا حول ذلك الوادى بالصخر والقار وجعلت له أبوابا ثلاثة بعضها فوق بعض ، وصار ماء السيول يتساقط من الجبال خلف السد من كل جهة فكانوا يسقون من الأعلى ثم من الأوسط ثم من الأدنى على حسب علو الماء وهبوطه،فالعرم هو هذا السد ، وقيل العرم اسم للفأر الذى نقب السد لما ورد أنهم كانوا يزعمون أنهم يجدون فى كهانتهم أنه يخرب سدهم فأرة ، فلم يتركوا فرجة بين صخرتين إلا ربطوا إلى جانبها هرة ، فلما جاء ما أراده الله بهم أقبلت فأرة حمراء إلى بعض تلك الهرر فثاورتها حتى استأخرت عن الجحر ، ثم وثبت فدخلت فى الفرجة التى عندها ونقبت السد حتى أوهنته للسيل وهم لايدرون ، فلما جاء السيل دخل تلك الفرجة حتى بلغ السد وفاض الماء على أموالهم فأغرقها ودفن بيوتهم (قوله جنتين) تسميتهما بذلك تهكم بهم لمشاكلة الأول (قوله مفرد على الأصل) أى لأن أصلها ذوية تحركت الياء وانفتح ماقبلها قلبت ألفا فصار ذوات ثم حذفت الواو تخفيفا ففى تثنيته وجهان اعتبار الأصل واعتبار العارض فالأول ذواتان والثانى ذاتان (قوله مر بشع) قيل هو شجر الأراك ،

وهو مايمسك الماء من بناء وغيره إلى وقت حاجته، أى سيل واديهم المسوك بما ذكر فأغرق جنتيهم وأموالهم (وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ) تثنية ذوات مفرد على الأصل (أُكُلٍ خَمْطٍ) مُرّ بشع بإضافة أكل بمعنى مأكول، وتركها ويعطف عليه (وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ . ذَٰلِكَ) التبديل (جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا) بكفرهم (وَهَلْ يُجَازَى إِلَّا الْكَفُورُ) بالياء والنون مع كسر الزاى ونصب الكفور، أى مايناقش إلا هو (وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ) بين سبأ وهم باليمن (وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا) بالماء والشجر، وهى قرى الشام التى يسيرون إليها للتجارة (قُرًى ظَاهِرَةً) متواصلة من اليمن إلى الشام (وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ) بحيث يقيلون فى واحدة ويبيتون فى أخرى إلى انتهاء سفرهم ولايحتاجون فيه إلى حمل زاد وماء : أى وقلنا (سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ) لاتخافون فى ليل ولا فى نهار (فَقَالُوا رَبَّنَا بَعِّدْ) وفى قراءة باعد (بَيْنَ أَسْفَارِنَا) إلى الشام اجعلها مفاوز ليتطاولوا على الفقراء بركوب الرواحل وحمل الزاد والماء فبطروا النعمة (وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ) بالكفر (فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ) لمن بعدهم فى ذلك (وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ) فرقناهم فى البلاد كل التفريق (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ) المذكور (لَآيَاتٍ) عبرا (لِكُلِّ صَبَّارٍ) عن المعاصى (شَكُورٍ) على النعم (وَلَقَدْ صَدَقَ) ،

وقيل كل شجر له شوك (قوله بإضافة أكل) أى بضم الكاف لاغير وقوله وتركها أى بضم الكاف وسكونها فالقراءات ثلاث سبعيات (قوله ويعطف عليه) أى على أكل (قوله من سدر قليل) الصحيح أن السدر وهو النبق نوعان : نوع يؤكل ثمره وينتفع بورقه ، ونوع له ثمر غض لايؤكل أصلا ولا ينتفع بورقه وهو المسمى بالضال ، وهو المراد هنا (قوله ذلك) مفعول ثان لجزينا مقدم عليه (قوله بكفرهم) أشار بذلك إلى أن مامصدرية (قوله بالياء والنون) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله أى مايناقش إلا هو) أشار بذلك إلى أن الحصر منصب على المناقشة والتدقيق فى الحساب والمؤاخذة بكل الذنوب وإلا فمطلق المجازاة تكون للمؤمن والكافر لكن المؤمن يعامل بالفضل والكافر يعامل بالعدل (قوله وجعلنا بينهم) عطف على ماتقدم عطف قصة على قصة (قوله قرى ظاهرة) قيل كانت قراهم أربعة آلاف وسبعمائة قرية متصلة من سبأ إلى الشام (قوله وقدرنا فيها السير) أى جعلنا السير بين قراهم وبين القرى المباركة سيرا مقدرا من منزل إلى منزل ومن قرية إلى قرية (قوله ولا يحتاجون فيه إلى حمل زاد وماء) أى فكانوا يسيرون غير جائعين ولا ظامئين ولا خائفين مسيرة أربعة أشهر فى أماكن لايحرك بعضهم بعضا ولو لقى الرجل قاتل أبيه لايحركه (قوله فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا) أى لما بطروا وطغوا وكرهوا الراحة تمنوا طول السفر والتعب فى المعايش نظير قول بنى إسرائيل ـ ادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض ـ الآية، وكتمنى أهل مكة العذاب بقولهم ـ اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء ـ الآية (قوله مفاوز) جمع مفازة وهى الموضع المهلك مأخوذ من فوز بالتشديد إذا مات وقيل من فاز إذا نجا وسلم سمى بذلك تفاؤلا بالسلامة (قوله أحاديث) أى يتحدث بأخبارهم (قوله فرقناهم فى البلاد) أى لضيق عيشهم وخراب أماكنهم وهى

سنة باقية فى كل من بطر النعمة وظلم ، فقد أفادنا الله فى تلك الآيات أنه اصابهم بنعمتين وابتلاهم بنقمتين (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله ظنه) أى وسبب ظنه إما رؤيته انهماكهم فى الشهوات أوقول الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها أو وسوسته لآدم فى الجنة فأخرج منها فظن ضعف أولاده بالنسبة له و إن كان لم تؤثر وسوسته لآدم (قوله فصدق بالتخفيف فى ظنه) أشار بذلك إلى أن قوله ظنه على قراءة التخفيف منصوب على نزع الخافض ، والمعنى صار فيما ظنه أولا من إغوائهم على يقين، وقوله أوصدق بالتشديد الخ أى فظنه مفعول لصدق، والمعنى حقق ظنه ووجده صادقاً (قوله بمعنى لكن) أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع وحمله على ذلك تفسيره الضمير بالكفار ويصح أن يكون متصلا لأن بعض المؤمنين يذنب و يتبع إبليس فى بعض المعاصى ويكون قوله إلافريقاًمن المؤمنين المراد بهم من لم يتبعه أصلا والأقرب الأول لأن المعصومين استثناهم من حين طرده بقوله لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين (قوله تسليط منا) أى فالشيطان سبب فى الاغواء لاخالق الاغواء ، فمن أراد الله حفظه منع الشيطان عنه ، ومن أراد الله إغواءه سلط الله عليه الشيطان والكل فعل الله تعالى (قوله علم ظهور) أى فالمعنى ليظهر متعلق علمنا فاللام للعاقبة لاللتعليل ، ومعنى الآية ماكان له عليهم إيجاد إضلال بل خالق الهدى والضلال هونحن و إنما سبقت حكمتنا بتسليطه ليتميز بين عبادنا من خلقنا فيه الكفر ومن خلقنا فيه الايمان فاتباعه وعدمه علامة على ماتعلق به علمه تعالى فتدبر (قوله رقيب) أى فهو تعالى قادر على منع إبليس منهم عالم بماسيقع (قوله قل ادعوا) بكسر اللام على أصل التخلص و بالضم إتباعا قراءتان سبعيتان (قوله أى زعمتموهم آلهة) أى فالمفعولان محذوفان الأول لطوله بصلته والثانى لقيام صفته أعنى قوله من دون الله مقامه (قوله لينفعوكم) متعلق بادعوا أى ادعوهم ليكشفوا عنكم الضر الذى نزل بكم فى سنى الجوع و يجلبوا لكم سعة

بالتخفيف والتشديد (عَلَيْهِمْ) أى الكفار منهم سبأ (إِبْلِيسُ ظَنَّهُ) أنهم باغوائه يتبعونه (فَاتَّبَعُوهُ) فصدق بالتخفيف فى ظنه ، أو صدّق بالتشديد ظنه ، أى وجده صادقا (إِلَّا) بمعنى لكن (فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) للبيان أى وهم المؤمنون لم يتبعوه (وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ) تسليط منا (إِلَّا لِنَعْلَمَ) علم ظهور (مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ) فنجازى كلا منهما (وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ) رقيب (قُلِ) يامحمد لكفار مكة (ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ) أى زعمتموهم آلهة (مِنْ دُونِ اللَّهِ) أى غيره لينفعوكم بزعمكم ، قال تعالى فيهم (لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ) وزن (ذَرَّةٍ) من خير أو شر (فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ) شركة (وَمَا لَهُ) تعالى (مِنْهُمْ) من الآلهة (مِنْ ظَهِيرٍ) معين (وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ) تعالى رداً لقولهم إن آلهتهم تشفع عنده (إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ) بفتح الهمزة وضمها (لَهُ) فيها (حَتَّى إِذَا فُزِّعَ) ـــ

العيش (قوله مثقال ذرة) أى لايملكون أمرا من الأمور فى العالم وذكر السموات والأرض للتعميم عرفا (قوله معين) أى على خلق شئ بل الله تعالى المنفرد بالايجاد والاعدام (قوله ولاتنفع الشفاعة عنده) أى أن الشفاعة لاتكون من هؤلاء المعبودين من دون الله من الملائكة والأنبياء والأصنام إلا أن يأذن الله للملائكة والأنبياء فى الشفاعة لغير الكفار ، وأما الكفار فلاشفاعة فيهم لقوله تعالى ـ احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم ـ (قوله رداً لقولهم الخ) أى حيث قالوا ـ مانعبدهم إلاليقربونا إلى الله زلفى ـ و إيضاحه أن الشفاعة لاتكون ولا تحصل إلا بالاذن والرضا وهم قد ارتكبوا مايقتضى الغضب وهوالكفر فكيف يطلبون الشفاعة بالكفر المقتضى للغضب وعدم الاذن فى الشفاعة إن هذا لزعم باطل (قوله إلا لمن أذن له) يصح وقوع من على الشافعين ، والمعنى إلالشافع أذن له فى الشفاعة،ويصح وقوعها على المشفوع لهم ، والمعنى لاتنفع الشفاعة إلا لمشفوع إذن أن يشفع له فاللام على كل حال متعلقة باذن والضمير عائد على الموصول وفيه الوجهان (قوله بفتح الهمزة) أى والضمير عائد على الله تعالى لذكره أولا وقوله وضمها أى بالبناء للمفعول والآذن هوالله تعالى والقراءتان سبعيتان (قوله حتى إذا فزع) غاية فى محذوف تقديره يتربصون و يتوقفون مدة من الزمان فزعين حتى إذا فزع إلى آخره،والتضعيف للسلب كالهمزة كما أشار له بقوله كشف عنها الفزع ، والمعنى حتى إذا أزيل الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بكلمة يتكلم بها رب العزة فى الاذن بالشفاعة سأل بعضهم بعضا .

(قوله بالبناء للفاعل) أى والفاعل ضمير يعود على الله وقوله والمفعول : أى والجار والمجرور نائب الفاعل والقراءتان سبعيتان (قوله استبشارا) أى لزوال الكرب والحزن عن القلوب . واختلف هل هذا الأمر فى الآخرة أو الدنيا ، فقيل فى الآخرة ويؤيده مافى سورة النبأ ـ يوم يقوم الروح والملائكة صفا لايتكلمون إلامن أذن له الرحمن وقال صوابا ـ وعلى هذا فيكون فى الكلام حذف والتقدير لا تنفع الشفاعة عنده يوم القيامة إلا لمن أذن له ففزع ماورد على القلوب من المهابة حتى إذا ذهب الفزع عن قلوبهم سأل بعضهم بعضا ، وقيل فى الدنيا ويؤيده ما ورد عن النبيّ صلى الله عليه وسلم: إن الله تعالى إذا أراد أن يوحى بأمر وتكلم بالوحى أخذت السموات والأرض منه رجفة أورعدة شديدة خوفا من الله تعالى فاذاسمع أهل السموات ذلك صعقوا وخروا لله سجدا فيكون أول من يرفع رأسه جبريل فيكلمه الله تعالى ويقول له من وحيه ماأراد ، ثم يمر جبريل بالملائكة كلما مر بسماء سأله ملائكتها ماذا قال ربنا ياجبريل ؟ فيقول جبريل قال الحق وهو العليّ الكبير قال فيقول كلهم كما قال جبريل ، فينتهى جبريل بالوحى حيث أمره الله تعالى . وعن ابن عباس قال : كان لكل قبيلة من الجنّ مقعد من السماء يستمعون منه الوحى وكان إذا نزل الوحى سمع له صوت كامرار السلسلة على الصفوان فلاينزل على أهل سماء إلاصعقوا فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم ؟ قالوا الحق وهو العليّ الكبير ، ثم يقول يكون فى هذا العام كذا و يكون كذا ، فتسمعه الجنّ فيخبرون الكهنة والكهنة تخبر الناس فيجدونه كذلك ، فلما بعث الله سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم دحروا ومنعوا بالشهب فقالت العرب حين لم تخبرهم الجن بذلك هلك من فى السماء ، فجعل صاحب الابل ينحر كل يوم بعيرا وصاحب البقر ينحر كل بقرة وصاحب الغنم يذبح كل يوم شاة حتى أسرعوا فى أموالهم ، فقالت ثقيف وكانت أعقل العرب : أيها الناس أمسكوا على أموالكم فانه لم يمت من فى السماء أما ترون معالمكم من النجوم كماهى والشمس والقمر والليل والنهار ، فقال إبليس لقد حدث فى الأرض اليوم حدث فأتونى من كل تربة أرض فأتوه بها ، فلماشمّ تربة مكة قال من ههنا جاء الحدث ، فأنصتوا فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قدبعث.

بالبناء للفاعل والمفعول (عَنْ قُلُوبِهِمْ) كشف عنها الفزع بالإذن فيها (قَالُوا) قال بعضهم لبعض استبشاراً (مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ) فيها (قَالُوا) القول (الْحَقَّ) أي قد أذن فيها (وَهُوَ الْعَلِيُّ) فوق خلقه بالقهر (الْكَبِيرُ) العظيم (قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمٰوَاتِ) المطر (وَالْأَرْضِ) النبات (قُلِ اللَّهُ) إن لم يقولوه لاجواب غيره (وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ) أى أحد الفريقين (لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) بيّن ، فى الإبهام تلطف بهم داع إلى الإيمان إذا وفّقوا له (قُلْ لَاتُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا) أذنبنا (وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ) لأنا بريئون منكم (قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا) يوم القيامة (ثُمَّ يَفْتَحُ) يحكم (بَيْنَنَا بِالْحَقِّ) فيدخل المحقين الجنة والمبطلين النار (وَهُوَ الْفَتَّاحُ) الحاكم (الْعَلِيمُ) بما يحكم به (قُلْ أَرُونِيَ) أعلمونى (الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ) فى العبادة (كَلَّا) ردع لهم عن اعتقاد شريك له ، (بل

فتحصل أن الفزع على القول بأنه فى الآخرة يكون من جميع الخلق وعلى القول بأنه فى الدنيا يكون من الملائكة خاصة والآية محتملة للأمرين والعموم أولى لأن الكفار زعموا أن آلهتهم تنفعهم فى الدنيا والآخرة فردّ الله عليهم بهذه الآية الشاملة للأمرين فتدبر (قوله القول الحق) أشار بذلك إلى أن الحق صفة لمصدر محذوف مقول القول (قوله وهو العلى الكبير) هذا من تمام كلام الشفعاء اعترافا بعظمة الله وكبريائه (قوله قل من يرزقكم الخ) هـذا السؤال تبكيت للمشركين وإشارة إلى أن آلهتهم لاتملك لهم ضرا ولانفعا وهذه الآية بمعنى قوله تعالى ـ قل من يرزقكم من السماء والأرض ، إلى قوله ، فسيقولون الله ـ (قوله لعلى هدى أو فى ضلال مبين) غاير بين الحرفين إشارة إلى أن المؤمنين مستعلون على الهدى كراكب الجواد يسير به حيث شاء والكفار منغمسون فى الضلال كالمنغمس فى الظلمات الذى لايبصرشيئا (قوله فى الابهام) خبر مقدم وتلطف مبتدأ مؤخر وداع صفة لتلطف (قوله قل لاتسئلون عما أجرمنا الخ) فيه تلطف بهم وتواضع حيث أسند الاجرام لأنفسهم والعمل للمخاطبين (قوله يوم القيامة) أى فى الموقف (قوله أعلمونى) أشار بذلك إلى أن أرى علمية فتتعدى إلى ثلاثة مفاعيل أولها ياء المتكلم وثانيها الموصول وثالثها شركاء ويصح أن تكون بصرية فتتعدى إلى مفعولين الأول ياء المتكلم والثانى الموصول وشركاء حال من عائد الموصول ، والقصد من ذلك تبكيتهم و إظهار خطئهم بعد إقامة الحجة عليهم

(قوله بل هو) الضمير إما عائد على الله أو ضمير الشأن وما بعده مبتدأ وخبر والجملة خبره (قوله إلا كافة) الحصر إضافي يجيء به للرد على المشركين الذين يعتقدون أن رسالته غير عامة لجميع بني آدم (قوله حال من الناس) تبع فيه ابن عطية واعترضه الزمخشري بأن تقدم الحال على صاحبها المجرور خطأ بمنزلة تقدم المجرور على الجار ورد بأن الصحيح جواز تقديم الحال على صاحبها المجرور وما يتعلق به وإذا جاز تقديمها على صاحبها وعاملها فتقديمها على صاحبها وحده أجوز لتقدم عاملها وهو أرسلنا وهذا أحد أوجه في الآية ويصح جعل كافة حالا من الكاف في أرسلناك والتاء للمبالغة كهي في علامة وراوية ، والمعنى إلا جامعا للناس في التبليغ لا يخرج عن تبليغك أحد فكافة اسم فاعل من كف بمعنى جمع أو مصدر كالعاقبة والعافية إما مبالغة أو على حذف مضاف أي ذا كافة للناس أو صفة لمصدر محذوف تقديره إلا إرسالة كافة أي محيطة بهم وشاملة لهم فلا يخرج منها أحد والأوجه الثلاثة على أنه حال من الكاف وهي متقاربة فتحصل أن هذه الآية دلت على أنه مرسل لجميع الانس بشيرا ونذيرا وأما إرساله لغيرهم فمأخوذ من آيات أخر منها ـ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ـ لكن إرساله للانس والجن إرسال تكليف وللملائكة قيل إرسال تكليف وقيل تشريف وللحيوانات غير العاقلة والجمادات إرسال تشريف (قوله لا يعلمون ذلك) أي ما ذكر من عموم رسالته وكونه بشيرا ونذيرا (قوله ويقولون) أي على سبيل الاستهزاء والسخرية (قوله إن كنتم) الخطاب للنبي والمؤمنين (قوله لا تستأخرون عنه) أي إن أردتم التأخر (قوله ولا تستقدمون) أي إن أردتم التقدم والاستعجال كما هو مطلوبكم إن قلت إن الجواب ليس مطابقا للسؤال لأن السؤال عن طلب تعيين الوقت والجواب يقتضي أنهم منكرون للوقت من أصله. وأجيب بأن الجواب مطابق بالنظر لحالهم لا لسؤالهم لأن سؤالهم وإن كان على صورة

(بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ) الغالب على أمره (الْحَكِيمُ) في تدبيره لخلقه فلا يكون له شريك في ملكه (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً) حال من الناس قدم للاهتمام (لِلنَّاسِ بَشِيرًا) مبشرا للمؤمنين بالجنة (وَنَذِيرًا) منذرا للكافرين بالعذاب (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ) أي كفار مكة (لَا يَعْلَمُونَ) ذلك (وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ) بالعذاب (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) فيه (قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ) عليه وهو يوم القيامة (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا) من أهل مكة (لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ) أي تقدمه كالتوراة والإنجيل الدالين على البعث لإنكارهم له ، قال تعالى فيهم (وَلَوْ تَرَى) يا محمد (إِذِ الظَّالِمُونَ) الكافرون (مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا) الأتباع (لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا) الرؤساء (لَوْلَا أَنْتُمْ) صددتمونا عن الإيمان (لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ) بالنبي (قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ) لا (بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ) في أنفسكم

الاستفهام عن الوقت إلا أن مرادهم الانكار والتعنت . والجواب المطابق أن يكون بالتهديد على تعنتهم (قوله وقال الذين كفروا لن نؤمن الخ) سبب ذلك أن أهل الكتاب قالوا لهم : إن صفة محمد في كتبنا ، فلما سألوهم ووافق ما قال أهل الكتاب قال المشركون : لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه (قوله الدالين على البعث) أي وعلى صفة محمد صلى الله عليه وسلم فانهم يكفرون بها أيضا (قوله قال تعالى فيهم) أي في بيان أحوالهم في الآخرة (قوله ولو ترى) مفعول ترى وجواب لو محذوفان والتقدير ، ولو ترى حال الظالمين وقت وقوفهم عند ربهم حال كونهم يرجع بعضهم إلى بعض القول لرأيت أمرا فظيعا (قوله إذ الظالمون) إذ ظرف لترى بمعنى وقت (قوله موقوفون) أي محبوسون في الموقف للحساب (قوله عند ربهم) العندية للمكانة والعظمة لا للمكان (قوله يرجع بعضهم) حال من ضمير موقوفون والقول منصوب بيرجع (قوله يقول الذين استضعفوا) تفسير لقوله يرجع ، فالجملة لا محل لها من الإعراب (قوله لولا أنتم) ما بعد لولا مبتدأ خبره محذوف قدره المفسر ، بقوله صددتمونا الخ ، وقوله لكنا مؤمنين جواب لولا (قوله قال الذين استكبروا) أي جوابا للمستضعفين (قوله أنحن صددناكم) أي منعناكم (قوله لا) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري

(قوله وقال الذين استضعفوا) ترك العاطف فيما سبق لأنه مر أولا كلامهم فأتى بالجواب مستأنفا من غير عاطف ثم أتى بكلام آخر للمستضعفين معطوفا على كلامهم الأول (قوله بل مكر الليل والنهار) ردّ وإبطال لكلام المستكبرين ومكر فاعل بفعل محذوف أى صدنا مكركم بنا فى الليل والنهار فحذف المضاف إليه وأقيم الظرف مقامه على الاتساع والاسناد مجازى (قوله إذ تأمروننا) ظرف للمكر أى مكركم وقت أمركم لنا الخ (قوله وأسروا الندامة) جملة حالية أو مستأنفة (قوله أى أخفاها كل عن رفيقه) أى فكل أخفى الندم على فعله فى الدنيا من الكفر والمعاصى مخافة أن يعيره الآخر (قوله وجعلنا الأغلال فى أعناق الذين كفروا) أى زيادة على تعذيبهم بالنار (قوله وما أرسلنا الخ) هذا تسلية له صلى الله عليه وسلم (قوله إلا قال مترفوها) حال من قرية وإن كانت نكرة لوقوعها فى سياق النفى فتم فقد وجد المسوغ (قوله بما أرسلتم به) متعلق بكافرون قدم للاهتمام ورعاية الفواصل (قوله وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا) أى فلو لم يكن راضيا بما نحن عليه لما أعطانا الأموال والأولاد فى الدنيا وإذا كان كذلك فلا يعذبنا فى الآخرة (قوله وما نحن بمعذبين) أى لأنه لما أكرمنا فى الدنيا فلا يهيننا فى الآخرة على فرض وجودها (قوله قل إن ربى يبسط الرزق الخ) أى فبسط الرزق وضيقه فى الدنيا ليس دليلا على رضا الله فقد يبسط الرزق للكافر ويضيقه على المؤمن الخالص وقد يكون بالعكس وإنما هو تابع للقسمة الأزلية. قال تعالى: نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات (قوله لا يعلمون ذلك) أى فيظنون أن بسط الرزق وتضييقه تابع لرضا الله وغضبه (قوله وما أموالكم الخ) كلام مستأنف سيق لتقرير ماسبق وتحقيقه (قوله بالتى تقربكم) صفة للأموال والأولاد لأن جمع التكسير للعاقل وغير العاقل يعامل معاملة المؤنثة الواحدة ويصح أن تكون التى صفة لموصوف محذوف تقديره بالأحوال التى (قوله قربى) أشار بذلك إلى أن زلفى مصدر من معنى الفعل (قوله لكن من آمن) أشار بذلك أن الاستثناء منقطع وحمله على ذلك جعل الخطاب للكفار ويصح أن يكون متصلا والخطاب الأول عام كأنه قيل وما الأموال والأولاد تقرب أحدا إلا المؤمن الصالح الذى أنفق أمواله فى سبيل الله وعلم أولاده الخير ورباهم على الصلاح فأولئك الخ (قوله فأولئك) مبتدأ ولهم خبر مقدم وجزاء مبتدأ مؤخر والجملة خبر أولئك وهو استئناف لبيان جزاء أعمالهم (قوله جزاء الضعف) من إضافة الموصوف لصفته أى الجزاء المضاعف (قوله مثلا) أى أو الحسنة بسبعين أو بسبعمائة أو أكثر (قوله وغيره) أى من سائر المكاره فلا يفنى نعيمهم ولا تبلى ثيابهم (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله مقدرين عجزنا) أى معتقدين أننا عاجزون فلا نقدر عليهم (قوله قل إن ربى يبسط الرزق لمن يشاء الخ) اختلف فى هذه الآية فقيل مكررة مع التى قبلها للتأكيد، وقيل مغايرة

(وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا، بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ) أى مكر فيهما منكم بنا (إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا) شركاء (وَأَسَرُّوا) أى الفريقان (النَّدَامَةَ) على ترك الإيمان به (لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ) أى أخفاها كل عن رفيقه مخافة التعيير (وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا) فى النار (هَلْ) ما (يُجْزَوْنَ إِلَّا) جزاء (مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) فى الدنيا (وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا) رؤساؤها المتنعمون (إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ. وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا) ممن آمن (وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ. قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ) يوسعه (لِمَنْ يَشَاءُ) امتحانا (وَيَقْدِرُ) يضيقه لمن يشاء ابتلاء (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ) أى كفار مكة (لَا يَعْلَمُونَ) ذلك (وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى) قربى أى تقريبا (إِلَّا) لكن (مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا) أى جزاء العمل الحسنة مثلا بعشر فأكثر (وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ) من الجنة (آمِنُونَ) من الموت وغيره، وفى قراءة الغرفة بمعنى الجمع (وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا) القرآن بالإبطال (مُعَجِّزِينَ) لنا مقدرين عجزنا وأنهم يفوتوننا (أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ. قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ) يوسعه (لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) امتحانا (وَيَقْدِرُ) يضيقه (لَهُ) بعد البسط أو لمن يشاء ابتلاء

لما فالأولى محمولة على أشخاص متعددين وهذه محمولة على شخص واحد باعتبار وقتين فوقت البسط غير وقت القبض وهو الاحتمال الأول فى المفسر أو الأولى محمولة على الكفار ، وهذه فى حق المؤمنين وكل صحيح (قوله ابتلاء) علة لقوله و يقدر له أى يختبر هل يصبر أولا (قوله وما أنفقتم من شىء) أى على أنفسكم وعيالكم أو تصدقتم به (قوله فهو يخلفه) أى بالمال أو بالقناعة التى هى كنز لاينفد أو بالثواب فى الآخرة وفى الحديث «مامن يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان فيقول أحدهما اللهم أعط منفقا خلفا و يقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا» ويؤيد هذا الحديث قوله تعالى : فأما من أعطى واتقى الآيات وأتى بهذه الآيه عقب التى قبلها إشارة إلى أن الانفاق لايضيق الرزق بل ربما كان سببا فى توسعته فالحيلة فى توسعة الرزق الانفاق فى وجوه الخير والثقة بالله والتوكل عليه (قوله وهو خير الرازقين) أى أحسنهم وأجلهم لكونه خالق السبب والمسبب (قوله يقال كل إنسان الخ) أى لغة ودفع بذلك ماقيل إن الرازق فى الحقيقة واحد وهو الله . فأجب بأن الجمع باعتبار الصورة فالله خالق الرزق والعبيد متسببون فيه . إن قلت أى مشاركة بين المفضل والمفضل عليه . أجيب بأن الرازق يطلق على الموصل للرزق والخالق له والرب يوصف بالأمرين والعبد يوصف بالايصال فقط فخيرية الله من حيث إنه خالق وموصل فعلم أن العبد يقال له رازق بهذا ، لا يقال له رزاق لأنه من الأسماء المختصة به تعالى (قوله يرزق عائلته) أى عياله وعيال الرجل

ابتلاء (وَمَا أَنفَقْتُمْ مِنْ شَىْءٍ) فى الخير (فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) يقال كل إنسان يرزق عائلته : أى من رزق الله (وَ) اذكر (يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً) أى المشركين (ثُمَّ نَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ) بتحقيق الهمزتين و إبدال الأولى ياء و إسقاطها (كَانُوا يَعْبُدُونَ . قَالُوا سُبْحَانَكَ) تنزيها لك عن الشريك (أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ) أى لاموالاة بيننا و بينهم من جهتنا (بَلْ) للانتقال (كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ) الشياطين أى يطيعونهم فى عبادتهم إيانا (أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ) مصدقون فيما يقولون لهم ، قال تعالى (فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ) أى بعض المعبودين لبعض العابدين (نَفْعاً) شفاعة (وَلَا ضَرّاً) تعذيبا (وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا) كفروا (ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِى كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ . وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا) القرآن (بَيِّنَاتٍ) واضحات بلسان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم (قَالُوا مَا هٰذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ) من الأصنام (وَقَالُوا مَا هٰذَا) أى القرآن (إِلَّا إِفْكٌ) كذب (مُفْتَرًى) على الله ،

من يعولهم واحده عيل كجيد (قوله و إبدال الأولى ياء) هذا سبق قلم من المفسر إذ لم يقرأ بهذه أحد من القراء وأما تحقيقهما و إسقاط الأولى فقراءتان سبعيتان و بقى ثلاث قراءات سبعيات تحقيق الأولى وتسهيل الثانية وعكسه و إبدال الثانية ياء ساكنة ممدودة مع تحقيق الأولى فتكون الجملة خمسا (قوله كانوا يعبدون) خطاب للملائكة وتقريع للكفار وذلك كقوله تعالى لعيسى أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله مع كون الله تعالى عالما بأن الملائكة وعيسى بريئون من ذلك (قوله أنت ولينا من دونهم) أى أنت الذى نواليك ونتقرب إليك بالعبادة فلم يكن لنا دخل فى عبادتهم لنا (قوله أى يطيعونهم) أى فالمراد بعبادة الجن طاعتهم فيما يوسوسون لهم وقيل كانوا يتمثلون لهم و يخيلون إليهم أنهم الملائكة كما وقع لجماعة من خزاعة كانوا يعبدون الجن و يزعمون أن الجن تتراءى لهم وأنهم ملائكة وأنهم بنات الله (قوله أكثرهم بهم مؤمنون) إن قلت حيث أثبت أولا أنهم كانوا يعبدون الجن لزم منه أن جميعهم مؤمنون بهم فكيف قال أكثرهم . أجيب بأن قول الملائكة أكثرهم من باب الاحتياط تحرزا عن ادعاء الاحاطة بهم كأنهم قالوا إن الذين رأيناهم واطلعنا على أحوالهم كانوا يعبدون الجن ولعل فى الوجود من لم يطلع عليه من الكفار . وأجيب أيضا بأن العبادة عمل ظاهر والايمان عمل باطن والظاهر عنوان الباطن غالبا فقالوا بل كانوا يعبدون الجن لاطلاعهم على أعمالهم وقالوا أكثرهم بهم مؤمنون لعدم إطلاعهم على ما فى القلوب (قوله أى بعض المعبودين) أى وهم الملائكة وقوله لبعض العابدين أى وهم الكفار (قوله ونقول) عطف على لايملك (قوله و إذا تتلى عليهم آياتنا) أى دلائل توحيدنا (قوله إلا إفك) أى كذب غير مطابق للواقع ومع كونه كذلك هو مفترى أى مختلق من حيث نسبته إلى الله فقوله مفترى تأسيس لا تأكيد

(قوله وقال الذين كفروا) التصريح بالفاعل إنكار عظيم وتعجيب بليغ (قوله قال تعالى) أى ردّا عليهم (قوله وما آتيناهم من كتب يدرسونها) أى فالمعنى لاعذر لهم فى عدم تصديقك بخلاف أهل الكتاب فان لهم كتابا ودينا ويحتجون بأن نبيهم حذرهم من ترك دينه و إن كان عذرا باطلا وحجة واهية (قوله وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير) أى نبى يخوفهم ويحذرهم من عقاب الله (قوله معشار ما آتيناهم) قيل المعشار لغة فى العشر ، وقيل المعشار هو عشر العشير والعشير هو عشر العشر فيكون جزءا من ألف وهو الأظهر لأن المراد به المبالغة فى التقليل (قوله من القوة الخ) أى ومع ذلك فلمّ ينفعهم شئ من ذلك فى دفع الهلاك عنهم (قوله فكذبوا رسلى) عطف على قوله - وكذب الذين من قبلهم - عطف مسبب على سبب (قوله فكيف كان نكير) عطف على محذوف تقديره فحين كذبوا رسلى جاءهم إنكارى بالتدمير فكيف كان نكيرى لهم (قوله واقع موقعه) أى فهو فى غاية العدل وعدم الجور والظلم (قوله قل إنما أعظكم) أى آمركم وأوصيكم ، وقوله بواحدة صفة لموصوف محذوف تقديره بخصلة واحدة (قوله أن تقوموا) أن ومادخلت عليه فى تأويل مصدر خبر لمحذوف قدّره المفسر بقوله هى ، وليس المراد بالقيام حقيقته وهو الانتصاب على القدمين ، بل المراد صرف الهمة والاشتغال والتفكر فى أمر محمد وماجاء به لأن أول واجب على المكلف النظر المؤدّى للمعرفة (قوله مثنى وفرادى) حالان من فاعل تقوموا و إنما أمرهم بذلك لأن الجماعة ربما يكون فى اجتماعها تشويش الخاطر ومنع التفكر بسبب الأغراض والتعصب ، وأما الاثنان فيتفكران ويعرض كل واحد منهما على صاحبه ما استفاده بفكرته ، وأما الواحد فيفكر فى نفسه ويقول هل رأينا من هذا الرجل جنونا أو جرّبنا عليه كذبا قط وقد علمتم أن محمدا مابه جنون بل علمتموه أرجح قريش عقلا وأوزنهم حلما وأحدّهم ذهنا وأرضاهم رأيا وأصدقهم قولا وأزكاهم نفسا و إذا علمتم ذلك كفاكم أن تطلبوا منه آية على صدقه و إذا جاء بها تبين أنه صادق فيما جاء به و إذا كان كذلك فالواجب اتباعه وتصديقه (قوله فتعلموا) أشار بذلك إلى أن نتيجة الفكر العلم ومعمول التفكر محذوف ، والتقدير فتتفكروا فى أحوال محمد فينتج لكم العلم بأن ما بصاحبكم جنون ولا نقص (قوله ما بصاحبكم) أضافه لهم إشارة إلى أنه كان مشهورا بينهم وحاله معروف عندهم فكانوا يدعونه بالصادق الأمين فاذا تفكروا وقاسوا حاله بعد النبوة على حاله قبلها فيفيدهم العلم بكمال أوصافه (قوله إن هو) أى المحدّث عنه وهو محمد صلى الله عليه وسلم (قوله بين يدى عذاب شديد) أى هو مقدّمة عذاب لكم فى الدنيا والآخرة إن لم تؤمنوا وتصدّقوه فيما جاءبه فيخبركم به قبل وقوعه (قوله قل ماسألتكم من أجر) يحتمل أن ماشرطية مفعول لسألتكم ومن أجر بيان لما ، وقوله فهو لكم جواب الشرط ويحتمل أنها موصولة مبتدأ ، وقوله فهو لكم خبرها وقرن الخبر بالفاء لما فى الموصول من العموم وعلى كل فيحتمل أن المعنى ما أسألكم أجرا ألبتة فيكون كقولك لمن لم يعطك شيئا أصلا إن أعطيتنى شيئا فخذه ، و يؤيده قوله إن أجرى إلا على الله ، وقول المفسر : أى لا أسألكم عليه أجرا ، ويحتمل أن المعنى لم أسألكم شيئا يعود نفعه علىّ فهو كقوله تعالى - قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودّة فى القربى - وقوله - قل ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا - (قوله قل إن ربى) أى مالكى وسيدى (قوله يقذف بالحق) مفعول يقذف محذوف تقديره يقذف الباطل بالحق و يؤيده قوله تعالى - بل نقذف

(٢٨٤)

(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ) القرآن (لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ) ما (هٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ) بيّن قال تعالى (وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ) فمن أين كذبوك (وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا) أى هؤلاء (مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ) من القوة وطول العمر وكثرة المال (فَكَذَّبُوا رُسُلِي) إليهم (فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ) إنكارى عليهم بالعقوبة والإهلاك أى هو واقع موقعه (قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ) هى (أَنْ تَقُومُوا لِلّٰهِ) أى لأجله (مَثْنَى) اثنين اثنين (وَفُرَادَى) واحداً واحداً (ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا) فتعلموا (مَا بِصَاحِبِكُمْ) محمد (مِنْ جِنَّةٍ) جنون (إِنْ) ما (هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ) أى قبل (عَذَابٍ شَدِيدٍ) فى الآخرة إن عصيتموه (قُلْ) لهم (مَا سَأَلْتُكُمْ) على الإنذار والتبليغ (مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ) أى لا أسألكم عليه أجرا (إِنْ أَجْرِيَ) ما ثوابى (إِلَّا عَلَى اللّٰهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) مطلع يعلم صدقى (قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ) يلقيه إلى أنبيائه (علام

بالحق على الباطل : أى يدفع الباطل بالحق ويصرفه . ويصح أن تكون الباء للملابسة والمفعول محذوف أيضا ، والتقدير يقذف الوحى إلى أنبيائه ملتبسا بالحق أوضمن يقذف معنى يقضى ويحكم والأقرب الأول لأن خير مافسرته بالوارد (قوله علام الغيوب) خبر ثان لإن أوخبر مبتدإ محذوف (قوله ماغاب عن خلقه) أى فتسميته غيبا بالنسبة للخلق وإلا فالكل شهادة عنده تعالى (قوله قل جاء الحق) أفاد بذلك أن الوعد منجز ومتحقق بالفعل فليس مجرد وعد (قوله وما يبدئ الباطل ومايعيد) أى لم يبق له بداءة ولا إعادة : أى نهاية فهو كناية عن ذهابه بالمرة وهذا بمعنى قوله تعالى - وقل جاء الحق وزهق الباطل - إن قلت إن السورة مكية والكفر فى ذلك الوقت كان له شوكة قوية والإسلام كان ضعيفا فكيف قال قل جاء الحق الخ . أجيب بأنه لتحقق وقوعه نزله منزلة الواقع فعبر عنه بالماضى كقوله : أتى أمر الله (قوله قل إن ضللت فإنما أضل على نفسى) سبب نزولها أن الكفار قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم تركت دين آبائك فضللت ، والمعنى قل لهم يامحمد إن حصل لى ضلال كما زعمتم فإن وبال ضلالى على نفسى لايضر غيرى وقراءة العامة بفتح اللام من باب ضرب وقرئ شذوذا بكسر اللام من باب علم (قوله وإن اهتديت الخ) أى لأن الاهتداء لا يكون إلا بهدايته وتوفيقه (قوله فبما يوحى إلى ربى) أى بسبب إيحاء ربى إلى أو بسبب الذى يوحيه إلى فما مصدرية أو موصولة والمعنى فهداى بفضل الله تعالى ، فحاصل المعنى المراد أنه إن كان بى ضلال فمن نفسى لنفسى وإن كان

(عَلَّامُ الْغُيُوبِ) ما غاب عن خلقه فى السموات والأرض (قُلْ جَاءَ الْحَقُّ) الإسلام (وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ) الكفر (وَمَا يُعِيدُ) أى لم يبق له أثر (قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ) عن الحق (فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي) أى إثم ضلالى عليها (وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي) من القرآن والحكمة (إِنَّهُ سَمِيعٌ) للدعاء (قَرِيبٌ . وَلَوْ تَرَى) يامحمد (إِذْ فَزِعُوا) عند البعث لرأيت أمرا عظيما (فَلَا فَوْتَ) لهم منا أى لايفوتونا (وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ) أى القبور (وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ) بمحمد أو القرآن (وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ) بالواو وبالهمزة بدلها ، أى تناول الإيمان (مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ) عن محله إذ هم فى الآخرة ومحله الدنيا (وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ) فى الدنيا (وَيَقْذِفُونَ) يرمون (بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ) أى بما غاب علمه عنهم غيبة بعيدة حيث قالوا فى النبى ساحر شاعر كاهن ، وفى القرآن سحر شعر كهانة (وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ) من الإيمان أى قبوله ،

هدى فمن فضل الله بالوحى إلى على حد قوله تعالى - ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك - (قوله إنه سميع) أى يسمع كل ماخفى وماظهر ، وقوله قريب : أى قرب مكانة لامكان (قوله ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت) يحتمل أن مفعول ترى محذوف تقديره ولو ترى حالهم وقت فزعهم ويحتمل أن إذ مفعول ترى : أى ولو ترى وقت فزعهم وإسناد الرؤية للوقت مجاز وحقه أن يسند لهم ، وقوله عند البعث احد أقوال فى وقت الفزع ، وقيل فى الدنيا يوم بدر حين ضربت أعناقهم بسيوف الملائكة فلم يستطيعوا الفرار إلى التوبة ، وقيل نزلت فى ثمانين ألفا يأتون فى آخر الزمان يغزون الكعبة ليخربوها فلما يدخلون البيداء يخسف بهم فهو الأخذ من مكان قريب (قوله لرأيت أمرا عظيما) أشار بذلك إلى أن جواب لو محذوف (قوله فلا فوت) أى لاخلاص ولامهرب (قوله أى القبور) أى وهى قريبة من مساكنهم فى الدنيا أو المعنى قبضت أرواحهم فى أماكنها فلم يمكنهم الفرار ، وقيل أخذوا من مكان قريب وهى القبور لجهنم فيخرجون من قبورهم لها (قوله وقالوا آمنا به) أى قالوا ذلك وقت حصول الفزع وهو وقت نزول العذاب بهم (قوله وأنى لهم) أى كيف يمكنهم الخلاص والظفر بمطلوبهم وهم فى الآخرة مع أن ذلك لايحصل ولا يكون إلا فى الدنيا وهى بعيدة من الآخرة فالماضى بعيد إذ لايعود والمستقبل قريب لأنه آت وكل آت قريب (قوله التناوش) أى الرجوع إلى الدنيا للإيمان وقبول التوبة (قوله بالواو وبالهمزة) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله وقد كفروا الخ) الجملة حالية : أى يستبعد تناولهم الإيمان فى الآخرة والحال أنهم كفروا فى الدنيا (قوله ويقذفون بالغيب) أى يتكلمون فى الرسول بالمطاعن والتنقص من جانب بعيد من أمره وهو الشبه التى اقترحوها فى جانب الرسول ويتكلمون فى العذاب ويحلفون على نفيه من جانب بعيد عنهم من حيث إنهم لم يعلموا ذلك فالمكان البعيد هو ظنهم الفاسد فهو بعيد عن رتبة العلم (قوله غيبة بعيدة) أى عن الصدق (قوله وحيل بينهم) أى فى الآخرة (قوله أى قبوله) أى بحيث

بخلاصهم فى الآخرة (قوله بأشياعهم) جمع شيع وشيع جمع شيعة فالأشياع جمع الجمع وهم قوم الرجل وأنصاره وأتباعه، والمراد بهم هنا أشباههم فى الكفر كما قال المفسر (قوله من قبل) صفة للأشياع (قوله أى قبلهم) أى الذين كانوا سابقين عليهم فى الزمان لافى العذاب فان زمن عذابهم فى القيامة متحد (قوله موقع فى الريبة لهم) أى فهو من أرابه إذا أوقعه فى الريبة وهى الشك فهو كقولهم عجب عجيب وشعر شاعر من باب التأكيد (قوله ولم يعتدوا بدلائله) حال من الواو فى آمنوا: أى آمنوا به فى الآخرة والحال أنهم لم يعتدوا فى الدنيا بدلائله.

[سورة فاطر مكية] أى وتسمى سورة الملائكة أيضا (قوله حمد تعالى نفسه) أى تعظيما لنفسه وتعليما لخلقه كيفية الثناء عليه فأل فى الحمد الصادر منه تعالى يحتمل أن تكون للاستغراق أو للجنس ولا يصح أن تكون عهدية لأنه لم يكن ثم شئ معهود غير الحاصل بهذه الجملة، وأما فى كلام العباد فالأولى أن تكون عهدية والمعهود هو الحمد الصادر منه تعالى لنفسه (قوله كما بين فى أول سورة سبأ) أى حيث قال هناك حمد تعالى نفسه بذلك المراد به الثناء بمضمونه من ثبوت الحمد وهو الوصف بالجميل. واعلم أن السور المفتتحة بالحمد أربع: الأنعام والكهف وسبأ وفاطر، وحكمة افتتاحها بذلك أن فيها تفصيل النعم الدينية والدنيوية التى احتوت عليها الفاتحة (قوله على غير مثال سبق) أى وإن كان لهما مادة وهو النور المحمدى فالمنفى المثال السابق فقط (قوله جاعل الملائكة) نعت ثان للفظ الجلالة وجاعل وإن كان بمعنى المضى إلا أنه للاستمرار فباعتبار دلالته على المضى تكون إضافته محضة فيصلح لوصف المعرفة به وباعتبار دلالته على الحال والاستقبال يصلح للعمل فى رسلا (قوله إلى الأنبياء) أى بالوحى وحينئذ فيراد بعض الملائكة لا كلهم وعبارة البيضاوى أوضح من هذه وأولى ونصها جاعل الملائكة رسلا وسائط بين الله تعالى وبين أنبيائه والصالحين من عباده يبلغون إليهم رسالاته بالوحى والإلهام والرؤيا الصالحة أو بينه وبين خلقه يوصلون إليهم آثار صنعه (قوله أولى أجنحة) يصح أن يكون صفة لرسلا وهو وإن كان صحيحا من جهة اللفظ لتوافقهما تنكيرا إلا أنه يوهم أن الأجنحة لخصوص الرسل مع أنها لكل الملائكة فالأحسن جعله صفة أو حالا من الملائكة نظرا لأل الجنسية (قوله مثنى) بدل من أجنحة مجرور بفتحة مقدرة نيابة عن الكسرة المقدرة لأنه اسم لا ينصرف والمانع له من الصرف الوصفية والعدل لكونه معدولا عن اثنين اثنين (قوله وثلاث ورباع) إن قلت فى أى محل يكون الجناح الثالث لذى الثلاثة؟ قلت لعله يكون فى وسط الظهر بين الجناحين يمدهما بالقوة (قوله يزيد فى الخلق) جملة مستأنفة سيقت لبيان باهر قدرته تعالى (قوله فى الملائكة) أى فى صورهم، فقد قال الزمخشرى: رأيت فى بعض الكتب أن صنفا من الملائكة لهم ستة أجنحة فجناحان يلفون بهما أجسادهم وجناحان للطيران يطيرون بهما فى الأمر من أمور الله وجناحان على وجوههم حياء من الله تعالى، وفى الحديث «رأيت جبريل عند سدرة المنتهى وله ستمائة جناح يتناثر من رأسه الدر والياقوت» وروى «أنه سأل جبريل أن يتراءى له فى صورته، فقال إنك لن تطيق ذلك، فقال إنى أحب أن تفعل، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ليلة مقمرة فأتاه جبريل فى صورته فغشى على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم أفاق وجبريل عليه السلام مسنده وإحدى يديه على صدره والأخرى بين كتفيه، فقال سبحان الله ما كنت أرى شيئا من الخلق هكذا، فقال جبريل فكيف لو رأيت إسرافيل له اثنا عشر ألف جناح جناح منها بالمشرق وجناح بالمغرب وإن العرش على كاهله وإنه ليتضاءل الأحايين: أى يتصاغر الأزمان لعظمة الله حتى يعود مثل

(كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ) أشباههم فى الكفر (مِنْ قَبْلُ) أى قبلهم (إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ) موقع فى الريبة لهم فيما آمنوا به الآن ولم يعتدوا بدلائله فى الدنيا.

(سورة فاطر)

مكية، وهى خمس أو ست وأربعون آية

(الْحَمْدُ لِلَّهِ) حمد تعالى نفسه بذلك كما بين فى أول سبأ (فَاطِرِ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ) خالقهما على غير مثال سبق (جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا) إلى الأنبياء (أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ) فى الملائكة وغيرها،

الوصع » وهو العصفور الصغير (قوله وغيرها) أى من جميع الخلق كالطول التامة واعتدال الصورة وتمام الأعضاء وقوة البطش وحسن الصوت والشعر والخط وغير ذلك من الكمالات التى أعطاها الله لخلقه (قوله إن الله على كل شىء قدير) كالتعليل لما قبله (قوله مايفتح الله) ما إما شرطية و يفتح فعل الشرط ، وقوله ـ فلا ممسك لها ـ جواب الشرط أو موصولة مبتدأ و يفتح صلتها وقوله : فلا ممسك لها خبر المبتدإ وقرن بالفاء لما فى المبتدإ من العموم ، وقوله : من رحمة بيان لما (قوله كرزق) أى دنيوى أو أخروى ، وعبر فى جانب الرحمة بالفتح إشارة إلى أنها شىء عزيز نفيس شأنه أن يوضع فى خزائن وأتى بها منكرة لتعم كل رحمة دنيوية أوأخروية (قوله فلا ممسك لها) أنث مراعاة لمعنى ما وهو الرحمة (قوله وما يمسك) يصح أن يبقى على عمومه فالتذكير فى قوله لظاهر و يصح أن يكون قد حذف من الثانى لدلالة الأول عليه والتذكير مراعاة للفظ ما ، وقد أشار المفسر لهذا الثانى بقوله من ذلك : يعنى من الرحمة (قوله أى أهل مكة) تفسير للناس باعتبار سبب النزول و إلا فالعبرة بعموم اللفظ (قوله اذكروا نعمت الله عليكم) أى اشكروه على تلك النعم التى أسداها إليكم (قوله باسكانكم الخ) أشار بذلك إلى أن النعمة بمعنى الانعام و يصح أن تكون بمعنى المنعم به (قوله وخالق مبتدأ) أى مرفوع بضمة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد (قوله بالجر والرفع) أى فهما قراءتان سبعيتان ، وقوله لفظا أو محلا لف ونشر مرتب وفى بعض النسخ بتقديم الرفع فيكون لفا ونشرا مشوشا وقرئ شذوذا بالنصب على الاستثناء (قوله والاستفهام للتقرير) أى والتوبيخ (قوله أى لاخالق رازق غيره) هذا حل معنى لاحل إعراب و إلا لقال لاخالق غيره رازق لكم (قوله لاإله إلاهو) كلام مستأنف لتقرير النفى المتقدم (قوله فأنى تؤفكون) من الافك بالفتح وهو الصرف وبابه ضرب ، ومنه قوله تعالى ـ قالوا أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا ـ وأما الافك بالكسر فهو الكذب (قوله من أين تصرفون عن توحيده) أى كيف تعبدون غيره مع أنه ليس فى ذلك الغير وصف يقتضى عبادته من دون الله (قوله و إن يكذبوك) أى يدوموا على تكذيبك وهذا تسلية له صلى الله عليه وسلم (قوله فاصبر كما صبروا) قدره إشارة إلى أن جواب الشرط محذوف ، والمعنى فتأس بمن قبلك ولا تحزن (قوله فيجازى المكذبين) أى بادخالهم النار ، وقوله : و ينصر المرسلين: أى بقبول شفاعتهم و إدخالهم دار الكرامة (قوله وغيره) أى كالحساب والعقاب (قوله فلاتغرنكم الحياة الدنيا) المراد نهيهم عن الاغترار بها ، والمعنى فلاتغتروا بالدنيا فيذهلكم التمتع بها عن طلب الآخرة والسعى لها (قوله فى حلمه) أى بسببه ، والمعنى لا تجعلوا حلمه و إمهاله سببا فى اتباعكم الشيطان (قوله الغرور) هو بالفتح فى قراءة العامة كالصبور والشكور وقرئ شذوذا بضمها إما جمع غار كقاعد وقعود أو مصدر كالجلوس (قوله إن الشيطان لكم عدو) أى عظيم فان عداوته قديمة مؤسسة من عهد آدم (قوله فاتخذوه عدوا) أى فكونوا منه على حذر فى جميع أحوالكم ولا تأمنوا له فى السر والعلانية ولا تقبلوا منه صرفا ولا عدلا ، قال البوصيرى :

وخالف النفس والشيطان واعصهما ... وإن هما محضاك النصح فاتهم

وغيرها (مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ) كرزق ومطر (فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ) من ذلك (فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ) أى بعد إمساكه (وَهُوَ الْعَزِيزُ) الغالب على أمره (الْحَكِيمُ) فى فعله (يَا أَيُّهَا النَّاسُ) أى أهل مكة (اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ) بإسكانكم الحرم ومنع الغارات عنكم (هَلْ مِنْ خَالِقٍ) من زائدة وخالق مبتدأ (غَيْرُ اللَّهِ) بالرفع والجر نعت لخالق لفظاً ومحلا وخبر المبتدإ (يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ) المطر (وَ) من (الْأَرْضِ) النبات ، والاستفهام للتقرير : أى لاخالق رازق غيره (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ) من أين تصرفون عن توحيده مع إقراركم بأنه الخالق الرازق (وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ) يامحمد فى مجيئك بالتوحيد والبعث والحساب والعقاب (فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ) فى ذلك فاصبر كما صبروا (وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ) فى الآخرة فيجازى المكذبين وينصر المرسلين (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ) بالبعث وغيره (حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا) عن الإيمان بذلك (وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ) فى حلمه وإمهاله (الْغَرُورُ) الشيطان (إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا) بطاعة الله ولا تطيعوه ،

ولا تطع منهما خصما ولا حكما   فأنت تعرف كيد الخصم والحكم   (قوله إنما يدعوا حزبه الخ) بيان لوجه عداوته وتحذير من طاعته (قوله هذا) أى قوله الذين كفروا إلى آخره ، والمعنى من كفر من أول الزمان إلى آخره فله العذاب الشديد ومن آمن من أول الزمان إلى آخره فله المغفرة والأجر الكبير (قوله ونزل فى أبى جهل وغيره) أى من مشركى مكة كالعاص بن وائل والأسود ابن المطلب وعقبة بن أبى معيط وأضرابهم، ويؤيد هذا القول آيات منها - ليس عليك هداهم - ومنها - ولا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر - ومنها - فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا - وغير ذلك ، ففى هذه الآيات تسلية له صلى الله عليه وسلم على كفر قومه ، وقيل هذه الآية نزلت فى الخوارج الذين يحرفون تأويل الكتاب والسنة ويستحلون بذلك دماء المسلمين وأموالهم كما هو مشاهد الآن فى نظائرهم وهم فرقة بأرض الحجاز - يحسبون أنهم على شىء ألا إنهم هم الكاذبون استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون - نسأل الله الكريم أن يقطع دابرهم، وقيل نزلت فى اليهود والنصارى، وقيل نزلت فى الشيطان حيث زين له أنه العابد التقى وآدم العاصى فخالف ربه لاعتقاده أنه على شىء (قوله أفمن زين له سوء عمله) أى زين له الشيطان ونفسه الأمارة عمله السىء فهو من إضافة الصفة للموصوف (قوله بالتمويه) أى التحسين ظاهرا بأن غلب وهمه على عقله فرأى الحق باطلا والباطل حقا ، وأما من هداه الله فقد رأى الحق حقا فاتبعه ورأى الباطل باطلا فاجتنبه (قوله لا) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى (قوله دل عليه) أى على تقدير الخبر، والمعنى حذف الخبر لدلالة قوله فان الله يضل من يشاء الخ عليه وفى هذه الآية رد على المعتزلة الذين يزعمون أن العبد يخلق أفعال نفسه فلو كان كذلك

(إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ) أتباعه فى الكفر (لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ) النار الشديدة (الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ) هذا بيان ما لموافقى الشيطان وما لمخالفيه . ونزل فى أبى جهل وغيره (أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ) بالتمويه (فَرَآهُ حَسَنًا) من مبتدأ خبره كمن هداه الله لا ، دل عليه (فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ) على المزين لهم (حَسَرَاتٍ) باغتمامك أن لا يؤمنوا (إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ) فيجازيهم عليه (وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ) وفى قراءة الريح (فَتُثِيرُ سَحَابًا) المضارع لحكاية الحال الماضية أى تزعجه (فَسُقْنَاهُ) فيه التفات عن الغيبة (إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ) بالتشديد والتخفيف لا نبات بها (فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ) من البلد (بَعْدَ مَوْتِهَا) يبسها أى أنبتنا به الزرع والكلأ (كَذَلِكَ النُّشُورُ) أى البعث والإحياء (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا) أى فى الدنيا والآخرة فلا تنال منه إلا بطاعته فليطعه (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ) ،

ما أسند الإضلال والهدى لله تعالى (قوله فلا تذهب نفسك عليهم) عامة القراء على فتح التاء   يعلمه

والهاء ورفع نفس على الفاعلية ويكون المعنى لا تتعاطى أسباب ذلك وقرئ شذوذا بضم التاء وكسر الهاء ونفسك مفعول به ويكون المعنى لا تهلكها على عدم إيمانهم (قوله حسرات) مفعول لأجله جمع حسرة وهى شدة التلهف على الشىء الفائت (قوله فيجازيهم عليه) أى إن خيرا فخير وإن شرا فشر (قوله وفى قراءة الريح) أى وهى سبعية أيضا (قوله لحكاية الحال الماضية) أى استحضارا لتلك الصورة العجيبة التى تدل على كمال قدرته تعالى (قوله أى تزعجه) أى تحركه وتثيره (قوله فيه التفات عن الغيبة) أى الكائنة فى قوله: والله الذى أرسل (قوله إلى بلد ميت) البلد يذكر ويؤنث يطلق على القطعة من الأرض عامرة أو خالية (قوله بالتشديد والتخفيف) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله لا نبات بها) أى فالمراد بالموت عدم النبات والمرعى وبالحياة وجودهما (قوله من البلد) من بيانية (قوله كذلك النشور) أى كمثل إحياء الأرض بالنبات إحياء الأموات ووجه الشبه أن الأرض الميتة لما قبلت الحياة اللائقة بها كذلك الأعضاء تقبل الحياة اللائقة بها فان البلد الميت تساق إليها المياه فتحييها والأجساد تساق إليها الأرواح فتحييها (قوله من كان يريد العزة فلله العزة جميعا) من شرطية مبتدأ وجوابها محذوف قدره المفسر بقوله فليطعه ، وقوله فلله العزة تعليل للجواب ، واختلف فى هذه الآية فقيل المراد من كان يريد أن يسأل عن العزة لمن هى فقل له لله العزة جميعا ، وقيل المراد من أراد العزة لنفسه فليطلبها من الله فان العزة له لا لغيره

وطلبها يكون بطاعته والالتجاء إليه والوقوف على بابه لما ورد فى الحديث «من أراد عز الدارين فليطع العزيز ومن طلب العزة من غيره تعالى كسى من وصفه وهو الذل» لأن وصف العبد الذل ووصف الله العز فمن التجأ إلى الله كساه الله من وصفه ومن التجأ إلى العبد كساه الله من وصف ذلك العبد لما ورد «من استعز بقوم أورثه الله ذلهم» وقال الشاعر: وإذا تذللت الرقاب تواضعا منا إليك فعزها فى ذلها (قوله يعلمه) أشار بذلك إلى أن فى الكلام مجازا ، فالصعود مجاز عن العلم كما يقال ارتفع الأمر إلى القاضى يعنى علمه ، وعبر عنه بالصعود إشارة لقبوله لأن موضع الثواب فوق وموضع العذاب أسفل ، وقيل المعنى يصعد إلى سمائه ، وقيل يحمل الكتاب الذى كتب فيه طاعة العبد إلى السماء (قوله ونحوها) أى من الأذكار والتسبيح وقراءة القرآن (قوله والعمل الصالح) أى كالصلاة والصوم وغير ذلك من الطاعات (قوله والذين يمكرون) بيان لحال الكلم الخبيث والعمل السيء بعد بيان حال الكلم الطيب والعمل الصالح (قوله المكرات) قدره إشارة إلى أن السيئات صفة لموصوف محذوف مفعول مطلق ليمكرون لأن مكر لازم لاينصب المفعول ، والمكر الحيلة والخديعة (قوله فى دار الندوة) أى وهى التى بناها قصى بن كلاب للتحدث والمشاورة (قوله كما ذكر فى الأنفال) أى فى قوله ـ وإذ يمكر بك الذين كفروا ـ الآيات وقد فصلت هناك (قوله ومكر أولئك) أتى باسم الاشارة البعيد إشارة لبعدهم عن الرحمة واشتهارهم بالبغى والفساد (قوله هو يبور) هو مبتدأ ثان ويبور خبره والجملة خبر الأول ، يصح أن يكون ضمير فصل لامحل له من الإعراب وقولهم إن الفصل لايقع قبل الخبر إذا كان فعلا مردود بجواز ذلك

يعلمه وهو لا إله إلا الله ونحوها (وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ) يقبله (وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ) المكرات (السَّيِّئَاتِ) بالنبى فى دار الندوة من تقييده أو قتله أو إخراجه كما ذكر فى الأنفال (لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يَبُورُ) يهلك (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ) بخلق أبيكم آدم منه (ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ) أى منى بخلق ذريته منها (ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا) ذكورا وإناثا (وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ) حال أى معلومة له (وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ) أى مازاد فى عمر طويل العمر (وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ) أى ذلك المعمر أو معمر آخر (إِلَّا فِي كِتَابٍ) هو اللوح المحفوظ (إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) هين (وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ) شديد العذوبة (سَائِغٌ شَرَابُهُ) شربه (وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ) شديد الملوحة (وَمِنْ كُلٍّ) منهما (تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا) هو السمك (وَتَسْتَخْرِجُونَ) من الملح ،

(قوله بخلق أبيكم آدم منه) ويصح أن يراد خلقكم من تراب بواسطة أن النطفة من الغذاء وهو من التراب (قوله أزواجا) أى أصنافا (قوله من أنثى) من زائدة فى الفاعل (قوله حال) أى من أنثى (قوله ومايعمر من معمر) بفتح الميم فى قراءة العامة

قال ابن عباس : مايعمر من معمر إلا كتب عمره كم هو سنة كم هو شهرا وكم هو يوما وكم هو ساعة ثم يكتب فى كتاب آخر نقص من عمره يوم نقص شهر نقص سنة حتى يستوفى أجله فما مضى من أجله فهو النقصان ومايستقبله فهو الذى يعمره ، وهذا هو الأحسن ، وقيل إن الله كتب عمر الانسان مائة سنة إن أطاع وتسعين إن عصى فأيهما بلغ فهو كتاب ، وهذا مثل قوله عليه الصلاة والسلام «من أحب أن يبسط الله له فى رزقه وينسأ له فى أثره» أى يؤخر فى عمره «فليصل رحمه» أى إنه يكتب فى اللوح المحفوظ عمر فلان كذا سنة فان وصل رحمه زيد فى عمره كذا سنة فبين ذلك فى موضع آخر من اللوح المحفوظ أنه سيصل رحمه فمن اطلع على الأول دون الثانى ظن أنه زيادة أو نقصان (قوله أو معمر آخر) أى على حد عندى درهم ونصفه أى فالمعنى مايزاد فى عمر شخص بأن يكون أجله طويلا ولا ينقص من عمر آخر بأن يكون عمره قصيرا إلا فى كتاب (قوله إن ذلك) أى كتابة الأعمار والآجال (قوله على الله يسير) أى سهل غير متعذر (قوله ومايستوى البحران) هذا مثل للمؤمن والكافر وقوله شديد العذوبة أى يكسر وهج العطش وقوله سائغ أى يسهل الحرارة (قوله شربه) إنما فسر الشراب بالشرب لأن الشراب هو المشروب فيلزم إضافة الشيء لنفسه (قوله أجاج) أى يحرق الحلق لملوحته (قوله ومن كل تأكلون الخ) يحتمل أنه استطراد لبيان صفة البحرين ومافيهما من المنافع والمثل قد تم بما قبله وهو الأظهر ، وقيل هو من تمام التمثيل يعنى أنهما وان اشتركا فى بعض الأوصاف لايستويان فى جميعها كالبحرين فانهما وان اشتركا فى بعض المنافع لايستويان فى جميعها (قوله هو السمك) المراد به حيوانات البحر كلها فيجوز أكلها .

(قوله وقيل منهما) أى ووجهه أن فى البحر الملح عيونا عذبة تمتزج بالملح فيخرج اللؤلؤ منهما عند الامتزاج (قوله والمرجان) هو عروق حمر تطلع من البحر كأصابع الكف ، وقيل هوصغار اللؤلؤ (قوله لتبتغوا) متعلق بمواخر (قوله بالتجارة) أى وغيرها كالغزو والحج (قوله على ذلك) أى على ماأسداه إليكم من تلك النعم (قوله يولج الليل فى النهار) أى فيطول النهار حتى يصير من طلوع الشمس لغروبها أربع عشرة ساعة كأيام الصيف وقوله : ويولج النهار فى الليل أى فيطول الليل حتى يكون من الغروب للطلوع أربع عشرة ساعة كأيام الشتاء ، فالدائر بين الليل والنهار أربع ساعات تارة تكون فى الليل وتارة تكون فى النهار (قوله وسخر الشمس والقمر) معطوف على يولج وعبر بالمضارع فى جانب الليل والنهار لأن إيلاج أحدهما فى الآخر يتجدد كل عام وأما الشمس والقمر فتسخيرهما من يوم خلقهما الله فلا تجدد فيه وإنما التجدد فى آثارهما فلذا عبر فى جانبهما بالماضى (قوله والذين تدعون من دونه الخ) هذا من جملة الأدلة على انفراده تعالى بالألوهية (قوله لفافة النواة) بكسر اللام وهى القشرة الرقيقة الملتفة على النواة . واعلم أن فى النواة أربعة أشياء يضرب بها المثل فى القلة : الفتيل وهوما فى شق النواة والقطمير وهو اللفافة والنقير وهوما فى ظهرها (٢٩٠) والثفروق وهوما بين القمع والنواة (قوله ماأجابوكم) أى بجلب نفع ، لادفع

وقيل منهما (حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا) هى اللؤلؤ والمرجان (وَتَرَى) تبصر (الْفُلْكَ) السفن (فِيهِ) فى كل منهما (مَوَاخِرَ) تمخر الماء : أى تشقه بجريها فيه مقبلة ومدبرة بريح واحدة (لِتَبْتَغُوا) تطلبوا (مِنْ فَضْلِهِ) تعالى بالتجارة (وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) الله على ذلك (يُولِجُ) يدخل الله (اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ) فيزيد (وَيُولِجُ النَّهَارَ) يدخله (فِي اللَّيْلِ) فيزيد (وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ) منهما (يَجْرِي) فى فلكه (لِأَجَلٍ مُسَمًّى) يوم القيامة (ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ) تعبدون (مِنْ دُونِهِ) أى غيره وهم الأصنام (مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ) لفافة النواة (إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا) فرضا (مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ) ما أجابوكم (وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ) بإشراككم إياهم مع الله : أى يتبرءون منكم ومن عبادتكم إياهم (وَلَا يُنَبِّئُكَ) بأحوال الدارين (مِثْلُ خَبِيرٍ) عالم وهو الله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ) بكل حال (وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ) عن خلقه (الْحَمِيدُ) المحمود فى صنعه بهم (إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ) بدلكم (وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ) شديد (وَلَا تَزِرُ) نفس (وَازِرَةٌ) آثمة أى لاتحمل (وِزْرَ) نفس (أُخْرَىٰ

ضر (قوله بإشراككم إياهم) أشار بذلك إلى أن المصدر مضاف للفاعل (قوله أى يتبرءون منكم) أى بقولهم ما كانوا إيانا يعبدون (قوله ولاينبئك مثل خبير) أى لايخبرك أحد مثلى لأنى عالم بالأشياء وغيرى لايعلمها وهذا الخطاب يحتمل أن يكون عاما غير مختص بأحد ويحتمل أن يكون خطابا له صلى الله عليه وسلم (قوله يأيها الناس أنتم الفقراء إلى الله) إنما خاطب الناس بذلك وان كان ماسوى الله فقيرا لأن الناس هم الذين يدعون الغنى و ينسبونه لأنفسهم ، والمعنى ياأيها الناس انتم أشد ون الخلق افتقارا واحتياجا إلى الله فى أنفسكم وعيالكم وأموالكم وفيما يعرض لكم من سائر الأمور فلاغنى لكم عنه طرفة عين ولا أقل من ذلك ومن هنا قول الصديق رضى الله عنه : من عرف نفسه عرف ربه أى من عرف نفسه بالفقر والذل والعجز والمسكنة عرف ربه بالغنى والعز والقدرة والكمال (قوله بكل حال) أى فى حالة الفقر والغنى والضعف والقوة والذل والعز فالعبد مفتقر لربه فى أى حالة كان بها ذلك العبد (قوله الحميد) إنما ذكره بعد الغنى لدفع توهم أن غناه تعالى تارة ينفع وتارة لا فأفاد أنه كما أنه غنى هو منعم جواد محمود على إنعامه لكونه يعطى النوال قبل السؤال للبر والفاجر (قوله إن يشأ يذهبكم) هذا بيان لغناه المطلق يعنى أن إذهابكم ليس متوقفا على شئ إلا على مشيئته فإبقاؤكم من محض فضله (قوله بخلق جديد) أى بعالم آخر غير ما تعرفونه (قوله شديد) أى متعذر أو متعسر (قوله وازرة) فاعل تزر وهو صفة لموصوف محذوف قدره المفسر بقوله نفس ، والمعنى لاتحمل نفس وازرة وزر نفس أخرى وأما غير الوازرة فتحمل وزر الوازرة بمعنى تشفع لها فى غفرانه لا بمعنى أنه ينتقل من الوازرة لغيرها . إن قلت ماالجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى : وليحملن أثقالهم الآية . أجيب بأن تلك الآية محمولة على من ضل وتسبب فى الضلال لغيره فعليه وزر ضلاله ووزر تسببه لأن تسببه من فعله فلم يحمل إلا أثقال نفسه فرجع الأمر إلى أن الانسان لايحمل وزر غيره أصلا بل كل نفس بما كسبت رهينة .

(قوله و إن تدع مثقلة إلى حملها) أى و إن تدع نفس مثقلة بالذنوب نفسا إلى حملها وهو بالكسر ما يحمل على ظهر أو رأس و بالفتح ما كان فى البطن أو على رأس شجرة (قوله لايحمل منه شئ) العامة على قراءة يحمل مبنيا للمفعول وشئ نائب الفاعل وقرئ شذوذا تحمل بفتح التاء وكسر الميم مسندا إلى ضمير النفس المحذوفة وشيئا مفعول تحمل (قوله ولوكان ذا قربى) العامة على قراءة ذا بالنصب خبر كان واسمها ضمير يعود على المدعو كما قدره المفسر وقرئ شذوذا بالرفع على أن كان تامة ، والمعنى و إن تدع نفس مذنبة نفسا أخرى إلى حمل شئ من ذنبها لايحمل منه شئ ولوكانت تلك النفس الأخرى قريبة للداعية كابنها أو أبيها لما ورد «يلقى الأب والأم الابن فيقولان له يا بنى احمل عنا بعض ذنو بنا فيقول لاأستطيع حسبى ما على» (قوله فى الشقين) أى الحمل القهرى والاختيارى (قوله حكم من الله تعالى) أى وهو لايخلو عن حكمة عظيمة (قوله إنما تنذر الذين يخشون ربهم) إنما أداة حصر ، والمعنى أن إنذارك مقصور على الذين يخشون ربهم وقوله بالغيب حال من فاعل يخشون أى يخشونه حال كونهم غائبين عنه ، فالغيبة وصف العبيد لاوصف الرب فان وصف الرب القرب قال تعالى ـ ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ـ ووصف العبيد الغيبة والحجاب فالعبيد محجوبون عن ربهم بصفات جلاله ، و يصح أن يكون حالا من المفعول : أى يخشونه والحال أنه غائب عنهم أى محتجب بجلاله فلا يرونه و إلى هذا أشار المفسر بقوله وماراوه فعدم رؤية

وَإِنْ تَدْعُ) نفس (مُثْقَلَةٌ) بالوزر (إِلَى حِمْلِهَا) منه أحدا ليحمل بعضه (لَايُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ) المدعو (ذَا قُرْبَى) قرابة كالأب والابن ، وعدم الحمل فى الشقين حكم من الله تعالى (إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ) أى يخافونه وما رأوه لأنهم المنتفعون بالإنذار (وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ) أداموها (وَمَنْ تَزَكَّى) تطهر من الشرك وغيره (فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ) فصلاحه مختص به (وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ) المرجع فيجزى بالعمل فى الآخرة (وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ) الكافر والمؤمن (وَلَا الظُّلُمَاتُ) الكفر (وَلَا النُّورُ) الإيمان (وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ) الجنة والنار (وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ) المؤمنون ولا الكفار وزيادة لا فى الثلاثة تأكيد (إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ) هدايته فيجيبه بالإيمان (وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ) أى الكفار شبههم بالموتى فيجيبون (إِنْ) ما (أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ) منذر لهم (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ) بالهدى (بَشِيرًا) من أجاب إليه (وَنَذِيرًا) من لم يجب إليه ،

الله تعالى إنما هو من تحجبه بصفات الجلال ، فاذا تجلى بالجمال رأته الأبصار وذلك يحصل فى الآخرة لأهل الإيمان وقد حصل فى الدنيا لسيد الخلق على الاطلاق وقد يتجلى بالجمال للقلوب فى الدنيا فتراه وهى الجنة المعجلة لأهل الله المقربين (قوله لأنهم المنتفعون بالانذار) جواب عما يقال كيف قصر الانذار على أهل الخشية مع أنه لجميع المكلفين . فأجاب بأن وجه قصره عليهم انتفاعهم به فكأنه قال إنما ينفع إنذارك أهل الخشية (قوله أداموها) أى واظبوا عليها بأركانها وشروطها وآدابها وفى نسخة أدوها (قوله وغيره) أى كالمعاصى (قوله فصلاحه مختص به) أى فهو قاصر عليه لايتعداه فيجزى بالعمل فى الآخرة أى الخير والشر (قوله وما يستوى الأعمى والبصير الخ) هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر ، وأفاد أولا الفرق بين ذاتيهما . وثانيا بين وصفيهما . وثالثا بين داريهما فى الآخرة ، وأما قوله وما يستوى الأحياء الخ فهو مثل آخر على أبلغ وجه ، لأن الأعمى ربما يكون فيه بعض نفع بخلاف الميت (قوله ولا الظلمات ولا النور) جمع الظلمات باعتبار أنواع الكفر فان أنواعه كثيرة بخلاف الايمان فهو نوع واحد (قوله ولا الحرور) هى الريح الحارة خلاف السموم فالحرور تكون بالنهار والسموم بالليل ، وقيل الحرور والسموم الليل والنهار (قوله وزيادة لا فى الثلاثة) أى فى الجمل الثلاث التى أولها ولا الظلمات ولا النور وثانيها ولا الظل ولا الحرور وثالثها وما يستوى الأحياء ولا الأموات وإنما زيدت للتأكيد فى الجميع لأن نفى المساواة معلوم من ما النافية (قوله إن الله يسمع من يشاء) من هنا إلى قوله نكير تسلية له صلى الله عليه وسلم (قوله وشبههم بالموتى) أى فى عدم التأثر بدعوته (قوله إن أنت إلا نذير) أى فليس عليك إلا التبليغ والهدى بيد الله يؤتيه من يشاء (قوله بالحق) حال من الكاف بدليل قول المفسر بالهدى كأنه قال أرسلناك حال كونك هاديا

(قوله وإن من أمة) أى تعلمها وقوله نبي ينذرها : أى يخوفها من عقاب الله وتنقضى شريعته بموته فما بين الرسولين من أهل الفترة وهم ناجون من أهل الجنة وإن غيروا وبدلوا وعبدوا غير الله بنص قوله تعالى - وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا - وأما ماورد من تعذيب بعض أهل الفترة كعمرو بن لحى وامرىء القيس وحاتم الطائى ، فقيل إن ذلك لحكمة يعلمها الله لالكفرهم والتحقيق أنه خبر آحاد وهو لايعارض النص القطعى وتقدم الكلام فى ذلك عند قوله تعالى - وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا - (قوله وبالزبر) اسم لكل مايكتب (قوله كصحف إبراهيم) أى وهى ثلاثون وكصحف موسى قبل التوراة وهى عشرة وكصحف شيث وهى ستون ، فجملة الصحف مائة تضم لها الكتب الأربعة ، فجملة الكتب السماوية مائة وأربعة (قوله فاصبر كما صبروا) قدره إشارة إلى أن جواب الشرط محذوف (قوله أى هو واقع موقعه) أشار بذلك إلى أن الاستفهام تقريرى (قوله ألم تر) خطاب لكل من تتأتى منه الرؤية وهو كلام مستأنف سيق لبيان باهر قدرته تعالى وكمال حكمته (قوله فيه التفات) أى وحكمته أن المنة فى الاخراج أبلغ من إنزال الماء ، ولما فى الاخراج من الصنع البديع الدال على كمال القدرة الالهية (قوله ثمرات مختلفا ألوانها) أى فى أصل اللون كالأخضر والأصفر والأحمر وفى شدة اللون الواحد وضعفه (قوله ومن الجبال جدد) قرأ العامة بضم الجيم وفتح الدال جمع جدة وهى الطريق وقرىء شذوذا بضم الجيم والدال جمع جديدة وبفتحهما (قوله مختلف ألوانها) مختلف صفة لجدد وألوانها فاعل به أو مختلف خبر مقدم وألوانها مبتدأ مؤخر والجملة صفة لجدد (قوله وغرابيب سود) الغربيب تأكيد للأسود كالقانى تأكيد للأحمر وإنما قدمه عليه للمبالغة (قوله يقال كثيرا) اى بتقديم الموصوف على الصفة وهذا هو الأصل ، وقوله وقليلا أى بتقديم الصفة على الموصوف وهذا خلاف الأصل ويرتكب للمبالغة (قوله ومن الناس) خبر مقدم وقوله مختلف ألوانه صفة لموصوف محذوف هو المبتدأ ى صنف مختلف ألوانه من الناس وقوله كذلك صفة لمصدر محذوف أى اختلافا كذلك (قوله إنما يخشى الله من عباده العلماء) أى أن خشية الله شرطها العلم والمعرفة به فمن اشتدت معرفته لربه كان أخشاهم له ولذا ورد فى الحديث «أنا أخشاكم لله وأتقاكم له» وقرىء شذوذا برفع الجلالة ونصب العلماء ، والمعنى إنما يعظم الله من العباد العلماء وإنما كان كذلك لكونهم أعرف الناس بربهم وأتقاهم له فالواجب على الناس تعظيمهم واحترامهم اقتداء بالله تعالى فان الله أخبر أنه يعظمهم ويجلهم (قوله إن الله عزيز غفور) تعليل لوجوب الخشية كأنه قيل يجب على كل إنسان أن يخشى الله تعالى لأنه عزيز قاهر لماسواه غفور للمذنبين (قوله إن الذين يتلون كتاب الله) أى يقرءونه على طهارة أولا عن ظهر قلب أو فى المصحف وفضل الله واسع (قوله زكاة أو غيرها) لف ونشر مشوش وهو تحضيض على الانفاق كيفما تيسر (قوله يرجون تجارة) خبر إن أى يرجون ثواب تجارة (قوله ليوفيهم أجورهم) اللام للعاقبة والصيرورة (قوله شكور) أى يثيبهم

(وَإِنْ) ما (مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا) سلف (فِيهَا نَذِيرٌ) نبى ينذرها (وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ) أى أهل مكة (فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ) المعجزات (وَبِالزُّبُرِ) كصحف إبراهيم (وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ) هو التوراة والإنجيل فاصبر كما صبروا (ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا) بتكذيبهم (فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ) إنكارى عليهم بالعقوبة والإهلاك أى هو واقع موقعه (أَلَمْ تَرَ) تعلم (أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا) فيه التفات عن الغيبة (بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا) كأخضر وأحمر وأصفر وغيرها (وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ) جمع جدة : طريق فى الجبل وغيره (بِيضٌ وَحُمْرٌ) وصفر (مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا) بالشدة والضعف (وَغَرَابِيبُ سُودٌ) عطف على جدد : أى صخور شديدة السواد ، يقال كثيرا أسود غربيب ، وقليلا غربيب أسود (وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ) كاختلاف الثمار والجبال (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) بخلاف الجهال ككفار مكة (إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ) فى ملكه (غَفُورٌ) لذنوب عباده المؤمنين (إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ) يقرءون (كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ) أداموها (وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً) زكاة أو غيرها (يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ) تهلك (لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ) ثواب أعمالهم المذكورة (وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ) لذنوبهم (شَكُورٌ) لطاعتهم (وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ،

من

على طاعتهم (قوله من الكتاب) من لبيان الجنس أو للتبعيض (قوله هو الحق) هو إما ضمير فصل أو مبتدأ والحق خبر والجملة خبر الذى ومصدقا حال مؤكدة (قوله عالم بالبواطن والظواهر) لف ونشر مرتب (قوله ثم أورثنا) أتى بثم إشارة لبعد رتبتهم عن رتبة غيرهم من الأمة (قوله أعطينا) أشار بذلك إلى أن المراد بالتوريث الاعطاء ، ووجه تسميته ميراثا أن الميراث يحصل للوارث بلا تعب ولا نصب وكذلك إعطاء الكتاب حاصل بلا تعب ولا نصب (قوله من عبادنا) بيان للمصطفين (قوله وهم أمتك) أى أمة الاجابة سواء حفظوه كلا أو بعضا أولا وإلا فليس المراد باعطاء الكتاب حفظه بل الاهتداء بهديه والاقتداء به (قوله فمنهم ظالم لنفسه الخ) أى من غلبت سيئاته على حسناته ، والمقتصد من غلبت حسناته على سيئاته ، والسابق من لاتقع منه سيئة أصلا ، ولذا ورد فى الحديث فى تفسير هذه الآية «سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له» وقيل الظالم هو راجح السيئات والمقتصد هو الذى تساوت سيئاته وحسناته . والسابق هو الذى رجحت حسناته ، وقيل الظالم هو الذى ظاهره خير من باطنه والمقتصد من تساوى ظاهره وباطنه والسابق من باطنه خير من ظاهره وقدم الظالم على من بعده ليقوى رجاؤه فى ربه ولئلا يعجب الطائع بعمله فيهلك وهذا على حد ماقيل فى قوله تعالى - إن الله يحب التوابين (٢٩٣) ويحب المتطهرين - (قوله باذن الله) متعلق بقوله سابق وإنما خص مع أن الكل باذن الله تنبيها على عزة هذه المرتبة فأضيفت لله (قوله يدخلون الخ) أتى بضمير جماعة الذكور فى تلك الآيات تغليبا للمذكر على المؤنث وإلا فلاخصوصية للذكور (قوله بالبناء للفاعل وللمفعول) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله مرصع بالذهب) تقدم أنه أحد قولين ، وقيل إنهم يحلون فيها أسورة من ذهب وأسورة من فضة وأسورة من لؤلؤ (قوله وقالوا) عبر بالماضى لتحقق وقوعه (قوله جميعه) أى خوف الأمراض والفقر والموت وزوال النعم وغير ذلك من آفات الدنيا وهمومها (قوله الذى أحلنا) أى أدخلنا وأسكننا (قوله دار المقامة) مفعول ثان لأحلنا والمراد بها الجنة التى تقدم ذكرها (قوله لايمسنا فيها نصب) حال من ضمير أحلنا البارز (قوله تعب) أى فلانوم فى الجنة لعدم التعب بها (قوله إعياء من التعب) أى فاذا اشتهى الشخص من أهل الجنة أن يسير وينظر ويتمتع بجميع ماأعطاه الله من الحور والغرف والقصور فى أقل زمن فعل ولايحصل له إعياء ولامشقة ، وبالجملة فأحوال الجنة لاتقاس على أحوال الدنيا وهذه الآية فيها أعظم بشرى لهذه الأمة المحمدية (قوله وذكر الثانى) جواب عما يقال ماالفائدة فى نفى اللغوب مع أن انتفاءه يعلم من انتفاء النصب لأن انتفاء السبب يستلزم انتفاء المسبب (قوله والذين كفروا الخ) هذا مقابل قوله إن الذين يتلون كتاب الله على حكم عادته سبحانه وتعالى فى كتابه إذا ذكر أوصاف المؤمنين أعقبه بذكر أوصاف الكفار (قوله لايقضى عليهم) أى لايحكم عليهم بالموت وقوله فيموتوا مسبب عن قوله لايقضى وهو منفى أيضا لأنه يلزم من انتفاء السبب انتفاء المسبب . إن قلت إن فى هذه الآية دليلا على أن أهل النار لايموتون وفى آية أخرى : لايموت فيها ولايحيا فيقتضى أن أهل النار لهم حالة بين الحالتين مع أنه لاواسطة . أجيب بأن المعنى لايموتون فيستريحون من العذاب ولايحيون حياة طيبة (قوله ولايخفف عنهم من عذابها) أى بحيث ينقطع عنهم زمنا ما وبهذا اندفع ماقيل إن بعض

مِنَ الْكِتَابِ) القرآن (هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ) تقدمه من الكتب (إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ) عالم بالبواطن والظواهر (ثُمَّ أَوْرَثْنَا) أعطينا (الْكِتَابَ) القرآن (الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا) وهم أمتك (فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ) بالتقصير فى العمل به (وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ) يعمل به أغلب الأوقات (وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ) يضم إلى العمل التعليم والإرشاد إلى العمل (بِإِذْنِ اللَّهِ) بإرادته (ذَٰلِكَ) أى إيراثهم الكتاب (هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ . جَنَّاتُ عَدْنٍ) إقامة (يَدْخُلُونَهَا) الثلاثة بالبناء للفاعل والمفعول خبر جنات المبتدأ (يُحَلَّوْنَ) خبر ثان (فِيهَا مِنْ) بعض (أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤٍ) مرصع بالذهب (وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ . وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ) جميعه (إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ) للذنوب (شَكُورٌ) للطاعة (الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ) أى الإقامة (مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ) تعب (وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ) إعياء من التعب لعدم التكليف فيها ، وذكر الثانى التابع للأول للتصريح بنفيه (وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ) بالموت (فَيَمُوتُوا) يستريحوا (وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا) طرفة عين (كَذَٰلِكَ) كما جزيناهم (يُجْزَى كُلُّ كَفُورٍ) كافر

أهل النار يخفف عنه كأبي طالب وأبي لهب لما ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تشفع فى أبى طالب فنقل من ضحضاح من نار ينتعل بنعلين يغلى منهما دماغه ، وورد أن أبا لهب يسقى فى نقرة ابهامه ماء كل ليلة اثنين لعتقه جاريته ثويبة حين بشرته بولادته صلى الله عليه وسلم فتحصل أن المراد بعدم التخفيف عدم انقطاعه عنهم وإن كان يحصل لبعضهم بعض تخفيف فيه (قوله بالياء) أى المضمومة مع فتح الزاى ورفع كل وقوله والنون المفتوحة أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله يصطرخون فيها) أى يصيحون فيها (قوله وعويل) العويل رفع الصوت بالبكاء (قوله يقولون) قدره اشارة إلى أن قوله : ربنا أخرجنا الخ مقول لقول محذوف معطوف على قوله يصطرخون (قوله منها) قدره هنا لدلالة الآية الأخرى عليه (قوله صالحا) صفة لموصوف محذوف تقديره عملا صالحا (قوله فيقال لهم) أى على سبيل التوبيخ والتبكيت (قوله أولم نعمركم) الهمزة داخلة على محذوف تقديره أتعتذرون وتقولون ربنا أخرجنا الخ ولم نؤخركم ونمهلكم ونعطكم عمرا يتمكن فيه مريد التذكر من التذكر والتفكر (قوله مايتذكر) مانكرة موصوفة بمعنى وقت ولذا قدره المفسر (قوله وجاءكم النذير) عطف على معنى الجملة الاستفهامية كأنه قال أقروا بأتنا عمرناكم وجاءكم النذير (قوله الرسول) أى رسول كان ، لأن هذا الكلام مع عموم الكفار من أول الزمان لآخره (قوله فذوقوا) مرتب على محذوف قدره المفسر بقوله ، فما أجبتم فاندفع مايقال إن

بالياء والنون المفتوحة مع كسر الزاى ونصب كل (وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا) يستغيثون بشدة وعويل يقولون (رَبَّنَا أَخْرِجْنَا) منها (نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ) فيقال لهم (أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا) وقتاً (يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ) الرسول فما أجبتم (فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ) الكافرين (مِنْ نَصِيرٍ) يدفع العذاب عنهم (إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) بما فى القلوب فعلمه بغيره أولى بالنظر إلى حال الناس (هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ) جمع خليفة أى يخلف بعضكم بعضاً (فَمَنْ كَفَرَ) منكم (فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ) أى وبال كفره (وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا) غضباً (وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا) للآخرة (قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ) تعبدون (مِنْ دُونِ اللَّهِ) أى غيره وهم الأصنام الذين زعمتم أنهم شركاء الله تعالى (أَرُونِي) أخبرونى (مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ) شركة مع الله (فِي) خلق (السَّمٰوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ) حجة (مِنْهُ) بأن لهم معى شركة لاشئ

ظاهر الآية ربما يوهم أن إذاقتهم العذاب مرتبة على مجيء الرسول مع أنه ليس كذلك (قوله من نصير) من زائدة ونصير مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله (قوله غيب السموات والأرض) أى ماغاب عنا فيهما (قوله إنه عليم بذات الصدور) تعليل لما قبله كأنه قيل إذا علم ماخفى فى الصدور كان أعلم بغيرها من باب أولى وقوله بالنظر إلى حال الناس جواب عما يقال علم الله لا تفاوت فيه بل جميع الاشياء مستوية فى علمه لافرق بين ماخفى منها على الخلق وماظهر لهم فأجاب بما ذكر أى أن الأولوية من حيث عادة الناس الجارية أن من علم الخفى يعلم الظاهر بالأولى (قوله هو الذى جعلكم خلائف فى الأرض) أى رعاة مسئولين عن رعاياكم من أنفسكم وأزواجكم وأولادكم وخدمكم فكل إنسان خليفة فى الارض وهو راع وكل راع مسئول عن رعيته (قوله جمع خليفة) كذا فى بعض النسخ بالتاء وفى بعض النسخ بلاتاء والأولى أولى لأن خليفا جمعه خلفاء وأما خليفة فجمعه خلائف (قوله أى وبال كفره) أى فلا يضر إلا نفسه (قوله ولايزيد الكافرين الخ) بيان لو بال كفرهم وعاقبته (قوله قل أرأيتم الخ) رأى بصرية تتعدى لمفعول واحد إن كانت بلاهمز وبالهمز كما هنا تتعدى لمفعولين الأول قوله شركاءكم والثانى قوله ماذا خلقوا من الأرض على سبيل التنازع لأن كلا من أرأيتم وأرونى طالب ماذا خلقوا من الأرض على أنه مفعول له (قوله شركاءكم) أضافهم لهم من حيث إنهم جعلوهم شركاء أو من حيث إنهم شركوهم فى أموالهم فانهم كانوا يعينون شيئا من أموالهم لآلهتهم وينفقونه على خدمتها ويذبحون عندها (قوله ماذا خلقوا من الأرض) أى أى شئ خلقوه من الأمور التى فى الأرض كالحيوانات والنباتات والأشجار وغير ذلك (قوله أم لهم شرك) أم فى الموضعين منقطعة تفسر ببل والهمزة (قوله أم آتيناهم) أى الشركاء (قوله على بينة) بالافراد والجمع قراءتان سبعيتان

(قوله لاشيء من ذلك) جواب الاستفهام فى الجمل الثلاث وهو انكارى (قوله بل إن يعد الظالمون) لما ذكر نفى الحجج أضرب عنه بذكر الأمر الحامل للرؤساء على الشرك و إضلال الأتباع وهو قولهم لهم إنهم شفعاء عند الله (قوله بعضهم) بدل من الظالمون (قوله بقولهم) أى الرؤساء للأتباع (قوله أى يمنعهما من الزوال) أشار بذلك إلى أن الامساك بمعنى المنع وقوله أن تزولا أن ومادخلت عليه فى تأويل مصدر مفعول ثان على اسقاط من (قوله ولئن زالتا) اجتمع قسم وشرط فقوله إن أمسكهما جواب الأول وحذف جواب الثانى على القاعدة المعروفة (قوله من أحد) من زائدة فى الفاعل وقوله من بعده من ابتدائية والتقدير ما أمسكهما أحد مبتدأ وناشئا من غيره (قوله إنه كان حليما غفورا) تعليل لقوله إن الله يمسك السموات والأرض : أى فامساكهما حاصل بحلمه وغفرانه و إلافكانتا جديرتين بأن تزولا كما قال تعالى ـ تكاد السموات يتفطرن منه ـ الآية ، فحلم الله تعالى من أكبر النعم على العباد إذ لولاه لما بقى شىء من العالم ، فقول العامة حلم الله يفتت الكبود اساءة أدب (قوله أى كفار مكة) أى قبل أن يبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم حين بلغهم أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم فلعنوا من كذب نبيه منهم وأقسموا بالله تعالى لئن جاءهم نبى ينذرهم ليكونن أهدى من إحدى الأمم

لاشىء من ذلك (بَلْ إِنْ) ما (يَعِدُ الظَّالِمُونَ) الكافرون (بَعْضُهُمْ بَعْضاً إِلاَّ غُرُوراً) باطلاً بقولهم الأصنام تشفع لهم (إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ أَنْ تَزُولاَ) أى يمنعهما من الزوال (وَلَئِنْ) لام قسم (زَالَتَا إِنْ) ما (أَمْسَكَهُمَا) يمسكهما (مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ) أى سواه (إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً) فى تأخير عقاب الكفار (وَأَقْسَمُوا) أى كفار مكة (بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ) غاية اجتهادهم فيها (لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ) رسول (لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الأُمَمِ) اليهود والنصارى وغيرهم ، أى أىّ واحدة منها لما رأوا من تكذيب بعضهم بعضا إذ قالت اليهود ليست النصارى على شىء وقالت النصارى ليست اليهود على شىء (فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ) محمد صلى الله عليه وسلم (مَا زَادَهُمْ) مجيئه (إِلاَّ نُفُوراً) تباعدًا عن الهدى (اسْتِكْبَاراً فِى الأَرْضِ) عن الإيمان مفعول له (وَمَكْرَ) العمل (السَّيِّءِ) من الشرك وغيره (وَلاَ يَحِيقُ) يحيط (الْمَكْرُ السَّيِّءُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ) وهو الماكر ووصف المكر بالسيء أصل و إضافته إليه قبل استعمال آخر قدر فيه مضاف حذراً من الإضافة إلى الصفة (فَهَلْ يَنْظُرُونَ) ينتظرون (إِلاَّ سُنَّتَ الأَوَّلِينَ) سنة الله فيهم من تعذيبهم بتكذيبهم رسلهم (فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً) ،

(قوله جهد أيمانهم) الجهد بالفتح بلوغ الغاية فى الاجتهاد وأمابالضم فهو الطاقة و إنما كان الحلف بالله غاية إيمانهم لأنهم كانوا يحلفون بآبائهم وأصنامهم فاذا أرادوا التأكيد والتشديدحلفوا بالله (قوله ليكونن) هذه حكاية لكلامهم بالمعنى و إلا فلفظه لنكونن الخ (قوله من إحدى الأمم) المراد من إحدى الأحد الدائر فالمعنى من كل الأمم فقول المفسر : أى أىّ واحدة منها الأوضح أن يقول أى كل واحدة منها

(قوله مازادهم إلا نفورا) جواب لما وفيه إشعار بأن فيهم أصل النفور لكونهم جاهلية لم يأتهم نذير من عهد اسماعيل (قوله مفعول له) أى لأجل الاستكبار و يصح أن يكون بدلا من نفورا أوحالا من ضمير زادهم ، أى حال كونهم مستكبرين (قوله ووصف المكر بالسيء) أى فى قوله ولايحيق المكر السيء وقوله أصل : أى جاء على الأصل من استعمال الصفة تابعة للموصوف (قوله و إضافته إليه قبل) أى فى قوله ومكر السيء (قوله استعمال آخر) أى جاء على خلاف الأصل حيث أضيف فيه الموصوف للصفة (قوله قدر فيه مضاف) أى مضاف إليه وقوله حذرا من الاضافة إلى الصفة أى من اضافة المكر الذى هو الموصوف إلى السيء الذى هو الصفة فيجعل المكر مضافا لمحذوف والسيء صفة لذلك المحذوف وتلك الاضافة من اضافة العام للخاص لأن المكر يشمل الاعتقاد والعمل فاضافته للعمل تخصيص له (قوله فهل ينظرون إلا سنت الأولين) أى فلا ينتظرون إلا تعذيبهم كمن قبلهم (قوله سنة الله فيهم) أشار بذلك إلى أن قوله سنت الأولين مصدر مضاف لمفعوله ، وسيأتى إضافته لفاعله فى قوله لسنت الله (قوله فلن تجد) الفاء للتعليل كأنه قيل لاينتظرون إلا تعذيبهم كمن قبلهم لأنك أيها العاقل لن تجد الخ .

(قوله أى لايبدل بالعذاب غيره ولا يحول إلى غير مستحقه) أشار بذلك إلى أن المراد بالتبديل تغيير العذاب بغيره والتحويل نقله لغير مستحقه وجمع بينهما للتهديد والتقريع (قوله أو لم يسيروا) الهمزة داخلة على محذوف والتقدير أتركوا السفر ولم يسيروا وهو استشهاد على أن سنة الله لاتبديل لها ولا تحويل والاستفهام إنكاري بمعنى النفي ونفي النفي إثبات . والمعنى بل ساروا فى الأرض ومروا على ديار قوم صالح وقوم لوط وقوم شعيب وغيرهم فنظروا آثار ديارهم (قوله كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) أى على أى حالة كانت ليعلموا أنهم ما أخذوا إلا بتكذيب رسلهم فيخافوا أن يفعل بهم مثل ذلك (قوله وكانوا أشد منهم قوة) أى أطول أعمارا والجملة حالية أو معطوفة على قوله من قبلهم (قوله وما كان الله ليعجزه الخ) تقرير لما فهم من استئصال الأمم السابقة (قوله إنه كان عليما قديرا) تعليل لما قبله (قوله بما كسبوا) الباء سببية وما مصدرية أو موصولة : أى بسبب كسبهم أو الذى كسبوه (قوله من المعاصى) بيان لما (قوله ماترك على ظهرها من دابة) أى من جميع مادب على وجهها من الحيوانات العاقلة وغيرها وذلك بأن يمسك عنها ماء السماء مثلا فينقطع عنهم النبات فيموتون جوعا فالظالم لظلمه وغير الظالم بشؤم الظالم وعبر بالظهر تشبيها للأرض بالدابة من حيث التمكن عليها ويعبر تارة بوجه الأرض من حيث إن ظاهرها كالوجه للحيوان وغيره كالبطن وهو الباطن منها فتحصل أنه يقال لما عليه الخلق من الأرض وجه الأرض وظهرها فهو من قبيل إطلاق الضدين على شىء واحد (قوله نسمة) من التنسم وهو التنفس أى ذى روح (قوله فيجازيهم بأعمالهم) أشار بذلك إلى أن جواب الشرط محذوف وقوله فإن الله الخ تعليل له .

أى لايبدل بالعذاب غيره ولا يحول إلى غير مستحقه (أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً) فأهلكهم الله بتكذيبهم رسلهم (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ) يسبقه ويفوته (فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا) أى بالأشياء كلها (قَدِيرًا) عليها (وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا) من المعاصى (مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا) أى الأرض (مِنْ دَابَّةٍ) نسمة تدب عليها (وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى) أى يوم القيامة (فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا) فيجازيهم على أعمالهم بإثابة المؤمنين وعقاب الكافرين .

(سورة يس)

مكية ، أو إلا قوله : وإذا قيل لهم أنفقوا الآية ، أو مدنية اثنتان وثمانون آية

[سورة يس مكية] أى كلها وقوله أو إلا قوله وإذا قيل الخ قول ثان وقوله أو مدنية أى كلها وهو قول ثالث ، وورد فى فضل سورة يس أحاديث كثيرة منها قوله صلى الله عليه وسلم «اقرءوا يس على موتاكم» ومنها «مامن ميت يقرأ عليه يس إلا هون الله عليه» ومنها «من قرأ يس فى ليلة ابتغاء وجه الله غفر الله له فى تلك الليلة» ومنها «إن لكل شىء قلبا وقلب القرآن يس ، ومن قرأ يس كتب الله بها قراءة القرآن عشر مرات» ومنها «إن فى القرآن لسورة تشفع لقارئها وتغفر لمستمعها ألا وهى سورة يس تدعى فى التوراة المعمة قيل يارسول الله وما المعمة ؟ قال تعم صاحبها بخير الدنيا وتدفع عنه أهوال الآخرة وتدعى أيضا الدافعة والقاضية قيل يارسول الله وكيف ذلك قال تدفع عن صاحبها كل سوء وتقضى له كل حاجة» ومنها «من قرأ يس حين يصبح أعطى يسر يومه حتى يمسى ، ومن قرأها فى صدر ليلته أعطى يسر ليلته حتى يصبح» ومنها عن أبى جعفر «من وجد فى قلبه قسوة فليكتب سورة يس فى جام أى إناء بزعفران ثم يشربه» ومنها «من قرأ سورة يس ليلة الجمعة أصبح مغفورا له» ومنها «من دخل المقبرة فقرأ سورة يس خفف العذاب عن أهلها ذلك اليوم وكان له بعدد من فيها حسنات» ومنها عن يحيى بن أبى كثير «بلغنى أن من قرأ سورة يس ليلا لم يزل فى فرح حتى يصبح ومن قرأها حين يصبح لم يزل فى فرح حتى يمسى وقد حدثنى بهذا من جربها» ومنها «إن لكل شىء قلبا وقلب القرآن يس من قرأها يريد بها وجه الله غفر الله له وأعطى من الأجر كأنما قرأ القرآن عشر مرات وأيما مسلم قرئ عنده إذا نزل به ملك الموت سورة يس نزل بكل حرف منها عشرة أملاك يقومون بين يديه صفوفا يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون غسله ويتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه وأيما مسلم قرأ سورة يس وهو فى سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان بشربة من الجنة فيشربها وهو على فراشه فيقبض روحه وهو ريان ويمكث فى قبره وهو ريان ولا يحتاج إلى حوض من حياض الأنبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان» (بسم

ومنها « يس لما قرئت له » وحكمة اختيار الصالحين في استعمالها التكرار كأربع أو سبع أو أحد وأربعين أو غير ذلك شدة الحجاب والغفلة على القلب فبالتكرار تصفو مرآته وترق طبيعته وإن كان الفضل الله كور لا يتوقف على تكرار كما يشهد له هذه الأحاديث (قوله يس) القراء السبعة على تسكين النون بادغامها في الواو بعدها أو باظهارها وقرئ شذوذا بضم النون وفتحها وكسرها فالأول خبر لمبتدإ محذوف أي هذه ومنع من الصرف للعلمية والتأنيث. والثاني إما على البناء على الفتح تخفيفا كأين وكيف أو مفعول به لفعل محذوف تقديره اتل أو مجرور بحرف قسم محذوف وهو ممنوع من الصرف. والثالث مبني على الكسر على أصل التخلص من التقاء الساكنين (قوله الله أعلم بمراده به) هذا أحد أقوال في تفسير الحروف المقطعة كحم وطس وتقدم أن هذا القول أسلم، وقيل معناه يا إنسان وأصله يا أنيسين فاقتصر على شطره لكثرة النداء به، وقيل هو اسم لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وقيل اسم للقرآن (قوله والقرآن الحكيم) كلام مستأنف لا محل له من الاعراب وهو قسم وجوابه قوله إنك لمن المرسلين (قوله المحكم) أي المتقن الذي هو في أعلى طبقات البلاغة (قوله متعلق بما قبله) أي بالمرسلين ويصح أن يكون خبرا ثانيا لإن كأنه قيل إنك لمن المرسلين إنك على صراط مستقيم. (قوله أي طريق الأنبياء قبلك) أي وقولهم إن شرع رسول الله صلى الله عليه وسلم ناسخ لجميع الشرائع فهو باعتبار الفروع، وأما الأصول فالكل مستوون فيها ولا يتعلق بها نسخ. قال تعالى: شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا الآية، وقال تعالى: فبهداهم اقتده (قوله وغيره) أي إن واللام والجملة الاسمية (قوله خبر مبتدإ مقدر) هذا أحد وجهين في الآية والآخر النصب على أنه مفعول لمحذوف أي أمدح أو مفعول مطلق لنزل والقراءتان

(بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ . يس) الله أعلم بمراده (وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ) المحكم بعجيب النظم وبديع المعاني (إِنَّكَ) يا محمد (لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ . عَلَى) متعلق بما قبله (صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) أي طريق الأنبياء قبلك التوحيد والهدى، والتأكيد بالقسم وغيره رد لقول الكفار له: لست مرسلا (تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ) في ملكه (الرَّحِيمِ) بخلقه خبر مبتدإ مقدر: أي القرآن (لِتُنْذِرَ) به (قَوْمًا) متعلق بتنزيل (مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ) أي لم ينذروا في زمن الفترة (فَهُمْ) أي القوم (غَافِلُونَ) عن الإيمان والرشد (لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ) وجب (عَلَى أَكْثَرِهِمْ) بالعذاب (فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) أي الأكثر (إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا) ،

سبعيتان (قوله لتنذر قوما) أي العرب وغيرهم (قوله في زمن الفترة) هو بالنسبة للعرب ما بين إسمعيل ومحمد عليهما الصلاة والسلام وبالنسبة لغيرهم ما بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام (قوله فهم غافلون) مرتب على نفي الانذار وقوله أي القوم تفسير للضمير ويصح أن يكون الضمير راجعا للفريقين هم وآباؤهم (قوله لقد حق القول) أي وهو قوله: لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين (قوله على أكثرهم) أي أكثر الكافرين في كل زمن فالأقل متحتم إيمانه والأكثر متحتم كفره وتقدم لنا في سورة الأنعام أن الأقل واحد من ألف (قوله فهم لا يؤمنون) تفريع على ما قبله وأشار بذلك إلى أن الايمان والكفر بتقدير الله فمن طبعه على أحدهما فلا يستطيع التحول عنه، وإنما الأمر بالايمان باعتبار التكليف الظاهري والنوع الاختياري ومن هنا قول بعض العارفين :

الكل تقدير مولانا وتأسيسه ... فاشكر لمن قد وجب حمده وتقديسه

وقل لقلبك إذا زادت وساوسه ... إبليس لما طغى من كان إبليسه

(قوله إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا) قيل نزلت في أبي جهل بن هشام وصاحبيه المخزوميين، وذلك أن أبا جهل حلف لئن رأى محمدا يصلي ليرضخن رأسه بحجر فلما رآه ذهب فرفع حجرا ليرميه فلما أومأ إليه رجعت يداه إلى عنقه والتصق الحجر بيديه فلما عاد إلى أصحابه أخبرهم بما رأى فقال الرجل الثاني وهو الوليد بن المغيرة أنا أرضخ رأسه فأتاه وهو يصلي على حالته ليرميه بالحجر فأعمى الله بصره فجعل يسمع صوته ولا يراه فرجع إلى أصحابه فلم يرهم حتى نادوه فقال الثالث والله لأشدخن رأسه ثم أخذ الحجر وانطلق فرجع القهقري ينكص على عقبيه حتى خر على قفاه مغشيا عليه فقيل له ما شأنك قال شأني عظيم رأيت الرجل فلما دنوت منه فاذا فحل يخطر بذنبه ما رأيت قط فحلا أعظم منه حال بيني وبينه فواللات والعزى لو دنوت منه لأكلني فأنزل الله تعالى تلك الآية وفيها إشارة إلى ما يحصل لهم في جهنم من السلاسل

والأغلال وعمى أبصارهم وفيها أيضا استعارة تمثيلية حيث شبه حالهم فى امتناعهم من الهدى والإيمان بحال من غلت يده فى عنقه وعمى بصره بجامع أن كلا ممنوع من الوصول إلى المقصود فتحصل أن الآية دالة على الأمور الثلاثة سبب النزول وما يحصل لهم فى الآخرة وتمثيل لمنعهم من الهدى (قوله بأن تضم إليها الأيدى) جعل المفسر هذا توطئة لإرجاع الضمير للأيدى فى قوله فهى الى الأذقان كأنه قال الأيدى و إن لم يتقدم لها ذكر صراحة فهى مذكورة ضمنا فى قوله الأغلال لأن الغل يدل عليها (قوله مجموعة) قدره إشارة إلى أن قوله إلى الأذقان متعلق بمحذوف ولو قدره مرفوعة لكان أظهر وذلك أن اليد ترفع تحت الذقن و يلبس الغل فى العنق فتضم اليد إليه تحت الذقن فحينئذ لا يستطيعون خفض رأس ولا التفاتا (قوله وهذا تمثيل) أى استعارة تمثيلية للمعنى المذكور وفيه إشارة إلى سبب النزول و إلى ما يحصل لهم فى الآخرة كما علمت (قوله بفتح السين وضمها) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله فأغشيناهم) هو بالغين المعجمة فى قراءة العامة أى غطينا أبصارهم وقرئ شذوذا بالعين المهملة من العشا وهو عدم الإبصار ليلا . والمعنى أضعفنا أبصارهم عن الهدى كعين الأعشى (قوله تمثيل) أى استعارة تمثيلية حيث شبه حالهم فى سد طرق الإيمان عليهم

ومنعهم منه بحال من سدت عليه الطرق وأخذ بصره بجامع أن كلا لا يهتدى لمقصوده (قوله وسواء عليهم ءأنذرتهم الخ) هذا نتيجة ماقبله وقوله لا يؤمنون بيان للاستواء . والمعنى إنذارك وعدمه سواء فى عدم إيمانهم وهو تسلية له صلى الله عليه وسلم وكشف لحقيقة أمرهم وعاقبتها (قوله بتحقيق الهمزتين) أى مع إدخال ألف بينهما وتركه فالقراءات خمس لا أربع كما توهمه عبارته فالتحقيق فيه قراءتان والتسهيل كذلك والابدال فيه قراءة واحدة وهى سبعيات

بأن تضم إليها الأيدى لأن الغل يجمع اليد إلى العنق (فَهِيَ) أى الأيدى مجموعة (إِلَى الْأَذْقَانِ) جمع ذقن وهى مجتمع اللحيين (فَهُمْ مُقْمَحُونَ) رافعون رءوسهم لا يستطيعون خفضها وهذا تمثيل والمراد أنهم لا يذعنون للإيمان ولا يخفضون رءوسهم له (وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا) بفتح السين وضمها فى الموضعين (فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ) تمثيل أيضا لسد طرق الإيمان عليهم (وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ) بتحقيق الهمزتين و إبدال الثانية ألفا وتسهيلها و إدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه (أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ . إِنَّمَا تُنْذِرُ) ينفع إنذارك (مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ) القرآن (وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ) خافه ولم يره (فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ) هو الجنة (إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى) للبعث (وَنَكْتُبُ) فى اللوح المحفوظ (مَا قَدَّمُوا) فى حياتهم من خير وشر ليجازوا عليه (وَآثَارَهُمْ) ما استن به بعدهم (وَكُلَّ شَيْءٍ) نصبه بفعل يفسره (أَحْصَيْنَاهُ) ضبطناه (فِي إِمَامٍ مُبِينٍ) كتاب بين هو اللوح المحفوظ (وَاضْرِبْ) اجعل (لَهُمْ مَثَلًا) مفعول أول ،

(قوله ينفع إنذارك) جواب عما يقال إن ظاهر الآية يقتضى أن رسالته صلى الله عليه وسلم غير عامة بل هى لقوم مخصوصين وهم من اتبع الذكر وخشى الرحمن بالغيب و يخالف قوله سابقا لتنذر قوما الخ فأجاب المفسر عن ذلك بأن محط الحصر الانذار النافع فلا ينافى وجود غيره لمن لم ينتفع به (قوله بالغيب) يصح أن يكون حالا من الفاعل أو المفعول وتقدم نظيره (قوله فبشره بمغفرة الخ) تفريع على ماقبله إشارة لبيان عاقبة أمرهم (قوله إنا نحن نحيي الموتى) أى نبعثهم فى الآخرة للمجازاة على أعمالهم (قوله ونكتب ماقدموا) إن قلت إن الكتابة متقدمة قبل الأحياء إذ هى فى الدنيا والاحياء يكون فى الآخرة . أجيب بأنه قدم الاحياء اعتناء بشأنه إذ لولاه لما ظهرت ثمرة الكتابة (قوله فى اللوح المحفوظ) المناسب أن يقول فى صحف الملائكة لأن الكتابة التى تكون فى حياة العباد إنما هى فى صحف الملائكة ، وأما اللوح فقد كتب فيه ذلك قبل وجود الخلق (قوله ما استن به بعدهم) أى من خير كعلم علموه أو كتاب صنفوه أو نخل غرسوه أو وقف حبسوه أو غير ذلك أو شر كمكس ربوه أو ضلالة أحدثوها أو غير ذلك لما فى الحديث لامن سن سنة حسنة فعمل بها من بعده كان له أجرها ومثل أجر من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شئ ، ومن سن فى الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من وزرهم شئ (قوله نصبه بفعل يفسره الخ) أى فهو من باب الاشتغال (قوله واضرب لهم مثلا) هذا خطاب

النبي صلى الله عليه وسلم أن يضرب لقومه مثلا لعلهم يتعظون فيؤمنون (قوله أصحاب مفعول ثان) الأوضح أن يجعله مفعولا أول (قوله أنطاكية) بالفتح والكسر وسكون النون وكسر الكاف وتخفيف الياء المفتوحة، وهى مدينة بأرض الروم ذات سور عظيم من صخر ، وهى بين خمسة جبال دورها اثنا عشر ميلا . وحاصل تلك القصة أن عيسى عليه السلام بعث رسولين من الحواريين إلى أهل أنطاكية اسم أحدهما صادق والثانى مصدوق فلما قربا من المدينة رأيا شيخا يرعى غنيمات له هو حبيب النجار صاحب يس فسلما عليه ، فقال الشيخ لهما من أنتما ، فقالا رسولا عيسى عليه الصلاة والسلام ندعوكم من عبادة الأوثان إلى عبادة الرحمن ، فقال أمعكما آية قالا نعم نشفى المريض ونبرىء الأكمه والأبرص باذن الله تعالى ، وذلك كرامة لهما ومعجزة لنبيهما لأنه لما أرسلهما أيدهما بمعجزاته ، قال الشيخ إن لى ابنا مريضا منذ سنين قالا فانطلق بنا ننظر حاله ، فأتى بهما فمسحا ابنه فقام فى الوقت باذن الله تعالى صحيحا ففشا الخبر فى المدينة وشفى الله على أيديهما كثيرا من المرضى ، وكان لهم ملك يعبد الأصنام اسمه أنطيخا فدعا بهما وقال من أنتما قالا رسولا عيسى عليه السلام قال وفيم جئتما قالا ندعوك من عبادة من لايسمع ولا يبصر إلى عبادة من يسمع ويبصر قال وهل لنا إله دون آلهتنا قالا نعم الذى أوجدك وآلهتك قال لهما قوما حتى أنظر فى أمركما فتبعهما الناس فأخذوهما وجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ووضعوهما فى السجن ، فلما كذبا وضربا بعث عيسى عليه السلام رأس الحواريين شمعون الصفى على أثرهما لينصرهما ، فدخل شمعون البلد متنكرا فجعل يعاشر حاشية الملك حتى أنسوا به فرفعوا خبره إلى الملك فدعاه وأنس به وأكرمه ورضى عشرته ، فقال للملك ذات يوم : بلغنى أنك حبست رجلين فى السجن وضربتهما حين دعواك إلى غير دينك ، فهل كلمتهما وسمعت قولهما ، فقال حال الغضب بينى وبين ذلك ؟ قال فإنى أرى أيها الملك أن تدعوهما حتى نطلع على ماعندهما فدعاهما الملك ، فقال شمعون من أرسلكما إلى ههنا قالا الله

(أَصْحَابَ) مفعول ثان (الْقَرْيَةِ) أنطاكية (إِذْ جَاءَهَا) إلى آخره بدل اشتمال من أصحاب القرية (الْمُرْسَلُونَ) أى رسل عيسى (إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا) إلى آخره بدل من إذ الأولى (فَعَزَّزْنَا) بالتخفيف والتشديد: قوّينا الاثنين (بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ . قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ) ما (أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ . قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ) ،

الذى خلق كل شىء وليس له شريك ، فقال شمعون فصفاه وأوجزا قالا إنه يفعل مايشاء ويحكم مايريد فقال شمعون وما آيتكما قالا ماتتمناه فأمر الملك حتى جاءوا بغلام مطموس العينين وموضع عينيه كالجبهة فما زالا يدعوان ربهما حتى انشق موضع البصر فاخذا بندقتين من طين فوضعاهما فى حدقتيه فصارتا مقلتين يبصر بهما فتعجب الملك فقال شمعون للملك إن أنت سألت آلهتك حتى يصنعوا مثل هذا كان لك الشرف ولآلهتك فقال له الملك ليس لى عنك سر مكتوم فان إلهنا الذى نعبده لايسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع ، وكان شمعون يدخل مع الملك على الصنم ويصلى ويتضرع حتى ظنوا أنه على ملتهم ، فقال الملك للرسولين إن قدر إلهكما الذى تعبدانه على إحياء ميت آمنا به وبكما قالا إلهنا قادر على كل شىء فقال الملك إن ههنا ميتا قد مات منذ سبعة أيام وهو ابن دهقان وأنا أخرته فلم أدفنه حتى يرجع أبوه وكان غائبا وقد تغير فجعلا يدعوان ربهما علانية وشمعون يدعو ربه سرا فقام الميت ؟ وقال إنى ميت منذ سبعة أيام وكنت مشركا فأدخلت فى سبعة أودية من النار وأنا أحذركم ما أنتم عليه فآمنوا بالله ، ثم قال فتحت أبواب السماء فنظرت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة شمعون وهذين وأشار بيده إلى صاحبيه ، وأنا أشهد أن لاإله إلا الله وأن عيسى روح الله وكلمته، فعجب الملك من ذلك ، فلما علم شمعون أن قوله قد أثر فى الملك أخبره بالحال وأنه رسول عيسى ودعاه فآمن الملك وآمن معه قوم وكفر آخرون ، وقيل بل كفر الملك وأجمع على قتل الرسل هو وقومه ، فبلغ ذلك حبيبا وهو على باب المدينة فجاء يسعى إليهم ويذكرهم ويدعوهم إلى طاعة المرسلين (قوله إلى آخره) أى آخر القصة وهو قوله إلا كانوا به يستهزءون (قوله المرسلون) جمع باعتبار الثالث (قوله أى رسل عيسى) هذا هو المشهور ، وقيل إنهم رسل من الله من غير واسطة عيسى أرسلوا إلى أصحاب هذه القرية (قوله بدل من إذ الأولى) أى بدل مفصل من مجمل (قوله بالتخفيف والتشديد) أى إنهما قراءتان سبعيتان (قوله فقالوا إنا إليكم مرسلون) أكدوا كلامهم بإنّ لتقدم الانكار بتكذيب الاثنين وتكذيبهما تكذيب للثالث لاتحاد مقالتهم (قوله قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا) أى فلا مزية لكم علينا .

(قوله جار مجرى القسم) أى فيؤكد به كالقسم ويجاب كما يجاب به القسم (قوله لزيادة الانكار) أى حيث تعدّد ثلاث مرات (قوله وهى إبراء الأكمه) أى الأعمى (قوله قالوا إنا تطيرنا بكم) التطير التفاؤل، سمى بذلك لأنهم كانوا يتفاءلون بالطير إذا أرادوا سفرا أوغيره فان ذهب ميمنة قالوا خير وإن ذهب ميسرة قالوا شرّ (قوله لانقطاع المطرعنا بسببكم) قيل حبس عنهم المطر ثلاث سنين فقالوا هذا بشؤمكم (قوله لام قسم) أى وقد حنثوا فيه لأن الله أهلكهم قبل أن يفعلوا بهم ماحلفوا عليه (قوله بكفركم) الباء سببية أى طائركم حاصل معكم بسبب كفركم وعنادكم (قوله وإدخال ألف) أى وتركه فالقراآت أربع سبعيات (قوله وجواب الشرط محذوف) أى على القاعدة وهى أنه إذا اجتمع استفهام وشرط أتى بجواب الاستفهام وحذف جواب الشرط وهومذهب سيبويه وعند يونس بالعكس (قوله وهومحل الاستفهام) أى هو المستفهم عنه، والمعنى لاينبغى ولايليق بكم التطاير والكفر حيث وعظتم بل آمنوا وانقادوا (قوله بل أنتم قوم مسرفون) إضراب عماتقتضيه الشرطية من كون التذكير سببا للشؤم أى ليس الأمر كذلك بل أنتم قوم عادتكم الإسراف فى العصيان فشؤمكم لذلك (قوله متجاوزون الحد بشرككم) أى بعد ظهور المعجزات، وهذا الخطاب لمن بقى على الكفر منهم وهم

جار مجرى القسم وزيد التأكيد به وباللام على ماقبله لزيادة الإنكار فى (إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ وَمَا عَلَيْنَا إِلاَّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ) التبليغ البين الظاهر بالأدلة الواضحة. وهى إبراء الأكمه والأبرص والمريض وإحياء الميت (قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا) تشاءمنا (بِكُمْ) لانقطاع المطر عنا بسببكم (لَئِنْ) لام قسم (لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ) بالحجارة (وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم (قَالُوا طَائِرُكُمْ) شؤمكم (مَعَكُمْ) بكفركم (أَئِنْ) همزة استفهام دخلت على إن الشرطية وفى همزتها التحقيق والتسهيل وإدخال ألف بينها بوجهيها وبين الأخرى (ذُكِّرْتُمْ) وعظتم وخوفتم وجواب الشرط محذوف: أى تطيرتم وكفرتم وهو محل الاستفهام والمراد به التوبيخ (بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ) متجاوزون الحد بشرككم (وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ) هو حبيب النجار كان قد آمن بالرسل ومنزله بأقصى البلد (يَسْعَى) يشتد عدوا لما سمع بتكذيب القوم الرسل (قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ. اتَّبِعُوا) تأكيد للأول (مَنْ لاَ يَسْأَلُكُمْ أَجْراً) على رسالته (وَهُمْ مُهْتَدُونَ) فقيل له أنت على دينهم فقال (وَمَالِيَ لاَ أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي) خلقنى: أى لامانع لى من عبادته،

الذين رجموا حبيبا النجار وأهلكهم الله كما يأتى (قوله وجاء من أقصى المدينة) هى أنطاكية المعبر عنها أولا بالقرية وعبرعنها بالمدينة إشارة إلى عظمها وكبرها (قوله هو حبيب النجار) أى ابن إسرائيل كان يصنع لهم الأصنام وهو ممن آمن بالنبىّ صلى الله عليه وسلم قبل وجوده كما آمن به تبع الأكبر وورقة بن نوفل وغيرهما وفى الحقيقة كل نبىّ آمن بالنبىّ صلى الله عليه وسلم قبل ظهوره بمصداق الموجود قوله تعالى – وإذ أخذ الله ميثاق النبيين – الآية وهذا من خصوصياته صلى الله عليه وسلم، وأما غيره من الأنبياء فلم يؤمن به أحد إلا بعد ظهوره (قوله كان قد آمن بالرسل) أى رسل عيسى، وسبب إيمانه ماتقدم من شفاء ولده المريض، وقيل إنه كان مجذوما وعبد الأصنام سبعين سنة لكشف ضرّه فلم يكشف، فلما دعاه الرسل إلى عبادة الله قال لهم هل من آية قالوا له ندعو ربنا القادر يفرّج عنك مابك فقال إن هذا عجيب! قد عبدت هذه الأصنام سبعين سنة فلم تستطع تفريجه فهل يستطيع ربكم تفريجه فى غداة واحدة قالوا نعم ربنا على كل شىء قدير، فدعوا ربهم فكشف ما به فآمن (قوله يشتد عدوا) أى يسرع فى مشيته حرصا على نصح قومه والدفع عن الرسل (قوله تأكيد للأول) أى تأكيد لفظى فلفظ اتبعوا الثانى تأكيد للفظ اتبعوا الأول من توكيد الفعل بالفعل (قوله من لايسألكم أجرا) بدل من المرسلين، والمعنى اتبعوا الصادقين المخلصين الذين لم يريدوا منكم العرض الفانى إذ لوكانوا غير مخلصين لطلبوا منكم المال ونازعوكم على الرياسة (قوله وهم مهتدون) الجملة حالية وهو تعريض لهم بالاتباع أى فاهتدوا أنتم تبعا لهم (قوله أنت على دينهم) فيه حذف همزة الاستفهام (قوله ومالى لاأعبد الذى فطرنى) تلطف فى إرشادهم وفيه نوع تقريع على ترك عبادة خالقهم، والأحسن أن فى الآية احتباكا حيث حذف من الأول نظير ماأثبته فى الآخر، والأصل ومالى لاأعبد الذى فطرنى وفطركم وإليه ترجعون وأرجع.

(قوله الوجود مقتضيها) أى وهو كون الله فطره وخلقه (قوله فى الهمزتين منه ماتقدم) أى من القراآت الأربع وتقدم أنها خمسة التحقيق وتسهيل الثانية بألف ودونها و إبدال الثانية ألفا وهى سبعيات (قوله وهو استفهام بمعنى النفى) أى وهو إنكارى (قوله من دونه) يصح أن يكون مفعولا ثانيا مقدما لاتخذوا على أنها متعدية لاثنين وآلهة مفعول أول مؤخر و يصح أن يكون حالا من آلهة أومتعلقا باتخذوا على أنها متعدية لواحد (قوله لاتغن عنى شفاعتهم) أى لاتنفعنى شفاعتهم فهو من الغناء بالفتح وهو النفع، ومنه قول البوصيرى: * قلن مافى اليتيم عنا غناء * (قوله صفة آلهة) أى جملة - إن يردن الرحمن - الخ فهى فى محل نصب، والأوضح أن تكون مستأنفة سيقت لتعليل النفى المذكور لأن جعلها صفة يوهم أن هناك آلهة ليست كذلك (قوله إن عبدت غير الله) أشار بذلك إلى أن التنوين عوض عن جملة (قوله فى ضلال مبين) أى لثبوت الأدلة على بطلان ذلك (قوله فاسمعون) بكسر النون فى قراءة العامة وهى نون الوقاية حذفت بعدها ياء الاضافة وقرئ شذوذا بفتحها ولاوجه له فى العربية لأن فعل الأمر يبنى على حذف النون (قوله أى اسمعوا قولى) أى ماقلته لكم وهو اتبعوا المرسلين الخ (قوله فرجموه فمات) أى وهو يقول: اللهم اهد قومى، وقيل حرقوه وجعلوه فى سور المدينة وقبره فى سور أنطاكية، وقيل نشروه بالمنشار حتى خرج من بين رجليه فوالله ماخرجت روحه إلا فى الجنة،

الموجود مقتضيها وأنتم كذلك (وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) بعد الموت فيجازيكم بكفركم (ءَأَتَّخِذُ) فى الهمزتين منه ماتقدم فى «ءأنذرتهم» وهو استفهام بمعنى النفى (مِنْ دُونِهِ) أى غيره (آلِهَةً) أصناما (إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمٰنُ بِضُرٍّ لَاتُغْنِ عَنِّى شَفَاعَتُهُمْ) التى زعمتموها (شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ) صفة آلهة (إِنِّى إِذًا) أى إن عبدت غير الله (لَفِى ضَلَالٍ مُبِينٍ) بين (إِنِّى آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ) أى اسمعوا قولى فرجموه فمات (قِيلَ) له عند موته (ادْخُلِ الْجَنَّةَ) وقيل دخلها حيًّا (قَالَ يَا) حرف تنبيه (لَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ . بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى) بغفرانه (وَجَعَلَنِى مِنَ الْمُكْرَمِينَ . وَمَا) نافية (أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ) أى حبيب (مِنْ بَعْدِهِ) بعد موته (مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ) أى ملائكة لإهلاكهم (وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ) ملائكة لإهلاك أحد (إِنْ) ما (كَانَتْ) عقوبتهم (إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً) صاح بهم جبريل (فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ) ساكتون ميتون (يَاحَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ) هؤلاء ونحوهم ممن كذبوا الرسل فأهلكوا وهى شدة التألم ونداؤها مجاز أى هذا أوانك فاحضرى (مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ

وفى رواية أنهم قتلوا معه الرسل الثلاثة ووضعوهم فى بئر وهى الرس (قوله وقيل له عند موته) هذا أحد أقوال ثلاثة اقتصر المفسر على اثنين منها والثالث أن هذا القول كناية عن البشرى بأنه يدخل الجنة (قوله وقيل دخلها حيا) أى فحين هموا بقتله رفعه الله من بينهم وأدخله الجنة حيا إكراما له كما وقع لعيسى عليه السلام أنه رفع إلى السماء (قوله قال ياليت قومى) أى وهم الذين نصحهم أولا فقد نصحهم حيا وميتا (قوله بغفرانه) أشار بذلك إلى أن ما مصدرية ويصح أن تكون موصولة والعائد محذوف أى بالذى غفره لى ويصح أن تكون استفهامية أى بأى شىء غفر لى أى بأمر عظيم وهو توحيدى وصدعى بالحق (قوله وماأنزلنا على قومه الخ) هذا تحقير لهم وتصغير لشأنهم، والمعنى لم نحتج فى إهلاكهم إلى إرسال جنود من الملائكة بل نهلكهم بصيحة واحدة مثلا وقوله - وماكنا منزلين - أى لم يكن شأننا وعادتنا إرسال جنود لإهلاك أحد من الأمم قبلهم بل إذا أردنا إهلاكا عاما يكون بغير الملائكة كصيحة أو رجفة أوغير ذلك إن قلت إن الملائكة قد نزلت من السماء يوم بدر للقتال مع النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه. أجيب بأن إنزالهم تكرمة للنبى وأصحابه لا للاهلاك العام، وقيل نزول الملائكة والاستنصار بهم من خصوصياته صلى الله عليه وسلم (قوله بعد موته) أى أو بعد رفعه حيا على القول الآخر (قوله لاهلاك أحد) أى من الأمم السابقة (قوله صاح بهم جبريل) أى صاح عليهم (قوله ميتون) أى فشبهوا بالنار الخامدة لانقطاع النفع فى كل (قوله ياحسرة على العباد) يحتمل أن يكون من كلام الله أو الملائكة أو المؤمنين، والمراد بالعباد جميع الكفار فأل للجنس، وقيل المراد بالعباد نفس الرسل وعلى بمعنى من والقائل ذلك الكفار والتقدير ياحسرة علينا من مخالفة العباد والأوجه الأول الذى مشى عليه المفسر.

(قوله إلا كانوا به يستهزئون) الجملة حالية من مفعول يأتيهم (قوله مسوق الخ) أى فهو استئناف واقع فى جواب سؤال مقدر كأنه قيل ماوجه التحسر عليهم فقيل ما يأتيهم الخ (قوله لبيان سببها) أى بواسطة فان الاستهزاء سبب لإهلاكهم وهو سبب للحسرة (قوله لاشتماله) أى دلالته (قوله ألم يروا الخ) رأى علمية وكم خبرية مفعول لأهلكنا مقدم وقبلهم ظرف لأهلكنا ومن القرون بيان لكم (قوله والاستفهام للتقرير) أى وهو حمل المخاطب على الاقرار بما بعد النفى (قوله معمولة لما بعدها) أى وليست معمولة ليروا لأن كم الخبرية لها الصدارة فلا يعمل ماقبلها فيها (قوله معلقة ماقبلها عن العمل) إن قلت إن كم الخبرية لاتعلق وإنما التعليق للاستفهامية . قال ابن مالك : وإن ولا لام ابتداء أو قسم كذا والاستفهام ذا له انحتم

أجيب بأن الخبرية أجريت مجرى الاستفهامية فى التعليق (قوله والمعنى أنا أهلكنا) أى وقد علموا ذلك (قوله بدل مما قبله) أى بدل اشتمال لأن إهلاكهم مشتمل ومستلزم لعدم رجوعهم أو بدل كل من كل بناء على تنزيل التلازم منزلة التماثل كأن إهلاكهم عين رجوعهم (قوله برعاية المعنى المذكور) أى وهو قوله أنا أهلكنا الخ، والمعنى قد علموا إهلاكنا كثيرا من القرون السابقة المشتمل على عدم عودهم إلى هؤلاء الباقين وهم أهل مكة فينبغى أن يعتبروا بهم (قوله نافية) أى ولما بالتشديد بمعنى إلا، وقوله أو مخففة : أى مهملة ولما بالتخفيف واللام فارقة (قوله وما زائدة) للتأكيد فقد أغنت عن الحصر المستفاد

إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ) مسوق لبيان سببها لاشتماله على استهزائهم المؤدى إلى إهلاكهم المسبب عنه الحسرة (أَلَمْ يَرَوْا) أى أهل مكة القائلون للنبى لست مرسلا والاستفهام للتقرير أى علموا (كَمْ) خبرية بمعنى كثيرا معمولة لما بعدها معلقة لما قبلها عن العمل، والمعنى أنا (أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ) كثيرا (مِنَ الْقُرُونِ) الأمم (أَنَّهُمْ) أى المهلكين (إِلَيْهِمْ) أى الباقين (لاَ يَرْجِعُونَ) أفلا يعتبرون بهم؟ وأنهم الخ بدل مما قبله برعاية المعنى المذكور (وَإِنْ) نافية أو مخففة (كُلٌّ) أى كل الخلائق مبتدأ (لَمَّا) بالتشديد بمعنى إلا أو بالتخفيف فاللام فارقة وما زائدة (جَمِيعٌ) خبر المبتدإ أى مجموعون (لَدَيْنَا) عندنا فى الموقف بعد بعثهم (مُحْضَرُونَ) للحساب خبر ثان (وَآيَةٌ لَهُمْ) على البعث، خبر مقدم (الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ) بالتشديد والتخفيف (أَحْيَيْنَاهَا) بالماء مبتدأ (وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا) كالحنطة (فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ . وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ) بساتين (مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ) أى بعضها (لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ) بفتحتين وبضمتين أى ثمر المذكور من النخيل وغيره (وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ) أى لم تعمل الثمر

من قراءة التشديد فتحصل أن من شدد لما جعلها بمعنى إلا وإن نافية وهذا باتفاق البصريين والكوفيين ومن خفف لما فالبصريون على أن إن مخففة واللام فارقة وما زائدة وجوز الكوفيون جعل لما بمعنى إلا وإن نافية والقراءتان سبعيتان (قوله أى كل الخلائق) أشار بذلك إلى أن التنوين عوض عن المضاف إليه (قوله أى مجموعون) دفع بذلك ما يتوهم من ذكر كل الاستغناء بها عن الجميع فاجاب بأن كل أشير بها لاستغراق الأفراد (افلا

وجميع أشير بها لاجتماع الكل فى مكان واحد للحشر (قوله وآية لهم) أى علامة ظاهرة ودالة على الاحياء بعد الموت (قوله بالتشديد والتخفيف) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله مبتدأ) أخره بعد قوله أحييناها إشارة إلى أنه صفة للأرض والصفة مع الموصوف كالشىء الواحد (قوله وجعلنا) عطف على أحييناها (قوله من نخيل) هو والنخل بمعنى واحد لكن النخل اسم جمع واحده نخلة يؤنث عند أهل الحجاز ويذكر عند تميم ونجد والنخيل مؤنثة بلاخلاف إذا علمت ذلك فقول المفسر فيما يأتى من النخيل وغيره ليس بجيد بل المناسب وغيرها (قوله وفجرنا) بالتشديد فى قراءة العامة وقرىء شذوذا بالتخفيف (قوله أى بعضها) أشار بذلك إلى أن من تبعيضية ويصح أن تكون زائدة (قوله بفتحتين وبضمتين) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله أى ثمر المذكور) دفع بذلك مايقال إن الضمير عائد على شيئين فحقه التثنية فأجاب بأنه أفرد باعتبار ماذكر (قوله أى لم تعمل الثمر) أشار بذلك إلى أن ما نافية، والمعنى أنه ليس لهم إيجاد شىء بل الفاعل والمنبت هو الله تعالى كما قال فى الآية الأخرى ما كان لكم أن تنبتوا شجرها ويصح أن تكون موصولة : أى ومن الذى عملته أيديهم أو نكرة موصوفة أو مصدرية : أى ومن عمل أيديهم وإثبات العمل للأيدى من حيث الكسب

(قوله أفلا يشكرون) الهمزة داخلة على محذوف ، والتقدير أيتنعمون بهذه النعم فلا يشكرونها : أى بحيث لايصرفونها في مصارفها (قوله أنعمه) جمع نعمة بالكسر ونعماء بالمد والفتح (قوله سبحان الذى خلق الأزواج) أى تنزه فى ذاته وصفاته وأفعاله عما لايليق به (قوله الأصناف كلها) أى فكل زوج صنف لأنه يختلف فى الألوان والطعوم والأشكال والصغر والكبر فاختلافها هو ازدواجها (قوله مما تنبت الأرض) بيان للأزواج وكذا مابعده فتحصل أن هذه الأمور الثلاثة لايخرج عنها شىء من أصناف المخلوقات (قوله الغريبة) أى كالتى فى السموات والتى تحت الأرضين وكل مالم يكن مشاهدا لنا عادة (قوله وآية لهم الليل نسلخ منه النهار) ذكر الله تعالى فى هذه الآية مايتضمن علم الميقات الذى تجب معرفته ، وقد ذكر أستاذنا الشيخ الدردير رضى الله عنه مقدمة لطيفة فى هذا الشأن كافية من اقتصر عليها فيما فرض الله تعالى . وحاصلها بحروفها فائدة : أسماء الشهور القبطية توت بابه هاتور كيهك طوبه أمشير برمهات برموده بشنس بؤونه أبيب مسرى ، أسماء البروج : ميزان عقرب قوس جدى دلو حوت حمل ثور جوزاء سرطان أسد سنبلة ، ولا يدخل توت الذى هو أول السنة القبطية إلا بعد خمسة أيام أو ستة بعد مسرى وتسمى أيام النسىء ، وفصول السنة أربعة : فصل الخريف وفصل الشتاء وفصل الربيع وفصل الصيف ، وأول فصل الخريف انتقال الشمس إلى برج الميزان وذلك فى نصف توت ، وفى تلك الليلة يستوى الليل والنهار ثم كل ليلة يزيد الليل نصف درجة ثلاثين ليلة بخمس عشرة درجة إلى نصف بابه تنتقل الشمس إلى برج العقرب فيزيد الليل كل ليلة ثلث درجة إلى نصف هاتور تنتقل الشمس إلى برج القوس فيزيد الليل كل ليلة سدس درجة بخمس درج فقد تمت زيادة الليل ثلاثين درجة بعد الاعتدال بساعتين فيصير الليل من غروب الشمس إلى طلوعها أربع عشرة ساعة فيصلى الفجر على ثنتى عشرة ساعة وست درج ، ومن طلوعه إلى الشمس أربع وعشرون درجة وذلك فى آخر يوم من فصل الخريف منتصف كيهك ، ثم تنتقل الشمس إلى برج الجدى وهو أول فصل الشتاء فيأخذ الليل فى النقص والنهار فى الزيادة فيزيد النهار كل يوم سدس درجة ثلاثين يوما بخمس درج إلى نصف طوبه فتنتقل الشمس إلى برج الدلو فيزيد النهار كل يوم ثلث

(٣٠٣)

(أفلا يشكرون) أنعمه تعالى عليهم ؟ (سبحان الذى خلق الأزواج) الأصناف (كلها مما تنبت الأرض) من الحبوب وغيرها (ومن أنفسهم) من الذكور والإناث (ومما لا يعلمون) من المخلوقات العجيبة الغريبة (وآية لهم) على القدرة العظيمة (الليل

درجة بعشرة إلى نصف أمشير فتنتقل إلى برج الحوت فتسميها العامة بالشمس الصغيرة فيزيد النهار كل يوم نصف درجة بخمس عشرة درجة إلى نصف برمهات فتنتقل الشمس إلى برج الحمل ويسميها العامة بالشمس الكبيرة وهو أول فصل الربيع وفيه الاعتدال الربيعى يستوى الليل فى تلك الليلة والنهار ويزيد النهار كل يوم نصف درجة كما فى برج الحوت الذى قبله إلى منتصف برموده فتنتقل الشمس إلى برج الثور فيزيد النهار كل يوم ثلث درجة بعشرة إلى منتصف بشنس فتنتقل الشمس للجوزاء ويزيد النهار كل يوم سدس درجة بخمسة إلى نصف بؤونه فتنتقل إلى برج السرطان وهو أول فصل الصيف وبه ينتهى طول النهار فيكون النهار من طلوع الشمس إلى غروبها أربع عشرة ساعة وينتهى قصر الليل ، فيكون من الغروب إلى طلوع الشمس عشرة وحصة المغرب للعشاء اثنتان وعشرون درجة ومن المغرب للفجر ثمان ساعات وخمس درج ومنه للشمس خمس وعشرون درجة ثم ينقص النهار ويأخذ الليل فى الزيادة فيزيد الليل كل ليلة سدس درجة إلى خامس عشر أبيب ، فتنتقل الشمس إلى برج الأسد فيزيد كل يوم ثلث درجة إلى نصف مسرى ، فتنتقل إلى السنبلة فيزيد النهار كل يوم نصف درجة إلى نصف توت أول السنة ، فقد علمت أن الدرج الذى يأخذها النهار من الليل والليل من النهار ستون درجة بأربع ساعات وأن الاعتدال يكون فى السنة مرتين مرة فى نصف توت الذى هو أول السنة القبطية وهو أول فصل الخريف والمرة الثانية فى نصف برمهات أول فصل الربيع ، وأن مبدأ زيادة النهار من الفصل الذى قبله وهو فصل الشتاء ثلاثين يوما بالأسداس ثم ثلاثين بالأثلاث ثم ثلاثين بالأنصاف لأول فصل الربيع فيحصل الاعتدال ثم ثلاثين بالأنصاف أيضا إلى نصف برمودة ودخول الشمس فى الثور ، فمدة زيادة الأنصاف ستون من نصف أمشير ودخول الشمس فى الحوت إلى نصف برموده ثم ثلاثين بالأثلاث إلى نصف بشنس ودخول الشمس فى الجوزاء ، ثم ثلاثين بالأسداس إلى نصف بؤونه ودخول الشمس فى السرطان فيأخذ الليل فى الزيادة بالأسداس ثلاثين ليلة إلى نصف أبيب ودخولها فى الأسد ثم ثلاثين بالأثلاث إلى نصف مسرى ثم بالأنصاف إلى نصف توت ثم بالأنصاف

أيضا إلى نصف بابه ، ثم بالأثلاث إلى نصف هاتور ، ثم بالأسداس إلى نصف كيهك ، ثم يعدو النهار على الليل فسبحان الله المقدر للأمور القادر على كل شيء العليم الحكيم اهـ (قوله وآية) خبر مقدم والليل مبتدأ مؤخر كما تقدم نظيره (قوله نسلخ الخ) بيان لكيفية كونه آية (قوله نفصل منه النهار) أى نزيله عنه لكونه كالساتر له فإذا زال الساتر ظهر الأصل فالليل أصل متقدم فى الوجود والنهار طارئ عليه بدليل قوله ـ فإذا هم مظلمون ـ وهذا لاينافى مايأتى فى قوله ـ ولا الليل سابق النهار ـ لأن معناه لايأتى الليل قبل وقته المقدر له بأن يأتى فى وقت الظهر مثلا وهذا غير ماهنا فتحصل أن معنى السلخ الفصل والإزالة وليس المراد به الكشف وإلا لقال فإذا هم مبصرون لأنه يصير المعنى وآية لهم الليل نكشف ونظهر منه النهار (قوله داخلون فى الظلام) أى فيقال أظلم القوم إذا دخلوا فى الظلام وأصبحوا إذا دخلوا فى الصباح (قوله من جملة الآية) أى فهو عطف مفردات على قوله : الأرض وقوله أو آية أخرى : أى فيكون عطف جمل (قوله لمستقر لها) أى مكان تستقر فيه وهو مكانها تحت العرش فتسجد فيه كل ليلة عند غروبها فتستمر ساجدة فيه طول الليل فعند ظهور النهار يؤذن لها فى أن تطلع من مطلعها ، فإذا كان آخر الزمان لايؤذن لها فى الطلوع من المشرق بل يقال لها ارجعى من حيث جئت فتطلع من المغرب ، وهذا هو الصحيح عند أهل السنة ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم لأبى ذر حين غربت الشمس «أتدرى أين ذهبت الشمس؟ قال الله ورسوله أعلم ، قال فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها وتستأذن فلا يؤذن لها ، فيقال لها ارجعى من حيث جئت فتطلع من مغربها ، فذلك قوله تعالى ـ والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم» وقيل إن الشمس فى الليل تسير وتشرق على عالم آخر من أهل الأرض وإن كنا لانعرفه ، وهذا قول الحكماء ويؤيده ماقاله الفقهاء إن الأوقات الخمسة تختلف باختلاف الجهات والنواحى فقد يكون المغرب عندنا عصرا عند آخرين وقد يكون الليل عندهم ساعة فقط ، واختلف فى العشاء حينئذ ، فقالت الحنفية بسقوطها ، وقالت الشافعية ووافقهم المالكية يقدر لهم بأقرب البلاد إليهم ويصلونها ولو بعد طلوع الشمس عندهم وتسمى أداء ولاحرمة عليهم فى ذلك .

(نَسْلَخُ) نفصل (مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ) داخلون فى الظلام (وَالشَّمْسُ تَجْرِى) إلى آخره من جملة الآية لهم أو آية أخرى والقمر كذلك (لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا) أى إليه لا تتجاوزه (ذَٰلِكَ) أى جريها (تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ) فى ملكه (الْعَلِيمِ) بخلقه (وَالْقَمَرَ) بالرفع والنصب وهو منصوب بفعل يفسره مابعده (قَدَّرْنَاهُ) من حيث سيره (مَنَازِلَ) ثمانية وعشرين منزلا فى ثمان وعشرين ليلة من كل شهر ويستتر ليلتين إن كان الشهر ثلاثين يوما ، وليلة إن كان تسعة وعشرين يوما (حَتَّىٰ عَادَ) فى آخر منازله فى رأى العين (كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ) أى كعود الشماريخ إذا عتق فإنه يرق ويتقوس ويصفر (لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِى) يسهل ويصح (لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ) فتجتمع معه فى الليل ، (ولا

وعلى ماقاله الحكماء . فاختلف فى مستقر الشمس ، فقيل هو انقضاء الدنيا وقيام الساعة ، وقيل مستقرها هو سيرها فى منازلها حتى تنتهى إلى مستقرها الذى لا تجاوزه ثم ترجع إلى أول منازلها ، وقيل مستقرها نهاية ارتفاعها فى السماء فى الصيف ونهاية هبوطها فى الشتاء (قوله والقمر) اختلف فيه هل لكل شهر قمر جديد أو هو قمر واحد لكل شهر ، فقال الرملى من أئمة الشافعية : إن لكل شهر قمرا جديدا ، ولكن المتبادر من كلام الحكماء ومن غالب الأحاديث أنه متحد (قوله بالرفع) أى على أنه مبتدأ خبره قدرناه (قوله والنصب بفعل يفسره مابعده) أى فهو من باب الاشتغال (قوله من حيث سيره) أشار بذلك إلى أن قوله منازل ظرف لقوله قدرناه ، والتقدير قدرنا سيره فى منازل ويصح جعله حالا على حذف مضاف والتقدير ذا منازل (قوله أى كعود الشماريخ) جمع شمراخ وهو عيدان العنقود الذى عليه الرطب (قوله إذا عتق) من باب ظرف وقعد (قوله فإنه يدق ويتقوس ويصفر) أى فوجه الشبه فيه مركب من ثلاثة أشياء (قوله لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر) أى بحيث تأتى فى وسط الليل لأن ذلك يخل بتلوين النبات ونفع الحيوان ويفسد النظام ولم يقل سبحانه وتعالى ولا القمر يدرك الشمس لأن سير القمر أسرع لأنه يقطع الفلك فى شهر والشمس لا تقطع فلكها إلا فى سنة فالشمس قطعا لا تدرك القمر والقمر قد يدرك الشمس فى سيرها ولكن لاسلطنة له .

(قوله ولا الليل سابق النهار) أى لا يأتى فيحل فى أثناء النهار قبل أن ينقضى كأن يأتى فى وقت الظهر مثلا (قوله وكل فى فلك يسبحون) قال ابن عباس يدورون فى فلكة كفلكة المغزل (قوله والنجوم) أى المدلول عليها بذكر الشمس والقمر (قوله نزلوا منزلة العقلاء) أى حيث عبر عنهم بضمير جمع الذكور، والذى سوّغ ذلك وصفهم بالسباحة التى هى من أوصاف العقلاء (قوله وآية لهم) خبر مقدم وأنا حملنا فى تأويل مصدر مبتدأ مؤخر أى حملنا ذريتهم فى الفلك آية دالة على باهر قدرتنا (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله أى آباءهم الأصول) أشار بذلك إلى أن لفظ الذرية كما يطلق على الفروع يطلق على الأصول لأنه من الذرء وهو الخلق فاندفع ما يقال إن الذى حمل فى سفينة نوح أصول أهل مكة لا فروعهم وهذا أوضح ما قررت به هذه الآية (قوله المملوء) أى لأن نوحا جعله ثلاث طبقات: السفلى وضع فيها السباع والهوام، والوسطى وضع فيها الدواب والأنعام، والعليا وضع فيها الآدميين والطير (قوله وخلقنا لهم من مثله) هذا امتنان آخر مرتب على ما قبله، والمعنى جعلنا سفينة نوح آية عظيمة على قدرتنا ونعمة للخلق، وعلمناهم صنعة السفينة فعملوا سفنا كبارا وصغارا لينتفعوا بها (قوله من مثله) من إما زائدة أو تبعيضية، وعلى كلٍّ فمدخولها حال من قوله ما يركبون (قوله وهو ما عملوه) هذا أحد أقوال ثلاثة فى تفسير المثل، والثانى أنه خصوص الإبل، والثالث أنه مطلق الدواب التى تركب

(وَلاَ اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ) فلا يأتى قبل انقضائه (وَكُلٌّ) تنوينه عوض من المضاف إليه من الشمس والقمر والنجوم (فِى فَلَكٍ) مستدير (يَسْبَحُونَ) يسيرون، نزلوا منزلة العقلاء (وَآيَةٌ لَهُمْ) على قدرتنا (أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ) وفى قراءة ذرياتهم: أى آباءهم الأصول (فِى الْفُلْكِ) أى سفينة نوح (الْمَشْحُونِ) المملوء (وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ) أى مثل فلك نوح وهو ما عملوه على شكله من السفن الصغار والكبار بتعليم الله تعالى (مَا يَرْكَبُونَ) فيه (وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ) مع إيجاد السفن (فَلاَ صَرِيخَ) مغيث (لَهُمْ وَلاَ هُمْ يُنْقَذُونَ) ينجون (إِلاَّ رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ) أى لا ينجيهم إلا رحمتنا لهم وتمتيعنا إياهم بلذاتهم إلى انقضاء آجالهم (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ) من عذاب الدنيا كغيركم (وَمَا خَلْفَكُمْ) من عذاب الآخرة (لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) أعرضوا (وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلاَّ كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ. وَإِذَا قِيلَ) أى قال فقراء الصحابة (لَهُمْ أَنْفِقُوا) علينا (مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ) من الأموال (قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا) استهزاء بهم (أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللهُ أَطْعَمَهُ) فى معتقدكم هذا (إِنْ) ما (أَنْتُمْ)

(قوله بتعليم الله) دفع بهذا ما يقال عادة الله تعالى إضافة صفة العبيد لأنفسهم وإن كان هو الخالق لها حقيقة فلم أضافه لنفسه. فأجاب بأن التعليم والهداية لما كانتا منه ضاف الخلق له لأن سفينة نوح التى هى أصل السفن كانت بمحض تعليم الله وإلهامه له (قوله مع إيجاد السفن) أى ومع ركوبهم لها (قوله فلا صريخ لهم) الصريخ بمعنى الصارخ يطلق على المستغيث وعلى المغيث فهو من تسمية الأضداد والمراد الثانى (قوله إلا رحمة منا) إلا أداة استثناء ورحمة مفعول لأجله وهو استثناء مفرغ من عموم الأحوال، والمعنى لا ننجيهم لشىء من الأشياء إلا لأجل رحمتنا بهم وتمتيعهم الأمد الذى سبق فى علمنا (قوله كغيركم) أى وهم المؤمنون (قوله من عذاب الآخرة) أشار بذلك إلى أن لفظ الخلف كما يطلق على ما مضى يطلق على ما يأتى فهو من تسمية الأضداد وسمى ما يأتى خلفا لغيبته عنا (قوله أعرضوا) قدره إشارة إلى أن جواب الشرط محذوف دل عليه قوله وما تأتيهم من آية الخ (قوله من آية) من زائدة وقوله من آيات ربهم من تبعيضية (قوله إلا كانوا الخ) الجملة حالية (قوله وإذا قيل لهم أنفقوا الخ) أشار بذلك إلى أنهم كما تركوا حقوق الخالق تركوا حقوق الخلق، وهذه الآية نزلت حكاية عن بعض جبابرة مكة كالعاص بن وائل السهمى وغيره كان إذا سأله المسكين قال له: اذهب إلى ربك فهو أولى منى بك قد منعك الله أفأطعمك أنا؟ وقد تمسك بهذا بعض بخلاء المسلمين حيث يقولون: لا نعطى من حرمه الله، ولم يعلموا أن الفقراء يحملون زاد الأغنياء للآخرة، ولولا الفقراء ما انتفع الغنى بغناه (قوله قال الذين كفروا) أى بالصانع: أى ينكرون وجوده، وهم فرقة من جبابرة مكة (قوله من لو يشاء الله أطعمه) مفعول أنطعم وقوله أطعمه جواب لو (قوله فى معتقدكم) أى أيها الفقراء المؤمنون لا فى معتقد الكفار الأغنياء فإنهم ينكرون الصانع كما علمت.

(قوله فى قولكم لنا ذلك) أشار بذلك إلى أن هذا من كلام الكفار للمؤمنين ويؤيده ماروى أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه كان يطعم مساكين المسلمين ، فلقيه أبو جهل فقال : يا أبا بكر أتزعم أن الله قادر على إطعام هؤلاء ؟ قال نعم ، قال فما باله لايطعمهم ؟ قال ابتلى قوما بالفقر وقوما بالغنى ، وأمر الفقراء بالصبر والأغنياء بالاعطاء فقال أبو جهل والله ياأبا بكر إن أنت إلا فى ضلال أتزعم أن الله قادر على إطعام هؤلاء وهو لايطعمهم ثم تطعمهم أنت . وقيل إنه من كلام المؤمنين للكفار . وقيل من كلام الله تعالى ردا عليهم (قوله موقع عظيم) أى وهو التبكيت والتقبيح عليهم (قوله ويقولون متى هذا الوعد) رجوع الكلام مع الكفار للمعترفين بوجوده تعالى (قوله أى ما ينتظرون) هذا مجاراة لأول كلامهم لأن شأن من يسأل عن الشيء أن يكون معترفا بوجوده وإلا فهم جازمون بعدمها (قوله الأولى) أى وهى التى يموت عندها من كان موجودا على وجه الأرض (قوله نقلت حركة التاء إلى الخاء) أى بتمامها أو بعضها فهما قراءتان (قوله وأدغمت) أى بعد قلبها صادا وحذفت همزة الوصل[1] للاستغناء عنها بتحريك الخاء وقوله وفى قراءة الخ تلخص من كلامه أن القراءات هنا ثلاث وبقى رابعة وهى فتح الياء وكسر الخاء وكسر الصاد المشددة وعلى هذه القراءة فحركة الخاء ليست حركة نقل وإنما هى لما حذفت حركة التاء صارت ساكنة فالتقت ساكنة مع الخاء فحركت الخاء بالكسر على أصل التخلص من التقاء الساكنين وكل تلك القراءات سبعية (قوله أى وهم فى غفلة عنها) أشار بهذا إلى أن المراد من الاختصام لازمه وهو الغفلة التى ينشأ عنها الاختصام وغيره

فى قولكم لنا ذلك مع معتقدكم هذا (إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ) بيِّن ، وللتصريح بكفرهم موقع عظيم (وَيَقُولُونَ مَتَى هَٰذَا الْوَعْدُ) بالبعث (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) فيه ، قال تعالى (مَايَنْظُرُونَ) أى ماينتظرون (إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً) هى نفخة إسرافيل الأولى (تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ) بالتشديد أصله يختصمون نقلت حركة التاء إلى الخاء وأدغمت فى الصاد أى وهم فى غفلة عنها بتخاصم وتبايع وأكل وشرب وغير ذلك . وفى قراءة يخصمون كيضربون أى يخصم بعضهم بعضاً (فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً) أى أن يوصوا (وَلاَ إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ) من أسواقهم وأشغالهم بل يموتون فيها (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ) هو قرن النفخة الثانية للبعث وبين النفختين أربعون سنة (فَإِذَا هُمْ) أى المقبورون (مِنَ الْأَجْدَاثِ) القبور (إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ) يخرجون بسرعة (قَالُوا) أى الكفار منهم (يَا) للتنبيه (وَيْلَنَا) هلاكنا وهو مصدر لافعل له من لفظه (مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا) ،

وفى الحديث «لتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبا بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ، ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقى فيه ، ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها» أخرجه البخارى (قوله أى يخصم بعضهم بعضا) بيان لحاصل المعنى والمفعول محذوف على القراءة الأخيرة (قوله أن يوصوا) أى على أولادهم وأموالهم لأنهم (قوله ولا إلى أهلهم يرجعون) معطوف على يستطيعون (قوله وبين النفختين أربعون سنة) هذا هو الصحيح ، وقيل أربعون يوما ، وقيل غير ذلك (قوله أى المقبورون) أى من شأنه أن يقبر وقبر كل ميت بحسبه فيشمل من أكلته السباع ونحوه (قوله من الأجداث) جمع جدث كفرس وأفراس وقرئ شذوذا الأجداف بالفاء وهى لغة فى الأجداث (قوله يخرجون بسرعة) أى يسرعون فى مشيهم قهرا لااختيارا (قوله أى الكفار) أى لاكل الخلائق إذ المؤمنون يفرحون بالقيامة ليذهبوا للنعيم الدائم ورؤية وجه الله الكريم (قوله للتنبيه) دفع بذلك مايقال إن النداء مختص بالعقلاء ، فكيف ينادى الويل وهو لايعقل ، فأجاب بأن يا للتنبيه ، والمعنى تنبهوا فان الويل قد حضر (قوله ويلنا) قرأ العامة باضافته إلى ضمير المتكلم ومعه غيره دون تأنيث وقرئ شذوذا ياويلتنا بتاء التأنيث وياويلتى بابدال الياء ألفا وعلى قراءة الافراد يكون حكاية عن مقالة كل واحد (قوله لافعل له من لفظه) أى بل من معناه وهو هلك (قوله من بعثنا) قرأ العامة بفتح ميم من على أنها استفهامية مبتدأ وجملة بعثنا خبره وقرئ شذوذا بكسر الميم على أنها حرف جر وبعثنا مصدر مجرور بمن والجار والمجرور متعلق بويلنا وقوله من مرقدنا متعلق بالبعث والمرقد يصح أن يكون مصدرا أو اسم مكان أى من رقادنا أو من مكان رقادنا

[1] (قوله وحذفت همزة الوصل الخ) هذا إنما هو فى الماضى الذى هو اختصم راجع حاشية العلامة الجمل .

(قوله لأنهم كانوا بين النفختين نائمين) أى حين يرفع الله عنهم العذاب فيرقدون قبيل النفخة الثانية فيذوقون طعم النوم فإذا بعثوا وعاينوا أهوال يوم القيامة دعوا بالويل (قوله ماوعد الرحمن الخ) مفعول وعد وصدق محذوف ، والتقدير ما وعدنا به الرحمن وصدقونا فيه المرسلون (قوله أقروا الخ) أشار بذلك إلى أن هـذه الجملة من كلام الكفار فهى فى محل نصب مقول القول كأنهم لما سألوا فلم يجابوا أجابوا أنفسهم (قوله وقيل يقال لهم ذلك) أى من جانب المؤمنين أو الملائكة أو الله تعالى وإنما عدلوا عن جواب سؤالهم لأن الباعث لهم معلوم وإنما لهم السؤال عن البعث (قوله إن كانت) أى النفخة الثانية (قوله إلا صيحة واحدة) أى وهى قول إسرافيل أيتها العظام النخرة والأوصال المتقطعة والعظام المتفرقة والشعور المتمزقة إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء (قوله فإذا هم جميع لدينا محضرون) أى مجموعون فى موقف الحساب (قوله فاليوم لاتظلم نفس شيئا) هذا حكاية عما يقال لهم حين يرون العذاب (قوله إن أصحاب الجنة الخ) جرت عادة الله سبحانه وتعالى فى كتابه إذا ذكر أحوال أهل النار أتبعه بذكر أحوال أهل الجنة (قوله فى شغل) أبهمه ونكره إشارة إلى تعظيمه ورفعة شأنه ، والمراد به ما هم فيه من أنواع الملاذ التى تلهيهم عما عداها بالكلية كالتفكه بالأكل والشرب والسماع وضرب الأوتار والتزاور وأعظم ذلك سماع كلام الله تعالى ورؤية ذاته (قوله بسكون الغين وضمها) أى فهما قراءتان سبعيتان (٣٠٧) (قوله كافتضاض الأبكار) أى لما روى «أن أهل الجنة كلما أرادوا القرب من نسائهم وجدوهن أبكارا فيفتضونهن من غير قذر ولا ألم» (قوله فاكهون) من الفكاهة بفتح الفاء وهى التنعم والتلذذ (قوله هم وأزواجهم) هذا بيان لكيفية شغلهم وتفكههم (قوله جمع ظلة) أى كقباب جمع قبة وزنا ومعنى (قوله أو ظل) أى كشعاب جمع شعب (قوله أى لاتصيبهم الشمس)

لأنهم كانوا بين النفختين نائمين لم يعذبوا (هٰذَا) أى البعث (مَا) أى الذى (وَعَدَ) به (الرَّحْمٰنُ وَصَدَقَ) فيه (الْمُرْسَلُونَ) أقروا حين لاينفعهم الإقرار ، وقيل يقال لهم ذلك (إِنْ) ما (كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا) عندنا (مُحْضَرُونَ . فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا) جزاء (مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ . إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ) بسكون الغين وضمها عما فيه أهل النار مما يتلذذون به كافتضاض الأبكار لاشغل يتعبون فيه لأن الجنة لانصب فيها (فَاكِهُونَ) ناعمون خبر ثان لإن والأول فى شغل (هُمْ) مبتدأ (وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ) جمع ظلة أو ظل خبر أى لاتصيبهم الشمس (عَلَى الْأَرَائِكِ) جمع أريكة ، وهو السرير فى الحجلة ، أو الفرش فيها (مُتَّكِئُونَ) خبر ثان متعلق على (لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ) فيها (مَا يَدَّعُونَ) يتمنون (سَلَامٌ) مبتدأ (قَوْلاً) أى بالقول خبره (مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ) بهم ، أى يقول لهم سلام عليكم ،

أى لعدم موجودها (قوله فى الحجلة) بفتحتين أو بسكون الجيم مع ضم الحاء أو كسرها وهى قبة تعلق على السرير وتزين به العروس (قوله أو الفرش فيها) أى فى الحجلة فالأريكة فيها قولان : قيل هى السرير الكائن فى الحجلة أو الفرش الكائن فيها (قوله متعلق على) أى قوله على الأرائك فتحصل أن هم مبتدأ وأزواجهم عطف عليـه وفى ظلال خبر أول ومتكئون خبر ثان وعلى الأرائك متعلق بمتكئون قدم عليه رعاية للفاصلة (قوله لهم فيها فاكهة) أى من كل نوع من أنواع الفواكه لامقطوع ولا ممنوع قال تعالى ـ وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة ـ (قوله ولهم ما يدعون) أصله يدتعيون بوزن يفتعلون استثقلت الضمة على الياء فنقلت إلى ما قبلها فالتقى ساكنان حـذفت الياء لالتقائهما ثم أبدلت التاء دالا وأدغمت فى الدال ، والمعنى يعطى أهل الجنة جميع ما يتمنونه ويشتهونه حالا من غير بطء (قوله سلام مبتدأ الخ) هذا أحسن الأعاريب وقيل إنه بدل من قوله ما يدعون أو صفة لما أو خبر لمبتدإ محذوف (قوله أى بالقول) أشار بذلك أن قولا منصوب بنزع الخافض ويصح أن يكون مصدرا مؤكدا لمضمون الجملة وهو مع عامله معترض بين المبتدإ والخبر (قوله أى يقول لهم سلام عليكم) أشار بذلك إلى أن الجملة معمولة لمحذوف ، والمعنى أن الله تعالى يتجلى لأهل الجنة ويقرئهم السلام لما فى الحديث «بينما أهل الجنة فى نعيم إذ سطع لهم نور فرفعوا رءوسهم فإذا الرب عز وجل قد أشرف عليهم من فوقهم السلام عليكم يا أهل الجنة ، فذلك قوله تعالى ـ سلام قولا من رب رحيم ـ فينظر إليهم و ينظرون إليه فلا يلتفتون إلى شىء من النعيم ماداموا ينظرون

إليه حتى يحتجب عنهم فيبقى نوره و بركته عليهم فى ديارهم» (قوله و يقول امتازوا الخ) أشار بذلك إلى أن هذه الجملة معمولة لمحذوف أيضا (قوله عند اختلاطهم بهم) أى حين يسار بهم إلى الجنة لما ورد فى الحديث ما معناه : إذا كان يوم القيامة ينادى مناد كل أمة تتبع معبودها فتبقى هذه الأمة وفيها منافقوها يقولون لا نذهب حتى تنظر معبودنا فيظهر لهم عن يمين العرش ملك لو وضعت البحار السبع وجميع الخلائق ومثلهم معهم فى نقرة إبهامه لوسعهم فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك لست ربنا ثم يأتى عن يسار العرش فيقول مثل ذلك فيقولون نعوذ بالله منك لست ربنا ثم يتجلى الله تعالى لهم فيخرون سجدا فيريد المنافقون أن يسجدوا فيصير ظهرهم طبقا فلا يستطيعون السجود فعند ذلك يقال : وامتازوا اليوم أيها المجرمون (قوله ألم أعهد إليكم) الاستفهام للتوبيخ والتقريع ، والمراد بالعهد ما كلفهم الله به على ألسنة رسله من الأوامر والنواهى (قوله آمركم) أى وأنها كم ففيه اكتفاء (قوله أن لا تعبدوا الشيطان) أن تفسيرية لتقدم جملة فيها معنى القول دون حروفه ولا ناهية والفعل مجزوم بها (قوله إنه لكم عدوّ مبين) تعليل لوجوب الانتهاء (قوله ولقد أضلّ منكم) تأكيد للتعليل

(وَ) يقول (ٱمْتَازُوا ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ) أى انفردوا عن المؤمنين عند اختلاطهم بهم (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ) آمركم (يَا بَنِي آدَمَ) على لسان رسلى (أَ) نْ (لَا تَعْبُدُوا ٱلشَّيْطَانَ) لا تطيعوه (إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ) بيّن العداوة (وَأَنِ ٱعْبُدُونِي) وحدونى وأطيعونى (هَٰذَا صِرَاطٌ) طريق (مُسْتَقِيمٌ . وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جُبُلًّا) خلقا جمع جبيل كقديم وفى قراءة بضم الباء (كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ) عداوته و إضلاله أو ما حل بهم من العذاب فتؤمنون ، ويقال لهم فى الآخرة (هَٰذِهِ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ) بها (ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ . ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ) أى الكفار لقولهم : والله ربنا ما كنا مشركين (وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ) وغيرها (بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) فكل عضو ينطق بما صدر منه (وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ) لأعميناها طمسا (فَٱسْتَبَقُوا) ابتدروا (ٱلصِّرَاطَ) الطريق ذاهبين كعادتهم (فَأَنَّىٰ) فكيف (يُبْصِرُونَ) حينئذ ، أى لا يبصرون (وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ) قردة وخنازير أو حجارة (عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ) وفى قراءة مكاناتهم ، جمع مكانة بمعنى مكان ، أى فى منازلهم (فَمَا ٱسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ) أى لم يقدروا على ذهاب ولا مجىء (وَمَنْ نُعَمِّرْهُ) بإطالة أجله (نُنَكِّسْهُ) ،

(قوله جبلا) بضم الجيم وسكون الباء وتخفيف اللام (قوله وفى قراءة بضم الباء) أى مع ضم الجيم و بقى قراءة ثالثة سبعية أيضا وهى بكسر الجيم والباء وتشديد اللام كسجل (قوله هذه جهنم) هذا خطاب لهم وهم على شفير جهنم ، والمقصود منه زيادة التبكيت والتقريع (قوله اصلوها) أى ذوقوا حرارتها (قوله بما كنتم تكفرون) أى بسبب كفركم (قوله اليوم نختم على أفواههم) أى ختما يمنعها عن الكلام النافع فلا ينافى قوله تعالى فى الآية الاخرى : يوم تشهد عليهم ألسنتهم ، وهذا مرتبط بقوله : اصلوها اليوم . وفى

روى أنهم حين يقال لهم ذلك يجحدون ما صدر منهم فى الدنيا و يتخاصمون فتشهد عليهم جيرانهم وأهاليهم وعشائرهم فيحلفون أنهم ما كانوا مشركين و يقولون لا نجيز علينا شاهدا إلا من أنفسنا فيختم على أفواههم و يقال لأركانهم انطقوا فتنطق بما صدر منهم ، وحكمة إسناد الختم لنفسه والشهادة للأيدى والأرجل دفع توهم أن نطقها جبر والمجبور غير مقبول الشهادة فأفادك أن نطقها اختيارى (قوله ولو نشاء لطمسنا على أعينهم الخ) مفعول المشيئة محذوف أى لو نشاء طمسها لفعلنا وقوله : فاستبقوا الصراط أى أرادوا أن يستبقوا الطريق المحسوس ذاهبين فى حوائجهم وهو عطف على قوله طمسنا وقوله : فأنى يبصرون استفهام إنكارى مرتب على ما قبله أى فلا يبصرونه (قوله ولو نشاء لمسخناهم الخ) يقال فيها ما قيل فيما قبلها ، والمسخ تغيير الصور وعلى بمعنى فى ، والمقصود من هاتين الآيتين تسليته صلى الله عليه وسلم وتوبيخ الكفار و إعلامهم بأن الله قادر على إذهاب ما بهم من النعم فى الدنيا وأنهم مستحقون ذلك لولا حلمه تعالى ، فهاتان الآيتان بمعنى قوله تعالى : قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم الآية . (قوله ومن نعمره) أى من يكون فى سابق علمنا طول العمر

(قوله وفي قراءة بالتشديد) أي وهما قراءتان سبعيتان ومعناهما واحد ، والمعنى نقلبه فلا يزال يتزايد ضعفه وتنقص قواه عكس ما كان عليه أول الأمر (قوله أي خلقه) أي خلق جسده وقواه (قوله ضعيفا) مقابل قوته وقوله وهرما مقابل وشبابه فهو لف ونشر مرتب ، وهذا في غير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وأما هم فلا يعتريهم الضعف في العقل والبدن وإن طال عمرهم جدا ، واستعاذته صلى الله عليه وسلم من الرد لأرذل العمر تعليم لأمته ، ويلحق بالأنبياء العلماء العاملون فلا يهرمون ولا يضعفون بطول العمر بل يكونون على أحسن ما كانوا عليه (قوله أفلا يعقلون) الهمزة داخلة على محذوف ، والتقدير أتركوا التفكر فلا يعقلون (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضا (قوله وما علمناه الشعر) هذا تنزيه من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم عن التهم فيما أوحاه الله إليه إذ لو كان للعقل فيه بعض اتهام لبطل الاحتجاج به (قوله رد لقولهم إن ما أتى به من القرآن شعر) أي وحينئذ فيصير المعنى ليس القرآن بشعر لأن الشعر كلام مزخرف موزون مقفى قصدا مبني على خيالات وأوهام واهية وأين ذلك من القرآن العزيز الذي تنزه عن مماثلة كلام البشر (قوله وما ينبغي له) أي لا يصح ولا يليق منه لأن الشعر شأنه الأكاذيب وهي عليه مستحيلة ، ولذا قيل : أعذبه أكذبه ، فتحصل أن النبي لا ينبغي له الشعر ولا يليق منه . إن قلت إنه تمثل بقول طرفة :

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا ... ويأتيك بالأخبار من لم تزود

وأنشأ من نفسه قوله :

وفي قراءة بالتشديد من التنكيس (فِي الْخَلْقِ) أي خلقه فيكون بعد قوته وشبابه ضعيفاً وهرما (أَفَلَا يَعْقِلُونَ) أن القادر على ذلك المعلوم عندهم قادر على البعث فيؤمنون وفي قراءة بالتاء (وَمَا عَلَّمْنَاهُ) أي النبي (الشِّعْرَ) ردٌّ لقولهم إن ما أتى به من القرآن شعر (وَمَا يَنْبَغِي) يسهل (لَهُ) الشعر (إِنْ هُوَ) ليس الذي أتى به (إِلَّا ذِكْرٌ) عظة (وَقُرْآنٌ مُبِينٌ) مظهر للأحكام وغيرها (لِيُنْذِرَ) بالياء والتاء به (مَنْ كَانَ حَيًّا) يعقل ما يخاطب به وهم المؤمنون (وَيَحِقَّ الْقَوْلُ) بالعذاب (عَلَى الْكَافِرِينَ) وهم كالميتين لا يعقلون ما يخاطبون به (أَوَلَمْ يَرَوْا) يعلموا والاستفهام للتقرير والواو الداخلة عليها للعطف (أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ) في جملة الناس (مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا) أي عملناه بلا شريك ولا معين (أَنْعَامًا) هي الإبل والبقر والغنم (فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ) ضابطون (وَذَلَّلْنَاهَا) سخرناها (لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ) مركوبهم (وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ . وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ) كأصوافها وأوبارها وأشعارها (وَمَشَارِبُ) من لبنها جمع مشرب بمعنى شرب ، أو موضعه (أَفَلَا يَشْكُرُونَ) المنعم عليهم بها فيؤمنون ،

أنا النبي لا كذب ... أنا ابن عبد المطلب

وقوله :

هل أنت إلا أصبع دميت ... وفي سبيل الله ما لقيت

قلت أحسن ما أجيب به أن إنشاده بيت طرفة وإنشاء البيتين المتقدمين لم يكن عن قصد وإنما وافق وزن الشعر كما في بعض الآيات القرآنية وليس كل من قال قولا موزونا لا يقصد به الشعر شاعرا وإنما وافق وزن الشعر (قوله لينذر) متعلق بمحذوف دل عليه ما قبله (قوله بالياء والتاء) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله وهم المؤمنون) أي وخصوا بالذكر لأنهم المنتفعون به (قوله وهم كالميتين) أخذ هذا من المقابلة في قوله : من كان حيا (قوله والاستفهام للتقرير) أي وهو حمل المخاطب على الاقرار بالحكم (قوله والواو الداخلة عليها للعطف) هذه العبارة تحتمل التقريرين السابقين في نظير هذه الآية وهما أن الهمزة إما مقدمة من تأخير لأن لها الصدارة والواو عاطفة على قوله فيما تقدم - ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون - أو داخلة على محذوف والواو عاطفة عليه ، والتقدير ألم يتفكروا ولم يروا (قوله أنا خلقنا لهم) اللام للحكمة أي حكمة خلقنا ذلك انتفاعهم (قوله في جملة الناس) أشار بذلك إلى أن هذه النعم ليست مقصورة عليهم بل لهم ولغيرهم (قوله مما عملت أيدينا) هذا كناية عن الحصر فيه سبحانه وتعالى ، وهذا كقول الانسان كتبته بيدي مثلا بمعنى أني انفردت به ولم يشاركني فيه غيري فهو كناية عرفية (قوله أنعاما) خصها بالذكر لأن منافعها أكثر من غيرها (قوله ضابطون) أي قاهرون مذللون ، والأحسن أن يفسر قوله : مالكون بالملك الشرعي أي يتصرفون فيها بسائر وجوه التصرفات الشرعية ليكون قوله : وذللناها لهم تأسيسا لنعمة أخرى لا تتميما لما قبله (قوله كأصوافها) أي وجلودها ونسلها وغير ذلك (قوله أو موضعه) أي وهو الضروع

(قوله أى ما فعلوا ذلك) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى وأن قوله واتخذوا الخ عطف على محذوف (قوله يعبدونها) تفسير للاتخاذ (قوله لعلهم ينصرون) الجملة حالية والمعنى حال كونهم راجين النصرة منهم (قوله نزلوا منزلة العقلاء) أى لمشاكلة عبادهم فعبر عنهم بصيغة جمع الذكور (قوله وهم لهم جند الخ) هم مبتدأ وجند خبر أول. ولهم متعلق بجند ومحضرون خبر ثان (قوله أى آلهتهم من الأصنام) هذا أحد وجهين والآخر أنه عائد على الكفار والمعنى يقومون بمصالحها فهم لها بمنزلة الجند وهى لاتستطيع أن تنصرهم (قوله محضرون فى النار) أى ليعذبوا بهم (قوله فلا يحزنك قولهم) هذا تسلية له صلى الله عليه وسلم والمعنى لاتحزن من قولهم بل اتركه ولاتلتفت له (قوله إنا نعلم الخ) تعليل النهى قبله (قوله فنجازيهم عليه) أى على ماصدر منهم سرا وعلانية خيرا أوشرا (قوله أولم ير الانسان) فى الهمزة التقريران السابقان وهما كونها مقدمة من تأخير أو عاطفة على محذوف والتقدير أعمى ولم ير (قوله وهو العاصى بن وائل) وقيل نزلت فى أبى بن خلف الجمحى ولكن العبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب (قوله أنا (٣١٠) خلقناه من نطفة) أى قذرة خسيسة والمقصود التعجب من جهله حيث تصدى للمخاصمة العزيز الجبار ولم يتفكر فى بدء خلقه وأنه من نطفة (قوله فاذا هو خصيم مبين) عطف على جملة النفى (قوله فى نفى البعث) متعلق بخصيم (قوله وضرب لنا مثلا) أى أورد كلاما عجيبا فى الغرابة كالمثل حيث قاس قدرتنا على قدرة الخلق (قوله ونسى خلقه) أى ذهل عنه وهذا عطف على ضرب داخل فى حيز الانكار وإضافة خلق للضمير من اضافة المصدر لمفعوله: أى خلق الله إياه (قوله قال من يحيي العظام الخ) بيان لضرب المثل (قوله ولم يقل بالتاء الخ) اشار بذلك إلى سؤال حاصله ان فعيلا بمعنى فاعل يفرق فيه بين المذكر والمؤنث بالتاء فكان مقتضى القاعدة أن يقال رميمة فأجاب المفسر بأن محل ذلك إذا لم تغلب عليه الاسمية فاذا صار اسما بالغلبة لما بلى من العظام فلا تلحقه التاء فى مؤنثه (قوله فقال صلى الله عليه وسلم نعم ويدخلك النار) أخذ من هذا أنه مقطوع بكفره وخلوده فى النار وزيادة ذلك فى الجواب لأنه متعنت لامتفهم وجزاء المتعنت المنكر أن يجاب بما يكره وضد مايترقب ويسمى عند علماء البلاغة الأسلوب الحكيم (قوله الذى أنشأها) أى أوجدها من العدم (قوله وهو بكل خلق عليم) أى بكيفية خلقها وبأجزاء الأشخاص تفصيلا (قوله الذى جعل لكم الخ) بدل من الموصول قبله (قوله فى جملة الناس) أشار بذلك إلى أنه ليس مخصوصا بالكفار بل لجميع الخلق (قوله المرخ) بفتح الميم وسكون الراء وبالخاء المعجمة شجر سريع القدح وقوله والعفار بفتح العين المهملة بعدها فاء مفتوحة فألف فراء وكيفية ايقاد النار منهما أن يجعل العفار كالزند يضرب به على المرخ، وقيل يؤخذ منهما غصنان خضراوان ويسحق المرخ على العفار فتخرج منهما النار باذن الله تعالى (قوله أو كل شجر) أى وقد شوهد فى بعضه كالبرسيم إذا وضع بعضه على بعض وهو أخضر مدة فانه يحرق نفسه وماحوله (قوله إلا العناب) أى ولذلك تؤخذ منه مطارق القصارين

أى ما فعلوا ذلك (وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ) أى غيره (آلِهَةً) أصناما يعبدونها (لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ) يمنعون من عذاب الله تعالى بشفاعة آلهتهم بزعمهم (لَا يَسْتَطِيعُونَ) أى آلهتهم نزلوا منزلة العقلاء (نَصْرَهُمْ وَهُمْ) أى آلهتهم من الأصنام (لَهُمْ جُنْدٌ) بزعمهم نصرهم (مُحْضَرُونَ) فى النار معهم (فَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ) لك لست مرسلا وغير ذلك (إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ) من ذلك وغيره فنجازيهم عليه (أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ) يعلم وهو العاصى ابن وائل (أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ) منى إلى أن صيرناه شديدا قويا (فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ) شديد الخصومة لنا (مُبِينٌ) بينها فى نفى البعث (وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا) فى ذلك (وَنَسِيَ خَلْقَهُ) من المنى وهو أغرب من مثله (قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ) أى بالية ولم يقل بالتاء لأنه اسم لاصفة، وروى «أنه أخذ عظما رميما ففتته وقال للنبى صلى الله عليه وسلم أترى يحيى الله هذا بعد مابلى ورم؟ فقال صلى الله عليه وسلم نعم ويدخلك النار» (قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ) مخلوق (عَلِيمٌ) مجملا ومفصلا قبل خلقه وبعد خلقه (الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ) فى جملة الناس (مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ) المرخ والعفار أو كل شجر إلا العناب (نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ) تقدحون وهذا دال على القدرة على البعث فإنه جمع فيه بين الماء والنار والخشب

(قوله والخشب) بفتحتين أو ضمتين أو ضم فسكون (قوله أوليس الذي) الهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة عليه تقديره أليس الذي أنشأها أول مرة وليس الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا وليس الذي خلق السموات والأرض بقادر (قوله أي الأناسي) تفسير الضمير (قوله بلى) جواب تقرير النفي وهو صادر منه تعالى إشارة إلى تعيينه قالوه أولا (قوله وهو الخلاق العليم) عطف على مقدر تقديره بلى هو قادر وهو الخلاق العليم (قوله أن يقول له كن) في الكلام استعارة تمثيلية وتقريرها أن يقال شبه سرعة تأثير قدرته ونفاذها فيما يريده بأمر المطاع للمطيع في حصول المأمور به من غير امتناع ولا توقف وحينئذ فمعنى أن يقول له كن أن تتعلق به قدرته تعلقا تنجيزيا (قوله سبحان الذي الخ) أي تنزيهه عما لايليق به (قوله وإليه ترجعون) قرأ العامة ببنائه للمفعول ، وقرئ شذوذا ببنائه للفاعل .

[تتمة] تقدم في فضل يس أنها قلب القرآن ووجه ذلك أنها اشتملت على الوحدانية والرسالة والحشر والايمان بذلك متعلق بالقلب فلذلك سميت قلبا ومن هنا أمر بقراءتها عند المحتضر وعلى الميت لكون القلب قد أقبل

والخشب فلا الماء يطفئ النار ولا النار تحرق الخشب (أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ) مع عظمهما (بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ) أي الأناسي في الصغر ؟ (بَلَى) أي هو القادر على ذلك أجاب نفسه (وَهُوَ الْخَلَّاقُ) الكثير الخلق (الْعَلِيمُ) بكل شيء (إِنَّمَا أَمْرُهُ) شأنه (إِذَا أَرَادَ شَيْئًا) أي خلق شيء (أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) أي فهو يكون وفي قراءة بالنصب عطفا على يقول (فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ) ملك زيدت الواو والتاء للمبالغة : أي القدرة على(كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) تردون في الآخرة .

(سورة والصافات)

مكية ، مائة واثنتان وثمانون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ . وَالصَّافَّاتِ صَفًّا) الملائكة تصف نفوسها في العبادة أو أجنحتها في الهواء تنتظر ما تؤمر به (فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا) الملائكة تزجر السحاب أي تسوقه (فَالتَّالِيَاتِ) أي قراء القرآن يتلونه (ذِكْرًا) مصدر من معنى التاليات ،

على الله تعالى ورجع عما سواه فيقرأ عنده مايزداد به قوة ويقينا .

[سورة والصافات مكية] أي بالاجماع وسميت باسم أول كلمة منها من باب تسمية الشيء باسم بعضه على حكم عادته سبحانه وتعالى في كتابه (قوله والصافات الخ) الواو حرف قسم وجر والصافات مقسم به مجرور ومابعده عطف عليه وقوله ـ إن إلهكم لواحد ـ جواب القسم وهو المقسم عليه والمعنى وحق الصافات وحق الزاجرات وحق التاليات وإنما خص ماذكر لعظم قدرها عنده ولا يعكر عليه ماورد من النهي عن الحلف بغير الله لأن النهي للمخلوق حذرا من تعظيم غير الله وأما هو سبحانه وتعالى فيقسم ببعض مخلوقاته للتعظيم كقوله والشمس والليل والضحى والنجم. وغير ذلك (قوله الملائكة تصف نفوسها الخ) أشار بذلك إلى أن المفعول محذوف. إن قلت إن التاء في الصافات ومابعدها للتأنيث والملائكة منزهون عن الاتصاف بالأنوثة كالذكورة . أجيب بأنها للتأنيث اللفظي والمنزهون عنه التأنيث المعنوي وقوله الملائكة هو أحد أقوال في تفسير الصافات وقيل المراد المجاهدون أو المصلون أو الطير تصف أجنحتها (قوله في العبادة) أي في مقاماتها المعلومة (قوله أو أجنحتها في الهواء) أي ومعنى صفها بسطها (قوله تنتظر ماتؤمر به) أي من صعود وهبوط (قوله فالزاجرات زجرا) الفاء للترتيب باعتبار الوجود الخارجي لأن مبدأ الصلاة الاصطفاف ، ثم يعقبه زجر النفس ، ثم يعقبه التلاوة وهكذا ، ويحتمل أنها للترتيب في المزايا ثم هو إما باعتبار الترقي فالصافات ذوات فضل فالزاجرات أفضل فالتاليات أكثر فضلا ، أو باعتبار التدلي فالصافات أعلى ثم الزجرات ثم التاليات وكل صحيح (قوله الملائكة تزجر السحاب) وقيل المراد بهم العلماء تزجر العصاة (قوله مصدر من معنى التاليات) ويصح أن يكون مفعولا للتاليات والمراد بالذكر القرآن وغيره من تسبيح وتحميد والمراد بهم هنا كل ذاكر من ملائكة وغيرهم .

(قوله إن إلهكم لواحد) إن قلت ما الحكمة في ذكر القسم هنا لأنه إن كان المقصود المؤمنين فلا حاجة له لأنهم مصدقون ولو من غير قسم ، وإن كان المقصود الكفار فلا حاجة له أيضا لأنهم غير مصدقين على كل حال . أجيب بأن المقصود منه تأكيد الأدلة التي تقدم تفصيلها في سورة يس ليزداد الذين آمنوا إيمانا ويزداد الكافر طردا وبعدا (قوله رب السموات والأرض) إما بدل من واحد أو خبر ثان أو خبر لمحذوف (قوله أي والمغارب) أشار بذلك إلى أن في الآية اكتفاء على حد سرابيل تقيكم الحر وإنما اقتصر على المشارق لأن نفعه أعم من الغروب . إن قلت إنه تعالى جمع المشارق هنا وحذف مقابله وجمعهما في سأل وثناهما في الرحمن وأفردهما في المزمل فما وجه الجمع بين هذه الآيات . أجيب بأن الجمع باعتبار مشرق كل يوم ومغربه لأن الشمس لها في السنة ثلاثمائة وستون مشرقا وثلاثمائة وستون مغربا فتشرق كل يوم من مشرق منها وتغرب كل يوم في مقابله من تلك المغارب والتثنية باعتبار مشرق الصيف ومشرق الشتاء ومغربيهما والإفراد باعتبار مشرق كل سنة ومغربها وخص الجمع بهذه السورة لمناسبة جموع أولها (قوله السماء الدنيا) أي القربى من الأرض (قوله بزينة الكواكب) اختلف العلماء هل الكواكب في سماء الدنيا أو ثوابت في العرش وضوؤها يصل لسماء الدنيا لأن السموات شفافة لا تحجب

(إِنَّ إِلَٰهَكُمْ) يا أهل مكة (لَوَاحِدٌ رَبُّ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ) أي والمغارب للشمس لها كل يوم مشرق ومغرب (إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ) أي بضوئها أو بها ، والإضافة للبيان كقراءة تنوين زينة للبينة بالكواكب (وَحِفْظًا) منصوب بفعل مقدر ، أي حفظناها بالشهب (مِنْ كُلِّ) متعلق بالمقدر (شَيْطَانٍ مَارِدٍ) عاتٍ خارج عن الطاعة (لَا يَسَّمَّعُونَ) أي الشياطين مستأنف وسماعهم هو في المعنى المحفوظ عنه (إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ) الملائكة في السماء ، وعدي السماع بإلى لتضمنه معنى الإصغاء وفي قراءة بتشديد الميم والسين أصله يتسمعون أدغمت التاء في السين (وَيُقْذَفُونَ) أي الشياطين بالشهب (مِنْ كُلِّ جَانِبٍ) من آفاق السماء (دُحُورًا) مصدر دحره أي طرده وأبعده وهو مفعول له (وَلَهُمْ) في الآخرة (عَذَابٌ وَاصِبٌ) دائم (إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ) مصدر أي المرة والاستثناء من ضمير يسمعون أي لا يسمع إلا الشيطان الذي سمع الكلمة من الملائكة فأخذها بسرعة (فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ) كوكب مضيء (ثَاقِبٌ) ،

يثقبه

ما وراءها (قوله بضوئها) أي نورها ولولاه لكانت السماء شديدة الظلمة عند غروب الشمس وقوله أو بها أي إن ذات الكواكب زينة لسماء الدنيا فإن الانسان إذا نظر في الليلة المظلمة إلى السماء ورأى هذه الكواكب مشرقة على سطح أزرق وجدها في غاية الزينة (قوله البينة بالكواكب) أي فعلى قراءة التنوين مع جر الكواكب تكون الكواكب عطفا عليها ويبقى قراءة ثالثة سبعية وهي تنوين زينة ونصب الكواكب على أنه مفعول لمحذوف تقديره أعني الكواكب (قوله بفعل مقدر) أي معطوف على زينا (قوله من كل شيطان مارد) وكانوا لا يحجبون عن السموات وكانوا يدخلونها ويأتون بأخبارها فيلقونها على الكهنة ، فلما ولد عيسى عليه الصلاة والسلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد عليه الصلاة والسلام منعوا من السموات كلها فما منهم أحد يريد استراق السمع إلا رمي بشهاب وهو الشعلة من النار فلا يخطئه أبدا فمنهم من يقتله ومنهم من يحرق وجهه ومنهم من يخبله فيصير غولا يضل الناس في البراري (قوله مستأنف) أي لبيان حالهم بعد حفظ السماء منهم وما يعتريهم من العذاب (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضا (قوله أدغمت التاء في السين) أي بعد قلبها سينا وإسكانها (قوله من آفاق السماء) أي نواحيها وجهاتها (قوله والاستثناء من ضمير يسمعون) أي ومن في محل رفع بدل من الواو أو في محل نصب على الاستثناء والاستثناء على كل متصل ، ويجوز أن تكون من شرطية وجوابها فأتبعه أو موصولة مبتدأ وخبرها فأتبعه وهو استثناء منقطع كقوله تعالى لست عليهم بمسيطر إلا من تولى وكفر (قوله فأتبعه شهاب ثاقب) إن قلت تقدم أن الكواكب ثابتة في السماء أو في العرش زينة ومقتضى كونها رجوما للشياطين أنها تنفصل وتزول فكيف الجمع بين ذلك . أجيب بأنه ليس المراد أن الشياطين يرجمون بذات الكواكب بل تنفصل منها

شهب تنزل على الشياطين والكواكب باقية بحالها . إن قلت إن الشياطين خلقوا من النار فكيف يحترقون . أجيب بأن الأقوى يحرق الأضعف كالحديد يقطع بعضه . إن قلت إذا كان الشيطان يعلم أنه لا يصل لمقصوده بل يصاب فكيف يعود مرة أخرى . أجيب بأنه يرجو وصوله لمقصوده وسلامته كراكب البحر فانه يشاهد الغرق المرة بعد المرة و يعود طمعا فى السلامة (قوله يثقبه) أى بحيث يموت من ثقبه ، وقوله أو يحرقه أو يموت أيضا وأو فى كلام المفسر للتنويع وهو لا ينافى وصف الشهاب بالثاقب لأن معنى الثاقب المضيء أى الذى يثقب الظلام خلافا لما يوهمه المفسر (قوله أو يخبله) الخبل بسكون الباء وفتحها الجنون والبله و يطلق أيضا على من فسدت أعضاؤه (قوله فاستفتهم الخ) المقصود من هذا الكلام الرد على منكرى البعث حيث ادعوا أنه مستحيل . وحاصل الرد أن يقال لهم إن استحالته التى تدعونها إما لعدم المادة وهو مردود بأن غاية الأمر تصير الأجزاء ترابا وهو قادر على أن ينزل عليه ماء فيصير طينا وقد خلق أباهم آدم من طين أو لعدم القدرة وهو مردود بأن القادر على هذه الأشياء العظام من السموات والأرض وغيرهما قادر على إعادتهم ثانيا وقدرته ذاتية لا تتغير فهذه الآية نظير قوله تعالى «أنتم أشد خلقا أم السماء بناها الخ (قوله أهم أشد خلقا) أى أقوى خلقة أو أصعب أو أشق إيجادا

يثقبه أو يحرقه أو يخبله (فَاسْتَفْتِهِمْ) استخبر كفار مكة تقريراً أو توبيخاً (أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمْ مَنْ خَلَقْنَا) من الملائكة والسموات والأرضين وما فيهما ، وفى الإتيان بمن تغليب العقلاء (إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ) أى أصلهم آدم (مِنْ طِينٍ لَازِبٍ) لازم يلصق باليد ، المعنى أن خلقهم ضعيف فلا يتكبروا بإنكار النبى والقرآن المؤدّى إلى هلاكهم اليسير (بَلْ) للانتقال من غرض إلى آخر وهو الإخبار بحاله وحالهم (عَجِبْتَ) بفتح التاء خطابا للنبى صلى الله عليه وسلم أى من تكذيبهم إياك (وَ) هم (يَسْخَرُونَ) من تعجبك (وَإِذَا ذُكِّرُوا) وعظوا بالقرآن (لَا يَذْكُرُونَ) لا يتعظون (وَإِذَا رَأَوْا آيَةً) كانشقاق القمر (يَسْتَسْخِرُونَ) يستهزئون بها (وَقَالُوا) فيها (إِنْ) ما (هٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ) بيّن ، وقالوا منكرين للبعث (ءَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا ءَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ) فى الهمزتين فى الموضعين التحقيق وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين (أَوَ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ) بسكون الواو عطفاً بأو ، و بفتحها والهمزة للاستفهام والعطف بالواو ، والمعطوف عليه محل إن واسمها أو الضمير فى لمبعوثون ،

(قوله أم من خلقنا) قرأ العامة بتشديد الميم وقرئ شذوذا بتخفيفها وهو استفهام ثان ومن مبتدأ خبره محذوف دل عليه ما قبله أى أشد خلقا (قوله لازب) من باب دخل وقوله يلصق باليد أى إنه لضعفه لا قوام له بنفسه (قوله المعنى أن خلقهم الخ) التفت المفسر إلى أنه توبيخ لهم على التكبر والعناد الذى منه إنكار البعث (قوله بل عجبت) إضراب عن الأمر بالاستفتاء كأنه قال لا تستفتهم فانهم جاهلون معاندون لا منفعة فى استفتائهم بل انظر إلى حالك وحالهم والمقصود منه تسليته صلى الله عليه وسلم (قوله بفتح التاء) أى و بضمها قراءتان سبعيتان وعلى الضم فالمتعجب الله تعالى ومعناه فى حقه الغضب والمؤاخذة على حد ومكروا ومكر الله . والمعنى يجازيهم على تكذيبهم إياك وقد يطلق التعجب فى حق الله تعالى على الرضا والمحبة كما فى الحديث «عجب ربك من شاب ليس له صبوة» (قوله وهم يسخرون من تعجبك) أى أو من تعجبى أى غضبى عليهم ومجازاتى لهم على كفرهم (قوله لا يتعظون) أى لقيام الغفلة بهم (قوله أئذا متنا الخ) أصل الكلام أنبعث إذا متنا وكنا ترابا وعظاما فقدموا الظرف وكرروا الهمزة وأخروا العامل وعدلوا به إلى الجملة الاسمية لقصد الدوام والاستمرار إشعارا بأنهم مبالغون فى الانكار (قوله و إدخال ألف بينهما) أى وتركه فالقراءات أربع فى كل موضع و بقى قراءتان سبعيتان أيضا الأولى بألفين والثانية بواحدة والعكس و بسط تلك القراءات يعلم من كتبها (قوله و بفتحها) أى والقراءتان سبعيتان هنا وفى الواقعة وتقدم فى الأعراف أو أمن أهل القرى (قوله للاستفهام) أى الانكارى (قوله أو الضمير فى لمبعوثون) أى على القراءة الثانية فيكون مبعوثون عاملا فيه أيضا . إن قلت إن ما بعد همزة الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله فكان الأولى أن يجعل مبتدأ خبره محذوف تقديره أو آباؤنا يبعثون أجيب بأنها مؤكدة للأولى .

لامقصودة بالاستقبال فالعبرة بتقديم المؤكد لا المؤكد (قوله والفاصل) أى بين المعطوف عليه وهو ضمير الرفع المستتر و بين المعطوف وهو آباؤنا فتحصل أنه على قراءة سكون الواو يتعين العطف على محل إن واسمها لاغير وعلى قراءة فتحها يجوز هذا الوجه ويجوز كونه معطوفا على الضمير المستتر فى لمبعوثون ويكفى الفصل بهمزة الاستفهام على حد قول ابن مالك أو فاصل ما (قوله وأنتم داخرون) الجملة حالية والعامل فيها معنى نعم كأنه قيل تبعثون والحال أنكم صاغرون لخروجهم من قبورهم حاملين أوزارهم على ظهورهم (قوله فإنما هى زجرة الخ) هذه الجملة جواب شرط مقدر أو تعليل لنهى مقدر تقديره إذا كان الأمر كذلك فإنما هى الخ أو لا تستصعبوه فإنما هى الخ (قوله أى صيحة واحدة) أى وهى النفخة الثانية (قوله فإذا هم ينظرون) أى ينتظرون (قوله لافعل له من لفظه) أى بل من معناه وهو هلك (قوله وتقول لهم الملائكة) أشار بذلك إلى أن الوقف تم عند قوله : ياويلنا وما بعده كلام مستقل وهذا أحد احتمالات ، ويحتمل أنه من كلام بعضهم لبعض ، ويحتمل أنه من كلام الله تعالى تبكيتا لهم ، ويحتمل أنه من كلام المؤمنين لهم (قوله احشروا الذين ظلموا) أى من مقامهم إلى الموقف أو من الموقف إلى النار (قوله قرناءهم من

الشياطين) هذا أحد أقوال ، وقيل المراد بأزواجهم نساؤهم اللاتى على دينهم ، وقيل أشباههم وأخلاؤهم من الانس لأن زوج الشئ يطلق على مقاربه وجانسه فيقال للجموع فردتى الخف زوج ولإحداهما زوج (قوله من الأوثان) أى كالأصنام والشمس والقمر (قوله إنهم مسئولون) بكسر الهمزة فى قراءة العامة على الاستئناف وفيه معنى التعليل وقرئ بفتحها على حذف لام العلة ، والمعنى قفوهم لأجل سؤال الله إياهم (قوله عن جميع أقوالهم وأفعالهم) أى لما فى الحديث «لا تزول قدم ابن آدم يوم القيامة حتى يسئل عن أربع عن شبابه فيما أبلاه وعن عمره فيما أفناه وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وعن علمه ماذا عمل به» (قوله و يقال لهم) أى والقائل خزنة جهنم (قوله كحالكم فى الدنيا) تشبيه فى المنفى (قوله و يقال عنهم) أى فى شأنهم على سبيل التوبيخ (قوله و قبل بعضهم) أى بعض الكفار يوم القيامة ، وهذا بمعنى ماتقدم فى سورة سبأ فى قوله ـ ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول ـ (قوله يتلاومون و يتخاصمون) أى يلوم بعضهم بعضا و يخاصم بعضهم بعضا كما قال تعالى فى شأنهم ـ كلما دخلت أمة لعنت أختها ـ بخلاف تساؤل المؤمنين فى الجنة فهو شكر وتحدث بنعم الله عليهم (قوله عن اليمين) يطلق على الحلف والجارحة المعلومة والقوة والدين والخير والآية محتملة لتلك المعانى والمفسر اختار الأول وعليه فعن بمعنى من ، والمعنى كنتم تأتوننا من الجهة التى كنا نأمنكم منها فتلك الجهة مصورة بحلفكم أنكم على الحق الخ (قوله المعنى أنكم أضللتمونا) هذا المعنى هو المراد على جميع الاحتمالات لا على ماقاله المفسر فقط (قوله قالوا بل لم تكونوا مؤمنين الخ) أجابوا بأجوبة خمسة آخرها : فأغويناكم إنا كنا غاوين ، والمعنى أنكم لم تتصفوا بالايمان فى حال من الأحوال (قوله أن لو كنتم مؤمنين) أى أنه لو اتصفتم بالايمان

والفاصل همزة الاستفهام (قُلْ نَعَمْ) تبعثون (وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ) صاغرون (فَإِنَّمَا هِيَ) ضمير مبهم يفسره (زَجْرَةٌ) أى صيحة (وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ) أى الخلائق أحياء (يَنْظُرُونَ) ما يفعل بهم (وَقَالُوا) أى الكفار (يَا) للتنبيه (وَيْلَنَا) هلاكنا وهو مصدر لافعل له من لفظه وتقول لهم الملائكة (هَٰذَا يَوْمُ الدِّينِ) أى الحساب والجزاء (هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ) بين الخلائق (الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ) ويقال للملائكة (احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا) أنفسهم بالشرك (وَأَزْوَاجَهُمْ) قرناءهم من الشياطين (وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ . مِنْ دُونِ اللَّهِ) أى غيره من الأوثان (فَاهْدُوهُمْ) دلوهم وسوقوهم (إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ) طريق النار (وَقِفُوهُمْ) احبسوهم عند الصراط (إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ) عن جميع أقوالهم وأفعالهم ، ويقال لهم توبيخا (مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ) لا ينصر بعضكم بعضا كحالكم فى الدنيا ، ويقال عنهم (بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ) منقادون أذلاء (وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ) يتلاومون ويتخاصمون (قَالُوا) أى الأتباع منهم للمتبوعين (إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ) عن الجهة التى كنا نأمنكم منها لحلفكم إنكم على الحق فصدقناكم واتبعناكم المعنى أنكم أضللتمونا (قَالُوا) أى المتبوعون لهم (بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) وإنما يصدق الإضلال منا أن لو كنتم مؤمنين ،

(قوله فرجعتم عن الإيمان إلينا) أى بإضلالنا وإغوائنا كأنهم قالوا لهم إن من آمن لا يطيعنا لثبات الإيمان فى قلبه فلو حصل منكم الإيمان لما أطعتمونا (قوله قول ربنا) أى وعيده ومفعول القول محذوف قدره بقوله : لأملأن جهنم الخ (قوله إنا لذائقون) إخبار منهم عن جميع الرؤساء والأتباع بإذاقة العذاب (قوله فأغويناكم) أى تسببنا لكم فى الغواية من غير إكراه فلا ينافى ماقبله (قوله إنا كنا غاوين) أى فأحببنا لكم ما قام بأنفسنا لأن من كان متصفا بصفة شنيعة يحب أن يتصف بها غيره لتهون المصيبة عليه (قوله يوم القيامة) أى حين التحاور والتخاصم (قوله كما يفعل بهؤلاء) أى عبدة الأصنام ، وقوله غير هؤلاء : أى كالنصارى واليهود (قوله إنهم كانوا الخ) أى عبدة الأصنام ، وسبب ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على أبى طالب عند موته وقريش مجتمعون عنده فقال : قولوا لا إله إلا الله تملكوا بها العرب وتدين لكم بها العجم ، فأبوا وأنفوا من ذلك وقالوا : أئنا لتاركوا آلهتنا الخ » (قوله يستكبرون) أى يتكبرون

عن قولها وعلى من يدعوهم

فرجعتم عن الإيمان إلينا (وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ) قوة وقدرة نقهركم على متابعتنا (بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ) ضالين مثلنا (فَحَقَّ) وجب (عَلَيْنَا) جميعاً (قَوْلُ رَبِّنَا) بالعذاب أى قوله : لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين (إِنَّا) جميعاً (لَذَائِقُونَ) العذاب بذلك القول ، ونشأ عنه قولهم (فَأَغْوَيْنَاكُمْ) المعلل بقولهم (إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ) قال تعالى (فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ) يوم القيامة (فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ) أى لاشتراكهم فى الغواية (إِنَّا كَذَلِكَ) كما نفعل بهؤلاء (نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ) غير هؤلاء أى نعذبهم التابع منهم والمتبوع (إِنَّهُمْ) أى هؤلاء بقرينة ما بعده (كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ . وَيَقُولُونَ أَئِنَّا) فى همزتيه ما تقدم (لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ) أى لأجل قول محمد قال تعالى (بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ) الجائين به وهو أن لا إله إلا الله (إِنَّكُمْ) فيه التفات (لَذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ . وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا) جزاء (مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ . إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ) أى المؤمنين استثناء منقطع : أى ذكر جزاؤهم فى قوله (أُولَئِكَ) الخ (لَهُمْ) فى الجنة (رِزْقٌ مَعْلُومٌ) بكرة وعشياً (فَوَاكِهُ) بدل أو بيان للرزق وهو ما يؤكل تلذذاً لا لحفظ صحة لأن أهل الجنة مستغنون عن حفظها بخلق أجسادهم للأبد (وَهُمْ مُكْرَمُونَ) بثواب الله سبحانه وتعالى (فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ . عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ) لا يرى بعضهم قفا بعض (يُطَافُ عَلَيْهِمْ) على كل منهم (بِكَأْسٍ) هو الإناء بشرابه (مِنْ مَعِينٍ) من خمر يجري على وجه الأرض كأنهار الماء ،

إليها (قوله فى همزتيه ماتقدم) أى من التحقيق فيهما وتسهيل الثانية بألف ودونها فالقراآت أربع (قوله لتاركوا آلهتنا) من إضافة اسم الفاعل لمفعوله أى لتاركون آلهتنا ، والمعنى لتاركون عبادتها (قوله بل جاء بالحق الخ) رد عليهم بأن ماجاء به من التوحيد حق موافق فيه المرسلين قبله (قوله فيه التفات) أى من الغيبة إلى الخطاب زيادة فى التقبيح عليهم (قوله إلا ما كنتم تعملون) أى فالشر يكون جزاؤه بقدره بخلاف الخير فجزاؤه بأضعاف مضاعفة (قوله استثناء منقطع) أى من الواو تجزون (قوله أولئك) أى عباد الله المخلصين (قوله إلى آخره) أى وهو قوله : كأنهن بيض مكنون (قوله لهم رزق معلوم) أى أوقاته وصفاته فلا ينافى آية ـ يرزقون فيها بغير حساب ـ فإن المراد غير معلوم المقدار (قوله بدل) أى كل من كل لأن جميع ما يؤكل فى الجنة إنما هو على سبيل التفكه والتلذذ فلا فرق بين الرزق والفواكه (قوله لا لحفظ صحة) المناسب أن يقول لا لحفظ بنية (قوله بخلق أجسادهم للأبد) أى فهم يدومون بدوام الله لا يفنون أبدا (قوله وهم مكرمون) أى معظمون مبجلون بالتحية والكلام اللين (قوله فى جنات النعيم) إما متعلق بمكرمون أو خبر ثان أو حال (قوله على سرر) قال ابن عباس : على سرر مكللة بالدر والياقوت والزبرجد والسرير ما بين صنعاء إلى الجابية وما بين عدن إلى إيليا (قوله متقابلين) أى تواصلا وتحاببا ، وقيل الأسرة تدور كيف شاءوا فلا يرى أحد قفا أحد (قوله يطاف عليهم) أى والطائف الولدان كما فى آية ـ يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس ـ (قوله هو الإناء بشرابه) أى فإن لم يكن فيه شراب فإنه يسمى قدحا ويطلق الكأس على الخمر نفسه من باب تسمية الشيء باسم محله (قوله من معين) أى ظاهر للعيون أو خارج من العيون فعلى الأول اسم مفعول كمبيع وعلى الثاني اسم فاعل من عان بمعنى نبع وصف به خمر الجنة لأنه يجري كالماء

(قوله بيضاء) إما صفة لكأس أو للخمر (قوله لذة) إما صفة مشبهة كصعب وسهل فتكون مشتقة فالوصف بها ظاهر أو مصدر فالوصف بها مبالغة أو على حذف مضاف أي ذات لذة (قوله مايغتال عقولهم) أي يفسدها وقيل الغول صداع في الرأس وعليه فيكون مابعده تأسيسا (قوله ولا هم عنها ينزفون) عن سببية أي ولاهم ينزفون بسببها (قوله بفتح الزاى) أي مع ضم الياء فهو مبنى للمفعول وقوله وكسرها : أي مع ضمّ الياء أيضا فهو مبنى للفاعل قراءتان سبعيتان وقرئ شذوذا بالفتح والكسر وبالفتح والضم (قوله من نزف الشارب الخ) أي فهو مأخوذ من الثلاثي أو الرباعي والقراءتان السبعيتان على مقتضى أخذه من الرباعي فتدبر (قوله عين) جمع عيناء وهي الواسعة العين اتساعا غير مفرط بل مع الحسن والجمال (قوله كأنهن بيض مكنون) شبهن هنا ببيض النعام ، وفي سورة الواقعة باللؤلؤ المكنون لصفائه وكون بياضه مشوبا ببعض صفرة مع لمعان لأن هذه الأوصاف جمال أهل الجنة (قوله عما مر بهم في الدنيا) أي من الفضائل والمعارف وما عملوه في الدنيا

(بَيْضَاءَ) أشدّ بياضاً من اللبن (لَذَّةٍ) لذيذة (لِلشَّارِبِينَ) بخلاف خمر الدنيا فإنها كريهة عند الشرب (لَا فِيهَا غَوْلٌ) مايغتال عقولهم (وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ) بفتح الزاى وكسرها من نزف الشارب وأنزف ، أي يسكرون بخلاف خمر الدنيا (وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ) حابسات الأعين على أزواجهن لا ينظرن إلى غيرهم لحسنهم عندهنّ (عِينٌ) ضخام الأعين حسانها (كَأَنَّهُنَّ) في اللون (بَيْضٌ) للنعام (مَكْنُونٌ) مستور بريشه لايصل إليه غبار ولونه وهو البياض في صفرة أحسن ألوان النساء (فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ) بعض أهل الجنة (عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ) عما مر بهم في الدنيا (قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ) صاحب ينكر البعث (يَقُولُ) لي تبكيتاً (أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ) بالبعث (أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا) في الهمزتين في الثلاثة مواضع ما تقدم (لَمَدِينُونَ) مجزيون ومحاسبون ؟ أنكر ذلك أيضاً (قَالَ) ذلك القائل لإخوانه (هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ) معي إلى النار لننظر حاله ؟ فيقولون لا (فَاطَّلَعَ) ذلك القائل من بعض كوى الجنة (فَرَآهُ) أي رأى قرينه (فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ) أي وسط النار (قَالَ) له تشميتاً (تَاللَّهِ إِنْ) مخففة من الثقيلة (كِدْتَ) قاربت (لَتُرْدِينِ) لتهلكني بإغوائك (وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي) عليّ بالإيمان (لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ) معك في النار ، وتقول أهل الجنة (أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ . إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى) أي التي في الدنيا (وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ) هو استفهام تلذذ وتحدث بنعمة الله تعالى من تأبيد الحياة وعدم التعذيب (إِنَّ هَذَا) الذي ذكر لأهل الجنة (لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ . لِمِثْلِ هَذَا ،

(قوله قال قائل منهم) أي من أهل الجنة لإخوانه في الجنة وهذا من جملة ما يتحدثون به (قوله تبكيتا) أي توبيخا على عدم إنكار البعث (قوله ماتقدم) أي من القراءات الأربع وهي تحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بإدخال ألف وتركه (قوله مجزيون) أي فهو من الدين بمعنى الجزاء (قوله أنكر ذلك) أي الجزاء والحساب وقوله أيضا أي كما أنكر البعث (قوله لإخوانه) أي من أهل الجنة (قوله من بعض كوى الجنة) بضم الكاف مع القصر وبكسرها مع القصر والمد جمع كوة بفتح الكاف وضمها أي طبقاتها (قوله تشميتا) أي فرحا بمصيبته لأن الله نزع رحمة الكفار من قلوب المؤمنين (قوله مخففة من الثقيلة) أي واللام فارقة ويصحّ أن تكون نافية واللام بمعنى إلا وعلى كل فهي جواب القسم (قوله أفما نحن بميتين) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه تقديره أنحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين الخ (قوله إلا موتتنا الأولى) إلا أداة حصر وموتتنا منصوب على المصدر والعامل فيه قوله ميتين ويكون استثناء مفرّغا وهو بمعنى قوله تعالى - لايذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى - (قوله هو استفهام تلذذ) أي فهو من كلام بعضهم لبعض ، وقيل من كلام المؤمنين للملائكة حين يذبح الموت ويقال ياأهل الجنة خلود بلا موت وياأهل النار خلود بلا موت (قوله من تأبيد الحياة الخ) لف ونشر مرتب (قوله الذي ذكر لأهل الجنة) أي من قوله - أولئك لهم رزق معلوم الخ (قوله لمثل هذا) أي لا للحظوظ الدنيوية الفانية التي تزول ولا تبقى .

فليعمل

(قوله فليعمل العاملون) أى ليجتهد المجتهدون فى الأعمال الصالحة ، فان جزاءها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فاذا كان كذلك فلو أفنى الانسان عمره فى خدمة ربه ولم يشتغل بشئ سواها لكان ذلك قليلا بالنسبة لما يلقاه من النعيم الدائم ، جعلنا الله من أهله بمنه وكرمه (قوله قيل يقال لهم ذلك) أى ما ذكر من الجملتين من قبل الله تعالى وقوله وقيل هم يقولونه : أى يقول بعضهم لبعض ويبعد كلا من الاحتمالين قوله فليعمل العاملون ، فان العمل والترغيب فيه إنما يكون فى الدنيا فالأولى أنه جملة مستأنفة من كلام الله تعالى ترغيبا للمكلفين فى عمل الطاعات (قوله أذلك) معمول لمحذوف تقديره قل يامحمد لقومك على سبيل التوبيخ والتبكيت أذلك خير الخ (قوله المذكور لهم) أى لأهل الجنة من قوله أولئك لهم رزق معلوم الخ (قوله نزلا) تمييز لخير وقوله أم شجرة الزقوم أم حرف عطف وشجرة الزقوم معطوف على اسم الاشارة وهو مبتدأ حذف خبره لدلالة ماقبله عليه والتقدير أم شجرة الزقوم خير نزلا والتعبير بخير ونزلا تهكم بهم وللمشاكلة (قوله من ضيف وغيره) الضيف من يأتى بدعوة وغيره من يأتى زائرا للمحبة والألفة وربما كان أعز من الضيف (قوله أم شجرة الزقوم) من التزقم وهو البلع بشدة وإكراه للأشياء الكريهة ، سميت بذلك لأن أهل النار يكرهون على الأكل منها ، وهى شجرة مسمومة متى مست جسد أحد تورم فمات ، وهى خبيثة مرة كريهة الطعم (قوله وهى من أخبث الشجر) أى وهى صغيرة الورق منتنة (قوله إناجعلنا بذلك) أى بسبب إخبار الله تعالى بذلك (قوله فتنة للظالمين) أى امتحانا واختبارا لهل

(فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ) قيل يقال لهم ذلك ، وقيل هم يقولونه (أَذَٰلِكَ) المذكور لهم (خَيْرٌ نُّزُلًا) وهو مايعد للنازل من ضيف وغيره (أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ) المعدة لأهل النار وهى من أخبث الشجر المر بتهامة ينبتها الله فى الجحيم كما سيأتى (إِنَّا جَعَلْنَاهَا) بذلك (فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ) أى الكافرين من أهل مكة إذ قالوا النار تحرق الشجر فكيف تنبته (إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ) أى قعر جهنم وأغصانها ترتفع إلى دركاتها (طَلْعُهَا) المشبه بطلع النخل (كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ) أى الحيات القبيحة المنظر (فَإِنَّهُمْ) أى الكفار (لَآكِلُونَ مِنْهَا) مع قبحها لشدة جوعهم (فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ . ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ) أى ماء حار يشربونه فيختلط بالمأكول منها فيصير شوبا له (ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ) يفيد أنهم يخرجون منها لشرب الحميم وأنه خارجها (إِنَّهُمْ أَلْفَوْا) وجدوا (آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ . فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ ،

يصدقون أم لا (قوله إذ قالوا النار تحرق الشجر فكيف تنبته) أى ولم يعلموا أن القادر لايعجزه شئ (قوله تخرج فى أصل الجحيم) أى تنبت فى أسفلها (قوله إلى دركاتها) أى منازلها وذلك نظير شجرة طوبى لأهل الجنة فان أصلها فى عليين وما من بيت فى الجنة إلا وفيه غصن منها (قوله طلعها) الطلع فى الأصل اسم لثمر النخل أول بروزه فتسميته طلعا تهكم بهم (قوله أى الحياة القبيحة المنظر) أى ووجه الشبه الشناعة والسم فى كل وما مشى عليه المفسر أحد أقوال ثلاثة ، وقيل شبه طلعها برءوس الشياطين حقيقة ، ووجه الشبه القباحة ونفور النفس من كل لكن يرد عليه أنه تشبيه بغير معلوم للمخاطبين . وأجيب بأن الشيطان وإن كان غير معلوم فى الخارج فهو معروف فى الأذهان والخيالات كالغول فانه مرسوم فى خيال كل أحد بصورة قبيحة . وقيل الشياطين شجر فى البادية معروف للمخاطبين (قوله لشدة جوعهم) أى ولقهرهم على الأكل منها زيادة فى عذابهم (قوله ثم إن لهم عليها) أى على ما يأكلونه منها إذا شبعوا غلبهم العطش (قوله لشوبا) بفتح الشين فى قراءة العامة مصدر على أصله وقرئ شذوذا بضم الشين اسم بمعنى المشوب (قوله يفيد أنهم يخرجون منها) هذا أحد قولين والآخر وهو قول الجمهور أنهم لايخرجون أصلا لقوله تعالى ــ وماهم بخارجين منها ــ وحينئذ فالمعنى أنه يتنوع عذابهم وهم فى النار فتارة يكون عذابهم بأكل الزقوم وتارة بشرب الحميم وتارة بالزمهرير وغير ذلك من أنواع العذاب ، فاذا كانوا مشغولين بأكل الزقوم وفرغوا منه يردون إلى الاشتغال بعذاب غيره والحال أنهم فى النار لايخرجون منها ، ويمكن التوفيق بين القولين بأن يحمل القول بأنه خارجها على أنه فى محل خارج عن المحل الذى يعذبون فيه ، وليس المراد أنه خارج النار بالكلية لمعارضته صريح النص فيخرجون إلى ذلك المحل للأكل والشرب ثم يردون إلى محل العذاب الذى كانوا فيه أولا (قوله إنهم ألفوا آباءهم) هذا تعليل لاستحقاقهم العذاب ، والمعنى أن سبب استحقاقهم للعذاب

تقليد آبائهم في الضلال من غير شيء يتمسكون به سوى التقليد (قوله يهرعون) أي من غير تأمل ولا تدبر (قوله ولقد ضل قبلهم الخ) اللام فيه وفيما بعده موطئة لقسم محذوف وكل من الجملتين سيق لتسليته صلى الله عليه وسلم (قوله فانظر) خطاب للنبي أو لكل من يتأتى منه النظر (قوله إلا عباد الله) استثناء منقطع لأن ماقبله وعيد وهم لم يدخلوا فيه (قوله لإخلاصهم في العبادة) أي على قراءة كسر اللام (قوله على قراءة فتح اللام) أي والقراءتان سبعيتان (قوله ولقد نادانا نوح) شروع في تفصيل ما أجمله في قوله ـ ولقد أرسلنا فيهم منذرين ـ وقد ذكر في هذه السورة سبع قصص : قصة نوح وقصة إبراهيم وقصة الذبيح وقصة موسى وهرون وقصة إلياس وقصة لوط وقصة يونس ، وذلك تسلية له صلى الله عليه وسلم وتحذير لمن كفر من أمته (قوله رب إني مغلوب) أي مقهور وقوله فانتصر : أي انتقم منهم (قوله فلنعم المجيبون) الواو للتعظيم وقوله نحن هو المخصوص بالمدح (قوله وأهله) أي من آمن به ومنهم زوجته المؤمنة وأولاده الثلاثة وزوجاتهم (قوله فالناس كلهم من نسله) هذا هو المعتمد ، وقيل كان لغير ولد نوح أيضا نسل (قوله سام الخ) الثلاثة بمنع الصرف للعلمية والعجمة وفارس كذلك للعلمية والتأنيث لأنه علم على

قبيلة (قوله والخزر) بفتح الخاء والزاي بعدها راء مهملة هكذا في النسخ الصحيحة وهو الصواب وفي بعض النسخ والخزرج وهو تحريف فاحش لأن الخزرج من جملة العرب والخزر صنف من الترك صغار الأعين يعرفون الآن بالتتر (قوله وما هنالك) أي وهم قوم عند يأجوج ومأجوج إذا طلعت عليهم الشمس دخلوا في أسراب لهم تحت الأرض فاذا زالت عنهم خرجوا إلى معايشهم وحروثهم وقيل هم قوم عراة يفرش بعضهم إحدى أذنيه ويلتحف بالأخرى (قوله ثناء حسنا) قدره إشارة إلى أن مفعول تركنا محذوف وقوله سلام على نوح وكان كلام مستقل إنشاء ثناء من الله تعالى على نوح فالأول ثناء الخلق والثاني ثناء الخالق ، وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من قال حين يمسى سلام على نوح في العالمين لم تلدغه عقرب» (قوله العالمين) متعلق بما تعلق به الجار قبله والمراد بالعالمين الملائكة والثقلان (قوله إنا كذلك نجزي المحسنين) تعليل لما فعل بنوح من الكرامة في إجابة دعائه وإبقاء ذريته وذكره الجميل وتسليم الله عليه في العالمين : أي فهذا الجزاء سنتنا في كل من اتصف بالاحسان كنوح (قوله إنه من عبادنا المؤمنين) علة لكونه محسنا وفيه إجلال لشأن الايمان وإظهار لفضله وترغيب في تحصيله والثبات عليه والازدياد منه (قوله ثم أغرقنا الآخرين) معطوف على نجيناه وأهله فالترتيب حقيقي لأن نجاتهم بركوب السفينة حصلت قبل غرق الباقين فتدبر (قوله وإن من شيعته الخ) عطف على قوله ولقد نادانا نوح عطف قصة على قصة (قوله أي ممن تبعه الخ) أي فالشيعة الأتباع والحزب (قوله في أصل الدين) أي وإن اختلفت فروع شرائعهما فالاتباع في أصول الدين وهو التوحيد لا في الفروع كالصلاة مثلا (قوله وإن طال الزمان الخ) الجملة حالية ، والمعنى أنه من أتباعه على عهده والحال أن الزمان طال بينهما فطول المدة لم ينسه العهد (قوله وهو ألفان الخ) هذا أحد قولين والآخر أن بينهما ألف سنة ومائة واثنتين وأربعين سنة

يُهْرَعُونَ) يزعجون إلى أتباعهم فيسرعون إليه (وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ) من الأمم الماضية (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ) من الرسل مخوفين (فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ) الكافرين أي عاقبتهم العذاب (إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ) أي المؤمنين فإنهم نجوا من العذاب لإخلاصهم في العبادة ، أو لأن الله أخلصهم لها على قراءة فتح اللام (وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ) بقوله : رب إني مغلوب فانتصر (فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ) له نحن أي دعانا على قومه فأهلكناهم بالغرق (وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ) أي الغرق (وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ) فالناس كلهم من نسله عليه السلام ، وكان له ثلاثة أولاد : سام وهو أبو العرب وفارس والروم وحام وهو أبو السودان ، ويافث أبو الترك والخزر ويأجوج ومأجوج وما هنالك (وَتَرَكْنَا) أبقينا (عَلَيْهِ) ثناء حسناً (فِي الْآخِرِينَ) من الأنبياء والأمم إلى يوم القيامة (سَلَامٌ) منا (عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ . إِنَّا كَذَلِكَ) كما جزيناهم (نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ . إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ . ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ) كفار قومه (وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ) أي ممن تبعه في أصل الدين (لَإِبْرَاهِيمَ) وإن طال الزمان بينهما ، وهو ألفان وستمائة وأربعون سنة ،

(قوله وكان بينهما هود وصالح) أى وكان قبل نوح ثلاثة إدريس وشيث وآدم فجملة من قبل إبراهيم من الأنبياء ستة (قوله إذ جاء ربه الخ) معنى مجيئه توجهه بقلبه خاصا لربه وفى الكلام استعارة تبعية تقريرها أن تقول: شبه إقباله على ربه مخلصا له قلبه بمجيئه بتحفة جيئة والجامع بينهما طلب الفوز بالرضا واشتق من المجىء جاء بمعنى أقبل بقلبه (قوله أى تابعه وقت مجيئه) أشار بذلك إلى أن الظرف متعلق بمحذوف دل عليه قوله شيعته ويصح جعله متعلقا بشيعته لما فيها من معنى المتابعة لكن فيه أنه يلزم عليه الفصل بينه و بين معموله بأجنبى ، وهو قوله لإبراهيم وأيضا يلزم عليه عمل ماقبل اللام الابتدائية فيما بعدها وأجيب بأنه يتوسع فى الظروف مالايتوسع فى غيرها (قوله من الشك وغيره) أى من الآفات والعلائق التى تشغل القلب عن شهود الرب تعالى (قوله لأبيه وقومه) تقدم الخلاف فى كونه أباه حقيقة أوعمه وإنما عبر بالأب لأن العم أب ، والمراد بقومه النمروذ وجماعته (قوله فى همزتيه ماتقدم) أى وهو تحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بألف بينهما وتركها (قوله و إفكا مفعول له) أى وقدم على المفعول به لأجل التقبيح عليهم بأنهم على إفك و باطل (قوله أى أتعبدون غير الله) كان عليه أن يزيد قوله لأجل الإفك ليوفى بالمفعول لأجله (قوله إذ عبدتم غيره) أى وقت عبادتكم غيره (قوله أنه يترككم بلا عقاب) معمول الظن ، والمعنى أى سبب حملكم على ظنكم أنه تعالى يترككم بلاعقاب حين عبدتم غيره (٣١٩) وأشار بقوله لا إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفى أى ليس لكم سبب ولاعذر يحملكم على الظن المذكور وإذا انتفى السبب انتفى المسبب بالأولى (قوله وكانوا نجامين) ذكر هذا توطئة لقوله تعالى : فنظر نظرة فى النجوم (قوله فخرجوا إلى عيد لهم) أى وكانوا فى قرية بين البصرة والكوفة يقال لها هرمز (قوله زعموا التبرك عليه) أى أنها تنزل عليه البركة (قوله فنظر نظرة فى النجوم) أى فى علم النجوم متفكرا فى أمر يعذرونه بسببه فيتركونه (قوله أى سأسقم) جواب عما يقال كيف قال إنى سقيم والحال أنه لم يكن سقيما . وأجيب أيضا بأن المعنى سقيم القلب من عبادتكم مالايضر ولاينفع وقد أشار بقوله إنى سقيم إلى سقم مخصوص وهو الطاعون ، وكان الطاعون أغلب الأسقام عليهم وكانوا يخافون منه العدوى فتفرقوا عن إبراهيم خوفا منها فهربوا إلى عيدهم وتركوه فى بيت الأصنام (قوله وهى الأصنام) أى وكانت اثنين وسبعين صنما بعضها من حجر و بعضها من خشب و بعضها من ذهب و بعضها من فضة و بعضها من نحاس و بعضها من حديد و بعضها من رصاص ، وكان كبيرها من ذهب مكللا بالجواهر وكان فى عينيه ياقوتتان تتقدان نورا (قوله وعندها الطعام) الجملة حالية (قوله فقال استهزاء بهم) إن قلت أى فائدة فى خطاب مالايعقل ؟ . أجيب بأنه لعل عنده من يسمع كلامه من خدمتها أوغيرهم (قوله فراغ عليهم) أى مال فى خفية من قولهم راغ الثعلب روغانا : تردد وأخذ الشىء خفية (قوله بالقوة) أى القدرة (قوله فأقبلوا إليه) مرتب على محذوف قدره المفسر بقوله فبلغ قومه الخ (قوله يزفون) بكسر الزاى مع فتح الياء أوضمها قراءتان سبعيتان (قوله فقالوا له نحن نعبدها الخ) أى بعد أن سألوه وأجابهم ، فلما تحققوا أنه هو الذى كسرها قالوا نحن نعبدها الخ وقد تقدم بسط ذلك فى سورة الأنبياء .

وكان بينهما هود وصالح (إِذْ جَاءَ) أى تابعه وقت مجيئه (رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) من الشك وغيره (إِذْ قَالَ) فى هذه الحالة المستمرة له (لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ) موبخا (مَاذَا) ماالذى (تَعْبُدُونَ . أَئِفْكًا) فى همزتيه ما تقدم (آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ) وإفكا مفعول له وآلهة مفعول به لتريدون، والإفك أسوأ الكذب، أى أتعبدون غير الله (فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ) إذ عبدتم غيره أنه يترككم بلاعقاب ؟ لا ، وكانوا نجامين فخرجوا إلى عيد لهم وتركوا طعامهم عند أصنامهم زعموا التبرك عليه فإذا رجعوا أكلوه وقالوا للسيد إبراهيم اخرج معنا (فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ) إيهاما لهم أنه يعتمد عليها ليعتمدوه (فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ) عليل أى سأسقم (فَتَوَلَّوْا عَنْهُ) إلى عيدهم (مُدْبِرِينَ . فَرَاغَ) مال فى خفية (إِلَى آلِهَتِهِمْ) وهى الأصنام وعندها الطعام (فَقَالَ) استهزاء (أَلَا تَأْكُلُونَ) فلم ينطقوا ، فقال (مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ) فلم تجب (فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ) بالقوة فكسرها فبلغ قومه ممن رآه (فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ) أى يسرعون المشى فقالوا له نحن نعبدها وأنت تكسرها (قَالَ) لهم ،

(قوله موبخا) أى على ماوقع منهم حيث يأتون للخشب مثلا فيصنعون منه صورة و يتخذونها إلها مع أنها قبل ذلك لم تكن معبودة لهم ولا تضرّ ولا تنفع (قوله ومامصدرية الخ) ذكر فيها ثلاثة أوجه و بقى اثنان كونها استفهامية ، والمعنى وأىّ شىء تعملونه وكونها نافية ، والمعنى ليس العمل فى الحقيقة لكم و إنما هو لله تعالى (قوله بنيانا) قيل بنوا له حائطا من الحجر طوله فى السماء ثلاثون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا وملأوه من الحطب وأوقدوا عليه النار ثم تحيروا فى كيفية رميه فعلمهم إبليس المنجنيق فصنعوه ووضعوه فيه ورموه فيها فصارت عليه بردا وسلاما (قوله وأضرموه بالنار) أى أوقدوه بها (قوله النار الشديدة) أى فكل نار بعضها فوق بعض تسمى جحيما من الجحمة وهى شدة التأجج (قوله المقهورين) أى بإبطال كيدهم حيث جعلت عليه بردا وسلاما (قوله وقال إنى ذاهب الخ) عطف على محذوف قدره بقوله فخرج الخ ، والمعنى أنه لما خرج من النار سالما ولم يهتد من قومه أحد هاجر هو ولوط ابن أخيه وسارة زوجته إلى أرض الشام ، وهو أول من هاجر من الخلق فى طاعة الله وقوله : إلى ربى أى إلى عبادة ربى وطاعته (قوله سيهدين) أى إلى مافيه صلاح دينى و بلوغ مطالبى (قوله إلى حيث أمرنى ربى) أى إلى مكان أمرنى الخ وهذا متعلق بكل من ذاهب و يهدين (قوله فلما وصل إلى الأرض المقدسة) قدره توطئة لقوله : رب هب لى الخ (قوله من الصالحين) أى بعض الصالحين يكون خليفة لى و يرث حالى

موبخا (أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ) من الحجارة وغيرها أصناما (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ) من نحتكم ومنحوتكم فاعبدوه وحده وما مصدرية وقيل موصولة وقيل موصوفة (قَالُوا) بينهم (ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا) فاملئوه حطبا وأضرموه بالنار فإذا التهب (فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ) النار الشديدة (فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا) بإلقائه فى النار لتهلكه (فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ) المقهورين فخرج من النار سالما (وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي) مهاجر إليه من دار الكفر (سَيَهْدِينِ) إلى حيث أمرنى ربى بالمصير إليه وهو الشام فلما وصل إلى الأرض المقدسة قال (رَبِّ هَبْ لِي) ولدا (مِنَ الصَّالِحِينَ. فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ) أى ذى حلم كثير (فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ) أى أن يسعى معه ويعينه ، قيل بلغ سبع سنين ، وقيل ثلاث عشرة سنة (قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى) أى رأيت (فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ) ورؤيا الأنبياء حق وأفعالهم بأمر الله تعالى (فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى) من الرأى ، شاوره

(قوله فبشرناه) مرتب على محذوف تقديره فاستجبنا له فبشرناه وتلك البشارة على لسان الملائكة الذين جاءوا له فى صورة أضياف فبشروه بالغلام ثم انتقلوا من قريته وهى فلسطين إلى قرية لوط وهى سذوم لإهلاك قومه كما تقدم ذلك فى سورة هود ويأتى فى الذاريات (قوله فلما بلغ معه السعى) أشار المفسر إلى أن قوله معه ظرف متعلق بالسعى وفيه أنه يلزم عليه تقدم صلة المصدر المؤول من أن والفعل عليه وهو لايجوز . وأجيب بأنه يغتفر فى الظروف مالايغتفر فى غيرها و يصح جعله متعلقا بمحذوف على سبيل البيان كأن قائلا قال مع من بلغ السعى فقيل بلغ معه ولايصح جعله متعلقا ببلغ ولاحالا من ضميره لأنه يوهم اقترانهما فى بلوغ السعى لأن المصاحبة تقتضى المشاركة مع أن المقصود وصف الصغير بذلك فقط (قوله قال يابنىّ) جواب لما ، والحكمة فى ذلك أن إبراهيم عليه السلام اتخذه الله تعالى خليلا ، والخلة هى صفاء المودّة ومن شأنها عدم مشاركة الغير مع الخليل وكان قد سأل ربه الولد فلما وهبه له تعلقت شعبة من قلبه بمحبته فجاءت غيرة الخلة تنزعها من قلب الخليل فأمر بذبح المحبوب ليظهر صفاء الخلة وعدم المشاركة فيها حيث امتثل أمر ربه وقدّم محبته على محبة ولده (قوله أى رأيت) أشار بذلك إلى أن الرؤيا وقعت بالفعل لما روى أنه رأى ليلة التروية أن قائلا يقول له إن الله يأمرك بذبح ابنك ، فلما أصبح فكر فى نفسه أنه من الله ، فلما أمسى رأى مثل ذلك فى الليلة الثانية ، ثم رأى مثله فى الليلة الثالثة فهمّ بنحره فقال له يابنىّ الخ ولذلك سميت الأيام الثلاثة بالتروية وعرفة والنحر لأنه فى اليوم الأول تروّى وفى الثانى عرف وفى الثالث نحر (قوله إنى أذبحك) أى أفعل الذبح أو أومر به احتمالان ، و يشير للأول قوله : قد صدقت الرؤيا وللثانى قوله : افعل ماتؤمر (قوله ماذا ترى) يصح أن تكون ماذا مركبة وحينئذ فهى منصوبة بترى ومابعدها فى محل نصب بانظر لأنها معلقة له ، يصح أن تكون ما استفهامية وذا موصولة فتكون ماذا مبتدأ وخبرا

وقوله : رى بفتحتين من الرأى ، وفي قراءة سبعية ترى بالضم والكسر والمفعولان محذوفان أى تريني إياه من صبرك واحتمالك وقرئ شذوذا بضم ففتح أى مايخيل لك (قوله شاوره ليأنس الخ) أى وليعلم صبره وعزيمته على طاعة الله (قوله قال ياأبت) أى بفتح التاء وكسرها قراءتان سبعيتان (قوله التاء عوض عن ياء الاضافة) أى فهى فى محل جر كما كانت الياء فى محل جر (قوله افعل ماتؤمر) قال ابن إسحق وغيره : لما أمر إبراهيم بذلك قال لابنه يابنى خذ هذا الحبل والمدية وانطلق بنا إلى هذا الشعب لنحتطب ، فلماخلا بابنه فى الشعب أخبره بما أمر الله به فقال ياأبت افعل ماتؤمر (قوله إن شاء الله) أتى بها تبركا و إشارة إلى أنه لاحول عن المعصية إلا بعصمة الله ولاقوة على الطاعة إلا بمعونة الله (قوله فلما أسلما) أى الوالد والولد (قوله وتله للجبين) أى صرعه ورماه على شقه فوق التل الذى هو المكان المرتفع . قال ابن عباس : لما فعل ذلك قال الابن ياأبت اشدد رباطى كى لاأضطرب واكفف ثيابك حتى لاينتضح عليها من دمى شئ فينتقص أجرى وتراه أمى فتحزن واستحد شفرتك وأسرع بها على حلقى ليكون أهون علىّ وإذا أتيت أمى فاقرأ عليها السلام منى وإن رأيت أن ترد قميصى عليها فافعل فانه عسى أن يكون أسلى لها عنى فقال إبراهيم نعم العون أنت يابنى على أمر الله ففعل إبراهيم ماأمره به ابنه ثم أقبل عليه وهو يبكى والابن يبكى ، فلما وضع السكين على حلقه لم تؤثر شيئا فاشتدها بالحجر مرتين أوثلاثا ، كل ذلك لاتستطيع أن تقطع شيئا فمنعت بقدرة الله تعالى ، وقيل ضرب الله صفيحة

من نحاس على حلقه والأول أبلغ فى القدرة الالهية وهو منع الحديد عن اللحم فعند ذلك قال الابن ياأبت كبنى لوجهى على جبينى فانك إذا نظرت فى وجهى رحمتنى فأدركتك رأفة تحول بينك وبين أمر الله وأنا أنظر إلى الشفرة فأجزع منها ففعل ذلك إبراهيم ثم وضع السكين على قفاه فانقلبت فنودى ياإبراهيم قد

شاوره ليأنس بالذبح وينقاد للأمر به (قَالَ يَا أَبَتِ) التاء عوض عن ياء الإضافة (افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ) به (سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ) على ذلك (فَلَمَّا أَسْلَمَا) خضعا وانقادا لأمر الله تعالى (وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ) صرعه عليه ولكل إنسان جبينان بينهما الجبهة وكان ذلك بمنى وأمرّ السكين على حلقه فلم تعمل شيئا بمانع من القدرة الإلهية (وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ . قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا) بما أتيت به مما أمكنك من أمر الذبح ، أى يكفيك ذلك : فجملة ناديناه جواب لما بزيادة الواو (إِنَّا كَذَلِكَ) كما جزيناك (نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) لأنفسهم بامتثال الأمر بإفراج الشدة عنهم (إِنَّ هَذَا) الذبح المأمور به (لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ) أى الاختبار الظاهر (وَفَدَيْنَاهُ) أى المأمور بذبحه وهو إسماعيل أو إسحق قولان (بِذِبْحٍ) بكبش (عَظِيمٍ) من الجنة وهو الذى قربه هابيل جاء به جبريل عليه السلام ،

صدقت الرؤيا الخ (قوله بمنى) يذكر ويؤنث ويصرف ويمنع من الصرف باعتبار المكان والبقعة (قوله وأمرّ السكين) هذا أحد قولين مشهورين وهو ماتقدم عن ابن عباس والآخر أنه لم يمر السكين بل لما أضجعه وأراد أن يمرّ السكين جاءه النداء وبالأول استدل أهل السنة على أن الأمور العادية لاتؤثر شيئا لابنفسها ولا بقوة أودعها الله فيها وإنما المؤثر هو الله تعالى فتخلف القطع فى ولد إبراهيم وتخلف الاحراق فى إبراهيم (قوله فجملة ناديناه جواب لما الخ) هذا أحد أوجه ثلاثة والثانى أنه محذوف تقديره ظهر صبرهما أوأجزلنا لهما الأجر والثالث أن قوله وتله للجبين بزيادة الواو (قوله بإفراج الشدة) المناسب أن يقول بتفريج الشدة أو بفرجها لأن الفعل فرج بالتخفيف والتشديد فمصدره إما التفريج أوالفرج (قوله وفديناه) عطف على قوله وناديناه (قوله قولان) أى وهما مبنيان على قولين آخرين هل اسمعيل أكبر أو إسحق فمن قال بالأول قال إن الذبيح إسمعيل ومن قال بالثانى قال إن الذبيح إسحق . واعلم أن كلا من القولين قال به جماعة من الصحابة والتابعين لكن القول بأن الذبيح إسحق أقوى فى النقل عن النبى صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين حتى قال سعيد بن جبير أرى إبراهيم ذبح إسحق فى المنام فسار به مسيرة شهر فى غداة واحدة حتى أتى به المنحر بمنى ، فلما صرف الله عنه الذبح أمره أن يذبح به الكبش فذبحه وسار إلى الشام مسيرة شهر فى روحة واحدة وطويت له الأودية والجبال وبقى قول ثالث وهو الوقف عن الجزم بأحد القولين وتفويض علم ذلك إلى الله تعالى (قوله كبش عظيم) وقيل إنه كان تيسا جبليا أهبط عليه من ثبير (قوله وهو الذى قربه هابيل) أى ووصفه بالعظم لكونه تقبل مرتين .

فذبحه السيد إبراهيم مكبرا (وَتَرَكْنَا) أبقينا (عَلَيْهِ فِى الْآخِرِينَ) ثناء حسنا (سَلَامٌ) منا (عَلَى إِبْرَاهِيمَ . كَذَٰلِكَ) كما جزيناه (نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ) لأنفسهم (إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ . وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحٰقَ) استدل بذلك على أن الذبيح غيره (نَبِيًّا) حال مقدرة أى يوجد مقدرا نبوته (مِنَ الصَّالِحِينَ . وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ) بتكثير ذريته (وَعَلَى إِسْحٰقَ) ولده بجعلنا أكثر الأنبياء من نسله (وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ) مؤمن (وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ) كافر (مُبِينٌ) بين الكفر (وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَى مُوسَىٰ وَهٰرُونَ) بالنبوة (وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا) بنى إسرائيل (مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ) أى استعباد فرعون إياهم (وَنَصَرْنَاهُمْ) على القبط (فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ . وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ) البليغ البيان فيما أتى به من الحدود والأحكام وغيرها وهو التوراة (وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ) الطريق (الْمُسْتَقِيمَ . وَتَرَكْنَا) أبقينا (عَلَيْهِمَا فِى الْآخِرِينَ) ثناء حسنا (سَلَامٌ) منا (عَلَى مُوسَىٰ وَهٰرُونَ . إِنَّا كَذَٰلِكَ) كما جزيناهما (نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ . إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ . وَإِنَّ إِلْيَاسَ) بالهمز أوله وتركه (لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ) قيل هو ابن أخى هرون أخى موسى، وقيل غيره أرسل إلى قوم ببعلبك ونواحيها (إِذْ) منصوب باذكر مقدرا (قَالَ لِقَوْمِهِ ،

(قوله فذبحه السيد إبراهيم) أى و بقى قرناه معلقين على الكعبة إلى أن احترق البيت فى زمن ابن الزبير ومابقى من الكبش أكلته السباع والطيور لأن النار لاتؤثر فيما هو من الجنة (قوله مكبرا) روى أنه لما ذبحه قال جبريل: الله أكبر الله أكبر الله أكبر، فقال الذبيح لا إله إلا الله والله أكبر، فقال إبراهيم الله أكبر ولله الحمد فصار سنة (قوله استدل بذلك الخ) أى وهو مذهب الشافعى، وقال مالك وأبوحنيفة: لادليل فيها لأن إسحاق وقعت البشارة به مرتين مرة بوجوده ومرة بنبوته، فمعنى قوله - و بشرناه بإسحاق نبيا - بشرناه بنبوة إسحاق بعد البشارة بوجوده (قوله من الصالحين) إما صفة لنبيا أو حال من ضميره (قوله ومن ذريتهما) خبر مقدم، وقوله محسن الخ مبتدأ مؤخر وفيه إشارة إلى أن النسب لامدخل له فى الهدى ولا فى الضلال (قوله ولقد مننا) معطوف على ماقبله عطف قصة على قصة واللام موطئة لقسم محذوف تقديره وعزتنا وجلالنا لقد أنعمنا الخ وتحدث الله بالامتنان على عباده من عظيم الشرف لهم، وقوله بالنبوة: أى المصاحبة للرسالة لأنهما كانا رسولين ولامفهوم للنبوة بل أعطاهما الله تعالى نعما جمة دينية ودنيوية و إنما خصها لأنها أشرف النعم (قوله بنى إسرائيل) أى أولاد يعقوب (قوله أى استعباد فرعون إياهم) وسبب استيلائه عليهم أن أصولهم قدموا مصر مع أبيهم يعقوب ليوسف حين كان ملكا فاستمروا بها فلما ظهر فرعون وتكبر استعبد ذريتهم وجعلهم خدما للقبط (قوله ونصرناهم) الضمير عائد على موسى وهرون وقومهما (قوله فكانوا هم الغالبين) يصح أن يكون هم ضمير فصل أو بدلا من الواو فى كانوا والأول أظهر (قوله وغيرهما) أى كالقصص والمواعظ (قوله وهديناهما الصراط المستقيم) أى وصلناهما للدين الحق (قوله سلام) مبتدأ خبره محذوف قدره بقوله منا، وقوله على موسى وهرون متعلق بسلام والمسوغ آلا للابتداء بالنكرة قصد التعظيم وعملها فى الجار والمجرور بعدها (قوله كما جزيناهما) أى بما تقدم من الانجاء والنصر و إيتاء الكتاب و إبقاء الثناء (قوله نجزى المحسنين) فى مثل هذه الآيات ترغيب للمؤمنين و إشعار بأن كل مؤمن قابل لكل خير وصالح له (قوله إنهما من عبادنا المؤمنين) أى الكاملين فى الايمان البالغين الغاية فيه (قوله و إن إلياس) معطوف على ماقبله عطف قصة على قصة (قوله بالهمز أوله وتركه) أى بناء على أنها همزة قطع أو وصل قراءتان سبعيتان وسبب جواز الأمرين أنه اسم أعجمى استعملته العرب فلم تضبط فيه همزة قطع ولا وصل (قوله لمن المرسلين) خبر إن (قوله قيل هو ابن أخى هرون الخ) الصحيح أنه من ذرية هرون لقول محمد بن إسحاق هو إلياس بن ياسين بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران و إلياس ابن عم اليسع (قوله وقيل غيره) من جملة ذلك أنه قيل هو إدريس وقيل هو اليسع (قوله أرسل إلى قوم ببعلبك) حاصل قصته كما قال محمد بن إسحق وعلماء السير والأخبار: لما قبض الله عز وجل حزقيل عليه السلام عظمت الأحداث فى بنى إسرائيل وظهر فيهم الفساد والشرك ونصبوا الأصنام وعبدوها من دون الله عز وجل فبعث الله إليهم إلياس نبيا وكانت الأنبياء يبعثون من بعد موسى عليه الصلاة والسلام فى بنى إسرائيل بتجديد مانسوا من أحكام التوراة، وكان يوشع لما فتح

الشام قسمها على بنى إسرائيل وأن سبطا منهم حصل فى قسمته بعلبك ونواحيها وهم الذين بعث إليهم إلياس وعليهم يومئذ ملك اسمه أرحب ، وكان قد أضلّ قومه وجبرهم على عبادة الأصنام ، وكان له صنم من ذهب طوله عشرون ذراعا وله أربعة وجوه وكان اسمه بعلا وكانوا قد فتنوا به وعظموه وجعلوا له أربعمائة سادن وجعلوهم أبناءه ، وكان الشيطان يدخل فى جوف بعل ويتكلم بشريعة الضلال والسدنة يحفظونها عنه ويبلغونها الناس وهم أهل بعلبك ، وكان إلياس يدعوهم إلى عبادة الله عزّ وجل وهم لايسمعون له ولايؤمنون به إلاما كان من أمر الملك فانه آمن به وصدّقه ، فكان إلياس يقوم بأمره و يسدّده ويرشده ثم إن الملك ارتدّ واشتد غضبه على إلياس وقال يا إلياس ماأرى ماتدعونا إليه إلا باطلا وهمّ بتعذيب الياس وقتله ، فلما أحسّ إلياس بالشرّ رفضه وخرج عنه هاربا ورجع الملك إلى عبادة بعل ولحق الياس بشواهق الجبال فكان يأوى إلى الشعاب والكهوف ، فبقى سبع سنين على ذلك خائفا مستخفيا يأكل من نبات الأرض وثمار الشجر وهم فى طلبه قد وضعوا عليه العيون والله يستره منهم ، فلما طال الأمر على إلياس وسئم الكمون فى الجبال وطال عصيان قومه وضاق بذلك ذرعا دعا ربه عز وجل أن يريحه منهم ، فقيل انظر يوم كذا وكذا فاخرج إلى موضع كذا فماجاءك من شئ فاركبه ولا تهبه ، فخرج إلياس ومعه اليسع حتى إذا كان بالموضع الذى أمر به إذ أقبل فرس من نار ، وقيل لونه كالنار حتى وقف بين يدى الياس فوثب عليه فانطلق به الفرس فناداه اليسع يا إلياس ما تأمرنى ؟ فقذف إليه الياس بكسائه من الجوّ الأعلى ، فكان ذلك علامة استخلافه إياه على بنى إسرائيل وكان ذلك آخر العهد به ، ورفع الله إلياس من بين أظهرهم وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وكساه الريش فصار إنسيا ملكيا أرضيا سماويا ، ونبأ الله تعالى اليسع و بعثه رسولا إلى بنى إسرائيل وأوحى الله إليه وأيده فآمنت به بنو إسرائيل وكانوا يعظمونه وحكم الله تعالى فيهم قائم إلى أن فارقهم اليسع

وقد أعطى الله إلياس معجزات جمة منها تسخير الجبال له والأسود وغيرها وأعطاه الله قوة سبعين نبيا، وكان على صفة موسى فى الغضب والقوّة . روى أن الياس والخضر يصومان رمضان كل عام ببيت المقدس

> ألاَ تَتَّقُونَ) الله (أَتَدْعُونَ بَعْلاً) اسم صنم لهم من ذهب ، و به سمى البلد أيضاً مضافاً إلى بك أى أتعبدونه (وَتَذَرُونَ) تتركون (أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ) فلا تعبدونه (اللهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ) برفع الثلاثة على إضمارهو ، و بنصبها على البدل من أحسن(فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ) فى النار (إِلاَّ عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ) أى المؤمنين منهم فإنهم نجوا منها (وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ) ثناء حسناً (سَلاَمٌ) منا (عَلَى إِلْيَاسِينَ) ،

و يحضران موسم الحج كل عام و يفترقان عن أربع كلمات : بسم الله ماشاء الله لايسوق الخير إلا الله ، بسم الله ماشاء الله لايصرف السوء إلا الله ، بسم الله ماشاء الله ما كان من نعمة فمن الله ، بسم الله ماشاء الله لاحول ولا قوة إلابالله ، وقيل فى الرواية غير ذلك ، و إلياس موكل بالفيافى والقفار والخضر موكل بالبحار ولايموتان إلا فى آخر الزمان حين يرفع القرآن ، وعن أنس قال « غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كنا عند فج الناقة سمعت صوتا يقول : اللهم اجعلنى من أمة محمد المرحومة المغفور لها المستجاب لها ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : يا أنس انظر ماهذا الصوت فدخلت الجبل فاذا رجل عليه ثياب بيض أبيض الرأس واللحية طوله أكثر من ثلثمائة ذراع فلما رآنى قال : أنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقلت نعم . قال فارجع إليه فأقرئه السلام وقل له هذا أخوك الياس يريد أن يلقاك ، فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فجاء يمشى وأنا معه حتى إذا كنا قريبا منه تقدم النبي وتأخرت أنا فتحدثا طويلا فنزل عليهما من السماء شئ يشبه السفرة ودعوانى فأكلت معهما و إذا فيها كمأة ورمان وحوت وكرفس ، فلما أكلت قمت فتنحيت فجاءت سحابة فحملته وأنا أنظر إلى بياض ثيابه فيها تهوى قبل السماء » انتهى (قوله ألا تتقون الله) أى تمتثلون أوامره وتجتنبون نواهيه (قوله و به سمى البلد) أى ثانيا وأما أولا فاسمها بك فقط فلما عبد بعل سميت بعلبك (قوله مضافا إلى بك) أى مضموما إليه و إلا فالتركيب امزجى لاإضافى (قوله وتذرون) عطف على تدعون فهو داخل فى حيز الانكار (قوله أحسن الخالقين) أى المصورين لأنه سبحانه وتعالى يصور الصورة و يلبسها الروح وغيره تصور من غير روح (قوله برفع الثلاثة الخ) أى والقراءتان سبعيتان (قوله فانهم نجوا منها) أشار بذلك إلى أن الاستثناء من الواو فى لمحضرون كأنه قال فكذبوه فانهم لمحضرون إلا الذين تابوا من تكذيبهم وأخلصوا فانهم غير محضرين .

(قوله قيل هو إلياس المتقدم) أى وعليه فهو مفرد مجرور بالفتحة للعلمية والعجمة وهى لغة ثانية فيه (قوله وقيل هو الخ) أى وعليه فهو مجرور بالياء لكونه جمع مذكر سالما (قوله المراد به إلياس أيضا) أى فأطلق الأول وأراد به مايشمله وقومه المؤمنين به فتحصل أن فى الآية ثلاث عبارات الياس فى أولها والياسين وآل ياسين فى آخرها وكلها سبعية (قوله وإن لوطا لمن المرسلين) عطف على ماقبله أيضا عطف قصة على قصة (قوله اذكر إذ نجيناه الخ) قدر المفسر اذكر اشارة إلى أن الظرف متعلق بمحذوف ولم يجعله متعلقا بقوله المرسلين لأنه يوهم أنه قبل النجاة لم يكن رسولا مع أنه قبل رسول النجاة و بعدها (قوله وأهله) المراد بهم بنتاه (قوله إلا عجوزا) هى امرأته (قوله أى وقت الصباح) بيان لمعناه فى الأصل وقوله يعنى بالنهار بيان للمراد منه وقوله و بالليل عطف على مصبحين وهو حال أخرى (قوله أفلا تعقلون) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه والتقدير أتشاهدون ذلك فلا تعقلون (قوله وإن يونس لمن المرسلين) هو ابن متى وهو ابن العجوز التى نزل عليها الياس فاستخفى عندها من قومه ستة أشهر و يونس صبى يرضع وكانت أم يونس تخدمه بنفسها وتؤانسه ولا تدخر عنه كرامة تقدر عليها ، ثم إن الياس أذن له فى السياحة فلحق بالجبال ومات يونس ابن المرأة فخرجت فى أثر إلياس نطوف وراءه فى الجبال حتى وجدته فسألته أن يدعو الله لها لعله يحيى لها ولدها فجاء إلياس الى الصبى بعد أربعة عشر يوما مضت من موته فتوضأ وصلى ودعا الله فأحيا الله تعالى يونس بن متى بدعوة إلياس عليه السلام وأرسل الله يونس إلى أهل نينوى من أرض الموصل وكانوا يعبدون الأصنام (قوله إذ أبق) ظرف لمحذوف تقديره اذكر كما تقدم نظيره وقوله أبق بابه فتح والاباق فى الأصل الهرب من السيد و إطلاقه على هرب يونس استعارة تصريحية فشبه خروجه بغير إذن ربه باباق العبد من سيده (قوله حين غاضب قومه) المفاعلة على بابها لأنهم غاضبوه بعدم الانقياد له والايمان به وهو غضب عليهم (قوله فركب السفينة) أى باجتهاد منه لظنه أنه إن بقى بينهم قتلوه لأنهم كانوا يقتلون كل من ظهر عليه كذب فركوب السفينة ليس معصية لربه لاصغيرة ولا كبيرة ومؤاخذته بحبسه فى بطن الحوت على مخالفته الأولى فان الأولى له انتظار الاذن من الله تعالى هذا هو الصواب فى تحقيق المقام ، وهناك أقوال أخر اعتقادها يضر فى العقيدة والعياذ بالله تعالى (قوله فوقفت) أى من غير سبب وقوله فى لجة البحر المراد به الدجلة (قوله فقال الملاحون الخ) أى وكان من عادتهم أن السفينة إذا كان فيها آبق أومذنب لم تسر (قوله قارع أهل السفينة) أى غالبهم قيل مرة واحدة ، وقيل ثلاثا (قوله فألقوه فى البحر) قدره اشارة إلى أن قوله فالتقمه الحوت مرتب على محذوف (قوله أى آت بما يلام عليه) أى أو المعنى وهو مليم نفسه (قوله بقوله كثيرا) استفيدت الكثرة من جعله من المسبحين (قوله قبرا له) أى بأن يموت فيبقى فى بطنه ميتا وقيل بأن يبقى على حياته .

قيل هو إلياس المتقدم ذكره وقيل هو ومن آمن معه لجمعوا معه تغليباً كقولهم المهلب وقومه المهلبون وعلى قراءة آل ياسين بالمد أى أهله المراد به إلياس أيضاً (إِنَّا كَذَٰلِكَ) كما جزيناه (نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ . إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ . وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ) اذكر (إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ . إِلَّا عَجُوزًا فِى الْغَابِرِينَ) أى الباقين فى العذاب (ثُمَّ دَمَّرْنَا) أهلكنا (الْآخَرِينَ) كفار قومه (وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ) على آثارهم ومنازلهم فى أسفاركم (مُصْبِحِينَ) أى وقت الصباح يعنى بالنهار (وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) يا أهل مكة ما حل بهم فتعتبرون به (وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ . إِذْ أَبَقَ) هرب (إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ) السفينة المملوءة حين غاضب قومه لما لم ينزل بهم العذاب الذى وعدهم به فركب السفينة فوقفت فى لجة البحر فقال الملاحون هنا عبد أبق من سيده تظهره القرعة (فَسَاهَمَ) قارع أهل السفينة (فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ) المغلوبين بالقرعة فألقوه فى البحر (فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ) ابتلعه (وَهُوَ مُلِيمٌ) أى آت بما يلام عليه من ذهابه إلى البحر وركوبه السفينة بلا إذن من ربه (فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ) الذاكرين بقوله كثيراً فى بطن الحوت : لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين (لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ) لصار بطن الحوت قبراً له إلى يوم القيامة

(فنبذناه

(فَنَبَذْنَاهُ) ألقيناه من بطن الحوت (بِالْعَرَاءِ) بوجه الأرض : أى بالساحل من يومه أو بعد ثلاثة أو سبعة أيام أو عشرين أو أربعين يوماً (وَهُوَ سَقِيمٌ) عليل كالفرخ الممعط (وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ) وهى القرع تظله بساق على خلاف العادة فى القرع معجزة له وكانت تأتيه وعلة صباحاً ومساء يشرب من لبنها حتى قوى (وَأَرْسَلْنَاهُ) بعد ذلك كقبله إلى قوم بنينوى من أرض الموصل (إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ) بل (يَزِيدُونَ) عشرين أو ثلاثين أو سبعين ألفاً (فَآمَنُوا) عند معاينة العذاب الموعودين به (فَمَتَّعْنَاهُمْ) أبقيناهم ممتعين بما لهم (إِلَى حِينٍ) تنقضى آجالهم فيه (فَاسْتَفْتِهِمْ) استخبر كفار مكة توبيخاً لهم (أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ) بزعمهم أن الملائكة بنات الله (وَلَهُمُ الْبَنُونَ) فيختصون بالأسنى (أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ) خلقنا فيقولون ذلك (أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ) كذبهم (لَيَقُولُونَ . وَلَدَ اللَّهُ) بقولهم الملائكة بنات الله (وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) فيه (أَصْطَفَى) بفتح الهمزة للاستفهام واستغنى بها عن همزة الوصل فحذفت أى اختار (الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ . مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) هذا الحكم الفاسد (أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) بادغام التاء فى الذال أنه سبحانه وتعالى منزه عن الولد

(قوله فنبذناه) أى أمرنا الحوت بنبذه فنبذه (قوله بالعراء) أى الأرض المتسعة التى لانبات بها (قوله من يومه) أى فالتقمه ضحى ونبذه عشية وما ذكره المفسر خمسة أقوال : الأول للشعبي والثانى لمقاتل والثالث لعطاء والرابع للضحاك والخامس للسدى (قوله الممعط) بضم الميم الأولى وتشديد الثانية مفتوحة بعدها عين مهملة بعدها طاء مهملة أيضا : أى المنتوف الشعر (قوله وهى القرع) خص بذلك لأنه بارد الظل لين الملمس كبير الورق لا يعلوه الذباب وماذكره المفسر أحد أقوال فى تفسير اليقطين ، وقيل كانت شجرة التين ، وقيل شجرة الموز تغطى بورقه واستظل بأغصانه وأفطر على ثماره (قوله وعلة) إما بفتح الواو والعين أو بكسر الواو وسكون العين هى الغزالة (قوله كقبله) جواب عما يوهم أنه قبل خروجه لم يكن مرسلا (قوله بنينوى) بكسر النون الأولى وياء ساكنة ونون مضمومة وألف مقصورة بعد الواو (قوله أو يزيدون) جعل المفسر أو للاضراب بمعنى بل ويصح أن تكون للشك بالنسبة للمخاطبين أى إن الرائى يشك عند رؤيتهم أو للابهام بمعنى أن الله أبهم أمرهم أو الاباحة والتخيير بمعنى أن الناظر يباح له أو يخير بين أن يحزرهم بكذا أو كذا (قوله عند معاينة العذاب) أى عند حضور أمارته ولذا نفعهم إيمانهم وأما مثل فرعون فلم يؤمن إلا بعد حصول العذاب بالفعل وأيضا قوم يونس أخلصوا فى إيمانهم وفرعون لم يخلص وإنما إيمانه عند الغرغرة لدفع الشدة : ولو ردوا لعادوا (قوله بما لهم) بفتح اللام أى بالذى ثبت لهم من النعم وتقدم بسط قصة يونس فى سورة يونس فراجعها إن شئت (قوله فاستفتهم) الفاء واقعة فى جواب شرط مقدر تقديره إذا علمت ماتقدم للأمم من شركهم ومخالفتهم لأنبيائهم فاستفتهم : أى اطلب من أهل مكة الخبر لأجل توبيخهم وإقامة الحجة عليهم (قوله توبيخا لهم) أى فليس الاستفتاء على سبيل الاستعلام والافادة بل هو على سبيل التقريع والتوبيخ لهم (قوله ألربك البنات ولهم البنون) أى ألهذه القسمة الجائرة وجه فإنهم كفروا من وجهين الأول نسبة الولد لله سبحانه وتعالى من حيث هو الثانى كونه خصوص الأنثى فإنهم لايرضون بنسبتها لأنفسهم بل إما أن يمسكوها على الهوان أو يدفنوها حية فكيف يرضونها لله عز وجل ويختصون بالبنين (قوله فيختصون بالأسنى) أى الأشرف وهو الذكور ، وفى نسخة بالأبناء (قوله أم خلقنا الملائكة إناثا) أم منقطعة تفسر ببل والهمزة فهو إضراب عما زعموا ورد عليهم ، وهذا بمعنى قوله تعالى ـ وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا أشهدوا خلقهم ـ الآية (قوله وهم شاهدون) الجملة حالية : أى والحال أنهم معاينون لخلقهم (قوله ألا إنهم من إفكهم) استئناف لبيان إبطال ماهم عليه كأنه قيل ليس لهم مستند إلا الكذب الصريح والافتراء القبيح (قوله وإنهم لكاذبون فيه) أى فى قولهم الملائكة بنات الله (قوله واستغنى بها) أى بهمزة الاستفهام فى التوصل للنطق بالساكن والاستفهام للتوبيخ والتقريع (قوله ما لكم كيف تحكمون) أى أى شىء ثبت واستقر لكم من حكمكم بهذا الحكم الجائر حيث تثبتون أخس الجنسين فى زعمكم لله سبحانه وتعالى (قوله بادغام التاء فى الذال) أى أو بتاء واحدة من غير إدغام قراءتان سبعيتان .

(قوله أم لكم سلطان مبين) انتقال من توبيخهم إلى إلزامهم الحجة بما لاوجود له ولا يقدرون على إثباته (قوله التوراة) الصواب إسقاطه لأن الخطاب مع المشركين والتوراة ليست لهم (قوله وجعلوا بينه) التفات من الخطاب للغيبة إشارة إلى أنهم بعيدون من رحمة الله وليسوا أهلا لخطابه (قوله لاجتنانهم عن الأبصار) أى استتارهم عنها (قوله ولقد علمت الجنة الخ) هذا زيادة فى تبكيتهم وتكذيبهم كأنه قيل هؤلاء الملائكة الذين عظمتموهم وجعلتموهم بنات الله أعلم بحالكم ومايئول إليه أمركم ويحكمون بتعذيبكم على سبيل التأبيد (قوله سبحان الخ) هذا من كلام الملائكة تنزيه لله تعالى عماوصفه به المشركون بعد تكذيبهم لهم فكأنه قيل ولقد علمت الملائكة أن المشركين لمعذبون بقولهم ذلك وقالوا سبحان الله عما يصفون به لكن عباد الله المخلصين الذين نحن من جملتهم برآء من هذا الوصف وقوله فإنكم وماتعبدون تعليل وتحقيق لبراءة المخلصين ببيان عجزهم عن إغوائهم (قوله استثناء منقطع) أى من الواو فى يصفون وهو فى قوة الاستدراك رفع به مايتوهم ثبوته أو نفيه كأنه قال تنزه الله عن وصف الكفار له تعالى ، وأما وصف المؤمنين المخلصين له فلا يتنزه عنه لأنهم لايصفونه تعالى إلا بالكمالات (قوله أى على معبودكم) أشار بذلك إلى أن الضمير فى عليه عائد على ما وعلى هذا فالواو للمعية وما مفعول معه سادة مسد خبر إن (قوله بفاتنين) مفعوله محذوف قدره المفسر بقوله أحدا والمعنى أنكم مع معبودكم لستم بمفسدين أحدا إلا من سبقت له الشقاوة فى علم الله (قوله إلا من هو صال الجحيم) استثناء من المفعول الذى قدره المفسر وصال مرفوع بضمة مقدرة على الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين فهو معتل كقاض (قوله فى علم الله تعالى) أى من علم الله أنه من أهل الجحيم فإنه يميل إلى الكفر وأهله (قوله وما منا إلا له مقام معلوم) هذا حكاية عن اعتراف الملائكة بالعبودية ردا على عبدتهم . والمعنى ليس منا أحد إلا له مقام معلوم فى المعرفة والعبادة وامتثال مايأمرنا الله تعالى به . قال ابن عباس : مافى السموات موضع شبر إلا وعليه ملك يصلى ويسبح قيل إن هذه الثلاث آيات نزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند سدرة المنتهى فتأخر جبريل ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم أهنا تفارقنى فقال جبريل ما أستطيع أن أتقدم من مكانى هذا وأنزل الله تعالى حكاية عن الملائكة وما منا إلا له مقام معلوم الآيات ، وفى الحديث «مافى السموات موضع قدم إلا عليه ملك ساجد أو قائم» (قوله أحد) قدره إشارة إلى أن فى الآية حذف الموصوف وإبقاء صفته وهو مبتدأ والخبر جملة قوله إلا له مقام معلوم والتقدير ما أحد منا إلا له مقام معلوم (قوله أقدامنا فى الصلاة) أشار بذلك إلى أن المفعول محذوف (قوله مخففة من الثقيلة) أى واللام فارقة . والمعنى أن قريشا كانت تقول قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم لو أن لنا كتابا مثل كتاب الأولين لأخلصنا العبادة لله تعالى . وهذا نظير قوله تعالى وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم (قوله فكفروا به) الفاء للفصيحة مرتب على ماقبله (قوله فسوف يعلمون) أى فى الدنيا والآخرة والتعبير بسوف تهديد لهم كقولك لمن تريد ضربه مثلا سوف ترى ما توعد به وأنت

(أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ) حجة واضحة أن لله ولدا (فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ) التوراة فأرونى ذلك فيه (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) فى قولكم ذلك (وَجَعَلُوا) أى المشركون (بَيْنَهُ) تعالى (وَبَيْنَ الْجِنَّةِ) أى الملائكة لاجتنانهم عن الأبصار (نَسَبًا) بقولهم إنها بنات الله (وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ) أى قائلى ذلك (لَمُحْضَرُونَ) للنار يعذبون فيها (سُبْحَانَ اللَّهِ) تنزيها له (عَمَّا يَصِفُونَ) بأن لله ولدا (إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ) أى المؤمنين استثناء منقطع : أى فإنهم ينزهون الله تعالى عما يصفه هؤلاء (فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ) من الأصنام (مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ) أى على معبودكم وعليه متعلق بقوله (بِفَاتِنِينَ) أى أحدا (إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ) فى علم الله تعالى قال جبريل للنبى صلى الله عليه وسلم (وَمَا مِنَّا) معشر الملائكة أحد (إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ) فى السموات يعبد الله فيه لا يتجاوزه (وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ) أقدامنا فى الصلاة (وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ) المنزهون الله عما لايليق به (وَإِنْ) مخففة من الثقيلة (كَانُوا) أى كفار مكة (لَيَقُولُونَ لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا) كتابا (مِنَ الْأَوَّلِينَ) أى من كتب الأمم الماضية (لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ) العبادة له قال تعالى (فَكَفَرُوا بِهِ) أى بالكتاب الذى جاءهم وهو القرآن الأشرف من تلك الكتب (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) عاقبة كفرهم (ولقد

مضارع فيه فسوف للوعيد لا للتبعيد (قوله ولقد سبقت كلمتنا الخ) هذه تسلية له صلى الله عليه وسلم وإنما صدرت هذه الجملة بالقسم لتأكيد الاعتناء بتحقيق مضمونها (قوله كلمتنا بالنصر) إنما سمى الوعد بالنصر كلمة مع أنه كلمات لكون معنى الكل واحدا (قوله وهى لأغلبنّ أنا ورسلى) أى فيكون قوله إنهم لهم المنصورون جملة مستأنفة وقوله أوهى قوله إنهم الخ أى وعليه فيكون بدلا من كلمتنا أو تفسيرا لها (قوله وإن جندنا) الجند فى الأصل الأنصار والأعوان ، والمراد منه أنصار دين الله وهم المؤمنون كما قال المفسر (قوله وإن لم ينتصر بعض منهم الخ) دفع بهذا مايقال قد شوهدت غلبة الكفار على المؤمنين فى بعض الأزمان فأجاب بأن النصر إما فى الآخرة للجميع أو فى الدنيا للبعض فالمؤمنون منصورون على كل حال . وأجيب أيضا بأن الأنبياء المأذون لهم فى القتال لابد لهم من النصر فى الدنيا ولا تقع لهم هزيمة أبدا ، وإنما إن وقع للكفار بعض غلبة كما فى أحد فهو لحكم عظيمة ولا تبيت على المؤمنين بل ينصرون عليهم بصريح قوله تعالى إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله الآية وأما غيرهم فتارة ينصرون فى الدنيا وتارة لا وإنما ينصرون فى الآخرة (قوله تؤمر فيه بقتالهم) أى فكان أولا مأمورا بالتبليغ والصبر ، ثم لما كان فى السنة الثانية من الهجرة أمر صلى الله عليه وسلم بالجهاد

(وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا) بالنصر (لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ) وهى : لأغلبنّ أنا ورسلى ، أوهى قوله : (إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ . وَإِنَّ جُنْدَنَا) أى المؤمنين (لَهُمُ الْغَالِبُونَ) الكفار بالحجة والنصرة عليهم فى الدنيا وإن لم ينتصر بعض منهم فى الدنيا ففى الآخرة (فَتَوَلَّ عَنْهُمْ) أى أعرض عن كفار مكة (حَتَّى حِينٍ) تؤمر فيه بقتالهم (وَأَبْصِرْهُمْ) إذا نزل بهم العذاب (فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ) عاقبة كفرهم فقالوا استهزاء متى نزول هذا العذاب ؟ قال تعالى تهديداً لهم (أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ . فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ) بفنائهم قال الفراء : العرب تكتفى بذكر الساحة عن القوم (فَسَاءَ) بئس صباحاً (صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ) فيه إقامة الظاهر مقام المضمر (وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ . وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ) كرر تأكيداً لتهديدهم وتسلية له صلى الله عليه وسلم (سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ) الغلبة (عَمَّا يَصِفُونَ) بأن له ولداً (وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ) المبلغين عن الله التوحيد والشرائع (وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) على نصرهم وهلاك الكافرين .

وغزواته سبع وعشرون غزوة قاتل فى ثمان منها بنفسه : بدر وأحد والمصطلق والخندق وقريظة وخيبر وحنين والطائف (قوله وأبصرهم إذا نزل بهم العذاب) أى من القتل والأسر والمراد بالأمر الدلالة على أن ذلك قريب كأنه واقع مشاهد (قوله عاقبة كفرهم) أى من نزول العذاب بساحتهم (قوله تهديدا لهم) أى فليس الاستفهام على حقيقته بل المقصود تهديدهم (قوله تكتفى بذكر الساحة) أى تستغنى على سبيل الكفاية فالمعنى فاذا نزل بهم العذاب فشبه العذاب بجيش هجم عليهم فأناخ بفنائهم بغتة وهم فى ديارهم ففى ضمير العذاب استعارة بالكناية والنزول تخييل (قوله بئس صباحا) أشار بهذا إلى أن الفاعل ضمير والتمييز محذوف والمذكور مخصوص والأوضح ماقاله غيره من أن المذكور هو الفاعل والمخصوص محذوف وعليه فالتقدير بئس صباح المنذرين صباحهم (قوله فيه إقامة الظاهر مقام المضمر) أى فى التعبير بالمنذرين وكان مقتضى الظاهر أن يقال صباحهم (قوله سبحان ربك الخ) الغرض من هذا تعليم المؤمنين أن يقولوه ولا يغفلوا عنه لما روى عن على كرم الله وجهه قال : من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه إذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون الخ وعن أبى سعيد الخدرى قال «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مرة ولا مرتين يقول فى آخر صلاته أوحين ينصرف سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين» (قوله رب العزة) أضيف الرب إلى العزة لاختصاصه بها كأنه قيل ذى العزة ، وقيل المراد العزة المخلوقة الكائنة بين خلقه ويترتب على كل من القولين مسئلة اليمين فعلى الأول ينعقد بها اليمين لأنها من صفات الله تعالى ، وعلى الثانى لاينعقد لأنها من صفات المخلوق (قوله وسلام على المرسلين) تعميم للرسل بالتسليم بعد تخصيص بعضهم .

(سورة ص)

مكية ست أو ثمان وثمانون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم . ص) الله أعلم بمراده به (وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ) أى البيان أو الشرف وجواب هذا القسم محذوف : أى ما الأمر كما قال كفار مكة من تعدد الآلهة (بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا) من أهل مكة (فِي عِزَّةٍ) حمية وتكبر عن الإيمان (وَشِقَاقٍ) خلاف وعداوة للنبى صلى الله عليه وسلم (كَمْ) أى كثيرا (أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ) أى أمة من الأمم الماضية (فَنَادَوْا) حين نزول العذاب بهم (وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ) أى ليس الحين حين فرار والتاء زائدة والجملة حال من فاعل نادوا أى استغاثوا والحال أن لا مهرب ولا منجى وما اعتبر بهم كفار مكة (وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ) رسول من أنفسهم ينذرهم ويخوفهم النار بعد البعث وهو النبى صلى الله عليه وسلم (وَقَالَ الْكَافِرُونَ) فيه وضع الظاهر موضع المضمر (هَٰذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ) ،

[سورة ص] أى ويقال لها سورة داود (قوله مكية) أى كلها (قوله أو ثمان) أو لحكاية الخلاف (قوله الله أعلم بمراده به) تقدّم غير مرة أن هذا القول أسلم لأن تفويض الأمر المتشابه لعلم الله تعالى هو غاية الأدب . واعلم أن فى لفظ ص قراآت خمسة السبعة على السكون لاغير والباقى شاذ وهو الضمّ والفتح من غير تنوين والكسر بتنوين وبدونه فالضم على أنه خبر لمحذوف على أنه اسم للسورة : أى هذه ص ومنع من الصرف للعلمية والتأنيث والفتح إما على أنه مفعول لمحذوف تقديره اقرأ ونحوه أومبنى على الفتح كأين وكيف والأوّل أقرب والكسر بغير تنوين للتخلص من التقاء الساكنين وبالتنوين مجرور بحرف قسم محذوف وصرف بالنظر إلى اللفظ (قوله أى البيان) أى لما يحتاج إليه فى أمر الدين ، وقوله أوالشرف : أى أن من آمن به كان شريفا فى الدنيا والآخرة . قال تعالى ـ لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم ـ أى شرفكم وأيضا القرآن شريف فى ذاته من حيث اشتماله على المواعظ والأحكام وغيرهما فهو شريف فى نفسه مشرف لغيره ، وقيل المراد بالذكر ذكر أسماء الله تعالى وتمجيده ، وقيل المراد به الموعظة ، وقيل غير ذلك (قوله وجواب هذا القسم محذوف الخ) هذا أحد أقوال وهو أحسنها وقيل تقديره إنك لمن المرسلين كما فى يس ، وقيل هو قوله كم أهلكنا وفيه حذف اللام والأصل لكم أهلكنا وإنما حذفت لطول الكلام نظير حذفها فى قوله ـ قد أفلح من زكاها ـ بعد قوله والشمس وقيل غير ذلك (قوله بل الذين كفروا) إضراب وانتقال من قصة إلى قصة (قوله من أهل مكة) خصهم بالذكر لأنهم سبب النزول وإلا فالمراد كل كافر (قوله أى كثيرا) أشار بذلك إلى أن كم خبرية بمعنى كثيرا مفعول أهلكنا ومن قرن تمييز لها (قوله ولات حين) اختلفت المصاحف فى رسم التاء فبعضهم رسمها مفصولة وبعضهم رسمها متصلة بحين وينبنى على هذا الاختلاف الوقف فبعضهم يقف على التاء وبعضهم على لا ومن يقف على التاء اختلفوا ، فجمهور السبعة يقفون على التاء المجرورة إتباعا لمرسوم الخط الشريف والأقل منهم يقف بالهاء ، وهذا الوقف الاختبار لأنه من جملة الأوقاف الجائزة (قوله مناص) المناص يطلق على المنجى والفرّ والتقدّم والتأخر وكل هنا يناسب المقام (قوله أى ليس الحين الخ) أشار بذلك إلى مذهب الخليل وسيبويه فى لات من حيث إنها تعمل عمل ليس وان اسمها محذوف وهو وخبرها لفظ الحين ، وإلى ذلك أشار ابن مالك بقوله :

وما للات فى سوى حين عمل ‍ ‍ ‍ وحذف ذى الرفع فشا والعكس قلّ

(قوله والتاء زائدة) أى لتأكيد النفى (قوله من فاعل نادوا) أى وهو الواو (قوله وما اعتبر) معطوف على كم أهلكنا (قوله وعجبوا الخ) أى جعلوا مجىء رسول من جنسهم أمرا خارجا عن طوق العقل فيتعجب منه (قوله من أنفسهم) أى من جنسهم (قوله فيه وضع الظاهر الخ) أى زيادة فى التقبيح عليهم وإشعارا بأن كفرهم جسرهم على هذا القول (قوله ساحر) أى فيما يظهره من الخوارق كذاب : أى فيما يسنده إلى الله من الإرسال والإنزال .

أجعل

(قوله أجعل الآلهة الخ) الاستفهام تعجبي : أى كيف يعلم الجميع ويقدر على التصرف فيهم إله واحد ، وسبب هذا التعجب قياسهم القديم على الحادث ولم يعلموا أنه واحد لامن قلة بل وحدته وحدة تعزز وانفراد تنزه الله عن مماثلة الحوادث له (قوله عجيب) أشار بذلك إلى أن عجاب مبالغة فى عجيب (قوله عند أبى طالب) روى « أنه لما أسلم عمر شق ذلك على قريش فاجتمع خمسة وعشرون من صناديدهم فأتوا أباطالب فقالوا : أنت شيخنا وكبيرنا وقد علمت مافعل هؤلاء السفهاء وجئناك لتقضى بيننا وبين ابن أخيك ، فأحضره وقال له يا ابن أخى هؤلاء قومك يسألونك السواء والانصاف فلا تمل كل الميل على قومك ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم ماذا تسألونى ؟ فقالوا ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا وندعك وإلهك ، فقال أرأيتكم إن أعطيتكم ماسألتم أمعطى أنتم كلمة واحدة تملكون بها رقاب العرب وتدين لكم العجم ؟ فقالوا نعم وعشر أمثالها ، فقال قولوا لا إله إلا الله ، فقاموا وانطلقوا قائلين : امشوا واصبروا على آلهتكم » (قوله أى يقول بعضهم الخ) أشار بذلك إلى أن أن تفسيرية وضابطها موجود وهو تقدم جملة فيها معنى القول دون حروفه (قوله واصبروا على آلهتكم) أى استمروا على عبادتها (قوله إن هذا) تعليل للأمر بالصبر (قوله يراد منا) أى يقصد منا تنفيذه فلا انفكاك لنا عنه

(قوله ماسمعنا بهذا الخ) أى

أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا) حيث قال لهم قولوا : لا إله إلا الله أى كيف يسع الخلق كلهم إله واحد (إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ) أى عجيب (وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ) من مجلس اجتماعهم عند أبى طالب وسماعهم فيه من النبى صلى الله عليه وسلم قولوا : لا إله إلا الله (أَنِ امْشُوا) أى يقول بعضهم لبعض امشوا (وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ) اثبتوا على عبادتها (إِنَّ هَٰذَا) المذكور من التوحيد (لَشَيْءٌ يُرَادُ) منا (مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ) أى ملة عيسى (إِنْ) ما (هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ) كذب (أَأُنْزِلَ) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين وتركه (عَلَيْهِ) على محمد (الذِّكْرُ) القرآن (مِنْ بَيْنِنَا) وليس بأكبرنا ولا أشرفنا ؟ أى لم ينزل عليه ، قال تعالى (بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي) وحيى أى القرآن حيث كذبوا الجائى به (بَلْ لَمَّا) لم (يَذُوقُوا عَذَابِ) ولو ذاقوه لصدقوا النبى صلى الله عليه وسلم فيما جاء به ولا ينفعهم التصديق حينئذ (أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ) الغالب (الْوَهَّابِ) من النبوة وغيرها فيعطونها من شاءوا (أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا) إن زعموا ذلك (فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ) الموصلة إلى السماء فيأتوا بالوحى فيخصوا به من شاءوا ، وأم فى الموضعين بمعنى همزة الإنكار (جُنْدٌ مَا) أى هم جند حقير (هُنَالِكَ) أى فى تكذيبهم لك (مَهْزُومٌ) ،

وإنما سمعنا فيها التثليث (قوله بتحقيق الهمزتين) أى فالقراآت أربع سبعيات (قوله أى لم ينزل عليه) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفى (قوله بل هم فى شك) إضراب عن مقدر تقديره إنكارهم للذكر ليس عن علم بل هم فى شك منه (قوله بل لما يذوقوا عذاب) إضراب انتقالى لبيان سبب الشك والمعنى سببه أنهم لم يذوقوا العذاب إلى الآن ولو ذاقوه لأيقنوا بالقرآن وآمنوا به (قوله لم يذوقوا) أشار بذلك إلى أن لما بمعنى لم ، فالمعنى لم يذوقوه إلى الآن وذوقهم له متوقع فاذا ذاقوه زال عنهم الشك وصدقوا وتصديقهم حينئذ لاينفعهم (قوله حينئذ) أى حين ذاقوه (قوله أم عندهم خزائن رحمة ربك) المعنى أن النبوة عطية من الله يتفضل بها على من يشاء من عباده فلامانع له (قوله الغالب) أى الذى لايغلبه شىء بل هو الغالب لكل شىء (قوله الوهاب) أى الذى يهب ما يشاء لمن يشاء (قوله أم لهم ملك السموات والأرض) المعنى ليس لهم تصرف فى العالم الذى هو من جملة خزائن رحمته فمن أين لهم التصرف فيها (قوله فليرتقوا فى الأسباب) الفاء واقعة فى جواب شرط مقدر قدره بقوله : إن زعموا ذلك : أى المذكور من العندية والملكية ، والمعنى فليصعدوا فى المعاريج التى يتوصل بها إلى العرش حتى يستووا عليه ويدبروا أمر العالم وينزلوا الوحى على من يختارون (قوله بمعنى همزة الانكار) أى وبعضهم قدرها ببل والهمزة (قوله أى هم جند) أشار بذلك إلى أن جند خبر لمحذوف والتنوين للتقليل والتحقير ومالتأكيد القلة (قوله هنالك) ظرف لجند أو لمهزوم (قوله مهزوم) أى مقهور ومغلوب ، والمعنى أن قريشا جند حقير قليل من الكفار المتحزبين على الرسل مهزوم مكسور عن قريب فلا تكترث بهم وتسل عنهم

(قوله صفة جند أيضا) أى فقد وصف جند بصفات ثلاث : الأولى ما والثانية مهزوم والثالثة من الأحزاب (قوله وأولئك) أى الأحزاب (قوله كذبت قبلهم قوم نوح الخ) استئناف مقرر لمضمون ماقبله ببيان تفاصيل الأحزاب (قوله باعتبار المعنى) أى وهو أنهم أمة (قوله كان يتد) من باب وعد أى يدق ويغرز والأوتاد جمع وتد بفتح الواو وكسر التاء على الأفصح (قوله يشد إليها يديه الخ) أى ويضجعه مستلقيا على ظهره (قوله ويعذبه) قيل يتركه حتى يموت ، وقيل يرسل عليه العقارب والحيات ، وقيل معنى ذو الأوتاد ذو الملك الثابت أو ذو الجموع الكثيرة وفى الأوتاد استعارة بليغة حيث شبه الملك ببيت الشعر وهو لايثبت إلا بأوتاد (قوله أى الغيضة) أى الأشجار الملتفة المجتمعة ، وتقدم أنهم أهلكوا بالظلة (قوله أولئك الأحزاب) بدل من الطوائف المذكورة وقوله إن كل الخ استئناف جىء به تقريرا لتكذيبهم وبيانا لكيفيته وتمهيدا لما يعقبه وإن نافية لاعمل لها لانتقاض النفى بإلا (قوله لأنهم الخ) جواب عن سؤال كيف يقال إن كلا كذب الرسل مع أن كل أمة كذبت رسولا واحدا (قوله وما ينظر هؤلاء) شروع فى بيان عقاب كفار مكة إثر بيان عقاب إخوانهم الأحزاب (قوله وهى نفخة القيامة) أى الثانية (قوله مالها من فواق) الجملة فى محل نصب صفة لصيحة ومن مزيدة فى المبتدإ (قوله بفتح الفاء وضمها) أى فهما قراءتان سبعيتان بمعنى واحد وهو الزمان الذى بين حلبتى الحالب ورضعتى الراضع ، والمعنى مالها من توقف

صفة جند (مِنَ الْأَحْزَابِ) صفة جند أيضاً : أى كالأجناد من جنس الأحزاب المتحزبين على الأنبياء قبلك وأولئك قد قهروا وأهلكوا فكذا نهلك هؤلاء (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ) تأنيث قوم باعتبار المعنى (وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ) كان يتد لكل من يغضب عليه أربعة أوتاد يشد إليها يديه ورجليه ويعذبه (وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ) أى الغيضة وهم قوم شعيب عليه السلام (أُولَٰئِكَ الْأَحْزَابُ . إِنْ) ما (كُلٌّ) من الأحزاب (إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ) لأنهم إذا كذبوا واحداً منهم فقد كذبوا جميعهم لأن دعوتهم واحدة وهى دعوة التوحيد (فَحَقَّ) وجب (عِقَابِ . وَمَا يَنْظُرُ) ينتظر (هَٰؤُلَاءِ) أى كفار مكة (إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً) وهى نفخة القيامة تحل بهم العذاب (مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ) بفتح الفاء وضمها : رجوع (وَقَالُوا) لما نزل : فأما من أوتى كتابه بيمينه الخ (رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا) أى كتاب أعمالنا (قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ) قالوا ذلك استهزاء ، قال تعالى (اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ) أى القوة فى العبادة ، كان يصوم يوماً ويفطر يوماً ويقوم نصف الليل وينام ثلثه ويقوم سدسه (إنه

قدر فواق ناقة ، وقال ابن عباس مالها من رجوع من أفاق المريض إذا رجع إلى صحته وقد مشى عليه المفسر وكل صحيح (قوله لما نزل فأما من أوتى كتابه الخ) أى الذى فى سورة الحاقة (قوله قطنا) أى نصيبنا وحظنا وأصله من قط الشىء أى قطعه (قوله أى كتاب أعمالنا) سمى قطا لأنه مقطوط أى مقطوع لأن صحيفة الأعمال قطعة ورق مقطوعة من غيرها (قوله قبل يوم الحساب) أى فى الدنيا (قوله اصبر على مايقولون) فيه تهديد للكفار وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله واذكر عبدنا داود الخ) المقصود من ذكر تلك القصص إظهار فضل المتقدمين وتسليته صلى الله عليه وسلم على أذى قومه فيقتدى بمن قبله لكونه سيد الجميع فهو أولى بالصبر والاضافة فى عبدنا لتشريف المضاف (قوله ذا الأيد) مصدر مفرد بوزن البيع من آد يئيد إذا قوى واشتد وليس جمع يد (قوله كان يصوم يوما ويفطر يوما) أى وهو جهاد للنفس دليل على قوة داود لأن النفس كالطفل فاذا فطمها عن شهوتها بالصوم يوما أطلقها فى اليوم الثانى ثم يعود لفطمها ، ولا شك أنه جهاد عظيم (قوله ويقوم نصف الليل الخ) هكذا فى بعض النسخ موافقة لما فى القرطبى والبيضاوى وأبى السعود وفى بعض النسخ كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه وهو الموافق لما فى الصحيحين من قوله عليه الصلاة والسلام «إن أحب الصيام إلى الله صيام داود ، وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود كان يصوم يوما ويفطر يوما وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه» ولما فى الجامع الصغير من قوله عليه الصلاة والسلام «أحب الصيام إلى الله صيام داود كان يصوم يوما ويفطر يوما ، وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه» ولعله كان أحيانا هكذا وأحيانا هكذا .

(قوله إنه أواب) تعليل لكونه ذاقوّة فى الدين (قوله إلى مرضاة الله) المرضاة بمعنى الرضا (قوله إنا سخرنا الجبال) تعليل آخر لقوّته فى الدين (قوله يسبحن) أى بلسان المقال ويسرن معه فى السياحة والجملة حالية من مفعول سخرنا (قوله وقت صلاة العشاء) ظاهره أن المراد بها العشاء الأخيرة، والذى يفهم من كلام غيره أنها المغرب حيث قال: فكان داود يسبح إثر صلاته عند طلوع الشمس وعند غروبها (قوله ويتناهى ضوؤها) أى وهو ربع النهار (قوله والطير محشورة) بالنصب فى قراءة العامة معطوف على الجبال وقرئ شذوذا بالرفع مبتدأ وخبر (قوله كل له أواب) أشار المفسر إلى أن الضمير فى له عائد على داود. وحينئذ فالمعنى كل من الجبال والطير مطيع لداود فى تسبيحه إن رفع رفعوا وإن خفض خفضوا وهو أحد قولين والآخر أنه عائد على الله تعالى، والمعنى كل من داود والجبال والطير مطيع لله تعالى (قوله بالحرس) بفتحتين اسم جمع كخدم أو بضم الحاء وفتح الراء المشدّدة جمع حارس (قوله ثلاثون ألف رجل) فى رواية ابن عباس ستة وثلاثون ألفا (قوله النبوّة والاصابة فى الأمور) هذا أحد أقوال فى تفسير الحكمة، وقيل هى العلم بكتاب الله تعالى، وقيل العلم والفقه، وقيل السنة (قوله البيان الشافى) أى الاظهار المنبه للمخاطب من غير التباس، وهو أحد أقوال فى تفسير فصل

(إِنَّهُ أَوَّابٌ) رجاع إلى مرضاة الله (إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ) بتسبيحه (بِالْعَشِيِّ) وقت صلاة العشاء (وَالْإِشْرَاقِ) وقت صلاة الضحى، وهو أن تشرق الشمس ويتناهى ضوؤها (وَ) سخرنا (الطَّيْرَ مَحْشُورَةً) مجموعة إليه تسبح معه (كُلٌّ) من الجبال والطير (لَهُ أَوَّابٌ) رجاع إلى طاعته بالتسبيح (وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ) قوّيناه بالحرس والجنود وكان يحرس محرابه فى كل ليلة ثلاثون ألف رجل (وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ) النبوة والإصابة فى الأمور (وَفَصْلَ الْخِطَابِ) البيان الشافى فى كل قصد (وَهَلْ) معنى الاستفهام هنا التعجيب والتشويق إلى استماع ما بعده (أَتَاكَ) يامحمد (نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ) محراب داود أى مسجده حيث منعوا الدخول عليه من الباب لشغله بالعبادة أى خبرهم وقصتهم (إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ) نحن (خَصْمَانِ) قيل فريقان ليطابق ما قبله من ضمير الجمع وقيل اثنان والضمير بمعناهما، والخصم يطلق على الواحد وأكثر وهما ملكان جاءا فى صورة خصمين وقع لهما ما ذكر على سبيل العرض لتنبيه داود عليه السلام على ما وقع منه، وكان له تسع وتسعون امرأة وطلب امرأة شخص ليس له غيرها،

الخطاب، وقيل الفصل فى القضاء، وقيل هو البينة على المدعى واليمين على من أنكر، وقيل هو أما بعد، وقيل غير ذلك (قوله التعجيب) أى حمل المخاطب على التعجب أو إيقاعه فى العجب (قوله إلى استماع ما بعده) أى لكونه أمرا غريبا كقولك لجليسك: هل تعلم ماوقع اليوم تريد أن يستمع لكلامك ثم تذكر له ما وقع (قوله إذ تسوّروا) ظرف لمضاف محذوف تقديره نبأ تخاصم الخصم ولا يصح أن يكون ظرفا لأتاك لأن إتيان النبأ كائن فى عهد رسول الله لا فى عهد داود ولا لنبأ لأن النبأ واقع فى عهد داود فلا يصح إتيانه رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله أى مسجده) أى الذى كان يدخله للاشتغال بالعبادة والطاعة (قوله حيث منعوا الدخول عليه من الباب) أى لكونهم أتوه فى اليوم الذى كان يشتغل فيه بالعبادة فمنعهم الحرس الدخول عليه من الباب (قوله ففزع منهم) أى لأنهم نزلوا من أعلى على خلاف العادة والحرس حوله (قوله قالوا لاتخف) جواب سؤال مقدر كأنه قيل: ماذا قالوا لما شاهدوا فزعه؟ فقال قالوا لا تخف (قوله قيل فريقان) هذا مبنى على أن الداخل عليه كان أزيد من اثنين، فكان المتخاصمين والشاهدين المزكيين (قوله وقيل اثنان) أى شخصان وهو مبنى على أن الداخل المتداعيان فقط (قوله والخصم يطلق الخ) أى لأنه فى الأصل مصدر (قوله وهما ملكان) قيل هما جبريل وميكائيل (قوله على سبيل العرض) بالعين المهملة: أى التعريض وهو جواب عما يقال إن الملائكة معصومون فكيف يتصوّر منهم البغى أو الكذب. فأجاب بأن هذا على سبيل التعريض للمخاطب فلا بغى فيه ولا كذب (قوله لتنبيه داود) أى إيقاظه على ماصدر منه (قوله وكان له تسع الخ) بيان لما وقع منه (قوله وطلب امرأة شخص) هو وزيره أوريا بن حنان لسر عظيم وهو كما قيل إنها أم سليمان عليه السلام.

(قوله وتزوجها ودخل بها) مشى المفسر على أن داود سأل أوريا طلاق زوجته ثم بعد وفاء عدتها تزوجها داود ودخل بها وهو أحد أقوال ثلاثة . والثانى أن داود لما تعلق بها قلبه أمر أوريا أن يذهب للجهاد ليقتل فيتزوجها ففعل ، فلما قتل فى الجهاد تزوجها داود والثالث أن أوريا لم يكن متزوجا بها وإنما خطبها فقط فخطبها داود على خطبته وتزوجها ، وكان ذلك كله جائزا فى شرعه وإنما عاتبه الله لرفعة قدره ، وللسيد أن يعاتب عبده على مايقع منه وإن كان جائزا من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين (قوله ولا تشطط) العامة على ضم التاء من أشطط إذا تجاوز الحد وقرئ شذوذا تشطط بفتح التاء وضم الطاء وتشط من أشط رباعيا إلا أنه أدغم وتشطط من شطط وتشاطط (قوله إن هذا أخى الخ) مرتب على مقدر تقديره فقال لهما داود تكلما فقال أحدهما إن هذا أخى الخ (قوله أى على دينى) أى فليس المراد أخوة النسب ، لأن الملائكة لا يلدون ولا يوصفون بذكورة ولا أنوثة (قوله يعبر بها عن المرأة) أى يكنى بها عن المرأة لسكونها وعجزها ، وقد يكنى عنها بالبقرة والناقة (قوله أى اجعلنى كافلها) هذا هو معناه الأصلى ، والمراد هنا ملكنيها وانزل لى عنها (قوله وعزنى فى الخطاب) أى فهو أفصح منى فى الكلام فالغلبة له على لضعفى (قوله وأقره الآخر) أى المدعى عليه وهو جواب عما يقال كيف حكم داود ولم يسمع شيئا من المدعى عليه ؟ فأجيب بأنه سمع منه الاقرار والاعتراف (قوله بسؤال نعجتك) من إضافة المصدر لمفعوله والفاعل محذوف أى بأن سألك نعجتك

(قوله ليضمها) أشار بذلك إلى أنه ضمن السؤال معنى الاضافة والضم

وتزوجها ودخل بها (بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ) تجر (وَاهْدِنَا) أرشدنا (إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ) وسط الطريق الصواب (إِنَّ هَٰذَا أَخِي) أى على دينى (لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً) يعبر بها عن المرأة (وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا) أى اجعلنى كافلها (وَعَزَّنِي) غلبنى (فِي الْخِطَابِ) أى الجدال وأقره الآخر على ذلك (قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ) ليضمها (إِلَىٰ نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ) الشركاء (لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ) ما لتأكيد القلة فقال الملكان صاعدين فى صورتيهما إلى السماء قضى الرجل على نفسه فتنبه داود ، قال تعالى (وَظَنَّ) أى أيقن (دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ) أوقعناه فى فتنة : أى بلية بمحبته تلك المرأة (فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا) أى ساجدا (وَأَنَابَ . فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ) أى زيادة خير فى الدنيا (وَحُسْنَ مَآبٍ) مرجع فى الآخرة ،

(قوله من الخلطاء الشركاء) أى الذين خلطوا أموالهم وفيه إشارة إلى أن داود ساير ظاهر دعواهم (قوله إلا الذين آمنوا) استثناء متصل (قوله فتنبه داود) أى علم أنهما يريدانه بهذا التعريض (قوله أنما فتناه) ما زائدة ، والمعنى وظن داود أنا فتناه فتنبه ولاحظ ، والظن هنا بمعنى اليقين كما أشار له المفسر (قوله فاستغفر ربه) أى طلب منه المغفرة ، وتقدم أنه ليس بذنب وإنما هو من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين (قوله أى ساجدا) عبر بالركوع عنه لأن كلا منهما فيه انحناء (قوله وأناب) أى رجع إلى مولاه . قال المفسرون : سجد داود أربعين يوما لا يرفع رأسه إلا لحاجة أو لوقت صلاة مكتوبة ثم يعود ساجدا إلى تمام الأربعين يوما لا يأكل ولا يشرب وهو يبكى حتى نبت العشب حول رأسه وهو ينادى ربه عز وجل ويسأله التوبة ، وكان من دعائه فى سجوده : سبحان الملك الأعظم الذى يبتلى الخلق بما يشاء سبحان خالق النور سبحان الحائل بين القلوب سبحان خالق النور ، إلهى خليت بينى وبين عدوى إبليس فلم أقم لفتنته إذ نزلت بى سبحان خالق النور ، إلهى أنت خلقتنى وكان فى سابق علمك ما أنا إليه صائر سبحان خالق النور ، إلهى الويل لداود إذا كشف عنه الغطاء فيقال هذا داود الخاطئ سبحان خالق النور ، إلهى بأى عين أنظر إليك يوم القيامة وإنما ينظر الظالمون من طرف خفى سبحان خالق النور ، إلهى بأى قدم أقدم أمامك يوم القيامة يوم تزل أقدام الخاطئين سبحان خالق النور ، إلهى من أين يطلب العبد المغفرة إلا من عند سيده سبحان خالق النور ، إلهى أنا لا أطيق حر شمسك فكيف أطيق حر نارك سبحان خالق النور ، إلهى أنا لا أطيق صوت رعدك فكيف أطيق صوت جهنم سبحان خالق النور ، إلهى الويل لداود من الذنب العظيم الذى أصابه سبحان خالق النور ، إلهى كيف يستتر الخاطئون بخطاياهم دونك وأنت تشاهدهم حيث كانوا سبحان خالق النور ، إلهى قد تعلم سرى وعلانيتى فاقبل معذرتى

سبحان خالق النور ، إلهى اغفر لى ذنوبى ولا تباعدنى من رحمتك لهوانى سبحان خالق النور ، إلهى أعوذ بوجهك الكريم من ذنوبى التى أوبقتنى سبحان خالق النور ، إلهى فررت إليك بذنوبى واعترفت بخطيئتى فلا تجعلنى من القانطين ولاتخزنى يوم الدين سبحان خالق النور . قيل مكث داود أربعين يوما لايرفع رأسه حتى نبت المرعى من دموع عينيه حتى غطى رأسه ، فنودى باداود أجائع أنت فتطعم أظمآن أنت فتسقى أمظلوم أنت فتنصر فأجيب فى غير ماطلب ولم يجبه فى ذكر خطيئته بشىء فخزن حتى هاج ماحوله من العشب فاحترق من حرارة جوفه ثم أنزل الله تعالى له التوبة والمغفرة بقوله : فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب . وقد ورد أنه لما قبل الله توبته بكى على خطيئته ثلاثين سنة لايرقأ دمعه ليلا ولانهارا وكان سنه إذ ذاك سبعين سنة فقسم الدهر على أربعة أيام : يوم للقضاء ويوم لنسائه ويوم يسبح فى الجبال والفيافى والسياحة ويوم يخلو فى دار له فيها أربعة آلاف محراب فيجتمع إليه الرهبان ينوح معهم على نفسه فاذا كان يوم سياحته خرج إلى الفيافى ويرفع صوته بالبكاء فتبكى معه الأشجار والرمال والطيور والوحوش حتى يسيل من دموعهم مثل الأنهار ثم يجىء إلى الساحل فيرفع صوته بالبكاء فتبكى معه دواب البحر وطير الماء فاذا كان يوم نوحه على نفسه نادى مناديه إن اليوم يوم نوح داود على نفسه فليحضره من يساعده ويدخل الدار التى فيها المحاريب فيبسط فيها ثلاثة فرش من مسوح حشوها ليف فيجلس عليها ويجىء أربعة آلاف راهب فيجلسون فى تلك المحاريب ثم يرفع داود عليه السلام صوته بالبكاء والرهبان معه فلايزال يبكى حتى يغرق الفراش من دموعه ويقع داود فيها مثل الفرخ يضطرب فيجىء ابنه سليمان فيحمله . وقد ورد أيضا أنه لما تاب الله على داود قال يارب غفرت لى فكيف لى أن لاأنسى خطيئتى فأستغفر منها وللخاطئين إلى يوم القيامة ، فوسم الله خطيئته فى يده اليمنى فما رفع فيها طعاما ولاشرابا إلابكى إذا رآها وماقام خطيبا فى الناس إلا وبسط

(يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ) تدبر أمر الناس (فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى) أى هوى النفس (فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) أى عن الدلائل الدالة على توحيده (إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) أى عن الإيمان بالله (لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا) بنسيانهم (يَوْمَ الْحِسَابِ) المرتب عليه تركهم الإيمان ولو أيقنوا بيوم الحساب لآمنوا فى الدنيا (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا) أى عبثا ،

راحته فاستقبل بها الناس ليروا وسم خطيئته واستغفروكان يبدأ إذا دعا للخاطئين قبل نفسه ، وكان قبل الخطيئة يقوم نصف الليل ويصوم نصف الدهر فلما كان من خطيئته ما كان صام الدهر كله وقام الليل كله ، وكان إذا ذكر عقاب الله تعالى انخلعت أوصاله وإذا ذكر رحمة الله تراجعت اه ملخصا (قوله ياداود إنا جعلناك خليفة فى الأرض) يحتمل أنه كلام مستأنف بيان للزلفى فى قوله : وإن له عندنا لزلفى ، ويحتمل أنه مقول لقول محذوف معطوف على قوله ـ فغفرنا له ـ كأنه قيل فغفرنا له وقلنا ياداود الخ وفى هذه الآية دليل على أن خلافته التى كانت قبل الفتنة باقية مستمرة بعد التوبة (قوله تدبر أمر الناس) أى لكونك ملكا وسلطانا عليهم ، فقد جمع لداود عليه السلام بين النبوّة والسلطنة وكان فيمن قبله النبوة مع شخص والسلطنة مع آخر فيحكم السلطان بما يأمره به النبى (قوله بالحق) أى العدل لأن الأحكام إذا كانت موافقة لما أمر الله به صلحت الخلق واستقام نظامهم بخلاف ما إذا كانت موافقة لهوى النفس فانّ ذلك يؤدّى إلى فساد النظام ووقوع الهرج والمرج المؤدّى للهلاك وهو معنى قولهم : العدل إن دام عمر والظلم إن دام دمر (قوله ولا تتبع الهوى) المقصود من نهيه إعلام أمته بأنه معصوم ولتتبعه فيما أمر به لأنه إذا كان هذا الخطاب للمعصوم فغيره أولى (قوله فيضلك عن سبيل الله) بالنصب فى جواب النهى وهو أولى من جعله مجزوما عطفا على النهى وفتح للتخلص من التقاء الساكنين (قوله أى عن الدلائل الدالة على توحيده) إنما فسر السبيل بذلك وإن كان شاملا لفروع الدين الموصلة إلى الله تعالى ليوافق قوله: لهم عذاب شديد الخ (قوله بنسيانهم) أشار بذلك إلى أن مامصدرية والباء سببية وقوله يوم الحساب إما ظرف لقوله : لهم عذاب شديد أومفعول لنسوا (قوله المرتب عليه الخ) أى فالسبب الحقيقى فى حصول العذاب لهم هو ترك الإيمان ونسيان يوم الحساب سبب فى ترك الايمان فاكتفى بذكر السبب (قوله وماخلقنا السماء والأرض الخ) استئناف لتقرير ماقبله من البعث والحساب (قوله باطلا) نعت لمصدر محذوف أى خلقة باطلا أوحال من ضمير الخلق .

(قوله ذلك ظنّ الذين كفروا) أي مظنونهم (قوله فويل) هو في الأصل معناه الهلاك أي هلاك ودمار للذين كفروا وعبر بالظاهر تقبيحا عليهم وإشارة إلى أن ظنهم إنما نشأ من أجل كفرهم (قوله أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات الخ) أم منقطعة تفسر ببل والهمزة وهو إضراب انتقالي من أمر البعث والحساب إلى بيان عدم استواء المؤمنين والكافرين في العواقب وهو نظير قوله تعالى: أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات الآية (قوله أم نجعل المتقين الخ) تنويع آخر في الإضراب والمعنى واحد (قوله بمعنى همزة الانكار) أي مع بل التي للاضراب (قوله خبر مبتدإ محذوف) أي وأنزلناه صفة كتاب ومبارك خبر مبتدإ محذوف أو خبر ثان لا صفة ثانية للكتاب لأنه يلزم عليه الوصف بالجملة قبل الوصف بالمفرد وفيه خلاف (قوله ينظروا في معانيها) أي يتأملوا فيها فيزدادوا معرفة ونورا على حسب مشاربهم فان التالين للقرآن على مراتب فالعامة يقرءونه مرتلا مجوّدا مراعى بعض معانيه على حسب الطاقة، والخاصة يقرءونه ملاحظين أنهم في حضرة الله

(ذَلِكَ) أي خلق ما ذكر لا لشيء (ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا) من أهل مكة (فَوَيْلٌ) واد (لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ. أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ) نزل لما قال كفار مكة للمؤمنين إنا نعطى في الآخرة مثل ما تعطون وأم بمعنى همزة الإنكار (كِتَابٌ) خبر مبتدإ محذوف أي هذا (أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا) أصله يتدبروا أدغمت التاء في الدال (آيَاتِهِ) ينظروا في معانيها فيؤمنوا (وَلِيَتَذَكَّرَ) يتعظ (أُولُوا الْأَلْبَابِ) أصحاب العقول (وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ) ابنه (نِعْمَ الْعَبْدُ) أي سليمان (إِنَّهُ أَوَّابٌ) رجاع في التسبيح والذكر في جميع الأوقات (إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ) هو ما بعد الزوال (الصَّافِنَاتُ) الخيل جمع صافنة وهي القائمة على ثلاث وإقامة الأخرى على طرف الحافر وهو من صفن يصفن صفونا (الْجِيَادُ) جمع جواد وهو السابق، المعنى أنها إذا استوقفت سكنت وإن ركضت سبقت وكانت ألف فرس عرضت عليه بعد أن صلى الظهر لإرادته الجهاد عليها لعدو فعند بلوغ العرض منها تسعمائة غربت الشمس ولم يكن صلى العصر فاغتم (فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ) أي أردت (حُبَّ الْخَيْرِ) أي الخيل (عَنْ ذِكْرِ رَبِّي) أي صلاة العصر (حَتَّى تَوَارَتْ) أي الشمس (بِالْحِجَابِ) أي استترت بما يحجبها عن الأبصار (رُدُّوهَا عَلَيَّ) أي الخيل المعروضة فردوها (فَطَفِقَ مَسْحًا) بالسيف (بِالسُّوقِ) جمع ساق (وَالْأَعْنَاقِ)،

تعالى يقرءون كلامه عليه، وخاصة الخاصة يقرءون فانين عن أنفسهم مشاهدين أن لسانهم ترجمان عن الله تعالى رضي الله عنهم وعنا بهم (قوله أولوا الألباب) خصهم بالتذكر لأنهم المنتفعون بالتذكر (قوله ووهبنا لداود) أي من المرأة التي أخذها من أوريا وكان سنه إذ ذاك سبعين سنة (قوله أي سليمان) تفسير للمخصوص بالمدح (قوله إذ عرض عليه) ظرف لمحذوف تقديره اذكر يا محمد لقومك وقت أن عرض الخ والمعنى اذكر القصة الواقعة في ذلك الوقت (قوله ما بعد الزوال) أي إلى الغروب (قوله وهي القائمة) أي الواقفة على ثلاث قوائم (قوله على طرف الحافر) أي من رجل أو يد اى (قوله وهو من صفن) أي مأخوذ منه والصافن من الآدميين الذي يصف قدميه ويفرق بينهما وجمعه صفون (قوله جمع جواد) وقيل جمع جيد يطلق على كل من الذكر والأنثى مأخوذ من الجودة أو الجيد وهو العنق، والمعنى طويلة العنق لفراهتها (قوله المعنى) أي معنى الصافنات الجياد (قوله وكانت ألف فرس) روي أنه غزا أهل دمشق ونصيبين وأصاب منهم ألف فرس، وقيل أصابها أبوه من العمالقة فوضع يده عليها لبيت المال، وقيل خرجت له من البحر ولها أجنحة (قوله لارادة الجهاد) أي ليختبرها (فقال إني أحببت الخ) أي على وجه الاعتذار عما صدر منه وندما عليه وضمن أحببت معنى آثرت فعداه بعن (قوله أي الخيل) إنما سماها خيرا لتعلق الخير بها لما في الحديث «الخير معقود بنواصي الخيل إلى يوم القيامة» (قوله بالحجاب) أي وهو جبل دون جبل قاف بمسيرة سنة تغرب من ورائه (قوله ردّوها عليّ) الخطاب لأتباعه المتولين أمر الخيل والضمير عائد على التي شغلته وهي التسعمائة، وأما المائة الأخرى فلم يذبحها، وما في أيدي الناس من الخيل الجياد فمن نسل تلك المائة .

(قوله أى ذبحها وقطع أرجلها) أى وكان مباحا له ولذا لم يعاتبه الله عليه وهذا قول ابن عباس وأكثر المفسرين ، وقيل الضمير فى قوله ردوها عائد على الشمس والخطاب للملائكة الموكلين بها فردوها فصلى العصر فى وقتها ، وقال الفخر الرازى معنى قوله فطفق مسحا بالسوق والأعناق أنه يمسحها حقيقة بيده ليختبر عيوبها وأمراضها لكونه كان أعلم بأحوال الخيل والاشارة إلى أنه بلغ من التواضع إلى أنه يباشر الأمور بنفسه ولم يحصل منه ذبح ولاعقر ولم تفت عليه صلاة ، ومعنى إنى أحببت حب الخير عن ذكر ربى : أى لأجل طاعة ربى لالهوى نفسى ، ومعنى توارت بالحجاب : أى الخيل غابت عن بصره حين أمر باجرائها ليختبرها للغزو فقال ردوها علىّ فردوها فصار يمسح فى أعناقها وسوقها كما تقدم وليس فى الآية مايدل على ثبوت ذبح ولا عقر ولافوات صلاة اه بالمعنى (قوله ولقد فتنا سليمان الخ) أجمل المفسر فى القصة . وحاصل تفصيلها على مارواه وهب بن منبه قال سمع سليمان بمدينة فى جزيرة من جزائر البحر يقال لها صيدون وبها ملك عظيم الشأن ولم يكن للناس إليه سبيل لمكانه فى البحر وكان الله تعالى قد آتى سليمان فى ملكه سلطانا لايمتنع عليه شىء فى بر ولا بحر وإنما يركب إليه الريح فخرج إلى تلك المدينة تحمله الريح على ظهر الماء حتى نزل بجنوده من الجن والانس فقتل ملكها وسبى مافيها وأصاب فيما أصاب بنتا لذلك الملك يقال لها جرادة لم ير مثلها حسنا ولا جمالا فاصطفاها لنفسه ودعاها إلى الاسلام فأسلمت على جفاء منها وقلة فقه وأحبها حبا لم يحب مثله أحدا من نسائه وكانت على منزلتها عنده لايذهب حزنها ولا يرقأ دمعها فشق ذلك على سليمان ، فقال لها ويحك ماهذا الحزن الذى لايذهب والدمع الذى لا يرقأ ، قالت إن أبى أذكره وأذكر ماكه وماكان فيه وما أصابه فيحزننى ذلك ، فقال سليمان فقد أبدلك الله به ملكا هو أعظم من ذلك قالت إن ذلك كذلك ولكننى إذا ذكرته أصابنى ماترى من الحزن فلو أنك أمرت الشياطين فصوروا لى صورته فى دارى التى أنا فيها أراها بكرة وعشية لرجوت أن يذهب ذلك حزنى وأن يسلى عنى بعض ما أجد فى نفسى فأمر سليمان الشياطين ، فقال مثلوا لها صورة أبيها فى دارها حتى لا تنكر منه شيئا فمثلوه لها حتى نظرت إلى أبيها بعينه إلا أنه لاروح فيه فعمدت

أى ذبحها وقطع أرجلها تقربا إلى الله تعالى حيث اشتغل بها عن الصلاة وتصدق بلحمها فعوضه الله تعالى خيرا منها وأسرع ، وهى الريح تجرى بأمره كيف شاء (وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ) ابتليناه بسلب ملكه وذلك ،

إليه حين صنعوه فالبسته ثيابا مثل ثيابه التى كان يلبسها ، ثم كانت إذا خرج سليمان من دارها تغدوا إليه فى ولائدها : أى جواريها فتسجد له ويسجدن له كما كانت تصنع فى ملكه : أى أبيها وتروح فى كل عشية بمثل ذلك وسليمان لايعلم بشىء من ذلك أربعين صباحا وبلغ ذلك إلى آصف بن برخيا وكان صديقا له وكان لا يرد عن أبواب سليمان أية ساعة أراد دخول شىء من بيوته دخل سواء كان سليمان حاضرا أو غائبا فأتاه وقال يانبى الله إن غير الله يعبد فى دارك منذ أربعين صباحا فى هوى امرأة فقال سليمان فى دارى قال فى دارك قال فانا لله وإنا إليه راجعون ثم رجع سليمان إلى داره فكسر ذلك الصنم وعاقب تلك المرأة وولائدها ثم أمر بثياب الطهيرة فأتى بها وهى ثياب لايغزلها إلا الأبكار ولاينسجها إلا الأبكار ولا يغسلها إلا الأبكار لم تمسها يد امرأة قدرأت الدم فلبسها ثم خرج إلى فلاة من الأرض وحده وأمر برماد ففرش له ثم أقبل تائبا إلى الله تعالى حتى جلس على ذلك الرماد وتمعك به فى ثيابه تذللا إلى الله تعالى وتضرعا إليه يبكى ويدعو ويستغفر مما كان فى داره فلم يزل كذلك يومه حتى أمسى ، ثم رجع إلى داره وكانت له أم ولد يقال لها الأمينة كان إذا دخل الخلاء أو أراد إصابة امرأة من نسائه وضع خاتمه عندها حتى يتطهر وكان لا يمس خاتمه إلا وهو طاهر وكان ملكه فى خاتمه فوضعه يوما عندها ، ثم دخل مذهبه فأتاها شيطان اسمه صخر المارد بن عمير فى صورة سليمان لاتنكر منه شيئا فقال هات خاتمى يا أمينة فناولته إياه فجعله فى يده ثم خرج حتى جلس على سرير سليمان وعكفت عليه الطير والوحش والجن والانس وخرج سليمان فأتى الأمينة وقد تغيرت حالته وهيئته عند كل من رآه فقال يا أمينة خاتمى قالت من أنت قال سليمان بن داود فقالت كذبت قد جاء سليمان وأخذ خاتمه وهو جالس على سرير ملكه فعرف سليمان أن خطيئته أدركته فخرج وجعل يقف على الدار من دور بنى إسرائيل ويقول أنا سليمان ابن داود فيحثون عليه التراب ويقولون انظروا إلى هذا المجنون يزعم أنه سليمان ، فلما رأى ذلك عمد إلى البحر فكان ينقل الحيتان لأصحاب السوق ويعطونه كل يوم سمكتين فاذا أمسى باع إحدى سمكتيه بأرغفة ويشوى الأخرى فيأكلها فمكث على ذلك أربعين صباحا عدة ماكان يعبد الوثن فى داره ثم إن آصف وعظماء بنى إسرائيل أنكروا حكم عدو الله الشيطان فى تلك المدة فقال آصف

يامعشر بنى إسرائيل هل رأيتم من اختلاف حكم ابن داود مارأيتم فقالوا نعم ، فلما مضى أربعون صباحا طار الشيطان عن مجلسه ، ثم مر بالبحر فقذف الخاتم فيه فأخذته سمكة فأخذها بعض الصيادين وقد عمل له سليمان صدر يومه . فلما أمسى أعطاه سمكتيه فباع سليمان إحداها بأرغفة و بقر بطن الأخرى ليشويها فاستقبله خاتمه فى جوفها فأخذه وجعله فى يده وخر لله ساجدا وعكفت عليه الطير والجن وأقبل الناس عليه وعرف أن الذى دخل عليه من أجل ماحدث فى داره فرجع إلى ملكه وأظهر التوبة من ذنبه وأمر الشياطين أن يأتوه بصخر المارد فأتى به فأدخله فى جوف صخرة وسد عليه بأخرى ، ثم أوثقهما بالحديد والرصاص ، ثم أمر به فقذف فى البحر فهو باق فيها إلى النفخة ، وسيأتى رد تلك القصة وأنها من موضوعات الأخباريين (قوله لتزوجه بامرأة) أى واسمها جرادة (قوله هواها) قياسه هويها بمعنى أحبها من باب صدى وأما هوى كرمى فهو بمعنى سقط ، وفى نسخة يهواها وهى ظاهرة (قوله وكانت تعبد الصنم) أى وهو صورة أبيها ومدة ذلك أربعون يوما (قوله وكان ملكه فى خاتمه) أى كان ملكه مترتبا على لبسه إياه فاذا لبسه سخرت له الريح والجن والشياطين وغيرها وإذا نزعه زال عنه ذلك ، وكان خاتمه من الجنة وهو من جملة الأشياء التى نزل بها آدم من الجنة وقد نظمها بعضهم بقوله :

وآدم معه أنزل العود والعصا لموسى من الآس النبات المكرّم
وأوراق تين والعيين بمكة وختم سليمان النبى المعظم

وقوله العود المراد به عود البخور وقوله والعيين بمكة المراد به الحجر الأسود وورد فى الحديث «أن نقش خاتم

لتزوجه بامرأة هواها وكانت تعبد الصنم فى داره من غير علمه وكان ملكه فى خاتمه فنزعه مرة عند إرادة الخلاء ووضعه عند امرأته المسماة بالأمينة على عادته ، فجاءها جنىّ فى صورة سليمان فأخذه منها (وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا) هو ذلك الجنى ، وهوصخر أو غيره جلس على كرسى سليمان وعكفت عليه الطير وغيرها فخرج سليمان فى غير هيئته فرآه على كرسيه وقال للناس أنا سليمان فأنكروه (ثُمَّ أَنَابَ) رجع سليمان إلى ملكه بعد أيام بأن وصل إلى الخاتم فلبسه وجلس على كرسيه (قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِى ،

سليمان لا إله إلا الله محمد رسول الله » (قوله ووضعه عند امرأته) فى عبارة غيره أم ولده المسماة بالأمينة (قوله هو ذلك الجنى) أى وسمى جسدا لأنه ليس فيه روح سليمان وإن كان فيه روحه هو لأن الجسد هو الجسم الذى لاروح فيه (قوله وهو صخر) أى ابن عمير المارد (قوله فى غيرهيئته) أى المعتادة التى كانوا يعرفونه بها (قوله رجع سليمان إلى ملكه) هذا التفسير مبنى على أن قوله ثم أناب مرتبط بقوله وألقينا على كرسيه جسدا وقال وهب وغيره إنه مرتبط بقوله ولقد فتنا سليمان ومعنى إنابته رجوعه إلى الله تعالى وتوبته (قوله بعدأيام) أى أربعين قال القاضى عياض وغيره من المحققين لايصح مانقله الأخباريون من تشبه الشيطان بسليمان وتسلطه على ملكه وتصرفه فى أمته بالجور فى حكمه وإن الشياطين لايسلطون على مثل هذا وقد عصم الله تعالى الأنبياء من مثل هذا والذى ذهب إليه المحققون أن سبب فتنته ماأخرجاه فى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «قال سليمان : لأطوفن الليلة على تسعين امرأة » وفى رواية « على مائة امرأة كلهن يأتى بفارس يجاهد فى سبيل الله تعالى فقال له صاحبه قل إن شاء الله فلم يقل إن شاء الله فطاف عليهن جميعا فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل وايم الله الذى نفسى بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا فى سبيل الله فرسانا أجمعون» قال العلماء والشق هو الجسد الذى ألقى على كرسيه وفتنته من نسيان المشيئة فامتحن بهذا فتاب ورجع وقيل إن المراد بالجسد الذى ألقى على كرسيه أنه ولد له ولد فاجتمعت الشياطين وقال بعضهم لبعض إن عاش له ولد لم تنفك من البلاء فسبيلنا أن نقتل ولده أو نخبله فعلم بذلك سليمان فأمر السحاب فحمله فكان يربيه فى السحاب خوفا من الشياطين فبينما هو مشتغل فى بعض مهماته إذ ألقى ذلك الولد ميتا على كرسيه فعاتبه الله على خوفه من الشياطين حيث لم يتوكل عليه فى ذلك فتنبه واستغفر ربه ، إذا علمت ذلك فالمناسب أن يعرج على مافى الصحيحين وتترك تلك القصة البشعة (قوله قال رب اغفرلى) إنما قال ذلك تواضعا وإظهارا للخضوع لمولاه عز وجل وإلا فهو لم يحصل منه ذنب وإنما هو من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين .

(قوله وهب لى ملكا الخ) قدم طلب المغفرة اهتماما بأمر الدين (قوله لا ينبغى لأحد من بعدى) اى ليكون معجزة لى فليس طلبه للمفاخرة بأمور الدنيا وإنما كان هو من بيت النبوة والملك وكان فى زمن الجبارين وتفاخرهم بالملك فطلب ما يكون معجزة لقومه ومعجزة كل نبى ما اشتهر فى عصره (قوله إنك أنت الوهاب) تعليل للدعاء بالمغفرة والهبة (قوله فسخرنا له الريح) أى أعدنا له تسخير الريح بعد ما كان قد ذهب بزوال ملكه ، وهذا على ما مشى عليه المفسر وعلى ما مشى عليه المحققون فيقال أدمنا تسخيرها (قوله تجرى بأمره) بيان لتسخيرها له (قوله رخاء) حال من الريح (قوله لينة) أى غير عاصفة وهذا فى أثناء سيرها وأما فى أوله فهى عاصفة فكانت العاصفة تقلع البساط والرخاء تسيره (قوله بأمره) أى إياها فالمصدر مضاف لفاعله (قوله كل بناء) بدل من الشياطين (قوله وآخرين) عطف على كل بناء ، وذلك أن سليمان قسم الشياطين إلى عملة استخدمهم فى الأعمال الشاقة من البناء والغوص ونحو ذلك وإلى مقرنين فى السلاسل كالمردة والعتاة (قوله القيود) من المعلوم أن القيد يكون فى الرجل فلا يلتئم مع قوله : بجمع أيديهم الخ فلو فسر الأصفاد بالأغلال لكان أولى لأنها تطلق عليها كما تطلق على القيود (قوله وقلنا له هذا) أى هذا الملك عطاؤنا (قوله بغير حساب) فيه ثلاثة أوجه : أحدها أنه متعلق بعطاؤنا : أى أعطيناك بغير حساب وبغير حصر . الثانى أنه حال من عطاؤنا : أى فى حال كون عطائنا غير محاسب عليه . والثالث أنه متعلق بامنن أو أمسك والمعنى أعط من شئت وامنع من شئت لا حساب عليك فى إعطاء ولا منع. قال الحسن : ما أنعم الله نعمة على أحد إلا عليه فيها تبعة إلا سليمان فانه إن أعطى أجر وإن لم يعط لم يكن عليه تبعة (قوله وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب) أى زيادة خير فى الدنيا والآخرة (قوله واذكر عبدنا أيوب) عطف على قوله واذكر عبدنا داود عطف قصة على قصة وليس معطوفا على قصة سليمان لأنه لكمال الاتصال بينه وبين أبيه لم يصدر فى قصته بقوله : واذكر عبدنا سليمان مثلا بل كانا كأنهما قصة واحدة ، وتقدم لنا فى الأنبياء أن أيوب بن أموص بن رازح بن روم بن عيص بن إسحق بن إبراهيم عليه السلام ، وقيل إنه ابن عيصو بن إسحق ، وقيل هو ابن أموص بن رغيل بن عيص بن اسحق وتقدمت قصته مفصلة فى سورة الأنبياء (قوله إذ نادى ربه) بدل من عبدنا أو عطف بيان له (قوله أنى مسنى الشيطان) أى حين ابتلى بفقد ماله وولده وتمزيق جسده وهجر جميع الناس له إلا زوجته وكانت مدة بلائه ثلاث سنين، وقيل سبعا ، وقيل عشرا ، وقيل ثمانى عشرة (قوله بنصب) بضم فسكون التعب والمشقة ، وقوله وعذاب عطف سبب على مسبب (قوله تأدبا معه تعالى) أى لأن الشيطان هو السبب فى ذلك لأنه نفخ فى أنفه فمرض جسده ظاهرا وباطنا إلا قلبه ولسانه (قوله وقيل له) أى حين رجا وقت شفائه (قوله فنبعت عين ماء) ظاهره أنها عين واحدة وهو أحد قولين ، وقيل كانتا عينين بأرض الشام فى أرض الجابية فاغتسل من إحداهما فأذهب الله تعالى ظاهر دائه وشرب من الأخرى فأذهب الله باطن دائه وكانت إحدى العينين حارة والأخرى باردة فاغتسل من الحارة وشرب من الأخرى (قوله ووهبنا له أهله) عطف على محذوف قدره المفسر بقوله فاغتسل الخ (قوله من مات من أولاده) أى وكانوا ثلاثة ذكور وثلاث إناث ، وقيل كل صنف سبع (قوله ورزقه مثلهم) أى من زوجته وزيد فى شبابها

وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي) لا يكون (لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي) أى سواى نحو : فمن يهديه من بعد الله أى سوى الله (إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ . فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً) لينة (حَيْثُ أَصَابَ) أراد (وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ) يبنى الأبنية العجيبة (وَغَوَّاصٍ) فى البحر يستخرج اللؤلؤ (وَآخَرِينَ) منهم (مُقَرَّنِينَ) مشدودين (فِي الْأَصْفَادِ) القيود بجمع أيديهم إلى أعناقهم وقلنا له (هَٰذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ) أعط منه من شئت (أَوْ أَمْسِكْ) عن الإعطاء (بِغَيْرِ حِسَابٍ) أى لا حساب عليك فى ذلك (وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ) تقدم مثله (وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي) أى بأنى (مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ) ضر (وَعَذَابٍ) ألم ، ونسب ذلك إلى الشيطان وإن كانت الأشياء كلها من الله تأدبا معه تعالى ، وقيل له (ارْكُضْ) اضرب (بِرِجْلِكَ) الأرض فضرب فنبعت عين ماء فقيل (هَٰذَا مُغْتَسَلٌ) ماء تغتسل به (بَارِدٌ وَشَرَابٌ) تشرب منه فاغتسل وشرب فذهب عنه كل داء كان بباطنه وظاهره (وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ) أى أحيا الله له من مات من أولاده ورزقه مثلهم ،

واسمها قيل رحمة بنت أفرائيم بن يوسف ، وقيل ليا بنت يعقوب (قوله رحمة الخ) مفعول لأجله : أى لأجل رحمتنا إياه ولتذكر بحاله أولوا الألباب (قوله وخذ بيدك ضغثا) عطف على محذوف قدره المفسر بعد بقوله وكان قد حلف الخ (قوله هو حزمة) أى ملء الكف (قوله لإبطائها عليه يوما) واختلف فى سبب بطئها المتسبب عنه حلفه ، فقيل إن الشيطان تمثل فى طريقها فى صورة حكيم يداوى المرضى فمرّت عليه فوجدت الناس منكبين عليه ، فقالت له عندى مريض ، فقال أداويه على أنه إذا برئ قال أنت شفيتنى لا أريد جزاء سواه . قالت نعم ، فأشارت على أيوب بذلك فحلف ليضربنها وقال ويحك ذلك الشيطان وقيل إنها باعت ذوائبها برغيفين حين لم تجد شيئا تحمله إلى أيوب وكان أيوب يتعلق بها إذا أراد القيام فلهذا حلف ليضربنها ، وقيل غير ذلك (قوله ولا تحنث) أى لاتقع فى يمينك بحيث تلزمك كفارته وهذا الحكم من خصوصيات أيوب رفقا بزوجته وأما فى شرعنا فلا يبرّ إلا بضرب المائة وضربه بأعواد مجتمعة لا يعد واحدة منها إلا إذا حصل منه ألم الضربة المنفردة (قوله إنا وجدناه صابرا) أى علمناه ، والمعنى أظهرنا صبره للناس (قوله أيوب) تفسير للمخصوص بالمدح (قوله واذكر عبادنا إبراهيم الخ) أى اذكر صبرهم على ما امتحنوا به (قوله أولى الأيدى) العامة على ثبوت الياء ، وهو جمع يد فيكنى بذلك عن الأعمال

(٣٣٨)

(رَحْمَةً) نعمة (مِنَّا وَذِكْرَى) عظة (لِأُولِي الْأَلْبَابِ) لأصحاب العقول (وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا) هو حزمة من حشيش أو قضبان (فَاضْرِبْ بِهِ) زوجتك وكان قد حلف ليضربنها مائة ضربة لإبطائها عليه يوما (وَلَا تَحْنَثْ) بترك ضربها فأخذ مائة عود من الإذخر أو غيره فضربها به ضربة واحدة (إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ) أيوب (إِنَّهُ أَوَّابٌ) رجاع إلى الله تعالى (وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي) أصحاب القوى فى العبادة (وَالْأَبْصَارِ) البصائر فى الدين ، وفى قراءة عبدنا وإبراهيم بيان له وما بعده عطف على عبدنا (إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ) هى (ذِكْرَى الدَّارِ) الآخرة أى ذكرها والعمل لها وفى قراءة بالإضافة وهى للبيان (وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ) المختارين (الْأَخْيَارِ) جمع خير بالتشديد (وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ) هو نبى واللام زائدة (وَذَا الْكِفْلِ) اختلف فى نبوته قيل كفل مائة نبى فرّوا إليه من القتل (وَكُلٌّ) أى كلهم (مِنَ الْأَخْيَارِ) جمع خير بالتثقيل (هَٰذَا ذِكْرٌ) لهم بالثناء الجميل هنا (وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ) الشاملين لهم (لَحُسْنَ مَآبٍ) مرجع فى الآخرة (جَنَّاتِ عَدْنٍ) بدل أو عطف بيان لحسن مآب (مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ) منها (مُتَّكِئِينَ فِيهَا) على الأرائك ،

لأن أكثر الأعمال إنما يزاول بها ، وقيل المراد بالأيدى النعم وفسرها المفسر بالقوة فى العبادة وكلها معان متقاربة وقرئ شذوذا بحذف الياء تخفيفا (قوله إنا أخلصناهم) تعليل لما وصفوا به من شرف العبودية وعلو الرتبة بالعلم والعمل (قوله بخالصة) صفة لموصوف محذوف تقديره بخصلة خالصة (قوله هى ذكرى الدار) جعلها المفسر خبرا لمحذوف (قوله وفى قراءة الخ) مقابل لما قدره المفسر وهما قراءتان سبعيتان فعلى القراءة الأولى يكون ذكرى مرفوعا على إضمار مبتدإ وعلى الثانى يكون مجرورا بالاضافة وعلامة جرّه كسرة مقدرة على الألف المحذوفة والإضافة بيانية كما قال المفسر (قوله واذكر إسماعيل) فصل ذكره عن ذكر أبيه وأخيه للاشعار بعراقته فى الصبر الذى هو المقصود بذكر مناقبهم (قوله واليسع) هو ابن أخطوب بن العجوز استخلفه الياس على بنى إسرائيل ثم نبأه الله عليهم كما تقدم (قوله اختلف فى نبوته) روى الحاكم عن وهب : أن الله بعث بعد أيوب ابنه بشرا وسماه ذا الكفل فهو بشر بن أيوب اختلف فى نبوته ولقبه والصحيح أنه نبى ، وسمى ذا الكفل إما لما قاله المفسر أو لأنه تكفل بصيام النهار وقيام الليل وأن يقضى بين الناس ولا يغضب فوفى بما التزم وتقدمت قصته فى الأنبياء (قوله أى كلهم) أى المتقدمين من داود إلى هنا (قوله هذا ذكر) جملة من مبتدإ وخبر قصد بها الفصل بين ما قبلها وما بعدها فهى للانتقال من غرض إلى آخر ففيها تخلص من قصة إلى قصة وكذا يقال فى قوله هذا وإن للطاغين الخ (قوله وإن للمتقين الخ) شروع فى بيان أجرهم الجزيل بعد ذكرهم الجميل (قوله الشاملين لهم) أى فالمتقين يشملهم وغيرهم (قوله مفتحة) حال من جنات عدن والعامل فيها ما فى المتقين من معنى الفعل والأبواب مرفوعة باسم المفعول وأل عوض عن الضمير (قوله متكئين) حال من الهاء فى لهم (يدعون) والاقتصار على دعاء الفاكهة للايذان بأن مطاعمهم لمحض التفكه والتلذذ دون التغذى لأنه لا جوع فيها .

(قوله حابسات الأعين) أى لاينظرن إلى غيرهم نظر شهوة وميل (قوله أسنانهن واحدة) أى فقد استوين فى السن والجمال، وقيل معنى أتراب متواخيات لايتباغضن ولا يتغايرن ولا يتحاسدن وكل صحيح (قوله لأجله) أى لأجل وقوعه فيه فوقوعه و إنجازه فيه علة للوعد به فى الدنيا (قوله إن هذا لرزقنا) من كلام الله تعالى، والمعنى أن هذا أى ماذكر من الجنات وأوصافها لرزقنا أى لهو الرزق الذى نتفضل به على عبادنا ماله من نفاد أى انقطاع أبدا (قوله أى دائما الخ) لف ونشر مرتب (قوله هذا) مبتدأ حذف خبره قدره بقوله المذكور وهو تخلص من مآل المتقين لمآل المجرمين فهو بمنزلة أمابعد (قوله و إن للطاغين) أى الكافرين (قوله لشر مآب) مقابل قوله فى حق المتقين لحسن مآب (قوله يصلونها) أى يكوون بها على سبيل التأبيد وهو لازم للدخول (قوله الفراش) أى الغطاء والوطاء (قوله هذا مبتدأ) وحميم وغساق وآخر خبره ومن شكله صفة أولى لآخر وأزواج صفة ثانية له وقوله فليذوقوه جملة معترضة بين المبتدإ والخبر، وهذا أحسن مايقال (قوله محرق) أى للأمعاء لقوله فى الآية الأخرى: وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما قراءتان سبعيتان

(يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ . وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ) حابسات الأعين على أزواجهن (أَتْرَابٌ) أسنانهن واحدة وهن بنات ثلاث وثلاثين سنة، جمع ترب (هَٰذَا) المذكور (مَا تُوعَدُونَ) بالغيبة وبالخطاب التفاتاً (لِيَوْمِ الْحِسَابِ) أى لأجله (إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ) أى انقطاع والجملة حال من رزقنا أو خبر ثان لإن أى دائما أو دائم (هَٰذَا) المذكور للمؤمنين (وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ) مستأنف (لَشَرَّ مَآبٍ . جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا) يدخلونها (فَبِئْسَ الْمِهَادُ) الفراش (هَٰذَا) أى العذاب المفهوم مما بعده (فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ) أى ماء حار محرق (وَغَسَّاقٌ) بالتخفيف والتشديد: ما يسيل من صديد أهل النار (وَآخَرُ) بالجمع والإفراد (مِنْ شَكْلِهِ) أى مثل المذكور من الحميم والغساق (أَزْوَاجٌ) أصناف أى عذابهم من أنواع مختلفة، ويقال لهم عند دخولهم النار بأتباعهم (هَٰذَا فَوْجٌ) جمع (مُقْتَحِمٌ) داخل (مَعَكُمْ) النار بشدة، فيقول المتبوعون (لَا مَرْحَبًا بِهِمْ) أى لاسعة عليهم (إِنَّهُمْ صَالُو النَّارِ . قَالُوا) أى الأتباع (بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ) أى الكفر (لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ) لنا ولكم النار (قَالُوا) أيضاً (رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا) أى مثل عذابه على كفره (فِي النَّارِ . وَقَالُوا) أى كفار مكة وهم فى النار (مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ) فى الدنيا (مِنَ الْأَشْرَارِ . أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا)،

(قوله من صديد الخ) بيان لما كأنه قال وهو صديد أهل النار الذى يسيل من جلودهم وفروجهم (قوله بالجمع والافراد) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله أى مثل المذكور) أى فى كونه حارا يقطع الأمعاء (قوله من أنواع مختلفة) أى كالحيات والعقارب والضرب بالمطارق والزمهرير وغير ذلك من أنواع العذاب، أجارنا الله منه (قوله ويقال لهم) أى من خزنة النار (قوله مقتحم) الاقتحام الالقاء فى الشئ بشدة فانهم يضربون بمقامع من حديد حتى يقتحموها بأنفسهم خوفا من تلك المقامع (قوله فيقول المتبوعون) أى جوابا للخزنة كأنهم يقولون أتحسد على كثرة أتباعنا مع كوننا و إياهم فى النار (قوله لامرحبا بهم) مفعول لفعل محذوف تقديره لا أتيتم مرحبا أى مكانا واسعا (قوله إنهم صالوا النار) هو من كلام الرؤساء أى إنهم صالوا النار كاصليناها (قوله قالوا) أى الأتباع أى جوابا للرؤساء (قوله بل أنتم لامرحبا بكم) أى أنتم أحق بما قلتم لنا فدأبهم أنه كلما دخلت أمة لعنت أختها (قوله أنتم قدمتموه لنا) أى دللتمونا عليه بتزيين الأعمال السيئة لنا و إغوائنا عليها (قوله النار) هذا هو المخصوص بالذم (قوله قالوا أيضا) أشار بذلك إلى أن هذا من كلام الأتباع (قوله أى مثل عذابه على كفره) أى وهو عذاب الدلالة على الكفر فان الدال على الشر كفاعله (قوله أى كفار مكة) أى كأبى جهل وأبى بن خلف وغيرهما (قوله وهم فى النار) الجملة حالية (قوله مالنا لانرى رجالا) أى أى شئ ثبت لنا لانبصر رجالا الخ (قوله من الأشرار) إنما سموهم أشرارا لأنهم خالفوا دينهم (قوله أتخذناهم) إما بوصل الهمزة مكسورة أوقطعها مفتوحة قراءتان سبعيتان فعلى الأولى تكون الجملة صفة لرجالا أى رجالا موصوفين بكوننا عددناهم من الأشرار و بكوننا نسخر بهم

فى الدنيا وعلى الثانية فالجملة استفهامية حذفت همزة الوصل استغناء بهمزة الاستفهام عنها . والمعنى مالنا لا نرى رجالا موصوفين بكونها عددناهم من الأشرار آتخذناهم سخريا فهم مفقودون من النار أم زاغت عنهم الأبصار أى هم معنا فى النار لكن زاغت أبصارنا عنهم فلم ترهم (قوله بضم السين وكسرها) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله أى كنا نسخر بهم) راجع لقراءة الوصل (قوله والياء للنسب) أى على كل من القراءتين (قوله أم زاغت) على قراءة الوصل تكون أم بمعنى بل وعلى قراءة القطع تكون معادلة للهمزة (قوله وهم فقراء المسلمين) تفسير لقوله رجالا (قوله وسلمان) المناسب إسقاطه لأن الكلام فى أهل مكة وهو إنما أسلم فى المدينة (قوله إن ذلك) أى المحكى عنهم من أقوالهم وأحوالهم (قوله وهو تخاصم) أشار بذلك إلى أن تخاصم خبر لمحذوف والجملة بيان لاسم الاشارة (قوله إنما أنا منذر) أى لا ساحر ولا شاعر ولا كاهن واقتصر على الانذار لأن كلامه مع الكفار وهم إنما يناسبهم الانذار فقط و إن كان مبشرا أيضا (قوله الواحد) أى المعدوم المثيل فى ذاته وصفاته وأفعاله وقد ذكر أوصافا خمسة كل واحد منها يدل على انفراده تعالى بالألوهية (قوله رب السموات والأرض) أى مالكهما (قوله قل هو نبأ عظيم) كرر الأمر إشارة إلى الاهتمام به (قوله أى القرآن) تفسير لهو (قوله بما لا يعلم)

بضم السين وكسرها أى كنا نسخر بهم فى الدنيا والياء للنسب ، أى أمفقودون هم (أَمْ زَاغَتْ) مالت (عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ) فلم نرهم وهم فقراء المسلمين كعمار و بلال وصهيب وسلمان (إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ) واجب وقوعه وهو (تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ) كما تقدم (قُلْ) يا محمد لكفار مكة (إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ) مخوف بالنار (وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) لخلقه (رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ) الغالب على أمره (الْغَفَّارُ) لأوليائه (قُلْ) لهم (هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ . أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ) أى القرآن الذى أنبأتكم به وجئتكم فيه بما لا يعلم إلا بوحى وهو قوله (مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ) أى الملائكة (إِذْ يَخْتَصِمُونَ) فى شأن آدم حين قال الله تعالى : إنى جاعل فى الأرض خليفة الخ (إِنْ) ما (يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا) أى أنى (نَذِيرٌ مُبِينٌ) بين الإنذار . اذكر (إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ) هو آدم (فَإِذَا سَوَّيْتُهُ) أتممته (وَنَفَخْتُ) أجريت (فِيهِ مِنْ رُوحِي) فصار حيا ، و إضافة الروح إليه تشريف لآدم ، والروح جسم لطيف يحيا به الإنسان بنفوذه فيه (فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ) سجود تحية بالانحناء ،

أى من القصص والأخبار وغيرهما (قوله وهو) أى مالا يعلم إلا بوحى وفيه أن مالا يعلم إلا بوحى هو قوله إذ قال ربك للملائكة الخ لا قوله ما كان لى من علم الخ إلا أن يقال إنه ذكر توطئة وتمهيدا لما لا يعلم إلا بالوحى (قوله أى الملائكة) أى و إبليس (قوله إذ يختصمون) منصوب إما بعلم أو بمحذوف والتقدير ما كان لى من علم بالملإ الأعلى وقت اختصامهم أوما كان لى من علم بكلام الملإ الأعلى وقت اختصامهم (قوله إلا أنما أنا نذير مبين) إلا أداة حصر وأن وما دخلت عليه فى تأويل مصدر نائب فاعل يوحى والتقدير ما يوحى إلى إلا كونى نذيرا مبينا والحصر فيه وفى قوله إنما أنا منذر إضافى . والمعنى لا ساحر ولا كذاب كما زعمتم (قوله إذ قال ربك) ظرف معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله اذكر و يصح أن يكون بدلا من قوله إذ يختصمون إن حمل الاختصام على ما حصل فى شأن آدم فقط وأما إن جعل عاما فلا يصح جعله بدلا منه بل ظرف لمحذوف (قوله إنى خالق بشرا) أى إنسانا ظاهر البشرة أى الجلد ليس على جلده صوف ولا شعر ولا وبر ولا ريش ولا قشر (قوله أجريت فيه من روحى) أشار بذلك إلى أنه ليس المراد بالنفخ حقيقته لاستحالته على الله تعالى ، و إنما هو تمثيل لافاضة ما به الحياة بالفعل على المادة القابلة لها (قوله والروح جسم لطيف الخ) هذا هو قول جمهور المتكلمين وهو الأصح ، وقيل إن الروح عرض وهى الحياة التى صار الجسم بها حيا ، وقيل إنها ليست بجسم ولا عرض ، بل هى جوهر مجرد قائم بنفسه له تعلق بالبدن للتدبير والتحريك غير داخل فيه ولا خارج عنه وهو قول الفلاسفة (قوله بنفوذه فيه) أى سريانه فيه كسريان الماء فى العود الأخضر (قوله فقعوا) الفاء واقعة فى جواب إذا (قوله سجود تحية بالانحناء) جواب عما يقال كيف جاز السجود لغير الله تعالى وتقدم

قول بأنه كان سجودا حقيقة بالجباه وتقدم الجواب عنه بأن محل كون السجود لغير الله غير جائز مالم يأمر به المولى تعالى ، أو يقال إن السجود لله تعالى وآدم جعل كالقبلة (قوله فسجد الملائكة الخ) قيل أول من سجد لآدم جبريل ثم ميكائيل ثم إسرافيل ثم عزرائيل ثم الملائكة المقربون وكان السجود يوم الجمعة من وقت الزوال إلى العصر ، وقيل مائة سنة ، وقيل خمسمائة سنة (قوله فيه تأكيدان) أى فكل منهما يفيد ما أفاده الآخر ، وقيل إن كل للاحاطة وأجمعون للاجتماع فأفاد أنهم سجدوا عن آخرهم وأنهم سجدوا جميعا فى وقت واحد غير متفرقين فى أوقات (قوله كان بين الملائكة) أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع وهو الحق وتقدم تحقيق ذلك (قوله فى علم الله) أى أن الله تعالى علم فى الأزل أنه يكفر فيما لايزال وكان مسلما عابدا طاف بالبيت أربعة عشر ألف عام وعبد الله ثمانين ألف عام (قوله أى توليت خلقه) أى بذاتى من غير واسطة أب وأم وتثنية اليد لإظهار لكمال الاعتناء بخلقه عليه السلام (قوله أستكبرت الآن الخ) أشار المفسر إلى جواب سؤال ولرد وهو أن قوله من العالين معناه المتكبرين فيلزم عليه التكرار . فأجاب بأن المعنى أتركت السجود لاستكبارك الحادث أم لاستكبارك القديم المستمر (قوله قال أنا خير منه) هذا جواب من إبليس لم يطابق الاستفهام السابق لأنه أجاب بأنه إنما ترك السجود لكونه خيرا منه وبين ذلك بأن أصله من النار وأصل آدم من الطين والنار أشرف من الطين لكون النار نورانية والطين من الأرض وهى ظلمانية والنورانى أشرف من الظلمانى ، وهذه شبهته وقد أخطأ فيها لأن مآل النار إلى الرماد الذى لاينتفع به والطين أصل لكل نام نابت كالانسان والشجرة ، ومن المعلوم أن الانسان والشجرة خير من الرماد وزيادة على ذلك أن النوع الانسانى تشرف بأمور : الأول من جهة الفاعل المشار إليه بقوله لما خلقت بيدى والثانى من جهة الصورة المشار إليها بقوله ونفخت فيه من روحى ومن جهة الغاية المشار إليها بقوله و إذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ولم يحصل ذلك لغير النوع الانسانى فدل على أفضليته

(فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ) فيه تأكيدان (إِلَّا إِبْلِيسَ) هو أبو الجن كان بين الملائكة (اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ) فى علم الله تعالى (قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ) أى توليت خلقه ، وهذا تشريف لآدم فإن كل مخلوق تولى الله خلقه (أَسْتَكْبَرْتَ) الآن عن السجود ، استفهام توبيخ (أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ) المتكبرين فتكبرت عن السجود لكونك منهم (قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ . قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا) أى من الجنة ، وقيل من السموات (فَإِنَّكَ رَجِيمٌ) مطرود (وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ) الجزاء (قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) أى الناس (قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ . إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ) وقت النفخة الأولى ،

(قوله اى من الجنة الخ) هذا الخلاف مبنى على الخلاف الواقع فى أمر الملائكة بالسجود لآدم هل كان بعد دخوله الجنة أو قبله فقوله أى من الجنة مبنى على الأول وقوله أو من السموات مبنى على الثانى ، وقيل المعنى اخرج من الخلقة التى كنت عليها أولا لما ورد أن إبليس كان يفتخر بخلقته فغير الله خلقته فاسود بعد ما كان أبيض وقبح بعد ما كان حسنا وأظلم بعد ما كان نورانيا ، وروى أن إبليس كان رئيسا على اثنى عشر ألف ملك وكان له جناحان من زمرد أخضر ، فلما طرد غيرت صورته وجعله الله معكوسا على مثال الخنازير ووجهه كالقردة وهو شيخ أعور وفى لحيته سبع شعرات مثل شعر الفرس وعيناه مشقوقتان فى طول وجهه وأنيابه خارجة كأنياب الخنازير ورأسه كرأس البعير وصدره كسنام الجمل الكبير وشفتاه كشفتى الثور ومنخراه مفتوحتان مثل كوز الحجام (قوله فانك رجيم الخ) فان قلت إذا كان الرجم بمعنى الطرد فاللعنة بمعناه ولزم التكرار . أجيب بأن الرجم الطرد من الجنة أو السماء واللعنة الطرد من الرحمة وهو أبلغ (قوله و إن عليك لعنتى) ذكرها هنا بالاضافة وفى غيرها بالتعريف تفننا (قوله إلى يوم الدين) فان قلت كلمة إلى لانتهاء الغاية فتقتضى انقضاء اللعنة عند مجىء يوم الدين مع أنها لاتنقطع . أجيب بأن اللعنة قبل يوم الدين من الله وعيد بخلوده فى العذاب ومن العبيد طلب ذلك وفى يوم الدين تحقق لوعيد والمطلوب (قوله قال رب فأنظرنى) أى أمهلنى وأخرنى والفاء متعلقة بمحذوف تقديره إذا جعلتنى رجيما فأمهلنى ولاتمتنى إلى يوم يبعثون : أى آدم وذريته وأراد بذلك أن يجد فسحة لاغوائهم و يأخذ منهم ثأره و ينجو من الموت بالكلية إذ لاموت بعد البعث فأجابه تعالى بالامهال مدة الدنيا لأجل الاغواء لا بالنجاة من الموت .

(قوله قال فبعزتك) الباء للقسم ولا ينافيه قوله تعالى فى الآية الأخرى ـ قال فبما أغويتنى ـ فان إغواء الله تعالى له من آثار عزته التى أقسم بها هنا (قوله بنصبهما ورفع الأول الخ) أى فالقراءتان سبعيتان (قوله وجواب القسم) أى المذكور فى بعض الأعاريب المتقدمة أو المحذوف (قوله أجمعين) توكيد للضمير فى منك وما عطف عليه (قوله دون الملائكة) إنما أخرجهم من العالمين وإن كان لفظ العالمين يشملهم لأجل قوله إن هو إلا ذكر والذكر معناه الموعظة والتخويف وهو لايناسب إلا الانس والجن (قوله خبر صدقه) أى من ذكر الوعد والوعيد (قوله أى يوم القيامة) تفسير لبعد حين ، والحين مدة الدنيا ، وقال ابن عباس بعد الموت ، وقيل من طال عمره علم ذلك إذا جاء نصر الله والفتح (قوله بمعنى عرف) أى فهو متعد لمفعول واحد وهو نبأه ، وقيل إن علم على بابها فتنصب مفعولين والثانى قوله بعد حين .

(قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ . إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ) أى المؤمنين (قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ) بنصبهما ورفع الأول ونصب الثانى فنصبه بالفعل بعده ، ونصب الأول قيل بالفعل المذكور وقيل على المصدر أى أحق الحق ، وقيل على نزع حرف القسم ورفعه على أنه مبتدأ محذوف الخبر أى فالحق منى ، وقيل فالحق قسمى وجواب القسم (لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ) بذريتك (وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ) أى الناس (أَجْمَعِينَ . قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ) على تبليغ الرسالة (مِنْ أَجْرٍ) جعل (وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ) المتقولين القرآن من تلقاء نفسى (إِنْ هُوَ) أى ما القرآن (إِلَّا ذِكْرٌ) عظة (لِلْعَالَمِينَ) للإنس والجن العقلاء دون الملائكة (وَلَتَعْلَمُنَّ) يا كفار مكة (نَبَأَهُ) خبر صدقه (بَعْدَ حِينٍ) أى يوم القيامة ، وعلم بمعنى عرف واللام قبلها لام قسم مقدر أى والله .

(سورة الزمر)

مكية ، إلا قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم الآية فمدنية ، وهى خمس وسبعون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . تَنْزِيلُ الْكِتَابِ) القرآن مبتدأ (مِنَ اللَّهِ) خبره (الْعَزِيزِ) فى ملكه (الْحَكِيمِ) فى صنعه (إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ) يا محمد (الْكِتَابَ بِالْحَقِّ) متعلق بأنزل (فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ) من الشرك : أى موحداً له ،

سميت بذلك لذكر لفظ الزمر فيها فى قوله ـ وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا ، وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا ـ وسيأتى أن الزمر جمع زمرة وهى الطائفة ، وتسمى أيضا سورة الغرف لذكر الغرف فيها قال تعالى ـ لهم غرف من فوقها غرف مبنية ـ وروى «من أراد أن يعرف قضاء الله فى خلقه فليقرأ سورة الغرف» ، وورد أنه صلى الله عليه وسلم كان لاينام حتى يقرأ الزمر وبنى إسرائيل (قوله إلا قل ياعبادى الخ) أى فانها نزلت فى وحشى قاتل حمزة عم النبى صلى الله عليه وسلم فانه أسلم بالمدينة وظاهره أنها آية واحدة ، وقيل إن الذى نزل بالمدينة سبع آيات هذه الآية وست بعدها ، وقيل إنهما آيتان هذه الآية وقوله تعالى ـ الله نزل أحسن الحديث ـ الآية فتحصل أن فيها ثلاثة أقوال : قيل مكية إلا آية ، وقيل إلا آيتان ، وقيل إلا سبعا (قوله وهى خمس وسبعون) وقيل اثنتان وسبعون (قوله تنزيل الكتاب من الله) أى إنزال القرآن كائن وحاصل من الله لا من غيره نزل رداً لقول المشركين إنما يعلمه بشر ولقولهم إن به جنة (قوله إنا أنزلنا الخ) شروع فى بيان تشريف المنزل عليه إثر بيان شأن المنزل من حيث كونه من عند الله (قوله الكتاب) هو عين الكتاب الأول لأن المعرفة إذا أعيدت معرفة كانت عينا (قوله متعلق بأنزل) أى والباء سببية والمعنى بسبب الحق الذى أنت عليه و إثباته و إظهاره (قوله فاعبد الله) تفريع على قوله إنا أنزلنا إليك الخ والخطاب له والمراد ما يشمل جميع أمته (قوله مخلصا) حال من فاعل اعبد والدين مفعول لاسم الفاعل (قوله أى موحدا له) أى مفردا له بالعبادة والاخلاص بأن لاتقصد بعملك ونيتك غير ربك

(قوله ألا لله الدين الخ) ألا أداة استفتاح والجملة مستأنفة مقررة لما قبلها من الأمر بالإخلاص (قوله والذين اتخذوا الخ) اسم الموصول مبتدأ واتخذوا صلته والخبر محذوف قدره المفسر بقوله قالوا وقوله مانعبدهم الخ مقول لذلك القول وقوله إن الله يحكم بينهم الخ استئناف بيانى واقع فى جواب سؤال مقدر تقديره ماذا يحصل لهم وهذا هو الأحسن ، وقيل إن خبر المبتدإ هو قوله إن الله يحكم الخ وقوله مانعبدهم حال من فاعل اتخذوا على تقدير القول : أى قائلين مانعبدهم الخ (قوله الأصنام) قدره إشارة إلى أن اتخذوا تنصب مفعولين الأول محذوف (قوله وهم كفار مكة) تفسير للموصول (قوله قالوا ما نعبدهم الخ) أى فكانوا إذا قيل لهم من خلقكم ومن خلق السموات والأرض ومن ربكم ؟ فيقولون الله ، فيقال لهم وما معنى عبادتكم الأصنام فيقولون لتقرّبنا إلى الله زلفى وتشفع لنا عنده (قوله مصدر) أى مؤكد ملاق لعامله فى المعنى والتقدير ليزلفونا زلفى أوليقربونا قربى (قوله و بين المسلمين) أشار بذلك إلى أن المقابل محذوف (قوله فيدخل المؤمنين الجنة) أى فالمراد بالحكم تمييز كل فريق عن الآخر (قوله إن الله لايهدى) أى لا يوفق للهدى من هو كاذب كفار أى مجبول على الكذب والكفر فى علمه تعالى (قوله فى نسبة الولد إليه) أشار بذلك إلى أن قوله إن الله لايهدى الخ توطئة لقوله لو أراد الله الخ ويصح أن يكون من تتمة ما قبله وحينئذ فيقال كاذب فى نسبة الألوهية لغيره تعالى (قوله لو أراد الله أن يتخذ ولدا) أى أى لو تعلقت إرادته باتخاذ ولد على سبيل الفرض والتقدير والآية إشارة إلى قياس استثنائى حذفت صغراه ونتيجته، وتقريره أن يقال لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء لكنه لم يصطف من خلقه شيئا فلم يرد أن يتخذ ولدا (قوله غير من قالوا) أى غير المخلوق الذى قالوا فى شأنه إنه ابن الله (قوله تنزيها له عن اتخاذ الولد) أى لأنه ممتنع عقلا ونقلا أما عقلا فلأنه يلزم

(ألا لله الدين الخالص) لا يستحقه غيره (والذين اتخذوا من دونه) الأصنام (أولياء) وهم كفار مكة قالوا : (مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) قربى مصدر بمعنى تقريبا (إن الله يحكم بينهم) و بين المسلمين (فى ماهم فيه يختلفون) من أمر الدين فيدخل المؤمنين الجنة والكافرين النار (إن الله لا يهدى من هو كاذب) فى نسبة الولد إليه (كفار) بعبادته غير الله (لو أراد الله أن يتخذ ولدا) كما قالوا اتخذ الرحمن ولدا (لاصطفى مما يخلق ما يشاء) واتخذه ولدا غير من قالوا الملائكة بنات الله وعزير ابن الله والمسيح ابن الله (سبحانه) تنزيها له عن اتخاذ الولد (هو الله الواحد القهار) لخلقه (خلق السموات والأرض بالحق) متعلق بخلق (يكور) يدخل (الليل على النهار) فيزيد (ويكور النهار) يدخله (على الليل) فيزيد (وسخر الشمس والقمر كل يجرى) فى فلكه (لأجل مسمى) ليوم القيامة (ألا هو العزيز) الغالب على أمره المنتقم من أعدائه (الغفار) لأوليائه (خلقكم من نفس واحدة) أى آدم ،

أن يكون الولد من جنس خالقه وكونه جنسا منه يستلزم حدوث الخالق وهو باطل ، وأما نقلا فقد تواترت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والكتب السماوية على أن الله تعالى لم يتخذ ولدا (قوله هو الله الواحد القهار) هذا بيان لتنزهه فى الصفات إثر بيان تنزهه فى الذات لأن الوحدة تنافى المماثلة فضلا عن الولد والقهارية تنافى قبول الزواج المحوج إلى الولد وإلا لكان مقهورا تعالى الله عن ذلك (قوله خلق السموات والأرض) تفصيل لبعض أفعاله الدالة على انفراده بالألوهية واتصافه بالصفات الجليلة (قوله يكور الليل) من التكوير وهو فى الأصل اللف واللىّ يقال كور العمامة على رأسه : أى لفها ولواها ثم استعمل فى الادخال والاغشاء فكأن الليل يغشى النهار والنهار يغشى الليل (قوله فيزيد) تقدم أن منتهى الزيادة أربع عشرة ساعة ومنتهى النقص عشر ساعات فالزيادة أربع ساعات تارة تكون فى الليل وتارة تكون فى النهار (قوله ليوم القيامة) أى ثم ينقطع جريانهما لانتقال العالم من الدنيا فان تسخير الشمس والقمر إنما كان فى الدنيا لمصالح العالم فلما انتقل العالم فقد فرغت مصالحه (قوله ألا هو العزيز الغفار) إنما صدرت الجملة بحرف التنبيه للدلالة على كمال الاعتناء بمضمونها كأنه قال : تنبهوا ياعبادى فانى الغالب على أمرى الستار لذنوب خلقى فلا تشركوا بى شيئا وأخلصوا عبادتكم لى (قوله خلقكم من نفس واحدة) هذا من جملة أدلة توحيده وانفراده بالعزة والقهر وجميع صفات الألوهية .

(قوله ثم جعل منها زوجها) إن قلت إن ثم للترتيب فيقتضي أن خلق الذرية قبل خلق حواء وهو خلاف المعروف المشاهد . وأجيب بثلاثة أجوبة . الأول أن ثم لمجرد الاخبار لا للترتيب الايجادي . الثاني أن المعطوف متعلق بمعنى واحدة وثم عاطفة عليه كأنه قال خلقكم من نفس كانت متوحدة لم يخلق نظيرها ثم شفعت بزوج . الثالث أن معنى خلقكم من نفس واحدة أخرجكم منها يوم أخذ الميثاق دفعة واحدة لأن الله تعالى خلق آدم وأودع في صلبه أولاده كالذر ثم أخرجهم وأخذ عليهم الميثاق ثم ردهم إلى ظهره ثم خلق منه حواء (قوله وأنزل لكم من الأنعام الخ) إنما عبر عنها بالنزول لأنها تكونت بالنبات وهو غذاء لها والنبات بالماء المنزل فهو يسمى عندهم بالتدريج ومنه قوله تعالى : قد أنزلنا عليكم لباسا الآية ، وقيل إن الانزال حقيقة لما روى « أن الله خلق الأنعام في الجنة ثم أنزلها في الأرض » كما قيل في قوله تعالى : وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد فإن آدم لما أهبط إلى الأرض نزل معه الحديد (قوله ثمانية أزواج) الزوج مامعه آخر من جنسه ولا يستغنى بأحدهما عن الآخر (قوله كما بين في سورة الأنعام) أي في قوله : ثمانية أزواج من الضأن اثنين الآيات (قوله يخلقكم في بطون أمهاتكم) هذا بيان لكيفية الخلق الدالة على باهر قدرته تعالى (قوله خلقا) مصدر ليخلقكم وقوله : من بعد خلق صفة لخلقا (قوله أي نطفا الخ) فيه قصور وعكس ترتيب الايجاد فالمناسب أن يقول أي حيوانا سويا من بعد عظام مكسوة لحما من بعد عظام عارية من بعد مضغ من بعد علق من بعد نطف (قوله في ظلمات) بدل اشتمال من بطون أمهاتكم باعادة الجار ولا يضر الفصل بين البدل والمبدل منه

بالمصدر لأنه من تمة العامل فليس بأجنبي (قوله وظلمة المشيمة) أي فهي داخل الرحم وهو داخل البطن والمشيمة بوزن كريمة وأصلها مشيمة بسكون الشين وكسر الياء نقلت كسرة الياء إلى الساكن قبلها ، وهي غشاء ولد الانسان ويقال لها الغلاف والكيس ويقال لها من غير ولد الانسان السلا (قوله ذلكم) مبتدأ والله

(ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا) حواء (وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ) الإبل والبقر والغنم الضأن والمعز (ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ) من كل زوجان ذكر وأنثى كما بين في سورة الأنعام (يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ) أي نطفا ثم علقا ثم مضغا (فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ) هي ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة (ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ) عن عبادته إلى عبادة غيره (إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ) وإن أراده من بعضهم (وَإِنْ تَشْكُرُوا) الله فتؤمنوا (يَرْضَهُ) بسكون الهاء وضمها مع إشباع ودونه أي الشكر (لَكُمْ وَلَا تَزِرُ) نفس (وَازِرَةٌ وِزْرَ) نفس (أُخْرَىٰ) أي لا تحمله (ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ،

ربكم خبران وجملة له الملك خبر ثالث (قوله لا إله إلا هو) جملة مستأنفة نتيجة ماقبله إنه أي لحيث ثبت أنه ربنا وله الملك نتج منه أنه لا إله إلا هو (قوله فأنى تصرفون) أي تمنعون (قوله فإن الله غني عنكم) أي له الغنى المطلق فلا يفتقر إلى ماسواه (قوله ولا يرضى لعباده الكفر) أي لا يفعل فعل الراضي بأن يثيب فاعله ويمدحه بل يفعل فعل الساخط بأن ينهى عنه ويعاقب فاعله ويذمه عليه (قوله وإن أراده من بعضهم) أشار بهذا إلى أنه لا تلازم بين الرضا والإرادة بل قد يرضى ولا يريد وقد يريد ولا يرضى وإنما التلازم بين الأمر والرضا خلافا للمعتزلة القائلين بالتلازم بين الرضا والارادة وبنوا على ذلك أمورا فاسدة ، ومن هنا قال العلماء : إن الأمور أربعة تارة يأمر ويريد وهو الايمان من المؤمنين وتارة لا يأمر ولا يريد وهو الكفر منهم وتارة يأمر ولا يريد وهو الايمان من الكفار وتارة يريد ولا يأمر وهو الكفر من الكفار . وحكى أن رجلا من المعتزلة تناظر مع رجل من أهل السنة فقال المعتزلي سبحان من تنزه عن الفحشاء فقال السني سبحان من لا يقع في ملكه إلا مايشاء فقال المعتزلي أيريد ربك أن يعصى فقال السني أيعصى ربنا قهرا فقال المعتزلي أرأيت إن منعني الهدى وحكم علي بالردى أأحسن إلي أم أساء فقال إن منعك ماهو لك فقد أساء وإن منعك ماهو له فالمالك يفعل في ملكه كيف يشاء فبهت المعتزلي (قوله يرضه لكم) أي لأنه سبب لفوزكم بسعادة الدارين لا لانتفاعه به تعالى الله عن ذلك (قوله بسكون الهاء الخ) أي فالقراآت ثلاث سبعيات (قوله ولا تزر وازرة وزر أخرى) أي لا يحمل شخص إثم كفر شخص آخر ، وماورد من أن الدال على الشر كفاعله فمعناه أن عليه إثم فعله وإثم دلالته ولاشك أن دلالته من فعله فآل الأمر إلى أن عقابه على فعله لا على فعل غيره

وقوله وازرة أى وأما غير الوازرة فتحمل وزر غيرها بمعنى أن من كان ناجيا وأذن له فى الشفاعة يشفع فى غيره فينتفع المشفوع له بتلك الشفاعة إن كان مسلما ، وأما الكافر فلا ينتفع بشفاعة مسلم ولا كافر (قوله إنه عليم بذات الصدور) علة لقوله: فينبئكم بما كنتم تعملون : أى يخبركم بأعمالكم لأنه عليم بما فى القلوب فضلا عن غيرها (قوله أى الكافر) أشار بهذا إلى أن أل فى الانسان للعهد (قوله ضر) المراد به جميع المكاره كانت فى نفسه أو ماله أو أهله (قوله منيبا إليه) أى تاركا عبادة الأصنام لعلمه بأنها لاتقدر على كشف مانزل به (قوله أعطاه إنعاما) أى أعطاه على سبيل الانعام والإحسان فانعاما مفعول لأجله لأن التخويل هو إعطاء النعم على سبيل التفضل والاحسان من غير مقتض لها (قوله وهو الله) أشار بذلك إلى أن ماموصولة بمعنى الذى مرادا بها الله تعالى و يصح أن يراد بها الضر ، والمعنى نسى الضر الذى كان يدعو لكشفه و يصح أن تكون مامصدرية ، والمعنى نسى كونه داعيا من قبل تخويل النعمة والأظهر ماقاله المفسر (قوله ليضل) اللام للعاقبة والصيرورة (قوله بفتح الياء وضمها) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله قل تمتع بكفرك) الأمر للتهديد وفيه إشعار بقنوطه من التمتع فى الآخرة (قوله بقية أجلك) أشار بذلك إلى أن قليلا صفة لموصوف محذوف أى زمانا قليلا (قوله إنك من أصحاب النار) أى ملازمها ومعدود من أهلها على الدوام (قوله أمن هو قانت) هذا من تمام الكلام المأمور بقوله وحينئذ فالمعنى

إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) بما فى القلوب (وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ) أى الكافر (ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ) تضرع (مُنِيبًا) راجعا (إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً) أعطاه إنعاما (مِّنْهُ نَسِيَ) ترك (مَا كَانَ يَدْعُو) يتضرع (إِلَيْهِ مِن قَبْلُ) وهو الله فما فى موضع من (وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا) شركاء (لِّيُضِلَّ) بفتح الياء وضمها (عَن سَبِيلِهِ) دين الإسلام (قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا) بقية أجلك (إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ. أَمَّنْ) بتخفيف الميم (هُوَ قَانِتٌ) قائم بوظائف الطاعات (آنَاءَ اللَّيْلِ) ساعاته (سَاجِدًا وَقَائِمًا) فى الصلاة (يَحْذَرُ الْآخِرَةَ) أى يخاف عذابها (وَيَرْجُو رَحْمَةَ) جنة (رَبِّهِ) كمن هو عاص بالكفر أو غيره وفى قراءة أم من فأم بمعنى بل والهمزة (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) أى لايستويان كما لايستوى العالم والجاهل (إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ) يتعظ (أُولُو الْأَلْبَابِ) أصحاب العقول (قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ) أى عذابه بأن تطيعوه (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا) بالطاعة (حَسَنَةٌ) هى الجنة (وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ) ،

قل للكافر أمن هو قانت الخ (قوله بتخفيف الميم) أى والهمزة للاستفهام الانكارى ومن موصولة مبتدأ خبره محذوف قدره بقوله كمن هو عاص (قوله آناء الليل) جمع إنى بالكسر والقصر كمعى وأمعاء (قوله ساعاته) أى أوله وأوسطه وآخره وفى الآية دليل على أفضلية قيام الليل على النهار لما فى الحديث « مازال جبريل يوصينى بقيام الليل حتى علمت أن خيار أمتى لاينامون » وقال ابن عباس « من أحب أن يهوّن الله عليه الوقوف يوم القيامة فليره الله فى ظلمة الليل » (قوله وفى قراءة أمن) أى بالتشديد وعليها فأم داخلة على من الموصولة فأدغمت الميم فى الميم ورسم على هذه القراءة ميما واحدة متصلة بالنون كقراءة التخفيف اتباعا لرسم المصحف والاعراب على كل من القراءتين واحد لايتغير وقوله بمعنى بل أى التى للاضراب الانتقالى وقوله والهمزة أى التى للاستفهام الانكارى والقراءتان سبعيتان (قوله الذين يعلمون) أى وهم المؤمنون العارفون بربهم وقوله والذين لايعلمون أى وهم الكفار (قوله أى لايستويان) أشار به إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفى (قوله إنما يتذكر اولوا الألباب) أى أصحاب القلوب الصافية والآراء السديدة وخصهم لأنهم المنتفعون بالتذكر (قوله قل ياعبادى الخ) أمر الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بأوامر لنفسه ولأمته زيادة فى الحث لهم على التجرد لطاعة الله تعالى واجتناب الشكوك والأوهام (قوله بأن تطيعوه) أى تمتثلوا أوامره وتجتنبوا نواهيه وهو تفسير للتقوى التى هى جعل العبد بينه و بين العذاب وقاية (قوله للذين) خبر مقدم وأحسنوا صلته وفى هذه الدنيا متعلق بأحسنوا وحسنة مبتدأ مؤخر (قوله هى الجنة) أى بجميع مافيها من النعيم المقيم فهى بمعنى قوله تعالى : للذين أحسنوا الحسنى وزيادة (قوله وأرض الله واسعة) جملة من مبتدأ وخبر وهى حالية .

(قوله فهاجروا إليها الخ) أشار بذلك إلى أن المراد بالأرض أرض الدنيا ، والمعنى من تعسرت عليه التقوى فى محل فليهاجر إلى محل آخر يتمكن فيه من ذلك إذ لاعذر فى التفريط أصلا ، وكانت الهجرة قبل فتح مكة شرطا فى صحة الإسلام فلما فتحت مكة نسخ كونه شرطا وصارت تعتريها الأحكام فتارة تكون واجبة كما إذا هاجر من أرض لايتيسر له فيها إقامة دينه لأرض يتعلم فيها دينه ويقيم شعائره وتارة تكون مندوبة كما إذا هاجر من أرض لاأخيار بها لأرض بها أخيار يجتمع عليهم للارشاد وتكون مكروهة كما إذاهاجر من أرض بها الأخيار وأهل العلم والصلاح لأرض لاأخيار بها ولاعلم ولاعمل وتارة تكون محرمة كما إذا هاجر من أرض يأمن فيها على دينه لأرض لايأمن فيها عليه (قوله إنما يوفى الصابرون) هذا ترغيب فى التقوى المأمور بها (قوله على الطاعات) أى أوعن المعاصى (قوله وما يبتلون به) أى ومن جملته مفارقة الوطن المأمور بها فى قوله : وأرض الله واسعة (قوله بغير حساب) أى لما ورد « تنصب الموازين يوم القيامة لأهل الصلاة والصدقة والحج فيوفون بها أجورهم ولا تنصب لأهل البلاء بل يصب عليهم الأجر صبا حتى يتمنى أهل العافية فى الدنيا أن أجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به أهل البلاء من الفضل » (قوله قل إنى أمرت أن أعبد الله الخ) الحكمة فى هذا الإخبار إعلام الأمة بأن يتصفوا به ويلزموه فان العادة أن المتصف بخلق ثم يأمر به أو يعرض بالأمر به يؤثر فى غيره كما قيل حال رجل فى ألف رجل أنفع من حال ألف رجل فى رجل (قوله من هذه الأمة) جواب عما يقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أول المسلمين مطلقا ، فأجاب بأن الأولية بحسب سبق الدعوة (قوله قل إنى أخاف) سبب نزولها أن كفار قريش قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم ماحملك على هذا الذى أتيتنابه ألا تنظر إلى ملة أبيك وجدك وقومك فتأخذبهافنزلت فالمقصود منها زجر الغيرعن المعاصى لأنه صلى الله عليه وسلم إذا كان خائفا مع كمال طهارته وعصمته فغيره أولى وذلك سنة الانبياء والصالحين حيث يخبرون غيرهم بأنهم متصفون به ليكونوا مثلهم لاكالملوك والمتجبرين حيث يأمرون غيرهم بما لم يتصفوا به (قوله فيه تهديد لهم) أى من حيث الأمر (قوله و إيذان) أى إعلام (قوله الذين خسروا) خبر إن (قوله وأهليهم) أى أزواجهم وخدمهم يوم القيامة لما ورد « أن الله تعالى جعل لكل إنسان منزلا وأهلا فى الجنة فمن عمل بطاعة الله كان ذلك المنزل والأهل له ومن عمل بمعصية الله دخل النار وكان ذلك المنزل والأهل لغيره ممن عمل بطاعة الله فخسر نفسه وأهله ومنزله » وقيل المراد أهلهم فى الدنيا لأنهم إن كانوا من أهل النار فقد خسروهم كما خسروا أنفسهم ، وإن كانوا من أهل الجنة فقدذهبوا عنهم ذهابا لارجوع بعده (قوله يوم القيامة) أى حين يدخلون النار (قوله بتخليد الأنفس) راجع لقوله أنفسهم ، وقوله بعدم وصولهم إلى الحور العين الخ راجع لقوله وأهليهم على سبيل اللف والنشر المرتب (قوله ألا ذلك هو الخسران المبين) أى الذى لاخفاء فيه وتصدير الجملة بأداة التنبيه إشارة إلى فظاعته وشناعته (قوله لهم من فوقهم ظلل) لهم خبر مقدم وظلل مبتدأ مؤخر ومن فوقهم حال (قوله طباق) أى قطع كبار و إطلاق الظلل عليها تهكم و إلا فهى محرقة والظلة تقى من الحر (قوله ومن تحتهم ظلل) أى لغيرهم و إن كان فراشا لهم لأن النار دركات فما كان فراشا لجماعة يكون ظلة لآخرين (قوله ذلك يخوف الله به عباده) أى فالحكمة فى ذكر أحوال أهل النار تخويف المؤمنين منها ليتقوها بطاعة ربهم (قوله يدل عليه) أى على الوصف المقدر وهو قوله المؤمنين (قوله والذين اجتنبوا الطاغوت الخ) قيل نزلت هذه الآية فى عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وسعد وسعيد وطلحة والزبير رضى الله عنهم سألوا أبا بكر رضى الله عنه فأخبرهم بإيمانه فآمنوا (قوله الأوثان)

فهاجروا إليها من بين الكفار ومشاهدة المنكرات (إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ) على الطاعة وما يبتلون به (أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) بغير مكيال ولا ميزان (قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ) من الشرك (وَأُمِرْتُ لِأَنْ) أى بأن (أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ) من هذه الأمة (قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ . قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي) من الشرك (فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ) غيره ، فيه تهديد لهم و إيذان بأنهم لايعبدون الله تعالى (قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) بتخليد الأنفس فى النار وبعدم وصولهم إلى الحور المعدة لهم فى الجنة لو آمنوا (أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ) البين (لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ) طباق (مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ) من النار (ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ) أى المؤمنين ليتقوه يدل عليه (يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ . وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ) الأوثان ،

هذا أحد أقوال فى تفسيره ، وقيل هو الشيطان ، وقيل كل ماعبد من دون الله تعالى ، وقيل غيرذلك (قوله لهم البشرى بالجنة) أى على ألسنة الرسل أوعلى ألسنة الملائكة عند حضور الموت ، وفى الحقيقة البشرى تحصل لهم فى الدنيا بالثناء عليهم بصالح أعمالهم وعند الموت وعند الوضع فى القبر وعند الخروج من القبور وعند الوقوف للحساب وعند المرور على الصراط ففى كل موقف من هذه المواقف تحصل لهم البشارة بالروح والريحان (قوله فبشر عبادى) أى الموصوفين باجتناب الأوثان والانابة إلى الله تعالى والإضافة لتشريف المضاف إليه (قوله الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) قيل المراد يسمعون الحسن والقبيح فيتحدثون بالحسن ويكفون عن القبيح ، وقيل يسمعون القرآن وغيره فيتبعون القرآن ، وقيل يسمعون القرآن وأقوال الرسول فيتبعون المحكم ويعملون به ويتركون المتشابه ويفوضون علمه لله تعالى ، وقيل يسمعون العزيمة والرخصة فيأخذون العزيمة ويتركون الرخصة وكل صحيح (قوله أولئك الذين هداهم الله) أى الموصوفون بتلك الأوصاف (قوله أفمن حق عليه كلمة العذاب الخ) يحتمل أن من شرطية وجوابها قوله : أفأنت تنقذ من فى النار كما قال المفسر وأعيدت الهمزة لتأكيد معنى الإنكار ولطول الكلام وأقيم الظاهر مقام المضمر : أى أفأنت تنقذه ، ويحتمل أنها موصولة مبتدأ والخبر محذوف تقديره أنت لاتنفعه فجملة قوله : أفأنت تنقذ من فى النار مستقلة مؤكدة لما قبلها ، وهذه الآية نزلت فى حق أبى لهب وولده ومن تخلف من

(أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا) أقبلوا (إِلَى اللهِ لَهُمُ الْبُشْرَى) بالجنة (فَبَشِّرْ عِبَادِى . الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ) وهو ما فيه صلاحهم (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ) أصحاب العقول (أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ) أى لأملأن جهنم الآية (أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ) تخرج (مَنْ فِي النَّارِ) جواب الشرط وأقيم فيه الظاهر مقام المضمر والهمزة للإنكار ، والمعنى لا تقدر على هدايته فتنقذه من النار (لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ) بأن أطاعوه (لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) أى من تحت الغرف الفوقانية والتحتانية (وَعْدَ اللهِ) منصوب بفعله المقدر (لَا يُخْلِفُ اللهُ الْمِيعَادَ) وعده (أَلَمْ تَرَ) تعلم (أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ) أدخله أمكنة نبع (فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ) ييبس (فَتَرَاهُ) بعد الخضرة مثلا (مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا) فتاتا (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَى) تذكيرا (لِأُولِي الْأَلْبَابِ) يتذكرون به لدلالته على وحدانية الله تعالى وقدرته (أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ) فاهتدى ،

عشيرة النبى صلى الله عليه وسلم عن الايمان وقد كان حريصا على إيمانهم (قوله والهمزة) أى الأولى والثانية توكيد لها (قوله للانكار) أى الاستفهام الانكارى (قوله والمعنى لاتقدر على هدايته الخ) أشار بهذه إلى أن قوله أفأنت تنقذ من فى النار مجاز مرسل حيث أطلق المسبب وأراد السبب لأن الإدخال فى النار مسبب عن الضلال وترك الهدى كأنه قال أنت تهدى من أضله الله وجعل له النار بسبب ضلاله وجعلها السمرقندى فى حواشى رسالته استعارة بالكناية حيث شبه استحقاقهم العذاب بالدخول فى النار على طريق المكنية فى المركب وحذف المركب الدال على المشبه به ورمز له بذكر شئ من لوازمه وهو الانقاذ وفيه إشكال انظر بسطه فى حاشيتنا على رسالة البيان لأستاذنا الشيخ الدردير (قوله لكن الذين اتقوا) أى وهم الموصوفون بالصفات الجليلة السابقة المخاطبون بقوله ـ ياعبادى الذين آمنوا اتقوا ربكم ـ الآية ولكن ليست للاستدراك وإنما هى للاضراب عن قصة إلى قصة مخالفة للأولى (قوله لهم غرف من فوقها غرف) مقابل قوله فى حق أهل النار لهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل (قوله بفعله المقدر) أى وتقديره وعدهم الله وعدا (قوله ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء الخ) استئناف مسوق لبيان تمثيل الحياة الدنيا فى سرعة زوالها وقرب اضمحلالها بما ذكر من أحوال الزرع تحذيرا عن زخارفها والاغترار بها (قوله أدخله أمكنة نبع) أى فمراده بالينابيع الامكنة التى أودعت فيها المياه السماوية لمنافع العباد بحيث تكون قريبة من وجه الأرض وتطلق الينابيع على نفس الماء الجارى على وجه الأرض وكل صحيح (قوله ثم يخرج به زرعا) صيغة المضارع لاستحضار الصورة واستمرارها (قوله مختلفا ألوانه) أى من أحمر وأخضر وأصفر وأبيض واختلاف تلك الألوان إما فى ثماره أوفى عوده ومراده بالزرع كل مايستنبت (قوله فتاتا) أى متفتتا ومتمزقا (قوله أفمن شرح الله صدره الخ) الهمزة داخلة على محذوف والفاء

عاطفة عليه ، والتقدير أكل الناس سواء فمن شرح الله صدره الخ والاستفهام إنكارى ومن اسم موصول مبتدأ خبره محذوف قدره المفسر بقوله : كمن طبع الخ وهذه الآية مرتبة على قوله : إنما يتذكر أولوا الألباب (قوله فهو على نور من ربه) أى نور المعرفة والاهتداء ، وفى الحديث « إذا دخل النور القلب انشرح وانفسح ، فقيل ماعلامة ذلك ؟ قال الإنابة إلى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والتأهب للموت قبل نزوله » (قوله دلّ على هذا) أى المقدّر (قوله كلمة العذاب) أى كلمة تفيد العذاب للمخاطب بها (قوله أى عن قبول القرآن) أشار بذلك إلى أن من بمعنى عن وفى الكلام مضاف محذوف ويصح أن تبقى من على بابها للتعليل : أى قست قلوبهم من أجل ذكر الله لفساد قلوبهم وخسرانها ، ومن المعلوم المشاهد أن الأطعمة الفاخرة تكون داء لبعض المرضى ، ومن هنا قول بعض العارفين : ألابذكرالله تزداد الذنوب وتنطمس البصائر والقلوب
(قوله الله نزل أحسن الحديث الخ) سبب نزولها أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حصل لهم بعض ملل ، فقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم حدّثنا حديثا حسنا فنزلت (قوله فى النظم) أى اللفظ ، وقوله وغيره : أى المعنى كالبلاغة والدلالة على المنافع . قال البوصيرى رضى الله عنه فى هذا المعنى :

ردّت بلاغتها دعوى معارضها ... ردّ الغيور يد الجانى عن الحرم
فما تعد ولا تحصى عجائبها ... ولا تسام على الاكثار بالسأم

واعلم أنه فى هذه الآية أثبت أن القرآن متشابه ، وفى آية أخرى أثبت أنه محكم ، وفى آية أخرى أن بعضه محكم وبعضه متشابه ، ووجه الجمع بينهما أن المراد بالمتشابه فى آية الاقتصار عليه ما أشبه بعضه بعضا فى اللفظ والمعنى من حيث البلاغة وحسن الترتيب وبالمحكم فى آية الاقتصار عليه مالا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وبالمتشابه فى آية الجمع ما خفى معناه وبالمحكم ماظهر معناه وتقدم هذا الجمع

(فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ) كمن طبع على قلبه دل على هذا (فَوَيْلٌ) كلمة عذاب (لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللهِ) أى عن قبول القرآن (أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) بين (اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا) بدل من أحسن أى قرآنا (مُتَشَابِهًا) أى يشبه بعضه بعضا فى النظم وغيره (مَثَانِيَ) ثنى فيه الوعد والوعيد وغيرهما (تَقْشَعِرُّ مِنْهُ) ترتعد عند ذكر وعيده (جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ) يخافون (رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ) تطمئن (جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللهِ) أى عند ذكر وعده (ذَلِكَ) أى الكتاب (هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ . أَفَمَنْ يَتَّقِي) يلقى (بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) أى أشده بأن يلقى فى النار مغلولة يداه إلى عنقه كمن أمن منه بدخول الجنة (وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ) أى كفار مكة (ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ) أى جزاءه .

(قوله مثانى) جمع مثنى من التثنية بمعنى التكرير ووصف به (كذب) المفرد وهو الكتاب لأن الكتاب جملة ذات تفاصيل تثنى وتكرر نظير قولك الإنسان عروق وعظام وأعصاب (قوله وغيرهما) أى كالقصص والأحكام (قوله تقشعر منه) أى تنقبض وتتجمع من الخوف (قوله عند ذكر وعيده) أشار بهذا إلى أن إلى بمعنى عند (قوله تطمئن) أى تسكن وتستقرّ (قوله أى عند ذكر وعده) أشار بهذا إلى أن إلى بمعنى عند فالتضمين فى الحرف وهو أحد وجهين والآخر أنه ضمن تلين معنى تسكن فعداه بإلى والمفسر قد جمع بينهما . والحاصل أن الله تعالى بين حال المؤمن عند سماع القرآن ، فحالة ذكر الوعيد يغلب عليه الخوف فيتصاغر ، وفى حال ذكر الوعد يغلب عليه الرجاء فيتسع صدره وتطمئن نفسه لأن الخوف والرجاء مصحوبان للعبد كجناحى الطائر إن عدم أحدهما سقط (قوله أى الكتاب) أى الموصوف بتلك الصفات (قوله هدى الله) أى سبب فى الهدى أو بولغ فيه حتى جعل نفس الهدى (قوله أفمن يتقى) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه ، والتقدير أكل الناس سواء فمن يتقى الخ ومن اسم موصول مبتدأ خبره محذوف قدره المفسر بقوله كمن أمن منه (قوله مغلولة يداه) أى وفى عنقه صخرة من كبريت مثل الجبال العظيمة تشتعل النار فيها وهى فى عنقه فحرها ووهجها على وجهه لايطيق دفعها عنه للأغلال التى فى يده وعنقه (قوله وقيل للظالمين) التعبير بالماضى لتحقق الحصول (قوله أى كفار مكة) الأوضح أن يقول : أى الكفار من هذه الأمة (قوله أى جزاءه) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف .

(قوله كذب الذين من قبلهم) بيان لحال المكذبين قبلهم وماحصل لهم في الدنيا من العذاب (قوله لاتخطر ببالهم) المراد بالجهة السبب أي أتاهم العذاب بسبب لايخطر ببالهم كاللواط في قوم لوط مثلا (قوله لوكانوا يعلمون) أي يصدقون و يوقنون وقوله ماكذبوا جواب لو (قوله ولقد ضربنا) اللام موطئة لقسم محذوف ومعنى ضربنا بينا ووضحنا (قوله حال مؤكدة) أي لفظ قرآنا وكما تسمى مؤكدة بالنسبة لما قبلها تسمى موطئة بالنسبة لما بعدها كما تقول جاء زيد رجلا صالحا (قوله غير ذي عوج) نعت لقرآنا أو حال أخرى (قوله أي لبس واختلاف) أي فمعناه صحيح لالبس ولاتناقض فيه (قوله لعلهم يتقون) علة لقوله لعلهم يتذكرون (قوله ضرب الله مثلا الخ) المعنى اضرب يامحمد لقومك هذا المثل واذكره لهم لعلهم يؤمنون (قوله متشاكسون) التشاكس التخالف والتشاجر مع سوء الخلق ومثله التشاخس بخاء معجمة بدل الكاف (قوله ورجلا سالما) بألف بعد السين مع كسر اللام وتركها مع فتح السين واللام قراءتان سبعيتان فالأولى اسم فاعل والثانية مصدر وصف به على سبيل المبالغة وقرئ شذوذا بكسر السين وسكون اللام (قوله هل يستويان) ✓ (٣٤٩) الاستفهام إنكاري بمعنى النفي (قوله تمييز) أي محول عن الفاعل والمعنى لايستوي مثلهما وصفتهما (قوله أي لايستوي العبد لجماعة) هذا هو المثل المحسوس للشرك الذي يعبد غير الله فقوله لجماعة أي سيئة أخلاقهم وقوله والعبد لواحد هذا هو المثل المحسوس للموحد الذي يعبد الله وحده وقوله فإن الأول الخ تقرير للمثل الأول ولم يتعرض للثاني لوضوحه (قوله الحمد لله) أي على عدم استواء هذين الرجلين (قوله بل أكثرهم لايعلمون) أي مع بيان ظهوره وهو إضراب انتقالي من بيان عدم الاستواء على الوجه المذكور إلى بيان أن أكثر الناس لايعلمون ذلك (قوله إنك ميت) العامة على التشديد وهو من سيموت وأما الميت بالتخفيف فهو من فارقته الروح بالفعل (قوله فلا شماتة بالموت) الشماتة الفرح ببلية العدو (قوله نزلت لما استبطئوا موته الخ) أي وذلك أنهم كانوا ينتظرون موته فأخبر الله تعالى بأن الموت يعمهم فلا معنى لشماتة الفاني بالفاني (قوله أيها الناس) أي مؤمنكم وكافركم ، وقوله تختصمون أي يخاصم بعضكم بعضا فيقتص للمظلوم من الظالم لما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «أتدرون من المفلس ؟ قالوا المفلس فينا من لادرهم ولا متاع له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن المفلس من يأتي يوم القيامة بصلوات وزكاة وصيام ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ماعليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار» (قوله أي لا أحد) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي (قوله ممن كذب على الله) أي ومن جملة الكذب على الله الكذب على رسوله بأن يقول مثلا قال رسول الله كذا أو هذا شرعه ، والحال أنه لم يكن

(كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) رسلهم في إتيان العذاب (فَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ) من جهة لاتخطر ببالهم (فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ) الذل والهوان من المسخ والقتل وغيره (فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا) أي المكذبون (يَعْلَمُونَ) عذابها ماكذبوا (وَلَقَدْ ضَرَبْنَا) جعلنا (لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) يتعظون (قُرْآنًا عَرَبِيًّا) حال مؤكدة (غَيْرَ ذِي عِوَجٍ) أي لبس واختلاف (لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) الكفر (ضَرَبَ اللَّهُ) للمشرك والموحد (مَثَلًا رَجُلًا) بدل من مثلا (فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ) متنازعون سيئة أخلاقهم (وَرَجُلًا سَالِمًا) خالصا (لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا) تمييز : أي لايستوي العبد لجماعة والعبد لواحد فإن الأول إذا طلب منه كل من مالكيه خدمته في وقت واحد تحير فيمن يخدمه منهم ، وهذا مثل للمشرك والثاني مثل للموحد (الْحَمْدُ لِلَّهِ) وحده (بَلْ أَكْثَرُهُمْ) أي أهل مكة (لَا يَعْلَمُونَ) ما يصيرون إليه من العذاب فيشركون (إِنَّكَ) خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم (مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ) ستموت ويموتون فلا شماتة بالموت ، نزلت لما استبطئوا موته صلى الله عليه وسلم (ثُمَّ إِنَّكُمْ) أيها الناس فيما بينكم من المظالم (يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ . فَمَنْ) أي لا أحد (أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ) بنسبة الشريك والولد إليه (وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ) بالقرآن

قاله ولم يكن شرعه (قوله إذ جاءه) ظرف لكذب بالصدق . والمعنى كذب بالصدق وقت مجيئه (قوله بلى) أشار بذلك إلى أن الاستفهام تقريرى . والمعنى فى جهنم مثوى للكافرين لأن بلى يجاب بها النفى و يصيره إثباتا كما تقدم (قوله فالذى بمعنى الذين) أى بالنسبة للصلة الثانية ولذا روعى معناه فجمع فى قوله أولئك هم المتقون وروعى لفظه فى قوله جاء وصدق (قوله لهم ما يشاءون) أى كل ما يشتهون من وقت حضور الموت كالأمن من الفتانات عنده ومن فتنة القبر وعذابه ومن هول الموقف إلى غير ذلك (قوله لأنفسهم) متعلق بالمحسنين وفيه إشارة إلى أن إحسان الانسان لنفسه وثمرته عائدة عليها فلا يعود على الله نفع محسن ولا ضر مسىء تعالى الله عنه ، والاحسان للنفس يكون بطاعة الله والالتجاء إليه و بذل المعروف للخلق محبة فى الخالق و بهذا تكون النفس عزيزة ومن أعز نفسه أعزه الله * و بضدها تتميز الأشياء * (قوله ليكفر الله عنهم) متعلق بمحذوف أى يسر الله لهم ذلك ليكفر الخ واللام للعاقبة والصيرورة وهو تفصيل لقوله لهم ما يشاءون (قوله بمعنى السيء والحسن) أى فأفعل التفضيل ليس على بابه وهو جواب عما يقال مقتضاه أنه يكفر عنهم الأسوأ فقط و يجازون على الأحسن فقط ولا يكفر عنهم السيء ولا يجازون على الحسن (قوله عبده) أى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل المراد به الخالص فى العبودية لله وهو الأتم ويؤيده قراءة عباده بالجمع وهى سبعية ، أيضا والمعنى أن من أخلص لله فى عبادته كفاه ما أهمه فى دينه ودنياه وآخرته (قوله ويخوفونك) يصح أن تكون الجملة حالية والمعنى أن الله كافيك فى كل حال حتى فى حال تخويفهم لك و يصح أن تكون مستأنفة (قوله أو تخبله) أى تفسد أعضاءه وتذهب عقله (قوله ذى انتقام) أى ينتقم من أعدائه لأوليائه وتأخير قوله بلى للاشارة إلى أنه راجع لقوله ذى انتقام أيضا (قوله ليقولن الله) أى فلا جواب لهم غيره لقيام البراهين الواضحة على أنه المنفرد بالخلق والايجاد (قوله قل أفرأيتم الخ) رأى متعدية لمفعولين : الأول قوله ما تدعون . والثانى قوله هل هن كاشفات ضره الخ ، وقوله إن أرادنى الخ جملة شرطية معترضة بين المفعول الأول والثانى وجوابها محذوف لدلالة المفعول الثانى عليه وتقديره لا كاشف له غيره (قوله إن أرادنى الله بضر) قدمه لأن دفعه أهم وخص نفسه لأنه جواب لتخويفه من الأصنام (قوله هل هن) عبر عنها بضمير الإناث تحقيرا لها ولأنهم كانوا يسمونها بأسماء الإناث كاللات والعزى ومناة (قوله وفى قراءة بالاضافة) أى وهى سبعية أيضا (قوله قل حسبى الله) أى كافى فلا ألتفت لغيره (قوله يثق الواثقون) أى يعتمد المعتمدون (قوله قل ياقوم اعملوا الخ) هذا الأمر للتهديد (قوله حالتكم) أى وهى الكفر والعناد وفيه تشبيه الحال بالمكان بجامع الثبوت والاستقرار فى كل (قوله مفعولة العلم) أى لأنها بمعنى عرف فتنصب مفعولا واحدا (قوله يخزيه) أى يهينه و يذله (قوله للناس) أى لمصالح الناس فى معاشهم ومعادهم .

(إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى) مأوى (لِلْكَافِرِينَ) بلى (وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ) هو النبى صلى الله عليه وسلم (وَصَدَّقَ بِهِ) هم المؤمنون فالذى بمعنى الذين (أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) الشرك (لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ) لأنفسهم بإيمانهم (لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ) أسوأ وأحسن بمعنى السيء والحسن (أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ) أى النبى بلى (وَيُخَوِّفُونَكَ) الخطاب له (بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ) أى الأصنام أن تقتله أو تخبله (وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ . وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ) غالب على أمره (ذِي انْتِقَامٍ) من أعدائه ؟ بلى (وَلَئِنْ) لام قسم (سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ) تعبدون (مِنْ دُونِ اللَّهِ) أى الأصنام (إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ) لا (أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ) ؟ لا ؛ وفى قراءة بالإضافة فيهما (قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ) يثق الواثقون (قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ) حالتكم (إِنِّي عَامِلٌ) على حالتى (فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ) موصولة مفعولة العلم (يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ) ينزل (عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ) دائم هو عذاب النار وقد أخزاهم الله ببدر (إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ) ،

متعلق

متعلق بأنزل (فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ) اهتداؤه (وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ) فتجبرهم على الهدى (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَ) يتوفى (الَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا) أى يتوفاها وقت النوم (فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى) أى وقت موتها والمرسلة نفس التمييز تبقى بدونها نفس الحياة بخلاف العكس (إِنَّ فِي ذَلِكَ) المذكور (لَآيَاتٍ) دلالات (لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) فيعلمون أن القادر على ذلك قادر على البعث وقريش لم يتفكروا فى ذلك (أَمِ) بل (اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ) أى الأصنام آلهة (شُفَعَاءَ) عند الله بزعمهم (قُلْ) لهم (أَ) يشفعون (وَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا) من الشفاعة وغيرها (وَلَا يَعْقِلُونَ) أنكم تعبدونهم ولا غير ذلك ؟ لا (قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا) أى هو مختص بها فلا يشفع أحد إلا بإذنه (لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ . وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ) أي دون آلهتهم (اشْمَأَزَّتْ) نفرت وانقبضت (قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ) أى الأصنام (إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ . قُلِ اللَّهُمَّ) بمعنى ،

(قوله متعلق بأنزل) ويصح أن يكون متعلقا بمحذوف حال إما من فاعل أنزل أومن مفعوله (قوله وما أنت عليهم بوكيل) هذا تسلية له صلى الله عليه وسلم ، والمعنى ليس هداهم بيدك ولافى ضمانتك حتى تقهرهم وتجبرهم عليه وإنما هو بيدنا فان شئنا هديناهم وإن شئنا أبقيناهم على ماهم عليه من الضلال (قوله الله يتوفى الأنفس حين موتها) أى يقبض الأرواح عند حضور آجالها فالنفس والروح شئ واحد على التحقيق وذلك القبض ظاهرا بحيث ينعدم التمييز والاحساس وباطنا بحيث تنعدم الحياة والتنفس والحركة (قوله ويتوفى التى لم تمت فى منامها) أشار بذلك إلى أن الموصول معطوف على الأنفس مسلط عليه يتوفى والمعنى يقبض الأرواح التى لم تحضر آجالها عند نومها ظاهرا بحيث ينعدم التمييز والاحساس لاباطنا فان الحياة والنفس والحركة باقية ولذا عرفوا النوم بأنه فترة طبيعية تهجم على الشخص قهرا عليه تمنع حواسه الحركة وعقله الادراك وأما فى حالة اليقظة فالروح سارية فى الجسد ظاهرا وباطنا لأنها جسم لطيف شفاف مشتبك بالأجسام الكثيفة اشتباك الماء بالعود الأخضر على هيئة جسد صاحبها ، وقيل مقرها القلب وشعاعها مقوم للجسد كالشمعة الكائنة وسط آنية من زجاج فأصلها فى وسطه ونورها سار فى جميع أجزائه (قوله فيمسك التى قضى عليها الموت) أى لايردها الى جسدها وتحيا حياة دنيوية (قوله أى وقت موتها) ظاهره أن قوله إلى أجل مسمى راجع لقوله ويرسل الأخرى فقط ويصح رجوعه له وللذى قبله ويراد بالأجل المسمى فى الممسوكة النفخة الثانية (قوله نفس التميز) أى والاحساس (قوله نفس الحياة) أى والحركة والنفس (قوله بخلاف العكس) أى فمتى ذهبت نفس الحياة لاتبقى نفس التمييز والاحساس . واعلم أنه اختلف هل فى الانسان روح واحدة والتعدد باعتبار أوصافها وهو التحقيق أو روحان إحداهما روح اليقظة التى أجرى الله العادة بأنها إذا كانت فى الجسد كان الانسان متيقظا فاذا خرجت منه نام الانسان ورأت تلك الروح المنامات والأخرى روح الحياة التى أجرى الله العادة بأنها إذا كانت فى الجسد كان حيا فاذا فارقته مات فاذا رجعت إليه حيي وكلام المفسر محتمل للقولين (قوله المذكور) أى من التوفى والامساك والارسال (قوله وقريش لم يتفكروا) قدره ليكون قوله أم اتخذوا إضرابا انتقاليا (قوله أى الأصنام) بيان للمفعول الأول (قوله أيشفعون) أشار بهذا إلى أن الهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة عليه (قوله لا) أشار به إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفى (قوله أى هو مختص بها) جواب عما يقال مقتضى الآية نفى الشفاعة عن غيره تعالى مع أنه قد جاء فى الأخبار أن للأنبياء والعلماء والشهداء شفاعات فأجاب بأن المعنى لايملك الشفاعة إلا الله وشفاعات هؤلاء باذن الله ورضاه . قال تعالى ـ ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ـ (قوله ثم إليه ترجعون) أى تردون فيجازيكم بأعمالكم (قوله وإذا ذكر الله وحده) إذا معمولة لقوله اشمأزت (قوله إذا هم يستبشرون) أى لقسيانهم حق الله تعالى وهذه الآية تجر بذيلها على أهل اللهو والفسوق الذين يختارون مجالس اللهو ويفرحون بها على مجالس الطاعات (قوله قل اللهم) أى التجيء إلى ربك بالدعاء والتضرع فانه القادر على كل شئ .

(قوله أى يا الله) أى لحذفت ياء النداء وعوض عنها الميم وشددت لتكون على حرفين كالمعوض عنه (قوله اهدنى) هذا هو المقصود بالدعاء وتمام تلك الدعوة النبوية على ماورد اهدنى لما اختلفوا فيه من الحق باذنك إنك تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم (قوله ولو أن للذين ظلموا الخ) بيان لغاية شدة ماينزل بهم (قوله لافتدوا به) أى بالمذكور من الأمرين (قوله يوم القيامة) ظرف لافتدوا (قوله و بدا لهم الخ) كلام مستأنف أومعطوف على قوله ولوأن للذين ظلموا الخ (قوله سيئات ما كسبوا) أى الأعمال السيئة حين تعرض عليهم صحائفهم (قوله الجنس) أى فهو إخبار عن الجنس بما يفعله غالب أفراده (قوله إنعاما) أى تفضلا وإحسانا (قوله على علم من الله الخ) أى أومنى بوجوه كسبه أوآتى أعطيته بسبب محبة لله لى وفلاحى (قوله أى القولة) أشار بذلك إلى أن الضمير عائد على القولة وقيل عائد على النعمة والمعنى أن النعمة فتنة أى امتحان واختبار هل يشكر عليها أو يكفرها (قوله إن التخويل) أى إعطاء النعم تفضلا و إحسانا (قوله الراضين بها) أشار بذلك إلى أن قومه لم يقولوها بالفعل و إنما نسبت لهم من حيث رضاهم بها (قوله سيآت ما كسبوا) أى جزاء أعمالهم السيئة (قوله من هؤلاء) بيان للذين ظلموا (قوله فقحطوا سبع سنين) أى أوائل سنى الهجرة حتى أكلوا الجيف والعظم المحرق (قوله ثم وسع عليهم) أى استدراجا لهم لارضا عليهم

يا الله (فَاطِرَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ) مبدعهما (عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) ما غاب وما شوهد (أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) من أمر الدين اهدنى لما اختلفوا فيه من الحق (وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا) ظهر (لَهُمْ مِنَ اللهِ مَالَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ) يظنون (وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ) نزل (بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ) أى العذاب (فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ) الجنس (ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ) أعطيناه (نِعْمَةً) إنعاما (مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ) من الله بأنى له أهل (بَلْ هِيَ) أى القولة (فِتْنَةٌ) بلية يبتلى بها العبد (وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) أن التخويل استدراج وامتحان (قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) من الأمم كقارون وقومه الراضين بها (فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ . فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا) أى جزاؤها (وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هٰؤُلَاءِ) أى قريش (سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ) بفائتين عذابنا فقحطوا سبع سنين ، ثم وسع عليهم (أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ) يوسعه (لِمَنْ يَشَاءُ) امتحانا (وَيَقْدِرُ) يضيقه لمن يشاء ابتلاء (إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) به (قُلْ يَاعِبَادِيَ الذين

(قوله أولم يعلموا) أى القائلون إنما أوتيته على علم عندى (قوله يبسط الرزق لمن يشاء) أى و إن كان لاحيلة له ولا قوة طائعا أو عاصيا وقوله ويقدر أى لمن يشاء و إن كان قويا شديدا طائعا أو عاصيا فليس لبسط الرزق الدنيوى ولا لقبضه مدخل فى محبة الله ولا بغضه بل بحكمته تعالى (قوله إن فى ذلك) أى المذكور (قوله قل ياعبادى الذين أسرفوا الخ) سبب نزولها «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى وحشى قاتل حمزة يدعوه إلى الاسلام فأرسل إليه كيف تدعونى إلى دينك وأنت تزعم أنه من قتل أوأشرك أوزنى يلق أثاما يضاعف له العذاب وأنا فعلت ذلك كله فأنزل الله إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فقال وحشى هذا شرط شديد لعلى لاأقدر عليه فهل غير ذلك فأنزل الله إن الله لايغفر أن يشرك به و يغفر مادون ذلك لمن يشاء قال وحشى أرانى بعد فى شبهة أيغفر لى أم لا فنزلت هذه الآية فقال وحشى نعم الآن لاأرى شرطا فأسلم» وهذه الآية عامة لكل كافر وعاص لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ومن ثم قيل إنها أرجى آية فى كتاب الله تعالى وفيها من أنواع المعانى والبيان أمور حسان منها إقباله تعالى على خلقه وندائوه إياهم ومنها إضافتهم إليه إضافة تشريف ومنها الالتفات من التكلم إلى الغيبة فى قوله من رحمة الله ومنها اضافة الرحمة لأجل أسمائه الجامع لجميع الأسماء والصفات وهو لفظ الجلالة ومنها الاتيان بالجملة المعرفة الطرفين المؤكدة بان وضمير الفصل فى قوله إنه هو الغفور الرحيم للاشارة إلى أنه تعالى لاوصف له مع عباده إلا الغفران والرحمة ، ومناسبة هذه الآية لما قبلها أن الله تعالى لما شدد على الكفار التشديد العظيم فى قوله ولو أن للذين ظلموا مافى الأرض جميعا الآية أتبعها بذكر عظيم غفرانه ورحمته لمن آمن ليجمع العبد بين الرجاء والخوف

(قوله الذين أسرفوا على أنفسهم) أى فرطوا فى الأعمال الصالحة وارتكبوا سىء الأعمال وأكثروا منه (قوله لاتقنطوا من رحمة الله) إن قلت إن فى هذا إغراء بالمعاصى واتكالا على غفرانه تعالى وهو لايليق . أجيب بأن المقصود تنبيه العاصى على أنه ينبغى له أن يقدم على التوبة ولا يقنط من رحمة الله وليس ذلك إغراء بالمعاصى بل هو تطمين للعصاة وترغيب لهم فى الاقبال على ربهم (قوله بكسر النون وفتحها) أى من باب جلس وسلم وهما سبعيتان (قوله وقرئ بضمها) أى من باب دخل وهى شاذة (قوله إن الله يغفر الذنوب جميعا) أى إشراكا أو غيره وهو مقيد بالتوبة كما قال المفسر لأن بها يخرج العاصى من ذنوبه كيوم ولدته أمه لما فى الحديث « التائب من الذنب كمن لاذنب له » وأما من مات مسلما ولم يتب من ذنوبه فأمره مفوض لربه إن شاء غفر له وإن شاء عذبه بقدر جرمه ثم يدخله الجنة ، وأما من مات مشركا فلا يغفر له بنص قوله تعالى ـ إن الله لايغفر أن يشرك به ـ ومن هنا قيل رحمة الله غلبت غضبه لأن دار الغضب مخصوصة بمن مات مشركا بخلاف دار الرحمة فهى لمن عدا ذلك (قوله لمن تاب من الشرك) إنما خص الشرك لأن التوبة منه مقبولة قطعا بنص قوله تعالى ـ قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ماقد سلف ـ بخلاف التوبة من غير الشرك ففيها قولان قيل مقبولة ظنا وقيل قطعا والفرق أن تعذيب العاصى تطهير وتعذيب الكافر غضب فمآل العاصى للجنة وإن طالت مدته فى النار لأن معاملته بالفضل والرحمة بخلاف الكافر فمعاملته بالعدل (قوله إنه هو الغفور الرحيم) تعليل لماقبله وهذان الوصفان يكونان لمن تاب فالغفران له نجاته من النار والرحمة له دخوله الجنة (قوله وأنيبوا إلى ربكم) أتى بهذه الآية عقب التى قبلها لئلا يتكل العاصى على الغفران ويترك التوبة والرجوع إلى الله

الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا) بكسر النون وفتحها ، وقرئ بضمها تيأسوا (من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا) لمن تاب من الشرك (إنه هو الغفور الرحيم . وأنيبوا) ارجعوا (إلى ربكم وأسلموا) أخلصوا العمل (له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون) بمنعه إن لم تتوبوا (واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم) هو القرآن (من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون) قبل إتيانه بوقته فبادروا قبل (أن تقول نفس يا حسرتى) أصله ياحسرتى : أى ندامتى (على ما فرطت فى جنب الله) أى طاعته (وإن) مخففة من الثقيلة أى وإنى (كنت لمن الساخرين) بدينه وكتابه (أو تقول لو أن الله هدانى) ،

فأفاد أن الرجوع إلى الله والاقبال عليه مطلوب ومن ترك ذلك فله الوعيد العظيم (قوله إن لم تتوبوا) راجع لقوله من قبل أن يأتيكم العذاب (قوله واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم) أى على لسان أحسن نبى وهو محمد صلى الله عليه وسلم وهذا معطوف على قوله وأنيبوا والمعنى ارجعوا إلى ربكم والزموا أوامر أحسن كتاب أنزل إليكم ونواهيه وهذا الخطاب عام للأولين والآخرين من لدن آدم إلى يوم القيامة ولكن من أدركه التكليف كلف باتباعه ومن لم يدركه بأن كان متقدما عليه يلزمه اتباعه لوفرض أنه أدركه ومن هنا أخذ الميثاق على الأنبياء وأممهم أنه إن ظهر محمد وأحدهم حى يلزمه اتباعه وفى الحديث «لوأدركنى موسى ماوسعه إلا اتباعى» وحينئذ فالمعنى اتبعوا ياعبادى من أول الزمان إلى آخره أحسن كتاب أنزل إليكم من ربكم فالمكلف بهذا الخطاب من أدركه ومن لم يدركه لكن من لم يدركه مكلف به لولا مانع الموت ولذا كلف به من بقى حيا حتى أدركه كالخضر وإلياس وعيسى عليهم السلام (قوله القرآن) تفسير لأحسن فان ماأنزل إلينا من ربنا كتب كثيرة وأحسنها القرآن وهذا كله على مافهم المفسر ، وقيل معنى أحسن ماأنزل إليكم الخ أى من القرآن وهو أوامره دون نواهيه أو عزائمه دون رخصه أوناسخه دون منسوخه أو ماهو أعم والخطاب لخصوص هذه الأمة فتدبر (قوله أن تقول نفس) معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله بادروا قبل أن تقول الخ وقدره غيره كراهة أو مخافة أن تقول نفس الخ وحينئذ فيكون مفعولا لأجله وهو أسهل مماقدره المفسر ، والمراد نفس الكافر ونكرها للتحقير (قوله أصله ياحسرتى) أى فقلبت الياء ألفا فهى فى محل جر وندائوها مجاز : أى هذا أوانك فاحضرى (قوله أى طاعته) أشار بذلك إلى أن المراد بالجنب الطاعة مجازا لأن الجنب فى الأصل الجهة المحسوسة ويرادفه الجانب فشبهت الطاعة بالجهة بجامع تعلق كل بصاحبه لأن الطاعة لها تعلق بالله تعالى والجهة لها تعلق بصاحبها (قوله وإن كنت لمن الساخرين) الجملة حالية ، والمعنى فرطت فى جنب الله وأنا ساخر (قوله أوتقول الخ)

أو لكنه يعم في مقالة الكافر (قوله بالطاعة) وفي نسخة بألطافه أي إسعافه ولو قال بآياته لكان أظهر (قوله فأكون من المحسنين)
إما معطوف على كرة فيكون من جملة التمني والفاء عاطفة للفعل على الاسم الخالص نظير قول الشاعر :

لولا توقع معترّ فأرضـيه ... ما كنت أوثر أترابا على ترب

ويكون إضمار أن جائزا لا واجبا ، قال ابن مالك :

وإن على اسم خالص فعل عطف ... تنصبه إن ثابتا أو منحذف

أو منصوب في جواب التمني ويكون مرتبا على التمني والفاء للسببية وإضمار أن واجب (قوله فيقال له الخ) أي جوابا لمقالته الثانية وأخر عن الثالثة ليتصل كلام الكافر بعضه ببعض ولم تؤخر المقالة الثانية عن الثالثة لئلا يكون مخالفا للترتيب الوجودي فإن الكافر أولا يتحسر ثم يحتج بحجج واهية ثم يتمنى الرجوع إلى الدنيا . إن قلت إن بلى يجاب بها النفي ولا نفي في الآية . أجيب بأن الآية متضمنة للنفي لأن معنى قوله لو أن الله هداني لم يهدني (قوله وهو سبب الهداية) أشار بذلك إلى أن المراد بالهداية الوصول بالفعل وأما إن أريد بها مطلق الدلالة فالآيات نفسها دالة (قوله بنسبة الشريك الخ) أشار بذلك إلى أن المراد كذب يؤدي الكفر وإلا فظاهر الآية (٣٥٤) - يعم كل كذب على الله تعالى وحينئذ ففيها تحذير وتخويف لمن يتعمد الكذب على الله تعالى كالافتاء بغير الشرع ورواية الحديث بالكذب (قوله وجوههم مسودة) الجملة حالية إن جعلت الرؤية بصرية أو مفعول ثان إن جعلت علمية (قوله أليس في جهنم الخ) هذا تقرير لاسوداد وجوههم (قوله اتقوا الشرك) أي جعلوا بينهم وبينه وقاية وهو الإيمان وهذه تقوى العامة وتقوى الخواص فعل الطاعات وترك المعاصي وتقوى خواص الخواص عدم خطور الغير بالهم (قوله بمفازتهم) الباء سببية متعلقة بينجي وفي قراءة سبعية أيضا بمفازاتهم جمعا باعتبار الأشخاص (قوله أي بمكان فوزهم) أي بمكان ظفرهم بمقصودهم ، والمعنى ينجي الله المتقين بسبب دخولهم في مكان ظفرهم بمقصودهم وهو الجنة (قوله لا يمسهم السوء) يحتمل أن تكون هذه الجملة مستأنفة مفسرة لمفازتهم فلا محل لها من الإعراب ويحتمل أن تكون حالية من قوله الذين اتقوا (قوله الله خالق كل شيء) هذا دليل لما قبله ودخل في الشيء الجنة وما فيها والنار وما فيها وحينئذ فلا مشارك لله في خلقه (قوله له مقاليد السموات والأرض) المقاليد جمع مقلاد أو مقليد والكلام كناية عن شدة التمكن والتصرف في كل شيء في السموات أو الأرض . وروي عن عثمان رضي الله عنه «أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن المقاليد فقال : تفسيرها لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده وأستغفر الله ولا حول ولا قوة إلا بالله هو الأول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير فهذه الكلمات مفاتيح خزائن السموات والأرض من تكلم بها فتحت له» (قوله من المطر الخ) بيان للخزائن (قوله متصل بقوله وينجي) أي فهو معطوف عليه من عطف جملة اسمية على فعلية ولا مانع منه (قوله المعمول لتأمروني) أي والأصل أتأمروني بأن أعبد غير الله قدم مفعول أعبد على تأمروني العامل في عامله وحذفت (قوله بنون واحدة) أي مخففة مع فتح الياء لا غير وهذه النون نون الرفع كسرت للمناسبة واستغني بها عن نون الوقاية

بالطاعة أي فاهتديت (لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ) عذابه (أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً) رجعة إلى الدنيا (فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) المؤمنين فيقال له من قبل الله (بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي) القرآن وهو سبب الهداية (فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ) تكبرت عن الإيمان بها (وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ . وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ) بنسبة الشريك والولد إليه (وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى) مأوى (لِّلْمُتَكَبِّرِينَ) عن الإيمان ؟ بلى (وَيُنَجِّي اللَّهُ) من جهنم (الَّذِينَ اتَّقَوْا) الشرك (بِمَفَازَتِهِمْ) أي بمكان فوزهم من الجنة بأن يجعلوا فيه (لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ) متصرف فيه كيف يشاء (لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) أي مفاتيح خزائنهما من المطر والنبات وغيرهما (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ) القرآن (أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) متصل بقوله وينجي الله الذين اتقوا الخ وما بينهما اعتراض (قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ) غير منصوب بأعبد المعمول لتأمروني بتقدير أن بنون واحدة وبنونين بادغام

(قوله بادغام) أى مع فتح الياء وسكونها وقوله وفك أى مع سكون الياء لاغير فالقراءات أربع سبعيات (قوله ولقد أوحى إليك الخ) اللام موطئة لقسم محذوف أى والله لقد أوحى الخ ونائب الفاعل قوله لئن أشركت الخ ، والمعنى أوحى إليك هذا الكلام (قوله فرضا) أى على سبيل التقدير وفرض المحال وهو جواب عن سؤال مقدر كيف يقع الشرك من الأنبياء مع عصمتهم وقيل المقصود بالخطاب أممهم لعصمتهم من ذلك . إن قلت كان مقتضى الظاهر لئن أشركتم فما وجه إفراد الخطاب . أجيب بأن المعنى أوحى إلى كل واحد منهم لئن أشركت الخ كما يقال كسانا الأمير حلة أى كسا كل واحد مناحلة (قوله ليحبطن عملك) من باب تعب وقرئ شذوذا من باب ضرب (قوله ولتكونن من الخاسرين) عطف مسبب على سبب وجملة المعطوف والمعطوف عليه جواب القسم الثانى وهو لئن أشركت والقسم الثانى وجوابه جواب عن القسم الأول وهو لقد أوحى وحذف جواب الشرط وهو إن أشركت للقاعدة (قوله بل الله فاعبد) عطف على محذوف والتقدير فلا تشرك بل الله الخ (قوله وكن من الشاكرين) أى على ما أعطاك من التوفيق لطاعته وعبادته لأن الشكر على ذلك أفضل من الشكر على باقى النعم (قوله وما قدروا الله حق قدره) إن قلت إن مفهوم الآية يقتضى أن المؤمنين يعرفون الله حق معرفته ومقتضى قوله صلى الله عليه وسلم «سبحانك ماعرفناك حق معرفتك وقوله سبحان من لايعلم قدره غيره ولايبلغ الواصفون صفته» أنه لايعلم الله إلا الله فكيف الجمع بينهما . أجيب بأن الآية محمولة على المعرفة المأمور بها المكلف بتحصيلها ، ولا شك أن المؤمنين عرفوه حق معرفته التى فرضت عليهم وهى تنزيهه عن النقائص ووصفه بالكمالات والحديث محمول على المعرفة التى لم تفرض على العباد وهى معرفة الحقيقة والكنه فتدبر، فتحصل أن العجز عن الادراك إدراك والبحث عن الذات إشراك ولم يكلفنا الله إلا بأن ننزهه عما سواه سبحانه وتعالى

بادغام وفك (وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ) والله (لَئِنْ أَشْرَكْتَ) يامحمد فرضا (لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ . بَلِ اللَّهَ) وحده (فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ) إنعامه عليك (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ) ماعرفوه حق معرفته أو ماعظموه حق عظمته حين أشركوا به غيره (وَالْأَرْضُ جَمِيعًا) حال أى السبع (قَبْضَتُهُ) أى مقبوضة له أى فى ملكه وتصرفه (يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ) مجموعات (بِيَمِينِهِ) بقدرته (سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) معه (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ) النفخة الأولى (فَصَعِقَ) مات (مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ) ،

(قوله أو ماعظموه حق عظمته) مفهومه أنهم عظموه لاحق تعظيمه وهو كذلك لأنهم معترفون بأنه الاله الأكبر الخالق لكل شئ (قوله والأرض جميعا الخ) الجملة حالية من لفظ الجلالة ، والمعنى ما عظموه حق تعظيمه والحال أنه موصوف بهذه القدرة الباهرة وقدم الأرض لمباشرتهم لها ومعرفتهم بحقيقتها (قوله أى فى ملكه وتصرفه) أشار بذلك إلى أنه ليس المراد حقيقة القبض بل المراد التصرف والملك ظاهرا و باطنا ، بخلاف أمور الدنيا فان للعبيد فيها أملاكا ظاهرية ، وقيل إنه كناية عن انعدامها بالمرة وهو ظاهر ويقال فى الطى مثل ذلك (قوله ونفخ فى الصور الخ) التعبير فى هذا ومابعده بالماضى لتحقق وقوعه أى لكونه واقعا فى علم الله تعالى أزلا ، لأن كل ماظهر فهو جار فى سابق علمه تعالى والنافخ إسرافيل وجبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره عليهم السلام . والصور بسكون الواو فى قراءة العامة وهو القرن فيه ثقب بعدد جميع الأرواح وله ثلاث شعب شعبة تحت الثرى تخرج منها الأرواح وتتصل بأجسادها وشعبة تحت العرش منها يرسل الله الأرواح إلى الموتى وشعبة فى فم إسرافيل وهوملك عظيم له جناح بالمشرق وجناح بالمغرب والعرش على كاهله وقدماه قد نزلتا عن الأرض السفلى مسيرة مائة عام (قوله النفخة الأولى) ظاهر المفسر أن النفخ مرتان نفخة الصعق ونفخة البعث وهو ظاهر الآية ، وقيل إن النفخ ثلاث مرات : فالنفخة الأولى تطول وتكون بها الزلزلة وتسيير الجبال وتكوير الشمس وانكدار النجوم وتسجير البحار والناس أحياء والهون ينظرون إليها فتذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى وهى المعنية بقوله تعالى ـ إن زلزلة الساعة شئ عظيم ـ . والنفخة الثانية يكون بها الصعق وعندها يموت كل من كان حيا حياة دنيوية وأما من كان حيا حياة برزخية فانه يغشى عليه . والنفخة الثالثة نفخة القيام وبين هاتين النفختين أربعون سنة على الصحيح لتستريح الأرض من الهول الذى حصل لها وفى تلك المدة تمطر السماء وتنبت الأرض ولاحى على ظهرها من سائر المخلوقات (قوله مات) أى من كان حيا فى الدنيا ويغشى على من كان ميتا من قبل لكنه حى فى قبره كالأنبياء والشهداء .

(قوله من الحور الخ) أى فهو استثناء من الصعق بمعنى الموت ويستثنى منه بمعنى الغشى والدهش موسى عليه السلام فانه لايغشى عليه بل يبقى متيقظا ثابتا لأنه صعق فى الدنيا فى قصة الجبل فلا يصعق مرة أخرى (قوله وغيرهما) أى كجبريل وميكائيل و إسرافيل وملك الموت فانهم لايموتون بالنفخة الأولى و إنما يموتون بين النفختين لما روى « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا: ونفخ فى الصور الآية فقالوا يانبىّ الله من هم الذين استثنى الله تعالى ؟ قال هم جبريل وميكائيل و إسرافيل وملك الموت فيقول الله لملك الموت ياملك الموت من بقى من خلقى وهو أعلم فيقول يارب بقى جبريل وميكائيل و إسرافيل وعبدك الضعيف ملك الموت فيقول الله تعالى خذ نفس إسرافيل وميكائيل فيخران ميتين كالطودين العظيمين فيقول مت ياملك الموت فيموت فيقول الله لجبريل ياجبريل من بقى فيقول تباركت وتعاليت ياذا الجلال والاكرام وجهك الباقى الدائم وجبريل الميت الفانى فيقول الله تعالى ياجبريل لابد من موتك فيقع ساجدا يخفق بجناحيه يقول سبحانك ربى تباركت وتعاليت ياذا الجلال والاكرام » (قوله ثم نفخ فيه أخرى) أى بعد أربعين سنة على الصحيح، وقرب نفخة القيام تأتى سحابة من تحت العرش فتمطر ماء خاثرا كالمنىّ فتنبت أجسام الخلائق كما ينبت البقل فتتكامل أجسامهم وكل ابن آدم تأكله الأرض إلا عجب الذنب فانه يبقى مثل عين الجرادة لايدركه الطرف فتركب عليه أجزاؤه فاذا تمّ وتكامل نفخ فيه الروح ثم انشقّ عنه القبر ثم قام خلقا سويا، وفى النفخة الثانية يقول: أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة والأعضاء المتمزقة والشعور المنتثرة إن الله المصوّر الخالق يأمركنّ أن تجتمعن لفصل القضاء فيجتمعن ثم ينادى قوموا للعرض على الجبار فيقومون كما قال تعالى: يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر

الآية، فاذا خرجوا من قبورهم تتلقى المؤمنون بمراكب من رحمة الله كما قال تعالى: يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا، ويمشى المجرمون على أقدامهم حاملين أوزارهم كما قال تعالى: ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا، وفى الآية الأخرى: يحملون أوزارهم على

من الحور والولدان وغيرهما (ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ) أى جميع الخلائق الموتى (قِيَامٌ يَنظُرُونَ) ينتظرون مايفعل بهم (وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ) أضاءت (بِنُورِ رَبِّهَا) حين يتجلى لفصل القضاء (وَوُضِعَ الْكِتَابُ) كتاب الأعمال للحساب (وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ) أى بمحمد صلى الله عليه وسلم وأمته يشهدون للرسل بالبلاغ (وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ) أى العدل (وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) شيئا (وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ) أى جزاءه (وَهُوَ أَعْلَمُ) أى عالم (بِمَا يَفْعَلُونَ) فلا يحتاج إلى شاهد،

ظهورهم (قوله فاذا هم قيام) بالرفع فى قراءة العامة خبر عن الضمير وقرئ شذوذا بالنصب على الحال (وسيق) وخبر الضمير قوله ينظرون (قوله مايفعل بهم) أى من الحساب والمرور على الصراط و إدخالهم الجنة أو النار (قوله وأشرقت الأرض بنور ربها) المراد بالأرض الأرض الجديدة المبدلة التى يحشر الناس عليها (قوله حين يتجلى) أى حين يكشف الحجاب عن الخلائق فيرونه حقيقة لما فى الحديث « سترون ربكم لاتمارون فيه كما لاتمارون فى الشمس فى اليوم الصحو » وهذا النور يخلقه الله تعالى تضىء به الأرض وليس من نور الشمس والقمر وهو مخصوص بمن يرى الله تعالى فى القيامة وهم المؤمنون (قوله ووضع الكتاب) أى أعطى كل واحد من الخلائق كتابه بيمينه أو شماله (قوله وجىء بالنبيين والشهداء) أى وذلك أن الله تعالى يجمع الخلائق الأولين والآخرين فى صعيد واحد ثم يقول لكفار الأمم: ألم يأتكم نذير ؟ فينكرون ويقولون ماجاءنا من نذير فيسأل الله تعالى الأنبياء عن ذلك فيقولون كذبوا قد بلغناهم فيسألهم البينة وهو أعلم بهم إقامة للحجة فيقولون أمة محمد تشهد لنا فيؤتى بأمة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون لهم أنهم قد بلغوا فتقول الأمم الماضية من أين علموا و إنما كانوا بعدنا فيسأل هذه الأمة فيقولون أرسلت إلينا رسولا وأنزلت علينا كتابا أخبرتنا فيه بتبليغ الرسل وأنت صادق فيما أخبرت، ثم يؤتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسأله الله تعالى عن أمته فيزكيهم ويشهد بصدقهم (قوله أى العدل) أى بالنسبة للكافرين، وأما المؤمنون فحكمه فيهم بالفضل (قوله أى جزاءه) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله أى عالم) أشار بذلك إلى أن اسم التفضيل ليس على بابه إذ لامشاركة بين القديم والحادث (قوله فلايحتاج إلى شاهد) أى لأنه عالم بمقادير أفعالهم وكيفياتها و إنما الشهود وكتابة الأعمال لحكم عظيمة منها إقامة الحجة على من عاند، وقد أشار صاحب الجوهرة لهذا بقوله:

والعرش والكرسى ثم القلم … والكاتبون اللوح كل حكم
لا لاحتياج وبها الايمان … يجب عليك أيها الانسان

(قوله وسيق الذين كفروا الخ) هذه الآية وما بعدها تفصيل لما أجمل فى قوله - ووفيت كل نفس ماعملت - (قوله بعنف) أى شدة لأنهم يضربون من خلف بالمقامع ويسحبون من أمام بالسلاسل والأغلال (قوله إلى جهنم) المراد دار العذاب بجميع طبقاتها (قوله زمرا) جمع زمرة من الزمر وهو الصوت، سموا بذلك لأن الجماعة لا تخلو غالبا عنه (قوله جماعات متفرقة) أى فوجا فوجا كما فى آية - كلما ألقى فيها فوج - والمعنى كل أمة على حدة (قوله حتى إذا جاءوها) حتى ابتدائية تبتدأ بعدها الجمل (قوله فتحت أبوابها) أى ليتلقون حرارتها بأنفسهم (قوله جواب إذا) أى باتفاق (قوله رسل منكم) أى من جنسكم (قوله القرآن) أى بالنسبة لأمة محمد صلى الله عليه وسلم، وقوله وغيره: أى بالنسبة لبقية الأمم (قوله لقاء يومكم هذا) أضاف اليوم لهم باعتبار انحصار شدته فيهم، وليس المراد به يوم القيامة جميعه فانه مختلف باعتبار الأشخاص، فيكون نعيما وسرورا للمؤمنين وشدة وعذابا للكافرين (قوله قالوا بلى) إقرار بما وقع منهم وإنما أنكروا حين سألهم الله تعالى طمعا فى النجاة فلما قامت الحجج عليهم وتحتم الأمر بعذابهم رأوا أن الإنكار لا فائدة فيه فأقروا، وبالجملة فالقيامة مواطن تارة ينكرون وتارة تقر أعضاؤهم وتارة يقرون بألسنتهم (قوله على الكافرين) أظهر فى محل الإضمار إشارة لسبب استحقاقهم العذاب وهو الكفر (قوله مقدرين الخلود) أشار بذلك إلى أن قوله: خالدين حال مقدرة وذلك لأنهم عند الدخول ليسوا خالدين وإنما منتظرون ومقدرون الخلود (قوله فبئس مثوى المتكبرين) أظهر فى محل الإضمار إشارة إلى بيان سبب كفرهم الذى استحقوا به العذاب، وقوله جهنم هو المخصوص بالذم (قوله وسيق الذين اتقوا ربهم) أخر وعد المؤمنين ليحسن اختتام السورة به ليكون آخر الكلام بشرى المؤمنين (قوله بلطف) أشار بذلك إلى أن السوق

(وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا) بعنف (إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا) جماعات متفرقة (حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا) جواب إذا (وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ) القرآن وغيره (وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ) أى لأملأن جهنم الآية (عَلَى الْكَافِرِينَ. قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا) مقدرين الخلود (فَبِئْسَ مَثْوَى) مأوى (الْمُتَكَبِّرِينَ) جهنم (وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ) بلطف (إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا) الواو فيه للحال بتقدير قد (وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ) حال (فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ) مقدرين الخلود فيها، وجواب إذا مقدر: أى دخلوها، وسوقهم وفتح الأبواب قبل مجيئهم تكرمة لهم وسوق الكفار وفتح أبواب جهنم عند مجيئهم ليبقى حرها إليهم إهانة لهم (وَقَالُوا) عطف على دخلوها المقدر (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ) بالجنة،

فى الموضعين مختلف فسوق الكفار سوق إهانة وانتقام وسوق المؤمنين سوق تشريف وإكرام، وفى المعنى سوق المؤمنين سوق مراكبهم لأنهم يذهبون راكبين فيسرع بهم إلى دار الكرامة والرضوان فشتان ما بين السوقين، وهذا من بديع الكلام وهو أن يؤتى بكلمة واحدة تدل على الهوان فى حق جماعة وعلى العز والرضوان فى حق آخرين (قوله زمرا) أى جماعات على حسب قربهم ومراتبهم (قوله حتى إذا جاءوها) حتى ابتدائية (قوله الواو فيه للحال) والحكمة فى زيادة الواو هنا دون التى قبلها أن أبواب السجن مغلقة إلى أن يجيئها صاحب الجريمة فتفتح له ثم تغلق عليه فناسب ذلك عدم الواو فيها بخلاف أبواب السرور والفرح فانها تفتح انتظارا لمن يدخلها (قوله وقال لهم خزنتها) عطف على قوله: جاءوها (قوله سلام عليكم) أى سلمتم من كل مكروه، وقوله: طبتم: أى طهرتم من دنس المعاصى لما ورد «أنه على باب الجنة شجرة ينبع من ساقها عينان يشرب المؤمنون من إحداهما فتطهر أجوافهم، وذلك قوله تعالى - وسقاهم ربهم شرابا طهورا - ثم يغتسلون من الأخرى فتطيب أجسادهم فعندها يقول لهم خزنتها - سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين» (قوله وجواب إذا مقدر) هذا أحد أقوال ثلاثة، وقيل إن جوابها قوله وفتحت والواو زائدة، وقيل هو قوله - وقال لهم خزنتها - والواو زائدة (قوله وسوقهم) مبتدأ وتكرمة خبره وكذا مابعده (قوله وقالوا) أى بعد استقرارهم فى الجنة (قوله الذى صدقنا وعده) أى حققه لنا فى قوله - تلك الجنة التى نورث من عبادنا من كان تقيا -.

(قوله وأورثنا الأرض) أى ملكها لنا نتصرف فيها تصرف الوارث فيما يرثه وقد كانت لآدم وحده فأخذها أولاده إرثا لها منه ، وقيل المراد أورثنا أرض الجنة التى كانت للكفار لو آمنوا ، والأقرب أن المراد ملكنا إياها كالميراث فانه ملك بلا عوض ولا شبهة لأحد فيه فكذلك منازل الجنة (قوله لايختار فيها مكان على مكان) أى بل يرضى كل إنسان بمكانه الذى أعدّ له بحيث لو أطلق له الاختيار لايختار غيره لزوال الحقد والحسد من القلوب ، وهذا جواب عما قيل كيف ذلك مع أن كل إنسان له محل معدّ لاسبيل له إلى غيره . وأجيب أيضا بأن المعنى يختار من منازله ما يشاء لما ورد « أن كل واحد له جنة لاتوصف سعة ولا حسنا فيتبوأ من جنته حيث يشاء ولا يخطر بباله غيرها » (قوله فنعم أجر العاملين) هذا من كلام الله تعالى زيادة فى سرور أهل الجنة ، وقوله الجنة هو المخصوص بالمدح (قوله وترى الملائكة) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم بل ولكل مؤمن زيادة فى السرور لأن رؤية الملائكة فى الآخرة من النعيم لاتحاد روحانيتهم مع الإنس وأما فى الدنيا فمفزع لأن النوع الإنسانى فى الدنيا ضعيف مكبل بأنواع الشهوات والحجب فلا يستطيع رؤية المقربين (قوله حافين) أى محيطين مصطفين بحافته وجوانبه (قوله أى يقولون سبحان الله وبحمده) أى تلذذا لأن منتهى درجاتهم الاستغراق فى تسبيحه تعالى وتقديسه (قوله ختم استقرار الفريقين الخ) أى كما ابتدأ ذكر الخلق بالحمد فى قوله : الحمد لله الذى خلق السموات والأرض ففيه تنبيه على أنه تعالى يحمده فى مبدإ كل أمر ونهايته (قوله من الملائكة) أى بل ومن جميع الخلق فان جميع أهل الجنة يحمدون الله تعالى على ما أعطاهم وأولاهم من تلك النعم العظيمة ويجدون لذلك الحمد لذة عظيمة لزوال الحجاب عنهم ، والله أعلم .

(وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ) أى أرض الجنة (نَتَبَوَّأُ) ننزل (مِنَ الجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ) لأنها كلها لايختار فيها مكان على مكان (فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ) الجنة (وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ) حال (مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ) من كل جانب منه (يُسَبِّحُونَ) حال من ضمير حافين (بِحَمْدِ رَبِّهِمْ) ملابسين للحمد ، أى يقولون : سبحان الله وبحمده (وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ) بين جميع الخلائق (بِالْحَقِّ) أى العدل فيدخل المؤمنون الجنة والكافرون النار (وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) ختم استقرار الفريقين بالحمد من الملائكة . والله سبحانه وتعالى أعلم .

تم الجزء الثالث ، ويليه الجزء الرابع

وأوله :

سورة غافر

فهرس الجزء الثالث

من حاشية الشيخ الصاوى على تفسير الجلالين